# كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

## في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر


تأليف

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون


الكتاب الثالث . الجزء الثاني عشر


قرأه وعارضه بأصول المؤلف

إبراهيم شبوح



تونس 2015

# كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

# كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

## في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون

## الكتاب الثالث: الجزء الثاني عشر

قرأه وعارضه بأصول المؤلف

إبراهيم شبوح

تونس 2015

يصدر كتاب العبر في الذكرى المئوية السابعة لولادة نابغة تونس

# عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

732 هـ - 1432 هـ

درس أصوله الخطية ، وأعدها ، ويشرف عليه

## إبراهيم شبوح

نشر: القيروان للنشر

ص.ب 115 - المنار الثاني - تونس 2092 الجمهورية التونسية

الترقيم الدولي: ISBN 978-9973-896-13-1

نضد هذا الجزء: هدى بن فرج

جميع الحقوق محفوظة لدار القيروان للنشر

الطبعة التكريمية الأولى

تونس 2015

بسم الله الرحمن الرحيم

# كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

## تقديـم

انحسر الحكم العربي عن إفريقية في مرحلتين مترابطتين متلاحقتين واضحتين، **الأولى** عندما انبعثت الحركة الشّيعيّة الفاطمية، واستطاع أبو عبد الله الحسين بن أحمد الرّامَهرمزي المحتسب الدّاعي أن يستقطبَ بالدّعوة قبيلةَ كُتامَة، ويؤلّف منها قُوّةَ العصبيّة التي استَندت عليها دولةُ الخلافة النّاشئة في حَميّتها، فأطاحت بالدّولة الأغلبيّة التّميميّة، وبالدولة الرُستُميّة الإباضيّة. واستقلّتْ كُتامة بالأمر من يومئذٍ ثم مَن بَعدهم من بَرابرة المغرب، وذهبت ريح العرب ودولتُهم من المغرب وإفريقية[1].

**والثّانية** عندما اعتزم الخليفة الفاطميّ الرابع المعزّ لدين الله معدّ ابن الخليفة المنصور إسماعيل ابن الخليفة القائم نزار بن المهديّ المؤسّس، اعتزم وهو في قَصبته صَبْرَةِ المنصوريّة (بالقيروان)، أن يتحوّل إلى مصرَ التي تجمّعت له الأسباب لاقتحامها وانتزاعها، وكان متوجّسًا من حركة محمد بن الحسن المغراوي الزّناتي الثائر في المغرب الأوسط أن تمتدَّ إلى إفريقيّة غائلتُه، مجهّز له قائدَه الصّنهاجي بُلُكّين بن زيري بن مَناد، فغزاه في بلاده وهزمَهُ، وأقرّ بالَ المعزّ الذّي خصّه بثِقّته، وتنبّه به إلى الجواب على أحدَى المعضلات التي تشغل فِكرَه، وهي الاستخلافُ على إفريقية بعدَه، وأن هذا الرّجلَ[1] قد تجمّعت فيه الشّروط التي التمسها، من "الغَناء والاضطلاع والوُثوق من صدق تشيُّعه ورُسوخ القَدم في وَلاية الدّولة، فذهب إليه اختيارهُ، فهو وليّ الدولة منذ عهد سَلَفه، والموتورِ[2] بأبيه من أيدي زَناتة أعدائِها في سَبيل الذّبّ عن الدّعْوة والمظاهَرة للدّوْلة"[3]. فأنزله القَيْروان وسمّاه يوسفَ، وكنّاه بأبي الفُتوح.

---

(1) كتاب العبر 12: 248

(2) المصدر نفسه 11: 346 ؛ استقدمه السلطان لولاية إفريقية، فقدم سنة إحدى وستّين، واستبلغ السلطان في تكريمه، ونفِس ذلك عليه كُتامة.

(2) المَوْتورُ: هو الذّي قُتل له قتيلٌ، فلم يدرك بدَمِه. اللسان: وتر.

(3) كتاب العبر 11: 347

وغَادر إلى مصر، فدخل حِصْن القاهرة[1] الّذي أعده له جوهر الصّقلبي في رمضان سنة واحدٍ وستّين وثلاث مائة للهجرة (972م)، ومُنْذئذٍ خلَص حُكم إفريقيّة لصِنْهاجة وحدها، وانقضَى الحكمُ العربيُّ الذي لم يتجدّد بَعْدها أبدًا، وكان ذلك آخرَ عهد العرب بالمُلْك والدّولة في إفريقية.

كانت صِنهاجة تدعم التّوازن بانتمائها إلى الخِلافة الجديدةِ المزاحمةِ لخلافة بَني العبّاس، وتحتلّ المكانَ الأولَ بعد انتقال القبيلة العَتيدة قبيلة كُتامَة سَنَدِ الدّولة وعصبيّتها منذ انبعاثها. وكان المغربُ الأقصى وأكثر المغرب الأوسط تتزعّمه قبيلةُ زَناتة القويّة، ذات الولاء المتردّد بين بني العباس أحيانًا وبين بَني أُميّة في الأندلس المنازعين للفواطِم. واستقرّ الحُكم في صِنهاجة مُتوارَثًا ومُزكًى من خُلفاء القاهِرة حتّى انتهى إلى رابع أُمراء بني زيري المعزّ لدين الله بن باديس بن المنصور بن بُلكّين بن زيري، انتهى إليه وهو ابن ثمانية أعوام غلامٌ يَفَعَة، فبايَعه الجند البيعةَ العامّة، وكانوا في حَمْلةٍ مع والده المنصور بُلكّين على باغاية المنتمية للفرع الحمّادي لدولتَيْ صِنهاجة، دولةِ المنصور ابن بُلكّين أصحابِ القيروان، ودولةِ حمّاد بن بُلكّين أصحاب القَلْعة[2].

أصبح مُلْكُ المعزّ بإفريقيّة مع الزمن أضخمَ مُلك عُرِف للبربر وأتْرفَه[3]، ازْدهرت فيه الحياة، وعَرفت عاصمةُ الدّولة القيروان أزهرَ عهودها العلمية والفنيّة بما كان يَعمرها من العلماء والشّعراء والصنّاع، وبما تمدّدَ إليه عُمرانها باتصال سورها بصبرة المنصورية، وغدت كما سُمِّيت "مدينة عزّ الإسلام والقيروان" وهو ما كُتِب على بابها وعلى سِكته الذّهبيّة.

---

(1) أسّس جوهر القاهرة إلى جانب الفسطاط والعسكر والقطائع، لتكون حصنًا وقصبة لخليفة الدولة الوافدة وعَصَبيّتها. وليس لسكنى سائر الناس.

(2) كتاب العبر 11: 354

(3) نقل ابن خلدون عن المؤرخ إبراهيم الرقيق نماذج من هذا البذخ في الولائم والهدايا والأعطيات. المصدر المتقدم 11 : 354.

ثم أطلّ العقد الخامِس من القَرن الخامِس بسَنواته العِجاف المُصطخِبَة والمُنذرة بالمصائر المُرْعبة المتحرّكة في دوائر متّسعة. فقد بدأت في مصر أيام خِلافة المستَنْصر الفاطميّ وقد تدنّى منسوبُ النيل "نهر الحياة" إلى أحطّ مُستوى، وكان ما سمّوْه بالشِدّة العُظمى[1]. وفي طلب الكلأ والقوت اندفعت قبائل الأعراب التي ملأَتْ صعيدَ مصر وتقدمت طلائعها إلى إقليم بَرْقَةَ في الغرب، وهم الذين اصْطلح عليهم ابنُ خلدون - وَحْده - وسمّاهم بالعرَبِ المُسْتَعْجِمَة " أهل الظّعن الذين انتبذوا القِفارَ وأقاموا أحياءَ بادينَ، لم يفارِقُوا الحِلَل ولا تركوا البداوةَ والخشونة"[2].

فأغذّوا مسيرَتهم نحو إفريقيّة وانتشروا في بَطائحها ينتسفون زروعَها ويمنعون المرافقَ ويُفسدون السّابلَةَ، وكثُر عَيْثُهم، فخرج إليهم المعزّ بن باديس بما حَشَد لهم من زَناتة والبربر وبَقايا عَرب الفَتْح، وكانت رياحٌ وزُغْبةُ وعديٌّ بقِبَلِيّ جبل حَيْدران[3] من جهة قابس، وتزاحَفوا فتحيّز بعض جَيْشه عليه، وخانته زَناتة وصِنْهاجة فكانت الهزيمة تُلاحقه إلى القَيْروان التي انتُهِب منها كلّ مُخلّفه. ثمّ نازلَت زحوفُ الأعراب أو " العرب المُستعجمة " القيروانَ وأفسدوا الضّواحي والقُرى، ولجأ أولئك الآمنون المُرَوَّعون إلى سوسة وتونس، و"فرّ منها القرابةُ والأعياص من بَني زيري"[4] وعمّ النّهب والحرابَة. واقتسم الوافِدون بلادَ إفريقية سنة 446 هـ / 1054 م، فكان لزُغبة طرابُلُس وما يَليها، ولمرداس من رياحٍ باجةُ وما يليها. ثم أعادوا القسمةَ ثانيةً، فكان لهلالٍ من قابسٍ إلى الغَرْب، وهم رياحٌ وزُغْبة والمَعْقِل وجُشَم وقُرّة والأَثْبج وشَدّاد والخُلْط وسُفيان.

---

(1) انظر المقريزي: إغاثة الأمّة بكشف الغمة. (تحقيق محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيّال. لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة 1957).

(2) كتاب العبر 11: 6

(3) المصدر نفسه 11: 35 ، 37

(4) المصدر نفسه 11: 36

وخرج المُلْك من يَد المعزّ، واضطُرّ إلى حماية نفسه وآلِه، فصاهرَ بِبَنَاتِه ثلاثةً من أُمراء العرب[1]، وتحوّلَ المجتمع الآمن إلى فَوْضى متحركة لغير وِجْهَةٍ، وهُدِمت معالم العمران، وغُوِّرَتِ المياه، وأخيف السبيل، واقْتُلِعت الأشجار، وانْتُسِفت الزّروع، وأخذَ النّاس ينتقلون إلى المهديّة التي يقوم عليها الأمير تميم بن المعزّ.

يقدّم ابن بَسّام[2] هذه الصورة المجمّعة لمأساة نهاية عَرْشٍ ودَولة، يقول: "وجرَتْ بَينهم أثناء ذلك حروبٌ ..... كان من أفراها لِأَديمه، وألصقها بصَميمِه، وَقْعة حَيْدَران سنة أربع وأربعين (1052 م)، فإنها أَوْهنت بَطْشَه، وثلّت عَرْشَه، وأَرَتْه البوارَ، وضَربتْ عليه الحِصار، وأحاط الأَعْرابُ بالقيروان يطؤونَ حَريمَها، ويَسْتعرضونَ راحِلها ومُقيمَها، حتّى ماج بعضها في بَعْض، وتبرَّأت منها كلُّ سماء وأرض، فلما كانت سَنَةُ خمسين أَعْطَى الدَّنيّة، وناشدَهم التّقيّة، واشْترط المهديّة".

وفي هذا التمزّق بعد **سُقوط الدولة** بما كانت ترمزُ إليه من السّيادة ونَشْر الحماية على النّاس، وإقامة العدل، وحفظ سِياج الدولة، تَحوّلت المدُن بمَشْيختها من أهل البُيوتات[3] إلى الشُّورى، وإدارة شُؤون نَفْسها داخلَ أسوارها التي هي حدودُها.

ثم آلت إلى شبه إمارات متفاوتة مُنغلقة تقوم بينهم الشّحناء والتّدافع المتتالي، ويستند بعضُ الأطراف منها إلى قُوَةٍ خارجيّة توَجِّهُه لمصالحها كما هو حال إمارة بني خراسان بتونس المُسْتندة إلى دَعْم الفرع الحمّادي لدولة صِنْهاجة وأميرِها ابنِ عَلَنّاس

---

(1) كتاب العبر 11: 37

(2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 4: 394، ونقل التجاني نصّه هذا في الرحلة 18

(3) أهل بيوتات الشورى هم أهل البيوت العريقة بمكانتها وسيرة رجالها وعصبية أهلها، ويختصون بأنّهم المتقدمون للوفادة على الملوك، وتلقي العمال القادمين من دار الخلافة، والنظر في مصالح الكافة.

الذي يطمحُ أن يمدَّ نفوذَه إلى إفريقية، ثم المستندة أيضًا إلى حُكْم النّورمان في صقلّية[1] الذين يَدْعمونَهم، ويعتبِرونَ أنَّ تلك العلاقَات في مثل ظُروف إفريقيّة المفكّكَة التي سقطت فيها الدّولة الجامعة، مناسبةٌ لفرصة قادمة يبسطون فيها نفوذَهم عليها كما حدثَ لهم في المهديّة. وكانت المُعلّقة لا تَفتأ تضيّق مخنّقَهم وتراقبُ أحوالَهم.

وقد انفردَ ابنُ خلدون بتقديم صورة هذا التشظي الذي آلت إليه مملكة صِنهاجة وتَوَزُّعها بين المُنتزين الثوارّ من البربر والعرب، نذكرُ منهم:

- تَغلّب حَمو بن مليل البُرْغُواطي على مدينة **صفاقس**، وملكها سنة 451 هـ / 1059 م [العبر 11: 356]
- خالفت **سوسَة** وصار أهلُها إلى الشّورى في أمرهم. [العبر 11: 356]
- صارت **تونس** إلى الناصر بن عَلَنّاس بن حمّاد الصِّنهاجي صاحب القَلْعة، وولّى عليهم عبدَ الحقّ بن خُراسان، فاستبدّ بها، واستقرّت في مُلكه ومُلك بَنيه، وصالح العربَ أهلَ الضّاحية على إتاوة معلومة لكفّ عاديتهم. [العبر 11: 356]
- غلَب الأخضرُ بن رياح على مَدينة **باجة** [العبر 11: 358]
- تملّك **القيروانَ** يَبْقَى بن عليّ أميرُ زُغْبة، ثم بيعت إلى حمّو بن مليل البُرْغُواطي بصفاقس [العبر 11: 357]
- ثار ابن مَخفوظ **بإقليبيّة** واستقلّ بها [العبر 11: 358]
- امتنعَ **جبل وسْلات**، فجرّد إليه عليّ بن يحيى عسكرًا مع ميمون بن زياد الصّخري من أُمراء العربَ فافتتحوه. [العبر 11: 359]

---

(1) يذكر المراكشي أنّ عبد الله بن عبد المؤمن بن علي هجم على تونس، وكان يملكها في ذلك الوقت لوجار بن لوجار المعروف بابن الدوقة الرومي صاحب صقلية، وكان عامله عليها رجل من المسلمين اسمه عبد الله يعرف بابن خراسان، لم يزلْ عاملا عليها حتّى أخرجه الموحدون. (المعجب 228).

• كان عبد الله بن محمد بن الرَّنْد، من جِزْية من بني صَدْغِيان، ذكر ابن نخيل أنّه من بني يَزْمَرْتن من مَغْراوة، وكان مسكنهم بالجوسين من نَفْزاوة، فضبط **قفصة** وقطعَ عنها عادِية الفَساد، وصالَح العرب على الإتاوة فصلحت السّابلة واسْتقامت الحالُ، ثم استبدّ بأمره وخلع الامْتثال من عُنُقه سنة 545 هـ / 1150م، واستمرّ على ذلك. وَبايعَتْه توزَر ونَفْطة وتَقْيوس والحامَّة ونَفْزاوة وسائرُ أعمال قسطيليّة فاستَفْحل أمرُه وعظم سلطانه. [العبر 11: 369]

• استقلَّ عبّادُ بن نَصْر الله الكَلاعي بقلعة **شقبنّاريّة**، وصار إليه جندٌ من أهل الدّعارةِ وأَوْباشِ القبائل. وساعدَ صاحبَ الأُربس على مقاومة إغارة العرب، وَلِيَ ابنُه من بعده فجَرَى على سَنَنِه. [العبر 11: 382]

• ثارَ الوَرْدُ اللّخْمي، على صِنهاجة بعد تقْويض المعزّ من القيروان ومعه جماعة من الدُّعّار. استقرّ في **قلعة قريشة** من جبل شُعيب بجهة **بنزرت**، وكان يفْرض على أهل القُرى الإتاوات بسبب ذلك. وكان ببنْزَرت فرقتان من لَخْم، قومُ الوَرْد الذين بَعثوا إليه أن يقوم بأمرهم، فوصل إلى بلدهم فاجتمعوا عليه وادْخلوه حصنَ **بنزرت** وقدّموه على أنفسهم، فحاطَهم من العَرَب ودافعَ عن نواحيهم. [العبر 11: 378]

• عندما اضْطربت إفريقية بدُخول العرب إليها، كان **بطُبُرْبَة** مدافعُ بن عَلاّلِ القَيْسيّ وهو شيخٌ من شيوخها، فامْتنَع بها وحَصَّن قَلْعتها واستبدَّ بها في جُملةٍ من ولَده وبني عَمّه وجماعته، إلى أن ثار عليه علي بن يَبْزون اللّخمي في **البحرين** على واد بَجَرْدة بإزاء الريّاحِين[1]، وطالَت بينَهما الفِتْنة والحرب. [العبر 11: 381].

---

(1) كان لابن خلدون ضيعة في هذه الضاحية يباشر فيها زراعته، وقد وردت في التعريف بابن خلدون 252 بهذه الصيغة (ص 252)، ولعل التسمية مصحفة عن "الرياحيّين" نسبة لمقتسمي أرض إفريقية الذين منهم بنو رياح ابن هلال بن عامر (كتاب العبر 11: 74).

• كان فِهْرون بن غَنُّوش بمنزل دَحْمون قد بنى حصْنَه وشيّده وجمع إليه جَيْشًا من أوباش القبائل، وذلك لمّا أخرجه أهل تونس بعد أن ولاّه العامّة عليهم، ثم صَرفوه عن ولايتهم لسوء سيرته، فخرج من البلَد ونزل دَحمونَ وبنى حصنًا لنفسه مع الحنايا، وردّد الغارة على تونس وعاثَ في جِهاتِها، فرغبوا من محرز بن زياد أن يُظاهِرهم علَيه ففعل، وبلَغ خبرُ ابن علاّلٍ صاحبِ طبربة فوصلَ ابنُ علالٍ يدَه بصِهْرِ منه، ونقله إلى بعض الحُصون ببلده وهي قلعة غنّوش، وتظافروا على الإفساد، وخَلَفهما بَنوهما من بَعْدهما. [ العبر 11: 381].

• كان حَمّاد بن خَليفة اللّخمي بمنزل رَقْطون من إقليم زَغْوان على مثل حال ابن علاّل وابن غَنّوش وابن يَبْرون، وخلَفه وُلْدُه في مثل ذلك. [العبر 11: 382].

• كان محرزُ بن زياد الفادعي صاحبُ المعلّقة كبيرَ العرب من رياح، وكان مؤازرًا من دولة الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعزّ على بَني خُراسان المنفردين بحُكم تونس (11: 361) وقد استولى في أيامه على بلاد الساحل كلِّها ووضع عليهم الجِزَى.

وعندما استَوْلى جُرجي بن ميخائيل قائدُ أسطول رُجّار على المهدية سنة 543 هـ/ 1148 م، لحق الحسنُ بن عليّ بالعرَب من رِياح وكبيرهم محرزُ بن زياد الفادعي صاحب المعلّقة. وانتهت شكوى الرّعايا بإفريقية ممّا نزل بهم من العرب إلى عبد المؤمن ابن عليّ فبعث ابنه من بجاية إلى إفريقيّة في عساكر الموحدين، فنازل تونس سنة 552 هـ / 1157 م وامتنعت عليه. ودخلَ معهم محرزُ بن زياد وقومُه من العرب، واجتمع جندهم وبرزوا للموحّدين فأَوْقعوا بهم، وأفرجوا عن تونس، وهلك أميرُها عبدُ الله بن خراسان خلالَ ذلك، ووليَ مكانَه عليّ بن أحمد بن عبد العزيز خمسةَ أشهر ..... وأفرج محرزُ ابن زياد عن المعلّقة واجتمع إليه قومُه، وتذامَرت العرب على مُدافعة الموحّدين واجتمعوا بالقَيْروان، وبلغ الخبرُ إلى عبد المؤمن وهو منصرف من غَزاته إلى المَغْرب،

فبعث إليهم العساكرَ وأدركوهم بالقَيْروان فأوقعوا بهم واستَلْحموهم قتلاً وسَبْيًا. وتُقُبِّض على مُحْرز بن زياد أميرِهم فقُتِل وصُلب شِلْوُه بالقيروان [العبر 11 : 367 – 368]

• يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن يَملول مقدَّم تَوْزَر وصاحبُها وزعيم الرؤساء من حوله، لاتّساع بلده وتمدّن مصره، واحتلاله منها بأمّ القرى من قطره. ونَسبُ بني يملول بزعمهم في طوالع العرب من تنوخ.

عِندما انشغلت الدّولة بالثّغور الغربية وأُمرائها تقلّص ظلّ الدولة عن هؤلاء وهَملت الرّعايا بالبلاد الجريديّة وصار أمرُها إلى الشّورى التي كانت علَيها قبل، فلما جاء الموحّدون محَوْا آثار المشيخة والاستبداد، فنشأ أحمد هذا الجدّ متراميًا إلى الرئاسة بهذا القطر، يدافع عنها بالراح ويزاحم بالمناكب من وجوه البلد وأشراف الوطن، فسُعِيَ به ونُكِبَ وامْتُحِن.

فلما أدرك أحمد هذه الشورى ثلج صدره وأنجح سعيُه واستبدّ بمشيخة تَوْزر، وهلك في أعوام ثمان عَشرة، فخلفه من بعد في سبيله تلك ولدُه يحيى طموحًا إلى الرتبة منافسًا في الاستقلال. وزاحم بيوتات المصر بمناكب استوْصلَها سائرَ عُمْره من الدعّار والأوغاد [العبر 12: 432 – 434]

• تُعدُّ قابِس من ثُغور إفريقية ومنتظمة في عَمالتها. وكان ولاتُها من القيروان. ولما دخل الهلاليّون إفريقية واضطرَبتْ أمورُها واقتَسَمت الطّوائفُ دولةَ صِنهاجة، انتزى بقابس المعزّ الصّنهاجي، ثمّ مؤنس الصُّنبري من مِرْداس رياحٍ، ثمّ أخوه قاضي إبراهيم، فثار عليه أهل قابِس وقتلوه.

كانت قابِس وضواحيها في قِسْمة زُغْبة من عرب هلال، ثمّ غلبتهم رياحٌ عليها، ثم نزلَ عليها مكنَ بن كامل بن جامع من بني دُهْمان إخْوة فادِع، وهما معًا من بني عليّ

إحدى بطون رياح، فاسْتحدث بها مكن مُلْكًا لقوْمه بَني جامع وأوْرثه بنيه إلى اسْتيلاء الموحّدين على إفريقية، وجاءها عبد المؤمن بعساكره، [ العبر 12 / 460] [369 ب]، ثم تغلّب عليها بنو غانِية وقراقُش، ثمّ استعادَها الموحّدون، ثم حكَمها في العهد الحَفْصي بنو مكّي بن فَرّاج بن زيادة الله من لوَاتة الدين آزروا الدّولة ونازلوا الأسرةَ الثانية التي كانت من مَشيخة البلَد وهم من بَني مسلّم الذين تَعاونوا مع بَني غانية.

ثم كان بنو مكّي هؤلاء بأميرهم عبد الملك بن عثمان من الذين اسْتَبقوا إلى طاعة - من سَمَّوْهُ بالدعيّ - ابن أبي عُمارة ومؤازَرته، وتقلّد عبدُ الملِك هذا بالحَضْرة خُطّةَ الجِباية مُسْتقلاً فيها بالولاية والعَزْل والفَرْض والتّقدير والحُسْبان، بعد أن أجزلَ عطاءه وأسْنَى رزقَه وجرايته. [العبر 12 : 463]

❁ ❁ ❁

لقد كان مجتمع إفريقية قبل هذه الكارثة في سبيله إلى الانصهار، وصياغة نمط من الحياة المقرّبة والرابطة بين الناس بما تحقّق له من الاستقرار، وانتشار اللّسان العربي الذي أعطى ثقافةً مُتجانسة جَديدةً عبّر عنها وبها أدباءُ القرنِ الخامس الهجري قبل أن تَنْهار تلك الحياة، وأبرز هذا التمزّق الخواءَ والفراغ الذّي يلفّ تلك المملكة الصّنهاجيّة المنهارة، من طرابلس إلى بجاية وقُسنطينة وأرض مصاب والعاصمةِ القيْروان وتونس. وقد أغرى هذا الفراغُ الموحدين ليُمَدّدوا حدودهم من مراكش إلى الأندلس وإفريقيّة، فيتعهدونها بالحملات العسكرية لتهدئة الاضطرابات وكسر شوكة العرب ثم يعودون بعد فتح المدن والتّولية عليها، وزاحمتهم قُوّة جديدةٌ مُندفعة تبحث لنفسها عن

قاعدة لتثبيت ذاتِها بعد تشتّتِها في الأندلس، هي قوّة بني غانية[1] الذين أنهى الموحّدون حُكْمُهم لجزيرة مَيُورقة وفقدوا ولايتهم على العواصم المهمة في الأندلس، فرأوا أن يَرِثوا مجالَ مملكة بني زيري ويثَبّتو سُلْطانَهم عليها، وآزرَهم في ذلك بعضُ تلك الإمارات المُنتزية وما تجمّع له من عساكر تغلّب بهم على المهديّة وعلى قراقش الغُزّي صاحبِ عمل طرابلس، وتغلب على بلاد الجريد، ثم نازل تونس سنة 599 هـ / 1203 م وافتتحها عنوة وتقبّض على السيّد أبي زيْد وطالب أهل تونس النفقة التي أنفق. ثم دخل في دعوته أهل بونة وبنزرت وشقبنّارية والأربص والقيروان وتبسّة وصفاقس وقابِس وطرابلس، وانتظمت له أعمال إفريقية، وفرّق العمال، وخطبَ للخليفة العبّاسي ثم ولّى على تونس أخاه غازي ونهض إلى جبال طرابلس فأغرمَهم ورجع إلى تونس[2].

وهكذا أصبحت إفريقية القَصِيَّة الممزّقة مجالَ السّبق بين تَيْنك القُوّتين، إضافةً لمحاولات بني حَمّاد المتقطّعة والضّعيفة، والقُوى النّصرانية التي لا تفْتر عن الإغارة والمفاجأة والانقضاض على الجزر والثغور البحرية: جربة والمهديّة، وطرابلس[3] ثغْر إفريقية الشرقي. وكان الموحدون، رغم أعبائهم العسكريّة في الأندلس، وما بات يهدّد حدودَهم العتيقة من بني مرين وبني عبد الواد، أكثرَ استجابةً لصريخ إفريقية، واعتبارها ردْءًا لتُخومها الشرقية وتأمينًا لها.

❁ ❁ ❁

(1) عندما أنهى المرابطون حكم بني هود الإدريسيين وألجأوهم إلى مُغادرة مراكز حكمهم في مَيُورقة ومَنُورقة، لجأ آخر رجالهم مستبقًا إلى إفريقية التي قدّر أنها تمثل فراغًا سياسيًا لانهيار دولتها القديمة، وبُعدها عن الدوَل الكبرى التي تتشكّل وتتضخّم في المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط، ومعزولةً بالصحراء المديدة عن مَطامع مماليك مصر. ولاحظ وجود إماراتٍ بدوية مفككة عطلت نموّ المنطقة وأشاعت الفوضى في الرّقعة الواسعة القائمة بين طرابلس وقُسَنطينة، فسابَق لبَسْط نفوذه عليها مُتخذًا من تونس قاعدةً لحكمة.

(2) العبر 12: 52

(3) كانت طرابلس ثغرا منذ الدولة القديمة، وكان لهم عناية بحمايتها لما كان وضعها في البسيط، وكانت ضواحيها قفراء من القبائل، فكان النصارى أهل صقليّة كثيرًا ما يحدثون أنفسهم بملكها. (العبر 12: 355).

عندما اعتزم عبد المؤمن بن عليّ على تدخل الدولة الموحّدية والرّحلة إلى إفريقية حركته الأولى، لم يقدِّمْ شيئًا على استشارة أبي حَفص عمر بن يحيى[1] "لمنزلته في صحبة المهدي بن تومرت، ولأنّه أولِ من بايعه من قومه، وأحدُ العَشرة السّابقين إلى دعوته، وكان يسمّى بَيْن الموحّدين بالشَّيْخ، كما كان المهدي يسمّى بالإمام، وعبد المؤمن بالخليفة، سماتٌ لهؤلاء الثلاثة من بين أهل الدّعوة تدلّ على اشتراكهم في الجلالة"[2].

وفي سنة 554 هـ / 1159 م عندما اعتزم القيام بحركته الثانية لفتح المهديّة، استخلف على المغرب الشيخ أبا حفص، وكان من أولياء الدّولة الأثيرين، وبعد وفاته سنة[3] 571 هـ / 1176 م كان أبناؤه من بعده يتداولون خُطّة الإمارة بالأندلس والمغرب وإفريقية مع بني عبد المؤمن. وعندما نهض أبو عبد الله محمد الناصر بن يعقوب المنصور إلى إفريقية سنة 601هـ / 1205 م ليُواجه ابن غانية إثرَ تغلّبه على تونس، استَرْجعها، ثم نازلَ المهدية، فجمع عليه ابنُ غانية الأعْراب ونزلَ قابسَ، فوجّه الخليفة النّاصر أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص في جيش من الموحّدين، فأوقع بهم في تاجرًا من نواحي قابس يوم 12 ربيع الأول سنة[4] 602 هـ / 1206 م. ووجّه الخليفة الناصرُ أخاه أبا إسحاق لملاحقة المتمرّدين، فلاحق بني دَمّر ومَطماطة ونَفوسة وشارفَ أرضَ سَرْت وبَرْقة، وفرّ ابنُ غانية إلى صحرائها. وعَبّر ابن خلدون بأنّ النّاصر بهذا الذي فعله من الملاحم "قد أفاءَ على إفريقية ظلَّ الأَمْن وضرب عليهم سُرادِقَ الحِماية"[5].

(1) العبر 12 : 108 ، البيذق: أخبار المهدي 71

(2) عندما مات المهدي عهد بأمره إلى عبد المؤمن وكان بعيدًا عن عصبيّة المصامدة، حتى قدّمه الشيخ أبو حفص لقومه، وبذلك أعلنت البيعة، وحملَ المصامدةَ قومَه على طاعته. وكان الحلّ والعقد في المهات إليه سائر أيام عبد المؤمن وابنه يوسف.

(3) التبس الأمر على ابن عذاري في البيان المغرب (قسم الموحدين 140) بأن سنة 571 ه هي تاريخ وفاة السيد أبي حفص بن الخليفة عبد المؤمن في ربيع الأول. وليس الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى

(4) رحلة التجاني 358

(5) العبر 12: 110

لقد مَكّنت هذه الإقامة الممتدّة للخليفة الموحّدي أن يُدرك أنّ ابن غانية يتابع هدفه بإصْرار وسوف يعود بعودة الخليفة إلى مراكش، وأنّ الشِقّةَ بعيدةٌ لا تسمح بالنّجدة العاجلة، وأنّه لابدّ من رجل "يسّدّ مسَدّ الخلافة ويُقيمُ بها سوق المُلْك"[1] فاتّجه نظره إلى أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص، " ولم يكن ليَغْدُوَهُ لما كان عليه هو وأبوه في دَوْلَتِهم من الجلالة"[2]. وفوجئَ بذلك أبو محمد واعتذر للخليفة، فأرسل إليه ابنَه يوسف، فأكبر سَعْيه ولم يرْدُدْه، واشترط أن تكون مُهمّاته لثلاث سنين، وألاّ يُتعقّب عليه في تَوْلية ولا عَزل، فقُبِلت شروطه ونُودي في الناس بولايته، وودّع الخليفةَ الناصرَ إلى باجة، ثمّ عاد ليرتب شؤون الدولة.

ورجع ابنُ غانية إلى نواحي طرابلس يؤازره عرب سُلَيم وهلال وعاوَدوا عَيْثَهم، فخرج إليه أبو محمد في عساكر الموحّدين، وانضمّ إليه من قبائل الأعراب مِرْداس وعَلاّق من بني عوف بن سُلَيم، فهزموهم واكتَسحوا أموالَهم، وأَفْلتَ ابنُ غانية جريحًا إلى أقصى مَقرّه، وعاد أبو محمد ظافرًا، فخاطب الناصرَ بالفَتْح واسْتنجازِ وعده في التّحوّل عن الولاية، فأجابه بالشكر والاعتذار والنظر القريب في الأمر، وأرسل إليه المال والخيل للإنفاق والعطاء.

وبقي الشيخُ أبو محمد بن الشيخ أبي حَفْص يُدَبّر ويُؤسّس ويَسوسُ شؤونَ إفريقية حتى وفاته سنة 618 هـ / 1221 م. فأقرت مشيخةُ الشّورى الموحّدية أن يَقوم لمجلس الإمارة بعدَه ابنه عبد الرحمن[3] بن أبي محمد، فأقعدوه، وشمّر عزائِمَه وسَكّنَ الثّائرة، وخرجَ لتمهيد النّواحي وحِماية الجَوانب، فَفُوجئ بأن المركزية في مراكش قَدّمت

(1) العبر 12: 114

(2) المصدر نفسه 12: 111

(3) افترق الموحدون في الشورى فريقين: بين عبد الرحمن هذا وابن عمّه إبراهيم بن إسماعيل بن الشيخ أبي حفص.

لولاية إفريقية أبا العُلَى إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن أخا الخليفة يعقوب، جبرًا لحاله بعد عَوْدته إلى الحضرة معزولاً عن إشبيليّة. وقدّم لنيابته خلالَ ما يصلُ إبراهيمَ بن إسماعيل ابن الشيخ أبي حفص، فأساء ابنُ العمّ هذا الموالاة لقرابته، واختصّ أبناءَ الشيخ أبي محمد بقَبيحه، ظَنَّ امتداد الدّولة له، كما يقول ابن خلدون[1]. وفَوْرَ وُصول الأمير الطّارئ تقبّض على كاتب الدّولة المؤرّخ محمد بن نخيل وعلى أخويْه، واستصفى أموالَهم واحْتازَ عَقارهم وضَياعَهم، ثم قَتلَ بعد شهر محمدًا وأخاه يحيى، ونقلَ ثالثَهما أبا بكر إلى مطبق المهدية. كلّ ذلك بتوصيةٍ من المستنصر بن الناصر الذّي بلغه عنه فلتاتٍ من القَوْل!

وكان ابن غانية جادًّا مندفعًا في تحقيق أهدافه والعمل الدائب لها، فأعاد تماسكه وترتيب خططه، وفوجئ به الأمير أبو العلى، فوجّه عسكرَه إلى وَدّان التي واعدَهم فيها مُنصرَفه من غدامس من بلاد الصّحراء لتَمهيدها وجبايتها. فأرجفَ بهم العرب بمُدَاخلة ابن غانية ومالٍ بَذله في ذلك، فانفضّ العسكر ورجعوا إلى قابس.

وطرق المرضُ السيد أبا العُلَى فرجَع إلى تونس، وظلّت أخبارُ ابن غانية تترادف عليه تحمل نبأ نُهوضه إلى الزاب، وطاعةَ بِسكرة له، فأرسلَ له جيشه، فدخل الرّمْل وأعْجزهم.

وتمادَى الكرّ والفرّ – وقد دَرِبَ ابن غانية على أساليب قتال الصحراء وعلى سُرعة الحركة والمفاجأة وتأمين الصلة بالقبائل والانقضاض بهم كلما أتيح له ذلك. ومات الوالي أبو العلَى إدريس بن يوسف سنة 620 هـ / 1223 م بتونس، وعاد ابنه أبو زيد من مُواقَفَة ابن غانية وأقْصر عن مُتابعته، وخاطب المستَنْصرَ بهلك أبيه وواقعةِ الملثّمين الأخيرة التي حقّق فيها الموحدون غلبةً تُذكر.

---

(1) العبر 12: 119

وفي تزامن مع هذا كان المستنصر بن الناصر في مراكش قد عزل أبا زيد وأدال منه بأبي يحيى التينمللي صاحب مَيُورقة، ولم يصل هذا الخبر بالعَزل، فقد مات المستنصر إثر ذلك ووَلِيَ عبدُ الواحد (المخلوع) بن يوسف بن عبد المؤمن، فنقضَ تلك العقدة وكتب إلى أبي زيد بالإبقاء على عمله، فأرسل عنانَه في ولايته، وبسط يده في الناس بمكروهه، وتنكّرت له الوجوه وانحرف عنه الناس، لما كانوا عليه من الصّاغية لأبي محمد بن حفص وولَدِه[1].

۞ ۞ ۞

إن الهجرة الهلاليّة إلى إفريقية وسائر الغرب، وما انجرّ عنها من إزباك للمجتمع الآمن وتدميرٍ لاستِقْراره، وتقْويضٍ لقواعد العمران وتقاليده، وإسقاط للدولة، لم يهدأ فَوَرانُها وفُتور زُحُوفها المتتالية والمتدافعة إلاّ بعد زَمن ممتدّ، بفضل جَذْب طلائعها الفاعِلة إلى أقصى المَغْرب حيث الدّولة الموحدية بعَصبيتها القويّة، تُروِّضُهم وتتَّخِذُهم مادّة للحَرْب، وأنفقَتْهم في مُواجهة مَلاحم الأندلس، ومكنّت لهم من التّوزُّع والاسْتقرار هُناك وفي رحاب المغربَيْن الأقصى والأوسط، وبذلك خَفتَتْ قُوّة الكثافة الدّيموغرافيّة الصّادمة التي انصبّت على إفريقية وأثّرت في أوضاعها.

وقد قَدّمْنا صورةَ التشظّي السّياسي بعد سُقوط الدّولة وحُكم المُدُن والقُرى لنفْسها بواسطة الشّورَى أو بقيام مُسْتبدّ فيها[2]. وبعدها بدأت الأطماع الخارجية تتحرّك وتحوط تلك المجالاتِ لاجْتِذابها أو اقْتحامها عُنوةً. ولا شكّ أن بعض حُكّام تلك المُدن حاولَ أن يَرِثَ دَوْلة بني زيري وعاقته العوائق الذاتية عن مُبتغاه.

---

(1) العبر 12: 120 - 1

(2) المصدر نفسه 11: 254

وأشدُّ المعارك القائمة فوق ذلك المجال للسيطرة عليه واتخاذه امتدادًا لتُخوم قائمة، أو قاعدةً لدولة جديدة، هي تلك الصّدامات بين الموحّدين وبني غانية كما ألْمَحْنا، فقد كان الموحّدون يتحمّلونَ مع أعبائهم الثّقيلة مَشقّة انتقال جيوشهم تلك المسافات الشاسعة بين المغربين، واجتياز ما يَعْتَرِضهم من مُعوّقات، بينما يَتحرّك ابنُ غانية في مَواقع مُتقاربة نسبيّا بين الزّاب وطَرابلس وما بينهما، كأنّما يدلّل بذلك على الرقعة المطلوبة لدَوْلته المؤمَّلَة. وقد حدّدت هذه المعارك هُويّة الانتماءات القبليّة داخل المجتمعات في إفريقيّة، فعرفَ كلُّ جانب مراكز الولاء له. ومن المؤكّد أنّ هذه المعارك المستَنْزِفة التي تنتقل لها الجيوش الكبيرة عَرّفت الموحّدين أنّ عليهم أن يخصّوا إفريقية بولايةٍ لدولتهم تحتفظ بعَسْكر مستعدّ لما يَطْرأ، وأمير يتّخذ القرارَ اللاّزم، ويمهّد القبائل ويَجْبي المغارمَ ويَبْسط النّفوذ، وكان كلّ هذا من عَناصر التّمهيد التي مكّنت لبني أبي حفص أن يُثبّتوا أقدامَهم في الولاية بفضل منزلة أبي محمد عبد الواحد بن الشّيخ أبي حَفْص في الدّعوة وما أَقَامَه في إفريقية من صاغِية وروابطَ أيّام ولايته عليها مُدّة خمسة عشر عامًا (من 603 – 618 هـ). وعندما وصلَ الحكمُ إلى أبي زكرياء يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد وهو والٍ على قابِس سنة 625 هـ / 1228م تَولّى بحَزْمه وصَرامته تثبيتَ جهد ذويه في إفريقية الموحديّة.

وجاءت الأَخْبار من المغرب بأنّ المأمونَ بن المنصور (أبو العلاء إدريس) "قتلَ الموحّدين بمرّاكُش وخصوصًا هنتاتة وتينملّلْ، وأنّه أشاعَ النّكير على المهدي في العِصْمَة، وفي وضع العقائد، والنّداء للصّلوات باللّسان البربري، وإحداث النّداء للصّبح، وتَربيع شكل الدّرهم، وغير ذلك من سُنَنِه، وأنّه غَيّر رسومَ الدّعوة، وبدّلَ أصولَ الدولة، وأسقطَ اسم الإمام من الخطبة والسكّة، وأعلن بلَعْنه"[1].

(1) العبر 12: 123 - 4

ووافق ذلك وصولُ بعض العمّال إلى تونس ليتسلّموا ولاَيتَها. فصرفَهم أبو زكريّاء وأعلَن بخَلع المأمون هذا سنة 626 هـ / 1229 م، وحوّل الدعوة إلى يحيى بن أخيه الناصر المنتزي عليه بجبال هَسْكورة، ثم أغفله لعجزه وعدم استقلاله، واقتصر على ذكر الإمام المهدي. وتلقب بالأمير، ثم جدد البيعة لنفسه سنة 634 هـ / 1237 م وأثْبت ذكرَه في الخُطبة بعد ذكر الإمام.

وبذلك قامت دولة جديدة مستقلّة جدّدت معالمَ الحضارة وأعادَت بعد جهود بناء استقرار مجتمع إفريقية الّذي افتقد الدّولة الجامِعة وسلطانَها ووِحْدَة أَرْضها قرابة القَرْنين.

إنّ هذه المقدمة المقتطفة من بَيان وتقديم أبي زَيْدٍ، هي التّمهيد الضّمني والواضح الذي مَهَّد به لقيام الدولة الحفصية خاصّة، والتي قدّمَها في هذا الجزء المكثّف بالإفادات والإشارات، والتّي تصنع إطار حياة مُجْتمعٍ ودَوْلةٍ وعُمران.

❁ ❁ ❁

## مَلاحِظ:

لقد ضغط ابنُ خلدون الأخبار الكثيفة في هذا الجزء عن الدولة الحفصية: نشأتها في كنف الموحدين وبرعايتهم إلى أن استقل بها أبو زكرياء، وكيف أصبحت من أهم الدول الإسلامية في أيام المستنصر، ولعله التزم أن يوجز مضطرًا ليتحقّق التّوازن الكَميّ بين موادّ الكتاب الخاصّة بكل دولة، بعد أن استأثرت دولة بني حفصٍ بأكثر صحائف الجزء 12 . إن هذا الجزء من الكتاب من أغزر ما بقي لنا عن الدولة الحفصيّة إفادة وإثارةً وإنارة، مع وضوح رؤيته في المداخل التي يقدم بها عرض موضوعات فصوله ووضعها في نصابها، وتَعليل أسباب الحركات المنتقضة. وتبرز فيه براعةُ ابن خلدون وقدرتُه على صناعة التّرجمة لمترجميه من رجال السّياسة والعاملين في الإدارة بدءًا بأصولهم

ونشأتهم وأسباب صُعودهم والإحاطة بحياتهم، والتعبير عن مطامحهم وما حقّقوه، وعن تطلعاتهم المختلّة التي تنتهي بهم إلى المحنة[1].

وفي هذا الجزء الثريّ بالإفادات التاريخية عن إفريقية خاصة تبرز بعض الجوانب الأصلية التي ستواجه الباحث بانفرادها متمثلا في تلك التغطية الدقيقة للجنوب التونسي وسكّانه ونَمط الحكم فيه ودفاعه عن حوزته، وحميّته نحو جيرانه كما يبدو ذلك في مَوْقف قابس لفداء طرابلس[2] عندما خدعها التّجار النصارى واستولوا عليها.

ويتميز في هذا السياق ما كتبه عن توزر[3] ونفطة والحامة وقابس[4] ورؤسائها وما قدّمه من الإفادات عنها.

ويبرز أيضا في هذا الجزء جانب التّلاحم مع الشّمال المسيحي في صُوَر لم ترد عند غيره. وقد عقد المؤلف فصلاً مهمًّا بمناسبة حملة لويس التاسع الصّليبية، تنبَّهَ فيه إلى أنّ الصِّدام بين الشّمال والجنوب يكمنُ في الأَعْراق التي تحرّكها عصبية الأذيان المتدافعة، "وأن "إفرانْسَة" بالعُدْوة الشمالية من البحر الرومي الغربي، كانت قد أخذت بدين النّصرانية مع الرّوم ومنهم لَقَنوا دينَها، وأجازوا البحر إلى إفريقيّة مع الرّوم فملكوها ونزلوا أمصارَها العظيمَة مثل سبيطلة وجلولاء وقرطاجَنّة وغلبوا على من كانَ بها من البَرْبر حتّى اتّبعوهم في دينهم وأعْطوهم طاعةَ الانقياد.

ثم جاء الإسْلام وانتزع العربُ من أيْديهم سائرَ أمصار إفريقية والعُدْوةَ الشّرقية والجزرَ البحريّة مثل قريطش ومالطة وصقلّية ومَيُورْقَة ورجّعوهم إلى عُدوتهم الشّمالية،

---

(1) انظر في كتاب العبر 12: 199 – مثلاً عن ممالك ابن الحسين وأبي سعيد العود الرطب، والشواهد كثيرة منشورة في هذا الجزء .

(2) الفصل 158، العبر 12: 355

(3) الفصل 194، العبر 12: 444

(4) الفصل 195، العبر 12: 460

ثم أجازوا خليجَ طَنْجة وغَلَبوا القُوطَ والجلالِقةَ والبشكنس وملكوا جزيرةَ الأنْدلس وخرجوا من ثَنايَاها ودُروبها إلى بَسائط هؤلاء الفِرَنْجة فدَوَّخوها وعاثوا فيها، ولم تَزلْ الطَّوائفُ تتردّدُ إليها صدرًا من دَولة بني أميّة بالأندلس، وكان وُلاة إفريقيّة من الأغالبة ومَن قبلهم أيضًا يردّدون عساكرَ المسلمين وأساطيلَهم من العُدْوة حتّى غلَبوهم على الجزُر البَحْرية ونازَلوهم في بَسائط عَوْدتهم.

فلم تزلْ في نفوسهم من ذلك ضَغائنُ، وبدأت يُخالجها الطمعُ في ارتجاع ما غُلِبوا عليه منها، وكان الرّوم أقْرَبَ إلى سواحل الشّام وأطمعَ فيها. فلمّا وَهَنَ أمْر الرّوم بالقُسطنْطينيّة ورُومة، واستفحلَ مُلْك الفِرنْجة هؤلاء، وكان ذلك على تَفِئَةِ سُقوط الخلافة بالمَشْرق، فسَمَوْا حينئذٍ إلى التّغلّب على مَعاقل الشّام وثُغوره، فزحفوا إليه وملكوا الكثيرَ منها، واستَوْلوا على المسجد الأقْصى وبَنَوْا فيه الكنيسةَ العظمى بَدلَ المسجدِ ونازَلوا مصرَ والقاهِرَة مرارًا، حتى جاء صلاح الدّين بن أيوب فأبلَى في جهادهم وارتجع ما ملكوه.

ثمّ عاودوا الكرّة ونازلوا مصر في المائة السابعة على عهد الملك الصالح أيوب وأيام الأمير أبي زكرياء بتونس[1]".

وقد جرَّد المؤلف بتتابع في هذا الفصل كلَّ عمليات الفعل وردّ الفعل، وأظهر دور "البابَة خليفة المسيح" في المؤازرة ودعوته لملوك النصرانية بالمظاهرة والدّعم والاسْتِنْفار وإطلاق اليد في أموال الكنائس لتيسير تلك المهمات.

---

(1) انظر الفصل 70 ص 190 "الخبر عن طاغية الإفرنجة ومنازلته تونس في أهل نصرانيته". والفصل 189 ص 418 : "منازلة نصارى الفرنج للمهديّة" والفصل 56 ص 152.

وبلغت العداوة والتشفيّ حدًّا مُتجاوزًا ظهر في حالات محدّدة، كما حَدث عند استيلاء ملك برشلونة على جزيرة جِرْبة وما قام به من السّبْي والنّهب والأسر والقتل وإلقاء الرُضّع في الجبوب، يقول ابن خلدون عن هذه الوقعة: إنّها أشجى الوقائع للمسلمين[1].

۞ ۞ ۞

وتنشر في الكتاب جُمْلَةٌ من التعريفات الجغرافية والحدود الإدارية المصطلح عليها في عصر المؤلف، ومن يعمر الأرض من القبائل، واختصاصهم وصناعاتهم وزراعتهم وعقائدهم. وأسماء بعض القبائل التي سميت المناطق باسمها ثم تحولت أو هاجرت أو انقرضت وبقي اسمها على المكان، مثل غمّرت من زناتة.

وتبرز معارف ابن خلدون في علم الأنساب الذي أولع به وأجاد فيه متابعًا ومحقّقا ومشجّرًا وعندما يتدخل لتصحيح بعض الأنساب المدَّعاة اطمئنانًا إلى المصدر الرّاجح عنده، فقد تدخّل في تَصْحيح نَسب بَني مُزني الذين يَزعُمون أنهم في مازن من فَزارة، والصّحيح عنده أنّهم في لَطيف من الأَثبج ثمّ في بني حُرَيْ من لَطيف، ويحتج بأنّه هكذا تلقّاه من بَعْض نسابة الهلاليين[2].

وكثيرًا ما يستند إلى الموقع الجغْرافي وظروف سيادة القبيلة لتأكيد نَظرِه، فهو يستشهد في موضوع بني مُزني بالـمَوْطِن، لأنّ أهلَ الزّاب كلّهم من أفاريق الأَثبَج، عَجزوا عن الظّعْن، ونَزلوا قُراهُ على من كان بها قَبْلَهم من زَناتة وطَوالع الفتح. وإنّما يَنْزعون إلى فَزارة لما صار إليه أهلُ الأَثبج بالزّاب من الـمَغْرم والوَضائع، فيَسْتَنْكِفُون ذلك وينتسبون إلى غرائب الأنساب[3].

---

(1) العبر 12: 365

(2) المصدر نفسه 12: 429

(3) المصدر نفسه 12: 429

والرحلةُ المتأنّيّةُ في ثنايا أخبار هذا الجزء تفتح آفاقا واسعة للتأمل والبحث وقراءة ما يلمّح إليه المؤلف بين سطوره. وقد استوقفني في قراءتي موقفٌ قدّمه كما قدّمه غيره من المؤرخين، هو الحديث عن الدعيّ ابن عمارة الذّي كاد يزلزل حكم الدولة الحفصية القائم وقتها. وقد فاجأني في الأمر ما عرفته. ذلك أنّي اطلعت قديمًا على مصدر مهمّ صدر وقتها، هو كتاب ابن عبد الظّاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة مولانا الملك المنصور، فأقبَلْت عليه وأنا مقيم وَقْتها في دمشق، ومتابع لوثائق تاريخ دولة المماليك، فاستوقفني نَصٌّ يشير إلى علاقة السلطان قلاوون بإفريقية، وتدخله في أحداثها، وذلك في خبر مُزغِم بن صابِر الذّي التزم جَانبَ الفَضْل بن أبي زكرياء يحيى الواثق الذي سمّوه بالدعيّ، وكَتب على لسانه - بما لَهُ من منزلة واعتبارٍ قَبليّ - إلى الملك المنصور قلاوون يطلبُ مباركةَ حركته لاسترداد مُلكه تحت اللّواء الرّمزي الذي يَخُصّ به تلك الحركة التي سَتفتح إفريقيّة باسمه، فاستجاب السّلطان قلاوون وسَيّر له الخِلع الفاخرةَ والأقمشة وتعابِي الأمْتعة من كلّ ذي قيمة، وحَثّه على القيام، وألبسه كسوةَ التّشريف، ونَشِر صَنجق السّلطان قلاوون على رَأسه، وبه تحرّك نحو تونس التي افتتحها وحَكَمها وأظهر اسم سلطان مصر.

وقد بَحثتُ عن هذا الخبر عند مؤرّخي إفريقية بما فيهم كتاب العِبَر فلم أقف له على ذِكر[1]، ومحمد بن عبد الله بنُ عبد الظّاهر مؤرّخ ثِقةٌ، فقد كان وَقتها صاحبَ ديوان الإنشاء المؤتمَنَ، وأوّلَ من سُمّي بكاتب السرّ في الدّيار المصرية، فما هو سرّ هذا الصمت والتكتّم على الخبر الذي ذكره ابن عبد الظاهر واختفاء التّفاصيل عن حركة هذا الدعيّ لدى مؤرخينا والتزامهم جميعًا بموقف وخبرٍ متماثل.

---

(1) قدّمتُ هذا المصدر الجديد لزميلي الصديق الباحث الأثري عبد العزيز الدّولاتلي الذي كان يعدّ وقتها بحثه عن "مدينة تونس في العهد الحفصي" للحصول على درجة دكتوراه الحلقة الثالثة. فأفاد منه، ونشر عنه بحثا تحدث فيه عن: العلاقات بين السلطان قلاوون وإفريقية من خلال وثيقتين مصريّتين (680 هـ / 1281م – 689 هـ / 1290 م) في: Revue de l'occident musulman et de la méditerraneé. Le Semestre 1974 n 17 Aix en Provence

يظهر كما هو الشأن في كل عصر، أنّ مؤرخي إفريقية التزموا "بالبيان الرسمي" الذّي صدر عن الدولة في شأن هذا الدّعيّ، وأنّه خيّاط اسمه أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي، وصنعوا له ترجمة عن أصله ونشأته، وأنّه كان " قتّالاً سفّاكا للدّماء ظالمًا يُظهر قطع المنكر ويأتيه"[1]. إلى أن حلّت نهايتُه، وطُوِيَ معها البساط.

فلماذا سكت ابن خلدون خاصةً عن الإحاطة بجانب التدخّل المصري[2] الذّي إن فاته خبره في إفريقية، فقد كان له استدراكه وهو في القاهرة قريب من ديوان الإنشاء

---

(1) انظر الزركشي: تاريخ الدولتين 97

(2) ذكرُ فتوح تونس بشعار مولانا السلطان واسمِه الشّريف

لما عادَ مولانا السلطان من غَزاة التّتار المباركة، وجد رسُلاً في أبوابه قد حضروا من جهة الأمير مُرْغم بن صابر أمير طرابُلس الغرْب وبلادها، وإليه تجتمع ألوف الألوف من عُرْبانها، قد حضروا إلى أبواب مولانا السلطان ومعهم هدايا من خيل سوابق، ومعهم كتاب من الأمير مُرْغم يعرض على مولانا السّلطان فتوحَ بلاد الغرب، ويسأله إنْفاذ صَنجق شريف يفتح به البلاد. فأكرم مولانا السلطان رُسلَه، وأحسنَ نُزُلهم، وسَيّر إليه مولانا السّلطان الخلَع الفاخرة، والأقمشة، وتعابي الأمتعة من كلّ ذي قيمة. وأفهمه مولانا السلطان الأشتغالَ بجهاد التّتار، وحثّه على القيام، وأن عزائمَ مولانا السلطان واسمَه سيفتح به كلّ مستغلق. فتوجّهت رسلُه إليه بكتبِ مولانا السلطان ومُشافهاته. فاتّفق هو وثائر ثارَ بتلك الجهة يُعْرف بالفَضل ابن المخلوع من أولاد أبي زكرياء يحيى بن صاحب تونس، وجمع إليه الأميرُ مرغمُ العربانَ، وقصدوا تونس، وألبسه تشريفَ مولانا السّلطان المسيَّر إلى مُرْغم بن صابر، ونشر على رأسه صنجقَ مولانا السّلطان ، وأظهروا اسمَ مولانا السّلطان. فافتتحوا تونس وكان بها أبو إسحاق صاحبُها، فانحاز إلى بجاية عند وَلده أبي فارس، فجمعَ الأميرُ مرغم الحشودَ وسار إلى بجاية، فالتقاه أبو فارس في جَيْش كبير، فانهزم أبو فارس وقُتل هو وأخوه وأبوه، وقتل أبوه في بجاية. وأحضرتْ رؤوسُهم فعلّقت على باب المنارة - أحد أبواب تونس - وتمّ الأمرُ للفضل ابن المخلوع في تونس وبلادها باسم مولانا السّلطان وتَشْريفه وصَنجقه الذي هو خلوق النّصر، وبَشيرُ منصور العَصْر. وكان الخمرُ بتونس مُضَمّنًا فأبطلَه. وأمر ببناء الفُندق الذي كان الخمر يباع فيه مدرسةً للعلم. وكل ذلك ببركة اسم مولانا السّلطان، وبسعادة عَلَمه الشّريف.

يامن قضَى اللهُ أنّ الأرض تملكُها عَجّل ففي كلّ قُطرٍ أنتَ تُنتظرُ

فلمّا استقام حالُ الفضل بن المخلوع في تونس، أحسنَ إلى من نَصرَه. وهُم الأميرُ مُرغم، ذي القَعْدة إحدى وثمانين وستّ مائة، وأمسك أبا اللّيل بن أحمد شيخَ عَوْفٍ ومائةَ نفرٍ من مَشايخ العُرْبان.

والله يجعلُها أوّلَ سعادةٍ وأحسنَ إرادة. وكان وُرود الخبر بذلك في جمادَى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستّ مائة.

(ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور 44 – 46). وقد وَجَدْنا أن مرغم بن صابر بن عسكر هذا، وهو شيخ الجواري من بني دبّاب، أسَره الصقليّون بنواحي طرابلس في سنة 682 هـ / 1283 م نفسها. وباعوه من أهل برشلونة فاشتراه الطاغية، وأقام عنده أسيرًا حتى سنة 688 هـ / 1289 م حيث ساعده أعْقاب أبي زيد الحفصي المتنصّر ليعود مع عثمان بن السلطان أبي دَبُّوس المُطالِب بحقه في الدعوة الموحدية حيث كانت، مؤمّلاً الظّفر في القاصيّة لبُعْدِها عن الحامية، ومعهم جيش من النصارَى حمله الأسطولُ بعُدَدِه وأقواته على مالٍ اشترطوه. (انظر العبر 12: 230 - 1).

ورجاله، وفي إمكانه مراجعة صحّة البيانات التي وردت عند ابن عبد الظاهر عن دعم السّلطان، ثمّ حدث أمرٌ آخر بعد فشل الثورة وهو "حضور رسول الغرب من جهة تونس"[1]، وهو أن السلطان أبا حفص عمر بن يحيى أرسل قاضي الجماعة في وفدٍ بعد الانتهاء من أمر الدعيّ "لنسج المودّة واتحاد الخواطر" وقد عومل الوفد بالتكريم البالغ، وتجاوزوا عمّا فات.

۞ ۞ ۞

(1) ابن عبد الظاهر: المصدر نفسه 174

## مصادر الكتاب:

درج ابن خلدون على ذكر مصادر استِمْداده للموادّ التي يقدّمها عن دولة أو جماعة غير متقيّدٍ بإيراد النّصوص المنقولة حرفيّا، وإنّما يَعمد إلى صياغتها وضَغط محتواها بما يتناسق مع أسلوبه البيانيّ في سياقة الأحْداث.

ومَيْزة هذا الجزء الّذي خَصّه بالدّولَتين الموحديّة والدولة الحفصية التي رعتهُ وآباءه وأظلّت نشأته في تونس نحو ثُلث حياته، أنّ الكثيرَ من تَفاصيل أخبارها قد وصلَتْ إليه بالسّماع والرّواية عمّن تعرّف عليه من رجالها، وبما حَدّثه به أبوه ووَعَاهُ ممّا لم يذكره غيره، ويقومُ بتحْقيقه المُبَاشر بالاتّصال والتّساؤل مع شُيوخ القبائل وغيرهم.

واستفاد من مصادر مكتوبة مَحْدودة العدد، أفادَ منها في تحقيق بعض الجزئيات مَرّةٍ واحدةً وأعلَن أسماءَها، عدا نصّ واحد هو " تاريخ ابن نَخيل" مؤرّخ الدّولة الحفصيّة الّذي كرّر النّقل عنه. وهذا ثبت بمصادره المكتوبة والشفهيّة:

### 1 • ابنُ نَخيل

- نقل ابنُ خلدون مُختلف الأقوال في نَسب المهديّ بن تومرت ، ونقلَ عن ابن نَخيل أنّ ابنَ تومرت من ولد سُليمان بن عبد الله بن حَسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، أخي إدْريس الأكبر، الواقعِ نسبُ الكثير من بَنِيه في المصامِدة وأهلِ السّوس، وأن من وُلْده كلّ طَالِبيّ في السّوس. [ص 5]

وفي عَرْض ابن خلدون لهذا الموضوع الخاصّ بنَسب المهديّ، يعرض لكثيرٍ من الأقْوال يسندها إلى:

- ذكرَ بعضُ مؤرّخي المَغْرب
- وزَعَم كثيرٌ من المؤرخين

• وقيلَ

- نقلَ عنه خبر وصول أسطول النّاصر إلى تونس وقَتْلهم لأتباع ابن غانية، ومنازلَته المهدية، وتوجيه أبي محمد بن الشيخ أبي حَفْص للقاء ابن غانية، وموقعة تاجوراء، وعدد الغنائم التي احتازها. [ص 53]

- نقلَ عنه نسبَ الشّيخ أبي حفص عمر بن يَحيى وأَنْهاه إلى عبد الله بن عمر بن الخطّاب. وقال ابن خلدون: هكذا نَسبَه ابنُ نخيلٍ وغيرُه من الموحدين. [ص 109]

وابنُ نخيلٍ هو محمد بن أحمد، أبو عبد الله بن نَخيل (من أهل القرن السابع) استكتبه الأمير عبدُ الواحد بن أبي حَفْص، وتنقّلَ من ديوان الأعمال إلى ديوان الرّسائل، وتقدّم حتى اجتمع له التّوقيع على الرّسائل، وامْتُحِن في آخر أيام الأمير أبي محمّد عبد الواحد، وعندما تولّى إفريقية أبو العُلَى إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن امتُحِن وأخواه، ثمّ قُتِل بأمر الخليفة المستنصر.

وقد انقطع وجود كتابه بعد أن نقلَ عنه ابنُ خلدون والتجّاني (ص 108، 147) وابن قُنْفِد (رواية واحدة ص 105) ونُقِل عنه بعد ذلك بواسطة من ذُكِر.

انظر عنه: ابنَ الأبار: إعتاب الكتاب 237، 247. ابن قنفد: الفارسيّة 105، ابن خلدون: العبر 12: 119.

## 2 • ابنُ رَشيق[1]

- نقلَ عنه نسبَ محمد بن تومرت المشتَهر بالمهديّ، صاحب دولة الموحّدين، وأنّه من هَرَغة إحدى بُطون المصامِدة، وكان يُلقّب في صغره باسم آمْغار، وهو محمد بن عبد

(1) كتاب العبر 12: 4

الله بن وَجلّيد بن يامصالْ بن حمزة بن عيسى. وهذا الذّي نقلَه ابنُ رشيق حققه ابن القطان.

وابن رشيق هو الحسن بن عَتيق بن الحسين بن رَشيق التّغلبي، كان حيًّا سنة 674 هـ / 1275 م. أصلُه من مُرْسِيَة، واستقرّ في سَبْتَة، له تمرُّس بالتاريخ والأدب والشعر، وله: "الكتاب الكبير في التّاريخ" وله موجزٌ سمّاه "ميزانَ العمل" تردّد اسمُه بين مَصادر مؤرّخي المغرب، مثل مَفاخر البَرْبر، والبيان المغرب، والإحاطة في أخبار غرناطة، وجَذْوة الاقتباس، ورَوْض القرطاس[1].

أمّا ابنُ القطان الذي حَقّق ضَبْط التّسمية البربريّة ووَافق ما ذهبَ إليه ابنُ رشيق، فهو أبو محمد حَسن[2] بن عليّ بن محمد الكُتامي المرّاكُشي (منتصف القرن السابع) صاحب نظم الجمان لترتيب ما سلَف من أخبار الزمان.

## 3 • البَيْذَقُ

- أوْرَد نقْلَه في التّعريف بكبير أصحاب المهديّ بن تومَرْت الشيخ أبي حفص عمر ابن يحيى "وأنّ اسمه بلسانهم فصركات. وهنتاتة يقولون إنّه اسمُ جدّه"[3] وهو نصٌّ مذكور كتابه في: أخبارِ المهديّ بن تومَرْت وابتداء دولة الموحّدين ص71، وفيه خَفّف الصّاد المُشمّة إلى سين، فسماه: فَاسْكات بن يحيى المكنّى بعمر آينتي.

---

(1) عبد الواحد ذنون: موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس. مجلّة المجمع العلمي العراقي. المجلد 40 الجزآن 3، 4، ص 446 - .

(2) حقق نسبة الكتاب إليه وليس إلى والده عليّ، د. محمود علي مكي في مقدمة تحقيقه لقطعة نظم الجمان. (دار الغرب الإسلامي - بيروت 1990).

(3) العبر 12: 108

في سنة 1927 اكتشف E. Lévi Provençal في مكتبة الأسكوريال بمدريد مجموعًا. يحتوي على: كتاب أخبار المهدي بن تومرت، وقطعةً اسمها: كتاب الأنساب في معرفة الأحساب، لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق، رقمه 1919 في المكتبة الملكية San Larenza، اشتمل على إفادات أصلية ومعاصرة عن الدولة الموحدية. ومع أن البيذق كان معروفًا لدى المؤلفين المغاربة والأندلسيّين، فإنّه لم يقف له على ترجمة. وقد نقل عنه ابن خلدون في العبر، ومؤلف كتاب الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، يضاف إليهما التاريخ الموحّدي[1] لابن القطان الذي نقل عنه فقرات بنصّها الكامل من غير إشارة لمصدرها. وقد حقّقه وترجمه للفرنسية مكتشفُه، ونشر في باريس 1928.

* * *

أمّا مصادِرُ ابن خلدون الشّفهيّة التي أشار إليها والتي تلقّاها والدولة لا تزال قائمةً بأحداثها وذكرياتها وبالشّيوخ الذين عاصروها ورَوَوْا أخبارها، وبما سمعه من والده عن جدّه. فهو كثيرٌ غطّى به أكثرَ تركيبته لهيكل عمله عن الدّولة الحفصيّة ورجالها وملوكها وأمرائها، وأفضى لنا بذكر بعض تلك المصادر بصورة عابرة ارتبطت بالسّياق، وهي:

- حدثني أبي عن أبيه [ص 195]
- وهو الأصحّ فيما سمعناه عن شيوخنا [ص 227]
- فيما حدّثني أهلُ بيتهم [ ص 247]
- حدثني به الثّقةُ عن إبراهيم بن عمّهما، وبقيّة هذا الخبر من سواهم [ص 303]

* * *

(1) يقصه نظم الجمان.

## الأصول المعتمدة :

اعتمدنا في معارضة هذا الجزء على نسختين، هما: نسخة "ظ" و "ف = ص"، ولعلّه من أقلّ الأجزاء مُسانَدةً بعدد الأصول المخطوطة التي اعتمدناها في المقابلة.

1 • النسخة "ظ" الظّاهري، وهي جزء من النسخة التامة للكتاب التي كان ابن خلدون قد أعدّها ليقدّمها سنة 797 هـ / 1395 م إلى السلطان الظاهر برقوق بعد أن أثبت في مُقدمتها أنّه غيّر تَسْمية الكتاب ليُصبح اسمه "الظّاهري" عَلَمًا عليه، تيمنًا باسم الظّاهر، وأسوة بفعل من تَقدّمه مع أهل الفَضْل عليهم، مثل كتاب الصاحبي والقانون المسعودي وغيرهما، وكان السلطان الظّاهر يضطغن عليه بعد ما أوقعت به فتاوى الفقهاء سنة 791 هـ / 1389 م وأباحت دَمَه، ومنها فَتْوى ابن خلدون التي يقول إنّه أُجْبر عليها. ولكن ظروفًا مواتية خلّصت السلطانَ وعاد إلى الحكم. ويبدو أن أسبابًا طارِئة حالت دون تقديم النّسخة الخزائنية الفاخرة تلك، وآية ذلك أنّه صدرت عن ابن خلدون نسخٌ أخرى بعد ذلك التّاريخ مثل النسخة الفارسية التي أرسلَها لأبي فارس عبد العزيز المريني وتحمل اسم كتاب العبر فقط، ومثلها نسخة الصاحبيّة التي كتبت بعدها بشهرٍ واحد.

وجزء الظّاهري هذا محفوظٌ في مكتبة السّلطان أحمد الثالث في إستانبول في مجلد مزدوج مع الجزء الحادي عشر قَبْله، وخطّه معتاد واضح، ويتميز عن الأجزاء الأخرى (ما قبل الحادي عشر) بأنّ الناسخ المجهولَ كان حريصًا على الإعجام ورَفْع الالتباس وضَبْط الكثير من الأسماء البربرية، وإثبات نَقْط الإشمام فيها والحِرْص أحيانًا على الضبط بإثبات الحركات لسلامة النطْق الصحيح أو المقارب في الأسْماء، مثل: وَجِلّيذ – فاصڪات – أصناڪ – تِينْمَلّلْ – مُرْتُلّة – عَلَنّاس – لوخارة – تامْزْزْدَڪت – عتُّو – غُمْز – آنْغجوبْ – صِناڪة.

وقد التزمنا بما تأكّد رَسْمُه عنده ولو خالف الشائع، فقد قدّرت أنّ تلك المخالفة قد تكون أصلاً منسيّا أو تغيرت صيغتُه في عصر متأخر، مثل رَسْمه لاسم قبيلة تينملّلْ، التي كرّرها بالرسم نفسه كلما ذُكِرت في المخطوط، فاقتنعت بأن تلك الصيغة كانت في عهد ابن خلدون قائمة، وتمّ تَخفيفها مع الزّمن إلى تينمَلْ أو تينمالْ. وكذلك كُنية أبو العُلَى للسيد إدريس بن يوسف التي ضبطت مع تَكْرارها على ذلك الرسّم، وضُمت العين مَرتين بينما الشائع أنها أبو العَلاء، ومعنى الكنية أبو المَجْد، لذلك لم أرَ بأسًا في التقيُّد بالمَخطوط "ظ". ومثله كان المخطوط ( ف = ص). ولأنّ رسم العَلاء يكون بالمدّ مع إغفال الهمز، أمّا القَصْر فيَتطلّب ضمّ العين.

وكما تقدم في الأجزاء السّابقة، فقد خُصّ كلّ جزءٍ من هذا التقسيم ذي الأربعة عشر جزءًا بخاتمة مستقلّة.

ويشتمل هذا الجزء على 193 ورقة، يبدأ فيها النصّ حسب ترقيم المجلد المزدوج من الورقة [184 ب]، وينتهي بالورقة [377 ] بصَفْحَيْها. ومسطرته 22 سطرًا. وهو مكتملٌ تامّ، واضح المشجرات التي رُسمت في مواقِعها على القَواعد التي رُسِمت بها في كلّ الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## الخبر عن أهل جبال درن بالمغرب الأقصى من بطون المصامدة وما كان لهم من الظهور والأحوال ومبادئ أمورهم وتصاريفها

هذه الجبال بنواحي المغرب من أعظم جبال المعمور أرسا في الثرى أصلها وذهبت في السماء فروعها وملأت الجو هياكلها ومثلت سياجا على ريف المغرب سطورها تبتدئ من ساحل البحر المحيط عند آسفي وما إليه وتذهب في المشرق إلى غير نهاية ويقال إنها تنتهي إلى قبلة برنيق من أرض برقة وهي في الجانب ما يلي مراكش قد ركب بعضها بعضا متتالية على نسق من الصحراء إلى التل يسير الراكب فيها معترضا من تامسنا وسواحل مراكش إلى بلاد السوس ودرعة من القبلة ثماني مراحل وأزيد تفجرت فيها الأنهار وجللت الأرض خمر الشعراء وتكاثفت بينها ظلال الأدواح وزكت فيها مواد الزرع والضرع وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد وطابت منابت الشجر ودرت أفاويق الجباية يعمرها من قبائل المصامدة أمم لا يحصيهم إلا خالقهم قد اتخذوا المعاقل والحصون وشيدوا المباني والقصور واستغنوا بقطرهم منها عن أقطار العالم فرحل إليهم التجر من الآفاق واختلفت إليهم أهل النواحي والأمصار ولم يزالوا منذ أول الإسلام وما قبله معتمرين تلك الجبال قد أوطنوا منها أقطارا إلى قبائلهم تعددت [illegible] بتعدد شعوبهم وقبائلهم وافترقت أسماؤها [illegible] أحيائهم يبتدئ أولهم من هذه الجبال إلى ثنية المعدن المعروفة ببني فارارحت تبتدئ مواطن صناكة يعرفون بهم كذلك من ناحية القبلة إلى بلاد السوس وقبائلها والمصامدة بهذه المواطن كثير

[ الصفحة الأولى من الجزء الثاني عشر – من نسخة "ظ" ]

عطيها وعموانا علي اخذ بلنسية ظاهرا ثم ترددت عليها سرايا العدو
ثم زحف اليها طاغية ارغون في رمضان سنة خمس وثلثين فحاصرها
واستبلغ في نكايتها وكان بنو عبد المومن بمراكش قد فشل ريحهم
وظهر امر بني ابي حفص بافريقية فأمل ابن مردنيش واهل شرق
الاندلس الامير ابا زكريا الملك وبعثوا اليه ببيعتهم واوفد عليه
ابن مردنيش كاتبه الفقيه ابا عبد الله بن الابار صريخا فوفد وادي
بيعتهم في يوم مشهود بالحضرة وانشد في ذلك المحفل قصيدة على
روي السين يستصرخه فيها للمسلمين وهي هذه

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة اضحى اهلها جزرا للنائبات وامسى جدها تعسا
في كل شارقة إلمام بائقة يعود مأتمها عند العدى عرسا
وكل غاربة اجحاف نائبة تثني الامان حذارا والسرور اسا
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم الا عقائلها المحجوبة الأنسا
وفي بلنسية منها وقرطبة ما يذهب النفس او ما ينزف النفسا
مداين حلها الإشراك مبتسما جذلان وارتحل الايمان مبتئسا
وصيرتها العوادي العابثات بها يستوحش الطرف منها ما أنسا
ما للمساجد عادت للعدى بيعا وللنداء يرى اثناءها جرسا
لهفا عليها الى استرجاع فائتها مدارسا للمثاني اصبحت درسا
واربعا نمنمت ايدي الربيع بها ما شئت من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للاحداق مونقة فصوح النضر من ادواحها وعسا

[ قصيدة ابن الأبار – من النسخة "ظ" ]

وحال ما حولها من منظر عجب يستوقف الركب أو يستركب الجلسا

سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا عيث الدبا في مغانيها التي كبسا

وابتز بزتها مما تحيفها تحيف الاسد الضاري لما افترسا

فاين عيش جنيناه بها خضرا واين غصن جنيناه بها سلسا

محا محاسنها طاغ أتيح لها ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا

ورج أرجاءها لما احاط بها فغادر الشم من اعلامها خنسا

خلا له الجو فامتدت يداه إلى إدراك ما لم تنل رجلاه مختلسا

وأكثر الزعم بالتثليث منفردا ولو رأى راية التوحيد ما نبسا

صل حبلها أيها المولى الرحيم فما ابقى المراس لها حبلا ولا مرسا

واحي ما طمست منها العداة كما احييت من دعوة المهدي ما طمسا

ايام صرت لنصر الحق مستبقا وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا

وقمت فيها بامر الله منتصرا كالصارم اهتز او كالعارض انبجسا

تمحو الذي كتب التجسيم من ظلم والصبح ماحية انواره الغلسا

هذي رسائلها تدعوك من كثب وانت افضل مرجو لمن يئسا

وافتك جارية بالنجح راجية منك الامير الرضى والسيد الندسا

خاضت خضارة يعلوها ويخفضها عبابه فتعاني اللين والشرسا

وربما سبحت والريح عاتية كما طلبت باقصى شده الفرسا

تؤم يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص مقبلة من تربه القدسا

ملك تقلدت الاملاك طاعته دينا ودنيا فغشاها الرضى لبسا

من كل غاد على يمناه مستلما وكل صاد إلى نعماه ملتمسا

مؤيد لو رمى نجما لاثبته ولو دعا أفقا لبى وما احتبسا

إمارة يحمل المقدار رايتها ودولة عزها يستصحب القعسا

[ النسخة "ظ" ]

الى هلم لهذه اعوام فانظمو وكلهن قد مضى من طول المقامه فرضي
بطاعتهم والكفا راجعا الى ابيه سنة خمس وتسعين فولاه على
منافشى والفتح منها تاليس كما قدمنا واقام على بن عمار على
امارته بطرابلس الى هذا العهد وابنه مدبر الامور عكلته هذا
اخر الكلام في الدولة الحفصية من الموحدين وما تبعه من اخبار
المتغلبين المستبدين بامصار الجريد والزاب والثغور الشرقيه
فلنرجع الى اخبار زناته ودولهم ونكمل بها الكتاب ان شا الله
كملت اخبار بني ثابت روسا مدينة طرابلس من دعاة
بني ابي حفص ملوك الموحدين بافريقية وبكمالها كمل
الجزو الثاني عشر من الكتاب الظاهري في العبر
باخبار العرب والعجم والبربر ويتلوه في الجزو
الثالث عشر الخبر عن زناتة من قبايل البربر
... العز ... التوفيق والحمد لله وحده وصلواته
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

ابو بكر
علي بن عمار بن محمد بن ثابت بن عمار

[ خاتمة الجزء الثاني عشر من النسخة "ظ" ]

2 • النسخة ف = ص

هذا الجزء مندمج ومترابط مع الجزء الحادي عشر قبله (من التقسيم السباعي) خطّه نسخيّ واضح أنيق كتبه عبد الله بن حسين بن شهاب في رابع صفر عام سبع وتسعين وسبع مائة، فهو معاصر لنسخة "ظ" التي سجّل تاريخ نسخها بآخر التّعريف بابن خلدون ورحلته، الملحق بالجزء الرّابع عشر الأخير من الكتاب، وبينهما نحو شهر واحد، وتقدم وصف هذه النسخة[1].

وختم الناسخ توثيقه للتاريخ بالدّعاء ببقاء مؤلّفه ومن كُتِب بسببه.

وقد حصل لنا بعض الوهم في تحديد نسبة الجزء الّذي تأكد لي فيما بعد أنه من النسخة الصاحبيّة التي وصلتني مقطعة على دفعتين، فقدرت بأنّها بخط ابن الفخار لشبهها بخطّه ورمزت لها بالحرف "ف"، ولم نتمكن من استِدْراك ذلك إلاّ عند تحرير هذه المقدمة. فليتَنبّه القارئ الكريم إلى أن الرمز "ف" في حواشي فروق النسخ في هذا الجزء يعني "ص" الصّاحبية. مع الاعتذار والشكر.

وفي هذه النسخة خَرْمٌ يطابق في النسخة "ظ" من الصفحة 345 [320 أ] إلى الصفحة 374 أثناء صفحة المخطوط من ظ [331 ب]، أي نحو 11 ورقة من "ظ"، وقد دعَى ذلك إلى مراجعات خارجية للمطابقة والتأكد من سلامة نص "ظ" المنفرد.

وهذا الجزء محفوظ في المكتبة السليمانية بإستانبول برقم 867 ، وهو من مجموعة الداماد إبراهيم باشا الذّي جمع أكثر نسخ كتاب العِبر الجيّدة كما لاحظنا في الأجزاء الأخرى، وحصل في مجموعته الجزآن الأوّل والثاني من نسخة "ظ" (المقدمة)، التي يبدو أنّه استعارها من مكتبة السّلطان أحمد الثالث وبقيت عنده.

---

(1) انظر كتاب العبر 3: 23 (المقدمة).

وقد كانت النسخة "ف = ص" هذه مُساعدة لنا في كثير من المواقع التي لم تتضح في "ظ" إلاّ بمساعدتها والاتفاق معها في الرّسم، ويحدث هذا عندما تُهمل الكلمات ويَنْبَهِم توجيهها.

❁ ❁ ❁

فيها عند انتباشها بفشل او شغل بخارج فيجهز البعوث اليهم من الحضرة
حتى يستقيموا على الطاعة ولهم بنو عون جبالهم عز ومنعة وجوار لمن
لحق بهم من اعياص الملك ومستاميني الخوارج الى هذا العهد ولبني تكتم
من بينهم الحظ الوافر من ذلك لاشراف جبلهم على سايرها وسمو يفاعه
الى مجاري السحب دونها وتوعر مسالكه بهبوب الرياح فيها وهذا الجبل مطل
على تنسنة من غربيها وربيبة منهم وصاحبا امرهم يوسف بن عمر وبنوه ولهم فيه
عز وثروة قد اتخذوا به المصانع والعروش وفرض لهم السلطان بديوان
سبتة العطا واقطعهم ببسيط طنجة الضياع والعدد استيلافا لهم وحسما
لزبون ساير غمارة بايناس طاعتهم ولله الخلق والامر وبيده ملك السموات والارض

## الخبر عن اهل جبال درن بالمغرب الاقصى من بطون المصامدة
## وما كان لهم من الظهور والاحوال ومبادي امورهم وتصاريفها

هذه الجبال بناصية المغرب من اعظم جبال المعمور رسا في الثرى اصلها
وذهب في السما فروعها وملات الجو هياكلها ومثل سياجا على ريف
المغرب سطورها يبتدي من ساحل البحر المحيط عند اسفي وما اليه
ويذهب في المشرق الى غير نهاية ويقال انها تنتهي الى قبلة برنيق من ارض
برقة وهي في الجانب مما يلي مراكش قد ركب بعضها بعضا متتاليا على نسق
من الصحرا الى التل سير الراكب فيها معترضا من تامسنا وسواحل مراكش
الى بلاد السوس ودرعة من القبلة ثماني مراحل او ازيد تفجرت فيها الانهار
وجللت الارض خمر الشعرا وتكاثفت بينها ظلال الادواح وزكت فيها مواد
الزرع والضرع وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد وطابت منابت الشجر
ودرت افاويق الجباية يعمرها من قبائل المصامدة امم لا يحصيهم الا خالقهم
قد اتخذوا المعاقل والحصون وشيدوا المباني والقصور واستغنوا بقطرهم
منها عن اقطار العالم فرحل اليهم التجر من الافاق واختلفت اليهم اهل النواحي

[ أول الجزء الثاني عشر من النسخة "ف = ص"، والعنوان في أصله بالحمرة ]

هذا آخر الكلام في الدولة الحفصية من الموحدين وما تبعه من
اخبار المقدمين المستبدين بامصار الجريد والزاب والثغور الشرقية
فلنرجع الى اخبار زناتة ودولهم وبكمالها يكمل الكتاب ان شا الله

ابو بكر
علي بن عماد بن محمد بن ثابت بن عمار الزكوجي

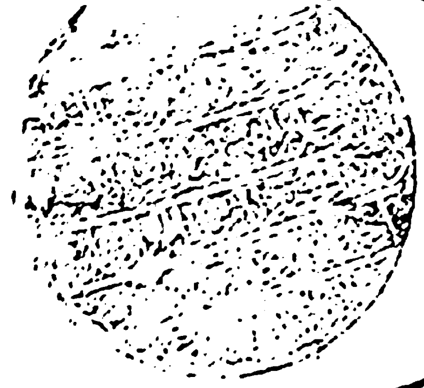

تم هذا الجزء المبارك على يد الفقير الى رحمة ربه وعفوه عبد الله بن
ابن شهاب في ربيع صفر عام سبع وتسعين وسبعمائة
تم الجزء السادس من تاريخ ابن خلدون من كتاب
المسمى بالعبر يليه الجزء السابع الخبر عن زناتة من قبائل
البربر

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPH...
İsmail İbrahim Paşa
2
867

[ خاتمة النسخة "ف"، وبآخرها تاريخ النسخ. والسطران الأخيران مضافان ]

هذا وقد اجتهدنا في إخراج هذا الجزء وتوثيق نَصّه وتيسير عرض قراءته قدر الاستطاعة، مع ما اعترضَنا في ذلك من مُعيقات فنيّة خلَطت العملَ واضطرب معها أثناء الطباعة فأعَذنا تنضيدَه بصبْر المصرّ على إتمام ما بدأ.

وقد تقدّمت الإشارة إلى أن المؤلف راجَع في نسخة "ظ" ضَبْط الأسماء البربرية وإخراجَها على ما تُنطق به، وأضاف إلى الحروف التي تقدّم ذكرها في أجزاء أخرى حرفًا جديدًا هو الجيم المشمّة بالشّين، فرسَم الجيم المعجمة بواحدة من تحت، وتَوّجَها بنقْط الشين، ڜ ، وعليها اسم: الڜكڜاك، لوڜارة.

وحافظنا على تسجيل الفروق إذا اختلفَ ضبط النسختين، فقد يكون في ذلك دلالة وفائدة للدارسين.

❁ ❁ ❁

وهذا الجزء هو آخر ما يظهر من أجزاء الكتاب التي أخرجناها على غير ترتيب، وبه يكتمل صدور الأجزاء الأربعة عشرة كما قسمها المؤلف في نسخة الظاهري

ونرجو أن نوفّق في إصدار فهارسه التي قَدّرنا صدورها في مجلدين، أنجزنا بعضَها.

• وقد تجمع لي من محصّلة هذا العمل الذّي امتد معي عقدًا كاملاً من السنين الثّقال انقضى أكثرهُ في متابعة أعمال بعض الآخرين، وتعلّمت فيها أدبَ الصبّر وتَرويض النّفس عليه.

ولقد سجّلت الكثيرَ من المُلاحظات المهمّة خِلال قراءتي المتكرّرة والمتعمّقة لنصّ كتاب العبر، والقطعةِ الباقية من نَصّ تُرجمان العِبر، ولشِعْره الذّي تجمّع لي، والتّراجم

التي كَتبها معاصِروه. وبعضِ ما كتبهُ المتعقّلون الذين شارَكوا الرّجل بعضَ مَعارفه الأساسيّة فسلكوا إليه مسالِكَ الفَهم. كلّ ذلك الذّي جمَعْتُه بحاجةٍ إلى هَدْأةٍ من الزّمن إن كان لنا في الزمن متّسعٌ باقٍ، تتيحُ صياغة ما استَخلَصْناه، وتقديمه لنَظر أهل النّظر.

وعليّ قبل أن أُنهي هذا التّقديم الأخير، أن أسجّلَ عِرْفاني وشكري لأُسْرتي، لزَوْجتي السيّدة فاطمة محمد المرابط، وأبنائي: لَمياء ورَيْحانة وصفوان وأيمن، فقد كانوا من أهمّ أسباب الإحْساس بالحياة والزَّمَن، وأعطوني من دُفْءِ حُبّهم ما ساعدني على الثّبات.

والشكر لصديقي العالم الجليل الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد، فقد تعهدني بأخوّته الخالصة وودّه، ووجدْتُ من عونه العلميّ ما أذكرُه له بالفضل.

وأدين بالجميل والمحبّة البالغة لمدينة عمّان الزاهرة، لأهلها الطيّبين ومثقّفيها المتألّقين، فقد قضيت فيها عقدًا ونصف العقد من الزمن مطمئنَّ النّفس مؤتنسًا لم أشعر بغُرْبَة. وفي ليالي الثلج الطويلة من سنة 2006 بدأت فيها العمل لإعداد هذا الكتاب ونشره.

والحمد لله على تيْسيره، ولواهب العقل الحمدُ بلا انتهاء.

إبراهيم شبّوح

تونس: المنار الثاني. 20 أكتوبر 2015

# كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

## الكتاب الثالث: الجزء الثاني عشر

[184 ب] / بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم.

## •1 الخبر عن أَهْل جبال دَرَنْ بالمغْرب الأقصى من بُطون المَصامِدة، وما كان لهم من الظهور والأحْوال، ومَبادِيء أمُورهم وتصاريفها.

هذه الجبالُ بقاصيَة المَغْرب، من أَعْظم جبال المَعْمور. رَسَا في [الثّرى][أ] أصلُها، وذَهَبَتْ في السّماء فروعُها، ومَلأَتْ الجوّ هياكِلُها، وَمَثَّلَتْ سياجًا على ريف المغرب سطورُها. تَبْتَدِيءُ من ساحل البَحْر المحيط عند آسْفِي وما إليه، وتَذْهَبُ في الشّرق إلى غَيْر نهاية، وَيُقَالُ إنّها تَنْتَهِي إلى قِبْلَة بَرْنِيق من أَرض بَرْقَة، وهي في الجانب ممّا يَلي مَرّاكُش، قد رَكِبَ بعضُها بعضًا، متتاليةً على نَسقٍ من الصّحراء إلى التّل. يَسِيرُ الرّاكِب فيها مُعْتَرِضًا من تامِسْنَا وسواحل مَرّاكُش إلى بلاد السّوس ودَرْعَة، من القِبْلَة ثماني مراحلَ وأَزْيَدَ. تَفَجّرَتْ فيها الأنهار، وجَلّلَ الأرضَ خَمَرُ[1] الشَّعْرَاءِ، وتَكَاثَفَتْ بينها ظِلال الأَدْواح، وزَكَتْ فيها مَوادُّ الزّرع والضّرع، وانْفَسَحَتْ مَسارِحُ الحيوان ومَرَاتِعُ الصَّيْد، وطَابَتْ مَنابت الشّجر، ودَرَّتْ أفاويقُ[2] الجِبَاية.

(أ) ظ : البري.

(1) الخَمَرُ: ما واراك من شجرٍ وغيْره. والشّعْراء: الأرض ذات الشّجر الكثير.

(2) جمع فيقة، بقلب الواو ياءً: اسم اللبن الذي يجتمع في الضّرع بين الحلبتين. والأفاويق ما اجتمع من الماء في السحاب، فهو يمطر ساعةً بعد ساعة.

يَعْمُرُهَا من قبائل المَصامِدَة أُممٌ لا يُحْصِيهم إلاّ خالِقُهم، قد اتّخَذُوا المعاقلَ والحصون، وشَيَّدُوا المبانِيَ والقُصورَ، واسْتَغْنَوْا بقُطْرِهم منها عن أقْطار العالَم؛ فَرَحَلَ إليهم التَّجْرُ من الآفاق، واخْتَلَفَتْ إليهم أهلُ النَّوَاحِي والأمصار. ولم يَزَالُوا مُذ أوّل الإسلام وما قبْلَه مُعْتَمِرين بتلك الجبال، قد أَوْطَنُوا منها أقطارًا بل أقاليمَ تَعَدَّدَتْ فيها الممالكُ والعمالات بتعَدُّد شُعوبهم وقَبائلهم، وافْتَرَقَتْ أسماؤُها بافْتِراق أحْيائِهم. تَنْتَهِي ديارُهم من هذه الجبال إلى ثَنِيَّةِ المعْدن المعروفة ببني فازاز(أ)، حيثُ تَبْتَدِيءُ مواطنُ صِناكَةَ(ب)، ويَحُفُّون بهم كذلك من ناحية القِبْلة إلى بلاد السّوس.

وقبائلُ هؤلاء المَصامِدَة بهذه المواطن / كثير، فمنهم: هَرْغَةَ وهَنْتَاتَة [185أ] وتِينْمَلَّلْ وكَذْمِيوَة وكَنْفيسَة ووريكَة ورَكْراكَة وهزميرة ودُكَّالَة وحَاحَة وأَصّادَن وبنو وازكيت وبنو ماكر وأيلانة، ويقال هيلانة بالهاء، ويقال أيضا أن أيلان هو ابن بُرَا صِهْرُ المصامِدَة، فكانوا حُلفاءَهم.

ومن بُطون أصّادَن، مسفاوة وماغوس. ومن مسفاوة، دغاغة ويوطانان. ويُقال إن غُمارَة ورهون وأمُولِن أصّادَن، والله أعلم.

ويقال إنّ من بطون حاحَة زَكْنُ ووَلْخَسُ(ج) الظّواعنُ الآن(د) بأرض السّوس، أحلافًا(هـ) لذوي حَسّان المتغلّبين عليها من عَرَب المَعْقِل.

ومن بُطون كَنفيسَة أيضا، قبيلةُ سَكْسيوَة الموطنونَ بأمْنعِ المعاقِل بهذه الجبال. يُطِلّ جبلُهم على بَسيط السّوس من القِبْلَة، وعلى ساحل

(أ) مهملة في ظ (ب) الصاد المشمة من ف (ج) ف: ولْخس (د) في ظ: إلاّ أن. والقراءة من ف
(هـ) في ظ: أحلاقا.

البَحْر المحيط من الغَرْب. ولهم بمنَعَة مَعْقِلهم ذلك اعتزازٌ على أهل جِلْدتهم، حسب ما يُذكَرُ بعدُ.

وكان لهؤلاء المصامِدة صدرَ الإسلام بهذه الجبال عَددٌ وقُوّة وطاعةٌ للدّين، ومُخالفةٌ لإخوانِهم بَرَغْوَاطَة في نِحْلَةِ كُفْرِهِمْ. وكان من مَشاهيرهم كبيرُ بن وسلاس بن شَمْلال من [أَصّادَة][أ]، وهو جدّ يَحْيى بن يحيى راوي الموّطأ عن مالِك. دَخلَ الأندلُسَ وشَهِد الفتحَ مع طارق، في آخرين من مَشاهيرهم استَقَرُّوا بالأندلس، وكان لأعْقابهم بها ذكرٌ في الدّولة الأُمَويّة، وكذلك كان منهم قبلَ الإسلام ملوكٌ وأُمراء. ولهم مع لَمْتونَة ملوكِ المغرب حروبٌ وفِتَنٌ سائرَ أيّامهم، حتّى كان اجتماعُهم على المَهْديّ وقيامُهم بدَعْوته. فكانت لهم دولةٌ عظيمةٌ أَدالَتْ من لَمْتُونَةَ العُدوتَيْن ومن صِنْهاجة بإفريقيّة حَسْبما هو مشهورٌ، ونأتِي الآن بذكْره إن شاء الله.

[ 185ب ]

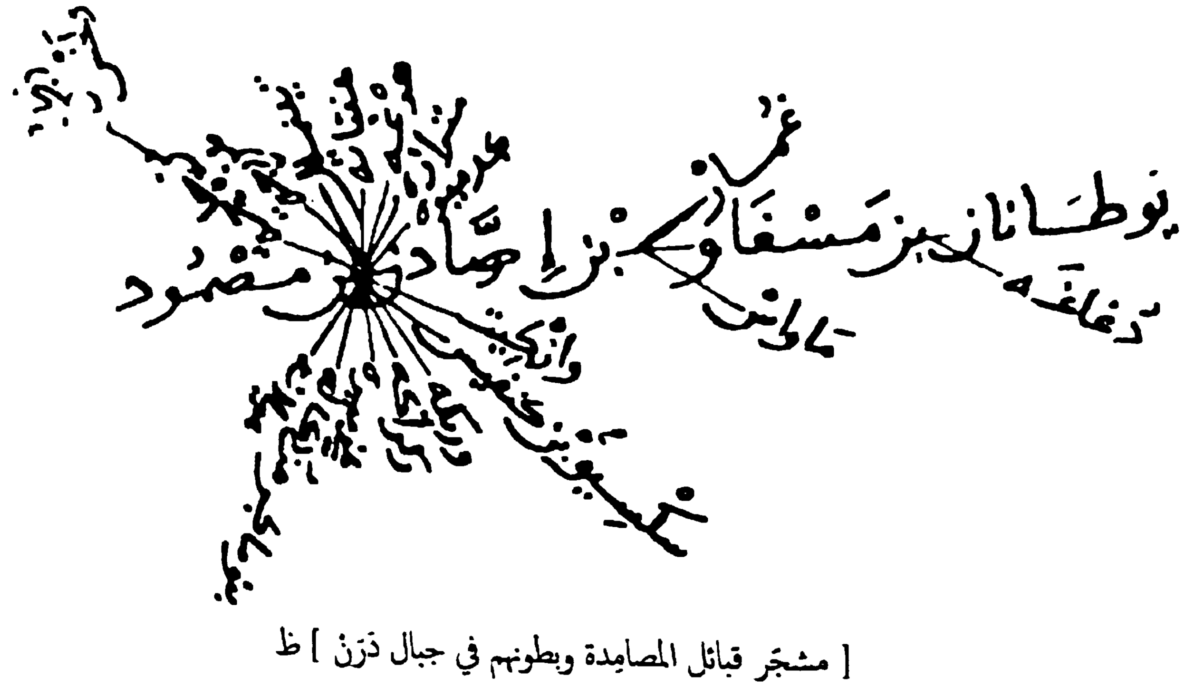

[ مشجّر قبائل المصامِدة وبطونهم في جبال دَرَن ] ظ

(أ) من ف، وفي ظ: أصادة .

## 2• الخَبرُ عن مَبْدإ أمْرِ المهديّ ودعْوَتِه، وما كان للموحّدِين القائمين بها على يَدِ بَني عبد المؤمن من السّلْطان والدّوْلة بالعُدوتين وإفرِيقيّة، وبداية ذلك وتصاريفه.

لم يَزَل أمرُ هؤلاء المصامِدَة بجبال دَرَنْ عَظيمًا، وجَماعتُهم موفورةٌ، وبأسُهم قَوِيٌّ. وفي أخبار الفَتْح من حُروبهم مع عُقْبة بن نافع وموسى بن نُصَير حتّى اسْتَقَاموا على الإسلام ما هو مَعْروف مذكورٌ، إلى أن أَظَلَّتْهُمْ دولةُ لَمْتونة، فكان أمرُهم فيها مسْتَفْحلاً وشأنُهم على أهل السّلطان والدّولة مُهِمّا، حتّى لقد اخْتَطّوا مدينةَ مَرّاكُش لِنُزُلِهِمْ جوارَ مواطِنهم من دَرَنْ، ليتَمَرّسُوا بهم ويُذَلِّلُوا من صِعَابِهِمْ.

وفي عُنْفُوان تلك الدّولة على عَهْد عليّ بن يوسف مِنْها، نَجَمَ إمَامُهم العالم الشّهير محمد بن [تومَرْت][أ]، صاحبُ دولَة الموحّدين المشتهر بالمَهْديّ، أصلُه[1] من هَرْغَة من بُطون المصامِدَة الذين عَدَدْناهُم. يُسَمَّى أبوه عبد الله وتُومَرْت، وكان يُلَقَّبُ في صغره أيضا آمْغار[ب]، وهو محمد بن عبد الله بن وجَلّيد[ج] بن يامصال[د] بن حمزة بن عيسى، فيما ذَكَرَهُ ابنُ رَشيق وحقّقَهُ ابنُ القَطّان.

(أ) كما اشتهر به في مصادر التاريخ، وفي ظ ف: تيوموت (ب) الضبط من ف (ج) البيذق: وكْلّيد
(د) البيذق: يَامصل، والصّاد المشمّة من ف.

(1) أنظر البيذق: كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحّدين 21 - (باريس 1928).

وذكر بعض مؤرِّخي المغرب أنَّه محمد بن تومَرْت بن نيطاوس(أ) / بن سافل بن مِسيغُون بن إيكلديس بن خالد. وزعم كثيرٌ من المؤرِّخين أنّ نسَبه في أهل البَيْت، وأنّه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمّام بن عَدْنان(ب) بن سُفيان بن صَفوان بن جابِر بن عطاء بن رباح بن محمد، من وَلَدَ سُليمان بن عبد الله بن حسَن بن الحسن بن عليّ ابن أبي طالب، أخي إدْريس الأكْبر، الواقع نَسَبُ الكثير من بَيْته في المَصامِدَة وأهْلِ السّوس. كذا ذكر ابنُ نَخيلٍ في سُليمانَ هذا، وأنّه لَحِقَ بالمغرب إثْر أخيه إدْريس وَنَزَلَ تِلِمْسَان، وافْتَرَقَ وُلْدُه في المغرب. قال: فمن وُلْدِه كلُّ طالبيّ بالسُوسِ. وقِيلِ بل هو من قَرابة إدْريس اللاّحقِينَ به إلى المغرب، وأنّ رباحًا الذّى في عَمود هذا النّسب، إنّما هو ابن يَسار بن العبّاس بن محمّد بن الحَسن؛ وعلى الأمْرين، فإنّ نسَبَهُ الطّالبيَّ وقع في هَرْغَة من قَبائل المصامِدَة، ووَشَجتْ عُروقُه فيهم والْتَحَمَ بعَصَبِيّتهم، فَلَبِسَ جِلْدَتَهُمْ وانتَسَب بِنَسَبِهِمْ، وصار في عِدادهم. وكان أهلُ بيته أهلَ نُسُك ورِباط. [186 أ]

وشَبَّ محمّد هذا قارئًا محبًّا للعلْم، وكان يُسَمَّى آسَافُوا، ومعناه الضّياء، لكَثْرة ما كان يُسْرِجُ القناديلَ بالمساجد لمُلازمتها. وارْتَحَلَ في طلب العِلْم إلى المَشْرق على رأس المائة الخامِسة، ومرّ بالأندَلُس ودخل قُرْطُبة، وهي إذْ ذاك دارُ علمٍ. ثمّ أجازَ البحرَ إلى الإسكندريّة، وحجّ، وَدَخَلَ العراقَ، ولَقِيَ جِلّةَ العُلَماء يومئذ وفُحولَ النُّظّارِ، وأفَادَ علمًا واسعًا. وكان

(أ) في ف: تينطاوس (ب) يختلف عمود هذا النّسب عند البيذق بدءًا من عدنان، فيصبح: عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن رباح بن عطاء بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ. ويعلّق البيذق على هذا: بأن قرابته أهل العناية بهذا الشأن لا يعرفون هذا النّسب. والله أعلم بذلك.

يُحدِّثُ نَفْسَهُ بالدّولة لقَوْمه على يَده، لِمَا كان الكُهّانُو الحُزّيُ[1] يَتَحَيَّنُونَ ظهورَ دولةٍ يومَئذٍ بالمغرب. وَلَقِيَ - زَعَموا - أبا حامد الغزالي، وفـاوَضَهُ بذات صَدْره في ذلك فَأَرَادَهُ عليه، لِمَا كان فيه الإسْلام يومئذٍ بأقْطار الأرض من اختِلالِ الدّولة وتَقْويضِ أركان السّلطان الجامعِ للأمّة المقيم لِلملّة، بعد أن سَاءَلَهُ عمّن له من العِصابة والقبائل التّي يكون بها الاعتزاز والـمَنعة، وبشأنها يَتِمُّ أمرُ الله في دَرْكِ البُغْيَةِ وظُهور الدَّعْوة.

[186ب] وانطَلَقَ هذا الإمامُ راجعًا إلى المغرب، بَحرًا / مُتَفَجِّرًا من العِلْم، وشِهابًا وَارِيًا من الدّين. وكان قد لَقِيَ بالمشرق أئمّةَ الأشْعريّة من أهل السُّنّة وَأَخَذَ عنهم، واستَحْسن طريقَهم في الانتصار للعقائد السّلَفيّة والذبّ عنها بالحُجَج العقليّة الدّافعة في صُدور أهل البِدْعة. وَذَهَبَ إلى رأيهم في تأويل الـمُتشابه من الآي والأحاديث، بعد أن كان أهلُ الـمَغْرب بمعزلٍ عن اتّباعهم في التأويل والأَخْذ برأيهم فيه، اقتداءً بالسّلَف فيترك التّأويل وإمْرار المتشابهات كما جاءت. فَطَعَنَ على أهْل المغرب في ذلك وحَمَلَهم على القول بالتّأويل والأَخْذ بمذاهب الأشعريّة في كافّة العقائِد، وأَعْلَنَ بإمامَتِهم ووُجوب تقليدهم. وألّف العقائدَ على رأيهم، مثل: الْمُرْشِدَة، والتوحيد. وكان من رَأيه القولُ بعِصْمة الإمام على رأي الإماميّة من الشّيعة. وأَلّفَ في ذلك كتابَه في الإمامة الذى افتتحه بقوله: أعَزُّ ما يُطْلَبُ، وصار هذا الْمُفْتَتَحُ لقبًا على ذلك الكتاب. واحْتَلَّ بطَرابُلُس - أوّلَ بلاد الـمغرب -، مُفْتِيًا بمذهبه ذلك، مُظْهِرًا النّكيرَ على عُلماء الـمَغْرب في

(1) واحدها حَازي، وهو الذي ينظُر في الأعضاء وفي خيلان الوجه يتكهّن.

عُدولهم عنه، آخذًا نفسَه بتدريس العِلْمِ، والأمرِ بالمعروف والنّهي عن المنكر ما اسْتَطَاع، حتىّ لقد لَقِيَ بسَبب ذلك إذاياتٍ في نفسه احْتَسَبَهَا من صالح أعْماله. ولماّ دَخَلَ بِجَايَةَ وبها يومئذٍ العزيزُ بن المنصور بن النّاصر ابن عَلَنّاس بن حمّاد، من أمراء صِنْهاجة، وكان من المُتْرَفِينَ، فأغْلَظَ له ولأتْباعه بالنّكير. وتعَرَّضَ يومًا لتَغْيير بعض المنْكَرات في الطُّرق، فوقَعَتْ بسَبَبِها هَيْعَةٌ نَكِرَهَا السّلطان والخاصّة وائْتَمَرُوا به، فَخَرَجَ منها خائفًا، ولَحِقَ بمَلاّلَة على فرْسخٍ منها، وبها يومئذٍ بنو وزياكل[أ] من قبائل صِنهاجة، وكان لهم اعتزاز ومَنَعَةٌ، فآوَوْه وأجَارُوهُ. وطَالَبَهُمُ السّلطانُ صاحبُ بِجَايَة بإسْلامه إليه، فأَبَوْا وأَسْخَطُوهُ. وأقام بينهم يُدرّسُ العلْمَ أيّامًا، وكان يجْلِسُ إذا فَرَغَ على صَخْرة بقارعة الطّريق قريبًا من / ديار [187 أ] مَلاّلَة، وهي لهذا العهد مَعْروفة. وهناك لَقِيَهُ كبيرُ صَحابته عبدُ المؤمن بنُ عليّ[1] حاجّا مع عَمّه، فأُعْجِبَ بعِلْمه وانْثَنَى عزمُه عن وَجْهه ذلك، واخْتَصَّ به، وشَمَّرَ للأخذ عنه.

وارْتَحَلَ المهديُّ إلى المغرب وهو في جُمْلته. ولَحِقَ بِوانْشَريس، وَصَحِبَهُ منها البشيرُ[2] من جِلّة أصحابه. ثم لَحِقَ بِتِلِمْسَان، وقد تَسَامَعَ النّاس بخبره، فأَحْضَرَهُ القاضي بها، ابنُ صاحب الصّلاة، وَوَبَّخَهُ على مُنْتحله ذلك وخِلافِهِ لأهْل قُطْرِهِ، وظنّ أنّ العَذْلَ يَزَعُهُ عن ذلك، فصَمَّ عن قَبُوله. واسْتَمَرَّ على طريقه إلى فاس ثمّ إلى مِكْناسَةَ، ونَهَى بها عن بعض

(أ) إشمام الكاف من ف .

---

(1) أخبار المهدي 27 مما اقتبس من كتاب الأنساب.

(2) أخبار المهدى 21.

المناكير، فأوْقَعَ به الشّرَارُ من الغَوْغاء وأوْجَعُوه ضربًا. ولَحِقَ بِمَرّاكُش، وأَقَامَ بها آخذًا في شأنه. ولَقِيَ عليَّ بنَ يوسف بالمسْجد الجامع في صلاة الجُمعة، فوَعَظَهُ وأغْلَظَ له القول. وَلَقِيَ ذات يومِ الصّورةَ أختَ عليِّ بن يوسف حاسِرةً قِناعَها، على عادة قومها المُلَثَّمِينَ في زِيِّ نسائهم، فوَبخَهَا، ودَخَلَتْ على أخيها باكيةً لما نالهاَ من تقْريعه، فَفَاوَضَ الفقهاءَ في شأنه بما وَصَلَ إليه من شُهْرته، وكانوا مُلِئُوا منه حسَدًا وحفيظةً لِمَا كان يَنْتَحِلُ مذهب الأشْعريّة في تأويل المُتَشابه، ويُنْكِرُ عليهم جمودَهم على مذهب السّلَف في إمْراره كما جاءَ، ويَرَى أنّ الجمهورَ لَقَنُوهُ تجسيمًا، ويَذْهَبُ إلى تكفيرهم بذلك أحد قَوْلَيِ الأشعريّة في التّكفير بمآل الرّأي. فأَغْرَوْا الأميرَ به وأحْضره للمُناظَرة معهم، فكان له الفُلْجُ[1] والظُّهور عليهم. وخَرَجَ من مجلسه ونُذِرَ بالشّر منهم، فلَحِقَ من يَوْمه بِأَغْمات، وغَيَّرَ المناكير على عادَته، وأغْرَى به أهلُها عليَّ بنَ يوسف وَطَيَّرُوا إليه بخبره، فَخَرَجَ منها هو وتلاميذُه الذين كانوا في صِحَابَتِهَ، وَدَعَا إسماعيلُ بن آيكِّيك من أصْحابه مائتين من أَنْجاد قَوْمه، وخرج به إلى منجاةٍ من جبال المصامِدة، لَحِقَ أوّلا بمسْفيوَةَ ثمّ بِهِنْتَاتَه، ولَقِيَهُ من أشياخهم عمرُ بن يَحْيى بن محمد بن وانُّودين ابن عليّ، وهو الشيّخ أبو حفص / ويُعْرف بَيْتُهَ بين هِنْتَاتَةَ ببني [187 ب]
فاصْكَات[أ]. ويقول نَسَابَتُهُمْ أنّ فاصْكَاتْ هو جدّ وانُّودين. ويقال لهِنْتاتة بلسانهم ينْتي، فلذلك كان يُعْرَفُ عمر ينتي، وسيأْتي الكلامُ في تحقيق نَسَبِهِ عند ذكر دَوْلتهم.

(أ) كذا ضبط في ظ.

---

(1) الفُلْج: الفوز والظفر.

ثمّ ارْتَحَلَ المهديّ عنهم إلى إيكيلين(أ) من بلاد هَرْغَة، فنَزَل على قومه، وذلك سنةَ خمس عشرةَ وخمسِ مائة. وبَنى رابطةً للعبادة، واجْتَمَعَتْ إليه الطّلبة والقبائلُ، فعَلَّمَهُم المُرْشِدَةَ والتّوحيدَ باللّسان البَرْبريّ، وشاعَ أمْرُهُ في صُحْبَتِهِ. واستدْرك رئيسُ الفِئَةِ العلميّة بمجْلس الأمير عليّ بنِ يوسف، وهو مالكُ(1) بن وُهَيْب إغْرَاءَهُ به، وكان حَزَّاءً يَنْظُرُ في النّجوم؛ وكان الكُهّانُ يَتَحَدَّثُونَ بأنّ مُلْكًا كائِنٌ بالمغرب لأُمّةٍ من البَرْبر، وَيَتَغيّرُ فيه شَكْلُ السكّة لِقِرَانٍ بين الكَوْكَبَيْن العُلْوِيَّيْن من السَيَّارَةِ يَقْتَضِي ذلك في أحْكامهم، وكان الأميرُ يَتَوَقَّعُهَا؛ فقال له: احْتَفِظْ بالدّولة من الرّجل، فإنّه صاحبُ القِران والدّرهم المُرَبّع، في كلامِ سَفْسافٍ(2) بِسَجْعٍ سُوقِيّ يَتَنَاقَلُ النّاسُ نَصّه، وهو: اجْعَلْ عَلَى رِجْلِهِ كَبْلاً لِئَلاّ يُسْمِعَكَ طَبْلاً، وأَظُنُّه صَاحِبَ الدِّرْهَمِ المُرَبَّعِ.

فَطَلَبَهُ عليّ بنُ يوسف، فَتَفَقّدَهُ، وسَرَّحَ الخَيّالَةَ في طَلَبِهِ، فَفَاتَهُم. ودَاخَلَ عاملُ السُّوسِ، وهو أبو بكر بن محمّد اللّمتونيّ، بَعْضَ هَرْغَةَ في قتْله، ونَذَرَ بهم إخوانُهم، فَنَقَلُوا الإمامَ إلى مَعْقِل امْتِناعهم وقتلوا من داخَلَ في أمْره. ودَعَوْا المصامِدَةَ إلى بَيْعته على التّوحيد وقتال المُجَسّمينَ دونَهُ،

(أ) الكاف المشمة من ف.

---

(1) أندلسي، له مُشاركة في كثير من العلوم، يذكر المراكشي أن له تحقق بكثير من أجزاء الفلسفة، وكان له عناية بالملاحم ونفاذ في سِرّ الحرف وعلم الزّايرجة، (العبر 2: 379، 388). صاحب الأمير عليّ بن يوسف بن تاشفين وكان يشير عليه ويتقرّى له الحدثان. وكان متواضعًا. وفاته سنة 550 هـ. (انظر عنه المراكشي: المعجب 185، ابن الأبّار: الحلّة السّيراء 2: 76، السيوطي: بغية الوعاة 2: 271، ابن شاكر عيون التواريخ 12: 110. الصفدي: الوافي بالوفيات 25: 80 .

(2) السَّفْسَاف: الرّديءُ من كلّ شيء .

سنة[أ] خمسَ عشرةَ وخمس مائة. فتَقَدّمَ إليها رجالاتهم من العَشرة وغيرُهم، وكان فيهم من هِنتاتة أبو حَفص عمرُ بن يحيى، وأبو يَحْيى بن يكّيت، ويوسفُ بن وانّودين، وابن يَغمور[ب]، ومن تينملّل: أبو حفص عمر بن عليّ آصْناكْ، ومحمد بن سُليمان، وعمر بن تَافْرَاكِين، وعبد الله بن مُلْوِيات[ج]. وأَوْعَبَ قبيلةَ هَرْغَة فَدَخَلُوا في أمره كلُّهم، ثمّ دخل معهم كَدْمِيوَة[د] وكَنفِيسَة. ولمّا كَمُلَتْ بيعتُه لقّبوه بالمهديّ، / وكان لقبُه قَبْلها الإمامَ. وكان يُسَمّي أصحابَه الطّلبةَ، وأهلَ دعوته الموحِّدِين. ولـمّا تَمَّ له خمسون من أصحابه سَمَّاهم إيت الخمسين. [ 188 أ ]

وَزَحَفَ إليهم عاملُ السّوس أبو بكر بن محمد اللَّمْتُوني بمكانهم من هَرْغَة، فاسْتَجَاشُوا بإخوانهم من هِنتاتة وتينملّل، فاجتمعوا إليهم وأَوْقَعُوا بعسكر لمتونة، فكانت مقدّمةَ الفَتح. وكان الإمامُ يَعِدُهُمْ بذلك، فاسْتَبْصَرُوا في أمره، وتسابق كافّتهم إلى الدّخول في دَعْوته. وتردّدت عساكرُ لَمتونة إليهم مَرّة بعد أخرى فَفَضُّوهُمْ. وانتَقَلَ لثلاث سنينَ من بَيْعته إلى جبل تينمَلّلْ فَأَوْطَنَهُ، وبنى دارَهُ ومسجدَه بينهم وحوالَي منبع وادي نَفِيس، وقاتلَ من تخلّف عن بَيْعته من المصامِدَة حتىّ اسْتَقَامُوا. فقَاتل أوّلا هَزْرَجَةَ، وأوقع بهم مِرَارًا، ودَانُوا بالطّاعة، ثمّ قاتل هَسْكُورَة ومعهم أبو دَرْقة اللّمتوني، فغَلَبَهُمْ وَقَفَلَ، فاتَّبَعَهُ بنو وازكّيت[ه]، فَأَوْقَعَ بهم الموحّدون وأثْخَنُوا فيهم قتلاً وإسارًا. ثمّ غَزَا بلدَ غَجْدَامَة[ه]، وكان قد افْتَتَحَهُ وَتَرَكَ به الشّيخ أبا محمّد عطيّةَ من أصحابه، فغَدروا به وقَتلوه، فغَزاهم واسْتَبَاحَهم

(أ) من حاشية ظ. وسقطت من ف

(ب) بعده في ظ ف: وابن ياسين، ثم شطبت في كليهما

(ج) كذا ضبطت في ظ

(د) الضبط في ظ، وبعدها: هَزرجَة وبنو واركِيت، ثم شُطِبَتَا

(ه) كذا ضبطت في ظ. وجاءت مهملة في ف.

ورجع إلى تينملّلْ. وأَقَامَ بها إلى أن كان شأنُ البشِيرِ، ومَيَّزَ المُوَحِّدَ مِنَ المُنافقِ، وكانوا يُسَمَّونَ لمتُونَةَ الحَشَمَ، فاعْتَزَمَ على غَزْوِهِمْ، وَجَمَعَ كافّةَ أهل دَعْوته من المصامِدَة. وَزَحَفَ إليهم فَلَقَوْهُ بِكيكِ(أ) وَهَزَمَهُمْ الموحّدون واتَّبَعُوهُمْ إلى أَغْمات، فَلَقِيَهُمْ هنالك زُحُوفُ لمتونة مع يكّو بن عليّ بن يوسف وإبراهيم بن تاعيّاشَت، فَهَزَمَهُمْ الموحّدون، وقُتِلَ إبراهيم، واتَّبَعُوهُمْ إلى مَرّاكُش، فَنَزَلُوا البحيرةَ في زهاء أربعين ألفًا كلُّهُمْ رَجْلَى إلاّ أربعُ مائة فارس. واحْتَفَلَ عليٌّ بن يوسف في الاحتشاد، وَبَرَزَ إليهم لأَرْبَعِينَ من نُزولهم عليه من باب أيْلان، فهزمَهم وأَثْخن فيهم قتلاً وسبْيًا، وفُقِدَ البَشيرمن أصحابه، واسْتَحَرّ القتلُ في هَيْلانة، وأَبْلَى عبدُ المؤمن في ذلك اليوم أحسنَ البلاء.

وكانت وفاةُ المهديّ لأربعة أشهر بَعْدها. وكان يُسَمّي أتباعَه بالموحّدين [188 ب] / تعريضًا بلَمْتُونَةَ في أخذهم بالعُدُولِ عن التّأويل ومَآلِهِ إلى التَّجْسيم. وكان حَصُورًا لا يأتي النّساءَ، وكان يَلْبَسُ العَباءَة المرقّعة، وله قَدمٌ في التّقشُّف والعبادة، ولم تُحْفَظْ عنه فَلْتَةٌ في البِدْعة إلاّ ما كان من وفاقِهِ الإماميّةَ من الشّيعة في القَوْلِ بالإمام المعْصُومِ.

(أ) كذا ضبطت في ظ.

## 3• الخبرُ عن دَوْلة عبْد المؤْمن خَليفةِ المَهْديّ، والخلفاءِ الأربعةِ من بَنيه، ووَصْف أحوالِهم ومَصَائِر أُمورِهم.

لما هَلَكَ المهديُّ سنة ثنْتين وعشرينَ كما ذكرناه، وقد عَهِدَ بأَمْره من بَعْده لكبير صَحَابَتِهِ عبْدِ المؤْمِن بن عليّ الكُومِيّ، المتقدّم ذكْرُه ونَسبُه عند ذكر قَوْمه، فقُبِرَ بمَسْجده لِصْق دَارِهِ من تِينمَلّلْ. وخَشِيَ أصْحابُه من افتراق الكَلِمة وما يُتوقَّعُ من سُخْطِ المصامِدَة ولِاَيَة عبد المؤمن لِكَوْنِه من غير جِلْدَتِهِمْ، فأرْجَوْا الأمرَ إلى أن تُخَالِطَ بشاشةُ الدَّعْوَةِ قُلوبَهم، وكَتَمُوا موْتَه، زَعَمُوا ثَلاَثَ سنين، يُمَوِّهُونَ بمرضه، ويُقِيمُون سُنَّتَهُ في الصّلاة والحِزْبِ الرَّاتِبِ، وَيَدْخل صَحابتُهُ إلى البَيْت كأنّه اخْتَصَّهُمْ بعيادَته، فَيَجْلِسُون حِفَافَيْ قَبْرِهِ، ويَتَفَاوَضُونَ في شُؤُونهم بمحضر أختِه زَيْنب، ثمّ يَخْرُجُون لإنْفَاذِ ما أَبْرَمُوه، ويَتَوَلاَّهُ عبْدُ المؤْمِن بتَسْليمهم. حتىّ إذا اسْتَحْكَمَ أمرُهم، وتمكَّنَت الدّعوةُ من نفوسِ كَافّتِهِمْ، كَشَفُوا حينئذٍ القِنَاعَ عن حالهِم. وتَمَالأَ مَن بَقِيَ من العشَرة على تَقْديم عبد المؤْمِن، وتَوَلّى كِبْرَ ذلك الشيخُ أبو حَفْصٍ، وأَرَادَ[1] هِنْتاتَةَ وسَائرَ المصامِدَةِ عليه، فَأَظْهَرُوا للنّاس موْتَ المهديّ وعَهْدَهُ لصَاحِبِهِ وانقيادَ بقيّة أصحابه لذلك.

ورَوَى يحْيى بن يَغْمُور عن الإمام أنّه كان يقولُ في دُعَائه إثر صلواته: اللّهمَّ باركْ لي في الصّاحِبِ الأفْضَلِ. فَرَضِيَ الكَافّةُ وانْقَادُوا وأَجْمَعُوا على بَيْعَتِه بمدينة تِينمَلّلْ، سنَةَ أربعٍ وعشرين، فقام بأمر الموحّدين، وأبْعَدَ في

(1) أراده على الشيئ، حرّضه عليه.

[189 أ] الغَزواتِ، فَصَبَّحَ تَاذْلاَ وأَصَابَ منهم. ثـمّ غزا / دَرْعَةَ واستَوْلَى عليها سنة ستّ وعشرين. ثمّ غزَا تاسفيون(أ) وافتتحها، وقَتل واليَها أبا بكر بن مزروال ومن كان معه من قومه غُمارَة بني ونار وبني مززدغ(ب). ثمّ تَسَابَقَ النّاس إلى دَعْوَتِهم أفواجًا. وانْتَقَضَ البرابرُ في سائر أقطار المغرب على لَمْتونة، وسَرَّحَ عليٌّ بنُ يوسف ابنَه تاشفين لِقِتالهم سنةَ ثلاثٍ وستّين، فجاءَهم من ناحية أرض السّوس، واحْتَشَدَ معه قبائلُ كَزولَة وجعلهم في مُقدِّمَتِه، فلَقِيَهُمْ الموحّدون بأوائل جَبَلهم وهَزموهم، ورجع تاشفين ولم يَلْقَ حربًا. ودخل كَزولَةُ من بعدها في دَعْوة الموحّدين.

وأجمع عبدُ المُؤمِن على غَزْو بلاد المغرب، فغزَا غَزاتَه الطّويلة، منذ سنة أربع وثلاثين إلى سنة إحدى وأربعين، ولمّا يُرَاجِعْ فيها تِينمَلّل *حتّى انْقَضَتْ بالفَتْح والاستيلاء على المغربَيْن*(ج)، خرجَ إليها من تينمَلَّلْ وخرج تاشفينُ بعساكره يُحَاذِيهِ في البَسِيطِ، والنّاسُ يَفِرّونَ منه إلى عبد المؤمِن، وهو يتَنقّلُ في الجبال في سَعَةٍ من الفواكه للأكْل والحطبِ للدّفء إلى أن وَصل إلى جبال غُمارَة. واشْتَعَلَت نارُ الفِتْنة والغلاء بالمَغْرب، وامْتَنَعَت الرّعايا من المَغْرَم، وألَحّ الطّاغِيَةُ على المسلمين بالعُدْوَةِ. وهلَكَ خلالَ ذلك عليٌّ بن يوسف أميرُ لَمْتُونَةَ. وَمَلَكَ العُدوتَيْن سنةَ سبع وثلاثين وخمس مائة، وَوَلِيَ أَمْرَهُمْ تاشفينُ ابنُه، وهو في غزاتِه هذه وقد أُحِيطَ به. وحَدَثَ بعد مَوْت أبيه عليٍّ فتنةٌ بين لَمْتونَةَ ومَسُّوفَةَ، فَفَزِعَ أمراءُ مَسُّوفَةَ مثل بران بن محمّد ويحيى بن تاكغت ويحيى بن إسحاق المعروف بانكمار وكانَ وإلِيَ تِلِمْسان، ولَحِقُوا بعبد المؤمِن فيمَنْ لهم من الجُمْلَةِ، ودَخلوا في دَعْوته،

(أ) مهملة في ف (ب) ف: مرردغ (ج) سقطت الفقرة بين نجمتين من ف.

ونَبَذَ إليهمْ لَمتُونَةُ العَهْدَ وإلى سائر مَسُوفَةَ. واسْتَمَرَّ عبدُ المؤمن على حاله، فَنَازَل سَبْتَةَ وامتنعَت عليه، وتَوَلَّى كِبْرَ دفاعه عنها القاضي عياضُ [1] الشَّهِيرُ الذِّكْرِ، كان رئيسَها يومئذٍ، بدينه وأُبُوّتِهِ ومنْصِبه، ولذلك سَخِطَتْهُ الدَّولةُ آخرَ الأيّام حتىّ مات مُغَرَّبًا عن سَبْتَة بتَادْلاَ، مُسْتَعْمَلاً في خطّة القضاء بالبادية.

وتَمَادَى عبدُ المؤمن في غزاته / إلى جبال غياتة[أ] وبطوية[ب]، [ 189 ب ]
فافتتحها ثمّ نَزَلَ مَلْوِيَّة، فافْتَتَحَ حصونَهَا ثمّ تخَطَّى إلى بلاد زَنَاتَة، فَأَطَاعَتْهُ قبائلُ مَدْيُونَة، وكان بعث إليهم عساكرَ من الموحّدين لنَظر يوسفَ بنِ وَانُّودِين وابن يومور[ج]، فخرج إليهم محمد بن يحيى بن فانُّوا[د] عاملُ تِلِمْسان فيمن معه من عساكر لَمتونة وزناتة، فهزمهم الموحّدون، وَقُتِلَ ابنُ فانُّوا، وانفَضَّ عَسكَرُ زَناتة ورجعوا إلى بلادهم. وَوَلَّى ابنُ تاشفين على تلِمْسان أبا بكر بن مَزْدلي. ووصلَ إلى عبد المؤمِن بمكانه من الرِّيفِ أبو بكر بن ماخوخ، ويوسف بن يَدّر، أمراءُ بني وَمَانُّو[هـ]، فبعثَ معهم ابنَ يَغْمور وابن وَانُّودِين في عسكرهم من الموحّدين، فَأَثْخَنُوا في بلاد بني عبد الوادِ وبني يَلومي سبْيًا وأَسْرًا، وأَمَدَّتْهُمْ[د] عساكرُ لمتونة ومعهم الزُّبْرْتَير [2] قائد

(أ) محملة في ف. وفي الأنيس المطرب 95 الحاشية 162، بالثاء المثلثة. وهي قبيلة تسكن مواطنها القديمة بإقليم تازة وتشتمل على أحد عشر بطنًا (ب) ف: تطونة (ج) ف: يوموز (د) الضبط من ظ (هـ) ومانوا.

---

(1) عياض بن موسى اليحصبي السبتي (476 - 544 هـ/ 1082 - 1149 م) من أعلام المغرب في اللغة والحديث ولي قضاء سبتة وغرناطة، وفاته بمراكش -قيل- مسمومًا. النباهي: قضاة الأندلس 101. ابن خلكان: وفيات الأعيان 3: 483، الصفدي: الوافي بالوفيات 23: 428، سير أعلام النبلاء 20: 212 .

(2) علي بن الزبرتير، أبو الحسن، اعتنق الإسلام وخدم الموحدين قائدًا في جيشهم. أرسله الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى ابن غانية بميورقة، فاحتجزوه، ثم تخلّص وشارك في معارك قفصة ضدّهم وضدّ قراقش والأعراب سنة 583 هـ / 1187 م فأسِرَ وعُذّب حتى الموت. انظر البيان المغرب 5: 175، 183- 188، 240، عصام سيسالم: جزر الأندلس المنسيّة 249، 353، 367، محمد المغراوي: الموسوعة المغربية 4266.

الرّوم، فَنَزَلُوا منداس. واجْتَمَعَتْ عليهم زَناتة في بَني يَلومي وبَني عبد الواد وشيخُهم حمامةُ بن مُطَهِّر، وبني بنكاسَنْ وبني وَرْسِيفَان وبني تُوجِّين، فَأَوْقَعُوا ببني ومَانُّو، واسْتَنْقَذُوا غنائمهم من أيديهم، وقتلوا أبا بكر بن ماخوخ في ستّ مائة من قَوْمه، وتَحَصَّن الموحّدون[أ] وابنُ وَانُودِين بجبال سيرات. ولَحِقَ تاشفين بنُ ماخوخ بعبد المؤمن صريخًا على لَمْتُونَةَ وزَناتَة، فارْتَحَلَ معه إلى تِلِمْسَان. ثم أجَازَ إلى سيرات، وَقَصَدَ محلّةَ لَمْتُونَة وزَناتَة، فأوْقع بهم. ورجع إلى تِلِمْسَان، فَنَزَلَ ما بين الصّخْرَتَيْن من جبل بني ورنيد. ونزل تاشفين بإصْطَفْصِف[ب]، وَوَصَلَ[ـه] مَدَدُ[ج] صِنْهَاجَة، من قِبَلِ يحيى بن العزيز صاحب بِجَايَة، لنَظر طَاهِر بن كبَّابٌ[د] من قُوّاده، أمَدُّوا به تاشفين وقومَه لعصبيّته الصّنهاجية. وفي يوم وُصوله أشْرَفَ على مُعَسكر الموحّدين، وكان نَزَلَ بإقْدام وبأس، فَزَرَا بِلَمْتُونَةَ وأميرِهم لقُعودهم عن مُناجَزة المُوَحّدين، وقال: إنَّما جئتكم لأُمَكِّنَكُمْ من صاحبكم عبدِ المؤمن هذا وأرْجِعُ إلى قومي؛ فامْتَعَضَ تاشفين لكلمته، وأذِنَ له في المُناجَزة، فَحَمَلَ على القومِ فَرَكِبُوا وصَمَّمُوا لِلِقَائِهِ، فكان آخِرَ العهد به وبعَسْكره.

وكان / تاشفينُ بعث من قبل ذلك قائدَه على الرّوم الرُّبُرْتَيْر[هـ] في [190 أ] عسكر ضخمٍ كما قُلْناه، فأغار على بني [سنوس][و] وزَناتَة الذين كانوا في بسيطهم، ورجع بالغنائم، فاعترضَهُ الموحّدون من معسكر عبد المؤمن فقتلوهم، وقُتِلَ الرُّبُرْتَيْر[1] وصُلِبَ. ثم بعث بعثًا آخر إلى بلاد بني ومانُّو

(أ) ظ: الموحّدين (ب) كذا ضبط في ظ، ف: اصطنضيف (ج) ظ: ووصل مَدَدُه، ف: ووصل عدده (د) ف: كتاب
(هـ) كذا ضبط الاسم في ظ (و) ظ سنسوس (ز) ظ بفتح الراء المشددة فأجريناها على ما سبق، ف: الربرتين.

(1) نبيل وفارس كتلاني، اسمه Berenguer Reverter، كان أبوه Reveter الأول فيكونت كونتيّة برشلونة، ولد في المغرب، وكان قائد الروم في صفوف الجيش المرابطي. واجه عبد المؤمن في معركة على تراب بني سنوس قتل فيها سنة 539 هـ / 1144م، وترك ابنا أصبح من قواد الموحدين. انظر محمد المغراوي: الموسوعة المغربيّة.

فَلَقِيَهُمْ تاشفين بن ماخوخ ومن كان معه من الموحّدين، وأَوْقَعُوا بهم، واعْتَرَضُوا عسكرَ بِجَايَةَ عند رجوعهم، فَنَالُوا مِنْهُمْ أعظمَ النَّيْلِ. وتوالَت هذه الوقائع على تاشفين، فأجْمَعَ الرِّحْلَةَ إلى وَهْرَان، وبعث ابنه إبراهيمَ وليَّ عَهْدِهِ إلى مَرَّاكُش في جماعة من لَمْتُونَة، وبعث كاتبًا معه أحمدَ بنَ عطيّة. ورحل هو إلى وَهْرَانَ سنةَ تسع وثلاثين، وأقام عليها شهرًا ينتظر قائدَ أُسْطُولِهِ محمّدَ بنَ ميمون، إلى أن[أ] وَصَلَهُ من المَرِيَّة بعشرة أساطيل[1]، فأَرْسَاهَا قريبًا من معسكره. وزَحَفَ عبدُ المؤمِن من تلِمْسان، وبعث في مُقَدِّمَتِهِ الشّيخ أبا حَفْص عمرَ بن يحيى، وبني وَمَانُّو من زَنَاتَة، فتَقَدَّمُوا إلى بلاد بني يَلُومي وبَني عبد الواد وبني وَرْسيفَن[ب] وبني تُوجِّينَ، وأَثْخَنُوا فيهم حتّى دخلوا في دَعْوتهم.

ووَفَد على عبد المؤمن برُؤسائهم، وكان منهم سَيِّدُ النّاس ابنُ أمير النّاس، شيخ بني يَلومي، فتَلَقَّاهُمْ بالقَبول. وسار في جُموع الموحّدين إلى وَهْرَان، ففَجَأُوا لَمْتونة بمعسكرهم ففَضُّوهُمْ. ولَجأ تاشفين إلى رَابِطَةٍ هنالك، فأَحْدَقُوا بها وأَضْرَمُوا النّيران حولَها حتّى غَشِيَهُمُ اللّيلُ، فخرج تاشفين من الحصن راكبًا على فرسه، فتَرَدَّى من بعض حافاتِ الجبل، وهَلَكَ لسبعٍ وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمس مائة، وبُعِثَ برأسه إلى تِينْمَلَّلْ. ولَجَأَ فَلُّ العسكر إلى وَهْرَان، فانْحَصَرُوا مع أهلها حتّى جَهَدَهُمُ العَطَشُ، ونزلوا جميعًا على حكم عبد المؤمن يومَ الفِطْر من تلك السّنة. وبَلَغَ خبرُ مَقْتَل تاشفين إلى تِلِمْسَان مع فَلِّ لَمْتُونَة، وفيهم أبو بَكْر بن وَنْجِي[ج]

(أ) سقطت من ف (ب) تقدم رسمها بالمدّ بعد الفا: ورسيفان (ج) الضبط من ظ. انظر البيذق 59 .

(1) أي بعشر سُفن.

[190 ب] وسَيْر بن الحاج وعليّ بن قِيلو، في آخرين من أعيانهم، ففرّ معهم/ مَن كان بها من لَمْتُونة. وقدِمَ عبدُ المؤمن، فقَتَلَ من وجد بتاكرارث[أ]، بعد أن كانوا بعثوا ستّين من وُجوههم فلَقِيَهُمْ يِصِليتن من مَشْيخة بني عبد الواد، فقتلَهم أجمعين.

ولمّا وصلَ عبدُ المؤمن إلى تِلِمْسَان، اسْتَبَاحَ أهل تاكرارت لِما كان أكثرهم من الحَشَم، وعفَا عن أهل تِلِمْسَانَ. ورَحل عنها لسبْعة أشْهرِ من فتْحها، بعد أن وَلّى عليها سليمانَ بن محمّد بن وَانّودين، وقيل يوسفَ بن وانّودين. وفيما نقلَ بعضُ المؤرخين، أنّه لم يزل محاصرًا لتِلِمْسَان والفتوحُ تَرِدُ عليه، وهناك وصلَتْه بيعة سِجِلْمَاسَة. ثمّ اعْتَزَمَ على الرّحيل إلى المغرب، وترك إبراهيم بن جامع محاصِرًا لتِلِمْسَان، فقَصَدَ فاسَ سنةَ أربعين وقد تَحَصن بها يحيى الصحراويّ، لَحِقَ بها من فَلّ تاشفين من تِلِمْسَان، فنَازَلَهُمْ عبدُ المؤمن، وبعث عسكرًا لحصار مِكْنَاسَة. ثمّ رَحَلَ في أتباعه وترك عسكرًا من الموحّدين على فاس، وعليهم الشّيخُ أبو حفص وأبو إبراهيم من صَحابة المهديّ العشرة، فحَاصَروها سبعةَ أشهرٍ، ثمّ دَاخَلَهُمْ ابنُ الجيّاني مُشْرِفُ البلَد، وأَدْخَلَ الموحّدين[ب] ليلاً، وفرّ الصّحراويّ إلى طَنْجة وأجاز منها إلى ابن غانِيَة بالأندلس.

وبلَغ خبرُ فاس إلى عبد المؤمن وهو بِمكانه منحصار مِكْنَاسَة، فرجَع إليها، ووَلّى عليها إبراهيم بن جامع، وَوَلّى على حِصار مِكْناسة يَحيى بنيَغمور. ورحل إلى مَرّاكُش، وكان إبراهيم بن جامع لمّا افتتح تِلِمْسَان ارْتَحَلَ إلى عبد

(أ) من ف. في ظ: تاكرات، وتجيء عنده بعد صحيحة (ب) ظ: الموحدون .

المؤمن وهو محاصرٌ لفاس، فاعْتَرَضَهُ في طريقه المَخَضَبُ[أ] بنُ عسكر أميرُ بني مَرين، بأكرسيف ونالوا منه ومن رِفْقَتِه؛ فكتب عبدُ المؤمن إلى يوسف بن وانودين عاملِ تِلِمْسَان أن يُجَهِّزَ إليهم العساكر، فبَعَثَها صحبةَ عبد الحقّ بن منغفاد[ب] شيخ بني عبد الواد، فأَوْقَعُوا ببني مَرين، وقُتِلَ المَخَضَبُ أميرُهم. ولمّا ارْتَحَلَ عبد المؤمن من فاس إلى مَرَّاكُش، وَصَلَتْه في طريقه بيعةُ أهل سَبْتَة، فولّى عليهم يوسفَ / [191 أ] بن مخلوف من مشيخة هِنْتاتة، وَمَرَّ بسَلاَ، فافتتَحها بعد مُواقفةٍ قليلة، وَنَزَلَ منها بدار ابن عشرة، ثمّ تمادى إلى مَرَّاكُش. وسَرَّح الشيخَ أبا حفص لغزو بَرْغَوَاطة، فأَثْخن فيهم وزجع، ولَقِيَهُ في طريقه، وَوَصَلُوا جميعا إلى مَرَّاكُش وقد ضَوى[1] إليها جموعُ لَمْطَة، فأَوْقَعَ بهم الموحّدونو أَثْخَنوا فيهم قَتْلاً، واكْتَسَحُوا أموالَهم وظعائنهم. وأقاموا على مَرَّاكُش تسعةَ أشهر وأميرُهم إسحاقُ بن عليّ بن يوسف، بَايَعُوهُ صبيًّا صغيرًا عند بلوغ خبر أبيه. ولمّا طال عليهم الحصار وجَهَدَهم الجُوعُ، بَرَزُوا إلى مُدافعة الموحّدين، فانْهزَمُوا، وتَتَبَّعَهُمُ الموحّدون بالقَتْل، واقتحموا عليهم المدينةَ في أخريات شوّال سنةَ إحدى وأربعين. وقُتِلَ عامّةُ الملثّمين، ونَجا إسحاقُ في جُمْلَتِهِ[ج] وأعيانِ قَوْمِهِ إلى القَصَبَة حتّى نزلوا على حُكْمِ الموحّدين. وأُحْضِرَ إسحاقُ بين يَدَيْ عبد المؤمن فقَتَلَهُ الموحّدون بأيديهم، وتولّى كِبْرَ ذلك أبو حَفْص بن واكّاك منهم. وانْمحَى أثرُ الملثَّمِين، واسْتَوْلَى الموحّدون على جميع بلاد المغرب.

(أ) ظ: المخصب (ب) منعقاد (ج) ظ: حملته.

(1) ضوى: مال وانضمّ إليه، ولجأ وأوى.

ثمّ خرج عليهم بناحيّة السّوس ثائرٌ من سُوقة سَلا، يُعْرَف محمّد بن عبد الله بن هود، وتَلَقَّبَ بالهادي، وظَهَرَ في رباط مَاسَّة. فَأَقْبَلَ إليه الشِّرارُ من كلّ جانب[أ]، وانصَرَفَتْ إليه وُجوهُ الأَغْمار من أهل الآفاق، وأخذ بدَعْوته أهلُ سِجِلْمَاسَة ودَرْعَة وقبائلُ [دُكَالَة][ب] ورَكراكة وقبائل تَامِسْنَا وهَوَّارَةَ، وفَشَتْ ضَلاَلَتُه في جميع المغرب، فَسَرَّحَ إليه عبدُ المؤمن عسكرًا من الموحّدين لِنَظَرِ يحيى إنكمار المسّوفي، النّازِعِ إليه من إيالة تاشفين بن عليّ، ولَقِيَ هذا الثائرَ الماسّي، ورَجَعَ مهزومًا إلى عبد المؤمن. فسرّح الشيخَ أبا حفص عمرَ بنَ يحيى وأشياخَ الموحّدين، واحتفلَ في الاسْتِعْداد، فنهضوا إلى رابطة مَاسَّة. وبرزَ إليهم الثّائر في نحو ستّين ألفًا من الرّجال وسبع مائة من الفُرْسان، فهزمَهم الموحّدون، وقُتِلَ دَاعِيَتُهم في المعركة مع أكثر أَتْباعه، وذلك في ذي الحجّة سنةَ إحدى وأربعين.

وكتب الشّيخ أبو حفص بالفتح إلى عبد المؤمِن، من إنْشاء أبي جعْفر بن عَطيّة الشّهير الذِّكْر؛ كان أبوه أبو / أحمد كاتبًا لِعَلِيّ بن يوسف [191 ب] وابنِه تاشفين، وتحَصَّلَ في قَبْضَةِ الموحّدين فعفَا عنه عبدُ المؤمن. ولـمَّا نَزَلَ على فاس، اعْتَزَمَ أبو أحمد هذا على الفرار، فَتُقُبِّضَ[ج] عليه في طريقه، واعْتَذَرَ فلم يُقْبَلْ عُذْره وقُتِلَ. وكان ابنُه أحمد كاتبًا لإسْحاق بن عليّ بِمَرَّاكُش، فشَمَلَه عَفْوُ السّلطانِ فيمن شَمَلَهُ من ذلك الفَلّ. وخَرَجَ في جُمْلَةِ الشّيخ أبي حَفْص في [وِجْهَتِه][د] هذه، وطَلَبَهُ للكتاب في ذلك، فأَجادَ، واسْتَحْسَنَ كِتَابَه عبدُ المؤمن لمَّا وَقَفَ عليه، فاسْتَكْتَبَهُ أوّلا، ثمّ ارْتَفَعَ عنده بخِلاله، فاسْتَوْزَرَهُ وبَعُدَ في الدَّوْلَةِ صِيتُهُ، وَقَادَ العساكِرَ، وجمعَ

(أ) ظ: حناب (ب) من ف وحدها (ج) ف : فقبض (د) من ف، وفي ظ : جهته.

الأموالَ وبذَلَها، ونالَ من الرّتبة عند السّلطان ما لم يَنَلْهُ أحدٌ في دَوْلَتِهم. إلى أن دبّتْ عقَارِبُ السّعاية إلى مِهَادِهِ الوَثِير فكان فيها حَتْفُه؛ ونَكَبَهُ الخليفة سنة ثلاثٍ وخمسين، وقتلَه بمخْبِسه، حسبما هو مشهور.

ولمّا انصرف الشيخ أبو حَفْص من غزَاةِ مَاسّة، أَرَاحَ بِمَرَّاكُش أيّامًا ثمّ خَرَجَ غازيًا إلى القائمين بدَعْوةِ الماسّيّ بجبال دَرَن، فَأَوْقَعَ بأهل نَفِّيس وهَيْلانَةَ وأَثْخَنَ فيهم بالقتل والسّبْي حتىّ أَذْعَنُوا بالطّاعة ورجع.

ثمّ خرج إلى هَسْكُورَة، وأَوْقع بهم وافْتَتَحَ معاقلَهم وحصونَهم. ثمّ نهض إلى سِجِلْمَاسَة فاستَوْلى عليها ورجع إلى مَرَّاكُش.

ثمّ خرج ثَالِثَةً إلى بُرْغُواطَة، فحاربوه مُدّة، ثمّ هَزموه. واضْطَرَمتْ[أ] نار الفِتْنة بالمغرب.

وانْتَقَضَ أهلُ سَبْتَة، وأَخْرَجُوا يوسف[ب] بن مَخْلُوفٍ التّينمَلّلي[1]، وقتلوه ومن كان معه من الموحّدين. وأجاز القاضي عياض البحرَ إلى يحيى

(أ) في ظ: ضطرمت (ب) ذكر الاسم مكررًا في ظ.

---

(1) عاش ابن خلدون بين القبائل البربرية في المغربين الأقصى والأوسط خاصة، وتلقّى خبر أنسابها وسجّل عاداتها وأسماء رجالها وفسّر بعض مُفردات لغتهم، واستنبط لها من قاعدة الإشمام القرآني الحروفَ التي تُنطق بها بين مَخرج حرفين، واتخذ لها حروفًا يَسَّر بها النّطق لتكون مُطابقة أو قريبةً مّما يلفِظه بها قومُها.

والنّسختان المعتمدتان في نشر هذا الجزء 12 كانتَا بين يدي المؤلّف، وقد رَسَم بيده مشجّرات الأنساب فيها، ونقل النّاسخان نصّهما عن أصله المصحّح. وبذلك يُعتبران مصدرَيْن في رَسْم ونُطق الأسماء البَربرية. ويُعتبران من أقدم وأوثق ما وَرد فيهما عن المادّة الأمازيغية تاريخًا وأسماءً.

وقد رسم في النسختين ما نسميه اليوم تينمَالْ. والنسبة إليه تينمالي. تينملّل، وتينمَلّلي. ويظهر أنّها خُفّفتْ مع الزّمن إلى ما هي عليه الآن، لذلك أبقيناها على الأصل القديم، ليجدَ فيها علماءُ اللّغة البربرية أصلاً محقّقا مضبوطا، تطوّر لديهم مع الزمن بالتخفيف.

ابن عليّ بن غانِيَة المَسُوفي الوالي بالأندلس، فَلَقِيَهُ بالخَضْرَاءِ، وطلب منه واليًا على سَبْتَة، فبعث معه يحيى بن أبي بكر الصّحراوي الذى كان بفاس منذ مُنازلة عبد المؤمن لها، وذكرنا أنّه لحِقَ بِطَنْجَة فأجاز البحرَ إلى الأندلُس، ولحِقَ بابن غانِيَة بقُرطبة وصار في جُملته، وبعثه ابنُ غانية إلى سَبْتَة مع القاضي عِياض كما ذكرناه، وقام بأمْرِهَا، وَوَصَلَ يَدَهُ بالقبائل التَّاكِثَةِ / [192 أ] لطاعة الموحّدين من بُرْغَوَاطَة ودَكَّالَة، على حين هَزيمتهم للموحّدين، كما ذكرناه، ولحِقَ بهم من مكانه بسَبْتَة. وخرج إليهم عبدُ المؤمن بنُ عليّ سنةَ ثِنْتين وأربعين فَدَوَّخَ بلادَهم واسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهم حتىّ انقادوا للطّاعة، وتَبَرَّأوا من يحيى الصّحراوي ولَمْتُونة، ورجع إلى مَرَّاكُش لستّة أشهر من خُروجه. ووصلَتْه الرّغبة من مَشيخة القبائل في يحيى الصّحراوي فعفَا عنه. وصَلَحَتْ أحوالُ المَغْرِب، وراجَعَ أهلُ سبتةَ طَاعَتَهُمْ، فَتَقَبَّلَ منهم، وكذلك أهلُ سَلاَ، [فصفح][أ] لهم وأمَرَ بهَدْم سُورهم.

## 4 • فَتْحُ الأَنْدَلُس، وشُؤُونُها

ثمّ صَرَفَ عبدُ المؤمن نظرَه إلى الأندَلُس، وكان من خَبرها أنّه اتّصل بالملثّمين مقتلُ تاشفين بن عليّ، ومُنَازَلَةُ الموحّدين مدينةَ فاس. وكان عليُّ ابن عيسى بن ميمون قائدُ أسطولهم قد نَزع طاعةَ لَمْتونةَ وانْتَزَى بجزيرة قادس[1]، فَلَحِقَ بعبد المؤمن بمكانه من حصار فاس، ودخل في دَعْوته،

(أ) من ف. وفي ظ: فصح.

(1) انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب 345، ياقوت: معجم البلدان 4: 290 الذخيرة السنيّة 70.

وخَطَبَ له بجامع قَادِس أوّل خطبةٍ خُطِبَتْ لهم بالأَندلس عامَ أربعين وخمس مائة. وبعث أحمدُ بن قَسِيّ[1] صاحبُ مَرْتُلَّة ومُقِيمُ الدّعوة بالأندلس، أبا بكر بن حُبَيْش[أ] رسولاً إلى عبد المؤمن، فَلَقِيَهُ على تِلِمْسَان، وأَدَّى كتابَ صاحبه، فأنكر ما تَضَمَّنَهُ من النَّعت بالمهديّ ولم يُجَاوِبْ. وكان سَدَّراي[ب] بن وزير، صاحبُ بَطَلْيَوْس وباجَة وغَرْبِ الأندلُس، قد تَغَلَّبَ على أحمد بن قَسِيّ هذا، وغَلَبَهُ على مَرْتُلَّة، فأجاز أحمدُ بن قَسِيّ البحرَ إلى عبد المُؤمن بعد فَتْح مَرَّاكُش، لمداخلةِ عليّ بن عيسي بن مَيْمون. ونَزَلَ بِسَبْتَة، فَجَهّزَهُ يوسف بن مَخْلوف، ولحق بعبد المُؤمن، ورَغّبَهُ في مُلْك الأندلس وأغراه بالملثّمين. فبعث معه عساكرَ الموحّدين لنظر برّان ابن محمّد المسّوفي النّازع إلى عبد المُؤمن من جُمْلَةِ تاشفين، وعقَد له على حَرْب من بها من لَمْتونة والثّوار، وأَمَدَّهُ بعَسْكر آخرَ لنَظَر موسى بن سعيد، / وبعدَه بعَسْكر آخر لنظر عمر بن صالح الصّنهاجي. ولمّا أجَازُوا | 192 ب إلى الأَندلس، نَازَلُوا أبا الغَمْرِ بن عزّون، من الثّوار بِشَرِيش، وكانَتْ له مع رُنْدَة.

ثمّ قَصَدُوا لَبْلَة، وبها من الثّوار يوسف بنُ أحمد البِطْرَوْجيّ، فأَعطاهم الطّاعةَ. ثم قَصَدُوا مَرْتُلَّة، وهي تحت الطّاعة، لتوحيد صاحبها أحمد

(أ) في ظ: حبسن. ف: حبيش، وهو ما في الأنيس المطرب 254 (ب) كذا في البيان المغرب 5: 34 وفي الأنيس المطرب 283 : سيداري.

---

(1) أحمد بن حسين، أصله من المولّدين أمراء تطيلة، أسلم جدّه عند فتح الأندلس، وأورد ابن حزم نسبهم في الجمهرة 499، 502. تزهّدَ وثار مع مريديه على المرابطين واستولى على مرتلّة. أخباره وترجمته عند المراكشي: المعجب 281، الذهبي: تاريخ الإسلام 12: 188، الصفدي: الوافي بالوفيات 7: 297.

ابن قَسِيّ. ثم قصدوا شِلْبَ فافْتَتَحُوهَا، وأمْكَنوا منها ابنَ قَسِيّ. ثمّ نَهَضُوا إلى باجة وبَطَلْيَوْس، فأطاعَهم صاحبُها سَدَّراي بنُ وَزير. ثمّ رجع برّان في عسكر الموحّدين إلى مَرْتُلَة حتّى انصَرَم فصلُ الشّتاء، فخرج إلى مُنازلة إشبيليّة، فأطاعَهُ أهلُ [طَلْيَاطَة](أ) وحصنِ القَصْر. وأجمعَ إليه سائرُ الثُوّار، وحاصروا إشْبِيلِيَّةَ برًّا وبحرًا إلى أن افْتَتَحوها في شعْبان من سنة إحْدى وأربعين. وفرّ المُلَثَّمون منها إلى قَرْمُونَة وقُتِلَ من أُدْرِكَ منهم، وأتى القَتْلُ على عبد الله بن القاضي أبي بَكْر بن العَربيّ في هَيْعَةِ تلك الدَّخْلَةِ من غير قَصْد.

وكتبوا بالفَتْح إلى عبد المؤمن بن عليّ، وقَدِمَ عليه وفودُهم بمَرَّاكُش، يَقْدُمُهُمْ القاضي أبو بَكْر، فتَقَبَّلَ طاعتَهم، وانصرفوا بالجوائز والإقْطاعات لجميع الوَفْد سنةَ ثنتَيْن وأربعين وخمس مائة. وَهَلَكَ القاضى أبو بكرٍ في طريقه، ودُفِنَ بمقبرة فاس.

وكان عبد العزيز وعيسى أَخَوَا(ب) المهديّ من مَشْيخة العَسْكر بإشْبيلية، فساءَ أثرُهما في البَلَد، واستطالَت أيديهما على أهله، واستباحا الدِّمَاء والأموالَ. ثمّ اعْتَزَمَا على الفَتْك بيوسف البِطْرَوْجيّ صاحبِ لَبْلَةَ، فَلَحِقَ ببلَده، وأخرجَ المُوَحِّدِين الذين بها وحَوَّلَ الدَّعْوَةَ عنهم، وبعثَ إلى طَلْيَاطَة وحصنِ القصر، ووصلَ يَدَه بالمُلَثَّمِين الذين كانوا بالعُدْوَة. وارْتَدَّ ابنُ قَسِيّ في مدينة شِلْب، وعليّ بن عيسى بن ميمون بجزيرة قادِس، ومحمّد ابن عليّ بن الحجّام بمدينة بَطَلْيَوْس. وثَبَتَ أبو الغَمْرِ بن عَزُّون على طاعة

(أ) ظ: طلياطنية. ف: طليطلة، وترد صحيحة لاحقًا (ب) سقط ألف التثنية من ظ ف.

الموحّدين بِشَرِيش ورُنْدَة وَجِهَاتِهِمَا. وَتغلَّبَ ابنُ غانِيَة على الجزيرة الخَضْراء. وانْتَقَض / أهلُ سَبْتَة كما ذكرناه. [193 أ] وضاقَتْ أحوالُ الموحّدين بإشْبِيليَّة، فخرج منها عيسى وعبد العزيز أَخَوَا[أ] المهديّ وابنُ عمّهما يَصْلَيْتَن بمن كان معهم ولَحِقوا بجبال بَبُشْتَرْ. وجاءَهم أبو الغَمْرِ بن عَزّون، واتَّصَلَتْ أيْديهم على حِصار الجزيرة حتّى افْتَتَحُوهَا، وقَتَلوا من كان بها من لَمْتُونَة. ولحِقَ أخوا[أ] المهدي بِمَرّاكُش. وبعث عبدُ المؤمن على إشْبِيلِيَّة يوسفَ بن سُليمان في عسكرٍ من الموحّدين، وأبقَى بَرّان بن محمّد على الجِبَايَةِ. فخرج يوسفُ ودَوَّخَ أعمالَ البِطْرَوْجيّ بلَبْلَةَ وطَلْياطة[ب] وعَمَلِ ابن قَسِيّ بشِلْب. ثمّ أغار على طبيرة[ج]. وأطاعه عيسى بن مَيْمون صاحب شَنْتَمَرِيَّة، وغَزَا معهم. وأرسل محمّدُ بنُ عليّ بن الحجّام صاحبُ بَطَلْيَوْس بهداياه، فَتُقُبِّلَت ورُعِيَتْ له، ورَجع يوسف إلي إشْبِيلِيَةِ.

وفي أثناء ذلك، اسْتَغْلَظَ الطّاغيَة علَى يَحيى بن عليّ بن غانِيَة بقُرْطُبَة، وألَحَّ على جهاته حتَّى نزل له عن بَيَّاسَة وأُبَّذَة وأُنْدَه. وتغلّب على الأُشْبُونَةَ وطَرْطُوشَةَ ولارِدَة وإفْرَاغَة وشَنْتَمَرِيَّةَ وغيرها من حُصون الأندلُس. وطالبَ ابنَ غانِيَة بالزِّيادة في ضَريبته أو الإفراجِ له عن قُرْطُبَة، فراسَل ابنُ غانيَة بَرّانَ بنَ محمد، واجتمَعا بإسْتِجَّة. وضَمِنَ له بَرّانُ إمدادَ الخَليفة على أن يَتَخَلَّى عن قُرْطُبَة وقَرمُونَةَ، ويُدَال منْها بجَيَّانَ، فَرَضِيَ بذلك، وتمّ العَقْدُ. ووصلَ خطابُ عبد المومن بإفضاله[د]. فارْتَحل ابنُ غانية إلى جَيَّانَ، ونازلَه الطّاغيَةُ بها، فغَدَرَ بأقْماطِهِ واعْتَقَلَهُمْ بقَلْعة[هـ] ابن سعيد. وأفْرَجَ

(أ) سقط ألف التثنية من ظ ف (ب) ظ: طظاله (مهملة)، ف: طلطانة (ج) ظ ف: صبرة (د) ظ: بامضالة. ف: باتصاله (هـ) وردت الكلمة مكرزة في ف للاصلاح.

الطّاغيةُ عن جيَّانَ، ولحق هو بغَرْناطَة وبها مَيمون بن بَدْر اللّمتوني في جماعةٍ من المرابطين، قَصَدَهُ ابنُ غانية لِيَحْمِلَهُ على مثْلِ حَالِهِ مع الموحّدين، فكان مَهْلِكُهُ بها في شعبان سنةِ ثلاثٍ وأربعين، وقبرُه بها معروفٌ لهذا العَهْد.

وانتَهَزَ الطَّاغِيةُ فُرْصَتَهُ في قُرْطُبَة فزحفَ إليها؛ ودفعَ الموحّدون بإشبيلية أبا الغَمْر بن عزّون لحمايتها. ووَصَل إليه مَددُ يوسف البِطْرَوْجيّ [19 ب] من لَبْلَةَ. وبلغ / الخبرُ عبدَ المؤمن، فبعث إليها عسكرًا من الموحّدين لنَظر يحيى بن يَغْمور، ولـمّا دخلها أَفْرَجَ عنها الطّاغية لأيّامٍ من مَدْخَلِهِ، وبادرَ الثُّوارُ إلى يحيى بن يَغْمور في طلب الأمان من عبد المؤمن، ثُمّ تَلاَحَقُوا به بمَرّاكُش، فتَقبَّلَهُمْ وصَفَحَ لهم. ونَهَضَ إلى مدينة سَلاَ سنةَ خمسٍ وأَرْبعين، واستَدْعى منْها أهلَ الأندَلُس، فوفَدوا عليه وبايَعوه جميعًا، وبايَعه الرُّؤساءُ من الثُّوَّارِ على الإنخِلاَعِ من الأمْرِ، مثل سَدّرايْ بن وزير صاحب باجَة ويَابُورَة[1]، والبِطْروجي[أ] صاحب لَبْلة، وابن عَزّون صاحب شَريش ورُنْدة، وابن الحجّام صاحب بطَلْيَوْس، وعامل[ب] بن مهيب صاحب طَلَبِيرَة. وتَخَلَّفَ ابنُ قَسِيّ وأهلُ شِلْب عن هذا الجَمْع، فكان سببًا لقتْله من بعد. ورجعَ عبدُ المؤمن إلى مَرّاكُش، وانْصَرَفَ أهلُ الأندَلُس إلى بلادهم، واسْتَصْحَبَ الثُّوّارَ، فلم يَزالوا بحَضْرته.

(أ) الطّاء المشمّة من ظ، وتنطق بين الطاء والتاء، مثل: الططر (ب) كذا في ظ ف والاستقصا 119 نقلا عن ابن خلدون، وفي البيان المغرب (قسم الموحدين) 45 : عامر بن مهيب.

(1) كذا في الأصلين كما كتبها الإدريسي في نزهة المشتاق 1: 538 ، 544 - ، وتُرسم في المصادر التاريخية والجغرافية يابُرَة. انظر معجم البلدان 424، البيان المغرب 44، 144 الاستقصا 119، مسالك البكري 2: 1492 .

## 5 • فَتْحُ إفريقيّة، وشُؤُونُها

ثمّ بلَغَ عبدَ المؤمن ماهي إفريقيّة عليْه من اخْتلاف الأمراء واسْتِطالة العَرب عليها بالعَيْث والفساد، وأنّهم حاصَروا مدينةَ القَيْروان، وأنَّ يونس ابن يَحيى الرّياحي المِرْداسي[أ] دخلَ مدينة باجَة وملكها، فأجْمع الرّحلةَ إلى غَزْو إفريقيّة بعد أن شاوَرَ الشّيخَ أبا حَفْص وأبا إبراهيم وغيْرَهما من المشْيَخة، فوافَقوه. وخرج من مَرَّاكُش في أواخر سنة ستٍّ وأربعين، مُورِّيًا بالجِهاد، حتىّ انتهى إلى سَبْتَة، واستوْضَح أحوالَ أهْل الأندلُس، ثمّ رحلَ عن سَبْتة مورِّيًا بِمَرَّاكُش. وأغَذَّ السّيرَ إلى بِجَاية، فدخلَ الجَزَائِرَ عَلَى حين غَفْلة. وخرج إليه الحسنُبن عليّ صاحبُ المهديّة[1] فصَحِبَه، واعترضَتْهُ[ب] جيوشُ صِنْهاجة بأُمّ العلُوّ فهزَمَهم. وصَبَّحَ بجايةَ من الغد فدخَلها. ورَكِبَ يَحْيى بن العزيز البحرَ في أسْطولَيْن كان أعَدَّهُم لذلك، واحتمل فيهما ذخائِرَه وأموالَه، ولحِقَ [بقُسْنطِينة][ج]، إلى أن نَزلَ بعد ذلك منها على أمانِ عبد المؤمِن، واستَقَرَّ بِمَرَّاكُش تحت الجِرَايَةِ والعناية إلى أن هَلَكَ، رحمه الله.

ثمّ سَرَّحَ / عبدُ المؤمن عساكرَ الموحّدين وعليهم ابنه عبدُ الله إلى | 194
القَلْعة، وبها جَوْشَن بن العزيز في جموع صِنْهاجة، فاقْتَحَمَها واسْتُلْحِمَ من كان بها منهم، وأَضْرَمَ النّارَ في مَساكنِها، وقُتِلَ جَوْشَن. ويُقَال إنّ القتلَى

(أ) من ف . في ظ: المراسي (ب) ف: اعترضه (ج) في ظ وف: قسطنطينة.

(1) هي رباط الفتح عُدْوة سَلاً (البيان المغرب 5: 43) وقد اختطّها عبد المؤمن بن علي (معجم البلدان 5: 229).

بها كانوا ثمانية عشرَ ألفًا. وامْتلأتْ أيدي الموحّدين من الغنائم والسّبْي. وبلَغ الخبرُ إلى العرب بإفريقيّة من الأَثبَج وزُغْبة ورياح وقُرّة، فعَسْكروا بظاهر باجة وتذَامَرُوا على الدّفاع عن مَلِكِهِمْ يحيى بن العزيز، وارْتحَلُوا إلى سَطِيف، وزَحفَ إليهم عبد الله بن عبد المؤمن في الموحّدين الذين معه. وكان عبدُ المؤمن قد قَفَلَ إلى المغرب وَنزَلَ مَتّيجَة، فلمّا بلَغه الخبرُ بعثَ المددَ لإبْنه عبد الله، والْتقَى الفريقان بسَطِيف، واقْتتَلُوا ثلاثا، ثمّ انفَضّتْ جموعُ العرب، واسْتُلْحِمُوا، وسُبِيَتْ نِساؤُهم واكْتُسِحَتْ أموالُهم وأُسِرَ أبناؤُهم.

ورجع عبدُ المؤمن إلى مَرّاكُش سنةَ سبعٍ وأربعين، ووفدَ عليه كُبَرَاءُ العرب من أهل إفريقيّة طائِعين، فَوَصَلَهُمْ، وَرَجَّعَهُمْ إلى قومهم. وعَقَد على فاس لابنه السيّد أبي الحسَن، واستَوْزر له يوسفَ بنَ سليمان. وعقد على تِلِمْسَان لابنه السيّد أبي حَفْص، واستَوْزر له أبا محمد بن وانُودين. وعلى سَبْتَة للسيّد أبي سعيد، واسْتَوْزر له محمد بن سليمان. وعلى بجاية للسيّد أبي محمّد عبد الله، واسْتوزر له يَخْلف بن الحسين. واختَصّ ابنَهُ أبا عبد الله بولاية عَهْده. و[نَغلَتْ](أ) بذلك كُلِّهِ ضَمائرُ عبد العزيز وعيسى أَخَوَيْ المهديّ، فَلَحِقَا بِمَرّاكُش مُضمِرينَ للغَدْر، وَأدْخَلُوا بعضَ الأَوْغاد في شَأْنِهِمَ فَتَوَثّبُوا بعُمَر بن تافراكين، وقَتلوهُ بمكانه من القَصَبة. ووصلَ على إثْرِهِمَا الوزيرُ أبو جعفر بنُ عطيّة وعبدُ المؤمن علي إثْره، فَطَفَأَ نار تلك الثّورة، وقُتِلَ أَخُو المهديّ ومن داخلَهم فيها.

(أ) قراءة ترجيحيّة لكلمة مُصحّفة، ففي ظ: تغلت. وفي ف: تغلب.

# 6 • بَقيّةُ فتْحِ الأندلُس

وَبَلَغَهُ بمَرَّاكُش سنةَ تسعٍ وأربعين، أنّ يحيى بن يَغْمور(أ) صاحبَ إشْبِيلِيَة، قتلَ أهلَ لَبْلَة[1] بما كان من غدْر / الوُهَنْتي(ب) لها، ولم يَقْبَلْ مَعْذرتَهم في ذلك، فَسَخِطَ يحيى بنَ يَغْمور، وعزلَه عن إشْبِيلِيَّة بأبي محمّد عبد الله بن أبي حَفْص بن علي التينْمَلّلي، وعن قرطبة بأبي زَيْد بن بكيت. وبعثَ عبدَ الله بن سليمان فجاء بابن يَغْمور مُعْتَقَلاً إلى الحَضْرة، وألْزَمه منزلَه إلى أن بعَثه معابنه السيّد أبي حَفْص إلى تِلِمْسَان. واستقامَ أمرُ الأنْدُلُس، وخرج مَيْمون بنُ بَدْر اللّمتوني عن غَرْناطة للموحّدين فَمَلكُوها، وأجاز إليها السيّد أبو سعيد صاحب سَبْتَة بعهد أبيه عبد المؤمن بذلك، ولحِقَ اللّمتوني بمَرّاكُش. ونازلَ السيّدُ أبو سعيد مدينةَ المَرِيَّة حتّى نزلَ من كان بها من النّصارى على الأمان. وحضَر لذلك الوزير أبو جَعْفر بن عَطِيّة، بعد أن أمَدَّهمْ ابنُ مَرْدَنيش الثّائر بشَرْق الأندلُس والطّاغية معه، وعَجَزوا جميعًا عن المُدَافعة. ثمّ وَفَد أشياخُ إشْبِيلِيَّة سنةَ إحْدى وخمسين، وَرَغِبُوا من عبد المُؤْمن ولايةَ بعض أبنائه عليهم، فعقدَ لابنه السيّد أبي يَعْقوب عليها. وافتتحَ أمرَه بمنازلة عليّ الوُهَنْتي الثّائر بطَبِيرَة ومَعه الوزيرُ أبو جعفر بن عطيّة حتّى استقام على الطّاعة، ثمّ استَوْلَى على عَمَل ابن وزير وابن قَسِيّ، واستَنْزلَ تاشفين اللّمتوني ° من مَرْتُلَّة سنةَ ثِنْتَيْن وخَمسين،

194 ب

(أ) كذا في ظ ف، وفي أخبار المهدي والبيان المغرب: يومور، بالتغز على الغين

(ب) ظ: الوُهَبي. وضبطت تامة في ف: الوُهَنْتي وترد تاليًا مصوّبة في البيان المغرب 5: 52: الوهيبي .

---

(1) انظر بيان ذلك في البيان المغرب 5: 52 -

وكان أمْكَنَ الملثّمين*(أ) منها ابنُ قَسِيّ، واسْتَتَمّ الفتحَ، ورجع السيّدُ إلى إشْبِيليّة. وانصرف أبو جعفر بن عَطيّة إلى مَرّاكُش، فكانت نَكْبَتُه ومقتلُه. واسْتَوْزَرَ عبدُ المؤمن بَعْدَه عبدَ السّلام الكوميّ، كان يَمُتُّ إليه بِذِمّة صِهْرٍ، فلم يَزَلْ على وَزارَته.

## 7 • بقيّة فتْح إفريقيّة

لـمّا بلغ عبدَ المؤمن سنةَ ثلاثٍ وخمسين ما كان من إيقاع الطّاغية بابنه السيّد أبي يَعقوب بظاهر إشْبِيلية، ومن اسْتُشهِدَ من أشياخ الموحّدين وحُفّاظِهِمْ، ومن الثُّوّارِ، مثل ابن عَزّون وابن الحجّام، نهض يُريد الجهادَ، واحتلّ بِسَلاً، فبلَغه / انتِقَاضُ إفريقيّة، وأَهَمّهُ شأنُ النّصارى [195 أ] بالمَهْدِيّة؛ فلمّا توافَتِ العساكرُ بسَلاً، اسْتَخْلَفَ الشيخَ أبا حَفْص على المغرب، وعقدَ ليوسف بن سليمان على مدينة فاس. ونَهض يَغُذُّ السَّيْرَ حتّى نازلَ المَهْديةَ ومن بها من نَصارى أهْل صِقِليّة، فافتتَحها صُلْحًا سنةَ خمسٍ وخمسين. واسْتَنْقَذَ جميعَ البلاد الساحليّة مثل صَفاقُس وطرابُلُس من أيدي العدوّ. وبعثَ ابنَهُ عبدَ الله من مكان حِصاره للمَهْديّة إلى قابِس، فاسْتَخْلَصَهَا من يَد بَني كامل المُتَغَلِّبِينَ عليها من دُهْمان، بعضِ بُطون رياح. واسْتَخْلَصَ قَفْصةَ من يَد بَني الوَرْد. وزُرْعَةَ من يَد بني يروكسنْ(1)، وطَبُرْبَة من يَدِ ابن عَلاّل، وجَبلَ زَغْوان من يَد بني حمّاد بن

(أ) سقط ما بين النجمين من ف.

(1) هو يروكسن بن بوعلي الصنهاجي، من أولياء العزيز بن المنصور صاحب بجاية والقلعة. انظر العبر 11: 379.

[خليفة][أ]، وشُقُبَنَّارِيَة من يَد بَني عَبَّاد بن نَصْر الله، ومدينةَ الأُرْبُص من يَدِ من مَلَكها من العَرب، حَسْبما ذلك مذكورٌ في أَخْبار هؤلاء الثوّار في دَوْلة صِنْهاجَة[1]. ولمّا اسْتَكْمَلَ الفتحَ وثَنَى عِنَانَهُ إلى المغْرب سنةَ ستٍّ وخمسين، بلَغه أنّ الأعْراب بإفريقيّة انْتَقَضُوا عليه، فَرَجَّعَ إليهم عسكرًا من الموحّدين، فنهَضوا إلى القَيْروان وأَوْقعوا بالعَرب، وقتلَ كَبيرَهم محرزَ بنَ زياد الفادِغي من بَني عليّ، أحد بُطون رياح.

## 8 • أخبارُ ابن مَرْدَنيش الثّائر بشَرْق الأَنْدَلُس

كان بلَغ عبدَ المؤمن وهو بإفريقيّة، أنّ محمّدَ بنَ مَرْدَنيش الثّائرَ بشَرْق الأندلُس، خرج من مُرْسِيَةَ ونازلَ جَيَّانَ، وأطاعَه واليها محمّدُ بنُ عليّ الكوميّ. ثمّ نازلَ بعدَها قرطبةَ، ورحل عنها، وغدَر بقَرْمُونَةَ وملَكها. ثمّ رجع إلى قُرْطبة، وخرَج ابن بكيت لحَرْبه فهَزَمَهُ وقتلَه.

فكتبَ إلى عُمّاله بالأندلُس بفَتْح إفريقيّة وأنّه واصِلٌ إليهم، وعبَرَ البحرَ إلى جبل الفَتْح، واجْتمع إليه أهلُ الأنْدَلُس ومن بها من الموحّدين. ثمّ رجعَ إلى مَرّاكُش، وبعثَ عساكرَه إلى الجهاد، ولَقِيَهم الطّاغيةُ فهزموه. وتَغَلَّبَ السيّد أبو يعقوب على قَرْمُونة من يَد ابن هَمَشْكٍ، صِهْرِ ابن مَرْدَنيش. / [195 ب] وكان السيّدان أبو يعقوب صاحبُ إشبيليّة وأبو سَعيد صاحبُ غَرْناطة ارْتَحلا لزيارة الخليفة بمَرّاكُش، فخالَفَ ابنُ هَمَشْك إلى

(أ) في ظ : خلفه.

(1) العبر 11: 378 - 382 .

مدينة غَرْناطَة، وغدَر بها ليلاً بِمُدَاخَلَةٍ من بعض أَهْلها، واسْتَولَى عليها، وانْحَصَر الموحّدون بِقَصَبتها. وخرج عبدُ المؤمن من مَرَّاكُش لاسْتِنْقَاذِهم فوصلَ إلى سَلاً، وقَدَّمَ السيّدَ أَبَا سعيد فأجازَ البَحْرَ، ولَقِيَهُ عاملُ إشبيليّة عبدُ الله بن أبي حَفْص بن عليّ، ونَهضوا جميعًا إلى غَرْناطة. فنهضَ إليهم ابن هَمشْكٍ وهَزَمَهُمْ. ورجع السّيدُ أبو سعيد إلى مَالَقَة، وَرَدَفَهُ عبدُ المؤمن بأخيه السّيد أبي يَعْقوب في عساكر الموحّدين، ونَهضوا إلى غَرْناطة، وكان قد وصلَها ابنُ مَرْدَنيش في جموعٍ من النَّصارَى مددًا لابن هَمَشْكٍ، فلَقِيَهُمْ الموحّدون بفَحْص غَرْناطة وهَزَموهم. وفَرَّ ابن مَرْدَنيش إلى مَكانه من الشّرْق، ولحِقَ ابنُ هَمشْك بجيّانَ، فنازلَه الموحّدون. وارتحلَ السَيّدان إلى قُرْطبة، فأقاما بها إلى أن اسْتُدْعِيَ السيّد أبو يعقوب لـمَرَّاكُش سنةَ ثمانٍ وخمسين لولاية العَهْد، والإدالَة به من أخيه محمّد، فلحق بمرّاكُش، وخرَج في ركاب أبيه الخليفة عبد المؤمن لمّاّ نَهَضَ للجهاد، وأدْرَكتْهُ الـمَنيَّةُ بسَلاً في جُمادى الآخرة من هذه السّنة، وقُبِر بتِنْمَلّلْ إلى جانب المهديّ.

## 9• دولةُ الخَليفة يوسف بن عبد المؤْمن

لمّا هَلَكَ عبدُ المؤمن، أخذَ البيعةَ على النّاس السيّدُ أبو حَفْص لأخيه أبي يَعْقوب بإصفَاقٍ من الموحّدين كافّةً ورضًى من الشّيخ أبي حَفْصٍ خاصّةً، واسْتَقَلَّ في رُتْبة وزارَته، ورَجعوا إلى مَرَّاكُش.

وكان السّيد أبو حَفْصٍ هذا وزيرًا لأبيه عبد المؤمن، اسْتَوْزرَهُ عند نكبة عبد السّلام الكوميّ، فَرَجَّعَهُ من إفريقية سنةَ خمسٍ وخمسين. وكان

أبو العُلى بن جامع مُتصرِّفًا بين يدَيْه في رَسْمِ الوزارة إلى أن هَلَكَ عبد المؤمن، فأخذ أبو حَفْص البيعَة لأخيه أبي يَعقوب، ثمّ هلك إثْرَ وَفاةِ عبد المؤمن ابنه السيِّدُ / [196 |] أبو الحسَن صاحبُ فاس، والسيّد أبو محمّد صاحبُ بجايَة في طريقه إلى الحَضْرة.

ثم اسْتَقْدَمَ أبو يعقوب السّيدَ أبا سعيد من غَرْناطة سنَةَ ستّين، فقَدِم ولَقِيَهُ السيّدُ أبو حَفْص بسَبْتَة. ثمّ سَرَّحَ الخليفةُ أبو يعقوب معه أخاه السيّدَ أبا حَفْص إلى الأندلُس في عساكر الموحّدين لِمَا بلغه من إلْحَاحِ ابن مَرْدَنيش على قُرطبة، بعد أن احْتشَد معه قبائلُ العَرب من زُغْبَة ورِياحٍ والأثْبج. فأجازَ البحرَ، وقصد ابنَ مَرْدَنيش وقد جمعَ جموعَه وأولياءَه من النّصارى، ولَقِيَتْهُم عساكرُ الموحّدين بفَحْص مُرْسِيَةَ، وانهزم ابنُ مَرْدَنيش وأصحابُه وفرَّ إلى مُرْسِيَة. ونازلَه الموحّدون بها ودَوَّخُوا نواحيَه. وانصرف السيّد أبو حَفْص وأخوه أبو سعيد سنةَ إحْدى وستّين إلى مَرّاكُش، وخَمَدَتْ نارُ الفِتْنة من ابن مَرْدَنيش.

وعَقَدَ الخليفةُ على بجاية لأخيه السيّد أبي زكريا، وعلى إشْبيليَّة للشّيخ أبي عبد الله بن إبراهيم، ثمّ أدالَ منه بأخيه السيّد أبي إبراهيم، وأقَرَّ الشّيخَ أبا عبد الله على وزارته، وعقدَ على قُرْطبة للسيّد أبي إسْحاق، وأقَرَّ السيّدَ أبا سعيد على غَرْناطة. ثم نَظَرَ الموحّدون في مَوْضع العَلامة في المكتوبات بخطّ الخليفة، فاخْتاروا: الحمدُ لله وَحْدَهُ، لمَّا وَقَفوا عليها بخطّ الإمام المهديّ في بَعْض مُخاطباته، فكانت علامتَهم إلى آخر دَوْلتهم.

## 10 • فِتْنَةُ غُمَارة[1]

وفي سنة ثنتين وستّين، تحرّكَ الأميرُ أبو يعقوب إلى جبال غُمَارَة لِمَا كان ظهر بها من الفِتْنة التي تَوَلَّى كِبْرَها سَبُعُ بن مَنْغفاد[أ] منهم، ونَاغتْهُمْ في الفِتْنة صِنْهاجةُ جيرانُهم. فبعثَ الأميرُ أبو يعقوب عساكرَ الموحّدين لنظر الشّيخ أبي حَفْص، ثمّ تَعَاظَمَتْ فِتَنُ غُمَارَة وصِنْهاجة، فخرجَ إليهم بنفسه وأوقَعَ بهم واسْتَأْصَلَهُمْ، وقتلَ سَبُعَ بن مَنْغفاد، وانحسَم كَلُوهُمْ[ب]. وعَقَد لأخيه السّيد أبي عليّ الحسنِ على سَبْتَة وسائِر بلادهم.

[196 ب] وفى سنة ثلاثِ وستّين، / اجتمع الموحّدون على تَجْديد البَيْعةِ واللّقبِ بأمير المؤمنين[2]. وخاطبَ العَربَ بإفريقيّة يَسْتَدْعِيهم إلى الغَزْو ويُحرِّضُهُمْ، وكتبَ إليهم في ذلك قصيدةً ورسالةً مشهورةً بين النّاس، وكان من إجابتهم ووُفودِهم عليه ما هو مَعْروف.

## 11 • أخبارُ الأَنْدَلُس

لـمّا اسْتَوْسَقَ الأمر للخليفة أبي يعقوب بالعُدْوَة، وصرَفَ نظرَهُ إلى الأَنْدَلُس والجهاد، واتّصَلَ به ما كان من غَدْر العَدُوّ، دَمّره الله بمدينة

(أ) ف: منعفاد وفي البيان المغرب 5: 95: سبع بن منعقاد (ب) كذا ولم نتبيّنه. ولعلها تحريف لكلمة "داؤهم" المناسبة للموقف.

(1) المنّ بالإمامة 307- 323 البيان المغرب 5 :96 - 98.

(2) البيان المغرب 5: 98

تُرْجالة[أ]، ثمّ مدينة يَابُرة، ثم حصن شبرينة[ب] ثم حصن جلمَانيه[ج] إزاء بطَلْيَوْس، ثمّ مدينة بطَلْيَوْس، فَسَرَّحَ الشّيْخَ أبا حَفْصٍ في عساكر من الموحّدين احْتَفَلَ في انتقائهم. وخرج سنةَ أربعٍ وستّين لاسْتِنقاذ بطَلْيَوْس من هُوَّةِ الحِصار، فلمّا وصل إلى إشبيليّة بلَغه أنّ الموحّدين ببطَلْيَوْس هزموا ابنَ الرَّنْك الذي كان يُحَاصِرُهُمْ بإعانة ابن أذْفونش، وأنّ ابنَ الرَّنْك تَحَصَّل في قَبْضتهم أسيرًا، وفرّ جراندُه الجِلِّيقي إلى حِصْنه، فقَصَدَ الشيخُ أبو حَفْص مدينةَ قُرْطبة، وبعث إليه إبراهيم بن هَمَشْك من جيَّان بطاعَتِه وتَوْحيده ومُفارقتِه صاحبِه ابنِ مَرْدَنيش لِمَا حَدَثَ بينهما من الشّحناء والفِتْنة، فألحّ عليه ابنُ مَرْدنيش بالحرب ورَدّد إليه الغزوَ، فبعث إلى الشّيخ أبي حَفْص بطاعته. وكتب الشّيخُ أبو حَفْص بذلك إلى الخَليفة، وبما كان من عَيْث[د] النّصارى بجوانِب الأندلُس، فَسَرَّحَ أخاه ووَزيرَه أبا حفصٍ في عساكرِ الموحّدين، فنهضَ من مَرَّاكُش سنةَ خمسٍ وستّين وفي جُمْلَتِه السيّدُ أبو سعيد أخوه، فوصلَ إلى إشبيليّة، وبعثَ أخاه أبا سعيد إلى بطَلْيَوْس، فعقَد الصّلحَ مع الطّاغية وانصرف. ونَهَضوا جميعًا إلى مُرْسِيَةَ ومعهم ابنُ هَمَشْك، فحاصروا ابنَ مَرْدَنيش. وثارَ أهلُ لَوْرَقَة بدَعْوة الموحّدين، فملكها السيّد أبو حفص. ثمّ افتتَحَ مدينة بَسْطَة، وطاعَ ابنُ عمّه محمّدُ بنُ مَرْدَنيش صاحبُ المَريّة، فَحَصَّنَ / بذلك جناحَه. واتّصل الخبرُ بالخليفة بمَرَّاكُش [197 أ] وقد توافَتْ عندَه جموعُ العرب من إفريقيّة صحبةَ السيد أبي زكريّاء صاحب بِجايَة، والسيّد أبي عمران صاحب تِلِمْسَان، وكان يومُ قُدومهم عليه يومًا مشهودًا، فاعترضَهم وَسَائِرُ عساكره.

(أ) ف: برحالة (ب) ظ: سبرسه (محملة). ف: شبرينه (ج) ظ: جلماسه. ف: جلمانيه (د) ف: عبث.

ونَهَضَ إلى الأَنْدَلُس، واسْتَخْلَفَ على مَرّاكُش السّيد أبا عمران أخاه، فاختَلَّ بقُرْطبة سنةَ سبعٍ وستّين. ثم ارْتحل بعدَها إلى إشْبيلية وَلَقِيَهُ السّيد أبو حَفْص هنالِك منصرفًا من غَزَاتِه. وكان ابنُ مَرْدَنيش - لـمّا طال عليه الحصار-، ارْتَابَ فَفَتَكَ بهم. وبَادَرَ أخوه أبو الحجّاج إلى الطّاعة، وهلَكَ هو في رَجب من هذه السّنة، ودخلَ ابنُه هلالٌ في الطّاعة. وبادَر السيّد أبو حَفْص إلى مُرْسيَة فدَخلَها، وخرَج هلالٌ في جُملته، وبعثَه إلى الخليفة بإشبيليّة.

ثمّ ارتحل الخليفةُ غازيًا إلى بلاد العَدُوّ، فنازل رُنْدَةَ(أ) أيّامًا وارتحلَ عنها إلى مُرْسِيّة. ثمّ رجع إلى إشبيليّة سنةَ ثمانٍ وستّين، واستصحب هلالَ ابنَ مَرْدَنيش، وأصهرَ إليه في ابنته، ووَلّى عَمَّه يوسفَ على بلَنْسِيَة، وعقَدَ لأخيه السيّد أبي سعيد على غَرْناطة. ثمّ بلَغه خروجُ العدوّ إلى أرض المسلمين مع القومِس الأحْدب(1)، فخرج للقائهم، وأوقع بهم بناحية قلْعة رَباحٍ وأثخن فيهم، ورجع إلى إشبيليّة، وأمرَ ببناء حِصْن القَلْعة لتَحْصين جِهاتها، وقد كان خرابًا منذ فِتْنة ابن حجّاج فيه مع كُرَيْبٍ(2) بن خَلْدون بمُورَةَ(3)، أزمانَ المنْذِر بن محمد وأخيه عبد الله من أُمَراء بني أُمَيّة.

(أ) ف: وبده.

(1) الأنيس المطرب 277، البيان المغرب (قسم الموحدين) 124-

(2) يصفه ابن حزم بأنه من أعظم ثوار الأندلس. وأخباره مع ابن حجاج في التعريف بابن خلدون 3 – 7. يذكر عنه أنه كان يتحامل على الرعيّة ويتعصب ويتجهّم لهم ويغلظ عليهم. العبر 7: 424 -

(3) حصن بالأندلس من أعمال طليطلة - معجم البلدان 5: 221

ثم انتَقَض ابنُ أذفونش، وأغارَ على بلاد المُسْلمين، فاحْتَشَد الخليفةُ وسَرَّحَ السيّدَ أبا حَفْصٍ إليه، فغزاهُ بعُقْر داره، وافتتحَ قَنْطرة السّيف وهزَم جموعَهُ في كلّ جهة. ثمّ ارتحل الخليفةُ من إشبيليّة راجعًا إلى مَرّاكُش سنةَ إحدى وسبعين، لخَمْس سنينَ من إجازته إلى الأنْدلُس.

وعقدَ على قُرْطُبة لأخيه الحسن، وعلى إشْبيليّة لأخيه عليّ.

وأصاب مَرّاكُشَ الطّاعونُ فهلَك من السّادة أبو عمران وأبو سعيد وأبو زكريّاء. وَقدِمَ / الشّيخ أبو حَفْص من قُرْطبة، فهلكَ في طريقه ودُفِنَ بسَلاَ. [97

واسْتَدْعَى الخليفةُ أخوَيْه السيّدين أبا عليّ وأبا الحسن، فعقد لأبي عليٍّ على سِجِلْماسَة، ورجَع أبو الحسن إلى قُرْطبة. وعقَد لابنَيْ أخيه السّيد أبي حَفْص، لأبي زَيْد منهما على غَرْناطة، ولأبي محمد عبد الله على مالَقة.

وفي سنة ثلاثٍ وسبعين، سَطَا بوُزَرائه بني جامِعٍ(1)، وغرَّبَهُمْ إلى مارِدَة. وفى سنة خمسٍ وسبْعين، عقدَ لغانم بن محمّد بن مَرْدَنيش على أُسْطُوله وأغْزاهُ مدينةَ الأُشبونة، فغَنِمَ ورَجع. وفيها كانت وفاةُ أخيه السيّد الوزير أبي حَفْص بعدما أَبْلَى في الجهاد وأبلَغ في نِكاية العدُوّ. وقَدِمَ ابنَاهُ من الأندلُس وأخبَرا الخليفةَ بانْتِقَاضِ الطّاغِية. واعتزم على الجهاد، وأخذَ في استدعاء العَرب من إفريقيّة.

---

(1) المعجب 244، البيان المغرب (قسم الموحدين) 139.

## 12 • الخبرُ عن انتِقاض قَفْصَة واسْتِرْجاعِها

كان علي بن العزّ[1] - ويُعرف بالطّويل -، من أعقاب بَني الرّنْدِ ملوكِ قَفْصة، قد ثار سنة خمسٍ وسبعين، كما ذكرناه في أخْبارهم. وبلغ الخليفةَ خبرُه، فنهضَ إليها من مَرّاكُش وسارَ إلى بجَايَة. وسُعِيَ عنده بعَلِيّ ابن المنتصر الذى كان عبد المؤمن اسْتَنْزَلَهُ من قَفْصة، أنّه يُوَاصِلُ قريبَهُ الثائِرَ بها ويُخَاطِبُ العَرَبَ، فتَقَبّضَ عليه، ووُجِدَتْ المُخَاطَبَاتُ عنده شاهدةً بتلك السّعاية، فاسْتَصْفَى ما كان بيده، وارتحل إلى قَفْصة ونازلَها.

وَوَفَدَتْ عليه مشيخةُ العَرب من رِياحٍ بالطّاعة، فتَقَبّلهم. ولم يزلْ محاصرًا لقَفْصة إلى أن نزلَ عليّ بن العزّ وانْكَفَأَ راجعًا إلى تونِس. وأنْفَذَ عساكرَ العرب إلى المَغْرب، وعقد على إفريقيّة والزّاب للسيّد أبي عليّ أخيه، وعلى بجاية للسيّد أبي موسى، وقفلَ إلى الحَضْرة.

## 13 • مُعَاوَدَةُ الجِهادِ

لمَّا قَفَل من فتْح قَفْصة سنَة سبعٍ وسبعين، وفدَ عليه أخوه السيّد أبو إسحاق من إشبيلية، والسّيد أبو عبد الرّحمن يعقوب من مُرْسِية، وكافّةُ الموحّدين / [198 أ] ورؤساءُ الأندَلُس يهَنّونَهُ بالإيابِ، فأكرمَ مَوْصِلَهم، وانْصَرَفُوا إلى بلادهم.

(1) كان يحترف الخياطة في بجاية، فدعي فثار بعمران بن موسى عامل الموحدين على قفصة. انظر العبر 11 : 370 .

واتَّصلَ به أنّ محمدَ بن يوسف بن وانُّودين غزا بالموحّدين من إشبيليّة إلى أرض العدوّ، فنازلَ مدينة يَابُرَة، وغَنِمَ ما حوْلَها وافْتَتَحَ بعضَ حُصونها ورجع إلى إشبيلية، وأنَّ عبد الله بن إسحاق بن جامع قائدَ الأسْطول بإشبليّة الْتَقَوْا بأسْطول أهل أُشْبُونَةَ في البَحْر، فهزموهُم وأخذوا عشرين من قطائِعهم مع السَّبْي والغَنائم.

ثمّ بَلغ الخبرُ بأنَّ أُذفونش بن شانْجُة نازلَ قُرْطبة وشنَّ الغارات على جِهَة مالَقة ورُنْدة وغَرْناطة، ثم نازل إسْتِجَة، وتَغَلَّبَ على حصن شنقيلة، وأَسْكن بها النَّصارَى وانصرف. فاسْتَنْفَرَ السّيدُ أبو إسحاق سائرَ النّاس للغَزْو، ونازلَ الحصْن نحوًا من أربعين يومًا، ثمّ بلغه خُروج أُذْفونْش من طُلَيْطُلَة لِمَدَدِه فانْكَفَأَ راجعًا.

وخرج محمّد بن يوسف بن وانُّودِين من إشبيليّة في جُموع الموحّدين، ونازلَ طَلَبيرَة، وبرزَ إليه أهلُها فأوقعَ بهم وانصرَفَ بالغَنائم. فاعتزم الخليفةُ أبو يَعْقوب على مُعاوَدة الجِهاد، ووَلىّ على الأندلُس أبناءَه وقَدَّمَهُمْ للإحْتِشاد، فعقَد(أ) لابنْه السيّد أبي إسْحاق على إشبيليّة كما كان، وعقد لابنْه السّيد أبي يحي على قُرْطبة، ولابنه السيّد أبي زَيْد الحَرْضاني علي غَرْناطة، ولابنه السّيد أبي عبد الله على مُرْسِيَة. ونَهض سنة تسع وسبعين إلى سَلاَ، ووافاه بها أبو محمّد بن أبي إسحاق بن جامع من إفريقيّة بحُشود العَرب. وسار إلى فاس، وبعثَ في مُقَدِّمَتِهِ هِنْتاتة وتينْمَلّلْ وحُشودُ العَرب. وأجازَ البحرَ من سَبْتة في صفر من سنة ثمانٍ، فاحْتَلَّ بجبل

(أ) ظ: بعقد.

الفَتْح، وسارَ إلى إشبيليّة، فَوَافَتْهُ بها حُشودُ الأندلُس. وسَخِطَ محمّدَ بن وانُّودِين وغَرَّبَهُ إلى حِصْن غَافِقٍ. ورَحَلَ غازيًا إلى شَنْتَرِين فحاصرَها أيّامًا ثم أقلعَ عنها، وأسْحَرَ (1) النّاس يومَ إقْلاعه. وخرج النّصارى من الحصن فوجدوا الخليفةَ في غيْر أُهْبَةٍ ولا استعدادٍ / [198 ب] فأَبْلَى في الجِهاد هو ومن حَضَره، وانصرَفوا بعد جَوْلةٍ شَديدة، وهلكَ في ذلك اليوم الخليفةُ، يُقالُ من سَهْمٍ أصابَه في حَوْمَةِ [القِتال، وقيلمن مرضٍ طَرَقَهُ، عفا الله عنه] (أ).

## 14 • دولة ابنه يَعْقوب المنصور

لَمّا هلَكَ الخليفةُ أبو يَعْقوب علَى حصن شَنْتَرِين سنةَ ثمانين، بُويِعَ ابنُه يَعْقوبُ، ورجعَ بالنّاس إلى إشبيليّة فاسْتَكْمَلَ البَيْعَة، واسْتوزَرَ الشيخَ أبا محمد عبد الواحِد بن أبي حَفْص، واسْتَنْفَرَ النّاسَ للغَزْو مع أخيه السيّد أبي يحيى، فأخذ بعضَ الحصون، وأثْخن في بلاد الكُفّار، ثمّ أجازَ البحرَ إلى الحَضْرة. ولَقِيَهُ بقَصْر مَصْمودة السّيد أبو زكريّاء ابن السّيد أبي حَفْص قادمًا من تِلِمْسَان مع مَشْيخة زُغْبَة، ومضى إلى مَرّاكُش، فقطع المناكِرَ وبَسط العدلَ وَبَاشَرَ الأحكامَ. وكان من أوّل الأَحْداث في دَوْلته شأنُ ابن غانِيَة.

(أ) من ف، وسقط من ظ.

---

(1) أسْحَر القومُ: خرجوا في السّحَر.

## 15 • الخبر عن شأن ابن غَانِيَة(1)

كان عليّ بن يوسف بن تاشفين لـمّا تغلّب العَدُوّ على جزيرة مَنُورْقَة، وهلَك واليها من مَوالي مُجاهد وهو مُبَشّر، وبَقِيَ أهلُها فوضًى، وقد كان مُبَشّرٌ بعثَ إليه بالصّريخ والعَدوُّ مُحاصرٌ له، فلمّا أخذها العدُوُّ غَنِمَ وأحْرَق وأقْلَع. وبَعَثَ عليُّ بن يوسف واليًا عليهم وَانُوْر(أ) بن أبي بَكر، من رجالات لَمْتونة، وبعث معه خمسَ مائة فارس من عَسْكره، فأرْهَفَ لهم حَدَّهُ وأرادَهُمْ على بناء مَدينة أُخْرى بعيدةٍ من البحر، فامْتنعوا، وَقتَلَ مُقَدَّمَهُمْ، فثاروا به وحَبَسُوهُ ومَضَوْا إلى عليّ بن يوسف فأَعْفاهم منه، وولّى عليهم محمَّد بن عليّ بن يَحيى المَسُوفي المعروف بابن غانِيَة، وكان أخوه يَحْيى على غَرْبِ الأَنْدلس، وكان نُزُلُهُ بإشبيليّة، واستعمل محمَّدًا أخاه على قُرْطبة، فكتب إليه عليّ بن يوسف يأمُره بصَرْف محمَّدٍ أخيه إلى ولاية مَيُورْقَة، فارتحل إليها من قُرطبة ومعه أولادُه عبدُ الله وعليّ / [199 أ] وإسْحاقُ والزُّبيرُ وإبراهيمُ وطَلْحة. وكان عبد الله وإسحاق في تربية عمّهما يَحيى وكفالَته، فتبَنَّاهما. ولـمّا وَصَلَ محمّد بن عليّ بن غانِيَة إلى مَيورْقَة قبض على وَانُور وبَعثه مصفّدًا إلى مَرّاكُش. وأَقامَ على [ذلك](ب) عَشْرًا. وهَلَكَ يَحيى ابن غانِيَة، وقد وَلّى عبدَ الله ابنَ أخيه محمّدٍ على غَرْناطَة، وأخاهُ إسحاق ابنَ محمّد على قَرْمُونة.

(أ) كذا ضبط في ظ (ب) من ف.

---

(1) انظر عن ثورته العبر 11: 429 - 449 ، المعجب 266- 290 ، البيان المغرب 5: 180 -، 239 -.

ثم هَلَكَ عليٌّ بن يوسف، وضَعُفَ أمرُ لَمْتونة وظَهَرَ عليهم الموحّدون، فبعث محمّدٌ عن ابنَيه عبدِ الله وإسحاق فوصلا إليه في الأُسْطول، وانْقَرَضَ مُلْكُ لَمْتونة. ثمّ عَهِدَ محمّد إلى ابنه عبدِ الله، فنافَسَهُ أخوه إسحاق، وَداخَلَ جماعةً من لَمْتونة في قَتْله، فقَتَلُوه وقَتَلوا أباهُ محمّدًا؛ ثمّ أَجْمَعُوا الفَتْكَ به، فارْتَابَ بهم وداخَلَ لُبّ بنَ مَيْمون قائدَ البحر في أمرهم، فكَبَسَهُمْ في منازلهم وَقَتَلَهُمْ، وتَمّتْ بيعَتُه سنةَ ستٍّ وأربعين وخمس مائة، وبقِيَ أميرًا بِمَيُورْقَة. واشْتَغَلَ أوّل أَمْره بالبِناء والغِراسة، وضَجِرَ منه النّاس لسوء ملكته. وفرَّ عَنْهُ لُبّ بن مَيْمون إلى الموحّدين، ثمّ رَجَعَ آخرًا إلى الغَزْو. وكان يَبْعَثُ بالأَسْرَى والعُلوج للخليفة أبي يعقوب إلى أن هَلَكَ قُبَيل مَهْلَكِه سنةَ ثمانين. وخَلَّفَ من الولَد: محمّدَ، وعليَّ، ويحيى، وعبدَ الله، والغازي، وسَيْرَ، والمنصورَ، وجبارَة، وتاشفين، وطَلْحة، وعمرَ، ويوسفَ، والحسن. فولّى ابنه محمّدَ، وَبَعَثَ إلى الخليفة أبي يعقوب بطاعَته، فَبَعَثَ هو عَليّ بنَ الرُّبَرْتَير لاختبار ذلك منه، وَأَحَسَّ بذلك إخوتُه فنَكِرُوهُ وتَقَبَّضُوا عليه، وقدَّمُوا عَليًّا منهم.

وَبَلَغَهُمْ مهلَكُ الخليفة وولايةُ ابنه المنصور فاعْتَقَلُوا ابن الرُّبَرْتَير، ورَكِبُوا البحرَ في أُسْطولهم إلي بِجاية، ووَلَّى على مَيُورْقَةَ أخاهُ طَلْحَة. وَطَرَقَ بِجَايَةَ في أُسْطوله على حين غَفْلَةٍ وعليها السيّد أبو الرّبيع بن عبد الله بن عبد الـمُؤْمن، وكان خارجًا في بعض مَذاهبه، فاستولَوْا عليها سنةَ إحدى وثمانين، وتَقَبَّضُوا على السيّدِ أبي الرّبيعِ والسّيد أبي موسى عِمْران [199 ب] ابن عبد المؤمن صاحبِ إفريقيّة، / كان بها مُجْتازًا. واستَعْمل أخاه يحيى

على بِجايَة، ومضى إلى الجزائر فافتتحها ووَلّى عليها يحيى ابن أخيه طَلْحَة، ثمّ إلى مَلْيَانَة فوَلّى عليها يَدَّر بن عائِشة. ونَهَضَ إلى القَلْعة، ثم إلى قُسُنْطِينَة فنَازَلَها.

واتَّصلَ الخبرُ بالمنصور وهو بِسَبْتَة مَرْجِعَه من الغَزْو، فَسَرَّحَ السيّد أبا زَيْد ابنَ عمِّه السّيدِ أبي حَفْص، وَعَقَدَ له على حَرْب ابن غانِيَة، وعَقَدَ لمحمّد بن إسحاق بن جَامِع على الأساطيل، وإلى نَظره أبو محمد بن عَطُوشٍ(أ) وأحمد الصّقلّي. وانتَهى السّيدُ أبو زَيْد إلى تِلِمْسَان، وأخوه يومئذٍ السّيدُ أبو الحسن واليًا، وقد أنْعَمَ النَّظَرَ في تَحْصينها. ثمّ ارْتَحَلَ بعَساكره من تِلِمْسَان ونَادَى بالعَفْو في الرّعيّة، فثَارَ أهلُ مَلْيَانة على ابن عائشةَ وأَخرَجُوه، وَسَبَقَتِ الأساطيلُ إلى الجَزائِر فَمَلَكُوهَا، وقبَضُوا على يحيى بن طَلْحة، وسِيقَ يَدَّر بنُ عائشة من أمّ العُلُوّ، فقُتِلُوا جميعًا بِشَلَف. وتَقَدَّمَ القائدُ أحمد الصّقليّ بأُسْطوله إلى بِجَايَةَ فَمَلَكَهَا، ولحِقَ يحيى بن غانِيَة بأخيه عليّ بمكانه من حصار قُسُنْطِينَةَ فأقلَع عنها. ونزلَ السيّد أبو زيد بتيكلاّتْ. وخرج السيّد أبو موسى من اعْتقاله فلَقِيه هنالِك. ثمّ ارْتَحَلَ في طلَب العَدُوّ، فَأَفْرَجَ عن قُسُنْطِينَة، وَخَرَجَ إلى الصّحراء واتَّبَعَهُ الموحّدون إلى مَقَّرَة ونَقَاوس، ثم قَفَلُوا إلى بِجَايَة، واسْتَقَرَّ السيّد أبو زَيْد بها. وَقَصَدَ عَلِيّ بن غَانِيَة قَفْصَةَ فَمَلَكَهَا، ونَازَلَ توْزَرَ فامتَنَعَتْ عليه، ولحِقَ بِطَرَابُلُس. وَخَرَجَ عزي(ب) الصّنهاجي - من جُمُوعِ ابن غانية - في بعض أحياء العرب فَتَغَلَّبَ على آشِير. وسرّحَ إليهم السّيدُ أبو زيْدٍ ابنَهُ أبا حَفْصٍ عُمَرَ ومعه

(أ) من ف. ظ: عطوس (ب) كذا في ظ ف. وفي البيان المغرب (قسم الموحدين) 181 : غزي.

غانمُ بن مَرْدَنِيش فأَوْقَعُوا بهم واسْتَوْلَى على حِلَلِهِمْ، وقُتِلَ عزي، وسِيقَ رأسُه إلى بِجَايَة وَنُصِبَ بِهَا، وأُلحِقَ به عبدُ الله أخوه. وَغُرِّبَ بنو حَمْدون من بِجَايَةَ إلى سَلاَ لاِتّهامهم بالدّخول في أمْرِ ابن غانِيَة. واسْتَقْدَم الخليفةُ السيّدَ أبا زَيْد من مكانه بِبِجَايَة، وقَدَّمَ مكانَه أخاهُ السّيدَ أبا عبد الله، وانصَرَفَ إلى الحَضْرَةِ. وبَلَغَ الخبرُ أثْنَاء ذلك باسْتيلاء عَلِيِّ بن الرَّبْرْتَيْر على مَيُورْقَة لِدُعَاء بني غانِيَة إلى أمره، لِمَا كان أخوهم مُحَمّدٌ خاطَبَه بذلك، [200 أ] فلمّا وَصَل ابن الرَّبْرْتَيْر / إليهم نَكِرُوا شَأنَهُ على أخيهم محمّد واجْتَمَعُوا دُونَهُ، وَتَقَبَّضُوا عليه وعلى ابن الرَّبْرْتَيْر، وقَدَّمُوا عليهم أخاهم عَلِيًّا. وَرَكِبُوا الأساطِيلَ إلى بِجَايَةَ. فلَمَّا خَلاَ الجَوُّ منهم دبَّرَ ابن الرَّبْرْتَيْر في أمره، وَدَاخَلَ مَوَالِيهم من المَعْلُوجَى في تَخْلِيةِ سبيله من مُعْتَقَلِهِ على أن يُخَلِّيَ سبِيلَهم بأَهْلِيهِمْ وَوُلْدِهِمْ إلى أرضهم، فتَمَّ لهم رادُه منه. وثار بالقَصبة، واسْتَنْقَذَ مُحَمَّدَ بن إسحاق من مكان اعتقاله، ولحِقُوا جميعا بالحَضْرة. وبَلَغَ الخبرُ عَلِيَّ ابن غانِيَة بمكانه من طَرَابُلُس، فبَعَثَ أخاه عبد الله إلى صقلّية، ورَكِبَ منها إلى مَيُورْقَة وَنَزَلَ في بعض قُراها، وأَعْمَلَ الحيلَةَ في تمَلُّك البَلَدِ، فاسْتَوْلَى عليه. واضْطَرَمَ نارُ الفِتْنة بإفريقيّة.

ونازَلَ عليٌّ بن غانِيَة بلادَ الجَرِيدِ، وتَغَلَّب على الكثير منها، وبَلَغَ الخبرُ باسْتِيلائِه على قَفْصَةَ، فَخَرَجَ المنصورُ إليه من مَرّاكُش سنةَ ثنْتَين وثمانين، وَوَصَلَ فاسَ فأَرَاحَ بها، وسَارَ إلى رِبَاط تازا، ثم سَارَ على التَّعْبِئةِ إلى تُونِسَ. وَجَمَعَ ابنُ غانِيَة مَنْ إليه من المُلَثّمِينَ والأَعْرَابِ، وجاء مَعَهُ قَرَاقُش الغُزِّي صاحِبُ طرابُلس، فَسَرَّحَ إليهم المنصور عساكرَه لِنَظَرِ السَّيِدِ أبي

يوسف بن السيّدِ أبي حَفْص، ولَقِيَهُمْ بعَمْرَة[1] فانْفَضّتْ جُمُوعُ المُوَحِّدِين، وأجْلَتِ المعركةُ عن قَتْلِ عَلِيّ بن الرَّبْرْتِير وأبي علي بن يَغْمور، وفُقِدَ الوزيرُ عُمَرُ بن أبي زيد. ولحِقَ فَلُّهُمْ بقَفْصَة فأثْخَنُوا فيهم قَتْلاً ونَجا البَاقُونَ إلى تُونِس. وخرج المنصورُ مُتلافِيًا جَبْرَ[أ] الحال في هذا الواقع، ونَزَلَ القيروانَ، وأغَذَّ السَيْرَ إلى الحامَّةِ، فتَثَاوَرَ الفريقان وتَزَاحَفُوا فكانت الدّبرة على بن غانِيَة وأحْزابه، وأفْلَتَ من المعركة بِذَمَاءِ نَفْسِهِ ومعه خَليلُهُ قَرَاقُش، وأَتَى القَتْلُ على كَثِيرِهِمْ[ب].

وَصَبَّحَ المنصورُ قَابِسَ فَافْتَتَحَهَا، ونَقَل من كان بها من حُرَم ابن غانِيَة وذَويه في البَحْر إلى تونِس. وثَنَى العِنَانَ إلى توزَر فَافْتَتَحَهَا، وقَتَل من وَجَدَ بها، ثم إلى قَفْصَة فنَازَلَهَا أيّامًا حتّى نَزَلُوا على حُكْمِهِ، وأَمَّنَ أهلَ البلدِ والأَغْزَازَ أصْحابَ قَرَاقُش، وقَتَلَ سَائر المُلَثَّمِينَ ومن كان معهم من الحُشُودِ، / وهَدَمَ أسوارَها. وانْكَفَأَ راجعًا إلى تونس. فعَقَدَ على إفْرِيقِيّة للسيّد أبي [200] زَيْد. وفَصَلَ [إلى][ج] المغرب سنة أربعٍ وثمانين، ومرَّ بالمهديّة، وأصْحَرَ على طريق تَاهَرْت، والعبَّاسُ بن عَطِيَّةَ أميرُ بَنِي تُوجِّين دليلُه إلى تِلِمْسَانَ، فنَكَبَ بها عَمَّهُ السّيدَ أبا إسحاق لشَيْءٍ بَلَغَهُ عنه وأَحْفَظَهُ، ثمّ ارْتَحَلَ إلى مَرّاكُش.

(أ) ف خبر، ظ حيز (ب) ف: كبيرهم (ج) من ف.

---

(1) قرية قريبة من قفصة، كانت فيها هذه الوقعة بين المنصور يعقوب بن عبد المؤمن ملك المغرب وعلي ابن إسحاق الميورقي ومن معه، وسميت هذه الوقعة بوقيعة عَمْرة. التجاني: الرحلة 136، 162، البيان المغرب 5: 188 -

وَرُفِعَ إليه أنَّ أخاه السّيدَ أبا حَفْص والي مُرْسِيَّةَ المُلَقَّب بالرَّشِيدِ، وَعَمَّهُ السَّيدَ أبا الرّبيع والي تَادْلاَ عندما بَلَغَهُمْ[أ] خبرُ الوَقِيعَةِ بِعَمْرَة، حدثوا أنفُسَهم[أ] بالتَوثُّبِ على الخِلافة، فلمّا قَدِمَا عليه للتَهْنِئَةِ أمَرَ بِاعْتِقَالِهِمَا بِرِباطِ الفَتْح خلالَ ما اسْتَجْلَى أمْرَهُمَا، ثمّ قَتَلَهُمَا. وعقَدَ للسّيدِ أبي الحسن ابن السّيدِ أبي حَفْص على بِجَايَة.

وَقصَدَ يحيى بن غانِيَة قُسُنْطِينَةَ، فَزَحَفَ إليه السّيدُ أبو الحسن من بِجَايَة فَهزَمَهُ، ودَخَل قُسُنْطِينَةَ. وارْتَحَلَ ابنُ غانِيَة إلى بِسْكِرَة فَقَطع نخْلَهَا، وافْتَتَحَهَا عَنْوَةً، ثم حَاصرَ قُسُنْطِينَة فامْتَنَعَتْ عليه، فارْتَحَلَ إلى بِجَايَة وَحَاصَرَهَا، وكَثُرَ عَيْثُهُ بإفريقيّة إلى أن كان من خَبره ما يُذْكَرُ.

## 16 • أَخبارُه في الجهاد

لـمّا بَلَغَهُ تَغَلُّبُ العدوّ على قاعدة شِلْب، وأنّه أَوْقَعَ بعَسْكَر إشْبِيلِيّة، وتَرَدَّدَتْ سَرَاياهم على نَواحيها وافْتَتَحَ كثيرا من حُصونِها، وخَاطَبَهُ السيّد أبو يوسف بن حَفْص صاحبُ إشْبِيلِيَّة بذلك، استَنْفر النَّاس للجِهاد.

وَخَرَجَ سنةَ سِتٍّ وثمانين إلى قصْر مَصْمُودَةَ فأَرَاحَ به، ثم أجازَ إلى طَرِيف، وأَغَذَّ السَّيْرَ منها إلى شِلْب، وَوَافَتْه بها حُشودُ الأندَلُس فتَرَكَهُمْ لحصارها، وخَفَّ إلى حِصْن طُرُش فافْتَتَحَهُ وَرَجَع إلى إشْبِيلِيَّة. ثمّ رجع إلى مُنَازَلَةِ شِلْب سنةَ سبعٍ وثمانين فافْتَتَحَهُ، وَقَدَّمَ عليه ابنَ وَزير بعد أن

(أ) يكثر ابن خلدون من نقل المثنى إلى صيغة الجمع.

كان افْتَتَحفي طريقه إليه حُصونًا أخرى، ثمّ قَفَلَ إلى حَضْرَتِه بعد اسْتِكمال غَزاتِه. وكتبَ بعَهْده لابْنِه النَّاصِر.

وَقَدِمَ عليه سنةَ ثمانٍ وثمانين السّيدُ أبو زَيْد صاحبُ إفْرِيقيَّةَ ومعه مَشْيَخة العَرب من هِلالٍ وَسُلَيْمٍ، فَلَقَّاهُمْ مَبرَّةً وَتكْرِيمًا، وانقَلَبَ وَفْدُهُمْ إلى بلادهم.

ثمَّ بَلَغَه سنة تسعين اسْتِفْحَالُ ابن غانِيَة بإفْرِيقِيَّةَ وكَثْرةُ العَيْثِ[أ] والفَساد بها فاعْتَزَمَ على / النّهوض إليها. ووَصَلَ إلى مِكْنَاسة فَبَلَغَهُ من أَمْرِ 201 |
الأندلُسِ ما أَهَمَّهُ، فصَرَفَ وَجْهَهُ إليها، وَوَصَل قُرْطُبَةَ سنةَ إحدى وتسْعين، فَأَرَاحَ بها ثلاثًا وأَمْدادُ الحُشودِ تَتَلاَحَقُ به من كلِّ نَاحيةٍ. ثمّ ارتحلَ للقاء العَدُوّ، ونزلَ بالأَرْك من نَواحي بَطَلْيَوس وَزَحَفَ إليه العَدُوُّ من النَّصارَى، وأُمَرَاؤُهُم يومئذٍ ثلاثةٌ، ابنُ أُذْفُونْش وابن الرَّنْك والبَبَّوْج[ب]، وكان اللِّقَاءُ يومَ كذا[1] سنةَ إِحْدى وتِسْعين، وأبو محمّد بن أبي حَفْص يومئذٍ على المُطوّعَةِ، وأخوه أبو يحيى على العساكِرِ والموحّدين، فكانتِ الهزيمةُ المشهورة على النّصارَى، واسْتُلْحِمَ منهم ثلاثون ألفًا بالسّيْف، واعْتَصَمَ فَلُّهُمْ بحِصْن الأَرْكِ، وكانوا خمسةَ آلاف من زُعمائهم، فاسْتَنْزَلَهُمْ المنصورُ على حُكْمِه، وفُودِيَ بهم عَدَدُهُم من المسلمين. واسْتُشْهِدَ في هذا اليوم أبو يحي ابن الشّيخ أبي حَفْص بعد أن أَبْلَى بلاءً حسنًا، وعُرِفَ بَنُوهُ بعدَها

(أ) ف: العبث (ب) ظ: البتبوح. وترد عنده مصحّحة في [204 أ].

---

(1) كذا في ظ، وترك لليوم فراغ في ف. وقد جرت معركة الأرك يوم الأربعاء في التاسع من شعبان. انظر ابن عذاري: البيان المغرب (قسم الموحدين) 218 - 221.

بني الشَّهِيدِ. وانكَفأَ المنصورُ راجعًا إلى إِشْبِيلِيَّة. ثُمّ خرجَ منها سنةَ ثِنْتَين وتسعين غازيًا إلى بلاد الجَوْفِ، فافْتَتَحَ حُصونًا ومُدُنًا وخرّبها، كان منها تُرْجَالَة وطَلَبيرَة(أ). وأَطَلَّ على نواحي طُلَيْطُلَة فَخَرَّبَ بَسَائِطَهَا، واكْتَسَحَ مَسارِحَهَا، وَقَفَلَ إلى إشْبِيلِيَّة سنةَ ثلاثٍ وتِسْعين، فَرُفِعَ إليه في القاضِي أبي الوليد بن رُشْدٍ مَقَالاتٍ نُسِبَ فيها إلى المَرَضِ في دينِهِ وعَقْدِهِ[1]، وربّما أُلْفِيَ بعضُها بخطِّهِ، فحُبِسَ، ثم أُطْلِقَ وأُشْخِص إلى الحَضْرَةِ، وبها كانت وَفاتُه.

ثُمَّ خَرَجَ المنصورُ من إشْبِيلِيَّة غازيًا إلى بلاد ابن أُذْفُونِش حتّى احْتَلَّ بساحَة طُلَيطُلَة، وبَلَغَهُ أَنَّ صَاحِبَ بُرْشُلونة أَمَدّ ابنَ أُذْفُونِش بعَساكره وأنّهم جميعًا بحِصْن مَجْرِيط، فَنَهَضَ إليهم، ولَمّا أَطَلَّ عليهم انْفَضَّتْ جموعُابن أُذْفُونِش من قَبْل القِتال. وانكَفأَ المنصورُ راجعًا إلى إشْبِيلِيَّة. ثمّ رَغِبَ إليه مُلوكُ النّصرانيّة في السِّلْمِ فَبَذَلَهُ لَهم، وَعَقَدَ على إشْبِيلِيَّة للسيّد أبي زَيْدبن الخليفة، وعلى مدينة بَطَلْيَوس للسيّد أبي الرّبيع ابن السيّد أبي حَفْص، وعلى الغَرْب للسيّدأبي عبد الله ابن السيّد أبي حَفْص. وَأَجَازَ إلى حضْرته سنةَ أربعٍ وتسْعين، فَطَرَقَهُ المرضُ الذي / كان منه حِمامُهُ، [201 ب] وَأَوْصَى وَصيّتَه التي تَنَاقَلَها النّاس، وَحَضَرَ لوَصيّته عيسى ابن الشّيخ أبي حَفْص، وَهَلَكَ رحمه الله سنةَ خمسٍوتِسْعين في آخر رَبيعها.

(أ) كذا ضبطت في ظ.

(1) العَقْدُ كلّ ما عقد الإنسانُ عليه قَلْبَه جازمًا به، وأصل كلمة العقيدة من العَقْد، وهو الربط والإبرام والإحكام والتوثق والتماسك واليقين والجزم.

## 17 • الخبرُ عن وُصول ابن مُنْقذ بالهديّة من قِبَل صاحب الدّيار المِصْريّة

كان الفِرنج قد مَلَكُوا سواحلَ الشّام في آخرِ الدّولة العبَيْديّة منذ تِسْعين سنة، وَمَلَكُوا بَيْتَ المقْدس، فلمّا اسْتولَى صلاحُ الدّين بن أيّوب على ديار مصر والشّام، اعتزمَ على جِهادهم، وكان يَفْتَتحُ حصونَهَا واحدًا بعد واحدٍ حتّى أتى على جَميعها، وافْتَتَحَ بَيْتَ المَقْدس[1] سنةَ ثلاثٍ وثمانين، وَهَدَمَ الكنيسَة التى بَنَوْا عليها. وامْتَعَضَتْ أُمَمُ النّصرانية من كلّ جهة، واعْتَرَضُوا أسطولَ صلاح الدّين في البَحْر فبعثَ صريخَه إلى المنصور سنةَ خمسٍ وثمانين يَطْلُبُ إعانتَهُ بالأساطيل لمُنازَلة عكّا وصُورَ وطرابلُس. ووَفَد عنه أبو الحارث عبدُ الرّحمن [بن][أ] مُنقِذ[2] بقيّةُ الأمراء بشَيْزَر - من حُصون الشّام - كانوا استبدّوا به عند اختلال الدّولة العُبَيْدية، فلمّا اسْتَقَام الأمرُ على يَد صلاح الدّين وانْتَظَمَ مُلْكُ مصرَ والشّام، واسْتَنْزَلَ بَني مُنْقِذ هؤلاء وَرَعَى لهم سابِقَتَهم، وبَعثَه في هذه إلى المنْصور بالمغْرب بهديّةٍ[3] تشْتَمل على مُصْحفَيْن كريمَيْن مَنْسوبَيْن[ب]، ووَزْن

(أ) من ف     (ب) في الروضتين: خَتمة في رَبْعة مخيَّشة.

---

(1) انظر عن هذا الفتح، ابن الأثير: الكامل 11: 547، النوادر السلطانية 81 ، مفرج الكروب 2: 211 ، العبر 10: 87 ، ذيل وليم الصوري: 130 وما بعدها (ترجمة د. حسن حبشي).

(2) عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن مُنقذ، بن أخ الشّاعر الأمير أسامة بن منقذ (توفي في 600 هـ). أرسله السلطان صلاح الدين الأيوبي للسلطان يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن لمّا حاصر الفرنج عكّا بعد كسرة حِطّين وفتح القدس، وأنشأ الرسالة القاضي الفاضل، وتاريخ المهمة 586 هـ. انظر الوافي بالوفيات 18: 251، كتاب الروضتين 4: 111 – 124.

(3) خبر الهديّة ومحتواها الكامل في الروضتين 4: 119.

مائة دِرْهم من دهْن البَلَسان، وعشرين رِطْلاً من العُود، وستّ مائة مِثْقال من المِسْك والعَنْبر، وخمسينَ قَوْسًا أعرابية بأَوْتارها، وعشرين من النُّصول الهِنْديّة، وسُروجٍ عِدّةٍ ثَقيلة. ووصلَ إلى المغْرب، ووَجَدَ المنصورَ بالأَنْدلس، فانتظَره بفَاس إلى حين وُصوله، فلَقِيَهُ وأَدّى إليه الرّسالة، فاعْتَذَرَ[1] له عن الأُسْطول، وانصرفَ. ويُقال إنّه جَهَّزَ له بعد ذلك مائةً وثمانين أسْطولاً ومنَع النّصارَى من سَواحِل الشّام.

## 18 • دولة النّاصِرِ[2] بن المَنْصور

لـمّا هلكَ المنصورُ قام بأمْره ابنه محمّدُ وَلِيّ عَهْده، وتلّقب النّاصرَ لدين الله، واستوزَر / أبا زيد بن يُوجان، وهو ابنُ أخي الشّيخ أبي [202 أ] حَفْص، ثمّ اسْتوزَر أبا محمد بن الشّيخ أبي حَفْص، وعَقَد للسيّد أبي الحسن ابن السيّد أبي حَفْص على بِجايَة وفوّض إليه في شُؤونها. وبلَغه سنةَ ستٍّ وتسْعين إجْحافُ العدُوّ بإفريقيّة وفَسادُ الأَعْراب في نَواحيها، ورجوعُ السيّد أبي الحسن من قُسْنطِينَةَ منهزِمًا أمامَ ابن غانِيَة. فأَنْفَذَ السيّدَ أبا زيد بن أبي حَفْص إلى تونِس في عَسْكرٍ من الموحّدين لسَدّ ثُغورها، وأَنْفَذَ أبا سعيد بن الشّيخ أبي حَفْص رَديفًا له، وتَغَلّب ابن غانِيَة خِلالَ ذلك على حصْن المهديّة.

---

(1) نصّ أبي شامة: لم يحصُل من جهة سلطان الغرب ما التُمِس منه من التجدة. الروضتين 4: 120.

(2) البيان المغرب (قسم الموحدين) 236 - 239

وثارَ بالسُّوس سنةَ ثمانٍ وتسعين ثائرٌ من كزولَة يُعْرَف بأبي قَصبة، فَسَرَّحَ الناصرُ إليه عساكرَ الموحّدين فقَصَدُوا جُموعَه وَقُتِلَ. وفي أيّامه كان فتْح مَيُورقَة على ما نَتْلُو من خَبرها.

## 19 • فَتْحُ مَيُورْقَةَ(1)

وكان من خَبرها أنّ محمّدَ بن إسحاق لما فَصَلَ إخوتُه عَلِيٌّ ويَحيى إلى إفريقيّة، وَوَلّى على مَيُورقة أخاهم طَلْحةَ، داخلَ محمّدٌ بعضَ الحاشية وخرج من الاعْتقال هو وابن الرَّبْرْتير، وقام بدَعْوة المنصور، وبعث بها مع ابن الرَّبْرْتير، فَبَعَثَ المنصورُ أسطولَه مع أبي العلى بن جامع لتملّك مَيُورْقة، فأبَى محمّد من ذلك. وأرسل طاغيةُ بَرْشُلُونَةَ في المَدَد بجنْد من النّصارى يَسْتَخْدِمُهُم، فأجابَه. وانْتَقَضَ عليه أهل مَيُورقَة لذلك وخَشَوْا عادِيَةَ المنصور، فطرَدوا محمّدَ بن إسحاق وَوَلَّوْا عليهم أخاه تاشفين. وبلَغ ذلك عليّا وهو على قُسُنطِينَة، فبعث أخوَيْه عبدَ الله والغازي، فَدَاخَلُوا بعضَ أَهْل البلَد وعزَلُوا تاشفين، وَوَلَّوْا عبد الله. وبعث المنصورُ أسطولَه مِرارًا مع أبي العلَى ابن جامع، ثمّ مع يحيى ابن الشّيخ أبي إبراهيم الهَزْرَجيّ، فامتنعوا منهم وَقَتَلُوا منهم خلقًا، وقَوِيَ أمرُه، وذلك سنةَ ثلاثٍ وثمانين. ثمّ لـمّا هلَكَ المنصورُ بعث النّاصرُ أسطولَه مع عمّه السيّد أبي العلَى والشّيخ أبي سعيد ابن أبي حَفْص فَنَازَلُوه، وانخَذَلَ عنه أخوه تاشفين بالنّاس، ودخل البلَدَ

(1) البيان المغرب (قسم الموحدين) 239- 243

عَنْوَةً، واسْتُبِيحَتْ، وَقُتِلَ. وانْصَرَفَ السيّد إلى مَرَّاكُش وولّى عليها عبدَ الله بن طاع الله الكُوميّ. / [202 ب] ثمّ ولّى الناصرُ عليها السيّدَ أبا زَيْد، وجعلَ ابنَ طاع الله على قِيادة البَحْر، وبعد السيّد أبي زَيْد وَلِيَهَا السيّدُ أبو عبد الله بن أبي حَفْص بن عبد المؤمن، ثمّ أبو يحيى بن عليّ بن أبي عِمْران التّينملّلي، ومن يَده أخذَها النّصارَى لسنة سبعٍ وعشرين وستّ مائة.

## 20 • خبرُ إفريقيّة، وتغلُّب ابن غانية [عليها]، وولايةِ أبي محمّد ابن الشّيخ أبي حَفْص

لما هَلَكَ المنصورُ قوِيَ أمْرُ ابن غَانِيَةَ بإفْرِيقِيَّةَ، ووَلَّى النّاصِرُ السيّدَ أبا زَيْدٍ والشيخَ أبا سعيد بن أبي حَفْص، ويُقَالُ إنَّ المنصورَ وَلاَّهُمَا، وَكَثُرَ الهَرْجُ بإفْرِيقيَّة.

وثار بالمَهْدِيَّة مُحَمَّدُ بن عبد الكريم الرّكراكي وَدَعَا لنفسه، ونازع ابنَ غانِيَة والمُوَحِّدِينَ الأمْرَ، وَتَسَمَّى: صَاحِبَ قُبّةِ الأَدِيمِ، مُحَمَّدَ بن عبد الكريم. وَنَازَلَ تُونِسَ وعَاثَ في قُراهَا سنةَ ستٍّ وتسعين، ونازلَ ابنَ غانِيَة بِقَابِسَ فامْتَنَعَ عليه. وكان محمدُ بن مسعود البَلَطُ شيخُ رِيَاحٍ من أشياعه، فانتَقَضَ عليه وراجعَ ابنَ غانِيَة، فأُتِيحَ له الظُّهُور على محمّد بن عبد الكريم، وقَصَده وهو على قَفْصَةَ فَهَزَمَهُ واتّبَعَهُ إلى المَهْدِيَةِ فنازلَه بها. وبعثَ إلى صاحب تُونس في المَدَد بأُسْطوله فأمَدَّهُ، فضاقت حالُ ابن عبد الكريم فسألَ الأمانَ من ابن غانِيَة فأَمَّنَهُ، وخرج إليه، فتَقَبَّضَ عليه واسْتَوْلَى على المَهْدِيَةِ سنةَ تسع وتسْعين، وقتَلَه.

وبعث النَّاصرُ أسطولَه في البَحْر مع عمّهِ أبي العَلِيّ، وعساكرَ المُوَحِّدِينَ مع السّيدِ أبي الحسن بن أبي حَفْص بن عبد المؤمن، ونازلوا ابنَ عبد الكريم قبل استيلاء ابن غانِيَة عليها، فاعْتَذَرَ ابنُ عبد الكريم بأنَّهُ حافِظٌ للحِصْن من العَدُوّ لا يُمَكِّنُهُ إلاّ لِثِقَةِ الخليفة. وانْصَرَفَ السيِّدُ أبو الحسن إلى بِجَايَة مَوْضِعِ عَمَلِهِ، وقَسَّمَ العَسْكَرَ بَيْنَه وبين أخيه السيّدِ أبي زَيْد صاحبِ تُونس، وَصَلَحَتِ الأَحْوَالُ.

ثمّ إنّ ابنَ غانِيَة لـمّا تَغَلَّبَ على المَهْدِيَّة وعلى قَرَاقُش الغُزّيّ صاحبِ عَمَلِ طَرَابُلُس - وقد مَرَّتْ أخبارُه في أخبار ابن غَانِيَة- ثمّ تَغَلَّبَ على بلاد الجَرِيدِ، ثمّ نازَل تُونس سنةَ تسع وتسعين، وافْتَتَحَهَا عَنْوَةً وَتَقَبَّضَ / [203 أ] على السيّدِ أبي زَيْد، وطالبَ أهلَ تُونِس بالنَفَقَةِ التى أَنْفَقَ، وبَسَطَ عَلَيْهِمُ العَذَابَ، وتَوَلَّى ذلك فِيهِمْ كَاتِبُهُ ابنُ عُصْفُورٍ، حتىّ هَلَكَ في الإمْتِحَانِ كَثيرٌ من بيُوتَاتِهِمْ. ثمّ دخل في دَعْوَتِهِ أَهْلُ بُونَةَ وبنزرت وشَقْبَنَّارِيَّة والأَرْبُص والقَيْرَوان وتَبِسَّةَ وصَفاقُس وقَابِس وطَرَابُلُس. وانْتَظَمَتْ له أَعْمَالُ إفْرِيقِيَّة، وفَرَّقَ العُمَّالَ، وخَطَبَ لِلْعَبَّاسِيّ، كما ذكرنا[أ] في أخبارِه. ثمّ وَلّى على تُونِس أخاهُ الغَازِي، ونَهَضَ إلى جبال طَرَابُلس فأَغْرَمهم ألفَ ألف دينار - مُكَرَّرَة مَرَّتَيْن - ورَجَعَ إلى تُونِس.

واتَّصَلَ بالنَّاصر كَثْرَةُ الهَرْجِ بإفْرِيقِيَّة واسْتِيلاَءُ ابن غَانِيَة عليها وحُصُولُ السّيد أَبِي زَيْدٍ في قَبْضَتِهِ، فَشَاور المُوحّدِين في أَمْرِهِ فأشاروا بُمسَالَمَة ابن غانِيَة، وأشار أبو محمد ابن الشّيخ أبي حَفْص بالنُّهُوضِ إليها والـمُدَافَعة عَنْهَا فعَمَلَ على رَأْيِهِ وَنَهَضَ من مَرَّاكُش سنةَ إحدى وستّ

(أ) ف: ذكرناه.

مائة، وبَعَثَ الأُسْطُولَ في البحر لِنَظَرِ أبي يَحْيَى بن أبي زكَرِيَّاء الهَزْرَجِيّ. فبعث ابنُ غانِيَة ذَخِيرَتَهُ وخدَمَهُ إلَى المَهْدِيَّةِ مع عليِّ بن الغازي بن محمد بن علي. وانْتَقَضَ أَهْلُ طَرابلُس على ابن غانِيَة، وأخرجوا عامِلَهم تاشَفِينَ بن الغازي بن محمد بن عليِّ بن غانِيَة، وقَصَدَهم ابنُ غانِيَة فاقْتَحَمَهَا وخرَّبها.

وَوَصَلَ أُسْطُولُ النَّاصِرِ إلى تونس فَدَخَلُوها وقَتَلُوا من كان بها من أتْباعِ ابن غانِيَة. ونَهَضَ النَّاصِرُ في اتِّباع ابن غانِيَة فأَعْجَزَهُ، ونازَلَ المَهْدِيَّة. وبَعَثَ أبا محمَّد ابن الشَّيخ أبي حفص لِلِقَاء ابن غانِيَة فلَقِيَهُ بتاجرا فأَوْقَعَ به، وقتَلَ أَخَاهُ جبارَةَ وكَاتِبَهُ ابن اللَّمْطي(أ) وَعامِلَه الفَتْحَ بن محمَّد. قال ابنُ نَخِيل: وكانت الغَنائمُ من عَسْكَره يَوْمَئِذٍ ثَمانيةَ عشر ألفًا من أَحْمالِ المال والمَتاعِ والخُرْثِيِّ والآلَة؛ ونَجا بأهله وَوَلَدِه، وأَطْلَقَ السَّيِّدَ أَبَا زَيْد من الاعْتِقال بعد أن هَمَّ حَرَسُهُ بِقَتْلِهِ عند الهزيمة. ثمّ تَسَلَّمَ النَّاصِرُ للمهديَّة من يَدِ عَلِيِّ بن الغازي المعروف بالحاج الكافي على أن يَلْحَقَ بابن عَمِّهِ، فَقَبِلَ شَرْطَه ومضى لِوَجْهِهِ، ثمّ رَجَعَ من طريقه، واخْتَارَ التَّوْحِيدَ فَقُبِلَ ونَالَهُ من الكَرامة والتَّقْرِيبِ مَالاً فَوْقَهُ؛ وَهَلَكَ في يوم العُقَابِ الآتي ذِكْرُهُ. ثمّ فَوَّضَ [203 ب] النَّاصِرُ عن المَهْدِيَّةِ، واسْتَعْمَلَ / عَلَيها محمّدَ بن يَغْمور الهَرْغِي، وعلى طَرَابُلُس عبدَ الله بنَ إبراهيم بن جامع، ورجع إلى تُونِس فأقام إلى سنة ثلاثٍ وستّ مائة. وَسَرَّحَ أخاه السَّيِّد أبا إسحاقٍ في عسكرمن المُوَحِّدِينَ لاتِّباع العَدُوِّ، فَدَوَّخوا ما وراءَ طَرَابُلَس، واسْتَأْصَلُوا بَنِي دَمَّرٍ ومَطْمَاطَةَ وجِبالَ نَفُوسَةَ وَتَجاوَزُوهَا(ب) إلى سُوَيْقَةِ بَنِي مَذْكُورٍ. وقَفَلَ السَّيِّدُ أبو إسحاق بهم إلى أخيه النَّاصِرِ بِتُونِس وَقَدْ كَمُلَ الفَتْحُ. ثمّ اعْتَزَمَ على الرَّحِيل،

(أ) ف: اللمطى (ب) ظ: تجاوزه.

إلى المَغرِبِ، وأجْمَعَ رَأْيَه على تَوْلِيَةِ أبي مُحَمَّد ابن الشيخ أبي حَفْص، وكان شَيْخَ دَوْلَتِهِ وصاحبَ رَأْيِه، فامْتنعَ، إلى أن بَعَثَ إليه النَّاصِرُ في ذلك بابْنِه يُوسُفَ فَأكْبَرَ مَجِيئَهُ، وأَنَابَ لذلك على أن يُقِيمَ بإفْرِيقِيَّة ثَلاَثَ سنينَ خَاصَّةً، خِلاَلَ ما يَسْتَحْكِمُ صَلاَحُها، وأَنْ يَحْكُمَ في من يُقِيمُ معه من العسكرِ، فتَقَبَّلَ شَرْطَهُ. ورجع النَّاصِرُ إلى مَرَّاكُش فدخلها في ربيع سنة أربع وستّ مائة، وقَدَّمَ عبد العزيز بن أبي زيد الهِنْتَاتِي على الأشغال بالعُدْوَتَيْن، وكان على الوزارة أبو سعيد بن جامِع، وكان صديقًا لإبن عبد العزيز. وعند مَرْجَعِهِ من إفْرِيقِيَّةَ تُوُفِّيَ السَّيِّدُ أبو الرَّبيع بن عبد الله بن عبد المؤمن صاحبُ تِلِمْسَان وسِجِلْمَاسَة، والسَّيِدُ أبُو الحسن بن أبي حَفْص بن عبد المؤمن صاحبُ بِجَايَة. وقد كان أبو الرَّبيع هذا وَلِيَ بِجَايَةَ من قَبْلُ، وهو الذى جَدَّدَ الرَّفِيعَ والبَدِيعَ من رِيَاضها، وكان بَنُو حَمَّادٍ شَيَّدُوهُمَا مِنْ قَبْلُ فأَصَابَهما الخَرابُ، وجدَّدَهُمَا السَّيِدُ أبو الرّبيع.

وفي سنة خَمْسٍ بَعْدَهَا عَقَدَ للسيِّدِ أبي عمران بن يوسف بن عبد المؤمن على تِلِمْسَان، أدَالَ به مِنْ السيّد أبي الحسن، فَوَصَلَ إلى تِلِمْسَان في عساكِرِ الموحدين، وتَطَوَّفَ بأَقْطَارِهَا. وَزَحَفَ إليه ابن غَانِيَة هُنالك، فانْفَضَّ المُوَحِّدُونَ، وقُتِلَ السّيدُ أبو عمران، وارتاعَ أهلُ تِلِمْسَانَ.

وأَسْرَعَ السّيدُ أبو زكريّاء من فاس إليها، فَسَكَّنَ نُفُوسَهُمْ خلال ما عَقَدَ النَّاصِرُ لأَبي زيد بن تُوجَان على تِلِمْسَان، وسرَّحَهُ في العساكِر فَنَزَلَ بها، وَفَرّ ابنُ غَانِيَة إلى مكانه من قَاصِيَة إفْرِيقِيَّة ومعه محمد بن مسعود البَلْط شيخُ الذَّوَاوِدَةِ من رياح، وغيرُه من أَعْرَابِ رِيَاح وَسُلَيْم. واعْتَرَضَهُمْ

[204 أ] أبو محمّد بن أبي حَفْص / فَانْكَشَفُوا، واسْتَوْلَى المُوَحِّدُون على مَحَلاَّتِهِمْ وما بأيديهم، وَلَحِقُوا بجهات طَرَابُلس، ورجع عنهم سَيْرُ بن إسحاق آخذًا بِدَعْوَةِ المُوَحِّدين.

وفي هذه السنة، عَقَدَ النَّاصِرُ على جزيرة مَيُورقَةَ لأبي يحيى بن أبي الحسين بن أبي عمران، أَدَالَ به من السيّد أبي عبد الله بن أبي حَفْص وَعَقَدَ له على بَلَنْسيةَ. وعقد على مُرْسِيَةَ لأبي عمران بن ياسين الهِنْتَاتِي، أَدَالَ به من أبي الحسن بن واكّاك. وَعَقَدَ للسيِّدِ أبي زيد على كورة جَيَّان، أدال به من أبي موسى بن أبي حَفْص. وعقد للسّيد أبي إبراهيم بن يوسف على إشْبِيلية، ولأبي عبد الله بن أبي يَحْيى ابن الشّيخ أبي حَفْص على غَرْناطَة، إلى أن كان ما نَذْكر.

## 21 • أَخْبارُه في الجهاد

لمّا بَلَغَ النَّاصِرَ تَغَلُّبُ العَدُوِّ على كثير من حُصون بَلَنْسِية، أَهَمَّهُ ذلك وأَقْلَقَه، وكتب إلى الشّيخ أبي محمّد بن أبي حَفْص يَسْتَشِيرُه في الغَزْو فأبَى عليه، فخالَفه، وخرجَ من مَرَّاكُش سنة تِسْعٍ، ووصل إشْبِيليَّةَ واسْتَقَرَّ بها واسْتَعَدَّ للغَزْو. ثمّ خرج من إشْبِيلية وقصدَ بلاد ابن أذفُونِش فافتتح قلعة شَلْبَطْرَة واللُّجّ في طريقه. ونازلَ الطَّاغِيَةُ قلعةَ رِباحٍ وبها يوسفُ بن قادس، وأخذ بِمُخَنَّقِه فصالحه على النُّزُولِ، ووصلَ إلى النّاصر فقتلَه. وسار على التَّعْبِئَةِ إلى الموضع المعروف بِالعُقَاب، وقد اسْتَعَدَّ له الطَّاغِيَةُ، وجاءَه طاغيةُ بَرْشُلُونَةَ مَدَدٌ بنفسه فكانَت الدَّبرةُ(أ) على المسلمين، وانكَشَفُوا

(أ) ف: الدائرة.

في يوم بَلاَءٍ وَتَمْحِيص أواخرَ صَفر سنةَ تِسْعٍ وستّ مائة. وانْكَفَأَ راجعًا إلى مَرَّاكُش، فهَلَكَ في شعبان من السَّنَةِ بَعْدَهَا. وكان ابنُ أَذفُونِش قد باطَنَ ابنَ عَمِّهِ البَبَّوْج صاحبَ لِيُون في أن يُوالِيَ النَّاصرَ وَيَجُرَّ الهَزِيمَةَ على المسلمين، ففعلَ ذلك.

ثم رَجعوا إلى الأَنْدلُس بعد الكائنة للإغارة على بلاد المسلمين، فَلَقِيَهم السَّيدُ أبو زكرِيّاء بن أبي حَفْص بن عبد المُؤمن قريبًا من إِشْبِيلِيّة فهزمَهم، وانْتَعَشَ المسْلِمون بها، واتَّصَلَتِ الحالُ على ذلك.

## 22 • ثورةُ ابن الفَرَس

كان عبدُ الرّحيم بن عبد الرحمن / بن الفَرَسِ من طَبقة العلماءِ [204 ب] بالأَنْدَلُسِ، ويُعْرَفُ بالمُهْرِ. وحضر مجلسَ المنصور في بعض الأيّام وتكلّم بما خَشِيَ عَاقِبَتَهُ في عَقْدِهِ، وخرَج من المجلس فاختَفَى مُدَّةً. ثمَّ بعد مَهْلِكِ المنصورِ، ظهرَ في بلاد كَزُولَة وانْتَحَلَ الإمَامَة، وادَّعَى أنَّه القَحْطَانيُّ المُرَادُ في قَولِه(1) ﷺ: لا تَقُومُ السّاعةُ حتّى يَخْرُجَ رجلٌ من قَحْطَان يَقُودُ النَّاسَ بِعَصَاهِ، يَمْلَؤُهَا عَدْلاً كما مُلِئَتْ جَوْرًا، إلى آخر الحديث. وكان ممّا يُنْسَبُ إليه من الشّعر: [من البسيط]

قولوا لأبْناءِ عبدِ المؤمن بن علي ... تأَهَّبُوا لِوُقُوعِ الحادثِ الجَلَلِ(أ)

(أ) ظ ف: الجللى.

(1) صحيح مسلم 2910 (كتاب الفتن وأشراط الساعة)، ابن حجر: فتح الباري (كتاب الفتن) 13: 76.

قد جاء سيّدُ قَحْطَانٍ وعَالِمُهَا    وَمُنْتَهَى القَوْلِ والغَلاَّبُ للدُّولِ
والنّاسُ طَوعًا عَصاهُ[أ] وهو سَابِقُهُمْ    بالأَمْرِ والنَّهْيِ بَحْرِ العِلْمِ والعَمَل
تبادَرُوا أمْرَهُ فاللهُ نَاصِرُهُ    واللهُ خَاذِلُ أَهْلِ الزَّيْغِ والمَيَلِ

فبعث النّاصرُ إليه الجيوشَ فهزَموهُ، وَقُتِلَ، وَسِيقَ رأسُه إلى مَرَّاكُش فنُصِبَ بها.

## 23 • دَوْلَةُ المُسْتَنْصِرِ بن النّاصر

لما هلَكَ محمّدُ بن النّاصِر بن المنصور، بُويِعَ ابنُهُ يوسفُ سنةَ إحدى عشرة، وهو ابن سِتّ عَشْرَةَ سَنَة وَلُقِّبَ المُسْتَنْصِرُ بالله. وَغلَبَ عليه ابنُ جامعٍ ومشيخةُ الموحّدين، فقاموا بأمْرِه. وتأَخّرَتْ بَيْعةُ أبي محمّد ابن الشيخ أبي حَفْص من إفْرِيقِية لِصِغَرِ سِنِّ المُسْتَنْصر، ثمّ وَقعَت المُحَاوَلَةُ من الوزير ابن جامعٍ وصَاحِبِ الأَشْغَالِ[ب] عَبدِ العزيزِ بن أبي زَيْد فوَصَلَت بيعتُه. واشْتَغَلَ المستنصرُ عن التّدبير بما يَقْتَضِيهِ الشَّبَابُ. وَعقَدَ للسّادَةِ على عَمَالاَتِ مُلْكِه، فعقَدَ للسيّد أبي إبراهيم أخي المنصور ويُلَقَّبُ بالظَّاهِرِ على فَاس، وهو أبو المُرْتَضَى. وَعقَدَ على إشْبِيليّةَ لِعَمِّهِ السيِّدِ أبي إسحاقِ الأحْولِ. واسْتَولَى أَلْفُنْش على المعاقل التي أخذها الموحّدونَ، وهَزَمَ حَامِيَةَ الأَنْدلُس، وَوَفَدَ رَسولهُ ابنُ الفَخّارِ فحاوَلَه ابنُ جامعٍ في السّلمِ فَعقَدَهُ. ثم

(أ) ف: عصاة    (ب) ف: الاستغلال.

صَرَفَ ابنَ جامعٍ عن الوِزارَة بعد مَهْلِك ابن أبي زَيْد [بسِعاية](أ) / أبي زيْد بن يُوجّان(ب)، واستوزرَ أبا يحيى الهَزَرجي، ووَلّى على الأشْغال أبا عليّ بن أشْرَفي. ثمّ رَضِيَ عن ابن جامِعٍ وأعادَه. وعَـزَلَ أبا زَيْـد بن يُوجّان من ولاية تِلِمْسَان بِأبي سعيد بن المنصور، وبعثَه إلى مُرْسِيَةَ فَاعْتُقِلَ بها. [205 أ]

واستَمَرَّت أيّامُ المُستنصِر في هُـدْنَةٍ ومُوادعَة إلى أن ظَهَرَ بنو مَرِين بجهات فَاس سنةَ ثلاثَ عَشرة، فخرج إليهم وَالِيهَا السيِّدُ أبو إبراهيم في جُمُوعِ المُوَحِّدِينَ فهزَموه وأَسروه، ثم عَرَفُوهُ وأَطْلَقُوهُ. ثمّ وَصَلَ الخبرُ بِمَهْلِكِ أبي محمد بن أبي حَفص صاحِب إفْرِيقيَّة فَوَلَّى عليها السيِّدَ أبا العُلَى أخا المنصور، وكان واليًا بإشْبِيلِيَة، فَعُزِلَ وَوُلِّيَ على إفْرِيقيّة بسعايَة ابن مُثَنَّى خَاصّةِ السّلطان فتَوَجَّهَ إليها، كما نَذكر في أخبار بَني أبي حَفْص.

وخرج بناحية فَاس رجلٌ من العُبَيْدِيّينَ، انْتَسَب للعاضِد، وتَسَمّى بالمَهْدِيّ؛ فبعث السّيدُ أبو إبراهيم أخو المنصور وَالي فَاس إلى شيعَته وبَذلَ لهم المالَ، فتَقَبَّضُوا عليه وساقوه إليه فقُتِل. وفى سَنة تِسْعَ عَشْرَة عَقَدَ المستنصرُ لِعَمّهِ أبي محمّد المعروفِ بالعادِلِ على مُرْسِيَة، وعَزَلَهُ عن غَرْنَاطَةَ. وهَلَكَ سنةَ عشرين وقد الْتاثَتِ الأُمور، فكان ما نَذْكُرُ.

## 24 • الخبرُ عن دَوْلة المخْلوعِ أَخي المَنْصور

لما هَلَكَ المُستنصرُ في الأضحى من سنة عشرين، اجْتَمَعَ ابنُ جامِع والمُوَحّدون وبايَعوا للسيّد أبي محمّد عبد الواحِد أخي المنصور فقامَ بالأمر،

(أ) ظ ف: لسعايه (مهملة) (ب) كذا ضبط في ظ.

وأَمَرَ بمطالبة ابن أَشْرفيّ بالمال. وكتَب لأخيه أبي العُلَى بتجْديد الولاية على إفريقيّة، بعد أن كان المُستَنْصر أَوْعَز بعَزْله، فأَدْرَكَتْهُ الولايةُ ميّتًا. فاسْتَبَدّ بها ابنُه أبو زَيْد المُشَمِّرُ، كما نَذْكره في أخبار إفْريقِيّة. وأنفَذَ المَخْلوعُ أَمْرَهُ بإطْلاق ابن يُوجَّان فأُطْلِقَ، ثُمّ صَدّهُ ابنُ جامع عن ذلك، وأَنفَذ أخاه أبا إسْحاق في الأُسْطول لِيُغَرِّبَهُ إلى مَيُورقَةَ، كما كان المُستَنْصِرُ أَنفَذَهُ قبلَ وَفاته. وكان الوالي بِمُرسِيَةَ أبو محمّد عبد الله بن المَنْصور، فأَغْرَاهُ ابن يُوجَّان بالتَّوَثُّبِ على الأَمْر،/ [205 ب] وَشَهِدَ له أنّه سَمِعَ من المَنْصور العهدَ له بالخِلافة من بعد النَّاصِرِ، وكان النّاسُ على كُرْهِ ابن جامِع، وَوُلاَةُ الأَنْدَلُسِ كُلُّهُمْ بنو المنصور، فَأَصْغَى إليه، وكان مُتَرَدِّدًا في بَيْعَة عَمِّه، فدعَا لنَفْسه وتَسَمَّى بالعادل. وكانَ(أ) إخْوَتَهُ أبو العُلَى صاحبُ قُرْطُبَةَ، وأبو الحسن صاحبُ غَرْنَاطَةَ، وأبو موسى صاحبُ مَالَقَةَ، فَبَايَعُوهُ سِرًّا.

وكان أبو محمّد بن أبي عبد الله محمّد بن أبي حَفْص بن عبد المؤمن المعروف بالبَيَّاسي صاحبَ جَيَّان، وعَزَلَهُ المَخْلوعُ بعمّه أبي الرَّبيع بن أبي حَفْص، فانْتَقَضَ وبايَع للعادِل، وزَحَفَ مع أبي العُلَى صاحبِ قُرْطُبَة، وهو أَخو العادِل، إلى إشْبِيلِيَّةَ وبها عبدُ العزيز أخو المَنْصور والمخلوع، فدَخلَ في دَعْوتهم. وامْتَنَعَ السيّدُ أبو زَيْد بن أبي عَبْد الله أخي البَيَّاسي عن بَيْعة العادل وتَمَسَّكَ بطاعة المَخْلوع. وخَرج العادلُ من مُرْسِيَةَ إلى إشْبيلِيَّةَ فدخلَها معه أبو زَيْد بن يُوجَّان. وبَلَغَ الخبرُ إلى مَرَّاكُش فاختلَفَ المُوَحِّدونَ على المخلوع، وبَادَرُوا بعَزْل ابن جامِع وتَغْريبِه إلى هَسْكُورَة. وقام بأمْرِ هِنْتَاتَةَ أبو زكريّاء يحْيى بن أبي يحْيى الشَّهيد ابن أبي حَفْص.

(أ) ف: كانت.

وتأمَّر بتِينمَلَّلْ يوسفُ بنُ عليّ، وبعثَ على أُسطول البَحْر أبا إسحاق بن جامِع، وأَنفَذَهُ لِمَنع الجَوَاز من الزُّقاقِ. وكان أَسرَّ إلى ابن جامِعٍ حينَ خرج إلى هَسْكُورَةَ، أن يُحاولَ عليه من هُنالك، فلم يَتِمَّ أَمْرُه، وقُتِلَ بمكانٍ خَفيٍّ في ربيع سنة إحدى وعشرين، وبَعَثَ المُوَحِّدُون بِبَيْعَتِهِم إلى العَادِلِ.

## 25 • الخبرُ عن دَوْلة العادِل بن المَنْصور

لـمَّا بَلَغَتْ بَيْعةُ المُوَحِّدِين للعادِل وكِتَابُ ابن زكريّاء ابن الشّهيدِ بِقصّةِ المَخْلوعِ، قَارَنَ ذلك تَغْيِيرَهُ للبَيّاسِي، فانْتَقَضَ عليه ودعَا لنفسه بِبَيَّاسةَ، وتلقَّبَ الظّافِرَ، وشُغِلَ بِشأْنِهِ، وبعثَ أخاه أبا العُلَى لِحِصَاره فامْتَنَعَ عليه، وبعثَ بعده ابنَه أبا سعيد ابن الشّيخ أبي حَفْص فامتنع عليه أيضا. واخْتَلَفَتِ الأحْوَالُ بالأَنْدَلَسِ على العادلِ، وكَثُرَتْ إغَارَةُ النَّصارَى على إشْبِيلِيَّةَ ومُرْسِيَةَ وهو مُقِيمٌ بها. / [06] وانْهزمت جيوشُ المُوَحِّدِينَ على طَلْياطَة[1] وأَغْرَاهُ خاصَّته بابن يوجَّان فأجازَ البحرَ إلى سَبْتَةَ. وعَظُمَ أمْرُ البَيَّاسِي بالأَنْدَلُسِ، وظَاهَرَ النَّصارَى على شَأْنه، فأجازَ العادلَ إلى العُدْوَة وَوَلَّى أخاه أبا العُلَى على الأَنْدَلُسِ. ولماّ كان بقَصْرِ المجاز دخلَ عليه عَبْو ابن أبي محمّد ابن الشّيخ أبي حَفْص، فقال له: كيفَ حالُك، فأنشدهُ[2]:

حالٌ متى عَلِمَ ابنُ منصورٍ بها    جـاءَ الزّمـانُ إليه منها تَائِبَا

(1) ياقوت: معجم البلدان 4: 39، يوسف بني ياسين: بلدان الأندلس 390.

(2) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة مدح بها عليّ بن منصور الحاجب، مطلعُها: [من الكامل]

بأبي الشّموسُ الجانحات غواربا    اللاّبساتُ من الـحرير جَلابِبَا

ديوان أبي الطيب المتنبيّ، ص 100 تحقيق عبد الوهاب عزّام. القاهرة 1944

فاسْتَحْسَنَ ذلك، ووَلاّهُ إفْرِيقِيّة، وكَتَبَ للسيّدِ أبي زَيْد ابن عَمِّهِ بالقُدوم. ووَصَل إلى سَلاَ فأقامَ بها. وبَعَثَ عن شُيوخ جُشَم، وكان لابن يُوجّان عناية واختصاصٌ بهلال بن حَمِيدان بن مُقَدَّم أمير الخَلْط، فتَثَاقل ابنُ جرمون أمير سُفيان عن الوصول. واقْتَتَلَ الخَلْط وسُفْيان، وبَادَرَ العادِلُ إلى مَرَّاكُش فدخلَها، واسْتَوْزر أبا زَيْد بن أبي محمّد ابن الشّيخ أبي حَفْص، وتَغيَّرَ لابن يوجّان ففَسَد باطنُه. وتَغَلَّبَ على الدّولةِ ابنُ الشَّهيد ويوسفُ ابن عليّ شَيْخَا هِنْتَاتَة وتِينْمَلَّل. ثمّ خالَفتْ هَسْكُورَةُ والخَلْط وعاثوا في نَواحي مَرَّاكُش. وخرجَ إليهم ابنُ يُوجَّان فلم يُغْنِ شيئًا، فخَرَّبُوا بلادَ دُكَالة، فأنْفَذَ إليهم العادلُ عسكرًا من المُوَحّدِينَ لِنَظرِ إبراهيم بن إسماعيل ابن الشّيخ أبي حَفْص، وهو الذي كان نازعَ أولادَ الشّيخ أبي محمّد بإفريقيّة، كما نَذكره، فانْهزم، وقُتِل، وخرجَ ابنُ الشّهيد ويوسفُ بنُ عليّ إلى قَبَائِلِهما لِلْحَشْدِ ومُدَافعة هَسْكُورَة، فاتَّفقَا على خَلْع العادِل والبَيْعة ليَحْيى بن النّاصر. وقَصَدُوا مَرَّاكُش فاقْتحموا عليه القصرَ ونَهبوه، وقُتِل العادلُ خَنْقًا أيّامَ الفِطْر من سنة أربع وعشرين.

## 26 • الخبرُ عِن دَوْلة المَأْمون بن المَنْصور، ومُزَاحَمَة يَحيى بن النّاصِر لهُ

كان المأمون لمّا بَلَغَهُ انتِقاضُ المُوَحّدين والعَرب على أخيه وتَلاشي أمْره، دعا لِنَفْسِهِ بإشْبيليّة، فَبُويِع وأجابه أكْثَر أهل الأنْدَلُس، وبَايَعَ له السّيّدُ أبو زَيْد / صاحبُ بَلَنْسِيَةَ وشَرْق الأنْدَلُس. ثمّ كان ما قدّمناه من [206 ب]
انْتِقاضِ المُوَحّدِينَ على العادلِ وقَتْلِهِ بِالقَصْرِ، وبَيْعَتِهم ليَحيى ابن أخيه

النّاصر، فكَاتَب ابنَ يُوجَّان سِرًّا وَعَمِل على إفْسَادِ الدَّوْلة، فَدَاخَلَ هَسْكُورَةَ والعرب في الغَارَةِ على مَرَّاكُش، وهَزَمُوا عساكر الموَحِّدين. وفَطِنَ ابنُ الشَّهيد لتدْبير ابن يُوجَّان فقتلَه بدَاره. وخَرَجَ يحيى بنُ النَّاصرِ إلى مُعْتَصَمِه كما ذكَرْناه، فَخَلَعَ المُوَحِّدونَ العادلَ وَبَعَثُوا ببَيْعَتِهم إلى المأمون، وَتَوَلّى كِبْرَ ذلك الحسنُ بن عبد الله الغُرَيْغِر(أ) والسّيدُ أبو حَفْص ابن أبي حَفْص، فبَلَغَ خَبَرُهم إلى يحيى بن النّاصر وابن الشّهِيد، فَنَزَلُوا إلى مَرّاكُش سنةَ ستٍّ وعشرين وَقَتَلُوهُمْ. وبَايَعَ للمأمون صاحبُ فَاس وصاحبُ تِلِمْسَان محمَّد بن أبي زَيْد بن يُوجَّان، وصاحبُ سَبْتَةَ أبو موسى ابن المنصور، وصاحبُ بجَايَةَ ابنُ أُخْته ابن الأَطّاسِ. وامْتَنَعَ صاحبُ إفريقيّة وكان ذلك سببًا لاسْتِبْدَاد الأمير أبي زكريّاء على ما يُذكر(ب). ولم يَبْق على دَعْوة يحيى ابن النّاصِر إلاّ إفْرِيقِيّةُ وسِجِلْمَاسَةُ. وزَحَف البَيَّاسِي إلى قُرْطُبَةَ فمَلَكهَا، ثم زَحفَ إلى إشْبِيلِيّةَ فنازلَ بها المأمونَ والطّاغيةُ معه، بعد أن نزلَ له عن قِجاطَة وغَيْرها من حُصون المسلمين، فهزمَهم المأمونُ بنواحي إشْبِيلِيّةَ. وَلحِقَ البَيَّاسِي بقُرْطبه فثاروا به، ونَجا إلي حِصْن المُدَوَّرِ فغدَر به وزيرُه ابنُ يبورك وجاء برأسه إلي المَأْمُونِ بإشْبِيلِيّة. ثمّ ثارَ محمد ابنُ يوسف بن هودٍ وَمَلَكَ مُرْسِيَة، واسْتَولَى على الكثير من شرق الأنْدَلُس كما ذكرناه في أَخْباره. وزَحَف إليه المأمونُ وحاصرَه فَامْتنع عليه، فرجعَ إلى إشبِيلِيّة. ثمّ خرج سنة ستٍّ وعشرين(1) إلى مَرَّاكُش لـمّا اسْتَدْعَاه أهلُ المغرب، وبعثوا إليه بِبَيْعاتِهم. وبعث إليه هلالُ بن حميدان

(أ) كذا ضبط في ظ (ب) ف: نذكر.

(1) ف ظ ف: تسعين. وأُصلحت في ف بما أثبتناه.

أميرُ الخَلْطِ يَسْتَدْعِيهِ. واسْتمدَّ الطَّاغيةُ عسكرًا من النّصارى فأمَدَّهُ على شُرُوطٍ تَقَبَّلَها مِنْهُ المَأْمُونُ، وأَجَازَ إلى العُدْوةِ وبَادَر أهلُ إشْبِيلِيَّة بالبَيْعة لابن هودٍ. واعْتَرَضَه يَحيى بن النَّاصر فَهَزَمَهُ المأمونُ واسْتَلْحَمَ من كان معه من المُوَحِّدِين والعَرب، ولحِقَ / [207 أ] يحيى بجبل هِنْتاتَة. ثمّ دَخَلَ المأمونُ الحَضْرَةَ وأحضر مَشيخةَ المُوَحّدينَ وعدَّدَ عَلَيْهِمْ فِعْلاَتِهم، وَتَقَبَّضَ على مائةٍ من أَعْيَانِهِم فَقَتَلَهُم. وَأَصْدَرَ كتابه إلى البُلْدان بِمَحْوِ اسْم المَهْدِيّ من السكّةِ والخُطْبَةِ والنَعْي عليه في النّداء للصّلاةِ باللّغة البَرْبَرِيّة، وزيادة النّداء لِطُلُوع الفَجْر، وهو: أَصْبحَ ولله الحَمْدُ، وغيرِ ذلك من السُّنَنِ التى اختصَّ بها المَهْدِيُّ وعبدُ المؤمن، وجرَى على سَنَنِها أبْناؤه، فأَوْعَز بِالنَّهْي عن ذلك كُلِّهِ. وشَنَّعَ علَيْهِم في وَصْفِهِم الإمام المَهْدِيّ بالمَعْصُوم، وأَعَادَ في ذلك وأَبْدَى.

وأَذِنَ للنّصارَى القادِمين معه في بِنَاءِ الكَنِيسَة بـمَرَّاكُش عَلَى شَرْطِهِم فَضَرَبُوا بها نَوَاقِيسَهم. واسْتوْلَى ابنُ هودٍ بعدَه على الأَنْدلس وأخرجَ منها سائرَ المُوَحّدين، وقَتَلهم العَامّةُ في كلّ قُطْر، وقُتِلَ السيِّدُ أبو الرّبيع ابن أخي المَنصور، وكانَ المأمونُ تَرَكَه وَالِيًا بِقُرْطُبَة.

واسْتَبدَّ الأميرُ أبو زكريّاء بن أبي محمّد بن الشّيخ أبي حَفْص بإِفْرِيقِيّة، وَخَلَعَ طاعتَه سنةَ سبعٍ وعشْرين، فَعَقَدَ للسيّد أبي عمران ابن عمّهِ محمَّد الحَزْضَاني (أ) على بِجَايَةَ مع أبي عبد الله اللّحياني، أخي الأمير أبي زكريّاء. وَزَحَفَ إليه يحيى بن النّاصر فانْهزمَ، ثمّ ثانِيَةً كذلك، واسْتلْحم من كان

(أ) من ف، والحروف في ظ مهملة.

معه وَنُصِبَت رُؤوسُهم بأَسْوار الحَضْرة، ولَحِقَ يحيى بن النّاصر ببلاد دَرْعَةَ وسِجِلْمَاسة، ثُمَّ انْتَقَض على المَأمون أخوه أبو موسى ودعَا لنَفْسه بسَبْتَةَ وتَسَمَّى بالمُؤَيِّد. فخرج المأمونُ من مَرَّاكُش، وبَلَغَهُ في طريقه أنّ قبائلَ بني فَازاز ومِكْلاَتَة[1] حاصروا مِكْناسةَ وَعَاثُوا في نَوَاحِيها، فسار إليها وَحَسَمَ عَالَمَهَا[أ] واسْتَمَرَّ إلى سَبْتَةَ لحاصرها ثلاثَةَ أشهرٍ، واسْتَمَدَّ أَخُوهُ أبو موسى صَاحِبَ الأَنْدَلُسِ ابنَ هُودٍ فأَمَدَّهُ بأساطيله. وخالَف يحيى ابن النَّاصر المَأْمُونَ إلى الحَضْرَةِ فاقْتَحَمَهَا مع عَرَب سُفْيَان[2]، وَشَيْخُهم جَرْمُون بنُ عيسى ومعهم أبو سعيد بن وَانُودِين شيخُ هِنْتَاتَةَ وعاثوا فيها، فأَقْلَع المأمونُ عن سَبْتَةَ يُرِيدُ الحَضْرَةَ، وَهَلَكَ في طريقِه بوادي أُمّرَبيع مُفْتتحَ سنةِ ثلاثين. ولحين إقْلاعِهِ دخلَ أخوهُ السيِّدُ / أبو موسَى في طَاعَةِ ابن هودٍ، وأَمْكَنَهُ من سَبْتَةَ فأَدَالَهُ منها. [207

## 27 • الخبرُ عن دَوْلَة الرّشيد بنِ المَأْمون

لمّا هَلَكَ المأمونُ بُويع ابنُهُ عبدُ الواحَدِ وَلُقِّبَ الرَّشيد، وكَتَمُوا مَوتَ أَبِيهِ وأَغَذُّوا السَّيْرَ إلى مَرَّاكُش، ولَقِيَهُمْ يحيى بنُ النَّاصر في طريقهم بعد أَن اسْتَخْلف بِمَرَّاكُش أبا سَعيد بنَ وَانُّودِين، فَهَزَمُوه وقُتِلَ أَكْثَرُ من مَعه. وصَبَّحَ [الرّشيدُ][ب] مَرّاكُش فامْتَنعُوا عليه سَاعَةً، ثُمّ خَرَجُوا إليه واستَقَاموا على بَيْعَتِهِ. وكَانَ وَصَلَ في [صُحْبَته][ج] عَمُّهُ السيِّدُ أبو محمَّد سَعْدٌ فَحَلَّ

(أ) كذا في ظ ف، ولعلها تصحيف لكلمة: عِلَّها (ب) في ظ ف: المأمون (ج) من ف، ظ: صبحة.

(1) من بطون نفزاوة، انظر عنها وعن بطونها العبَر 11: 151 -

(2) من قبائل جُشَم. العبر 11: 64

من الدَّوْلة بِمَكَانٍ، وكان إليه التدبيرُ والحَلُّ العَقْدُ. وبعد اسْتِقْرارِ الرَّشيد بالحضْرَة، وصل إليه عمر بن وُقَّارِيط[أ] كبيرُ الهَسَاكِرَة بمَنْ كان عندَه من أولاد المأمون السيّدِ وإخْوتِه، جَاؤوا من إشْبِيلِيَّة عند ثَوْرة أَهْلِهَا بِهم، واسْتَقَرُّوا بسَبْتَة عِنْدَ عَمِّهم أبي موسى، ومنها إلى الحَضْرة عند اسْتِيلاء ابنِ هُودٍ على سَبْتَة. ومَرُّوا بهَسْكورة، وكان ابنُ وُقَّارِيط حَذِرًا من المأمونِ ومُعْتَقِدًا أنْ لا يَعُود إليه، فَتَذَمَّمَ بِصِحابة هَؤُلاء الوُلْدِ، وقَدِمَ على الرَّشيدِ، فَتَقَبَّلَهُ واعْتَلَق بوُصْلَةٍ مِنَ السيّدِ أبي محمّد سَعْدٍ وصِحابَةٍ لِمَسْعُودِ بن حِمِيدَان كَبِيرِ الخَلْطِ. ولَمّا هَلَكَ السَيّد أبو مُحَمَّدٍ لحِقَ ابن وُقَّارِيط بِقَوْمِهِ ومُعْتَصِمِهِ وَكَشَفَ وَجْهَ الخِلَافِ، وأَخَذَ بِدَعْوَةِ يحيى بن الناصر واسْتَنْفَرَ له قبائِلَ المُوَحِّدِين. وَنهَضَ إليهم الرَّشِيدُ سنةَ إحدى وثلاثين، واسْتَخْلَف على الحَضْرة صِهْرَه أبا العُلَى إدريسَ، وصَعَد إليهم الجَبَلَ فأوقعَ بيَحْيَى وجُموعِهِ بمكانهم من هَزْرَجَةَ واسْتَوْلَى على مُعَسْكَرِهم، وَلَحِق يَحيى ببلاد سِجِلْمَاسة. وانكَفَأَ الرَّشِيدُ راجعًا إلى حَضْرته. واسْتَأْمَنَ له كثيرٌ من المُوَحّدين الذين كانوا مع يحيى بن النّاصر فأَمَّنهم ولحِقُوا بحَضْرَتِهِ، وكان كبيرُهُمْ أبو عثمان سعيدُ بن زكرياء الكِدْمِيوي، وجَاءَ الباقُون على إثْرِه وبِسَعْيِهِ بعد أن شَرَطُوا عليه إعادة ما كان أزالَه المأمونُ من رُسُومِ / المَهْدِيّ، [208 أ] فَأُعِيدَتْ. وقَدِمَ فيهم أبو بكر بن يُعزى[ب] التِّينْمَلّلي رَسولاً عن يوسف بن عليّ بن يوسف شيخِ تينملّل، ومحمّدُ بن يزْزيكَن[ج] الهِنْتاتي رسولاً عن أبي عليّ بن عزّوز، ورجعا إلى مُرْسِلَيْهما بالقَبول، فقَدِمَا على الحَضْرة، وقَدِمَ معهم موسى بن النّاصر أخو يحيى وكَبِيرُه. وجاء على إثْرِهِمْ أبو محمّد بن أبي

(أ) كذا ضبط الاسم في ظ (ب) الضمّة من ظ (ج) الضبط من ظ.

زكرياء، وأَنِسُوا لإِعَادَة رُسُوم الدَّعْوة المَهْدِيَّة. وكان مسعودُ بن حميدان الخَلْطي قد أَغْرَاهُ عمرُ بن وُقَّاريط بالخِلاف لصِحابةٍ بَيْنهما، وكان مُدِلاً بِبأْسه وكَثْرَةِ جُمُوعِه، يُقَال أَنَّ الخَلْطَ كانوا يومئذٍ يُنَاهِزُون اثنَيْ عشرَ ألفًا سوى الرَّجْلِ والأَتْباع والحُشُودِ، فَمَرِضَ في الطَّاعةِ وتَثَاقَلَ عن الوِفَادة.

ولـمّا عَلِمَ بِمَقْدَمِ المُوَحِّدِينَ اجْتَمعَ(أ) [على](ب) اعْتِرَاضِهم وَقَتْلِهم تَمْكِينًا لِلْفُرْقَة والشَّتَاتِ في الدّولة. فَأَعْمَلَ الرّشيدُ في اسْتِدعائه وصَرَفَ عساكرَه إلى حَاحَةَ لِنَظَرِ وزيره السيّد أبي محمّد، حتّى خَلاَ لابن حَمِيدان الجَوُّ وذَهب عنه الرَّيْبُ، واسْتَقْدَمه فأَسْرع اللَّحاقَ بالحَضْرة، وقَدِمَ معه مُعاويةُ عمُّ عمر بن وُقَّاريط، فَتَقَبَّضَ عليه وقُتِلَ لِحِينِهِ. واسْتَدْعى مسعودَ بن حَمِيدان إلى المجلس الخِلاَفِيّ للحديث، فَتَقَبَّضَ عليه وعلى أَصْحابه وقُتِلُوا سَاعَتَئِذٍ(ج) بعد جَوْلَةٍ وَهَيْعَةٍ، وقَضَى الرّشيدُ حاجَةَ نَفْسِهِ فيهم. واسْتَقْدم وزيرَه وعساكرَه من حَاحَة فَقَدِمُوا. ولماَّ بلَغ خبرُ مَقْتَلِهم إلى قَوْمِهم، قَدَّمُوا عليهم يَحيى بن هِلال بن حَمِيدان وأَجْلَبُوا على سائِر النّواحي، وأَخَذوا بِدَعْوَةِ يحيى واستَقْدَمُوهُ من مكانِه بِقَاصِيَةِ الصّحراء، ودَاخَلَهُمْ في ذلك عُمرُ بن وُقَّاريط وَزَحَفُوا لِحِصَارِ الحَضْرةِ، وخرجتِ العساكرُ لِقِتالِهم، ومعهم عبدُ الصّمدِ بنُ يَلُّولان(د) قريعُ بنِ وُقَّاريط، في جموعه من العساكر، فانْهَزَمُوا، وأُحيطَ بِجُنْدِ النّصارَى فَقُتلوا. وَتَفَاقَمَ الأَمْرُ بالحَضْرة وعُدِمَت(هـ) الأَقْوَات. واعْتَزَمَ الرشيدُ على الخُروج إلى جبال المُوَحِّدين فخَرجَ إليها، وسار منها إلى سِجِلْمَاسة فَمَلَكَها. واشْتَدَّ الحِصَارُ على مَرَّاكُش، وافْتَتَحَهَا يحيى بن النّاصر وقومُه من هَسْكُورَةَ

(أ) ف: أجمع (ب) زيادة لتعدية الفعل اللازم (ج) ظ: ساعتدن (د) الظبط من ظ (هـ) ف: وعدم وعدمت الأقوات.

[208 ب] والخَلْط، وساءَ أَثَرُهم فيها وتَغَيَّرَتْ أحوالُ الخِلافة، وَتَغَلَّبَ على/ السّلطانِ السّيدُ أبو إبراهيم بن أبي حَفْص الملقّب بأبي حافَة.

وفي سنة ثَلاَثٍ وثلاثين خرجَ الرشيدُ من سِجِلْمَاسة بقَصْد مَرَّاكُش، وَخَاطَبَ جَرْمونَ بن عيسى وقومَه من سُفْيان، فأَجازَ واديَ أُمّ رَبيع وَبَرَزَ إليه يحيى في جُمُوعِه، والتَقَى الفريقان فانْهَزَمَتْ جُمُوع يحيى واسْتَحَرَّ القتلُ فيهم، ودخلَ الرّشيدُ إلى الحضرة ظافرًا. وأشار يحيى بن وُقَّاريط على الخَلْطِ بالإسْتِصْرَاخ بابن هودٍ صاحبِ الأنْدَلُس والأخذ بدَعْوته، فَنَكَثُوا بيعَةَ يحيى، وبَعَثُوا وَفْدَهُمْ إلى ابن هودٍ صُحْبَةَ عمر بن وُقَّارِيط فاستَقَرَّ هنالك. وخرج الرّشيدُ من مَرَّاكُش وَفَرَّ الخَلْطُ أمامَه. وسار إلى فاس، وسَرَّح وَزِيرَهُ السيّدَ أبا محمَّد إلى غُمَارَةَ وفازاز لجباية أموالها. وكانَ يحيى بن النّاصر لما نَكَثَ الخَلْطُ بَيْعَتَهُ لحِقَ بِعَرَبِ المَعْقِلِ فَأَجارُوه وَوَعَدُوه النُّصْرَةَ واشتَطُّوا عليه في المَطَالِب، وأَسَفَ بَعْضَهُمْ بِالمَنْع، فاغْتَالَه في جِهات تازَى وسِيقَ رَأْسُه إلى الرّشِيدِ بفاس، فبعثه إلى مَرَّاكُش. وأَوْغَرَ إلى نَائِبه بها أبي علي بن عبد العزيز بقَتْلِ العَرَبِ الّذين كانوا في اغْتِيَالِه، وهم: حسنُ بن زَيْد شيخ العاصِم، وفَائِدُ وقَايِدُ ابْنَا عَامِرٍ شَيْخَا بني جابر، فقتَلَهم. وانْكَفَأَ الرّشيدُ راجعًا إلى حَضْرَتِه سنةَ أربعٍ وثلاثين. وَبَلَغَهُ اسْتِيلاَء صاحبِ دَرْعَة أبي محمّدِ بن وَانُودِين على سِجِلْمَاسَة؛ وذلك أنَّ الرّشيدَ لمَّا فَصَلَ من سِجِلْمَاسَةَ اسْتَخْلَف عليها يوسفَ بن عليٍّ بن يوسف التِّينمَلّلي، فاسْتَعْمَلَ ابن خالَتِه من بني مَرْدَنِيش، وهو يحيى بن أَرْقَم بن محمّد بن مَرْدَنِيش، فثار عليه ثائرٌ من صِنْهاجة وَقَتَلَهُ في خِبائه. وقَامَ ابْنُهُ أَرْقَمُ يَطْلُبُ الثَّأْرَ سنة ثِنْتَين وثَلاثِين وَبَلَغَ مِنْهما أرادَ، ثمَّ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بالانْتِقَاض خوفًا من عَزْلِ

الرّشيد إيّاهُ، فانتَقضَ. ونهَضَ إليه الرّشيدُ سنة ثِنتَيْنِ وثلاثين، فلَمْ يَزَلْ أبو محمَّد بن وَانُودِين يُعْمِلُ الحِيلَةَ في اسْتِخْلاَصها حتّىَ تَمَكَّن منها، وعفَا عن أَرْقَم. وكان ابن أُوقَّارِيط لـمَّا وَصلَ / إلى ابن هودٍ سنةَ أربَعٍ وثلاثين، [209 أ] رَكِبَ البحرَ في أسْطولِ ابن هودٍ وَقَصَدَ سَلاَ، وبها السيّدُ أبو العُلَى صِهرُ الرّشيدِ، فكاد أنْ يَغْلِبَ عليها.

وفي سنة خَمسٍ وثلاثين بَايَعَ أهلُ إشْبِيليّةَ للرّشيدِ، ونَقَضُوا طاعةَ ابن هودٍ، وتَوَلّى كِبْرَ ذلك أبو عمر بن الجدّ، وأشْخَصَ بَنِي حَجَّاجٍ إلى سَبْتَة، وَوَصَلَ وَفْدُهمْ إلى الحَضْرَةِ، ومَرُّوا في طريقِهم بِسَبْتَةَ فاقْتَدَى أهلُها بِهِم في بَيْعةِ الرّشيد، وخَلَعُوا أميرَهم اليانشتي الثّائِر بها على ابن هودٍ، وقَدِمُوا على الحَضْرة، ووَلّى عليهم الرّشيدُ أبا عليّ بن خلاص مِنْهم. ولأيّامٍ من مَقْدَمِهِمْ وَصَلَ عمر بن وُقَّاريط معتقَلاً من إشْبِيلِيَّة، أغْرَاهُمْ بالقَبْضِ عليه القاضي أبو عبد الله المؤمناني، كان توجّه رسولاً إلى ابن هودٍ عن الرّشيد، فأَمْكَنَهم من ابن وُقَاريط وَبَعَثه إلى الرّشيدِ في وَفْدٍ من رُسُلِه، فاعْتُقِلَ بأزَمُّور، وَقُتِلَ وصُلِبَ برِبَاط هَسْكُورَةَ بعد أن طِيفَ به على جَمَلٍ.

وانْصَرَفَ وَفْدُ إشْبِيلِيَّة وسَبْتَة، واسْتَقْدَمَ الرّشيدُ رُؤَسَاءَ الخَلْطِ فتقبّض عَلَيْهِم، وبعث عساكِرَهُ فاسْتَبَاحُوا حِلَلَهم وأحْيَاءَهم، ثمّ أمَرَ بِقَتْلِ مَشْيَخَتِهِمْ وقُتِل معهم ابن وُقَّارِيطِ، وَقَطَعَ دَابِرَهُمْ.

وفي سنة ستٍّ وثلاثين، وصلت بَيْعَةُ محمّدِ بن يوسف بن نَصْر بن الأحْمر الثّائر بالأنْدَلُسِ على ابن هودٍ.

وفي سنة سَبْعٍ وثلاثين، اشْتَدَّت الفِتْنَةُ بالمغرب، وانْتَشَرَ بَنُو مَرِينٍ في بَسَائِطِهِ، وَقَابَلَهُمْ عربُ رياحٍ بأَزْغار وشَيْخُهم عثمانُ بن نصر، فَهَزَمَهُمْ بَنُو مَرِينٍ وقَتَلُوهم قَتْلاً ذَرِيعًا. وكان الرّشيدُ اسْتَقْدَمَ أبا مُحَمَّدِ بنَ وَانُّودِين من سِجِلْمَاسَة سنة خَمْسٍ وثلاثين، وعَقَدَ له على فاس وسِجِلْماسة وغُمَارة ونَواحيها من أرض المغْرِب، فكان هنالك. ولمّا انْتَشَرَ بنو مَرِين بالمغرب، زَحَف إليهم فهَزَموه. ثمّ زَحَف ثانيةً وثالثةً فهَزَموهُ، وأقام في مُحَارَبَتِهم [ 209 ب ] سَنتَيْن ورَجع إلى الحضْرة. / واشْتَدّ عُدْوَانُ بني مَرِين بالمغرب، وأَلَحُّوا على مِكْنَاسة حتّى أَعْطَوْا الإِتَاوَةَ لبني حَمامة منهم، فأَسَفُوا بني عَسْكَرٍ بذلك، واتَّصل عَيْثُهُم(أ) في نواحيها.

وفى سنة تِسْعٍ وثلاثين قَتَلَ الرَّشيدُ كاتِبَه ابنَ المؤمناني لمُدَاخَلَةٍ له مع بعض السّادَةِ وهو عمر بن عبد العزيز أخي المنْصور، وقَفَ على كِتَابِه إليه بِخَطِّهِ، وغَلَط الرَّسول بها فدفعها بدار الخليفة.

وفى سنة أربعين بعدَها، كانت وفاةُ الرّشيدِ غَريقًا، زَعَمُوا في بعض حَوائز القصر، ويُقَالُ إنَّهُ أُخْرِجَ من الماء وحُمَّ لِوَقْتِه، وكان فيها مَهْلِكُهُ.

(أ) ف: عبثهم. وفي ظ مهمله.

# 28 • الخَبَرُ عن دَوْلة السّعيد بن المأْمون

لما هَلَكَ الرّشيدُ بُويِعَ أَخوهُ أبو الحسن السَّعيدُ بِتَعْيِينِ أبي مُحمّدِ بن وَانُودِين، وَتَلَقَّبَ المُعْتَضِدَ بالله، واسْتَوْزر السيّدَ أبا إسحاق ابن السيّد أبي إبراهيم ويَحيى بن عطّوش، وَتَقَبّضَ على جُمْلَةٍ من مَشْيَخَةِ المُوَحّدِين واسْتَصْفى أموالَهم. واسْتَخْلَصَ لِنَفْسِهِ رؤَساءَ العَرب من جُشَم، واسْتَظْهَر بِجُمُوعِهِمْ على أَمْرِهِ. وكان شَيْخُ سُفْيَان كَانُونُ بن جَرْمُون كبيرَ مَجْلِسِهِ. ولأَوّلِ بَيْعَتِهِ انْتَقض عليه أبو عَلِيِّ بن خَلاص البَلَنْسِي صاحِبُ سَبْتَة، وكذلك أَهْلُ إشْبِيلِيّة، وبايَعوا جميعًا للأميرِ أبي زكريّاء صاحبِ إفْرِيقيَّة. ثُمّ انْتَقَضَ عليه بِسِجِلْمَاسة عبدُ الله بن زكريّاء الهَزْرجيّ لِمَقَالَةٍ كانت منه يومَ بَيْعَةِ الرَّشِيدِ أَسَرَّها له، فبايَعَ للأمير أبي زكريّاء. ثمّ وَصَلَتْه في هذه السّنة هَدِيَّةُ يَغْمْرَاسِن بن زَيّان صاحبِ تِلِمْسَان فنهَضَ الأميرُ أبو زكريّاء صاحبُ إفريقية بسبب ذلك إلى تِلِمْسان واسْتَوْلى علَيها، ثُمّ عَقَدَ عليها لِيَغْمْرَاسِن، حسْبَما نَذْكُرُ في أخباره. وخرج السّعيدُ من مَرّاكُش لتَمْهِيد بلاد المغرب سنةَ ثِنْتَيْنِ وأربعين، وتَغَيَّرَ لسعيدِ بن زكريّاء الكَذْمِيوِي فتَقَبّضَ عليه في مُعَسْكَره بتانسفت[أ]، وفَرّ أخوهُ أبو زَيْد ومعه أبو سَعيد العُودُ الرَّطْب ولحِقُوا بِسِجِلْمَاسَة، فَاسْتَصْفَى أموالَهم بـمَرّاكُش. وارْتَحَلَ بِقَصْدِ سِجِلْمَاسَة، وأخذ وَالِيهَا عبد الله / الهَزْرَجِيّ في أسبابِ الامْتِنَاع، فغدَرَ به أبو زَيْد [210 أ] ابن زكرياء الكَذميويّ، وداخَل أهلَ سِجِلْمَاسَة في الثَّوْرَة عليه، ومَلَكَ البلَدَ واسْتَدْعى السّعيدَ لها، فَوَصَلَ وقتلَ الهَزْرَجِيّ، وفَرّ أبو سعيد العودُ

(أ) من ف. ظ: تباسنفت.

الرَّطْبُ إلى تُونِس. ثُمّ رَجَعَ السّعِيدُ إلى المَغْرِب وقَتلَ سعيد بن زكرياء، ونزَلَ المُقَرْمَدَة من أَحْوازِ فاس وعَقَدَ المُهَادَنَةَ مع بني مَرِين، وقَفَلَ إلى مَرّاكُش فتَقَبّضَ على أبي محمّد بن وَانُّودِين واعْتَقَلَه بآزَمُّور، واعْتَقَلَ معه يحيى بنَ مُزاحِم ويحيى بن عطّوش لِنَظَر ابن ماكسِنْ، فأعْمَلَ الحيلةَ في الفِرَارِ من مُعْتَقَلِه، وخَلَصَ ليلاً إلى كانون بن جَرْمون فأَرْكَبَهُ وبَعثَ مَعه من عَربِ سُفْيَانَ من أَوْصَلَه إلى قَوْمه هِنْتَاتَةَ. وَرَاسَلَه السّعيدُ على إثْرِها وسَكّنَهُ واعْتَذَرَ له، وأسْعَفَهُ بسكنى تافنوت(أ) من حُصون جَبَلِهِ بأَهْلِهِ ووَلَدِهِ. ثُمّ انْتَقَضَ على السّعيدِ كانونُ بن جَرْمون وسفيانُ، وخَالَفَهم إليه بنو جَابِرٍ والخَلْطُ. وخرج من مَرّاكُش، واسْتَوْزَر السّيدَ أبا إسحاق بن السيد أبي إبراهيم إسحاق أخي المنصور. واسْتَخْلَفَ أخاهُ أبا زَيْد على مَرّاكُش وأخاهما أبا حَفْص عمرَ على سَلاً. وَفَصَلَ مِنْ مَرّاكُش سنةَ [ثلاث وأربعين](ب). وجَمَع له أبو يحيى بنُ عبد الحقّ جموعَ بَني راشِد وبَني وَرّا وسُفْيان، حتّى إذا تَراءَى الفريقان لِلّقَاءِ، خالفَ كانونُ بن جرْمون المُوَحّدِين إلى أزَمّور فاسْتَولَى عليها، ورجَع السعيدُ أدراجَه في اتّباعِه ففَرَّ كانونُ، واعْتَرَضَهُ السّعيدُ فأَوْقَعَ به واسْتَلْحَمَ(ج) كثيرًا من سُفْيَانَ قَومِه واسْتَولَى على مَالَهُ من مالٍ ومَاشيَة. وَلَحِقَ كانونُ في قِلّةٍ بِبَني مَرين، ورجع السّعيدُ إلى الحَضْرَةِ.

وفي سنة ثَلاثٍ وأربعين ثارتْ العَامّة بِمِكْناسَة على واليها من قِبَلِ السَّعيد فقتَلُوه، وحُذِّرَ مَشْيَختَها من سَطْوَتِهِ فحَوّلوا الدَّعْوَةَ إلى الأمير

(أ) مهملة الحروف في الأصلين. وفي البيان المغرب (الموحدون) 370 تيفنوت (ب) الكلام متصل في ظ بعد كلمة سنة. وموقع التاريخ فراغ في ف. والتاريخ من البيان المغرب 5: 370 (ج) ظ: استحلم.

أبي زكريّاء بن أبي حَفْص صاحبِ إفْرِيقيَّة وبَعثوا إليه بِبَيْعَتِهِمْ، وكانت من إنْشَاءِ أبي المُطَرَّف بن عُمَيرة[1]، وذلك بِمُدَاخَلَةِ أبي يحيى بن عبد / الحقّ [210 ر] أمير ابن يمرين ووِفَاقِه لَهُمْ على ذلك، وشَارَطُوا أبا يحيى [ابن][أ] عبد الحقّ بمَالٍ دَفعوه إليه على الحِمَايةِ، ثم رَاجَعوا رأْيَهم، وأَوْفَدوا[ب] صُلَحَاءَهم لِبَيْعَتِهم، فرضِيَ عنهم السّعيدُ ورَضُوْا عنه. وفي هذه السّنة بعثَ أهلُ إشْبِيليّة وأهلُ سَبْتَة بِطَاعَتِهِمْ للأمير أبي زكريّاء صاحب إفْرِيقِيّة، وبعث ابنُ خلاص بهديّتِه مع ابنه في أُسْطولٍ أنشأَهُ لذلك فغرقَ عند إقْلاَعه من المَرْسَى.

وفي سنة سِتٍّ وأربعين كان اسْتِيلاءُ الطّاغِيَة على إشْبِيليّة لِسَبْعٍ وعشْرين من رَمضان. ولـمّا بلغَ السّعيدَ بَيْعَةُ أهل إشْبِيلِيّة وسَبْتَة لِلأمير أبي زكريّاء، إلى ما كانَ من تَغَلُّبه على تِلِمْسَان [وأَخْذِ][ج] يَغَمْرَاسِن بِدَعْوَتِهِ، ثُمّ ما كان من بَيْعة أهلِ مِكْنَاسة وأهلِ سِجِلْماسة له، أَعْمَل نَظَرَهُ في الحركَة إلى تِلِمْسان ثُمّ إلى إفريقِيَّة، وخَرج من مَرّاكُش في ذي الحجّة من سَنة خَمْسٍ وأربعين، ووَافَاهُ كانونُ بن جرْمون فَعاوَدَ الطّاعة، واسْتَحْشَدَ سُفْيَانَ، وجاءَ في جُمْلَةِ السَّعِيدِ مع سائر القبائل من جُشَم. ولـمّا احْتَلَّ السّعيد بتازَى وافاهُ [وَفْدُ][د] بني مرين عن أميرهم أبي يحيى ابن عبد الحقّ، فأَعْطَوْهُ الطّاعَةَ وبَعثوا معه عسكرًا من قومهم مَدَدًا له. ثمّ

(أ) من ف (ب) ف: افدوا (ج) من ف. سقط من ظ (د) من ف، سقط من ظ.

---

(1) أحمد بن عبد الله المخزومي. (582 - 656 هـ / 1186 - 1258 م) نشأ في بلنسية، ورحل إلى غرناطة، ووفاته بتونس، تولى القضاء في مدن المغرب. محمد بن شريفة: أبو المطرف، حياته وآثاره. الغبريني: عنوان الدراية 178، الصفدي: الوافي بالوفيات 7: 133

سَار السّعيدُ إلى تِلمْسان [فكانَ مَهْلِكه][أ] بتَامْزِزْدَكْت على يَد بَني عبد الواد في صفر سنة ستٍّ وأربعين حَسْبما نَشْرحُ في أخْبارهم. ويُقَالُ إنَّ ذلكَ كان بِمُدَاخَلَةٍ من الخَلْطِ، فاسْتَوْلَوْا على المَحَلَّةِ وقتلوا عَدُوَّهم كانونَ، وانفَضَّ العسكرُ إلى المغربِ، وقد اجتَمَعُوا إلى عبد الله بن السَّعيدِ. واعْتَرَضَهُمْ بنو مَرِين بجهات تازَى فقَتَلُوا عبدَ الله بن السّعيد، ولَحِقَ الفَلُّ بمَرّاكُش فَبَايَعُوا للمُرْتَضَى، كما نَذكُرُ.

## 29 • الخَبَرُ عن دَوْلة المُرْتَضَى ابن أخي المَنْصور

لَمَّا لَحِق فَلُّ العسْكر بعدَ مَهْلِكِ السَّعِيدِ بِمَرَّاكُش، اجْتَمَعَ المُوَحِّدُون على بَيْعة السيِّد أبي حَفْص عمرَ ابنِ السيِّد أبي إبراهيم إسحاق أخِي المنصور واسْتَقْدَموه لَها من سَلاَ، فَلَقِيَه وافِدُهم بِتَامَسْنَا من طَرِيقه ومعهُ أشياخُ العَرَبِ، / [211أ] فبايَعوه، وتلَقَّبَ المُرْتَضَى. وَعَقَدَ ليَعْقُوب بن كانون على [بني][ب] جابر، ولِعَمِّه يَعقوب بن جَرْمون على عَرب سُفْيان بعد أن كان قَوْمُه قَدَّمُوه عَلَيْهم. ودَخل الحضْرةَ فاسْتَوْزر أبا محمّد بن يونِس، وتَقَبَّضَ على حاشِية السَّعيدِ. ثُمَّ وصلَ أخوهُ السيّدُ أبو إسحاق من الفَلّ آخِذًا على طريق سِجِلْمَاسة فاسْتَوْزرهُ واسْتَنَدَ عليه. واسْتَوْلَى أبو يحيى بن عبد الحقّ وبَنو مَرِينٍ إثْرَ مَهْلِكِ السّعيدِ على رباط تَازَى من يَد السيّدِ أبي عليّ أخي أبي دَبّوس، وأَخْرجوه فلَحِق بمَرَّاكُش، ثُمَّ اسْتَوْلَوْا بعدَها على مدينة فاس سنةَ سَبْع وأربعين كما نَذْكرُ في أَخْبارهم بَعْدُ. وفي هذه السّنة ثار بِسَبْتَة

(أ) من ف. ظ: فكان ملكه (ب) من ف، ظ: بن.

أبو القاسِم العَزَفِيّ، وأَخْرَجَ ابنَ الشَّهيدِ الوالي على سَبْتَة من قَرابَةِ الأميرِ أبي زكرِيّاء صاحبِ إفْريقِيَّة، وَحَوَّلَ الدَّعْوَةَ للمُرْتَضى، حَسْبَما نَذْكُرُ في أخْبار الدّولة الحفْصيّة وأخبار بَني [العَزَفي][(أ)].

وفي سَنة تِسْعٍ وأربعين وَفَدَ على المُرْتَضَى موسى بن زيّان الونكاسني وأخوهُ عَلِيٌّ من قبائِل بَني مَرِين، وأَغْرَوْهُ بقتال بَنى عبد الحقّ، فخَرج إليهم. ولمّا انْتَهى إلى أمان أيملولن أشاعَ يعقوبُ بن جَرْمُون قضيّةَ الصُّلْحِ بينهما، فأصْبَحوا راحِلين وقد اسْتَوْلَى الجَزَعُ على قُلوبِهم، فانْفَضُّوا وَوَقَعَتْ الهزِيمَةُ من غَيْر قتالٍ. ووصلَ المُرْتَضَى إلى الحَضْرة فعزلَ أبا محمّد بن يونس عن الوِزارَة لِشَيْء بَلَغَهُ عنه، وأَسْكَنَهُ بِجَبَلِهِ مع حَاشِيَتِه، وَفَرَّ من جُمْلَتِه عليُّ بن يَدّر إلى السّوس سنةَ إحدى وخمسين وجاهَر بالعِنادِ، وَسَرَّحَ إليه السلطانُ عسكرًا من الجُنْد فرجَعوا عنه ولم يَظْفِرُوا به. وتفاقَم أمرُه سنةَ ثِنْتَيْن وخمسين، وجَمَعَ أعْرَابَ الشَّبَانَات وبَني حَسَّان وحِبْلَ[(1)] أمْوالٍ ونازلَ تَارُودَنْت، فحاصَرَ من كان بها. وسَرَّحَ المُرْتَضَى إليه عسكرًا من المُوَحِّدِين فأفرَج عنها، ثم رجعَ بعد قُفُولِهم إلى حَالِه. وَعَثَرَ المُرْتَضَى على خِطَابِه لِقَرِيبِه ابن يُونُس وكتابَ ابنِ يونُس إليه بِخَطِّهِ، فاعْتُقِلَهُوَ وأولادُه، ثمّ قُتِلَ.

[211و] وفي هذه السّنة / اسْتَدْعى مَشْيَخَةَ الخَلْطِ إلى الحَضْرَةِ وَقُتِلُوا لِمَا كان منهم في مَهْلَكِ السَّعِيدِ. وفيها خرج أبو الحسن بن يَعْلو في عَسْكَرٍ من

(أ) ظ ف: بني العزي.

---

(1) الحِبْلُ: القائم على المال، الرّفيق بسياسته.

المُوَحِّدِين إلى تَامَسْنَا ليكشفَ أحوالَ العَربِ، ومعه يَعْقوب بن جرْمون. وعهد إليه المُرْتَضَى بالقَبْض على يَعْقوب بن محمّد بن قَيْطُون شيخ بَني جابِر فتَقَبَّض عليه وعلى وَزِيرِه ابنِ مُسْلِمٍ، وطَيَّرَ بهما إلى الحَضْرَةِ مُعْتَقَلَيْن.

وفي سنة ثلاثٍ وخمسين خرج المُرْتَضَى من مَرَّاكُش لاسْتِرْجَاع فاس ونَواحيها من أيْدِي بَنِي مَرِينَ المُتَغَلِّبِين عَلَيْها، فوصلَ إلى بَنِي بَهْلُول. وزَحَف إليه بَنُو مَرِين وأميرُهم أبو يحيى فكانت الهزيمةُ على المُوَحِّدِين بذلك المَوْضع، ورَجع المُرْتَضَى مَفْلُولاً إلى مَرَّاكُش، وَوَادَعَ[(أ)] بَني مرين من بَعْد ذلك سائرَ أيّامه. واسْتَبَدَّ العَزَفِيّ بِسَبْتَة وابنُ الأميرِ بِطَنْجَة، كما نذكرُهُ في أخبارِهم.

وفي سنة خَمسٍ وخَمْسِين، بعث المُرْتَضَى إلى السُّوسِ عسكرًا من المُوَحِّدِينَ لِنَظَرِ أبي محمَّد بن أصْناك[(ب)] فلَقِيَهُمْ عَلِيٌّ بن يَدّر وهَزَمَهُم واسْتَبَدَّ بأمْرِهِ في السُّوس. وفي هذه السنة، اسْتَوْلَى أبو يحيى [بنُ][(ج)] عبد الحقِّ على سِجِلْمَاسَة، وتَقَبَّضَ على وَالِيها عبدِ الحقّ بن أصكوا[(د)] بِمُدَاخَلَةِ من خَدِيمٍ له يُعْرف بِمحمَّد القَطْرَانِيّ، كان أبوهُ تاجِرًا في القَطْرَان بنَواحي سَلاً، فصرَفَ عبدُ الحقّ ابنَهُ محمَّدًا هذا في مِهْنَةٍ وقَرَّبَهُ من بين أَهْل خِدْمَته. وحدَّثَتْهُ نفسُه بالثَّورة، فاسْتَمالَ عَرَبَ المَعْقِل، أوّلاً بالمُشَارَكَة في حاجاتِهم عند مَخْدُومِهِ والإحْسانِ إليهم حتّى اشْتَمَلُوا عليه. ثمّ داخلَ أبا يحيى بن عبد الحقّ في تَمْكينه من البلَدِ فَجاءَ بجُمْلَتِه[(هـ)]، وَقَدِمَ وَفْدُهُ إلى البلَد أَرْسُلاً[(و)]، في بَعْض الحديث، فتَقَبَّضَ محمَّد القَطْرَانِيُّ على عبد الحقّ

(أ) ظ: أودع (ب) ظ اصِسال (مهملة) (ج) من ف، وسقط من ظ (د) كذا في الأصلين، ولعل الألف للفرق (هـ) من ف، ظ: بحملته بالحاء (و) كذا محققة في ف وظ، جمع رَسِيل، وهو لحل الإبل. ج أرسُل، ورُسل ورسلان.

ابن أصكوا وأَخْرجه إلي أبي يحي بن عبد الحقّ، ففاداهُ وسَرّحه إلى مَرّاكُش. وكان القَطَرَانِيُّ شَرَطَ على أبي يحيى أن يكونَ واليَ سِجِلْمَاسة، فأَمْضَى له شَرْطَه، وأنزلَ معه بها من رِجالات بَنِي مَرِينٍ، حتّى إذا هَلَكَ أبو يحيى بن عبد الحقّ أَخْرَجَهُمْ محمَّد القَطَرَانِيُّ واسْتَبَدَّ بِأَمْرِ سِجِلْمَاسة، وراجعَ دعوةَ المُرْتَضَى واعْتَذر إليه، واشْتَرَط / [212 عليه الاسْتِبْدَادَ فأمضى له شَرْطَهُ إلاّ في الأحكام الشّرعيّة. وبعث أبا عمر بن حَجّاج قاضيًا من الحَضْرَةِ، وبعضَ السّاداتِ للسُّكنى في القَصَبَةِ، وقائدًا من النَّصارَى بعَسْكرٍ للحِماية، فأعمل ابنُ حَجّاج الحِيلةَ في قَتْل القَطَرانيّ، وتَوَلاَّهُ قائدُ النّصارَى، واستبدَّ السَّيِّدُ بأَمْر سِجِلْمَاسة بِدَعْوة المُرْتَضَى. واسْتَفْحل أَمْرُ بَني مَرِين أَثْنَاءَ ذلك، ونَزلَ يعقوبُ بن عبد الحقّ بسائطَ تَامَسْنَا فَسَرَّحَ إليهم المُرْتَضَى عساكرَ المُوَحِّدِينَ لِنَظَرِ يحيى بن وَانُّودين، فأَجْفَلُوا إلى وادي أُمِّ رَبِيع، وأَتْبَعَهم المُوَحِّدُون فرجَعوا إليهم، وغَدَرَهُمْ بَنو جابر فانْهزم الموحّدون بأمِّ الرَّحْلَيْن. ولحِقَ شيخُ الخَلْطِ عَلِيُّ بن أبي عَلِيّ ببَني مَرين، وارْتَحَلُوا إلى أَوْطَانِهِمْ. وكان المُرْتَضَى قَدّم يَعْقوب بن جَرْمون على قبائل سُفيان، وكان يعقوبُ ابن أخيه كانونَ يُنَاهِضُهُ في رِئاسَة قَوْمه، وَغَصَّ به فقَتَله. وثارَ به أَخَواهُ مُسعودٌ وعَلِيٌّ بعد حينٍ فقتَلاهُ. وَوَلَّى المُرْتَضَى مَكَانَهُ ابْنَهُ عبدَ الرّحمنِ، فاسْتَوْزَرَ يُوسفَ بن وازرك ويعقوبَ بنَ علْوان، وَشُغِلَ بِلَذّاته، وتَصدَّى لِقَطْع السّابِلَة، ثُمّ نَكثَ الطّاعة ولَحِقَ بِبَني مَرِين، فَوَلَّى مَكَانَهُ عَمَّهُ عبدَ(أ) الله بن جَرْمون، ويُكْنَى بأبي زمام، وَعقَدَ له المُرْتَضَى، [ثُمّ](ب) أَدالَ مِنْهُ بأخيه مسعودٍ لِعَجْزِهِ.

(أ) ف: عبيد الله (ب) من ف، وسقط من ظ.

ووَفَدَ على المُرْتَضَى عوّاجُ بنُ هِلال من أُمراء الخَلْطِ نازِعًا إلى طاعتِه ومُفارِقًا لبَني مَرِين، فأَنْزَلَ معه أصحابَه بمَرّاكُش. وجاء على إِثْرِهِ عبدُ الرّحمن بن يعقوب بن جَرْمون فتَقَبَّضَ على عوّاج ودَفَعَهُ إلى عَليّ ابن أبي عَليّ فقتَلَه، وكان تَقَبَّض معه على عبد الرّحمن بن يَعْقوب ووَزِيرَيْهِ فَقُتِلُوا جميعًا.

واسْتَبَدَّ بِرِئاسة سُفْيانَ مَسْعودُ بن كانون، وبرِئاسَة بَني جابر إسماعيلُ ابن يَعْقوب بن قيطون.

وفي سنة ستّين، عندَ رُجوعِ يَحيى بن وَانُّودِين من وَاقعة أُمّ الرَّحْلَيْن، خَرَجَ عسكرٌ من المُوَحّدين إلى السُوس لِنَظَرِ مُحمَّد بن عَليّ آزلماط، ولَقِيهُ عَليّ بن يَدّر فهزَم جموعَه وقتَلَه. وَعَقَدَ المُرْتَضى من بَعْده على حَرْب عَلِيّ بن يَدّر للوزير أبي زَيْد بن بكّيت. وسَرَّحَ / معه عسكرًا من الجُنْد، وكان فيهم دُنْلب من زُعَماءِ النَّصْرانيّة، فدارتِ الحَرْبُ بين الفريقَيْن، ولم يكنْ للمُوَحّدِين فيها ظُهورٌ على كَثْرتِهم وقوّةِ جَلَدِهِم وحُسْنِ بَلائِهِمْ، قَعَدَ بهم عن ذلك تَكاسُلُ دُنْلب وخُروجُه عن طاعَة الوَزير. وكتب بذلك للمُرْتَضى فاسْتَقْدمه، وأمَرَ أبا زَيْد بن يَحيى الكَدْميوِي باعْتِراضِه في طريقِه وقَتْله. [2ب]

وفي سنة ثِنْتَيْنِ وستّين، أقبلَ يَعْقوبُ بنُ عبد الحقّ في جُموع بَني مَرِين فنازَلوا مَرّاكُش، واتَّصلتِ الحربُ بَيْنَهم وبينَ المُوَحّدِين بِظَاهِرِهَا أيّامًا هَلَكَ فيها عبدُ الله آنعْجُوبْ بنُ يَعقوب، فبعثَ المُرْتَضى إلى أبيه بالتَّعْزيَةِ ولاَطَفه، وضَرَبَ له إتَاوَةً يَبْعَثُ بها إليه في كلّ عَامٍ، فَرَضِيَ وارْتَحلَ عَنْهم.

## 30 • الخَبَرُ عن انْتقاض أبي دَبُّوس وتَغلُّبِه على مَرَّاكُش، ومَهْلِكِ المرْتضى، وما كان في دَوْلَتِه من الأحْدَاث

لمَّا ارْتَحَلَ بَنو مَرِين عن مَرَّاكُش بعد مَهْلِكِ آنغجُوبْ، فَرَّ من الحَضْرَةِ قائدُ حُرُوبِه السيّدُ أبو العُلَى المُلَقَّبُ بأبي دَبُّوس ابنِ السيّد أبي عبد الله محمّد ابن السيّد أبي حَفْص بن عبد المُؤمن، لسِعايةٍ تَمَكَّنَتْ فيه عند المُرْتَضَى، وصَحِبَهُ ابنُ عَمِّه السيّدُ أبو موسَى عمرانُ بن عبد الله بن الخليفة، فلَحِقَا بمسعود بن كلْداسِنْ(أ) كَبِير هَسْكُورَةَ، فأَجارَهُ. ثُمّ لَحِقَ بيَعْقُوب بن عبد الحقّ بفاس صَرِيخًا به على شَأْنِهِ، واشْتَرطَ له المُقَاسَمَةَ في العَمالَةِ والذَّخِيرة، فأَمَدَّه بالمال، - يُقَالُ خَمْسَةِ آلافِ دينارٍ عَشْرِيَّةٍ -. وأَوْعَزَ إلى عَلِيّ بن أبي عَلِيٍّ الخَلْطيّ ۞بمُظاهَرَته، وأعطاهُ الآلَةَ. ورجَعَ إلى عَلِيّ بن أبي عَلِيّ الخَلْطِيّ۞(ب) فَأَمَدَّهُ بقومِه. ثُمّ سار إلى هَسْكُورَةَ ونَزل على صاحبه مَسْعود بن كلْداسِنْ فأطاعَته قبائلُ هَسْكُورَةَ وهَزْرَجة. وبعثَ إليه عَزُّوزُ بن بَيُورك كَبيرُ صِنهاجةَ في ناحية آزَمُّور، وكان مُنْحَرِفًا عن طاعةِ المُرْتَضَى إلى جُمْلَةِ يَعقوب بن عبد الحقّ.

ووَفَدَ عليه جماعةٌ من السّادة والمُوَحِّدِين والجُنْد والنّصارَى. وارْتابَ المُرْتَضَى / [213أ] بمَسْعود بن كانون شيخ سُفْيان، وبإسماعيل بن قَيْطون شيخ بني جابِر، فَتَقَبَّض عليهما واعْتَقَلَهما، وصار [الكَثِيرُ](ج) من قومِهِمَا إلى أبي دَبُّوس. وقُتِلَ إسماعيل بن قَيْطون في مُعْتَقَله فانْتَقَض أخوهُ ثائرًا وَلَحِقَ بهم. وَحَذِرَ علّوش بن كانون مِثْلَهَا على أخيه فاتَّبَعَهم. وزَحفَ أبو العُلَى إلى مَرَّاكُش، ولَمَّا بَلَغَ أغْمات وجدَ بها الوزيرَ أبا زَيْد بن بكّيت في عسكرٍ

(أ) الكاف المشمّة محققة من ف (ب) سقط ما بين النجمين من ف انزلاق نظر (ج) من ف. ظ: الكبير.

لحمايتها، فنَاجزهُ الحربَ فانهزم ابنُ بكّيت وقتَل[أ] العَامَّةُ أصحابَه. وسار أبو دَبُّوس إلى مَرَّاكُش، وأغارَ علّوش بنُ كانون على باب [الشّريعة][ب] والناسُ في صَلاة الجُمعة، وَركَزَ رُمْحَهُ بِمِصْرَاعه.

ودخلَتْ سنةُ خمسٍ وستّين، والمُرْتَضَى بمَرَّاكُش غافلٌ عن شأن أبي دَبُّوس، والأَسْوارُ خالِيَةٌ من الحرّاس والحامِية، فقَصَدَ أبو دَبّوس بابَ أَغْمات، فتَسَوَّرَ البلَدَ من هنالك ودَخَلَها على حين غَفْلة، وقَصَدَ القَصَبةَ فدَخلَها من بابِ الطُّبولِ. وَفَرَّ المُرْتَضَى ومعهُ الوزيران أبو زَيْد بن يَعْلو الكُومِيّ وأبو موسى بن عزّوز الهِنْتاتي، فلَحِقُوا بِهِنْتاتة، وأَلْفَوْهُمْ قد بَعثوا بطاعَتِهم، فرَحَلَ إلى كَـدْمِيوَة، ومرَّ في طريقه بعَليّ بن زكْـداز[ج] الونكـاسني، كان نَزَعَ إليه عن قَوْمه ولم يَفِدْ عليه بَعْد، فنَزَلَ به المرتضَى. وَرحَلَ معه عليٌّ بمن مَعه إلى كَـدْمِيوَة[د]، وكان فيها وزيرُه أبو زَيْد عبد الرّحمن بن عبد الكريم، فأرادَ النّزولَ عليه فمَنَعه ابنُ سعد الله. وسَارَ إلى شَفْشَاوَة وَوَجَدَ بها عددًا من الظَّهْر فمَنَحها عَلِيَّ بن زكْـداز[ج]. وكتَب إلى ابن وانُّودِين بمعسكره من حَاحَة، وإلى ابن عطّوش بمعسكره من ركـراكـة، باللَّحاق به، فأقلَعَا إلى الحَضْرة. وخاطبَ أبو دَبُّوس عليَّ بنزكْـداز[هـ] يُرَغِّبه في القُدُوم عليه، فارْتَابَ المُرْتَضَى لذلك، ولحِقَ بآزمور فتَقَبَّضَ عليه وَالِيهَا ابنُ عطُوش - وكان صِهْرَه - واعْتَقَلَهُ، وَطَيَّرَ بالخبَرَ إلى أبي دَبّوس. فأَمَرَ وزيرَهُ السيِّدَ أبا موسى أن يُكَاتبه في كَشْفِ أَمَاكِنِ الذَّخِيرة، فأجابه بِإِنْكار أَنْ يكون ذَخَرَ شَيْئا عنهم وَالحَلِفِ على

(أ) ف: وقُتِل عامة أصحابه (ب) من ف. ظ: الشعرية (ج) كذا في ظ، وجاءت عنده بعدُ: زكـدار وفي ف: زكـدان (د) اعتمدنا في ضبطها مشجّر بطون مصمودة. العبر 12: 3 (هـ) ظ: زكداز. ف: ركدار.

[213 ب] ذلك، وسَألَهم بالرَّحِمِ فعَطف أبو دَبُوس عليه / وجَنَح إلى الإبقَاء. وبعَث وزيرَهُ السَيِّدَ أبا موسى ومسعودَ بنَ كانون في إزْعاجه إليه، ثمّ بدَا له في اسْتِحْيائه بإشارة بعض السّادة، فكتب خَطَّهُ إلى السيِّدَ أبي موسى بقَتْله، فقَتلَه. واسْتقلَّ أبو دَبُوس بالأمر وتلَقَّبَ الوَاثِق بالله، والمُعْتَمِدَ على الله، واسْتَوْزَرَ السَيِّدَ أبا موسى وأخاه السَيِّد أبا زَيْد، وبَذَل العطاءَ، ونَظَر في الوِلاياتِ ورَفَع المُكوس عن الرعيّة. وحَدَثَ بَيْنه وبين مَسْعود ابن كَلْداسِنْ وَحْشَةٌ فارْتَحَلَ إليه لإزالَتها. وَقَدِمَ عبدُ العزيز بن عطّوش سفيرًا إليه في ذلك. وبَلَغه أنّ يَعقوبَ بن عبد الحقِّ نزل تَامَسْنَا، فأَوْفد عليه حميدي بن مَخْلوف الهَسْكوري بهديّة فَقَبلَها، وأكّد بينَهما العَهْدَ، وانْكَفَأ راجعًا إلى وَطَنه. ورجع حميدي إلى الواثِق، ووَافَقَ وُصولُ عبدِ العزيزِ بن عطّوش بطاعةِ مسعود بن كَلْداسِنْ، فرجع أبو دُبُوس إلى مَرَّاكُش بعد أن عَقَدَ لأبي موسى بن عزّوز على بلاد حَاحَة. وبلَغَهُ في طريقِه عن عبد العزيز بن السّعيد أنَّهُ حَدَّثَ نَفْسَهُ بالمُلْكِ، وأن ابن بكّيت وابن كَلْداسِنْ داخلوه في ذلك، وسَاءَلَ عن ذلك السيّدَ أبا زَيْد ابن السيّد أبي عِمْران خليفتِه، وأَخبرهُ بما سَمع وأمرَه بالقَبْض عليه وقَتْلِهِ، فأَنْفَذ ذلك. ثُمّ ارْتَحَلَ إلى السُّوسِ لِتَمْهيده وحَسْمِ عِلَلِ ابن يَدَّر فيه، وقَدَّمَ يحيى ابن وَانُودِين لإسْتِنْفار قبائل السُّوسِ من كَزولَة ولَمْطة وكَنْفيسة وصناكة وغيرهم. وَسَارَ يَتَقَرَّى المنازلَ ويَسْتَنْفِرُ القبائلَ، وَمَرَّ بتارُودَنْت فوجدَها قَفْرًا خَلاءَ إلاّ قليلاً من الدُّورِ بخارجها، ونزلَ على حمدين صِهْرِ عليِّ بن يَدَّر وقَريبِه(أ) بِحِصْنِ تيسخت على وادي السّوس، كان لِصِنْهاجة فغَلَبَهم

(أ) في البيان المغرب 5: 456 : ربيبهُ وابن عمّه.

عَلَيْه ابنُ يَدَّر ومَلَكَهُ، فَنَازَله أبو دَبُوس وحاصَره أيَّامًا، وهزَم فيها جُموعَه. ودَاخَلَ حمدين عليَّ بنَ زكداز في إفراج أبي دَبُوس على سَبْعين ألف دينارٍ يُؤدِّيها إليه، فأعْجَلَه الفتْحُ عن ذلك، ونَجا بذَمَائِه إلى بَيْتِه[أ]، وطُولِبَ بالمال، وَبَقِيَ مُعْتَقلاً عند ابن زكداز.

وامتَنَعَ عليٌّ بن يَدّر بِحِصْنِهِ، ثُمّ أطاع، و وَصَلَتْ / رُسُلُهُ بطَاعَتِهِ، [214أ] فانصَرَفَ الوَاثِق إلى حَضْرتِه وَدَخَلها سنةَ خَمْسٍ وستّين. وبلغه الخبرُ بانْتِقَاضِ يَعْقوب بن عبد الحقِّ، وأنَّهُ زَاحِفٌ إلى[ب] [.....]، فبعث بِهَدِيَّته إلى تِلِمْسَان صُحْبَةَ أبي الحسن بن قُطْرَال وابن أبي عُثْمان رسولِ يَغْمَرَاسِنَ، خَرجَ بهم من مَرّاكُش ابنُ أبي مَدْيون الوِنكَاسني دليلاً، وسَلَكَ بهمْ على القَفْر إلى سِجِلْماسة، وبها يَحْي بن يَغْمُرَاسِنَ، فبعثهم مع بَعْض المَعْقِل إلي ابنه فَأَلْفَوْهُ بجهة مَلْيَانَة، فأقام ابن قُطرال بِتِلِمْسان يَنْتَظِرُه. وكان يَعْقوب ابن عبدالحقِّ لمّا بَلغهُ ذلك نَهَضَ إلى مَرّاكُش بجُيوش بَني مَرِين وعساكرِ المَغْرِبِ، وَنَزَلَ بضواحي مَرّاكُش، وأطاعهُ أَهْلُ النّواحي. ونهض إليه أَبو دَبُوس في عساكرِ المُوَحِّدِين، فاسْتجَرَّهُ يعقوبُ إلي وادي آغْفُو، ثُمّ نَاجَزه الحَرْبَ فاختلَّ مَصافُّهُ وفرّ عَسْكَرُه وانْهزَمَ يَرِيدُ مَرّاكُش والقومُ في اتّباعِه، فأُدْرِكَ وَقُتِلَ. وبَادَرَ يعقوبُ بن عبد الحقِّ فدخل مَرّاكُش في المحرّم فاتحَ سنةَ ثمانٍ وستّين. وَفَرَّ بَقِيَّةُ المشْيَخَة من المُوَحِّدِين إلى مَعاقلِهِم بعدَ أن كانوا بايَعوا عبدَ الواحِدِ بن أبي دَبُوس وسَمَّوْه المُعْتَصِمَ مُدَّةً من خمسة أيّام، وخَرَجَ في جُمْلَتِهِم، وانقَرَضَ أَمْر بَني عبد المُؤْمِن. والبقاءُ للهِ وَحْدَهُ.

(أ) ف: بنيه (ب) موقع سقط لمسمى لم يأخذ به النص المترابط. فقد يكون الاسم "يغمراسن". البيان المغرب (قسم الموحدين) 5: 465.

[214 ب]

[ بنو عبد المؤمن بن علي. الموحدون] نسخة ظ.

[215 أ]

## 31 • / الخَبَرُ عن بَقايا قَبائل المُوَحّدين من المَصامدة بجبال دَرَنْ بعدَ انقِراض دَوْلَتهم بمَرّاكش، وتصاريفُ أحْوالهم لهذا العَهْد

لمّا دعا المَهْدِي إلى أمْرِه في قَوْمه من المَصامِدَة بجبال دَرَنْ، وكان أَصْلُ دَعْوته نَفْيُ التَجْسِيمِ الذى آل إليه مَذْهبُ أهلِ المَغْرِبِ باعْتِمَادِهِم تَرْكَ التّأويلِ في المُتَشابه من الشَّرِيعة، وصَرَّحَ بتَكْفير مَنْ أَتَى ذلك أَخْذًا بِمَذاهِبِ التّكْفير بالمآل، فَسَمَّى لذلك دَعْوتَه بدَعْوةِ التَّوْحيد، وأتْباعَهُ بالمُوَحِّدين، نَعْيًا على المُلَثَّمِينَ مَآلَ مَذاهِبِهِم إلى اعْتِقاد الجِسْمِيّة. وخَصَّ بِالمَزِيَّةِ من دَخَلَ في دَعْوتِه قبل تَمَكُّنِها، وجعلَ علامةَ تَمَكُّنِها فَتْحَ مَرّاكُش، فكان إنّمَا يَخْتَصُّ بهذا اللّقبِ أهلُ السّابِقَةِ قبل ذلك الفَتْح. وكان أهلُ تلك السابِقَةِ قبلَ فَتْحِ مَرّاكُش ثَمانِي[(1)] قبائل، سَبْعةٌ من المَصامِدَةِ: هَرْغَة، وهُمْ قبيلةُ الإمام المَهْدِي، وَهِنْتَاتَة وتِينْمَلّلْ، وهُمْ الّذِينَ بَايَعُوهُ مع هَرْغَة على الإجَارَةِ والحِمَاية، وكَنْفِيسَة وهَزْرَجة وكَدْمِيوَةُ وهَسْكُورَة، وَثَامِنَةُ قَبَائِلِ المُوَحِّدين: كُومِيّة، قَبِيلَةُ عبدِ المُؤْمِنِ كبيرِ صَحابَتِهِ، دَخَلُوا إلى دَعْوَتِهِ قبل الفَتْح، فكانت لهم المَزِيَّةُ بسابقة عبد المُؤْمن وسَابِقَتِهِم، فاخْتَصَّ هؤلاء القبائلَ بِمَزِيَّةِ هذه السّابقةِ وَاسْمِها، وقامُوا بالأمرِ وَحَمَلُوا سَرِيرَه، وَانْتَفَقُوا في مَذَاهِبِه ومَمالكِه في سائر الأقطارِ على نِسْبَة قُرْبِهم مِنْ صاحب

---

(1) سمّى المؤلف القبائل السّبع التي دخلت في دعوة الإمام المهدي قبل فتح مراكش ثمّ قبيلةَ كبير صحابته كومية. وعند إفراد الحديث عن كلّ واحدة من تلك القبائل الثمان كما يأتي، تجاوز عن ذكر قبائل هَزْرَجة وهَسْكورة وكومية، وتحدث عن قبيلتي وريكة وسَكْسِيوَة.

الأَمْر وبُعْدِهِم. وَبَقِيَ من بَقِيَ منهم بجبالِهم ومَعاقلِهم بَقِيَّة حُتُوفٍ، وَجَرَّتْ عليهم دَوْلَةُ زَناتة من بَعْد المُلْكِ أَذْيَالَ الغَلَبِ والقَهْرِ، حتى أَبقَوْهُمْ بالإِتَاوات وانتَظموا في عِدادِ الغَارِمينَ من الرَّعَايَا، وصارُوا يُوَلُّونَ عليهم من زناتة تَارَةً ومن رِجَالاَتِهِم أُخْرى. وفي ذلك عِبْرَةٌ وذِكْرى لأُولي الأَلْبَابِ. والمُلْكُ لِلّه يُؤْتِيه من يَشاءُ.

[215 ب]

## أ • / هَرْغَة

فأمّا هَرْغَةُ، وهُمْ قَبِيلُ الإمام المَهْدِيّ، فَدَثَرُوا وتَلاَشَوْا وانْتَفَقُوا في القَاصِيَة من كُلِّ وَجْهٍ، لِمَا كَانُوا أَشَدَّ القَوْمِ بَلاءً في القِيام بالدّعْوة وأَصْلاَهُمْ لنَارِها بِقَرَابَتِهِمْ من صاحبِها وتَعَصُّبِهِم عَلَى أَمْرِهِ. ولم يَبْقَ منهم إلاّ أَخْلاطٌ وأَوْشَابٌ، أَمْرُهُمْ إلى غَيْرِهِمْ من رجالات المَصامِدَة، لا يَمْلِكُون عليهم منه شيئًا.

## ب • تِينْمَلّل

وكذا تينمَلّلْ، إخْوانُهم في التّعَصُّب على دَعْوة المَهْدِيّ والاشْتِمَالِ عَلَيْهِ والقيامِ بأَمْره، حتّى تحيَّزَ إليهم وبَنَى دَارَهُ ومَسْجدَهُ بَيْنَهُمْ، فكان حَظُّهُمْ من الفَناءِ بِمقْدار حَظِّهِم من الاسْتِيلاَءِ، وأَبْعَدُوا في مَمالك الدّولة وعَمالاَتِهَا فانْقَرض رِجَالاَتُهُم، وَمَلَكَ غيرُهم من المَصامدة أَمْرَهُمْ عَلَيْهِمْ.

وَقبرُ الإمَامِ بَيْنَهُم لهذا العَهْدِ على حالِه من التَجِلّةِ والتّعظِيم، و[قراءَة][(أ)] القُرْآنِ عليه أحْزَابًا بالغُدُوِّ والعَشِيِّ، وتَعَاهُدِهِ بالزِّيارَة، وقيامِ الحُجَّاب دون الزّائرينَ من الغُربَاءِ لتَسْهيل الإذْن واستِشْعَارِ الأُبّهَة وتَقْدِيم الصّدقاتِ بين يدَيْ زِيَارَتِهِ[(ب)] على الرّسم المَعْروف في احتِفَالِ الدّوْلَةِ. وَهُمْ مُصَمِّمون مع ذلك وكَافّةُ المَصَامِدَة أنّ الأمْرَ سَيَعُود، وأنّ الدّولَةَ سَتَظْهَرُ على أهل المَشْرق والمَغْرب وتَمْلأُ الأرضَ كما وَعَدَهم المَهْدِيُّ، لا يَشُكُّونَ في ذلك ولا يَسْتَرِيبُون فيه.

## ج • هِنْتَاتَة

وأمّا هِنْتَاتَة، وَهُمْ تِلْوَ القَبِيلَتَيْن في الأَمْر، وكُلُّ مَنْ بَعْدَهُمْ، فَإنّما جاؤوا على إثْرِهم وتبَعًا لهم، لِمَا كانوا عليه من الكَثْرَةِ والبَأْس، ومكانِ شَيْخِهم أبي حَفْص عمر بن يَحْيى من صِحابة الإمام والاعْتزاز على المَصامدة. وكانَتْ لهم بإفْرِيقِيَّة دَوْلةٌ كما نَذكره، فأنْفَقَتِ الدّولَتان منهم عَوَالِمَ في سبيلِ الاسْتِظْهارِ بِهِمْ، وَبَقِيَ بِمَوْطِنِهِم المعروف بهم من جبال دَرَنْ وهو الجبلُ المُتاخِم لِمَرّاكُش، على تَوَسُّطٍ من الاسْتِبْداد والخُضوع. ولَهُمْ في قومِهم مكانٌ بامْتِناع مَعْقَلِهِمْ / [216 أ] وإطْلالِه على مَرّاكُش. ولمّا تَغَلّب بَنو مَرِين على المَصَامِدَة وقَطَعوا عنهم أسبابَ الدّعْوَةِ، كان لِرُؤَسَائِهم أولادِ يونس انْحِيَاشٌ إليهم، بما كانوا مَسْخُوطين في آخر دولة

(أ) ظ: قران (ب) ف: زيارة.

بني عبد المؤمن، فاختَصُّوهم بالأُثْرَةِ[1] والمُخَالَصَةِ[2].

وكان عَليُّ بن محمَّد كبيرُهم لعَهْدِ السُّلطان يوسف بن يَعْقوب بنِ عبد الحقِّ خَالِصَةً لَه من بَيْنِ قَوْمه، وَهَلَكَ سنة سَبْعٍ وسبعين على يَد ابن المَلْيَانِي الكَاتِبِ بِكِتَابٍ لَبَّسَ فيه وأَنْفَذَهُ عن السّلطانِ لابنِهِ أميرِ مَرَّاكُش، بقَتْلِ رَهْطٍ من مَشْيَخَة المَصَامِدَة في اعْتِقَاله، كان منْهم عليّ بنُ محمَّد. فقامَ السّلطانُ لها في رَكَائبِهِ، ونَدِم على ما فَرَّطَ من أَمْرِهِ في إفْلاتِ ابنِ المَلْيَانِي على ما نَذْكُرُ من أَمْرِ هذه الواقِعة في أخْبار السّلطانِ يوسف ابن يَعْقوب.

ولَمَّا وَلِيَ السلطانُ أبو سَعيد، وانْقَطَع عن المَصَامِدَة ما كانَ لهم من أَثَر المُلْكِ والسُّلْطان، وانْقَادُوا للدّولة، رجعَ بنو مَرين إلى التَوْلِيَةِ علَيْهم من رجالاتهم ودَاوَلُوا بَيْنهم في ذلك، واخْتَارَ السلطانُ بعد صَدْرٍ من دَوْلته موسى بنَ عليّ بن محمّد للولاية على المصامِدَة وجبايَتهم، فَعَقَدَ له وأَنْزلَهُ مَرَّاكُش، فاضْطَلَعَ بهذه الوِلاية سِنِينَ رَسَخَتْ فيها قَدَمُهُ، وأَوْرَثَها أَهْلَ بَيْتِهِ وصار لهم بها في الدَّوْلَةِ مَكَانٌ انْتَظَمُوا له في الولايَة، وتَرَشَّحُوا للوِزَارَةِ. وَلمَّا هَلَكَ موسَى عقدَ السّلطانُ من بَعْده لأخيه محمَّد وأجْرَاهُ على سَنَنِه إلى أن هَلَكَ، فاسْتَعْمَلَ السلطانُ بَنِيهِ في وُجُوهِ خِدْمَتِه، وَعقَدَ لِعَامِرٍ مِنْهُمْ على قَوْمه. ولَمَّا ارْتَحَلَ السلطانُ أبو الحسن إلى إفْريقيَة، صَحِبَهُ عَامِرٌ فيمن صَحِبَه من أُمَرَاءِ المَصامِدَة وكافَّةِ الوُجُوه، حتَّى إذا كانت نَكْبَةُ القَيْرَوان

(1) الأُثْرَة: المكْرُمة.

(2) خالَصه في العِشرة مُخالَصَةً: صافاهُ.

سنةَ تِسْعٍ وأربعين وسَبْعِ مائة، عَقَدَ له على الشُّرْطَةِ بتُونس على رَسْمِ المُوَحِّدِينَ من تَنْوِيه الخِطَّة وسَعَة الرِّزْقِ، واسْتَنام إليه فيها فَكَفَاهُ مُهِمَّهَا. ولمَّا فَصَلَ / مِنْ تُونِسَ، رَكِبَ الكَثِيرُ من حُرَمِهِ وحظَايَاهُ السَّفِينَ لِنَظَر [216 ب] عامِرٍ هذا، حتَّى إذا غَرِقَ الأُسْطُولُ بالسّلطانِ أبي الحسنِ بما أَصَابَهُمْ من عَاصِفِ الرِّيحِ، رَمَى الموجُ بِالسّفينَةِ التي كانوا بها إلى المَرِيَّةِ من ثُغُور الأندَلُس، فأنزلَ بها كرائمَ السّلطانِ لِنَظَرِهِ. وبَعَثَ عَنْهُنَّ ابْنُهُ أبو عِنَانٍ المُسْتَبِدُّ على أَبِيهِ بِمُلْكِ المغرب، فامْتَنَعَ من إسْلاَمِهِنَّ إليه، وَفاءً بأَمَانَتِهِ في خِدْمَتِهِمْ. وخَلَصَ السلطانُ أبو الحسن بعد النَّكْبَةِ البحريّةِ إلى الجزائر سنةَ خَمْسٍ، وزَحَفَ إلى بَني عَبْدِ الواد فَفَلُّوهُ، ونهض إلى المغرب، وسَلَكَ إليه القَفْرَ حتّى نَزَلَ بسِجِلْمَاسَةَ، فقَصَدَهُ أبو عنان فخرج عَنْها إلى مَرَّاكُش. وقام بِدَعْوَتِهِ المَصَامِدَةُ وعَرَبُ جُشَم، فاحْتَشَدَ، ولَقِيَ ابْنَهُ أبا عنانٍ بِجِهَاتِ أُمِّ رَبِيع، فكانت الدَّبْرَةُ عليه، ونَجَا إلى جَبَلِ هِنْتَاتَة، وكان عبدُ العزيز بن محمّد شيْخًا عليهم منذُ مَغِيبِ عامِرٍ، وكان في جُمْلَتِه، وخَلَصَ معه فأَنْزَلَهُ عبدُ العزيزِ بداره. وتَدَامَرَ(أ) هو وقومُه على إجَارَتِهِ والموتِ دُونَهُ، فاعْتَصَم بِمَعْقِلِهِم.

وجاءَ السّلطانُ أبوعنان في كافَّةِ بَني مَرِينٍ إلى مَرَّاكُش فَخَيَّمَ بِظَاهِرِهَا واحْتَشَدَ لِحِصَارِهِم أَشْهُرًا حتَّى هَلَكَ السلطانُ أبو الحَسَن، كما نَذْكُره بَعْدُ، فحملُوه على الأَعْوَاد، ونَزَلُوا على حُكْمِ أبي عِنَانٍ فكَرَّمَهم وَرَعَى لَهُمْ وسيلَةَ هذا الوفاءِ، وعَقَدَ لعبدِ العزيز على إمارته، واسْتَقْدَمَ عامِرًا كَبِيرَه(ب)

(أ) ف: بداره (مهملة)    (ب) كذا في الأصلين، والأصوب: كبيرهم.

من مَكانه بالـمَريّة، فقَدِمَ بِمَنْ لأَمَانَتِه من حظَايَا السّلطانِ وَحُرَمِه، فلَقَّاهُ السّلطانُ مَبَرَّةً وتَكرِيمًا وأَنالَهُ من اعْتِنائِه حَظًّا، وتَخَلَّى له أخوهُ عبدُ العزيز عن الأمر فأَقَرَّهُ نائبًا[أ]. ثُمَّ عَقَدَ السّلطانُ لِعَامِرٍ سنةَ أَرْبَعٍ وخمسين على سائِرِ المَصَامِدَة، واسْتَعْمَلهُ لِجِبَايَتِهم، فقام بها مُضْطَلِعًا وكَفاهُ مُهِمَّ الأَعْمَالِ الـمَرَّاكُشِيّة حتّى عَرَفَ غَنَاءَهُ فيها، وشَكَرَ له كِفايَتَهُ.

وَهَلَكَ السلطانُ أبو عِنان، واسْتَبَدَّ على ابْنِهِ السَّعِيد وزيرُه الحسنُ / ابن عمر الفُودودي، وكان يَنْفِسُ عليه ما كان له من التَّرْشيح للرُّتْبَةِ[ب] [217 أ] وبينَهما في ذلك شَحْنَاءُ، فَخَشِيَ بَادِرَتَه وخَرجَ من مَرَّاكُش إلى مَعْقَلِهِ من جَبل هِنْتاتَةَ، وَحَمَل معه ابنَ السّلطان أبي عنان المُلَقَّب بِالمُعْتَمِد، كان أبوهُ عَقَدَ له يَافِعًا قُبَيلَ وَفاتِه على مَرَّاكُش لِنَظَر عَامِرٍ، فَخَلَصَ به إلى الجبل، حتّىَ إذا اسْتَوَت قَدَمُ السّلطان أبي سالم في الأمْر واسْتَقَلَّ بِمُلْك المغرب سنةَ ستّين، وَفَدَ عليه عامِرُ بن محمّد مع رُسُلِهِ إليه، وأَوْفَد ابنَ أخيه مُحمّدَ المُعْتَمَدَ، فتقبَّل السّلطانُ وِفادَتَهُ وشَكَر وَفاءَه، وأقامَ ببابه مُدَّةً، ثمّ عَقَد له على قَومِه، ثُمَّ اسْتَنْفَرهُ معه إلى تِلِمْسَان، ولم يَزَلْ مُقيمًا ببابه إلى قُبَيل وَفاته فأَنْفَذَهُ لـمَكانِ إمارَتِهِ.

ولـمّا هَلَكَ السّلطانُ أبو سالم واسْتَبَدَّ بالمغرب بَعْدَه عُمر بن عبد الله ابن عليّ، على ما نَذْكره، وكانت بَيْنه وبَيْن عَامِرٍ بباب السّلطان صَداقةٌ ومُلاطفَةٌ، وَصلَ يدَه بيدِه وأَكّد العَهْدَ معه على سَدِّ تلك الفُرْجَةِ، وَعَوَّلَ عليه في حَوْطِ البلاد المرّاكشيَّة، وأن لا يُؤْتَى مِنْ قِبَلِه، وكان زعيمًا بذلك.

(أ) ف: ثانيا (ب) ف: للريبة.

ـيَة وما إليها إلى وادي أُمّ رَبيع، وَفَوَّضَ إليه ـ الـمَغرب شَقَّ(1) الأُبُلَمَة[أ]. وَخَلَصَ إليه ـ أبي سعيد: أبو الفَضْل ابن السلطان أبي سالم، ـان أبي عليّ، فاعْتَقَلَ عبدَ الـمُؤمن، وأَمْكَنَ أبا ـ ما نَذْكر بَعْدُ. وسَاءَتِ الحالُ بَيْنَه وبين عُمَر، ـ بجُموع بَني مَرين وكافّةِ العَساكِرِ، واعْتَصَم بجَبَلِه الأَميرَيْن عِنْدَهُ.

ـمؤمن من مُعْتَقَلِه يُجَاجِيءُ به بَني مَرين لِمَا كانوا يُؤَمِّلُون ـاده لِمَا [أسفَهُمْ][ب] من حَجْرِ الوُزَرَاءِ لمُلوكِهم، فَلَمّا رَأَوْا ـليه أَعْرَضُوا عنه.

ـلسِّلْمُ بَيْنه وبَيْن عمر بن عبد الله على ما كان عليه من ـيَاه في أعمال الـمَغرب، ورَجع. واسْتَقَلَّ عامِرُ بِناحِيةِ مَرَّاكُش ـتَّى إذا هَلَكَ عمرُ بن عبد الله بِيَدِ عبد العزيزِ ابن السّلطان أبي ـمَا نذكرهُ، حَدَّثَتْ أبا الفَضْل ابنَ السّلطان أبي سالم نَفْسُهُ بالفَتْك ـ محمَّد كما فَتَكَ عَمُّهُ بِعُمَر بن عبد الله، ونَذَرَ بذلك. فَاحْتَمَلَ كَرائمَهُ إلى دَارِه بالجَبَلِ. فَفَتَكَ أبو الفَضْل بعبْدِ الـمُؤمن ابنِ عمِّهِ، كان ـلاً بِمَرَّاكُش، واسْتَحْكَمَتْ لذلك النَّفْرَةُ بَيْنه وبَيْن عَامر بن محمَّدٍ. وبَعث السّلطان عبدِ العزيز فَنَهَضَ من فاس في جُموعه سنةَ تِسْعٍ وستّين، وفَرَّ

(أ) ف: الأيله (ب) ظ: لماسفهم.

(1) مثل يُضرب في المساواة والمشاركة في الأمر.

وعَقَدَ له على الأعمال المَرَّاكُشِيَّة وما إليها إلى وادي أُمّ رَبيع، وَفَوَّضَ إليه أَمْرَ تلك النّاحية، واقْتَسَمَا المَغرب شَقَّ[1] الأُبُلُمَة[أ]. وَخَلَصَ إليه الأَغْيَاصُ من وَلَدِ السّلطانِ أبي سعيد: أبو الفَضْل ابن السلطان أبي سالم، وعبدُ المُؤمن ابن السّلطان أبي عليٍّ، فاعْتَقَلَ عبدَ المُؤمن، وأَمْكَنَ أبا الفَضْل من إمَارَتِه، على ما نَذْكُر بَعْدُ. وسَاءَتِ الحالُ بَيْنه وبين عُمَر، وَنَهَضَ إليه من فاس بجُموعِ بَني مَرِين وكافَّة العَساكِرِ، واعْتَصَم بِجَبَلِه وَقَوْمِهِ، واسْتَبَدَّ على الأَميرَيْن عِنْدَهُ.

وحَلَّ عبدُ المُؤمن من مُعْتقَلِه يُجَأْجِيءُ به بَني مَرِين لِمَا كانوا يُؤَمِّلون من ولايَتِهِ واسْتِبْداده لِمَا [أَسَفَهُمْ][ب] من حَجْرِ الوُزَرَاءِ لِمُلوكِهم، فَلَمَّا رَأَوْا اسْتِبْدادَ عَامِرٍ عليه أَعْرَضُوا عنه.

وانْعقَدَ السِّلْمُ بَيْنه وبَيْن عمر بن عبد الله على ما كان عليه من مُقَاسَمَتِه / إيّاه في أعمال المَغرب، ورَجع. واسْتَقَلَّ عامِرُ بِنَاحِيَةِ مَرَّاكُش [2ب] وأعمالِها، حتّى إذا هَلَكَ عمرُ بن عبد الله بِيَدِ عبد العزيزِ ابن السّلطان أبي الحسَن، كما نذكرهُ، حَدَّثَتْ أبا الفَضْل ابنَ السّلطان أبي سالم نَفْسُهُ بالفَتْك بعامرِ بن محمَّد كما فَتَكَ عَمُّهُ بِعُمَر بن عبد الله، ونَذَرَ بذلك. فَاحْتَمَلَ كَرَائِمَهُ وَصَعِدَ إلى دَارِه بالجَبَلِ. فَفَتَكَ أبو الفَضْل بعبدِ المُؤمن ابنِ عَمِّهِ، كان مُعْتَقَلاً بِمَرَّاكُش، واسْتَحْكَمَتْ لذلك النَّفْرَةُ بَيْنه وبيْن عَامر بن محمَّدٍ. وبَعث إلى السّلطان عبدِ العزيز فَنَهَضَ من فاس في جُموعه سنةَ تِسْعٍ وستّين، وفَرَّ

(أ) ف: الأيله (ب) ظ: لماسفهم.

---

(1) مثل يُضرب في المساواة والمشاركة في الأمر.

أبو الفَضل فلَحِق بتَادْلاَ، وتَقَبَّض عليه عمُّهُ السّلطانُ عبد العزيز وَقتَلَه كما نذكُر في أَخْباره. وطَلَبَ عَامِرًا في الوِفَادَةِ فَخَشِيَهُ على نَفْسِهِ واعْتَصمَ بمَعْقَلِهِ، فرجع إلى حَضْرَتِهِ واسْتجْمَع عَزَائِمه وَعَقدَ على مَرَّاكُش وأعمالِها لِعَلِيِّ بن [أجّان][أ] من صَنَائِع دولتِهم، وأَوْعز إليه بِمُنازَلَة عامِر، فَدافَعَهُ عامرٌ وقَوْمُهُ من مُعْتَصمِهِ وأَوْقَعَ به، وتَقَبَّضَ على طائفةٍ من بَني مَرين وصنائع السّلطان في المعركة أَوْدَعهم سِجْنَهُ، فحَرَّكَ بها عزائِمَ السّلطان، ونَهَدَ إليه في قَوْمِه من بَني مرِين وعساكِر المَغْرب، وأحاطَ به ونازلَهُ حَوْلاً كَرِيتًا، ثمّ تَغَلَّبَ عليه سنةَ إحدى وسَبْعين، وانْفَضَّت جُمُوعُه، وتَقَبَّضَ عليه عند اقْتِحام الجَبَل، فَسِيقَ أَسيرًا إلى السّلطان فَقَيَّدَه وقفَل به إلى الحَضْرة. ولمَّا قَضَى نُسُكَ الفِطْرِ مِنْ سنَتِهِ، أَحْضَره ووَبَّخه، ثُمّ أمربه فَتُلَّ إلى مَصْرَعِهِ، وامْتُحِنَ جَلْدًا بالسِّيَاطِ وضَرْبًا بالمَقَارِع حتّى فاظَ[1]، عفَا اللهُ عَنْهُ.

وعقدَ السّلطانُ على قَوْمِهِ لفارس ابنِ أخيه عبد العزيز، كان نَزَعَ إليه بين يدَيْ مَهْلِك عَمِّه، وعفَا عن ابنِه أبي يحيى بِسَابِقَتِه إلى الطّاعة قُبَيْلَ اقْتِحام الجبَل عليهم، أشارَ عليه بذلك أبوهُ نظرًا له، فظَفر من السّلامة بحظٍّ، وأَصارَهُ السّلطانُ في جُمْلَتِهِ. ثمّ هلَكَ بعد ذلك فارسُ بن عَبْد العزيز، واضْطَرم المغربُ فِتْنَةً / بعد مَهْلِكِ السّلطانِ عبد العزيز سنةَ أربعٍ وسَبْعين. [218أ] وصارَت أعمالُ مَرَّاكُش في إيَالَة السّلطان عبد الرّحمن بن عليّ

(أ) ظ: احايا. ف: اجانا.

---

(1) فاظَ: ماتَ.

الملقَّب بأَبي يفَلّوسن[أ] ابن السّلطان أبي عليّ. ونَزَع إليه أبو يَحيى بن عامر فعَقَد له على قَوْمه، ثُمّ اتّهَمَهُ باحْتِجان الأمْوالِ منذ عَهْدِ أبيه، وَشَرِهَ إلى اسْتِصْفائِه. ونُذِرَ به ابنُ عَامِرٍ فلَحِق ببَعْض قَبائل المَصَامِدَة جيرانِهِمْ بأطراف السُّوسِ ونَزَلَ عليهم، وكان مَهْلِكُهُ فيهم أعوامَ ثمانين وسبع مائة. واللهُ وَارِثُ الأرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا.

## د. كَـدْمِيوَة

وأمّا كَـدْمِيوَة، وكانوا تَبَعًا لِهِنْتَاتَة وتينْمَلّل في الأَمر، وَجَبَلُهم لِصْقَ جَبَلِ هِنْتَاتَةَ، وكان رُؤَسَاءَهم لِعَهد المُوَحّدين بَنو سَعْد الله. ولـمّا تَغَلَّب بَنو مَرين على المَصامِدَة ووَضَعُوا عليهِمُ الضّرائبَ، امْتنع يَحيى بن سَعْد الله بعضَ الشّيءِ بحصْن تَافرگا وتيسخت من جَبَلِهِم، وخَالَفَهُ عبدُ الكريم بن عيسى وَقَوْمُه إلى طاعة بَني مَرين. واخْتلَفتْ إليهمُ العساكرُ إلى أن هلَكَ يَحيى بن سعد الله سنةَ أَرْبَعٍ وتِسْعين وستّ مائة، وعساكرُ يوسفَ[ب] بن يَعْقوب مُجَمِّرَةٌ على حِصاره، فَهَدَموا حُصونَهُ وأَذَلُّوا من قَوْمِه. واسْتَخلَص السّلطانُ يوسفُ بن يَعْقوب عبدَ الكريمِ بنَ عيسى منذ عَهْدِ أَبيه، فعقدَ له عليْهم، ثُمّ تَقَبَّضَ على أُمَرَاءِ المَصامِدَة واعْتَقَله فيمَنْ اعْتَقل منهم، حتّى إذا فَعَلَ ابنُ المِلْياني فَعْلَتَه في اسْتِهْلاكهم لعَداوَةِ عَمِّهِ بتَلْبيسِ الكِتابِ على لسان السّلطان لابْنِه عَلِيٍّ أميرِ مَرَّاكُش، فقُتِل عبدُ الكريم فِيمَن قُتِلَ منهم، وَقُتِلَ مَعَهُ بَنُوهُ: عيسى وعليٌّ ومنصور، وابنُ أَخيه عبدُ العزيز بن محمّد،

(أ) ظ: يفَلُوسن. ف: يفلوسَن (ب) سقط من ف.

وامْتَعض السّلطان لذلك، وأفْلَتَ ابنُ المِلياني من مُعَسْكره لحصار تِلِمْسان فدَخلَها.

ثُمّ قام بأمْر كَـذْمِيوَة عبدُ الحقّ بن [سعد الله](أ) من بَيْت(ب) بني سعد الله أيامَ السّلطان أبي الحسَن وابنِه أبي عِنان. وكانَت بَيْنه وبَيْن عامِر ابن محمّد فِتنةٌ جرَّها لصُقُ العَمالَة، شأنُ المُجْتَوِرِين من القَبائل، وقَديمُ العَداوَةِ بين السّلَف. فلَمّا اسْتَفْحَلَ / [218 ب] أَمْرُ عامِرٍ بالولاية على مَرّاكُش وسائِرِ المَصامِدَة، نَبَذَ إلى عبدِ الحقِّ العهدَ، ونَحلَهُ الخِلافَ والمُداخلَةَ للسّكْسيوي شيخِ الفتنِة المُسْتعْصي منذُ أوّلِ الدّولةِ، فَصَمَد إليه سنةَ سَبْعٍ وخمسين وسَبْع مائة في قومِه -ومَسَالحُ السّلطان التى كانت بِمَرّاكُش لِنَظَرِهِ- فاقْتَحم عليه مَعْقَلَه عَنْوَةً وقَتَلَهُ واسْتَوْلَى على كَـذْمِيوَة. ولَحِقَ بنو سَعْد الله بفَاس فأقاموا بها، حتّى إذا خَاضَ السلطانُ أبو سالم البحرَ إلى مُلكِه بعدَ أخيه أبي عِنان، ونَزَلَ بِغُمَارَة، نَزَعَ إليه يوسُفُ بن سعد الله، واعْتَقَدَ منه [ذِمّةً](ج) بِسابِقَتِهِ(د) تلْك، فلَمّا اسْتَوْلى على البلَد الجديد واسْتَقَلَّ بسُلْطانه، عَقَدَ له على قَوْمِه رُعْيا لِوَسِيلَتِه، فأقام في ولايتِه مُدَّةَ السّلطانِ أبي سالم، كان عاملُ مَرّاكُش محمّد بن أبي العلَى من حاشية السّلطان وبُيوت الوُلاةِ بالمغرب مُعوَّلاً فيها على مُظاهَرتِه. ولـمّا هَلكَ السّلطانُ أبو سالم، واسْتَبَدَّ عمرُ بن عبد الله على المُلوك بعدَه، بَادَرَ لحِينِ ثَوْرَتِهِ بالعَقْدِ لِعَامِرٍ على أعْمالِ مَرّاكُش ليَسْتَظْهِر به، وطَيَّرَ إليه الكتابَ بذلك، فنَزَل إلى مَرّاكُش وقَتَل بها يوسُفَ بن سعد الله. ونَكَبَ ابن أبي

(أ) فراغ في ف لبقية الاسم، والكلام متواصل في ظ. والتكملة من مشجّر بني سعد الله من كَـذميوة
(ب) ف: بن ينث (ج) من ف وسقط من ظ (د) من ف، وفي ف: لسابقته.

العلَى، ثُمّ قتلَه وألحَقَهُ بأبيهِ عبدِ الحقِّ. وذَهَبَتِ الرِّئَاسَةُ من كَـبذمِيوَة بُرْهَةً من الدّهرِ، ثُمّ رَجَعَتْ إليهم في بَني سعد الله. والله قادرٌ على ما يَشاء، وبِيَدِهِ تَصاريفُ الأمورِ.

## هـ• وأَمّا وَرِيكَة

وهم مُجَاوِرُون لِهِنْتَاتَةَ، وبينهم فِتْنَةٌ قَديمة وحروبٌ مُتّصِلة ودماءٌ مَطْلُولَة كانت بينهم سِجَالاً، وهَلَكَ فيها من الفريقين أُمَمٌ إلى أن غَلَبَهم هِنْتَاتَة باعْتِزَازِهِمْ بالوِلاَيَة، فَخَضَدُوا(أ) منهم الشّوكَةَ وأَصارُوهُم في الجُمْلَةِ. والله وارثُ الأرضَ ومن عليها.

## و• [كَنْفِيسَة](ب)

وأما كَنْفِيسَةَ، وهُمْ أَكبرُ قَبَائِلِ المَصامِدَةِ، وفيهم بُطونٌ كثيرةٌ أَوْسَعُهُمْ بَطْنُ سَكْسِيوَة. وأَمّا سِواهُم من بُطون كَنْفِيسَة فأَنْفَقَتْهُمُ الدَّولةُ بما تَوَلّوْا من مُشَايَعَتِهَا(ج) وإِبْرَام عُقْدَتِهَا، فَهَلَكَ / رِجَالاَتُهُمْ في إنْفاقِها، سبيلَ الأُمَم [219 أ]
قَبْلَهُم في دُوَلِهِمْ.

(أ) ظ: محصدوا (ب) اتخذت النسختان لهذا المَقْطع عنوان "سكسيوة" وصدّره بالحديث عن كنفيسة كبرى قبائل المصامدة التي من بطونها سكسيوة، فغيرناه إلى مقتضى الذّي قدّمه عن القبائل المحدّجة الثمان
(ج) ظ: مشايعها.

## ز• [سَكْسيوَة][أ]

وأمّا سَكْسِيوَة، فكان لهم بين المُوَحِّدِين مَكانٌ واعتزازٌ بِكَثْرَتِهِم وَغَلَبِهِم، إلاّ أنّهم كانوا أهلَ بَدْوٍ، ولم يُخالِطُوهم في تَرَفِهِم ولا انْغمسوا في نَعِيمِهِم. وكان جَبَلُهم الذي أَوْطَنُوه من [جبال][ب] دَرَنْ هو القُنَّةُ مِنْهَا وَالذِّروة، واعْتَصَموا مِنه بالأَبْلَقِ الفَرْدِ، واليَفَاعِ[ج] الأَشَمِّ، والطَّودِ الشَّاهِقِ. قَدْ لَمِسَ الأَفْلاكَ بيَدِهِ، وَنَظَمَ النُّجومَ في مَفْرَقه، وتَلَفَّعَ بالسَّحَابِ في مَرْوَطِه، وآوى الرِّياحَ العواصِفَ إلى جَوِّهِ، وأَلْقَى إلى خَبرِ السَّماءِ بِأُذْنِهِ، وأَطَلَّ على البحرِ الأَخْضرِ بِشَمَارِيخِهِ، واسْتَدْبَرَ القَفْرَ من بلاد السُّوسِ بِظَهْرِهِ، وأَنَامَ سائِرَ جبال دَرَنْ في حِجْره.

ولـمّا انْقَرض أَمْرُ المُوَحِّدين وتَغَلَّب بنو مَرِين على المَصامِدة أَجْمَعَ، وسامُوهُم خُطَّةَ الخَسْف في وَضْعِ الضَّرائِب والمَغارِم عليهم، فاسْتَكانُوا لِعِزِّهِمْ وَأَعْطَوهُمْ يَدَ الطَّواعِيَة. واعْتَصم سَكْسيوَة هَؤُلاءِ بِمَعْقَلِهِم، واعْتَزُّوا فيه بِمَنْعَتِهِم، فَلَمْ يَغْمِسُوا في خِدْمته يَدًا، ولا أَعْطَوْهم مَقَادًا، ولاَ رَفَعُوا بِدَعْوَتِهم رايَةً، إنَّمَا هيَ مُنَابَذَةٌ لأَمْرِهم وامْتِناع عَلَيْهِم سائِرَ الأيّام، فإذا زَحَفَتْ الحُشودُ وَتَمَرَّست بِهِمْ العَساكِرُ، دافَعُوهم بِطاعَةٍ مَعْروفَةٍ وإِتاوةٍ غيرِ مُلْتَزَمَة. ورَئِيسُهُم مع ذلك يَسْتَخلص جِبايَتَهم لنَفْسه ويَدْفعهم في المَضائِقِ لِحِمايَته، ورُبَّمَا تَخَطّاهم إلى بعض قَبائل الجَبل ومن قارَبَه من أَهْل بَسِيط السُّوس، يُعَسْكِرُ لذلك بالرَّجْل من قومه سَكْسِيوَةَ وكَنْفِيسَةَ، وبالحَشْد

(أ) أفردنا هذا العنوان تبعًا لما تقدّم من التفريعات (ب) في ظ: جباله (ج) في ظ: النفاع وفي ف: النقاع، واليقاع هو التلّ المشرف.

من الأَعْراب المُوطِنين بأرْض السّوس من سُفْيان وهم بَطْنُ الحارِث، ومن المَعْقِلِ وهم بطن الشّبانات.

وكان رَئِيسُهم، في ذكرْنا، بعد انقِراض عبد المؤمن، حَدُّو بن يوسف، وحَدّو بلسان الأعْجَمِيّين هو عبدُ الواحد. وكان له في الاسْتِبْداد والصَّرامة ذِكْرٌ، وهَلَكَ سنةَ ثمانين وستّ مائة، أيّام يَعقوب بن عبد الحقّ. وجاء ابنُهُ عُمرُ على إثْرِه، وكان يُلَقَّبُ إجلّيد، ومعناه. / [219ب] بلِسانِهم: السّلطان. فغَالَبَ ملوكَ بَني مَرين دُونَ غِيلة، وامْتَنع عليهم بِمَعْقَلِهِ، ونَازَلَتْهُ عساكرُ يوسف ابن يَعْقوب وأخيه أبي سعيد من بعده، فامْتَنع. وكان مُنتحِلاً للعِلْم، وَاعِيَةً لَهُ، جَمّاعَةً لكُتُبه ودَواوينِه، حافظًا لفُروعِ الفِقْه، يقال إنّ المُدَوّنة كانت من مَحفُوظاته، مُحِبًّا في الفَلْسفة، مُطالِعًا لِكُتُبها، حريصًا على نَتائِجها من عِلم الكيمياء والسّيمِياء والسّحْر والشّعْوذة، مُطّلِعًا على الشّرائِع القَديمة والكُتب المُنَزَّلَة بِكُتُبِ التّوراة، ويُجالِسُ أحْبارَ اليَهود، حتىّ لقد اتُّهِم في عَقْدِهِ ورُمِيَ بالرّغبةِ عن دينه.

ثُمّ وَلِيَ من بَعده ابنُه عبدُ الله مُقْتَفِيًا سَنَنَ أبيه في ذلك، وخصوصا في انْتِحال السّحر والاسْتِشْراف إلى صَنْعة الكيمياء.

ولَمّا فرَغَ السّلطانُ أبو الحَسن من شأنِ أخيه عُمَر، وسَكّن فِتْنَةَ المغرب ودَوّخَ أقْطاره، رَماهُ في مُعْتَصَمه بالعساكِر وأَوْطَأَ ساحاتِهِ الكتائبَ، وحَالَه دونَ من يَمُدُّهُ من أعْرَاب السّوس من وَرائه بما كان من تَغَلُّبِه على بلادهم واقْتِضائِه لطاعتِهم وإنْزَالِ عُمّالِه بالعساكِر بَيْنَهم، فَلاذَ منه عبد الله

السّكْسيوِي بطاعةٍ معروفةٍ رَهَنَ فيها ابْنَهُ، واشْتَرَطَ للسّلطان الهديّةَ والمُتاحَفة، فتقبَّلَ منه ومَنَحه جانبَ الرِّضَى.

ولـمّا كانت نكبةُ السّلطانِ بالقَيْرَوان واضْطَربَ المغربُ فِتنةً، وخَلا جوُّ البلادِ المَرّاكُشيّة من المَسَالِح، اجْتَمع رَأْيُ المَلإِ من المَصامِدَة على النُّزول إلى مَرّاكُش، وأَحْكَمُوا عَقْدَ الوِفَاقِ بينهم وأجْمَعوا تَخْرِيبَها بما كانت دارًا للإمارَةِ ولِمُقَامَة الكتائِب المُجَمَّرَة. وزَعَمَ عبدُ الله السّكْسيوى هذا، بإنْفاذِ ذلك فيها، وَضَمِنَ هُوَ تَخْرِيبَ المساجِد لِتَجافِيهم عنْها، فكانت مَذْكورةً على الأيّامِ. ثم انْحَلَّ عَزْمُهم وافْتَرقت جماعتُهم وكَلِمتُهم بما كانت من اسْتِقَامَةِ الدّولةِ بفَاس واجتماع بَني مَرِينٍ على السّلطانِ أبي عنان، كما نَذْكُرُ بعدُ، فانْجَحر[1] كلٌّ منهم بوِجارِهِ[2].

ولـمّا فرغَ أبو عِنانٍ من شَأْن أبيه،/ واسْتَوْلَى على الـمَغْربِ الأَوْسَط [220]
وغلَبَ عليه بَني عبدِ الوادِ، ولَحِقَ أَخوهُ أبو الفَضْل من مَطْرح اغْترابِه فِي الأنْدَلُس بالطّاعةِ، يَرُومُ الإجازَةَ إلى المغْرب لِطَلَب حَقِّه، فأَرْكَبَهُ السَّفِينَ إلى سَواحل السُّوس، فَنَزَلَ به ولحِقَ بعبد الله السَّكْسِيوي فآواهُ وظَاهرَهُ على أَمْره. فَجَرَّدَ أبو عنان العَزائِمَ إليهم، وعَقَدَ لِوَزيرِهِ فَارِس بنِ مَيْمون بن وَدْرار على حَرْبِهم، واسْتَجرّ جيوشَ المغرب إليه، وأَنَاخَ بساحتِه سنةَ أربعٍ وخمسين. واختَطَّ بسفْح الجَبَل مدينةً لِحصاره سمّاها: القاهرة، وأَخَذَتْ

(1) انْجَحَرَ: دخلَ الجُحْر.

(2) الوِجَار: ككِتاب وسَحاب، جُحْرُ الضَّبُع وغيرها.

بمُخَنَّقِه، وزاحَمَتْ بمناكِبِها أركانَ مَعْقَلِهِ حتّى لاَذَ بالسّلْمِ واشْتَرط أنْ يَنْبُذَ العَهْدَ إلى أبي الفَضْل الـمُنْتَزِي عنده يَذْهَبُ حيثُ شاءَ، فتَقَبَّلَ منه، وعقدَ له سِلْمًا على عادَته وأَفْرَجَ عنه.

وخرجَ على عبدِ الله السَكْسِيوي لأيّامِ السّلطان أبي سالِم، ابنُهُ مُحمَّدٌ المعروفُ في لغتهم إيزَمْ[أ]، ومَعْناه: الأسدُ، فغَلَبَهُ على أمْره، ولحِقَ عبدُ الله بعامرِ بن محمّد الهِنْتاتي كبيرِ المَصامِدَة لعَهْدِه وعَامِلِ السّلطانِ علَيْهم، فاسْتَجَاشَ به، ووَعَدَهُ عامرٌ النُّصْرَةَ وأَمْهلهُ عامًا ونِصْفَهُ حتّى وَفَدَ على السّلطانِ واسْتَوْهَبَ الإذْنَ في ذلكَ. ثُمَّ أَجْمَعَ على نَصْرِهِ من عَدُوِّه فجَمعَ له النّاسَ، وخَاطَبَ أهلَ ولايته أن يَكونوا معه يَدًا.

وزَحفَ عبدُ اللهِ حتَّى نَزلَ بالقَاهِرَةِ، وأَخذَ بِمُخَنَّق ابنِه وأَشْياعِه. ثُمَّ دَاخلَهُ بعضُ بِطَانَته ودَلّوهُ على بَعْضِ العَوْرات اقْتَحَمَ منها الجبلَ، وثَارُوا بابْنه إيزَمْ فَصَبَّحَهُ عبدُ الله وقومُهُ، وَفرَّ مُحمَّدٌ أمامَهُمْ فَأُدْرِكَ بتلاسف من نواحي الجَبلِ وَقُتِلَ، واسْتَرْجع عبدُ اللهِ مُلْكَه، واسْتَقَلَّتْ قَدَمُه، إلى أن مَكَرَ بِهِ ابنُ عَمِّهِ يحيَى بن سُلَيمان بن حَدُّو أيّامَ اسْتِبْداد الوَزيرِ عمر بن عبد الله على سُلْطانِ الـمَغْرب واسْتِبْداد عَامِرِ بن محمّد بولاية مَرَّاكُش. [22ب] وثَأَرَ منه يَحيَى هذا[ب] بأبيهِ سُليمان، وهو عَمُّ عبدِ الله، كان قَتَلَهُ / أيّامَ إمارَته الأُولى. وأقام مُمَلَّكًا على سَكْسِيوَة إلى سِنِيِّ خَمْسٍ وسَبْعين، فثَارَ عليه أبو بكر بن عمر بن حَدُّو فَقَتَلَهُ بأخيه عبدِ الله، واسْتَقَلَّ بِأَمْرِ سَكْسِيوَة ومن إليهم. ثمّ خَرج عليه لأعْوامٍ من اسْتقلاله ابنُ عمٍّ له من أهل

(أ) كذا ضبطت في ظ (ب) ف: هذا يحيى.

بَيْته، لَمْ يُنْقَلْ لي من تَعْرِيفِهِ إلاّ أنّ اسْمَهُ عبدُ الرّحمن، لأنَّ ثَوْرَتَهُ كانت بَعْد رِحْلتي الثّانِيَة من المغرب سنةَ ستٍّ وسبعين، فأخْبرني الثّقةُ بأمْرِه وأنّهُ ظَفِرَ بأبي بَكْر بن عمرَ وقتلَه، واسْتبَدَّ بأَمْرِ الجَبَل إلى هذا العَهْد، فيما زَعَمَ، وهو سنةُ تِسْعٍ وسَبْعين. ثمّ بَلَغَنِي سنةَ ثَمانٍ وثَمانين، أنَّ عبدَ الرّحمن هذا، ويُعْرف بأبي زَيْد بن مَخْلوف بن عُمَر إجلّيد، قَتَلَهُ يَحْيى بن عبد الله ابن عمر، واسْتَبَدَّ بأَمْرِ هذا الجَبل، وهو الآنَ مَالِكُه، وهو أخو إيزَمْ بن عبد الله. واللهُ وارثُ الأرض ومن علَيها.

وأَمَّا بقيَّة قَبائل المَصامِدَة من سِوَى هؤلاء السَّبْع، مثلَ: هَيْلاَنَة وَحَاحَة ودُكالَة وغيرِهم مّمن أَوْطنَ هِضابَ الجبَل أو ساحاتِهِ، فَهُمْ أُمَمٌ لا تَنْحَصِرُ. ودُكالَة مِنْهُمْ في ساحَة الجبل من جانِب الجَوْفِ مّما يلي مَرّاكُش إلى البَحْر من جانب الغَرْب. وهناك رباطُ آسفي المَعْروف ببَني مَاكِر من بُطونِهم. وبَيْنَ النّاسِ خِلافٌ في انتِسابِهِمْ في المَصامِدَة أو صِنْهَاجَة.

ويُجَاوِرُهُمْ من جانِب الغَرْب في بَسيط يَنْعطِفُ ما بَيْن ساحِل البَحْر وجَبل دَرَنْ في بَسيط هُنالك يُفْضِي إلى السّوس، يَعْمُره من حَاحَة هؤلاء خَلْقٌ أكْثرُهم في خَمَرِ الشَّعْرَاءِ مِنَ الشّجَرِ المعروفِ بأَرْكَان، يَتَحَصَّنُونَ بِمُلْتَفِّهَا[أ] وأدْواحِها، ويَعْتَصِرونَ الزّيتَ لإِدَامِهِمْ من ثِمارِها، وهو زَيْتٌ شريفٌ طَيّبُ اللّونِ والرّائِحة والطّعْمِ؛ يَبْعثُ منه العُمّالُ إلى دار المُلْك في هَدايَاهم فَيُطْرِفُونَ به.

(أ) ف: بمكتنفها.

وبآخر مَواطِنِهِمْ مِمَّا يَلي أرضَ السُّوسِ، وفي القِبْلةِ عن جَبل دَرَنْ، بَلَدُ تادنَسْت(أ)، وبها / معظمُ هذه الشَّعْراء يَنْزِلُها رُؤساؤُهم. ورِئاسَتُهم في [221 أ] بَطْن منهم يُعرفون بِتِرْزَازَة(ب). وكان شيخَهم لعهْد السّلطان أبي عِنانٍ إبراهيمُ ابن حُسين بن حمّاد بن حسَين، وبعده ابنُه محمّد بن إبراهيم بن حُسين، وبعدَه ابنُ عمّهم خالد بن عيسى بن حمّاد. واسْتَمرَّت رِئاستُه علَيهم إلى أعوام ستٍّ وسَبْعين وسبع مائة، أيّامَ اسْتِيلاء السّلطان عبد الرّحمن ابن يونطوسن(ج) على مَرَّاكُش، فقتلَه شيخُ بَني مَـرِين عليّ بن عُمَر الوَرْتاجِنّي من بني ويغلانْ منهم(د). وما أدري لمن صارت رِئاسَتُهم من بعده. وهم ودَكّالة جميعا أهلُ مَغْرَمٍ واسعٍ وجبايةٍ مَوْفُورَةٍ فيما عَلِمْنَاه. ولله الخلقُ والأمرُ وهو خيرُ الوارثين.

(أ) كذا ضُبط في ظ (ب) كذا ضبط في ظ، وف: منزاره (ج) ف: يوفلوسن (د) ف: فيهم. ظ ف: ويعلان بعين مهملة.

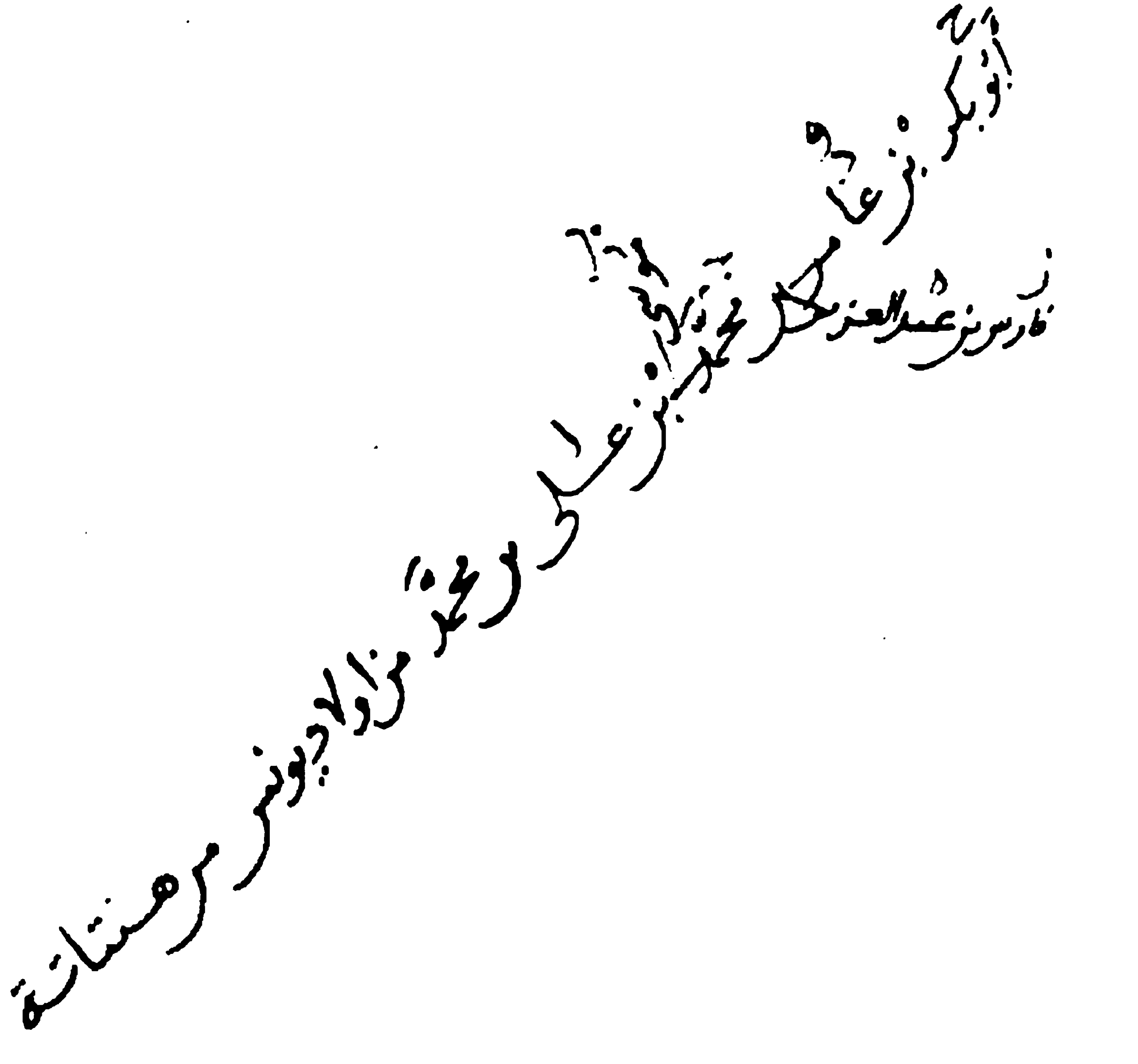

[ أولاد يونس رؤساء هِنتاتة. من ظ بخط المؤلف. وفي مشجّر نسخة ف بخط ابن الفخّار سَمّى فارسَ بن عبد العزيز، مُحمّدَ بن عبد العزيز]

[221 ب]

[ بنو سعد الله، رؤساء كدميوة]

[ بنو خدّو بن يوسف، رؤساء سكسيوة]

## 32 • / الخَبرُ عن بَني يَدَّرْ أمراءِ السّوس من الموحّدينَ بعدَ انْقِراض بَني عبد المُؤمن وتصاريفِ أحْوالِهم [222]

كان أبو محمّد بن يونس من عِلْيَة وُزراءِ المَوحّدين من هِنْتاتة، وكان المُرتَضى قد اسْتَوْزره ثمّ سَخَطه وعَزلَه سنةَ خَمْسين وستّ مائة، وألْزمه دارَه بتامَصْلَحت، وفرَّ عنه قومُه وحاشِيتُه وقرابَتُه، وكان من أهْل قَرابته عليُّ بن يَدَّر من بني باداسْ، ففرّ إلى السّوس وجاهَر بالخِلاف[1] سنةَ إحْدى وخمسين، ونزلَ بحصْن تانصاصت[أ] بسَفْح الجبَل، حيث يدفعُ وادي السّوس من دَرَنْ، وشَيّده وحَصّنه وتغلّب على حِصْن تيسخْت من أيدي صِنْهاجة، وشيّدَه وأنْزل فيه ابنَ عمّه حمدين، ثمّ تغلَّب على بَسيط السّوس، وجَأْجَأَ ببَني حسّان من أعْراب المَعْقِل من مَواطِنهم بنواحي مَلْويّة إلى بلاد الرّيف، فارْتحلوا إليه وعاثَ بهم في نَواحي السّوس؛ وطاعَ له كثيرٌ من قَبائِله فاستَوْفى جِبايَتَهم، وأَجْلب علي عامِل المَوحّدينَ بتارُودَنْت وضَيّق عليه المسالِكَ، وتفاقَم أمرُه.

واتُّهِمَ الوزيرُ أبو محمّد بن يونس بمُداخَلَتِه[2]، وعُثِر على كِتابه إلى عليّ ابن يَدّر، فأمر المرتضَى باعْتِقاله وقَتَلَه سنةَ ثِنْتين وخَمْسين. وأغزَى أبا محمّد ابن أصْناك[ب][3] إلى بلادِ السّوس في عَسْكر الموحّدينَ والجُنْد، وعَقَد له

(أ) الصاد المشممة من ف، وفيها: تانصاصت (ب) ظ: اصال والتصويب من ف.

---

(1) البيان المغرب 402 ـ

(2) المصدر نفسه 404 ـ

(3) المصدر نفسه 410 وسماه: ابن أصناج.

عليها فنزلَ تارُودَنت، وتحصّنَ عليّ بن يَدّرْ بتَنْوَنيوِين[أ]. وزَحف إليْه ابن أصْناك في عَسْكره فهزَمهُ ابنُ يَدَّر وقتل كثيرًا منهم، ورَجع إلى مَرّاكُش مَفْلولاً. وأقام عليُّ بن يَدّر على حالِه من الخِلاف، وأَغْزاهُ المرْتَضى محمّد بن عليّ أزلْماط[1] في عسْكر من الموحّدين سنةَ ستّين، فهزَمَهم وقتلَ ابنَ أزلْماط، فعقدَ المرتَضى من بَعْده على السّوس لوزيره أبي زَيْد بن بكّيث[ب]، فزحفَ إليه، ودارَتِ الحرْبُ بينهما مَليًّا وانقلَبَ من غير ظَفَر. واسْتَفْحَلَ أمرُ ابن يَدَّر ببلاد السّوس، واسْتَخْدمَ الأعرابَ من الشّبَانات وذَوي حَسّان، وأطاعَتْه القبائِلُ من كزولَة ولَمْطة وزكن ووَلْخس / من شُعوب لَمَطَة وصناكة، وجَبَى الأموالَ واستَخْدم الرّجالَ. [222 ب]
يُقالُ كان جنْدُه ألفَ فارسٍ. وكان بَيْنه وبين كزولَة فِتَنٌ وحُروبٌ يَسْتظْهر في أكْثرها بذَوي حَسّان. ولمّا استَوْلَى أبو دبّوس على مَرّاكُش سنةَ خمسٍ وستّين وفرغَ من تَمْهيد مُلكه بها، اعْتزمَ على الحركةِ إلى السّوس، ورحلَ من مَرّاكُش وقَدّم بين يَدَيْه يَحيى بن وَانّودين لاحْتشاد القَبائِل، ومَرّ[ج] بالجبَل ثمّ أسْهل من تامسكروط إلى بَسيط السّوس، ونزلَ على بَني باداس قبيلةِ ابن يَدّرْ على فَرْسخَيْن من تنْوَنيوِين وقصد تيزخْت ومَرَّ بتارودَنْت وعاينَ آثار الخَراب الذي بها من عَيْث ابن يَدَّرْ. ولمّا بلغَ حِصْنَ تيزخْت خيّمَ بساحَتِه وحَشَر أُممًا من القَبائِل لِحصاره، وكان به حَمْدين ابن عَمّ عليّ بن يَدَّرْ، فحاصَره أيّامًا، ولمّا اسْتَبدَّ عليه الحِصار

(أ) كذا ضبطت في ظ (ب) كذا ضبطت في ظ. وعُمّمت على الاسم حيثما وَرَدَ (ج) ف: ومَن.

(1) البيان المغرب 428 وسماه: آصلماط.

داخلَ عليّ بن زَكداز[أ] من مَشْيخة بَني مَرين كان في حَمْلة[ب] أبي دَبّوس، فداخَلَه في الطّاعة، وتقبّل السّلطانُ طاعَتَه على النّزول عن حِصْنه، ثمّ أعْجَلَتْه الحرْب واقْتَحمَ عليهم الجبلَ ولَجأُوا إلى الحِصْن، وفرّ حَمْدين إلى بَيْت عليّ بن زَكداز[ج] فأمرَه السّلطانُ باعْتقاله. واسْتَوْلى السّلطان على الحِصْن وأنزَل به بعضَ السّادة لولايَتِه، وارْتَحلَ أبو دَبُوس إلى مُحاصرة عليّ بن يَدّرْ، فحاصَرهُ أيّامًا ونصَب عليه المجانيقَ، ولـمّا اشتَدَّ عليه الحصارُ رَغِبَ في الإقالَة ومُعاودة الطّاعة، فتَقُبِّلَ، وأقلعَ السّلطانُ عن حِصاره وقَفَلَ إلى حَضْرته.

ولـمّا استَوْلَى بنو مَرين على مَرّاكُش سنةَ ثمانٍ وستّين، استبدَّ عليُّ ابن يَدّرْ بمُلْكِ سوس، واسْتَوْلَى على تارودَنْت وإيفري وسائِرِ أمْصارِهِ وقَواعده ومَعاقِلِه، وأرْهفَ حَدَّهُ للأَعْراب، فزَحَفوا إليه وكانَت عليه الدّبرة[د]، وقُتِل سنةَ ثمانٍ وستّين. وقامَ بأَمْره عليّ بن أخيه عبد الرّحمن ابن الحسَن مُدّةً، ثم هلَكَ وقام بأمْرهم أخوُه عليّ بن الحسَن بن يَدَّرْ، ولـمّا صارَ أبو عليّ ابنُ السّلطان أبي سَعيدٍ إلى مُلْك سِجِلْماسَة بصُلْحٍ عقدَه مع أبيه كما نَذْكر في أخبارِهم، فنزلَها وشَيَّدَ / مُلْكهُ بها. واستَخْدمَ كافّةَ عرب المَعْقِل فرَغّبوه في مُلْك[هـ] السّوس وأطْمَعوه في أمْوال ابن يَدَّرْ، فغزاهُ من سِجِلْماسَة، وفرّ ابنُ يَدّرْ أمامَه إلى جبال نكيسة، واستَوْلى السُّلطانُ أبو عليّ على حصْنه تانصاصت[و] وسائِرِ أمْصار السّوس، واستَصْفَى ذخيرتَهُ وأمْـوالَه ورجعَ إلى سِجِلْماسَة. ثمّ استَوْلى السّلطانُ أبو الحسَن من [223 أ]

(أ) ظ ف: زكداز (ب) ف: جملة (ج) ف: زكدار (د) ف: الدائرة (هـ) ف: تلك
(و) الإشمام من ف، وفيها بانصاصت: وفي ظ: تانضاضت.

بعد ذلك عليه، وانقرَضَ مُلْك بَني يَدّرْ، ولَحِقَ به عبدُ الرّحمن بن عليّ بن الحسَن وصارَ في جُمْلَته.

وأنزلَ السّلطانُ بأرْض السّوس مَسْعودَ بنَ إبْراهيم بن عيسَى البرنياني من طبقَةِ وُزرائِه، وعقد له على تلك العَمالة إلى أن هَلَكَ، وعقَد لأخيه حشون(أ) من بَعْده إلى أن كانت نَكبةُ القَيْروان، وهلك حشّون(أ) وانفضَّ العسكرُ من هُنالك، وتغلَّبَ عليه العربُ من بَني حسّان والشّبانَات، ووَضَعُوا علَى قَبائِلِه الإتاوَات والضّرائب. ولما [اسْتبَدَّ](ب) أبو عِنانٍ بمُلْك المغْرِب من بعد أبيه، أغْزَى عساكِرَه السُّوسَ لنظَر وَزيره فارس بن دُرار(ج) سنةَ ستٍّ وخمسين، فملَكَه واستَخْدم القبائِلَ والعربَ من أهْله، ورتّب المسالحَ بأمْصاره وقفلَ إلى مكانِ وزارَتِه، فانقَضَتِ المسالحُ ولَحِقَتْ به. وبَقيَ عملُ السّوس ضاحِيًا من ظِلّ المُلْك لهذَا العَهْد، وهو وَطنٌ كبيرٌ في مِثْل عَرْض البِلاد الجريديّه وهوائها، المتّصلة من لَدُن البَحْر المحيط إلى نيل مِصْرَ الهابِط من وراء خَطّ الاسْتِواء في القِبْلة إلى الإسْكندريّة، وهذا الوَطن قِبْلَةَ جِبال دَرَنْ ذُو عمائِرَ وقُرَى ومَزارِعَ ومُدنٍ(د) وأمصار وجبالٍ وحُصون، ويَخْترقُه وادي السّوس يَنْصَبُّ من باطِنِ الجبَلِ ما بين كلاوَة وسَكْسيوَة، ويدفعُ إلى بَسيطِهِ، ثمّ يَمُرُّ مغرّبًا إلى أن يَصُبَّ في البحر المُحيط. والعمائِرُ متّصلةٌ حِفافَيْ هذا الوادي ذات الفُدُن والمزارِع، وأهْلُها يتّخِذونَ فيها قصبَ السُّكَّر.

(أ) كذا في ظ. ف: حسون (ب) من ف، وفي ظ: اشتَدَّ (ج) من ف. ظ ودار (د) ف: فُدن.

وعند مَصَبِّ هذا الوادي من الجبَلِ في البَسيط مدينةُ تارُودَنْت، وبَيْن مَصَبِّ هذا الوادي في البَحْر ومَصَبِّ وَادي ماسّه / مَرْحلَتان إلى ناحية الجنوب على ساحِل البَحْر، وهُناك رباطُ مَاسّة الشّهير المعروف بتَرَدُّدِ الأَوْلياء وعِبادتهم. وتَزْعُم العامّة أنّ خُروج الفاطِميّ منه، ومنهُ أيضًا إلى زوايَا أوْلاد بونُعمان مَرْحلتان في الجنوب كذلك على ساحِل البَحْر، وبعدها على مَراحل مَصَبُّ السّاقية الحَمْراء، وهي مُنتهى مجالات المَعْقِل في مَشاتيهم. 223 ب

وفي رَأس وادي السّوس جبلُ زكَنْدَر قبلة جَبَل الكلاوي. وفي قِبْلة جِبال دَرَنْ جبالُ نكيسة ينتهي إلى جبال دَرْعة ويُعْرف الآخرُ منها في الشّرق بابن حميدي، ويَصُبُّ من جبال نكيسة وادي نُولْ، ويمرُّ مغرّبًا إلى أن يَصُبّ في البَحْر، وعلى هذا الوادي بلدُ تاكاوصت مَحَطُّ الرّفاق والبَضائِع بالقِبْلَة، وبها سوقٌ في يوم واحدٍ من السّنة يَقْصده التّجر من الآفاق، وهو من الشُّهْرَة لهذا العَهْد بمكانٍ. و[بَلَدُ](أ) إيفري بسَفْح جِبال نكيسه، بينَها وبين تاكاوصت مَرْحلتان. وأرْضُ السّوس مجالات لكزولة ولَمْطة، فلَمْطة منهم ممّا يَلي دَرَنْ، وكزولة ممّا يلي الرَّمْل والقَفْر.

ولـمّا تغلَّبَ المَعْقِل على بَسائطه اقْتسموها مَواطنَ، فكان الشّبانَاتُ أقربُ إلى جبال دَرَنْ، وصارَتْ قَبائلُ لَمْطة من أَحْلافهم، وصارَتْ كزولة من أَحْلاف ذَوي حَسّان؛ والأمر على ذلك لهذا العهد. وبيد الله تَصاريفُ الأمور.

(أ) من ف. ظ: ويله.

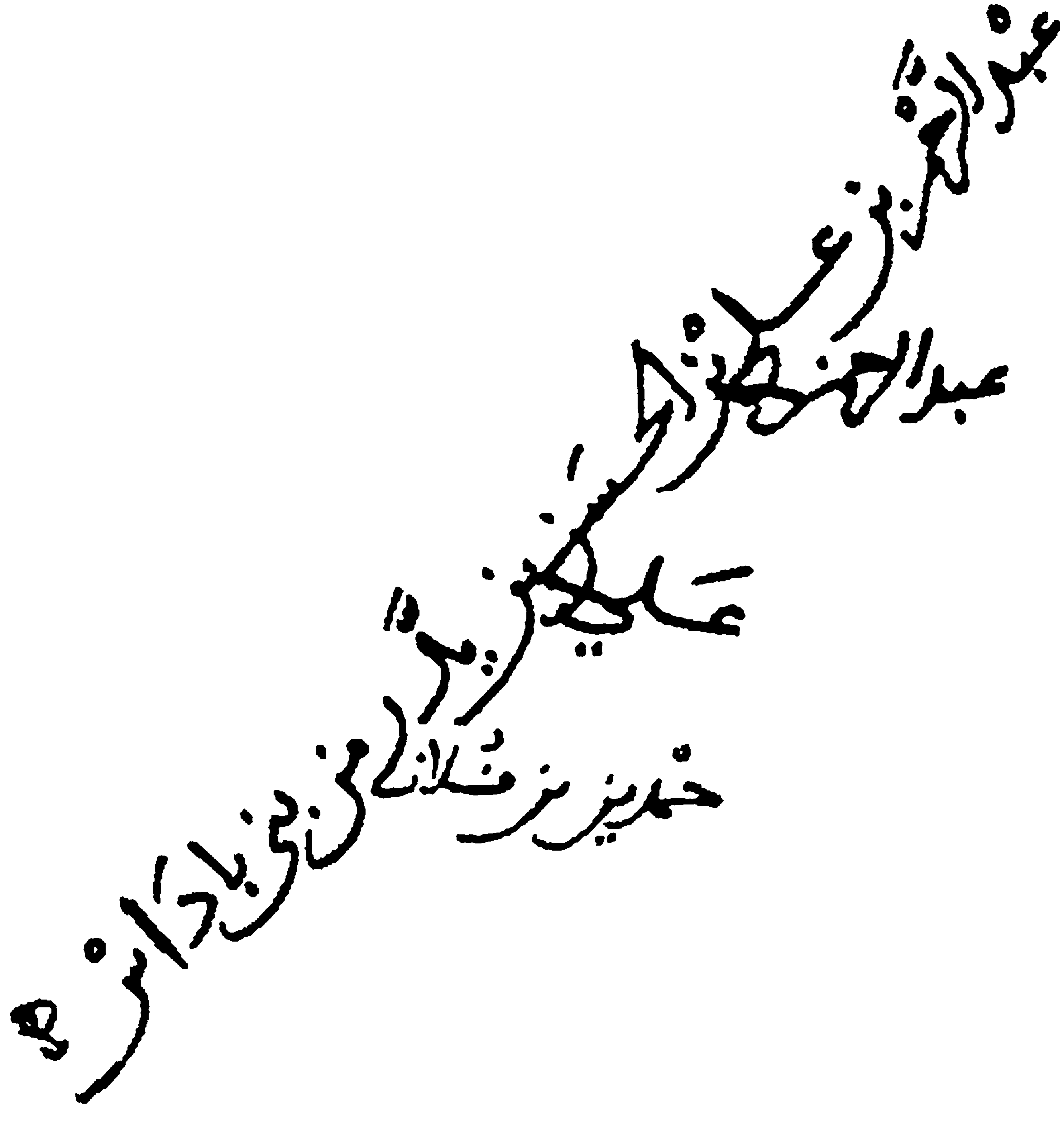

[ بَنو يَدَّز من بني باداس أمراءُ السّوس ]

## 33 • / الخبرُ عن دَوْلَةِ بنى أَبي حَفْصٍ ملوكِ إفريقيَّةَ من الموحّدين، ومَبْدأ أمْرهم وتصاريف أحْوالِهم [224 أ]

قد قدّمنا أن قبائلَ المَصامِدَةِ بجبل دَرَن وما حَوْله كثيرٌ[أ]، مثل هِنتَاتَه وتينملّل وهَرْغَة وكَنْفِيسَة وسَكْسِيوَة وكَـدْمِيوَة وهَزْرَجَة وَوَرِيكَة وهَزْمِيرَة ورَكْـرَاكَـة وحَاحَة وبني ماغوس وكـلاوة وغيرهم ممّن لا يُحْصَى. وكان منهم قبلَ الإسلام وبَعْده رؤساءُ ومُلوك، وهِنْتَاتَةُ هؤلاء من أَعْظم قَبائِلِهِمْ وأَكْثرِهَا جَمْعَا وأشَدِّها قوَّةَ، وهم السَّابقون للقيام بدَعْوَةِ الإمام المهْديّ والمُمَهِّدُون لأمْره وَأَمْرِ / عبد المؤمن من بَعْده، كما ذكرنا في أخْبارهم. واسمُ هِنْتَاتَةَ جَدِّهم بلسان المَصَامِدَةِ ينْتِي[ب]. [224 ب]

وكان كبيرَهم لعَهْد الإمام المهديّ الشيخُ أبو حفص عمرُ بنُ يحيَى. ونَقَلَ البَيْذَقُ(1) أن اسمَه بلسَانِهِمْ فصركات[ج]، وهِنْتَاتَةُ لهذا العهد يَقُولُونَ إِنَّهُ اسْمُ جَدِّهِ. وكان عظيمًا فيهم مَتْبُوعًا غيرَ مُدَافَع، وهو أوّل من بَايَعَ للإمام المهدِيّ من قومه، فجاء يوسفُ بنُ وَانُودِين وأبو يحيى بن بَكّـيت وابنُ يَغْمور وغَيْرُهم منهم على إثْرِهِ. واخْتَصَّ بصِحابة المهدي، فانْتَظَمَ في العَشْرةِ السابقين إلى دَعْوته، وكان تِلْوَ عبد المؤمن فيهم. ولم تكن مَزِيَّةُ عبد المؤمن عليه إلاّ من حيث صِحَابَةِ المَهْدِيّ. وأمّا في المصامدة فكان كبيرُهم غيرَ

(أ) ف: كبير (ب) من ف. مهملة في ظ (ج) ف: فارصكات. وَهَمَ الناسخ ففصل حرف الإشمام عن الصاد.

---

(1) انظر كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، 71 ، وخَفّف الصّاد المشمة إلى سين، فسماه: فاسكات بن يحيى المكنّى بعمر آينتي.

مدافعٍ، وكان يُسَمَّى بين المُوَحِّدِين بالشَّيخ، كما كان المهديّ يُسَمَّى بالإمام، وعبد المؤمن بالخليفة، سِمَاتٌ لهولاء الثلاثة من بين أهل الدَّعْوة تَدُلُّ على اشتراكهم في الجلالة.

وأمّا نَسَبُهُ، فهو: عمر بن يحي بن محمد بن وانُّودينْ بن عليّ بن أحمد ابن والال بن إدْريس بن خالد بن اليَسَع بن إلْياس بن عمر بن وافين[أ] بن محمد بن نجية بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، هكذا نَسَبَهُ ابن نَخِيل وغيرُه من المُوَحِّدِين. ويَطِير منه أن هذا النسبَ القُرَشِيّ وَقَع في المَصامِدَةِ والْتَحَم بهم واشْتَمَلَتْ عَليهِ عَصَبِيَّتُهُمْ، شأنَ الأنْسَابِ التى تَقَعُ من قوم إلى قوم وتَلْتَحِمُ بهم، كما قُلْنَاه أَوَّلَ الكتابِ[1]. ولما هَلَكَ الإمامُ وعَهِدَ بِأَمْرِهِ إلى عبدِ المؤمنِ، وكان بعيدًا عن عَصَبِيَّةِ المَصَامِدَةِ إلاّ ما كان له من أَثَرَةِ المهديّ واخْتِصَاصِهِ، فَكَتَمَ مَوْتَ المهديّ وعَهْدَ عَبْد المومن ابْتِلاءً لطاعة المصامدة. وتَوَقَّفَ عبدُ المؤمنِ عن ذلك ثلاث سنين، ثم قال له أبو حَفْص: نُقَدِّمُكَ كما كان الإمَامُ يُقَدِّمُكَ، فَعَلِمَ أنّ أَمْرَهُ مُنْعَقِدٌ، ثُمّ أَعْلَنَ بِبَيْعَتِهِ، وأَمْضَى عَهْدَ الإمام بِتَقْدِيمِهِ، وَحَمَلَ المَصَامِدَةَ على طاعَته، فلم يَخْتَلِفْ عليه اثْنَان. وكان الحلُّ والعقدُ في المهمّاتِ إليه سائرَ أيّامِ عَبْد المؤمن وابْنِهِ يوسف، واسْتَكْفَوْا به نوائبَ الدَّعوةِ فَكَفَاهُمْ مُهِمَّهَا. وكان عبدُ المؤمنِ يُقَدِّمُهُ في المواقِفِ فَيُجَلّي فيها. وبَعَثَهُ على مُقَدِّمَتِهِ / حين زَحَفَ إلى المغرب الأَوْسط قبلَ فَتْح مَرَّاكُش سنة سَبْعٍ [225 أ]

(أ) من ف، ظ: وآمى والحروف مهملة.

(1) العبر (المقدمة) 1 : 234 -

وثلاثين، وَزَنَاتَةُ كُلُّهُمْ مُجْتَمِعُونَ بِمِنْداس لحربِ المُوَحِّدِينَ، مثل بَني وُمانُو وبني عبد الواد وبني ورسيفان وبني تُوجِّين وغيرِهم. فَحَمَلَ زَنَاتَةَ على الدَّعْوَةِ بعد أَنْ أَثْخَنَ فيهم. ولأَوَّلِ دُخولِ عَبْدِ المُؤْمِنِ لِمَرَّاكُش، خَرَجَ عليه الثَّائِرُ بِمَاسَّةَ وانصَرَفَتْ إليه وجوهُ الغَوْغاءِ وانْتَشَرَتْ ضَلاَلَتُه في النّواحي وتَفَاقَمَ أمره، فَدَفَعَ لحَرْبه الشيخَ أبا حَفْص، فَحَسَم داءَهُ ومَحَا أَثَرَ غِوَايَتِهِ.

ولـمّا اعْتَزَمَ عبدُ المؤمنِ على الرّحلة إلى إفرِيقيّة، حركَتَهُ الأولى، لَمْ يُقَدِّمْ شيئًا على اسْتِشَارَةِ أبي حَفْصٍ، ولـمَّا رَجَعَ منها وعَهِدَ إلى ابنِهِ مُحَمَّدٍ، خَالَفَهُ المُوَحِّدُونَ ونَكِرُوا ولايةَابنه، فاستدعَى أبا حَفْص من مكانه بالأَنْدَلُسِ، وحَمَلَ المُوَحِّدِينَ على البَيْعة له، وأشار بقَتْل يصلاتن(أ) الهَزَغي رأسِ المخالِفين في شأنه، فقَتَلَهُ، وتَمَّ أمرُ العهْد لابْنِهِ مُحَمَّد.

ولـمَّا اعْتَزَمَ عبد المؤمن على الرّحلة إلى إفْرِيقِّيَةَ سنةَ أربع وخمسين، حَرَكَتَهُ الثّانية لفتْح المَهْدِيَّةِ، اسْتَخْلَفَ الشيخَ أبا حَفْص على المغرب. ويُنْقَلُ من وَصَاةِ عبْدِ المؤمن لِبَنِيهِ: إنَّهُ لم يبقَ من أصحاب الإِمَامِ إلاَّ عمر ابن يحيى ويوسُف بن سليمان، فأمَّا عمرُ فإنَّهُ من أَوْليائكم، وأَمَّا يُوسُفُ فَجَهِّزْهُ بِعَسْكَرةٍ إلى الأَنْدَلُسِ تَسْتَرِحْ منْهُ، وكذلك فافْعَلْ بِكُلِّ من تَكْرهه من المَصَامِدَةِ، وأَمَّا ابنُ مَرْدَنِيش فاتْرُكْهُ ما تَرَكَكَ، وَتَربَّصْ به رَيْبَ المَنُونِ، وأَخْلِ إِفْرِيقِّيَةَ من العَرب وأَجْلِهِمْ إلى بلاد المَغْرب وادَّخِرْهُمْ لحَرْب ابنِ مَرْدَنيش إذا احْتَجْتَ إلى ذلك.

(أ) ف: يصلابن.

ولـمّا وَلِيَ يوسفُ بن عبد المؤمن تخلَّفَ الشّيخُ أبو حَفصٍ عن بَيْعته، وَوَجَمَ المُوحِّدُون لِتخلُّفِهِ حتّى اسْتَنْبَلَ غَرَضَهُ في حكم أَمْضَاهُ بمقْعد سُلطانه، وأُعْجِبَ بفَضْله، وأَعْطَاهُ صَفقة يَمِينِهِ، وأَعْلَنَ بالرِّضا بخلافته، فكانت عند يوسفَ وقومِه من أعظمِ البَشَائِرِ، وتَسمَّى لها بأمير المؤمنين سنةَ ثلاثٍ وستّين.

ولـمّا وَلِيَ يوسفُ بنُ عبد المؤمن، وتحرَّكَتْ الفِتْنةُ بجبال غُمَارةَ وصِنْهَاجَةَ التِّي تولّى كِبْرَهَا سبعُ بن منغفاد سنة ثِنْتَيْنِ وستِّينَ. / [225 ب] عَقَدَ للشّيخ أبي حَفْصٍ على حَرْبِهم فجَلَّى في ذلك، ثُمَّ خرجَ بنفسه فَأَثْخَنَ فيهم وكَمَّلَ الفتح كما ذكَرْناه.

ولـمّا بَلَغَهُ سنةَ أربعٍ وستّين تَكالُبُ الطّاغية على الأَنْدَلُس وغَدْرُه بمدينة بَطَلْيَوس، واعْتزمَ على الإجازَة لِحمايتها، قَدَّمَ عساكِرَ المُوحّدين إليها لنَظَر الشّيخ أبي حَفْص، ونَزلَ قُرْطُبةَ، وأَمَرَ من كان بالأندلس من السَّادَةِ أن يَرْجِعُوا إلى رَأيه، فاسْتَنْقذ بَطَلْيَوس من هُوّة الحِصار، وكانت له في الجِهاد هنالك مَقاماتٌ مَذكورةٌ.

ولـمّا انصَرف من قُرْطُبة إلى الحَضْرة سنةَ إحدَى وسبعين، هَلَكَ عفَا الله عنه في طَريقه بِسَلاَ ودُفِنَ بها. وكان أبناؤه من بَعْده يَتداولون الإمارَةَ بالأَنْدَلُس والـمَغرب وإفْريقيَّةَ مع السّادة من بَني عبد المؤمن، فَوَلَّى المنصورُ ابنَه أبا سعيدٍ على إفْريقيَّةَ لأَوَّل ولايتهِ، وكان من خَبرِه مع عبد الكريم المُنْتَزِي بالـمَهْدِيَّةِ ما ذكرناه في أخباره. واسْتَوْزَرَ أبا يحيى بن أبي محمّد بن عبد الواحد، وكان في مُقدِّمَتهِ يوم

الأَزْكِ[1] سنة إحدى وتسعين، فجَلَّى عن المسلمين، وكَانَ له في ذلك المَوْقِفِ من الصَّبْرِ والثّباتِ ماطارَ له به ذِكْرٌ، واسْتُشْهِدَ في ذلك المَوْقِف، وعُرِفَ أَعْقَابُهُ بِبَنِي الشَّهِيدِ آخرَ الدّهر، وَهُمْ لِهَذَا العَهْدِ بِتُونِس.

ولَمَا نَهض النّاصرُ إلى إفْرِيقيّةَ سنةَ إحدى وستّ مائة لِمَا بَلَغَهُ من تغلُّب ابنِ غَانِيَةَ على تُونِس، فاسْتَرْجَعها، ثُمَّ نَازل المَهْدِيّةَ، فتَعَاوث عليهِ ذِئابُ الأَعْرَابِ، وَجَمعهم ابنُ غَانِيَةَ ونَزَلَ قَابِس، فسَرَّحَ النَّاصِرُ إليهم أبا محمّد عبد الواحد ابن الشّيخ أبي حَفْص في عَسْكر من المَوحّدِينَ، فَأَوقَعَ بابنِ غانِيَةَ بِتَاجرا[2] - من نَواحي قَابس- سنةَ ثِنْتَين وستّ مائة[3]، وقُتِلَ جُبَارَةُ أَخُو ابن غَانِيَة، وأَثْخَنَ فيهِمْ قَتْلاً وسَبْيًا، واسْتَنْقذ منهم السّيدَ أبا زَيْد بن يوسف بن عبد المؤمِن، الوالي كَانَ بِتُونِس، وأَسَرهُ ابنُ غَانِية، ورَجعَ إلى النّاصر بمكانِهِ من حِصار المَهْدِيّة، فكَانَتْ سَببًا [في](أ) فَتْحِهَا، وكان ذلك مِمَّا حَمَلَ النّاصرَ على ولاية الشّيخ أبي محمّد بإفْريقيّة حَسْبما نَذكُرُ إنْ شاءَ الله.

(أ) من ف.

---

(1) انظر عن هذه المعركة: المعجب 282، ويؤرخها بيوم الأربعاء الثالث من شعبان سنة 690 ه.

(2) كان ذلك سنة 602 ه وذكرها التجاني (الرّحلة 120) وسَمّى وقعة أبي محمد هذه باسمها: وقيعة تاجرا. وبقيّة وصف المعركة مع الميورقي في 357 -، وهي غير تاجرا من أعمال تلمسان التي وُلِدَ فيها عبد المؤمن بن علي.

(3) كان ذلك في 12 ربيع الأول، (رحلة التجاني 358).

[226 أ]

## 34 / الخَبَرُ عن إمارَة أبي محمّد ابن الشّيخ أبي حَفْص بإفريقِيّة، وهي أَوّلِيَة أَمْرهم بها

لمَّا تَكالَب ابنُ غانِيَة وأتباعُهُ على إفْريقيّة، واسْتَولَى على أَمْصارها، وحاصَرَ تُونِسَ ومَلَكَهَا، وأَسَّرَ السيّد أَبَا زَيْدٍ أميرَها، ونَهَض النّاصرُ من المَغْرِبِ سنةَ إحدَى وستّ مائة كما ذكرْناه فاسْتَرْجعها من أَيْديهم وشَرَّدهم عن نواحيها. وخيّمَ على المَهْدِيّة يُحاصِرُها وقد أَنْزلَ ابنُ غانِيَة ذَخيرَته ووَلَدَهُ بِهَا، وأَجْلَب في جُموعِه خِلالَ ذلك على قَابِسَ، فَسَرَّحَ النّاصرُ إليه الشّيخ أبا محمّد هذا في عساكِر الموحّدين، وزَحَفَ إليهم بِتَاجْرَا من جِهات قَابِس فَهزَمهم واسْتَولَى على مُعَسْكَرهم وماكان بِأَيْديهِمْ، وأَثْخَن فيهم بالقَتْلِ والسّبْيِ، واسْتنقذ السيّدَ أبا زَيْد من أَسْرِهِمْ، ورَجَعَ إلى النّاصرِ بِمُعَسْكَره من حِصار المَهْدِيّة ظافرًا ظاهرًا. وَعاينَ أَهْلُ المَهْدِيَةِ يومَ مَقْدَمِهِ بالغنائِمِ والأَسْرى فَبُهِتُوا وسَقَط في أَيْديهم، وسأَلوا النّزولَ على الأَمان، وكَمُلَ فَتْحُ المَهْدِيّة.

ورجع النّاصِرُ إلى تونس فأقامَ بها حَوْلاً إلى مُنتَصِفِ سَنَةِ ثَلاَثٍ وستّ مائة. وسرّح أَثْناء ذلك أخاهُ السيّدَ أبا إسْحاق لِيَتَّبِعَ المُفْسِدين ويَمْحُو مواقعَ عَيْثِهم، فَدَوّخَ ما وراءَ طَرَابُلس، وأَثْخن في بَني دَمَّر ومَطْماطة ونفوسَة، وشارَفَ أرضَ سَرْت وبَرْقَة، وانتهى إلى سُوَيْقَة ابن مذكور(أ). وفَرّ ابنُ غَانِيَةَ إلى صَحْراء بَرْقة وانقَطع خَبَرُه، وانكفأَ السيّدُ راجعًا إلى تُونِس.

(أ) ف: بلوكور.

واعْتزم النّاصِرُ على الرّحْلة إلى المَغرِبِ، وقد أفاءَ على إفْريقيّة ظِلّ الأَمْن، وضَرَبَ عليهم سُرَادِقَ الحِمايَة، وبدَا له أنّ ابنَ غَانِيَةَ سيُخَالِفُه إليها وأنّ مَرّاكُش بَعِيدٌ عن الصَّرِيخِ وأنّه لا بُدَّ من رَجُلٍ يَسُدُّ فيها مَسَدَّ الخِلافة، وَيقيمُ بها سوقَ الملْكِ، فَوقَفَ اخْتيارُه على أبي محمّد ابن الشّيخ أبي حَفْص، ولم يكنْ ليَعْدُوَهُ لما كان علَيْه هو وأبوهُ في دَوْلَتهم من الجَلالَة، وأنّ أَمْرَ بَنى عبد المؤْمِن إنّما تَمَّ بوِفاق الشيّخِ أبي حَفْص ومُظاهَرَتِهِ، وأنّ أباهُ المنصورَ كان قد أَوْصى الشّيخَ أبا محمّدٍ به وبإخوته، وكان / يُوَلِّيه [226 ب
صلاةَ الصُّبح إذا حَضَرَ شُغْلٌ، وأمثال ذلك. وسَرَى الخبرُ بذلك إلى أبي محمّدٍ فامْتنعَ، وشافَهَهُ النّاصِرُ به فاعْتذر، فبعثَ إليه ابْنَهُ يوسُفَ فأَكْبَرَ مُوصِلَهُ، وأَجَابَ على شَرِيطَةِ اللّحاقِ بالمغرب بعْدَ قَضاء مُهِمَّاتِ إفْرِيقيّةَ في ثلاث سِنين، وأن يَخْتارَ عليهم من رجالاتِ المُوَحّدينَ، وأن لا يَتَعَقَّبَ عليه في تَوْليةٍ ولا عَزْلٍ. فقَبِلَ شَرْطَهُ، ونُودِيَ في النّاسِ بوِلايَتِهِ، وَرُفِعت بين المُوحّدين رايَتُه.

وارْتَحل النّاصِرُ إلى المَغْرب، وَرَجَعَ عنه الشّيخُ أبو مُحمَّد من بَاجَةَ، فَقَعدَ مَقْعَدَ الإمارَة بقَصَبة تُونِسَ في السَبْتِ العاشِر من شوّال سَنَة ثَلاثٍ وستّ مائة. وأَنْفَذَ أوامِرَه، واسْتَكْتَب أبا عبد الله محمّد بن أحْمد بن نَخِيل. ورَجعَ ابنُ غَانِيَة إلى نَواحي طَرَابُلسَ، فجَمَع أَحْزابَهُ وأتباعَهُ من العَرب من سُلَيم وهِلال، وكان فيهم محمّدُ بن مسعود البلْط في قَوْمه من الذّواوِدَةِ وعاوَدُوا عَيْثَهُمْ، وخرجَ إليهم أبو محمّدٍ سنةَ أَرْبَعٍ وستّ مائة في عساكر الموحّدينَ، وتَحَيَّزَ إليه بَنو عَوْفٍ من سُلَيم، وهم: مِرْداس وعَلاّق، فلَقِيَهم بشبرو، فتوَاقَعوا واحْترَبُوا عَامَّةَ يَوْمِهِم، ونَزَلَ الصَّبْرُ، ثُمّ انفَضّ

عسكَرُ ابن غَانيَةَ آخرَ النّهار، واتّبعهم المُوحِّدونَ والعَربُ واكتَسحوا أموالَهم، وأَفلَت ابنُ غَانِيَةَ جريحًا إلى أقصى مقَرّه، ورَجَع أبو محمّدٍ إلى تُونس بالظَّفَر والغَنيمة، وخَاطَبَ النَّاصِرَ بالفَتْحِ واسْتِنْجَاز وَعْدهِ في التَحَوّلِ عن الوِلاية، فخَاطَبَهُ بالشُّكرِ والعُذْرِ بِمُهِمَّاتِ المَغْرب عن إدالَتِه، وأَنَّهُ يَسْتَأْنِفُ النَّظَرَ في ذلك. وبَعَثَ إليه بالمالِ [والخَيْلِ والكُسَى للإنْفاقِ والعَطاءِ، كان مَبْلَغُها مائتا ألف دينار، ثِنْتانِ، وأَلْف][أ] وثمان مائة كِسْوَةٍ، وثلاث مائة سَيْف، ومائةَ فَرَس، غَيْرَ ما كان أَنْفَذَ إليه من سَبْتَةَ وبِجَايَةَ، ووَعَده بالزّيادة. وكان تاريخُ الكُتُبِ سنةَ خَمْسٍ، فَاسْتَمرَّ أبو مُحمَّد على شَأْنهِ، وترادَفتِ الوقائعُ بَيْنه وبَيْن يحيى المَيُورقِي كما نَذكره.

## 35• وَقيعةُ تاهَرْت، وما كان من أبي مُحمّدٍ في تَلافيها[ب] واستِنْقاذ غنائِمها

[227 أ] كان يَحْيى بن غانِيَة لـمّا أَفْلَتَ من وَقْعة شبرو بَدَا لَهُ / لِيقْصُدَنَّ بلادَ زَناتَةَ بنَواحي تِلمسان، وقارنَ ذلك وصولَ السيِّد أبي عِمْران بن موسى ابن يوسف بن عبد المؤمِن والِيًا علَيْها من مَرّاكُش، وخروجه إلى بلاد زناتَةَ لتَمْهيدِ أَنْحائِهِمْ وجِبايَة مَغارِمِهم. وكتبَ إليه الشّيخ أبو محمّد نذيرًا بشأنه، وأن لايعرضَ له وأنه في أَتْبَاعِهِ[ج]، فأبَى من ذلك، وارْتَحلَ إلى تَاهَرْتَ. وصبَّحَهُ بها ابنُ غَانِيَةَ فانفَضَّ مُعَسْكَره، وفَرَّتْ[د] زَناتَةُ إلى حُصونها، وقُتِلَ السيِّدُ أبو عمران، واسْتبُيحَت تَاهَرْتُ فكَانَ آخرَ العَهْد

(أ) من ف. وسقط من ظ (ب) ظ: تلاقيها (ج) يمكن أن تُقرأ: في اتباعه، أي في ملاحقته
(د) ف: قرّت

بِعِمارَتِها، وامْتلأت أيْديهم من الغنائم والسَّبْي. وانْقلبُوا إلى إفْرِيقيّة فاعْترضَهُمْ الشّيخ أبو محمّد بمَوْضع (أ) ............ فأَوْقع بهم واسْتنقَذَ الأَسْرَى من أيديهم وآكْتَسحَ سائرَ مَغانِمِهم، وقُتِلَ فيها كثيرٌ من المُلَثَّمين، ولَحِقَ فَلُّهُمْ بناحية طَرَابُلس، إلى أن كانَ من أمْرهم ما نَذْكُرُهُ.

## 36 • واقِعَةُ نَفُوسَةَ ومَهْلِكُ العَرَبِ والمُلَثَّمينَ بها.

كان ابنُ غَانِيَةَ بعدَ واقِعة شَبْرُو واسْتِنْقاذ أبي محمّد تَاهَرْت من يَدِهِ، خَلَصَ إلى جِهات طَرَابُلسَ، وتلاحَقَ به فَلُّ المُلَثَّمين وأوْليائِه من العَرَب، وكان المُجَلِّي معُه في مَوَاقِفِهِ الذّواوِدَةَ من رياحٍ، وكبيرُهم محمّد بن مسعود، فَتَذامَرُوا واعْتزمُوا على مُعاوَدة الحَرْب، وتعاقَدُوا على الثَّبات والصّبْر، وانطَلقُوا يَسْتَأْلِفُونَ شريدَ الأَعْراب من كلّ ناحِيَة، حتّى اجْتَمعَ إليهم من ذلك أمٌّ كان فيهم من رياحٍ وزُغْبٍ والشّريد وعَوْفٍ ودَبّابٍ ونَفّاتٍ. واختَلفُوا في الاحْتشاد وأجْمعُوا دخولَ إفْرِيقِيَّةَ، فَبادَرهُم أبو مُحمَّدٍ قبلَ وُصُولِهِمْ إليها، وخرجَ من تُونِسَ سنةَ ستٍّ وأَغَذَّ السَّيْرَ إليْهم. وتزاحَفُوا عندَ جبلِ نَفُوسَةَ واشْتَدَّت الحَرْبُ، ولمَّا حَمِيَ الوَطيسُ ضَرَبَ أبو مُحمَّدٍ أَبْنِيَتَهُ وفَساطِيطَهُ، وتَحَيَّزَ إليه بعضُ الفِرَقِ من بَني عوف بن سُلَيم، واختَلَّ مَصافُّ ابنِ غَانِيَةَ، واتَّبعه المُوَحِّدُونَ إلى أن دَخل في غَياباتِ اللّيْل، وامْتَلأَتْ أَيْديهم بالأَسْرى والغنائم، وسِيقَتْ ظَعائِنُ العَرَبِ وقد كانوا قدَّمُوهَا بين أَيْديهِم / للحَفيظة والكِيادِ في الكَرِّ والفَرِّ، فأَصْبَحت [ 227 ب ]

(أ) فراغ لكلمتين في ف.

مَغْنَمًا للمُوحِّدِينَ ورَبّاتُ خُدُورِها سَبْيًا. وهلَكَ في المعْركة خَلْقٌ من المُلثّمين وزَناتَة والعَرَب، وكان فيهم عبدُ الله بنُ محمّد بن مَسْعود البلط، ابنُ سُلطانٍ شيخِ الذَّواوِدَة، وابنُ عَمّه حركاتُ بن أبي الشّيخ بن عساكِر ابن سُلْطان و(أ) .......... شيخ بَنى قُرّةَ، وجرّار بن ويغْرنْ كبيرُ مَغْرَاوةَ، ومُحمّدُ بن الغازى بن غانِيَةَ في آخرينَ من أمْثالهم. وانْصَرف ابنُ غانِيَةَ مَهِيضَ الجَناحِ مفْلُولَ الحَدِّ مَحفُوفًا باليَأْسِ من جميع جهاته، وانقَلب أبو مُحمّدٍ والمُوحِّدون أعِزّةً ظاهِرينَ، واسْتَفحل أمرُ أَبِي مُحمّدٍ بإفْريقِيّةَ وحَسَمَ عِلَلَ الفَسادِ منها، واسْتَوفَى جِبايَتَها، وطالَتْ مَواقِفُ حُروبه ولم تُهْزَمْ له فيها رايَةٌ.

وهَلَكَ النّاصِرُ ووَلِيَ ابنُهُ يوسفُ المستَنْصر، واسْتبَدَّ عليه المَشْيَخَةُ لمكان صِغَره، وشُغِلُوا بفِتْنة بَني مَرِين وظُهورهم بالمَغْرب، فَاسْتَكْفى بالشّيخ أبي مُحمّدٍ في إفريقِيّةَ وعَوّلَ على غَنائه فيها وضَبْطه لأحْوالها وقيامِه بمُلْكِه، فَأبقاهُ على عَملِها وسرَّبَ إليه الأموالَ لِنَفقاتِها وأُعْطِياتها، ولم يَزلْ بها إلى أن هَلَكَ سنةَ ثمان عَشْرَة.

## 37 • الخَبَرُ عن مَهْلِك الشّيخ أبي محمّد ابن الشّيخ أبي حَفص، وولايةِ ابْنِه عبد الرَّحْمن.

كانت وَفاةُ الشّيخ أبى محمّد فاتحَ سنة ثمان عَشرة. ولمّا هَلَكَ ارْتاعَ النّاسُ لمهْلِكِهِ، وافْترقَ المُوحّدون في الشّورى فريقَيْن: عبدُ الرّحمن بن الشّيخ

(أ) حرف العطف والفراغ في ف وحدها بينما الكلام متصل في ظ.

أبي محمَّد، وإبراهيمُ ابن عَمِّه إسماعيل ابن الشّيخ أبي حَفْص. فتَردّدوا مَلِيًّا ثُمَّ اتَّفقُوا على الأمير أبي زَيْد عبد الرّحمن ابْنِه، وأَعْطَوهُ صفْقَةَ أَيْمَانِهِم وأَقْعَدُوهُ بمجْلِسِ أَبيه في الإمارَة، فَسَكَّنَ الثَّائِرَةَ، وشَمَّرَ للقِيامِ بالأَمْرِ عَزائِمَهُ، وأَفاضَ العَطاءَ، وأَجَازَ الشُّعَراءَ، واسْتَكْتَب أبا عبدِ الله ابنَ أبي الحُسَيْن، وخاطبَ المستَنْصِرَ بالشَأْنِ، وخرجَ في عَساكِرِهِ لِتَمْهيد النّواحي وحِمايَة الجوانِب، إلى أن وَصلَ كتابُ / المستَنْصِرِ بعَزْله لثلاثَة أشهرٍ من [228 أ] وِلايَته حَسْبما نَذْكُره. فارْتَحلَ إلى المَغْرب ومعه إِخْوتُهُ(أ) وكاتِبهُ ابنُ أبي الحسَين، ولحِقَ بالحَضْرة.

## 38 • الخَبَرُ عن وِلاية السيِّد أبي العُلَى على إفْرِيقيَّة، وابْنِه أبي زَيْد من بَعْده، وأَخْبارِهِم فيها واعْتِراضِهَا في الدّولة الحفْصِيَّة.

لـمّا بلغَ الخبرُ إلى مَرَّاكُش بهلْكِ أبي محمّد بن أبي حَفْص، وقارنَ ذلك عَزْلَةَ السيّدِ أبي العُلَى من إشْبِيليَّةَ ووصولَه إلى الحَضْرة مَسْخُوطًا. وهو أبو العُلَى إدريسُ بن يوسف بن عبد المُؤْمن، أخُو يَعْقوب المنْصوب وعبدِ الواحِد المخلوعِ المُبَايَعِ له بَعْد ذلك. وَعوَّلَ علَى الوَزير ابن الـمُثَنَّى في جَبْرِ حالِه، فسعَى له عندَ الخليفة، وعَقَدَ لهُ علَى إفريقيَّةَ، ووَصلَ الخِطابُ بوِلايتهِ ونِيابةِ إبراهيم بن إسماعيل ابن الشّيخ أبي حَفْص عنه خلالَ مَا يَصِلُ، واستِقْدامِ أَبْناءِ الشّيخ أبي محمّدٍ إلى الحَضْرة. وقُرِئَ الكتابُ شهرَ

(أ) ف: إخوانه.

رَبيع الأوّل من سنة ثمان عَشْرة، فقامَ الشّيخ أبو إسحاق بالنّيابة في أَمْرِهِ، واسْتعملَ أَحْمَدَ بن المشطب في وِزارتِه، وغَلَبَ عليه بِطانَتَه، وَأَساءَ في المُوالاَةِ لقَرابتهِ، واختَصَّ أبناءَ الشّيخ أبي مُحمَّدٍ بقَبيحِهِ، وظَنَّ امْتدادَ الدّولة لَه.

ووصلَ السيّدُ أبو العُلَى شهرَ ذي القَعْدة من السّنة، فَنَزَلَ بالقَصبة، وأنزلَ ابْنَهُ السيّدَ أَبَا زَيْد بقَصْر ابن فاخرٍ من البَلَد، ورَتَّب الأُمورَ ونَهَجَ السَّنَنَ. ولِشَهْرٍ من وُصوله تَقَبَّضَ على مُحَمَّد بن نَخِيلٍ كاتبِ الشّيخ أبي محمّدٍ وعلى أَخَوَيْهِ أبي بكر ويَحْيِ واسْتَصْفى أموالَهم واحْتازَ عقارَهم وضِياعَهم. وكان المستنصِرُ عَهِدَ إليه بذلك لِما كان آسَفَهُ بِفَلَتاتٍ من القَوْلِ والكِتَابِ تُنْمَى إليه أَيّامَ رئاسَته في خِدمة أبي محمّدٍ، فَاعْتقلَهم السيِّدُ أبو العُلَى ثُمَّ قَتَلَهُ وأخاه يَحيِ لِشَهْرٍ من اعْتقالهما، بعد أن فَرَّ من سِجْنه وتَقَبَّضَ عليهِ فقُتِل. ونُقِلَ أبو بكرٍإلى مُطْبَق المَهْدِيَّةِ فأُودِعَ به.

وخرجَ السيّدُ أبو العُلَى من تُونِسَ سنةَ تِسْعَ عشْرةَ في عساكِرِ المُوحِّدِينَ / [228 ب] إلى نواحي قَابِس لقَطْع أَسْبابِ ابن غَانِيَة منها. فَنَزَلَ قصْرَ العَرُوسَيْن، وسرَّحَ وَلَدَه السيِّدَ أبا زَيْد في عسْكر من المُوَحّدين إلى دُرْجٍ[أ] وغدَامِس من بلاد الصّحْراء لتَمهيدها وجِبايَتِها. وقَدَّمَ بين يديه عسكرًا آخَرَ لمُنَازَلَةِ ابنِ غَانِيَةَ بِوَدَّان، ووَاعَدَهم هُناك مُنْصَرَفَهُ من غدَامِس، فأرجَفَ بهم العربُ في طريقِهم بمُدَاخَلَةِ ابنِ غَانِيَة ومَالٍ بَذَلَهُ في ذلك، فانْفَضَّ العَسْكَرُ ورجَعوا إلى قَابس. وانْفتَلَ السيِّد أبو زَيْد من

(أ) كذا ضُبط في ظ.

غدَامِس إليهم فلَقِيَهُ خبرُ مَفرِّهِمْ، فلَحِقَ بأَبِيهِ وأَخبرهُ الجَلِيَّ في أَمْرِهم، فسَخَطَ قَائِدَ العسْكرِ وهَمَّ بِقَتلِهِ. وطَرَقَ السيِّدَ أبا العُلى المرضُ فرجَعَ إلى تُونِس، وبَلَغهُ أَنَّ ابنَ غَانِيَةَ نَهَضَ من وَدَّانَ الى الزَّابِ، وأَنَّ أَهْلَ بِسْكِرَةَ أَطَاعُوهُ، فسَرَّحَ السيِّدَ أبا زَيْد في عساكِرِ المُوَحِّدِين إليه، ودخلَ ابنُ غَانِيَةَ الرَّمْلَ فأَعْجَزهم.

ورَجَعَ السيِّدُ أبو زَيْد الى بِسْكِرَةَ فَأَنْزَلَ بهم عِقابهُ من النَّهْبِ والتَخْرِيبِ، وَرَجَعَ إلى تُونِسَ. ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ ابنَ غَانِيَةَ قد رجعَ إلى جَوانب إفْرِيقِيَّةَ، واجْتَمَعَ إليه أَخْلاَطٌ من العَرب والبَرْبر، فسَرَّح السيِّدَ أبا زَيْد إليه في العساكِرِ، ونزلَ بِالقَيْرَوانِ، وخالَفَهُ ابنُ غَانِيَةَ إِلَى تُونِس فَقَصدَهُ السيِّدُ أبو زَيْد ومَعه العَربُ وهَوَّارَةُ بِظَعَائِنهم ومَواشِيهم؛ وَتَزاحفُوا بِمَجْدُولِ فاتحَ إِحدَى وعشرين واشْتدَّ القتالُ، وعَضَّتِ المُوَحِّدين الحَرْبُ، وأَبْلَى هَوَّارَةُ وشيخُهم بَعْرَةَ بن حنّاش بلاءً جميلاً، وضَرَبَ أَبْنِيَتَهُ، وتَنَاغَوْا في الثَّباتِ والصَّبْرِ، فانْهزَمَ المُلَثَّمُون، وانْجلَتْ المعركَةُ عن حَصِيدِ من القَتْلَى من أَصْحاب ابن غَانِيَةَ، واستولَى المُوَحِّدونَ على مُعَسْكرِهم.

وكان بَلَغَ السيِّدَ أبا زَيْد خبرُ مَهْلِكِ أبيه السيِّدِ أبي العُلى بتُونِس في شَعْبان سنةَ عشرين، فلَمَّا فَرَغَ مِنْ مُواقَفَةِ ابنِ غَانِيَةَ، رَجعَ إلى تُونِسَ وأَقْصَرَ عن مُتابعتِه. وخَاطبَ المستَنْصِرَ بِمَهْلِكِ أبيه وَوَاقِعَةِ المُلَثَّمِين، وكان المسْتَنْصِرُ قد عَزَلَهُ واستَبدلَ مِنهُ بأبي يَحي بن أبي عمران التِينمَلّلي صاحبِ مَيُورْقَةَ، ولم يَصِلْ إليه الخبرُ بِعَزْلَتِه بعدُ. وهَلَكَ المُسْتَنْصِرُ / إثر ذلك سنةَ عشْرين، وَوَلِيَ عبدُ الواحِدِ المَخْلوعُ بنُ يوسف بن عبد المؤمن، [229أ]

فنقضَ تلكَ العُقْدَةَ وكَتَبَ إلى السّيد أبي زيد بالإبْقَاءِ على عَمَلِهِ، ونَقَضَ ما أَصْدَرَ المستَنْصِرُ من عَزْلَتِهِ فأَرْسَلَ عِنَانَهُ في ولاَيتِهِ، وبَسَطَ يَدَهُ في النّاسِ بمَكْروهه، وتَنكَّرَتْ له الوُجوهُ، وانْحرفَ عنه النَاسُ لِمَا كانوا عليه من الصَّاغِيَةِ لأَبِي محَمّدِ بن أبي حَفص وَوَلَدِهِ، إلى أن عُزلَ واسْتُبْدِلَ بهم، كما نَذكره. ورَكِبَ البحر بذخائِره وأهلِهِ فَلَحِقَ بالحَضْرة.

## 39 • الخَبَرُ عن ولاَية أبي محمّد عبدِ الله بن أبي محمّد ابن الشّيْخ أبي حَفصٍ، وَما كان فيها من الأَحْداث

لـمَّا هَلَكَ المَخلوعُ وَوَلِيَ العادِلُ، وَلّى على إفريقيَّة أبا محمّد عبدَ الله ابن أبي محمّد عبد الواحِد، ووَلَّى على بِجَايَةَ يحي بن الأطّاس التّينْمَلّلِي، وعزلَ عنها ابنَ يَغْمور، وكتَبَ إلى السيّدِ أبي زَيْد بالقُدوم. وكتبَ أبو محمّد عبدُ الله إلى ابن عَمِّهِ موسى بن إبراهيم ابن الشّيخ أبي حَفْص بالنّيابَة عنه خِلالَ ما يَصِلُ. فخَرجَ السيّدُ أبو زيْد في رَبيع الآخر سنةَ ثلاَثٍ وعشْرين، واسْتقلَّ أبو عمران موسى بأَمْر إفْريقِيَّة، واسْتمرَّتْ نِيابَتُه عليها زُهَاءَ ثمانية أشْهر. وخرجَ أبو مُحمَّدٍ عبدُ الله من مَرَّاكُش إلى إفْرِيقِيَّة. ولـمَّا انتهى إلى بِجايَة قَدَّمَ بَيْن يَديه أخاه الأميرَ أبا زكريّاء لِيَعْتَرِضَه بطَبقات النّاس للقائِه، فوصَل إلى تُونِس في شَعْبان من هذه السّنة بعد أن أَوْقَعَ في طريقه بِوَلْهَاصَةَ، وكان أَوْلاَدُ شَدَّادِ رُؤَسَاءُهمْ قد جَمَعُوا لاعْتِراضه بناحِيَة بُونَةَ، فَسَرَّحَ أخاهُ الأميرَ أبا زكـريّاء لحَسْم دائِهِمْ، ولخُروجِ الطَّبقات من أهل الحَضْرَةِ للقائِه، فكان كذلك.

وخرج في رمضان من سَنَته، وخرج معهُ النّاس على طَبقاتهم، فلَقوهُ بِسَطِيف، وَوَصَلَ إلى الحَضْرة في ذي القَعْدة / من آخر السّنة، [229 ب] وتزَحْزَح أبو عمران عن النّيَابة. ثم لَحِقه من المغرب أخوهُ إبراهيمُ في صَفر من سنة أَرْبَعٍ وعشرين، فعقَدَ له على بلاد قَسْطِيلِيَّة، وعَقَدَ لأخيه الأميرِ أبي زكريّاء على قابِسَ وما إليها، وذلك في جُمادى من هذه السّنة. وبعد اسْتِقْراره بتُونِس، بَلَغَهُ أنّ ابنَ غَانِيَةَ دخلَ بِجايَةَ عَنْوَةً ثُمَّ تخَطّى كذلك إلى تَدْلِس، وأنَّهُ عَاثَ في تلك الجِهات، فَرحلَ من تُونِس وعَقَدَ لإخْوتِهِ، كما ذكرناهُ. وأغَذَّ السَّيْرَ إلى فحص أُبَّةَ فَصَبَّحَ به هَوّارَةَ، وقد كان بَلَغَهُ عنهم السَّعْيُ في الفَساد، فأَطْلَقَ فيهم أيدِي عَسْكرِهِ، واعْتقلَ مشائِخَهُمْ وأنْفذهُم إلى المَهْدِيَّةِ. ثُمَّ مَرَّ في اتّباعِ ابنِ غَانِيَةَ فانتَهَى إلى بِجَايَةَ وسَكَّنَ أَحْوالَهَا، ثُمَّ إلى مَتّيجَةَ ومَلْيَانَةَ، فَأَدْركَهُ الخبرُ أَنَّ ابنَ غَانِيَةَ قصدَ سِجِلْمَاسَةَ، فانْكَفَأَ راجِعًا إلى تُونِس ودخلَها في رمضان سنة أَرْبَعٍ وعشرين. ولم يَزَلْ مُسْتَبِدًّا بإمارته إلى أن ثارَ عليه أخوهُ الأميرُ أبو زكريّاء وغَلَبَهُ على الأمْر كما نَذْكر.

## 40 • الخبرُ عن ولايةِ الأميرِ أبي زكريّاء مُمَهّدِ الدّوْلَة لآلِ أبي حَفصٍ بإفريقيّة، ورَافِعِ الرّايةِ لهم بالمُلكِ، وأوّليّة ذلك وبدايته

لَمّا قُتِلَ العادِلُ بِمَرّاكُش سنة أَرْبَعٍ وعشرين، وبُويِعَ المأمونُ بالأنْدَلُس، بعثَ إلى أبي محمّد عبد الله بتونس ليَأْخُذَ لَهُ البيْعةَ على من بها من المُوَحِّدين، وكان المأمونُ قد فتح أمْرَهُ بالخِلاف ودعَا لنَفْسه قبلَ مَوْت أخيه العادلِ بأيّام، فامتنعَ أبو محمّد وردَّ رُسُلَهُ إليه. فكَتَبَ بذلك لأخيه

الأمير أبي زكريّاء وهو بمكانِهِ من وِلاية قَابِس، وعَقَدَ له على إفْرِيقِيَّة، فأَخذَ له البيعةَ على من إليه. وداخَلَهُ في شَأْنِهَا ابنُ مَكّي كبيرُ المشْيَخة بِقَابِس، واتَّصل ذلك بأبي محمّد فخرج من تونس إليهم، ولمَّا انْتَهى إلى القَيْروان نَكِرَ عليه المُوَحِّدُونَ نُهوضَه إلي حَرْب أخيه، وانْتَقضوا عليه وعَزلوهُ، وطَيَّرُوا بالخَبَرِ إلى / [230 أ] أخيه في وَفْدٍ منهم، فَأَلْفَوْهُ مُعْمِلًا في اللّحَاقِ بِرحاب ابنِ مَحْمودٍ وَأَعراب طَرَابُلَس، فبايعوهُ ووَصَلُوا به إلى مُعَسكرهم، وَخَلَعَ أبو مُحمَّدٍ نفسَه.

ثُمَّ ارْتَحَلَ الأميرُ أبو زكريّاء إلى تُونِس فدخَلها في رَجب من سنة [خَمْس][(أ)] وعشْرين، وأَنْزَلَ أخاهُ أبا محمَّدٍ بقَصْر ابن فاخِر، وتَقَبَّضَ على كاتِبه أبي عَمْرو وطُرَّاءَ من الأَنْدلُس، واسْتَكْتبهُ أبو مُحمَّد فغَلَب على هَواهُ، وكان يُغْريهِ بأَخِيهِ، فبَسطَ الأميرُ أبو زكريّاء عليه العذابَ إلى أن هَلَكَ. ثُمَّ بَعثَ أخاهُ أبا محمَّدٍ في البَحْر إلى المَغْرب واسْتَبَدَّ بمُلكه، واسْتَوْزر ميمونَ بن موسَى الهِنْتاتي، واسْتَقامَتْ أُمورُهُ.

## 41 • الخَبَرُ عن اسْتِبْداد الأَميرِ أبي زكرّياء بالأَمْر، وخَلْعِه لبَني عَبْد المؤْمِن.

لمَّا اتَّصلَ به ما أَتَاهُ المأمونُ من قَتْل المَوحّدين بِمَرَّاكُش وخُصوصًا هِنْتَاتَة وتِينْمَلّل، وكان مِنْهم أَخواهُ أبو محمّد عبد الله المَخْلوع وإبراهيم، وأَنَّه أَشاعَ النَّكِيرَ على المَهْدِيّ في العِصْمة، وفي وَضع العقائِد، والنِّداء للصّلوات

(أ) من ف، وسقط من ظ.

باللّسان البَرْبريّ، وإحْداثِ النّداء للصّبح، وتَربيع شَكْل الدّرْهم، وغير ذلك من سُنَنِه، وأَنَّهُ غيَّر رسومَ الدّعْوة، وبَدَّلَ أصولَ الدّولة، وأَسْقَطَ اسْمَ الإمَام من الخُطْبَة والسّكّة، وأَعْلَنَ بِلَغْنِهِ. وَوَافقَ بلوغُ الخبرِ بذلك وصولَ بعض العمَّال إلى تُونِس بتوْلية المأمون، فَصرفَهُمْ وأَعْلَنَ بخَلْعهِ سنةَ ستٍّ وعشرين، وحوَّل الدّعوةَ إلى يَحيِ ابن أخيه النّاصر المنتَزي عليه بجبال الهَساكِرَةِ. ثُمَّ اتَّصلَ به بعد ذلك عَجْزُ يحيِ وعدمُ اسْتِقْلاله، فأَغْفَلَهُ واقْتَصرَ على ذِكْر الإمامِ المهديِّ، وتلقّبَ بالأمير، ورَسمَ علامَتَه به في صُدورِ مَكْتُوباته. ثم جَدَّدَ البَيْعةَ لنَفْسه سنةَ أَرْبَعٍ وثَلاثين وأَثْبتَ ذِكْرَهُ فِي الخُطْبة بعد ذِكْر الإمامِ، مُقْتَصِرًا علَى / لفظ الأَمير، لم يُجاوِزْه إلى أَمير المؤْمنينَ. [ 230 ب

وخاضَ أَوْلياءُ دَوْلته في ذلك، حتىّ رَفَع إليه بعضُ شُعَرائِه في مُفتَتَحِ كلمةٍ مَدَحَهُ بها(1):

أَلاَ صِلْ بالأَميرِ المُؤْمِنِينَا فَأَنْتَ بِهَا أَحَقُّ العَالَمِينَا

فزَجَرهُم عن ذلك وأَبَى عنه، ولم يَزَلْ على ذلك إلى آخر دَوْلته.

## 42 • الخَبَرُ عن فَتْح بِجَايَة وقُسَنْطِينَة

لَـمَّا اسْتقَلَّ الأميرُ أبو زكريّاء بالأَمر بتُونِس، وخَلَعَ بَني عبد الـمُؤْمن، نهَضَ إلى قُسَنْطِينَة سنةَ سِتٍّ وعِشْرين فنزلَ بساحَتِها وحاصَرها أيّامًا، ثمّ

(1) الزركشي: تاريخ الدولتين 59، رويت محرّفة. ابن أبي دينار: المونس 126.

داخَلَه ابنُ عَلَنَّاس(أ) في شأنِها وأمْكَنَهُ من غِرَّتِها، فدَخَلَها وتَقَبَّضَ على واليها السيِّد ............... (ب) ابنِ السيِّد أبي عبد الله الحرضاني بن يوسف العَشري، وولّى عليها ابنَ النّعمان. ورحَلَ إلى بِجَايَةَ فافْتَتَحها وتَقَبَّضَ على وَاليها السيِّد أبي عمران ابن السيِّد أبي عبد الله الحرضاني، وصَيَّرَهُما مُعْتَقَلَيْنِ في البَحْر إلى المهديّة، وأُجْرِيَتْ عليهما هناك الأَرزاقُ، وبَعَثَ بأهْلِهما وولدِهما مع ابن أومازير إلى الأندلُس فَنَزَلُوا بإشْبِيلِيَّةَ، وبعثَ معَهما إلى المَهْدِيَّةِ في الاعْتِقَالِ مُحَمَّدَ بنَ جامِع وابنَه وابنَ أخيه جابر بن عَوْن بن جامِع، من شُيوخِ مِزداس عوف، وابنَ أبي الشّيخ ابن عساكِر، من شُيوخ الذَّاوِدَة، فَاعتُقلُوا بمُطْبَقِ المَهْدِيّة. وكان أخوهُ أبو عبد الله اللِّحْياني صاحبَ أشْغال بِجاية، فصارَ في جُمْلَته، ووَلّاه بعدَها الولاياتِ الجَليلة، وكان يَسْتَخْلِفُه بتُونس في مَغيبه.

وفي هذه السّنَة تَقَبَّض على وَزيره مَيْمون بن موسي واسْتَصْفَى أَمْوالَه وأَشْخَصَه إلى قَابِس فاعْتُقِلَ بِهامُدَّةَ ثمّ غَرَّبَهُ إلى الإسْكَندريّة، واسْتَوْزَر مكانه أبا يَحي بن أبي العُلَى بن جامِع إلى أن هَلَك، فاسْتَوْزَرَ بعدَه إدريسَ ابن أخيه عليّ، وكان يُدْعَى بكُنْية عَمّه لاغْتِباطِ السّلطان بها إلى أن هَلَكَ، فاسْتوزَرَ بعْدهُ / أبا زَيْدٍ ابنَ أخيه الآخرِ مُحمَّدٍ إلى أن هَلَكَ. [231 أ]

(أ) كذا ظبطت في ظ (ب) فراغ في ف وحدها.

## 43 • الخَبرُ عن مَهْلك ابن غَانيَة، وحَرَكةِ السُّلْطان إلى بِجاية، وولايةِ ابْنهِ الأميرِ أبي يَحْيَي زكريّاء عليْها .

لـمَّا استقَلَّ الأميرُ أبو زكريّاء بإفْريقيّةَ وخلَع طاعةَ بَني عبد المُؤمن، صَرَف عَزْمَه أوّلاً إلى مُدافعةِ يحي بن غانِيَة عن نَواحي أعْماله، فكانتْ له في ذلك مقاماتٌ مَذْكورة، وشَرَّدَهُ عن جِهاتِ طَرابُلُس والزّاب ووَارْكـلا. واختَطَّ بوارْكـلا المسجدَ لـمَّا نَزلَها في أَتْباعِه، وأنْزلَ بالأَطْرافِ عساكِرَه وعُـمّالَه لـمَنْعها دونَه.

ولم يَزَل ابنُ غَانِيَة وأتباعُه من العَرب من أفاريق سُلَيْم وهِلاَلٍ وغيرِهم على حالِهم من التّشريد والجَلاء، إلى أن هَلَكَ سنَةَ إحْدى وثلاثين وستّ مائة. وانقَطعَ عَقِبُهُ فانقَطعَ ذِكْرُهُ ومَحا الله آثارَ فِتْنَتِهِ من الأَرْض.

واستَقَامَ أمْرُ الدّولة، ونَبَضَتْ منها عُروق الاسْتِيلاءِ واتِّساعِ نِطاق الـمُلْك، ونَهضَتْ عزائمُه إلى تَدْويخ أَرْض الـمَغْرب؛ فخرَجَ من تُونِس سنَةَ ثنْتَيْن وثلاثين يؤُمّ(أ) بلادَ زَناتَةَ بالمغْرب الأَوْسط، وأَغَذَّ السَّيْر إلى بِجَايَة فَتَلَوَّمَ بها، ثمَّ ارْتحَلَ إلى الجزائر فافْتَتَحها وَوَلّى علَيْها. ثُمَّ نَهَض منها إلى بلاد مَغْراوَةَ فأَطَاعَهُ بنُو منْديل بن عبد الرّحمن. وجاهر بنُو تُوجِّين بِخِلافهِ فنَزَلَ البطحاءَ وأَوْقع [بهم](ب)، وتَقَبَّضَ على رَئيسهم عبدِ القَوِيّ بن العبّاس فاعْتَقَلَهُ وبَعَثَ به إلى تُونِس. ودَوَّخَ نَواحيَ المغرب [الأوسَطِ، وقَفَلَ رَاجِعًا إلى حَضْرتهِ. وعَقَدَ مَرْجِعَهُ من المغرب](ب) لابْنِه الأميرِ أبي يَحْيِي زكريّاء على

(أ) سقط من ف (ب) من ف. وسقطت من ظ.

بِجايَة وأَنزلَهُ بها. واستَوْزر له يَحي بن صالح بن إبراهيم الهِنْتاتي، وجَعَلَ شُورَاهُ لعبد الله بن أَبِي مهدي، وجِبايَتَهُ لعبد الحقّ بن ياسين، وكلُّهم من هِنْتاتَة. وكتَبَ إليه بوصيّةٍ مشتملةٍ على جَوامِع الخِلال في الدّين والمُلْك والسّياسَة(أ)، يَجِبُ(ب) إثْباتُها لشَرَف مَغْزاها وغَرابَة مَعْناها، ونصُّها(1):

## 44 • / الخَبَرُ عن سَطْوَة السُّلْطان بهَوّارَة [23 ب]

كان لِهَوَّارَة هَؤلاَء بإفْرِيقِيَّة ظُهورٌ وعَدَدٌ منذ عَهْد الفَتْح، وكانت دَوْلَة العُبَيْديين وصِنْهاجة قد جَرَّتْ عليهم بكَلْكَلها لِمَا كانَ منهم في فِتْنة أبي يَزيد كما نَذْكُره في أَخْبارهم، وبَقِيَ منهم فَلٌّ بجَبل أَوْرَاس وما بعدَه من بلاد إفْرِيقِيَّة وبَسائطها إلى أُبَّة ومَرْمَاجَنَّة(ج) وسَبِيبَة وتُبُرْسُق. ولـمّا انْقرَضَ مُلْكُ صِنْهاجة بِالمُوَحِّدين، وتغلَّبَ الأعْرابُ من هِلالٍ وسُلَيْم على سائِر النّواحي بإفريقِيَّة وكَثَرُوا سَاكِنَها وتغلَّبُوا عليْهم، أَخَذَ هذا الفَلُّ بمذاهِب العَرب وشِعارهم وشَارَتِهم في اللَّبُوسِ والزِّيِّ والظُّعُونِ وسائر العَوائد، وهَجَرُوا لُغتَهُم الأعْجمِيَّة إلى لُغَتِهِمْ ثُمَّ نَسُوهَا كأَنْ لم تَكُنْ لهم، شَأْنَ المغْلوب *في الإقتِدَاءِ*(د) بغالِبِهِ. ثمّ كان لهم انْحِيَاشٌ أَوَّلَ الدّوْلَةِ إلى الطّاعَةِ بغَلَبِ عبد المُؤمن وقَوْمِهِ، فلمّا اسْتبَدَّ الأميرُ أبو زكرِيّاء وانْقَلَبتِ الدَّوْلةُ إلى بَني أبي حَفْص،

(أ) ظ: المساسه (ب) ف: تحت أبياتها (ج) كذا رسمها ياقوت في معجم البلدان 5: 109. ظ: مرمجنه. ف: مرجنه (د) سقط ما بين النجمين من ف.

---

(1) فات ابنَ خلدون أن يُثبت نصَّ الوصيّة، فربّما افتقدها، وقد حدث معه هذا مرّات عند كتابته للتعريف بنَفْسِه.

ظهرَ منهم التياثٌ في الطّاعة وامْتِناعٌ عن المَغْرَمِ وإضْرارٌ بالسّابِلةِ. فاعْتَمَلَ السّلطانُ في أَمْرِهم، وخَرج من تُونِس سنةَ ستٍّ وثلاثين مُوَرِّيًا بالغزْوِ إلى أهل أوْرَاس، وبَعثَ في احْتِشادِهِم فتَوافَوْا في مُعسكره، ثم صَبَّحَهم(أ) في عَسْكره من المُوَحِّدين والعَرَبِ ففَتَكَ بهم قتْلاً وسَبْيًا، واكْتَسحَ أموالَهم، وقُتِلَ كبيرُهم أبو الطيّب بَعْرة بن حَنّاش، وأفْلَتَ مَن أَفْلَتَ منهم ناجيًا بنَفْسه عاريًا من كَسْبه، فألانَتْ(ب) هذه البَطْشةُ من حَدِّهم وخَضَدَتْ من شَوْكتهم واسْتقامُوا على الطّاعة بَعْدُ.

## 45 • الخَبَرُ عن ثَوْرة الهَرْغِيّ بطَرابُلُس، ومآلِ أَمْرِهِ(ج).

كان هذا الرّجلُ من مَشيخة المُوَحّدين، وهو يعقوبُ بن يوسف بن محمَّد الهَرْغِيّ، ويُكَنَّى بأبي عبد الرّحمن. وكان الأميرُ أبو زكريّاء / قد عقَدَ له على طَرابُلسَ وجهاتِهَا وسَرَّحَ معه عسكرًا من المُوَحِّدِينَ لِحِمايتها من أَعْراب دَبّاب من بَني سُلَيْمٍ، فقَامَ بأَمْرِهَا واضطلَعَ بجِبايَةِ رَعاياها، واسْتَخْدَمَ البربَرَ والعربَ الذين بضاحِيتها، وكان بَيْنه وبين الجَواهِرِيّ مَصْدُوقَةُ وُدٍّ، فلَمَّا قُتِلَ الجواهِرِيّ سنةَ تسْعٍ وثلاثين كما قدّمناه، اسْتَوْحَشَ لها يَعقوب الهَرْغِيّ. واسْتَقْدَمهُ السُّلطانُ فَتلكَّأَ وبعَثَ عَنْهُ أَخَاهُ ابن أبي يَعْقوب، فازْدادَ نِفارُهُ وحَدَّثَتْه نَفْسُه بالاسْتِبْداد، لِمَا كان أَثْرَى من الجِبايَةِ. وشَعَرَ لها أَهْلُ البَلد فانطَلقُوا وهم يتَخَافَتُونَ أَن يُعَاجِلُوهُ قبل مُداخَلَتِهِ العَرَب في أَمْره. فَتَقَبَّضُوا [232]

(أ) ف: صحبهم (ب) ف: فالأثر (ج) هنا موقع هذا الخبر في نسخة ظ، ويقع في نسخة ف متأخرًا بعد فصل: الخبر عن الجواهري، وأوليته ومآل أمره.

عَلَيه وعلى أخيه وعلى أتباعِهما ليلةَ أَجْمَعوا الثَّوْرَةَ في صَباحِها. وطَيَّروا بالخَبَر إلى الحَضْرة فَنفَذَ الأمرُ بقَتْلهم، وبُعِثَ بِرُؤُوسِهم إلى باب السّلطان، ونُصِبَتْ أَشْلاؤُهُم بأَسْوارِ طَرابُلس وأَصْبَحُوا عِبْرَةً للمُعْتبرِين. وأنشَدَ الشُّعراءُ فِي التَهنِئَةِ بهم وقَامَت للبَشائرِ سُوقٌ لِكائِنَتِهِم. وكان مِمَّنْ قُتِلَ مَعَهُ مُحمَّد ابنُ قاضِي القُضاة بِمَرَّاكُشَ أبي عِمْران بن عِمْران. وصلَ مُمْلِقًا إلى تُونِس، وقصدَ طَرَابُلس فاتَّصلَ بهذا الهَزْغي، ونُمِيَ(أ) عنه أنّه أنْشأَ خطبةً لِيَوْم البَيْعَة فكانتْ سائِقَةَ حَتْفِهِ. وكان بالمَهْدِيَّةِ رجلٌ من الدّعاةِ يُعْرف [بابن](ب) أبي حَمْراء، اشْتُهِر بالنّجدة في غَزْو البَحْر، وقُدِّمَ على الأُسْطول فَردَّدَ الغزاوَى حتّى هابهُ الغُزّى من أُمَم الكُفر، وأَمِنَتْ سواحلُ المسْلمينَ من طُرُوقِهِمْ وطَار لَهُ فيها ذِكْرٌ. ونُمِي عنه أنّه كان مُداخِلاً للجَواهِري والهَزْغي، وأنّ القاضي بالمَهْدِيَّة أبا زكرِيّاء البَرْقي اطَّلَعَ على دَسيسَتهم في ذلك، فنفذَ الأمرُ السُّلطاني للوَالي بها أبي علي بن أبي موسى بن أبي حَفص بقَتْل ابن أبي حَمْراء، وإشْخاص القاضي إلى الحَضْرة مُعْتقَلاً، فأَمْضَى عَهْدَهُ.

ولمَّا وصل البَرْقِي إلى تُونِس فَحَصَ السّلطانُ / [232 ب] عن شأنه فَبَرِئَ من مُداخَلَتِهم، فسَرَّحَهُ وأعادَه إلى بَلَده. وقُتِلَ بالحَضْرة رجلٌ آخرُ من الجُنْد اتُّهِمَ بمُداخَلَتِهم وسِعايَته في قِيامِهم، وكان له تَعَلُّقٌ برحابِ ابن مَحْمودٍ أميرِ دبَّاب، فأَوْعَزَ السّلطانُ إلى بَعْض الدُّعَّار من زَناتَةَ فَقَتَلَهُ غِيلةً ثُمّ أَهْدَرَ دَمَهُ، وتَتَبّع أهلَ هذه الخائنة بالقَتْل حتّى حَسَمَ الدّاءَ ومَحَا شوائِبَ الفِتْنةِ.

(أ) ظ: وزغي (ب) أضيفت لما يلي من بقية النص.

## 46 • الخبرُ عن بَيْعة بَلَنْسِيَةَ ومُرْسِيَة وأهْلِ شَرْق الأَندَلُس ووَفْدِهم

لـمّا استَقلَّ أبو جَميل زيّان بن أبي الحَمَلات مُدافِع بن أبي الحجّاج ابن سَعْد بن مَرْدَنِيش بـمُلْكِ بَلَنسيَة، وغَلَبَ عليها السيِّد أبو زَيْد بن محمد ابن السيّد أبي حَفْص، وذلك عند خُمودِ ريحِ بَني عبد الـمُؤمن بالأَنْدلُسِ، وخُروجِ ابنِ هُودٍ على المأمون، ثُمَّ فتنتِهِ هو مع ابن هودٍ، وثَوْرة ابن الأَحمر بأَرْجُونَة، واضطِراب الأَنْدلِسِ بالفِتْنة. وأَسِفَ[1] الطّاغِية إلى ثُغور الأَنْدَلُس من كلّ جانِب، وزَحَفَ مَلِكُ أَرَغون إلى بَلَنْسِيَّة فحاصَرها. وكانت للعدوّ سنةَ ثَلاثٍ وثَلاثين سَبْعُ مَحلاّتٍ لِحصار الـمُسْلمين، اثنان منها على بَلَنْسيَةَ وجزيرة شَقْر وشَاطِبَةَ، ومَحَلَّةٌ بجَيّانَ، ومَحَلَّةٌ بطَبِيرَة، ومَحَلَّةٌ بِمُرْسِيَةَ، ومَحَلَّةٌ بِلَبْلَةَ، وأهلُ جَنْوَةَ من وراء ذلك على سَبْتَةَ. ثُمَّ تَملَّكَ طاغِيةُ قَشْتالَةَ مدينةَ قُرْطُبَةَ، وظَفرَ طاغيةُ أَرَغُونَ بالكثير من حُصون بَلَنْسِيَة والجزيرةِ، وبَنَى حِصْنَ إينْشَةَ لِحصار بلَنْسِيَة، وأَنْزَل بها عسكَرَه وانصَرفَ. فاعْتَزَمَ زَيَّانُ بن مَرْدَنيش على غَزْو من بَقيَ بها من عَسْكره، واسْتَنْفَرَ أهلَ شاطِبة وشَقْر، وزَحَفَ إليهم فانْكَشَفَ المسْلمون وأُصِيبَ أكثرُهم، واستُشْهِدَ أبو الرَّبيع بن سالِم[2] شيخ المحدِّثين بالأَندلس، وكان يومًا / عظيمًا وعنوانًا على أَخْذ بَلَنسِيَةَ ظاهِرًا. ثُمَّ تردَّدَتْ علَيها سرايَا [233]

(1) أسِف: تلهّف وغضب.

(2) هو سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي محدث الأندلس، قاضي بلنسية (565 - 634 هـ). انظر الذهبي: سِيَر أعلام النبلاء 23: 134 (99) الصفدي: الوافي بالوفيات 15: 432.

العدُوّ، ثمَّ زحَفَ إليها طاغِيةُ أرغُوَن في رمضان سنةَ خمْسٍ وثلاثين، فحَاصرَهَا واسْتَبْلَغَ في نِكَايَتِها. وكان بَنو عبد المُؤمن بمرّاكُش قد فشَل ريحُهم، وظهرَ أمرُ بَني أبي حَفْصٍ بإفْريقيّةَ، فأمّلَ ابنُ مَرْدَنِيش وأهلُ شَرْق الأَنْدَلُسِ الأميرَ أبا زكريّاء للكَرَّةِ، وبعثوا إليه ببَيْعَتهم، وأَوْفَدَ عليه ابنُ مَرْدَنِيش كاتِبَهُ الفَقيهَ أبا عبد الله بنَ الأبّار صريخًا، فوَفَدَ وأدّى بيْعتَهم في يوم مشهودٍ بالحَضْرة. وأنْشَدَ في ذلك المَحْفَل قصيدَتَه على رَويّ السّين يَسْتَصْرِخُهُ فيها للمُسْلمين[1]، وهي هذه: [من البسيط]

أدْرِكْ بخَيْلِكَ خَيْلِ اللهِ أَنْدَلُسَا    إنَّ السَّبيلَ إلى مَنْجاتِها دَرَسَا

وهَبْ لها من عَزيزِ النَّصْرِ ما الْتَمَسَتْ    فلَمْ يَزَلْ منكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَا

وحاشِ ممّا تُعانيهِ حُشَاشَتَها    فطالَمَا ذَاقَتِ البَلْوَى صباحَ مَسَا

يا لَلْجَزيرةِ أضْحَى أهلُها جَزَرًا    للنّائِبات وأَمْسَى جَدُّها تَعَسَا

في كلّ شارِقَةٍ إلْمامُ بائِقَةٍ    يعودُ مأتَمُها عندَ العِدَى عُرُسَا

وكلِّ غارِبَةٍ إجْحَافُ نائبَةٍ    تَثْني الأمانَ حِذارًا والسُّرورَ أَسَى

تقاسَمَ الرّومُ لا نالت مَقاسِمُهم    إلّا عَقائِلَها المَحجوبةَ الأُنُسَا

وفي بَلَنْسِيَةَ منها وقُرْطُبَةٍ    ما يُذْهِبُ النَّفْسَ أو ما يَنْزِفُ النَّفَسَا

مَدائِنٌ حلّها الإشْراكُ مُبْتَسِمًا    جَذْلانَ وارْتَحَلَ الإيمانُ مُبْتَئِسَا

(1) في البيان المغرب (قسم الموحدين) - 349 : وفي هذه السنة ( 635 هـ) يوم الثلاثاء منسلخ رجب الفرد رفع أبو عبد الله بن الأبار قصيدته السينية. رفعها إلى حضرة الأمير أبي زكرياء يستصرخه فيها لنُصرة الأندلس ويصف سوء الأمر فيها.

وصَيَّـرَتْـها العَـوادِي العائِثاتُ بها يَسْتَوحِشُ الطَّرْفُ منها ضِعْفَ ما أَنِسا

ما لَلْمَساجِـدِ عـادَتْ للعِـدَى بِيَعًا ولِلـنِّـداءِ يُرى أثْنـاءَهـا جَـرَسَا

لَهْفًـا علَيْـها إلى اسْتِـرْجاعِ فائِتِها مَدارِسًـا لِلمَـثاني أصْبَحتْ دُرُسَا

وأرْبُعًـا نَـمْنَمَتْ أَيْدي الـرَّبِيعِ بها ما شِئْـتَ مِـنْ خِلَعٍ مَوْشِيَّةٍ وكُسَى

كانَت حـدائِـقَ للأحْـداقِ مُونِقَةً فصَوَّحَ النَّـضْـرُ من أدْواحِها وَعَسَا[1]

/ وحالَ ما حَوْلَها مِـن مَنْظرٍ عَجَبٍ يَسْتَوْقِفُ الـرَّكْبَ أو يَسْتركِبُ الجُلُسَا [233 ب]

سرعانَ ما عاثَ جَيْشُ الكُفْر وَاحَرَبَا عَيْثَ الـدَّبَى في مَغانيـها التي كَبَسا

وابْـتَـزَّ بِـزَّتَها ممّا تـحَـيَّـفَـها تَـحَـيُّـفَ الأسَدِ الضَّارِي لِما افْتَرَسَا

فـأيـنَ عَـيْشٌ جَنَيْناه بها خَضِرًا وأيْـنَ غُـصْـنٌ جَـنَيناهُ بها سَلِسَا

مَحَا مَحاسِنَـها طَاغٍ أُتِيـحَ لهَا ما نامَ عن هَضْمِها حِينًا[أ] ولا نَعَسَا

ورَجَّ أرْجـاءَهـا لَمَّـا أحـاطَ بـها فغـادرَ الشُّمَّ مِـن أعْلامِـها خُنُسَا

خَلاَ لَهُ الـجوُّ فامتَـدَّتْ يَـداهُ إلى إدْراكِ ما لَمْ تَنلْ رِجْلاهُ مُخْتلِسَا[ب]

وأكْثَـرَ الـزَّعْـمَ بالتَّثْـليثِ منفردًا ولو رأَى رائِدَ التَّوحيد ما بَلَسَا[ج]

صِلْ حَبْلَها أيُّها المَوْلَى الـرَّحِيمُ فَما أبْـقَى المِراسُ لـها حَبْلا ولامَرَسَا

وأَحْيِ مَا طَمَسَتْ مِنْها العُداةُ كَما أحْيَيْتَ من دَعْوةِ المَهْدِيِّ ما طُمِسَا

أيّامَ صِـرْتَ لنَـصْرِ الحَقِّ مُسْتَبِقًا وبِـتَّ من نُورِ ذاكَ الهَدْيِ مُقْتَبِسَا

(أ) ف: جنبا (ب) ف: محسا (ج) ف: ولو رأى راية التوحيد ما نَبَسا.

---

(1) عَسَا النَّباتُ عَساءً وعُسُوًّا: غلُظ وصلُب.

وقُمْتَ فيها لأَمْرِ اللهِ مُنْتَصِرًا … كالصّارمِ اهتزّ أو كالعارِضِ انبَجَسَا
تمحو الذي كتبَ التَّجْسيمُ من ظُلَمٍ … والصُّبْحُ ماحِيَةٌ أنوارُه الغَلَسَا
هذي رَسَائِلُها تَدْعوكَ من كَثَبٍ … وأنتَ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ لمنْ يَئِسَا
وافَتْكَ جارِيَةً بالنُّجْحِ راجِيَةً … منكَ الأميرَ الرِّضَى والسيِّدَ النَّدِسَا[1]
خاضت خضارةَ يَغْلوها ويخْفِضُها … عُبابُه فتُعاني اللِّينَ والشَّرَسَا
وربّما سبَحتْ والرِّيحُ عاتِيَةٌ … كما طَلَبْتَ بأَقْصَى شَدِّهِ الفَرَسَا
تَؤُمُّ يَحْيى بنَ عبدِ الواحِدِ بنِ أبي … حَفْصٍ مُقَبِّلَةً من تُرْبِهِ القُدُسَا
مَلْكٌ تقَلَّدَتِ الأَمْلاكُ طاعَتَهُ … دنْيا ودينًا فغَشّاها الرِّضيَ لِبَسَا
من كلّ غادٍ على يُمناهُ مُسْتَلِمًا … وكلّ صادٍ إلى نُعْماهُ مُلْتَمِسَا
مُؤَيَّدٌ لَوْ رَمَى نَجْمًا لأَثْبَتَهُ … ولو دَعَى أُفُقًا لَبَّى وما احْتَبَسَا
إِمَارَةٌ تَحْمِلُ المِقْدارَ رَايَتُها … ودولةٌ عِزُّها يَسْتَصْحِبُ القَعَسَا
[234 أ] / يُبْدِي النَّهارُ بها من ضَوْئِه شَنَبًا … ويُطْلِعُ اللّيْلُ من ظَلْمائِهِ لَعَسَا
كأنَّه البَدْرُ والعَلْياءُ هَالَتُه … تَحُفّ من حَوْلِه شُهْبُ القَنَا حَرَسا

وَمِنها:

له الثَّرَى والثُّرَيَّا خُطّتان فَلا … أعزَّ من خُطَّتَيْهِ ما سَمَا ورَسَا
يأيّها المَلِكُ المَنْصورُ أنت لها … علياءُ توسِعُ أعداءَ الهُدَى تَعَسَا

(1) النَّدِس: الفَهِم الكيِّس.

وقد تَـــواتَــرَتِ الأنبــاءُ أنّـكَ مَنْ    يُـحْيِي بقَتْلِ مُلوكِ الصُّفْرِ أَنْدَلُسَا
طَــهِّـــرْ بلادَكَ مِنْـهم إنّهم نَجَسٌ    ولاطَـهـارَةَ مالم تَـغْسَلِ النَّجَسَا
وأَوْطِـــئِ الفَـيْـلَقَ الـجرّارَ أرضَهُمُ    حتّى يُطَأْطِئَ رَأْسًا كلُّ مَنْ رَأَسَا
وانْــصُرْ عَبِيدًا بِأقصى شَرْقِها شرِقَتْ    عُيونُهم أَدْمُعًا تَهْمي زَكًا[1] وخَسَا
هم شيعةُ الأَمْرِ وهيَ الدّارُ قد نُهِكت    دَاءً مَتَى لم تُباشِرْ حَسْمَهُ انْتَكَسا
امْلأْ - هَنيئًا لك التَّمْكينُ - ساحتَها    جُرْدًا سلاهِبَ أو خِطّيّةً دُعُسَا
واضْرِبْ لها موعِدًا بالفَتْـحِ تَـرْقُبُهُ    لعلَّ يومَ الأَعادي قدْ أتَى وعسى

فأجابَ الأميرُ أبو زكريّاء داعِيَتَهم وبَعَثَ إليهم أُسطولَه مشحونًا بـمَدَد الطّعام والأسلحة والمال مع أبي يحيى بن يحيى ابن الشّهيد أبي إسْحاق بن أبي حَفْص، وكانت قيمةُ ذلك مائةَ ألف دينار. وجاءَهُم الأُسطولُ بالـمَدَد وهُمْ في هُوّةِ الحِصار، فنزلَ بـمَرْسَى دَانِيَةَ واستفرغَ المددَ بها، ورَجعَ بالنّاضِ، إذ لم يَخْلُص إليه من قِبَلِ ابن مَرْدَنِيش من يَتَسَلَّمُهُ. واشتَدّ الحِصارُ على أهل بَلَنْسِيَةَ وعُدِمَتْ الأَقْواتُ وكَثُرَ الهلاكُ من الجوع، فوقَعت المُرَاوَضَةُ على إسْلام البَلد، فَتَسلَّمَهَا جَاقِمَةُ مَلِكُ أَرَغُونَ في صفر سنَةَ سِتٍّ وثلاثين، وخرجَ عنها ابنُ مَرْدَنِيشَ إلي جزيرة شَقْر، فأخذَ البيعةَ على أَهْلِها للأمير أبي زكريّاء. ورجعَ[أ] ابنُ الأَبّار / إلى تُونِس فَنَزلَ على السّلطان وَصَارَ في جُمْلَتِهِ. [234 ب]

(أ) عليها علامة مخرج في حاشية نسخة ف، بقي منه بعض الحروف.

(1) الزوج من العدد. يقال: أخَسَا هذا أم زَكًا، أي أفَرْدٌ أم زوج.

وألَحَّ العدُوُّ علي حِصار ابن مَرْدَنِيش بجزيرة شَقْر وأزعَجَهُ عنها إلى دَانِيَة، فَدَخلَهَا في رَجَب من سنَتِه، وأَخَذَ عليهم البيعة للأمير أبي زكرِيَّاء. ثُمَّ داخلَ أهلَ مُرسِيَةَ، وقد كان بُويِعَ بها أبو بكر عزيزُ بن عبد الملك بن خطّاب في مُفْتَتحِ السّنة، فاقْتَحمَهَا عليه في رَمضان من سنَتِه، وقَتَلَهُ وبَعثَ بَيْعَتَهُمْ إلى الأمير أبي زكريّاء، وانتَظَمَتْ البلادُ الشّرْقيّة في طاعَتِه، وانقَلَبَ وَفْدُ ابن مَرْدَنِيش إليه من تُونِس بولايته على عَمله سنة سَبْعٍ وثلاثين، ولم يَزَلْ بها إلى غَلَبَةِ ابنُ هودٍ علي مُرْسِيَةَ، وخرجَ عنها إلى [لَقَنت][1] الحُصون سنة ثمَانٍ وثلاثين، إلى أن أَخَذَهُ طاغِيَةُ بُرْشُلونة من يده، وأجاز إلى تُونِس. والبقاءُ لله.

## 47 • الخَبَرُ عن الجَوْهريّ وأوّليَّته ومَآلِ أمْره

اسْمُ هذا الرّجل مُحمّدُ بنُ مُحمّد الجوْهريّ. وكان مشتهرًا بخِدْمَة ابن أكمازير الهِنْتاتي وَالي سَبْتَة وغُمارَة من أعمال المَغْرب. وكان حسنَ الضّبط مُتراميًا إلى الرّئاسة. ولمّا وَرَدَ على تُونِس وتَعَلّقَ بأعمال السّلطان، نظَرَ فيما يُزلِفُهُ[أ] ويرْفعُ من شأْنِهِ، فَوجَدَ جِبَايَةَ أَهْل الخِيام بإفْريقِّيَة من البَرابِرة المُوطّنينَ من الأعْراب غيْرَ مُنْضَبطة ولا مُحَصّلَةٍ في ديوان، فنبّهَ[ب]

(أ) ف: يزلقه. ويُزْلِفُهُ، يقدّمه ويُقَرّبُه (ب) ف: فتنة.

(1) حصنان من أعمال لأردَة بالأندلس، لَقنتْ الكبرى ولَقَنْت الصغرى. معجم البلدان 5: 21، وفي ظ: بقيّة، والتّصويب من ف.

على أنها مَأْكَلَةٌ(أ) للعُمَّالِ ونُهْبَةٌ للوُلاَةِ، فَدُفِعَ إليها فأنْمى جِبَايَتَهَا(ب) وقَرّر ديوانَها، وصَارَتْ عَمَلاً مُنفردا سُمِّيَ عمل العَمود، وطارله بذلك بَيْن العمّال ذِكْرٌ جَذَبَ له السّلطانُ أبو زكريّاء بِضَبْعِهِ، وعوّلَ على نَصيحته وآثَرهُ باخْتصاصِهِ. ووَافَقَ(ج) ذلك موتَ أبي الرّبيع الكنفيشي(د) المعروف بابنِ الغُرَيْغِرِ صاحبِ الأشْغال بالحَضْرة، / فاسْتُعْمِلَ مَكانَهُ، وكان لايَلِي تلْكَ [235أ] الخُطّةَ إلاّ كبيرٌ من مَشيخة المُوَحِّدين، فرَشَّحه السلطانُ لها لِكِفايَته وغَنائِه ظَفِرَ منْها بحاجَة نَفْسه واعْتَدَّها ذَرِيعةً إلى أُمْنِيَته، فاتَّخَذَ شارةَ أرْباب السّيوف، وارْتبط الخَيْلَ، واتَّخذ الآلَةَ في حُروبه مع أهْل البادِية إذا احْتاجَ إليها. وأَسَفَ أثناءَ ذلك أبا عليٍّ بن النُّعمان وأبَا عبد الله بن أبي الحسَيْن(هـ) بعَدم الخُضوع لهما، فنَصَبَا له وأغْريا به السّلطانَ وحَذَّرَاهُ غَائِلَة عِصْيانه.

وكان فيه إقْدامٌ أَوْجدَ به السَّبِيلَ على نَفْسِهِ. ويُحْكَى أنَّ السّلطانَ اسْتَشارَهُ ذاتَ يومٍ في تَقْويم بَعْض أهل الخِلاف والعِصْيان، فقال له: عندي ببابِكَ آلافٌ من الجُنود أَرْمي بها من تَشاءُ من أَمْثالهم؛ فَأَعْرَضَ عنه السّلطان، واعْتَدَّها عليه، وجعلَهَا مِصْداقًا لما نُمِيَ عنه. ولـمَّا قَدَّمَ عنه عبدَ الحقّ بن يوسف بن ياسين على الأشْغال بِبِجَايَةَ مع زكريّاء بن السّلطان، أَظْهَر له الجوْهَرِيّ أنَّ ذلك بسِعايَته، وعَهِدَ إليه بالوُقوفِ عند أمْره والعَمَلِ بكِتابه. فألْقَى عبدُ الحقّ ذلك إلى الأمير زكريّاء فقامَ لها وقَعَد، وأَنِفَ من اسْتِبْداد الجَوْهَرِيّ عليه. ولم تَزَلْ هذه وأَمثالُها تُعَدُّ عليه حتّى حقّ عليه القولُ، فَسَطَا به الأميرُ أبو زكريّاء وتَقَبَّضَ عليه سنةَ تسعٍ

(أ) ف: مألكة (ب) ظ: حياتها (ج) سقطت واو العطف من ف والضبط من ظ (د) ف: كنفسي (مهملة) (هـ) ف: الحسن.

وثمانين، ووكّلَ امتحانه إلى أَعْدَائِه، ابن ربمان(أ) والبذرومي، فتجلّدَ على العَذاب، وأصبحَ في بَعْض أيّامه ميّتا بمحْبَسه؛ وَيُقَالُ خَنَقَ نَفْسَهُ. وأُلْقِيَ شِلْوُهُ بقارِعَة الطّريق فتَفَنَّنَ أَهْلُ الشّماتِ في العَبَث به. وإلى الله المصير.

## • 48 الخبرُ عن فتْح تِلمْسَانَ ودُخولِ بَني عبْد الوادِ في الدّعْوَة الحفصيّة.

كانَ الأميرُ أبو زكريّاء منذ استَقَلَّ بأمْر إفْريقيّةَ واقْتَطعَها عن بَني عبد المُؤمن كما ذكَرْناه، مُتطاوِلاً إلى مُلْك الحَضْرة بِمَرّاكُش والاسْتيلاءِ على / كُرسيّ الدّعْوة. [235ب] وكان يَرَى أنّ بِمُظاهَرة زَنَاتَة لَهُ على شَأنه يتِمُّ له مايَسْمُو إليه من ذلك. فكان يُدَاخِلُ أُمَراءَ زَناتَةَ فيه ويُرغِّبُهم ويُراسِلُهم بذلك على الأحيَان من بَني مَرِين وبَني عبْد الوادِ و تُوجّينَ وَمغْرَاوةَ. وكان يَغْمراسِنْ منذ تَقلَّد طاعةَ آل عبْد المُؤمن أقامَ دعْوَتَهم بِعَمَلِهِ، مُتحيّزًا إليهم، سِلْمًا لِوَلِيِّهِمْ وحَرْبًا على عَدُوِّهم. وكانَ الرّشيدُ منهم قد ضاعَف له البِرَّ والخُلوصَ، وخَطَبَ منه مَزيدَ الوَلايَةِ والمُصافاةِ، وعاوَدَهُ الإتْحافَ بأنْواع الأَلْطافِ والهَدايا تقَمُّنًا لمسَرّاته ومَيْلاً إليه عن جانِب أقْتالِهِ(ب) بَني مَرِين المُجلِبين على المغرب والدّولَة، فاستَنكَرَ السّلطانُ أبو زكريّاء اتّصالَ الرّشيد هذا بغمْراسِن وآلِه، وهم من جِواره بالمَحَلّ القَريب. وبَيْنما هو على ذلك، إذْ وَفَدَ إليه عبدُ القويّ أميرُ بني تُوجّينَ وبعضُ وَلَدِ منْديل بن عبد الرّحمن أمراء مَغْراوَةَ صَرِيخًا على يَغمْراسِن، فَسَهّلُوا له أمرَه وسَوَّلُوا له

(أ) مهملة الحروف في ظ ف (ب) ف: اقباله.

الاسْتِبْدادَ على تِلِمْسانَ، وجَمْعَ كلمة زَناتة، واعْتِدَادَ ذلك ركابًا لما يَرُومُهُ من امْتِطاءِ مُلْكِ المُوحِّدين بِمَرَّاكُش وانْتِظامَه في أمْره، وَسُلَّمًا لارْتِقاء ما يَسْمو إلَيهِ من مُلْكه، وبابًا لِوُلوج المَغْرب على أهْله. فَحَرَّكَهُ إمْلاَؤُهم وهَزَّهُ إلى النُّعْرة[أ] صَريخُهم، وأهابَ بالمُوَحِّدين وسائِرِ الأوْلياء والعساكِرِ إلى الحرَكَة على تِلِمْسانَ، واسْتَنْفر لذلك سائرَ البَدْو من الأعْراب الذين في طاعَته من بَني سُلَيْمٍ ورِياحٍ بظُعُنهم، فأهْطَعوا[1] لداعِيه[ب].

ونَهَضَ سنة تِسْعٍ وثلاثين في عَساكِرَ ضَخمةٍ وجُيوش وافِرةٍ، وسَرَّحَ أمامَ حَرَكَتِهِ عبدَ القويِّ بنَ العبّاس وأولادَ منديل بن محمّد لحَشْدِ مَنْ بأَوْطانهم من أَحْياءِ زَناتَةَ وأَتْباعِهِمْ وذُوبَانِ قَبائِلهم وأَحْياء زُغْبَةَ أَحْلافِهم مِنْ العَرب. وضَرَبَ معَهم موعدًا لمُوافاتهم في تُخُومِ بلادِهم. ولـمَّا نَزَلَ صحراءَ زاغز[ج] قبلةَ تِيطْري، مُنْتَهَى مَجالات / رِياحٍ وبَني سُلَيم بالمغرب، [236 أ] تثاقَل العربُ عن الرِّحْلة بظُعُنِهِم في ركاب السّلطان وتَلَوَّوْا بالمعاذير، فألْطَف الأميرُ أبو زكريّاء الحيلَةَ - زعَمُوا- في اسْتِنْهاضِهِمْ وتَنْبيه عَزائِمهم، فارْتحلوا معه حتّى نازَلَ تِلِمْسانَ بجميع عَساكِرِ الموحّدينَ وحُشود زَناتة وظُعُنِ العَرب بعدَ أنْ كانَ قَدَّم إلى يَغْمَراسِن الرُّسُلَ من مَلْيَانَةَ بالإعْذار والدُّعاء إلى الطّاعة فَرَجَّعَهم بالخَيْبة. ولما حلّتْ عَساكِرُ المُوَحِّدين بساحَة البَلَد، وبَرَزَ يَغْمَراسِن وجُموعُه للِّقاءِ، نَضَحَتْهُمْ نَاشِبَةُ السّلطان بالنَّبْل

(أ) ف: النّفرة وهو أوْجَهُ أو النعرة (ب) ف: الداعية (ج) كذا في ظ. وف: زاغر.

(1) أهْطَع الرجُلُ: أقبلَ مسرعًا خائفًا، ولا يكون إلاّ مع خوف.

فانكَشفوا ولاذُوا بالـجدارات[أ]، وعَجَزُوا عن حِماية الأَسْوار، فَاسْتَمْكنتِ المقاتِلَةُ من الصّعود. ورأَى يَغمْراسِن أَنْ قد أُحِيطَ بالبَلد، فقَصَد بابَ العَقَبَةِ من أبْواب تِلِمْسَانَ [مُكتَنِفًا][ب][1] في ذَويهِ وخاصّتِه، واعْتَرضَهُ عساكِرُ المُوَحّدين فصَمَّم نحْوهم، وجَدَّلَ بعضَ أَبْطالهم فأفرَجوا لَهُ، ولحِقَ بالصّحراء. ونَسَلَت[ج] الجيُوشُ إلى البَلد من كلّ حَدْبٍ فَاقْتحموهُ وعَاثُوا فيه بقَتْل النّساءِ والصّبيان واكْتِساحِ الأَمْوال. ولما تجَلّى غَشْيُ تلكَ الهَيْعَة، وحَسَر تَيّارُ الصّدْمة وخَمَدَتْ نارُ الحرْب، رَاجَعَ المُوَحّدون بَصائِرَهم وأَنْعَمَ الأميرُ أبو زكريّاء نظرَه فيمن يُقَلِّده أَمْرَ تِلِمْسان والمغرب الأوسطِ، ويُنْزِلُه بِثغرِها لإقامَةِ دعْوتِه الدّائلة من دَعْوة بَني عبد المُؤمن والمُدافِعة عنها. واسْتَكْثَرَ ذلك أشرافُهم وتَدافعوهُ، وتبرّأَ أُمراءُ زَناتَة ضعْفًا عن مُقاوَمة يَغمْرَاسِن، وعِلْمًا بأنّه الفَحْلُ الذي لا يُقْرعُ أَنفُه ولايُطْرَقُ غِيلُه ولايُصَدُّ عن فَريسَتِه. وسَرَّحَ يَغمْرَاسِن الغَارَاتِ في نَواحي المُعَسكر فَاختطفوا النّاس من حَوْله، وأَطَلّوا من المَرَاقِب عليْه. ثُمَّ بعَثَ وَفْدَه مُتَطارِحِينَ على السُّلطان في المَلَامَة والاتّفاق واتّصال اليَدِ على صاحِب مَرَّاكُش طالبِ الوِتْر في تِلِمْسان وإفـريقيّة، وأَنْ يُفرِدَهُ بالدّعْوة المُوَحّديّة، فَأَجابه إلى ذلك، / ووَفدَتْ أُمُّهُ [236ب] سَوْطُ النّساء للاشْتِراط والقَبول، فأكْرم مُوصِلَها، وأَسْنَى جائِزتَها، وأَحْسَنَ وِفَادَتَها ومُنقَلَبَها. وَسَوَّغَ ليَغمْرَاسِن في شَرْطه بعضَ الأَعْمال بإفريقيّة، وأَطْلَقَ أَيْدي عُمّاله على جِبايَتِه. وارْتَحل إلى حَضْرته لسَبْع عَشْرة ليلة من نُزوله.

(أ) كذا في الأصلين، ولم نقف على هذا الجمع لجدار (ب) من ف. ظ: ملتفا (ج) ف: تسلت. ونَسَلَتْ: أَسْرَعت.

(1) كتَنَفَهُ تكنيفًا: أحاطهُ. تكتَنفهُ القومُ، أحاطوا به.

وفي أثناء طَريقه وَسْوَسَ إليه المُوحِّدون باسْتبداد يَغْمُراسِن عليْه، وأشاروا بإقامَة مُنافسِيه من زَناتَة وأُمراء المغرب الأَوْسط شَجًا في صَدْره ومُعْترَضًا عن مَرامِه، وإلباسِهم ما لَبِسَ من شارَة السّلطان وزِيّه، فَأَجابَهُمْ، وقَلّدَ كلاًّ منْ عبد القويّ بن عطيّة التُوجِّيني والعبّاسِ بن مِنديل المَغراوي ومَنصور المليكشي أَمْرَ قَوْمِه ووَطَنِه، وَعَهِدَ إلَيهم بذلك، وأَذِنَ لَهُمْ في اتّخاذ الآلَةِ والمراسِم السُّلطانيّة على سَنَنِ يَغْمُراسِن قَريعِهم، فاتّخذوها بحَضْرته وبمشْهَدٍ من مَلَإِ المُوحّدين، وأَقامُوا مرَاسِمَها ببَابِه. وأَغذَّ السَّيْرَ إلى تُونِس، قريرَ العَيْن بامْتِداد مُلْكه وبُلوغ وَطَره، والإشْرافِ على إذْعان المَغرب لطاعَته وانْقيادِه لحُكْمه، وإدَالَةِ دَعْوة بني عبد المُؤمن فيه بدَعْوَته. فَدَخَلَ الحَضْرَةَ واقْتَعد أَريكَتَه، وأَنشَدَهُ الشُّعَراءُ في الفَتْح، وأَسْنَى جوَائِزَهم، وتَطاوَلَتْ إليه أَعْناقُ الآفاق كما نَذْكُره.

## 49 • الخَبَرُ عن دُخول أَهْلِ الأَنْدَلُس في الدّعْوة الحَفْصِيّة، ووصولِ بَيْعة إشْبيليّة وكثيرٍ من أَمْصارها .

كان بإشْبِيليّة أبو مَرْوان أحمدُ الباجي، من أَعْقاب أبي الوَليد، وأبو عَمرو بن الجَدّ من أعْقاب الحافِظ أبي بَكْر الطائر الذِّكْر، وَرِثُوا التَّجِلَّةَ عن جدّه وأَجْراهمُ الخُلفاءُ على سَنَنِهِم. وكانا مُسْمَتَيْنِ وَقُورَيْنِ مَتْبُوعَيْنِ من أهل بَلَدهما ومُطاعَيْن في أُفُقِهما. وكان السّادةُ من بَني عبد المُؤمنِ يُعَوّلون على شُوراهُما في مِصْرِهما. وكان بعُدْوة الأَنْدَلُس / النِّياتُ في المُلْك منذ [237]
وفَاة المسْتَنْصِر، وانْتَزى بها السّادةُ، وافْتَرَقوا. وثارَ بشَرْق الأَنْدَلُس ابنُ

هودٍ وزيّانُ بنُ مَرْدَنيش، وبِغزِبِها ابنُ الأَحْمر. وغَلَبَ ابنُ هودٍ المُوحّدين وأَخرَجهم عنها. ومَلَكَ ابنُ هودٍ إشْبيليَّةَ سنةَ ستٍّ وعشرين واعْتقل من كان بها من المُوَحّدين. ثُمَّ انْتَقَضوا عليه سنةَ تِسْعٍ بعدَها وأَخرَجوا أَخاهُ أبا النّجاة سَالِمًا، وبَايَعُوا الباجي وتَسَمَّى بالمعْتَضِد، واسْتَوْزَر أبا بَكْر بن صاحب الردّ. ودَخلتْ في بَيْعته قَرْمُونَةَ، وحَاصَرَهُ ابنُ هود فوصلَ الباجي يدَه بمحمّدِ بن الأَحْمر الثّائر بأَرْجُونَةَ وجَيَّان بعد أن مَلَكَ قُرْطبةَ. وزحفَ ابنُ هودٍ إليهم فلَقوهُ وهَزَمُوهُ ورَجَعُوا ظاهِرين. فَدَخلَ الباجي إلى إشْبيلِيَّة وَعَسْكر بخارجِها، ثمَّ انتهزَ فُرْصَته في إشْبيلِيَّة وبعثَ قريبَهُ ابنَ أَشْقيلولَةَ مع أَهْل أرْجونة والنّصارَى إلى فُسْطاط الباجي فتَقبَّضُوا عليه وعلى وَزيره، وقَتَلوهما سنةَ إحْدَى وثلاثين.

ودَخَلَ ابنُ الأَحْمَرِ إشْبيلِّيَّةَ، ولشَهْرٍ من دُخوله إليها ثَارَ عليه أهلُها ورَجَعوا إلى طاعَة ابن هودٍ، وَوَلّى عليهم أخاهُ أبا النّجاةِ سَالِماً. ولـمَّا هَلَكَ محمَّدُ بن هودٍ سنةَ خَمْسٍ وثلاثين صَرَفَ أَهْلَ إشْبيليَّةَ طاعتَهم إلى الرّشيد بِمَرَّاكُش، ووَلَّوْا على أَنْفسهم مُحمَّد ابن السيّد أبي عِمْران الذي قدّمناهُ أنّه كان واليًا بِقُسُنْطِينَة، وأنّ الأميرَ أبا[أ] زكريّاء غَلَبَهُ علَيْها واعْتَقلهُ، وبَعَثَ وَلَدَهُ إلى الأَنْدَلس، فَرَبِيَ محمّدٌ هذا في كَفالة أُمّه بإشْبيليَّة. ولـمَّا بَايعَ أهلُ إشْبيلِيَّةَ للرّشيدِ قَدَّموه على أنفُسِهم، وتَولّي كِبْرَ ذلك أبو عَمْرو بن الجَدّ، وبَعَثُوا وَفْدَهم إلى الـحَضْرة فَأَقَرَّ السيّدَ أبا عبد الله على ولايتهم، واسْتَمرَّت في دَعْوة الرّشيد إلى أن هَلَكَ سنةَ أربعين وقد مَلَكَ الأميرُ أبو

(أ) ظ: أبي.

زكريّاء تِلِمسان وأشرف على أعمال المَغْرب، فاقْتَدوا بمن تَقَدَّمَ إلى بَيْعته من أهل شَرق الأَنْدلُس ببَلَنْسِيَة ومُرسِيَة، / [237 ب] وبَايَعُوا للأمير أبي زكريّاء ابن أبي مُحمَّد بن أبي حَفْص. واقْتَدى بِهِمْ أَهْلُ شَرِيش وطَرِيف، وبَعَثُوا إليه وَفدهم ببَيْعتهم سنةَ إحدَى وأربعين، وسألوا منه ولايةَ بعض أهل قرابَته، فوَلَّى عليهم أبا فارس ابن عمّه يونس ابن الشّيخ أبي حَفْص. فقَدِم إشْبيلِيَّة وقامَ بأمْرها، وسَلَّمَ له ابنُ الجدّ في نَقْضها وإبرامِها. ثمّ انْتَقض عليه سنةَ ثَلاَثٍ وأربعين وطَرَده من البلَد إلى سَبْتَة(أ)، واسْتَبَدَّ بأَمْر إشْبيلِيَّة. ووَصَل يَدَه بالطّاغِية وعقَد له السِّلْمَ، وضَرَبَ على أيْدي أهلِ المُغَاوَرَةِ(ب) من الجنْد، وأَسْقَطَهُمْ من ديوانه فقَتلوه بإِمْلاَءِ قائِدهم شقاف، واستَقلَّ بأمْرِ إشْبيلِيَّة، ورَجَّعَ أبا فارس بن أبي حَفْص ووَلاَّه بدَعْوة الأمير أبي زكريّاء، فَسَخِطَهم الطّاغِيةُ لذلك وانْتَقضَ عليْهم. وَملَكَ قَرْمُونَةَ ومُرْشَانَةَ. ثمّ زَحَفَ إلى حِصارهم، وسَأَلُوهُ الصّلح فامْتَنَعَ. وصَارَ أَمْرُ البلَد شورَى بين القائد شقاف وابنِ شعيب ويحيى بن خَلْدون ومَسْعود بن خيار وأبي بَكر بن شُرَيح، ويَرْجعُون في أمْرهم آخِرًا إلى الشّيخ أبي فارس ابن أبي حَفْص. وأَقَامُوا في هذا الحصار سنتَيْن، ونَازَلَهم ابنُ الأَحْمر في جُملة الطّاغِية. وبعثَ إليهم الأميرُ أبو زكريّاء بالمَدَدِ، وجَهَّزَ الأسطولَ لنَظر أبي الربيع ابن الغُرَيغِرِ التّينملّي، وأوْعزَ له إلي سَبْتَة بتَجْهيز أُسْطولهم معه، فوَصَلَ إلى وادي إشْبيلِيَّة، وغَلَبَهم أُسطولُ الطّاغِية على المَرْسَى فرجَع، واسْتَولَى العدُوُّ عليها صُلْحًا سنةَ سِتٍّ وأَرْبعين، بعد أن أَعانَهم ابنُ الأَحْمر

(أ) يبدأ من هنا النقص في نسخة ف المخرومة، بما يطابق في نسخة ظ أثناء الصفح 237 ب إلى أثناء الصفح 261 أ

(ب) غاوز العدُوّ مغاورَةً: أغار عليهم . ويمكن أن تقرأ في ظ أيضا: المناورة.

بمَدِه ومِيرَتِه. وَقَدَّمَ الطَّاغِيةُ على أَهْل الدَّجنِ بها عبدَ الحَقِّ بن أبي محمد البيَّاسي، من آل عبد المُؤمِنِ. والأَمْرُ لله.

## 50 • الخبرُ عن بَيْعة أهل سَبْتَة وطَنْجَة وقصْرِ ابن عَبْد الكريم، وتصاريفِ أحْوالهم ومَآلِ أُمورهم.

/كان أهل سَبْتَةَ بعد إقْلاع المأمون عنهم ونُزول أخيه موسى عنها [238أ] لابن هودٍ، قد انْتَقَضُوا وأَخرجوا عَنْهم الغَشْتِيني وَالي ابن هودٍ، وقَدَّمُوا عليهم أحمدَ الينشتي، وَتَسَمَّى بالمُوفَّقِ. ثُمَّ رَجعُوا إلى طاعَة الرَّشيد عندما بَايَعَهُ أَهْلُ إشْبيليَّةَ سنةَ خَمْسٍ وثلاثين، وتَقَبَّضُوا على الينشتي وابنِه، وأَدْخَلوا السيِّدَ أبا العبّاس ابن السيِّد أبي سَعيد، كانَ وَالِيًا بِغُمارَة فَوَلَّوْهُ عَلَيهم. ثُمَّ عقَدَ الرَّشيدُ على ديوان سَبْتَةَ لأَبِي علي بن خلاص، كان من أهل بَلَنْسِيَةَ واتَّصل بخِدْمة الرَّشيد فجَلَّى فيها، ودَفَعَهُ إلى الأَعْمال فضَبَطها، فَوَلاَّهُ سَبْتَةَ فاسْتَقَلَّ بها. ووَلَّى على طَنْجَةَ يوسفَ بن الأَمير قائدًا على الرَّجْل الأَنْدلسيِّ وضابطًا لقَصَبَتِها.

حتَّى إذا هَلَكَ الرَّشيدُ سنةَ أربعين، وقد اسْتَفْحل أمرُ الأمير أبي زكرِيّاء بإفْريقيَّة واسْتَولى على تِلِمْسَانَ وَبَايَعَهُ الكثيرُ من أَمْصار الأَنْدلس، فصَرَفَ ابنُ خلاصٍ وَجْهَه إليه. وكان قد اقْتَنَى الأموالَ، واصْطَنعَ الرِّجالَ، فدخلَ في دَعْوته، وبَعَثَ الوفْدَ ببَيْعَته. واقْتدَى به في ذلك أهلُ قَصْر ابنِ عبد الكريم، فبَعَثُوا بَيْعَتَهم للأمير أبي زكرِيّاء. وعَقَد لابن خلاصٍ على سَبْتَة وما إليها، فبَعَثَ بالهَدِيَّة إليه في أُسْطولٍ أَنْشَأَه لذلك سمّاه المَيْمُونَ،

وأَرْكب ابنه أبا القاسم فيه وَافدًا على السّلطان ومعه الأديبُ إبراهيمُ بن سَهْل، فَعَطِبَ عند إقْلاعِه. ولـمّا رجعَ الأُسْطولُ من إشْبيليَّة -كما قدَّمْناه- على تَفِئَة هذا العَطبِ وحُزْن أَبي عليّ بن خلاصِ على ابنه، رَغِبَ من قائِده أبي الرّبيع بنِ الغَرَيْغِر أن يَحْملَه بجُمْلَته إلى الحَضْرة، فانْتقلَ بأَهْله، واحْتَمل ذخيرَتَه. ولـمّا مرَّ الأسطولُ بمرسى وَهْران، نَزلَ بساحلها فأَراحَ، وأُحْضَرله تِينٌ فَأَكَلَهُ فأصابَهُ مَغَصٌ في مِعَاهُ هَلَكَ منه فَجْأَةً سنةَ ستٍّ وأربعين.

وعَقَدَ السّلطانُ على سَبْتَةَ لأبي يَحيى بن أبي زكريّاء ابن عمّه أبي يَحيى الشّهيد ابن الشّيخ أبي حَفْص، وبَعث / معه على الجِباية أبا عُمر بنَ [238 ب] أبي خالد الإشبيلي، كان صديقًا لشُقاف وعدوًّا لابن الجدّ. ولـمّا قُتِلَ شُقافٌ لحِقَ بالحَضْرة فولاّه الأميرُ أبو زكريّاء أشغالَ سَبْتَةَ، واسْتمرَّت الحالُ إلى أن كان من اسْتِبْداد [العَزَفِيّ](أ) بِسَبْتَةَ ما نَذْكره.

## 51 • الخبرُ عن بَيْعة الـمَرِيّة

لـمّا هَلَكَ مُحمّدُ بن هودٍ بالمَرِيَّة سنةَ خَمسٍ وثلاثين كما ذكرناه، واسْتبدَّ وزيرهُ أبو عبد الله محمد بن الرّميمي بها، وضَبَطَها لنَفْسه، وضايقَهُ ابنُ الأَحْمر فبَعثَ بَيْعتَه سنةَ أربعين إلى الأمير أبي زكريّاء، حين أَخَذَ أهلُ شَرق الأَنْدلس بطاعَته. ولم يَزَل ابنُ الأَحْمر يُحَاصِرهُ إلى أن تَغَلَّبَ عليه سنةَ ..................(ب) كما ذكرنا في أَخْباره. وخَرَجَ منها إلى سَبْتَةَ بأهْله

(أ) ظ: العرى (ب) الكلام متصل في نسخة ظ الوحيدة المعتمدة.

وذَخيرته، وأَحَلَّهُ أبو عليّ بن خلاصٍ مَحَلَّ البِرِّ والتَّكْرِمَةِ، وأنزله خارجَ المدينة في بَساتين بَنْيُونِش. وأَجْمَعَ الثّورةَ بابن خلاص فنُذِرَ به وتَغَيَّرَ له. فَلَمَّا رجعَ الأسطولُ من إشْبيليَّة رَكِبَه ابنُ الرّميمي ولَحِقَ بتونس، فنزلَ على الأمير أبي زكريّاء وحَلَّ من حَضرته مَحَلَّ التَّكْرِمَةِ، واسْتوطنَ تونسَ، وتَملَّكَ بها الضِّياعَ والقُرَى، وشيَّدَ القُصورَ إلى أن هَلَكَ سَنةَ .......... والبقاءُ لله وَحْدَه.

## 52 • الخبرُ عن بَيْعة ابن الأَحْمَر

كان محمّد بن الأَحْمر قد انْتَزَى على ابن هودٍ ببَلَده أَرْجُونة، وتَملَّكَ جَيَّانَ وقُرْطُبةَ وإشْبيليَّةَ وغَرْبَ الأندلس، وطَالَتْ فِتْنَتُه مع ابن هودٍ، وراجَعَ طاعتَه، ثُمَّ انْتَفض عليه وبايَعَ للرّشيد سنةَ سِتٍّ وثلاثين، عندَما بايَعَهُ أهلُ إشْبيليَّةَ وسَبْتَةَ، فلمْ يَزَلْ على ذلك إلى أن هَلَكَ الرّشيدُ على حين اسْتِفْحال مُلْك الأمير أبي زكريّاء بإفْريقيَّة وتأْميلِه للنُّصْرةِ والكَرَّة، فحَوَّلَ ابنُ الأَحْمر إليه الدّعوةَ، وأوفَدَ بها أبا بكر بن عبّاس من مَشْيخة مَالِقَة، فرَجَّعَهُم الأميرُ أبو زكريّاء بالأَمْوال للنَّفَقات الجِهادِيّةِ. / ولم يَزَلْ [ أ 23 يُواصِلُها لهم من بعد ذلك إلى أن هَلَكَ سنةَ سبعٍ وأربعين، فأَطْلق ابنُ الأَحْمر نفسَه من عِقالِ الطّاعةِ واسْتَبدَّ بِسُلطانِه.

## 53 • الخبرُ عن بَيْعة سجلْماسَة وانْتِقاضِها

كان عبدُ الله بن زكريّاء الهَزرجي من مَشيخة المُوَحّدِين وَاليًا بسِجِلْماسَة لبَني عبد المُؤمِنِ، ولمَّا هَلَكَ الرّشيد وبُويِعَ أخوهُ السّعيدُ سنة أربعين، ونَمَتْ إليه عن الهَزرجي عظيمةٌ من القَوْل خَشُنَ بها صَدْرُه، وبعثَ إليه مُسْتَعْتِبًا فلم يُعْتِبْهُ ومَزَّقَ كتابَه، فَخَشِيَهُ الهزرَجي على نَفْسه. واتَّصَلَ به ماكانَ من استيلاء الأمير أبي زكريّاء على تِلِمْسَانَ ونَوَاحِيها، فَخَاطَبَهُ بطاعَتهِ، وأَوْفَدَ عليه بَيْعته، فعَقَدَ له الأميرُ أبو زكريّاء على سِجِلْماسَة وأنحائِها، وفَوّضَ إليه في أَمْرها، ووَعَدَه بالمَدَدِ من المَال والعَسْكرِ لحِمايتِها. وخَطَبَ له عبد اللهِ بسِجِلْماسةَ. وفرَّ إليه من مَرَّاكُش أبو زَيْد الكَذْميوي بن واكاك، وأبو سعيد العودُ الرَّطْب. [فلَحِقَ][أ] بتونس، وأَقَامَ أبو زَيْد معه بسِجِلْمَاسة. وزَحف إليه السّعيدُ سنةَ إحدَى وأربعين، وقيل سنةَ أربعين، ومن مُعَسكره كان مَفَرُّ أولئك المَشيخة. وَخَاطَبَ السّعيدُ أهلَ سِجِلْماسَةَ، ودَاخلَهم أبو زَيْد الكَذْميوِي فغدَروا بالهَزرجي وثَارُوا به، فَخَرَجَ من سِجِلْماسةَ وأَسْلَمَهَا وقام بأَمْرها أبو زَيْد الكَذْميوي. وطَيَّرَ بالخبر إلى السّعيد فشَكَرَ له فَعْلَتَه وغَفَرَ له سَالِفَته. وتَقَبَّضَ على عبد الله الهَزرجي بعضُ الأَعْراب وأَمْكَنَ منه السّعيدَ فقَتَلَهُ وبعثَ برَأْسه إلى سِجِلْماسةَ فَنُصِبَ بها، ورَجَعَ من طريقه إلى مَرَّاكُشَ. وأَقَامَتْ سِجِلْماسَةُ على دَعْوة بَني عبد المُؤمن إلى أن كان من خَبَرها ما نَذْكُرُه في مَوْضعهِ.

(أ) في ظ فلَحِقا، ولا معنى للتثنية.

## • 54 الخبرُ عن بَيْعة مِكْناسَة وما تَقدَّمَها من طاعَة بَني مَرين

/ كان بَيْن بَني عبد الوادي[أ] وبَني مَرِين منذُ أَوّلِيتهم وتَقلُّبِهِمْ في القِفار فِتَنٌ وحُروبٌ، ولِكُلٍّ منهما أحلاف في المُناصَرة وأشياعٌ. فلمّا التَاثَتْ دولةُ بني عبد المُؤمِن غَلَبَ كلٌّ منهما على مَوْطنه، وكانت السّابِقَةُ في ذلك لبَني عبد الوادِ، لبُعْدِهم عن حَضْرة مَرَّاكُش حيثُ مَحْشَرُ العساكِرِ ويَعْسُوبُ القَبائِل. [239 ب]

ولمّا اسْتَبَدَّ الأميرُ أبو زكريّاء بأَمْر إفريقيّة ودَوّخَ المغربَ الأوسَط، وافتَتَحَ تِلِمْسَانَ وأطاعهُ بَنو عبد الوادي[أ]، حَذِرَ بَنو مَرِينَ حينئذٍ غَائِلَتَهم وخافُوا أن يُظاهِرَهم الأميرُ أبو زكريّاء عليهم، فألانوا له في القَوْل ولاَطَفُوه على البُعْد بالطّاعَة، وخاطَبُوه بالتّمويل، وأَوْجبوا له حقّ الخِلافه، ووَعَدُوه أن يكونوا أنصارًا لدَعْوته وأعوانًا في أَمْره، ومُقَدِّمَةً في عَسْكره إلى مَرَّاكُش وزَخْفِهِ. وحَمَلوا مَنْ تحتَ أيْديهم من قَبائل المغرب وأَمْصاره على طاعَتهم والاعْتِصام ببَيْعَتهم.

ولم تزلْ المخاطَباتُ بَيْنهم وبَيْن الأمير أبي زكريّاء في ذلك من أميرهم عثمان بن عبد الحقّ وأخيه محمّدٍ من بَعْده، وَرُسلُهُم تَفِدُ عليه بذلك مَرّةً بعد أُخرى إلى أن هَلَكَ الرّشيدُ، وقد اسْتَولَى الأميرُ أبو زكريّاء على تِلِمْسانَ، ودَخلَ في دَعْوته قبائلُ زَناتَةَ بالمغْرب الأَوْسط، واسْتَشْرف أهلُ الأمصار من العُدْوَتَين إلى إيالَتِهِ. وكان أهلُ مِكْنَاسَةَ قد اعْتَصموا بوُصْلَةِ الأمير أبي يَحيى بن عبد الحقّ، وجاءَهم وَالٍ من مَرَّاكُش وأساءَ فيهم السّيرةَ،

(أ) كذا في نسخة ظ.

فتَوَثّبوا به وقَتَلوهُ، وبَعَثوا إلى الأمير أبي يحيى بن عبد الحقّ فحَملَهم على بَيْعة الأمير أبي زكريّاء، فأنفذُوها من إنْشاء قاضيهم أبي المطرّف بن عُمَيْرة، سنةَ ثلاثٍ وأربعين. وضمِن أبو يحيى بن عبد الحقّ حِمايتهم خلالَ ما يأتيهمْ أمرُ السّلطان من تُونِس ومَدَدُهُ. وبلَغَ الخبرُ إلى السّعيد فأَزْهَرَ جَدَّهُ، واعْتزَمَ على النّهوض إليهم، فخامَرهُم الرّعْب وراجعُوا طاعَتَهُ، وأوْفدوا صُلَحاءَهم وعُلَماءَهم في الإقالَة واغْتِفار / [240] الجريرَةِ، فتقبّلَ ذلك؛ إلى أن كانَ من حركَته بعد ذلك ومَهْلِكِه ما [هو](أ) مَعْروف.

## 55 • الخبرُ عن مَهْلِكِ الأمير أبي يَحيى زكريّاء وَليّ العَهْد مكانَ إمارَته من بِجايَة، وتصْييرِ العَهْد إلى أخيه محمّد .

كان الأميرُ أبو زكريّاء قد عقَدَ لابنه أبي يَحيى زكريّاء على ثَغْر بِجَايَة قَاعِدَةِ مُلْك بَني حمّاد، وجعَلَ إليه النّظَرَ في سائر أعمالها من الجزائِر وقُسُنْطِينةَ وبُونَةَ والزّاب سنةَ ثَلاَثٍ وثلاثين -كما ذكرنَاهُ- فاسْتقَلَّ بذلك. وكان بمكانٍ من التّرشيح للخِلافة بنفْسه وخِلاَلهِ وانتِظامِه في سِلْك أَهْلِ العِلْم والدّين وأساسِ العَدْل، فوَلاّه الأميرُ أبو زكريّاء عهدَه سنةَ ثمانٍ وثلاثين، وأحضَرَ الملأَ لذلك وأَشْهدَهُم في كتابه، وأوْعَز بِذِكْرِهِ في الخُطْبة على المنابِر مع ذِكْرِهِ. وكتبَ إليه بالوَصيّة التي تداوَلَها النّاس من كلامه، ونَصُّها:

إعْلَمْ، سَدَّدَكَ الله وأرْشَدَكَ، وهَداكَ لما يُرْضِيهِ وأَسْعَدَكَ، وجعَلَكَ مَحمودَ السِّيرَة مأمونَ السَّريرَةِ، أنَّ أوّلَ ما يجِبُ على من اسْتَرْعَاهُ الله في

(أ) إضافة لما استقطه الناسخ سهوًا.

خَلْقه وجَعَلَهُ مَسؤولاً عن رَعِيّته في جُلّ أَمْرِهم وَدِقِّهِ، أنْ يُقدّمَ رضاءَ اللهِ جلَّ وعَلاَ في كلِّ أمرٍ يحاوِلُهُ، وأن يَكِلَ أَمْرَهُ وحَوْلَه وقُوّته لله، ويَكُونَ عملُهُ وسَعْيُهُ وذَبُّهُ عن المسلمين وحَرْبُه وجِهادُهُ للمُؤمنين بعدَ التَوَكُّلِ عليه والبراءةِ من الحَول والقُوّة إليه. ومَتَى فَجأَكَ أمرٌ مُقْلِقٌ أو وَرَدَ عليكَ نبأٌ مُزْهِقٌ، فَرِيِّضْ لُبّكَ، وسَكِّنْ جأشَك، وارْعَ عواقِبَ أمْرٍ تأْتيهِ، وَحَاوِلْهُ قبلَ أن تَرِدَّ عليه وتُفْشِيه(أ)، ولاَ تُقْدِمْ إِقْدَامَ الجاهِلِ، ولاَ تُحْجِمْ إحْجَامَ الأَخْرق المُتَكَاسِلِ. واعْلَمْ أنَّ الأَمْرِ(ب) ........ مَجَالَهُ، وقَصّرَ عن مُقاوَمتِه رِجَالُهُ، [فمِفْتَاحه](ج) الصّبر والحَزَامَةُ، والأَخْذُ مع عُقَلاء الجَيش ورُؤسائِهم وذَوي التّجارب من نُبَهائِهم، ثُمَّ الإقْدامُ عليه، والتّوكّلُ على الله فيما / لَدَيْه، [240 ب] والإحسان لكبير جَيْشِك وصَغيرِه، الكَبِيرُ على قَدْرِه. ولا تُلْحِقْ الحقيرَ بالكبير فتُجَرّئَ الحقيرَ على نَفسك وتُغَلِّطَه في نَفْسهِ، وتُفْسِدَ نِيّةَ الكبير وَتُؤْثِرَهُ عليكَ، فيكونَ إحسانُك إليه مَفْسَدَةً في كِلاَ الوَجْهين، وتُضَيِّعَ إحسانَك، وتُشَتِّتَ نُفوسَ من معك.

واتَّخِذْ كَبِيرَهم أبًا وصغيرَهم ابنًا. ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [سورة الإسراء، من الآية 34] ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 159].

واتَّخِذْ نفسَكَ صغيرةً وذاتَك حقيرةً، وحَقِّرْ أمورَك، ولا تَسْتَمِعْ أقوالَ الغالِطين والمُغَلِّطين فإنّكَ(د) أعظمُ النّاس قدرًا وأكثرُهم بَذْلاً وأحسنُهم سيرةً وأَجْمَلُهم صبرًا، فذلك غَرَرٌ وبُهْتانٌ وزُورٌ.

(أ) الفاء في ظ أقرب إلى حرف الغين

(ب) كذا في ظ، وفيه سقط. قد يكون مشروطا لوجود فاء السببيّة بعده، مثل: أن الأمر [إذا اضطرب] مجاله

(ج) ظ: فمتاحه

(د) كذا وصوابه : بأنك.

واعلَمْ أنّ من تواضَع لله رفَعه اللهُ. وعليكَ بِتفقُّد أَحْوال رَعِيّتك، والبحْثِ عن عُمَّالِهم، والسّؤالِ عن سَيْرِ قُضاتِهِمْ فيهم، ولاتَنَمْ عن مَصالِحِهم، ولاتُسامِحْ أحدًا فيهِمْ، ومَهْما دُعِيتَ لكَشْف مُلِمَّةٍ فاكْشِفْها عنهم، ولاتُراعِ فيهم كبيرًا[أ] ولا صغيرًا إذا عَدَلَ عن الحقِّ. ولاتُراعِ في فاجِرٍ أو مُتَصَرِّفٍ في ظُلْمِهم إلاًّ ولاذِمَّةً. ولا تَقْتصِرْ على شَخْص واحدٍ في رَفْع مَسائل الرّعِيَّةِ[ب] والمَظْلومين، ولا تَقِفْ عندَ مُراده في أَحْوالهم، واتَّخِذْ لنَفْسك ثُقَاةً صادقينَ مُصَدَّقين لهم في جانب الله أَوْفَرُ نَصيبٍ، وفي رَفْع مسائِل خَلْقه إليكَ أسرعُ مُجيبٍ. وليَكُنْ سُؤالُك لهم أفذاذًا، فإنّك متى اقتصرْتَ على شَخْص واحدٍ في نَقْلِهِ ونُصْحِهِ حَمَلَهُ الهوَى على المَيْلِ، ودَعَتْهُ الحَمِيّةُ إلى تجنّبِ الحقِّ وتَرْكِ قولِ الصّدقِ.

وإذا رَفَعَ إليكَ أحدٌ مظلمةً وأنتَ على طَريقٍ، فادْعُهُ إليك وسَلْهُ حتّى تُوضّحَ قِصّتَه لك، وجَاوِبْهُ جوابَ مُشْفِقٍ مُصْغٍ إلى قَوْله، مُصيخٍ إلى نازِلَته ونَقْله، ففي إصاخَتِكَ له وحُنُوِّكَ عليه أكثرُ تأنيسٍ، وللسّياسة والرِّئاسة في نُفوس الخاصّة والعامّة والجُمْهور أعظمُ تأْسيس. واعْلَم أنَّ دِماءَ المسلمينَ وأموالَهم حرامٌ على كلّ مُؤْمنٍ بالله واليَوْم الآخرِ، إلاّ في حقٍّ أَوْجَبَهُ الكتابُ والسنّةُ، / وعَضَدَتْهُ الأقاويلُ الشّرعيّةُ والحُجّة، أو في مُفْسِدٍ عائِثٍ [241أ] في طُرقات المسلمين وأَمْوالهم، جارٍ على غَيِّهِ في فَساد صَلاحِهِم وأَحْوالهم، فلَيس إلاّ السَّيْف، فإنّ أَثَرَهُ عَفَاءٌ، ووَقْعَهُ لداء الأَدْمِغَة الفاسِدة دَواءٌ. ولاَ تُقِلْ عَثْرَةَ حَسُودٍ على النِّعَمِ عاجِزٍ عن السّعي، فإنَّ إقالَتَهُ تَحْمِلُهُ على القَوْل،

(أ) ظ: كبير (ب) ظ: الرغبة.

والقولُ يَحمِلُهُ على الفِعْل، ووَبالُ عَمله عائدٌ عليك، فاحْسِمْ داءَه قبلَ انتِشاره، وتدارَكْ أمرَه قبلَ إظْهارِهِ.

واجعَلِ الموتَ نُصبَ عينَيْك، ولا تَغتَرَّ بالدّنيا وإن كانت في يديك، فإنّك لا تَنقلِبُ إلى ربّك إلاّ بما قَدَّمتَهُ من عَملٍ صالحٍ، ومَتجَرٍ في مَرْضاته رَابح. واعْلَمْ أنّ الإيثَارَ أربحُ المكاسِب، وأنجحُ المطالب، والقَناعةُ مالٌ لاَ يَنفذُ. وقد قال بعض المفَسّرين في قوله عزّ من قائلٍ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾: [سورة الصفات، الآية 78] إنّهُ الثّناءُ الحسَنُ في الدّنيا على ما خَلَّد فيها من الأعمال المشكورة، والفِعْلات الصّالحة المذكورة. فيَكْفِيكَ من دُنياك ثَوبٌ تَلْبَسُهُ وفَرَسٌ تَذُبُّ به عن عِبادِهِ.

وأَرجو أنّكَ متَى جَعَلْتَ وصيّتي هذه نُصبَ عينَيكَ لن تَعْدَمَ من ربّك فَتحًا يُيسّرُهُ على يَديك، وتأْيِيدًا مُلاَزِمًا لا يَبرحُ عنك إلاّ إليك، بِمَنِّ اللهِ وحَوْله وطَوْله. والله يجعلُك ممّن سَمِعَ فوعَى، ولَبّى داعِيَ الرُّشْد إذ دَعَا، إنّهُ على كلّ شيءٍ قَديرٌ، وبالإجابَة جَديرٌ، ولاحَوْل ولا قُوّة إلاّ بالله العَليّ العَظيم، وحَسْبنا الله ونِعْم الوَكيل. تَمّتِ الوَصِيّةُ المباركة.

فَعَظُمَ تَرْشِيح الأمير أبي يحيى زكريّاء لذلك، وعَلا في الدّولة كَعْبُهُ، وَقَوِيَ عند الكافّة تأميلُه، وهو بحالةٍ من النّظَر في العِلْم والجُنوح إلى الدّين، إلى أن هَلَكَ سنةَ سِتٍّ وأربعين، فَأَسِيَ له السّلطان، واحْتفَل الشّعَراءُ في رِثَائِه وتأْبِينه، فكانوا يُثِيرُونَ بذلك شَجْوَ السّلطان وَيَبْعثُونَ حُزْنَه.

وَعقَدَ العَهْدَ مِنْ بَعْده لأَخيه الأمير أبي عبد الله / محمّدٍ بحُضور [241ب] المَلأ، وإيداع الخاصّة كتابَهم بذلك في السّجِلّ، إلى أن كان من خِلافته ما نَذْكُر بَعْدُ.

## 56• الخبرُ عن مَهْلِكِ السّلْطان أبي زكرِيّاء، وما كان في عَقبه من الأَحْداث

كان السّلْطانُ أبو زكريّاء قد خَرجَ من تُونِس إلى جِهة قُسَنْطينة للإشْراف على أَحْوالها. ووَصَلَ إلى باغايَة فعرضَ العساكرَ بها، ووافَتْه هنالِكَ الذّواوِدَةُ وشَيْخُهم موسى بن محمّد، وكان منه اضْطِرابٌ في الطّاعة، فاسْتقامَ. وأصابَ السّلطانَ هنالك المرضُ فرجَعَ إلى قسُنْطِينةَ ثُمّ أبَلَّ من مَرضِه، ورَحَلَ منها إلى بُونَةَ فَراجَعهُ المرضُ. ولـمّا نَزَلَ بظاهر بُونَةَ، اشْتَدَّ به مَرضُه وهَلَكَ لسَبْعٍ بقِينَ من جُمادَى الآخِرة سنةَ سبْعٍ وأربعين، لثِنْتَيْن وعشْرين سنة من ولايته. ودُفن بجامع بُونَةَ، ثُمَّ نُقِل شِلْوُه بعدَ ذلك إلى قُسَنْطيَنةَ سنَةَ ستٍّ وسِتِّينَ بين يدَيْ حِصار النَّصارَى تُونِسَ. وبُويِعَ [إثْرَ](أ) مَهْلِكه ابنُه وَلِيُّ عَهْده أبو عبد الله محمّد كما نَذْكرهُ. وطَارَ خبرُ مَهْلِكه في الآفاق، فانْتَقَضَ كثيرٌ من أهل القاصِية، وتَمَسَّكَ بها يَغْمَراسِنُ بن زيّان صاحب المَغرب الأَوسط، فلَمْ يزَالوا عليها حينًا من الدّهر إلى أن انْقَطعتْ في حِصار تِلِمْسَانَ، كما نَذْكُره.

(أ) ظ: ابن.

ولـمّا بلغَ الخبرُ بمهْلِكِه إلى سِبْتَةَ، وكان بها أبو يحيى ابن الشّهيد من قِبَل الأمير أبي زكرِيّاء كما ذكرْناه، وأبو عَمود بن أبي خالد والقائد شُقَّاف، فثارَتْ العامّةُ وقُتِلَ ابن أبي خالدٍ وشُقّاف، وطَرَدُوا ابن الشّهيدَ فلَحِقَ بتُونِس. وتوَلّى كِبْرَ هذه الثّورة حَجْبون الرّنْداحي بمُداخَلة أبي القاسم العَزَفي[1]. واتّفق الملأُ على وِلاية العَزَفي، وحَوّلُوا الدَّعْوةَ للمُرتَضَى، وذلك سنةَ سبْعٍ / وأرْبعين، وتَبِعَهُم أهلُ طَنْجَةَ في الدّعوة، واسْتَبَدَّ بها ابنُ الأَمين وهو يوسفُ بن محمّد بن عبد الله بن أحْمد الهَمْداني، كان وَاليًا عليها من قِبَل أبي عليّ بن خَلاص، فلَمَّا صارَ الأمرُ للعَزَفِيّ والقائِد حَجْبون الرّنْداحي خالَفَهم هو إلى الدّعْوة الحفْصِّية، واسْتَبدَّ علَيهم، ثمّ خَطَب للعبّاسي وأشْرَكَ نفسه معه في الدُّعاء، إلى أن قَتلَه بَنو مَرِين غدرًا، كما نَذكُره. وانْتَقل بَنُوهُ إلى تُونِس ومعهم صِهْرُهم القاضي أبو الغنَم عبدُ الرّحمن بن يَعْقوب من جالية شاطِبَةَ، انْتَقل هو وقومُهُ إلى طَنْجَةَ أيّامَ الجَلاء فنَزَلوا بها، وأَصْهَرَ إليْهم بَنو الأمين وارْتَحلوا معَهم إلى تونس، وعُرِفَ دِينُ القاضي أبي القاسِمِ وفضله[أ] ومَعْرفتُه بالأَحْكام والوثائِق، واسْتُعْمِلَ في خطّة القَضاء بالحَضْرة أيّامَ السّلطان، وكان له فيها ذكْرٌ. [242 أ]

ولـمّا بَلَغَ الخبرُ بـمَهْلِكِ الأمير أبي زكرِيّاء إلى صِقِلِيّةَ أيضًا وكان المسْلمون بها في مَدينة بَلَرْم قد عَـقَدَ لهم السُّلطانُ مع صاحِب الجَزيرة على

(أ) في الأصل ظ: فضلمه.

(1) البيان المغرب 5: 397 "كان المُعينُ له في ذلك والمدبر له في الأمر هنالك القائد للبحر حينئذ وهو أبو العباس الرنداحي، فقد كانت بينهما مودّة عظيمة".

الاشْتِراكِ في البلَد والضّاحية، فتَساكَنُوا، حتّى إذْ بَلَغَهُمْ مَهْلِكُ السّلطان، بادَرَ النّصارَى إلى العَيْثِ فيهم، فلَجأوا إلى الحُصون والأَوْعار، ونَصَّبُوا علَيْهم ثائرًا من بَني عَبْس. وحاصَرهم طاغيةُ صِقِلِّيّةَ بمَعْقَلهم من الجَبل وأحاطَ بهم حتّى اسْتَنْزَلَهُمْ فَأَجازَهُم البحرَ إلى عُدْوَتِه وأَنْزَلَهُم لُوجَارة من عَمائِرها. ثُمَّ تعَدَّى إلى جَزيرة مَالَطَةَ فأخرج المسلمينَ الذين كانوابها وأَلْحَقَهم بإخْوانِهم، واسْتَولَى الطّاغِية على صِقِلّيَةَ وجزائِرها، ومَحَا منها كلمةَ الإسْلام بكلمة كُفْره. والله غالِبٌ على أَمْره.

## 57 • الخبرُ عن بَيْعة السّلطان أبي عبد الله المُسْتَنْصر، وما كان في أيامه من الحوادِث.

[242ب] / لـمّا هلكَ الأميرُ أبو زكريّاء بظاهر بُونَةَ سنةَ سَبْع وأَرْبعين كما قَدَّمْناه، اجْتَمعَ النّاس على ابنه الأميرِ أبي عبد الله، وأخذَ له البَيْعةَ عمُّه محمّد اللّحْياني على الخاصّة وسائِرِ أهل المعسكر. وارْتَحلَ إلى تُونِس، فَدَخلَ الحضْرةَ ثالثَ رَجَب من سَنَتِه، فَجَدَّدَ بَيْعتَه يومَ وُصوله، وتَلقَّبَ المُسْتنصِرَ بالله، ثُمَّ جدَّدَ البيْعَةَ بعد حين، واخْتارَ لوَضْع علاَمته: الحمْدُ لله والشّكْرُ لله. وقامَ بأَعْباءِ مُلْكه، وتَقَبَّضَ على خاصّة أبيه(أ) الخَصِيّ كافور، كان قَهْرمانَ دارِه، فأَشْخَصه إلى المهديّةِ. وأَوْعَزَ إلى الجِهات بأخْذِ البَيْعةِ على أَهْل العَمالات فَتَرادَفَتْ(ب) من كلّ جانب. واسْتَوْزر أبا عبد الله بن

(أ) ظ: ابنه (ب) ظ: افتدارفت. تداخل الحروف من سهو الناسخ.

أبي مَهْدي، واستَعْمل على القَضاء أبا زَيْد [التَّوْزَري](أ)، وكان يُعَلِّمُ ولَدَ عَمّه محمّد اللّحياني الثّائر علَيْه، كما نذكُرُه.

## 58• الخبرُ عن ثَوْرة ابنِ عمّه محمّد اللِّحْياني، ومَقْتَلِه ومَقْتلِ أبيه.

كان للأمير أبي زكريّاء من الإخْوَة اثْنانِ: محمّدٌ، وكان أَسَنَّ منه، ويعرف باللّحياني لطول لِحْيَته، والآخرُ أبو إبراهيم، وكان بَيْنهم من المُخالَصة والمُصافاة ما لاَ يُعَبَّرُ عنه. ولمَّا هَلَكَ الأميرُ أبو زَكريّاء، وقام بالأَمْر ابْنُه أبو عبد الله المُسْتَنْصر، واستَوْزر محمّدَ بن أبي مَهْدي الهِنْتاتي، وكان عظيمًا في قَوْمه، فأَمَّلَ أن يَسْتَبِدَّ عليه لمكان صِغَره، إذ كان في العِشْرين ونَحْوِها، واسْتَصْعبَ عليه حَجْرَ السّلطان ما كان له من الموالي المعْلُوجَى والصّنائع من بُيوت الأَنْدلس. فقد كان أبوهُ اضْطنَعَ مِنْهم رجالاتٍ، ورَتَّب جُنْدًا كَثَّرُوا المُوحِّدينَ وزَاحَمُوهم في مَراكِزِهم من الدَّوْلَة، فداخلَ ابنُ أبي مَهْدي أَخَوَيِ السّلطان وبَعثَ عندهُما الأسفَ على ما فاتَهما من الأَمْر، فلم يَجِدْ عندَهُما ما أَمَّلَ / من ذلك. فَرَجَعَ إلى ابن محمّد [243أ]
اللِّحياني فأجَابَهُ إلى ذلك، وبَايَعَهُ ابنُ أبي مَهْدي سِرًّا ووَعَدهُ المُظاهرةَ.

ونُمِيَ الخبرُ بذلك إلى السّلطان من عَمّه محمّدِ اللّحياني وحَذَّرهُ من غائِلَةِ ابنِه، وأَبْلَغَهُ ذلك أيضًا القاضي أبو زَيْد التَّوْزَرِي مُتَنَصِّحًا. وباكَرَ ابنُ

(أ) ظ: الثوري، وضبطت حسب مخطوطة الخزانة الحسنية وبما يرد في الفصل التالي.

أبي مَهْدي مَقْعدَه للوزارة بباب السّلطان لعِشْرين من جُمادى سنةَ ثمانٍ وأرْبعين، وتَقَبّضَ على الوزير أبي زَيْد بن جامِعٍ، وخَرَجَ ومَشْيخةُ المَوحّدين معه فبايعُوا لابن محمّد اللِّحْياني بدَارِه. واسْتَرْكَبَ السّلطانُ أولياءَه وعَقَدَ للقائد ظافرٍ على حَرْبهم، فخرجَ في الجُنْد والأولياء ولَقيَ المُوحّدينَ بالمُصَلّي خارجَ البلد، ففَضَّ جَمْعَهم وقَتَلَ ابنَ أبي مَهْدي وابن وازكلدن. وسارَ ظافرُ مولَى السّلطان إلى دار اللِّحْياني عَمّ السُّلطان فقَتَلَه وابنَهُ صاحبَ البَيْعة، وحَمل رَأْسَيْهما إلى السّلطان، وقَتَلَ في طَريقه أخاهُ أبا إبراهيم وابنَه، وانتُهِبَتْ مَنازلُ المُوحِّدين وخُرِّبَتْ. ثمّ سَكَنَتِ الهَيْعَةُ وهدَأت الثّائِرة، وعَطَفَ السّلطانُ على الجنْد والأَوْلياء وأهْل الاصْطِناع فَأَدَرَّ أَرْزاقَهم ووَصَل عَقْدَهم، وأعادَ عبدَ الله بن أبي الحُسَين إلى مَكانه بعد أن كان هُجِرَ أَوّلَ الدّولة، وتَزَحْزَحَ لابن أبي مَهْدي عن زَلّتِه وتَضَاءَلَ لاسْتِطالَته، فرجَع إلى حاله واسْتَقامَتِ الأمورُ على ذلك. ثمّ سُعِيَ عند السّلطان بمولاهُ ظافر وقَبّحُوا عنْدهُ ما أَتَاهُ من الافْتِياتِ في قَتْل عَمّه من غَيْر جُرْمٍ، وَنُذِرَ بذلك، فَخَشِيَ البادرَةَ ولَحِق [بالذّواودة](أ). وكان المُتَوَلّي لِكِبْرِ هذه السّعاية هلالٌ مولاه، فعَقَد له مكانَه، واسْتقَرَّ ظافرٌ في جوار العَرب طريدًا، إلى أن كانَ من أَمْره ما نَذكرُه.

(أ) في ظ: الدولة. وتوضحه الفقرة التالية عن استقراره جوار العرب، والفازع إلى الذواودة. انظر الفصل التالي رقم 60 في "الخبر عن فرار أخيه أبي إسحاق وبيعة رياح له".

## 59 • الخبرُ عن الآثار التي أَظْهرَها السّلطانُ في أيامِه.

فمنْها: شُروعُه في اختِطاط المَصانع المُلوكِيّةِ، وأوّلُها المَصِيد بناحية / بِنْزَرت، اتّخذه للصّيْد سنةَ خمسين، فَأَدَارَ سِيَاجًا على بَسِيط من الأَرْض قد خرجَ نِطاقُه عن التّحديد، بحيث لاَ يُرَاعُ فيه سِرْب الوَحْش، فإذا رَكِبَ للصّيْد تخطّى ذلك السّياجَ إلى قَوْرَاءَ(أ) في لُمَّةٍ من مَواليه المَختَصّين وأصحاب بَيْزَرَتِهِ، بما مَعهم من الجَوارح بُزَاةً وصُقُورًا وكِلابًا سُلُوقِيّةً وفُهُودًا، فَيُرْسِلُونَهَا على الوَحْش في تلك القَوْرَاءِ، وقد وثِقُوا باعْتِراض البِناء لها من أَمام، فَيَقْضِي وَطرًا من ذلك القَنيص سائرَ يَوْمه، فكان ذلكَ من أَفْخم ما عُمِل في مِثْلها. [243 ب]

ثم وَصَلَ ما بَيْن قُصوره ورياض رَأس الطّابِية بحائِطَين ممتدّيْن - يجوزان عرضَ العشرة أَذْرع أو نحوها - طريقًا سالِكًا ما بينهما، وعلى ارْتِفاع عشرة أذْرعٍ يَحْتَجِبُ به الحُرُمُ في خُروجِهِنّ إلى تلك البساتين عن أن تقعَ العَينُ عليهِنَّ، فكان ذلك مَصْنعًا فخمًا وأثَرًا على أيّام الدّولة خالدًا.

ثمّ بَنَى بعدَ ذلك الصّرحَ العالي بفناء داره، ويُعْرَفُ بقُبّةِ أساراك، وأَسَارَاكْ باللّسانِ المصْمودي هو القَوْراء الفَسيحة. وهذا الصّرح هو إيوانٌ مُرتَفِعُ السّمْك، مُتباعِد الأقطار، متّسعُ الأرجاء، يُشْرَعُ منه إلى الغرب، وبجانبَيْه ثلاثةُ أبوابٍ، لكُلّ بابٍ منها مصراعان من الخشب مُؤَلَّف الصّنْعة، يَنُوءُ كلّ مصراعٍ منها في فَتْحه وغَلْقه بالعُصْبَةِ أُولي القُوّة. وَيُفْضِي بابُها

(أ) ظ: قورة، وهو سهو من الناسخ صوابه ما أثبتناه كما يأتي مصححًا في النص. والمعنى، أنه يدخل بعد اجتياز السياج إلى رقعة من الأرض واسعة. واللّمة هي الرفقة المونسة.

الأعظم المقابِلُ لسَمْتِ الغَرْب إلى مَعارِجَ قَدْ تَصَدَّتْ للظّهور عليها، عريضةٍ ما بين الجوْف إلى القبلة بعَرْض الإيوان، يُنَاهِزُ عددُها الخمسين أو نحوَها، ويُفْضِي البابان عن جانبيه إلى طريقَيْن ينتهيان إلى حائط القَوْرَاءِ، ثُمَّ يَنعطِفان على سَمْتِ الغرْب مُتَسَاهِلَيْنِ في صبوب كأنّها عَقَبةٌ غيرُ كَؤودٍ، حتّي يُفْضِيان إلى ساحةِ القَوْراء، يَجْلِسُ السّلطانُ فيها على أريكته مقابلَ الدّاخل أيّامَ العَرْض والوُفود ومشاهدِ الأعْياد. فجاءَتْ من أَفْخم الأَواوين وأَحْفَلِ المَصَانِعِ التّي تَشْهَدُ بأُبَّهَةِ المُلْك وجَلالة الدَّولة.

[244أ] واتّخذَ / أيضًا بخارج حَضْرته البستانَ الطّائرَ الذّكر المعروفَ بأبي فِهْرٍ، يَشْتَمِلُ على جَنّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ، اغْتَرَسَ فيها من شَجَرَةِ كُلّ فاكهةٍ، من أصناف التّينِ والزّيتُونِ والرُّمان والنّخيل والأعْنابِ وسائِرِ الفَوَاكِهِ وأَصْناف الشَّجَرِ. وَنضَّدَ كُلَّ صِنْفٍ منها في دوحة، حتّى لقد اغْتَرَس من السِّدْر والطّلْح والشّجَر البرّي، وسَمّى دَوْحَ هذه بالشَعْرَاءِ. واتّخَذَ وَسَطَهَا البساتينَ والرِّيَاضَاتِ بالمَصَانِعِ والحوائز وشَجَرِ اليَاسَمِين والخَيْرِيِّ والنَيْلوفَرِ وأَمْثاله. وجَعَلَ وَسَط هذه الرّياض رَوْضًا فَسِيحَ السّاحَة، وصَنَع فيه للماء حائِزًا من عِدَادِ البُحورِ، جلَبَ إليه الماءَ في القَنَاةِ القَدِيمة كانت ما بَيْن عُيُونِ زَغْوَانَ وقَرْطاجَنَّةَ، تَسْلُكُ بَطْنَ الأرض في أماكن البناء العَادِي، ذَا الهياكل المَاثلَةِ والقِسِيِّ القَائِةِ على الأرْجُل الضّخمة، في أخرى، فَعَطَفَ هذه القناةَ من أقرب السُّموتِ إلى هذا البُسْتان، وأَمْطَاهَا حائطًا وَصَلَ ما بَيْنهما حتّى يَنْبَعِثَ من فَوْهَةٍ عظيمة إلى جُبٍّ عَميقِ المَهْوَى، رَصِيفِ البناء، مُتَباعِدِ الأَقْطَارِ، مُرَبّعِ الفِنَاءِ، مُجَلَّلٍ

بالكِلْسِ، إلى أن يُفعِمَهُ[أ] المَآءَ فَيُرْسِلَهُ في قَناة أخرى قَرِيبَهِ الغَايَةِ، [فَيَصُبُّ][ب] في الصّهريجِ إلى أن يَفْهَقَ حَوْضُهُ، وتَضطَرِبَ[ج] أمواجُهُ. وتَتَرفَّهُ الحظَايَا عن السعي بِشَاطِئِهِ لبعد مداه، فَيَرْكَبْنَ فِي الجَوَارِي المُنْشَآتِ بِثَجِّهِ[1] فَيَتَبارَى بهِنَّ تَبارِي الفَيْج[2]. ومَثَلَتْ بطرفَيْ هذَا الصّهريجِ قُبَّتَانِ مُتقابلتان، كبرى وصغرى، على أَعْمِدَةِ المَرْمَرِ، مُشَيَّدَة جوانِبُهَا بالرّخَام المُنَجَّدِ، ورُفِعَتْ سُقُفُهَا من الخَشب المُقَدَّرِ بالصنائع المحكمةِ والأشكال المُنَمَّقَةِ، إلى ما اشْتَمَلتْ عليهِ هذه الرِّيَاضُ من المَقَاصِيرِ والأواوين وَالحَوَائِزِ والقُّصورِ، ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾[سورة الزمر، من الآية20]. وتَأَنَّقَ في مَبانيه هذه، واسْتَبلَغَ، / [244 ب] وعَدَلَ عن مَصَانِعِ سَلَفِهِ ورِيَاضِهم إلى مُنتَزَهَاتِهِ من هذه، فَبَلَغَ فِيهَا الغَايَةَ في الاحتفال وطَارَ لها ذِكْرٌ في الآفاق.

(أ) ظ: يفمعه (ب) ظ : فيسحب (ج) ظ: يصطرب.

---

(1) بسيل الماء.

(2) محملة في ظ المنفردة، ومعنى الفيْج: رسول السلطان الّذي يسْعَى على رجلَيه، فيُسْرع للتبليغ.

## 60 • الخبرُ عن فِرار أخيه أبي إسْحاق وبَيْعَةِ رِياحٍ له، وما قارنَ ذلك من الأحْداث.

كَانَ الأميرُ أبو إسحاق في إيالة أخيه المُسْتَنْصِر، وكان يُعاني من خلَفِه(أ) ومَلَكَتُهُ عليه شِدَّةٌ، وكان السّلطانُ يَخَافُهُ على أَمْره. وخرجَ سنةَ إحدى وخمسين لبَعْض الوُجوه السّلْطانِيَّة، فَفَرَّ الأميرُ أبو إسْحاق من مُعَسْكره ولحق بالذّواوِدَةِ من رِيَاحٍ، فبايَعُوهُ بِزَرَايَا من نَواحي نَقاوُسَ واجْتَمَعُوا على أمره، وبَايَعَ لَهُ ظَافِرٌ مَوْلى أبيه الفازعُ إليهم، واعْتَقَدَ مِنْهُ الذِّمَّةَ والرُّتْبَةَ، وقَصَدُوا بِسْكِرَةَ وحاصَرُوهَا، ونَادَى بِشِعَارِ طاعَتِهم فضلُ ابن علي بن الحسن بن مُزْني من مَشْيَختها، وائْتَمَرَ به الملأُ لِيَقْتُلُوهُ، فَفَرَّ إليه وصارَ في جُمْلَتِهِ. ثمّ بايعَ له أهلُ بِسْكِرَةَ ودَخلُوا في طاعَته. ثمّ ارْتَحلُوا إلى قَابِس فنازَلُوهَا، واجْتَمَعتْ عليه الأَعْراب من كلِّ أَوْبٍ. وأَهَمَّ السُّلطانَ شَأْنُهُ، وتَقَبَّضَ على وُلْده فَحَبَسَهُمْ بالقَصَبة جميعًا، ووَكَّلَ بهم من يَحُوطُهم. وأَلْطَفَ ابنُ أبي الحسَين الحيلةَ في إفْسَادِ بَيْن الأمير أبي إسْحاق ومَوْلاه ظافِرٍ، بتحذير ألقاه إلى أخيه بالحضرة تَنَصُّحًا، فبعث به إلى أخيه، فَتَنَكَّرَ لظافرٍ وفارَقَه. وسار إلى المَغْرب، ثُمَّ لَحِقَ بالأَنْدَلُس، وافْتَرَقت جُمُوعُ الأَمير أبي إسْحاق فَلَحِقَ بِتِلِمْسَانَ، وأجَازَ مِنْها إلى الأَنْدَلس، ونَزَلَ على السّلطان محمّد بن الأَحْمر، فرعَى له عَهْدَ أبيه وأَسْنَى له الجِرَايَةَ، وشهِد هنالك الوقائعَ وأَبْلي في الجِهاد. ولم يَزَلْ السّلطانُ المسْتَنْصرُ يُتَاحِفُ ابنَ الأَحْمر ويُهَادِيهِ، ويُوفِدُ عليه مشيخةَ المُوَحِّدِين مُصانَعَةً في شَأْنِ أخيه

(أ) كذا في الأصل: خَلَفَه، وهي وَجْه قراءة لِمَا يردُ من تقبّض المستنصر على وُلْده.

[245 أ] واسْتِجْلاَءَ لحاله إلى أن هلكَ، وكان من وِلاية أخيه أبي / إسْحاق ما نَذكره. ولِحِينِ مَهْلِكه، أَجَازَ ظافرٌ من الأَنْدَلُس إلى بِجَايَةَ، وأَوْفَد وَلَدَهُ على الواثِق مُسْتَعْتِبًا ورَاغِبًا في السَّبيل إلى الحَجّ، وقَلِقَ المُسْتَوْلي على الدّولة بمكانه.

ورَاسَلَ شَيْخَ المَوَحِّدين أبا هِلالٍ عبّادَ بن محمد الهِنْتاتي صاحبَ بِجاية في اغْتِياله عن قَصْدِه، فذَهَب دَمُه هَدَرًا وبَقِيَ ولَدُه عنْدَ بني تُوجّين، حتّى جاؤُوا فيجُمْلة السّلطان أبي إسْحاق. وبيد الله تصاريف الأمور.

## 61 • الخَبرُ عن بَني النُّعمان ونكْبَتِهم، والخروج إثْرَها إلى الزّاب.

كان بَنو النُّعْمان هؤلاء من مَشْيَخة هِنتاتة ورُؤسائِهم، وكان لَهم في دَوْلة الأمير أبي زكرِيّاء ظهورٌ ومكانٌ، وَخلَصَتْ ولاية قُسُنْطِينة لهم يَسْتَعمِلُون عليَها من قَرابَتِهم، واتَّصلَ لهم ذلك أوّلَ دَوْلة المُسْتَنْصر، وكان كبيرَهم أبو علي وتلْوَه ميمونُ وعبدُ الواحِد، وكان لهم في مُداخَلة اللّحْياني أثرٌ. فلَمَّا اسْتَوسَقَ للسّلطان أمْرُه وتَمَهّدَتْ دولتُه، نَكَبَهُمْ وَتَقَبَّضَ علَيْهم سنةَ إحدى وخمسين، فَأَشْخَصَ أبا عليٍّ إلى الإسْكَنْدَرِيَّة، وَقَتَلَ مَيْمونَ وانْقَرض أَمْرُهُمْ.

وَظَهَر إثر ذلك بالزّاب خارجٌ تَسَمَّي بأبي حِمارَة، فَخَرَجَ السّلطانُ من تُونِسَ وقَصَدَهُ بالزّاب، فأَوْقع بهم وبجُموعه وتَقَبَّضَ عليه، وَسِيقَ إلى السّلطان فقَتَلَهُ، وَبَعَثَ برَأْسه إلى تونِس فَنُصِبَ بها. وَقَفَلَ السّلطانُ إلى

مَقَرَّةَ فنزَل بها، وَسَخِطَ وُجوهًا من سُلَيْم من مِرْدَاس ودَبَّاب،كان فيهم رحابُ بنُ محمود ابنُه، فاعْتَقلهم وأَشْخَصهم إلى المَهْدِيَّة فَأَوْدَعهم بِمُطْبَقِها، وَرَجَعَ إلى تُونِس ظَافِرًا غانِمًا.

## 62 • الخبرُ عن بَيْعة مَكّة ودُخولِ أَهْلها في الدَّعْوَة الحفْصِيَّة

كان صاحبُ مَكّةَ ومُتَوَلِّي أمرَها من سادة الخَلْق وشُرفائِهم وَلَدِ فاطِمة، ثُمّ من وَلَدِ ابنِها الحسَن صلواتُ الله عليهم أجمعين: أبو نُمَيٍّ[1] وأخوهُ إدْريس. وكانوا قائِمين بالدّعْوة العبّاسيّة منذ حَوَّلَهَا إليهم بالشّام / ومِصْرَ والحِجاز صلاحُ الدين يوسفُ بنُ أيّوب الكُرْدي[2]، وأَمْرُ [245 ب] المَوْسِم وولايتُه راجعةٌ إليه وإلى بَنِيه ومَواليه من بَعْده إلى هذا العَهْد. وَجَرَتْ بَيْنهم وبَيْن الشّريف صاحب مَكَّة مُغاضبةٌ وَافقَهَا اسْتِيلاَءُ الطَطَر على بَغْداد، ومَحْوُهم رَسْم الخِلافة بها، وظهورُ الدّعْوة الحفْصِيّة بإفريقيّة،

---

(1) يذكر ابن خلدون أنّ أبا نُميّ استبدّ على أمير مكّة ونفى قَتَلةَ أبيه أبي سَعْد إلى اليَنْبُع وهم إدريس وجمّاز ومحمد، وقد كان إدريس منهم وَلي أمر مَكّة قليلا. فانطلقوا إلى الينبع وملكوه، وأعقابهم أمراؤه لهذا العهد، وأقام أبو نُميّ أميرًا بمكّة نحوًا من خمسين سنة، وهلك على رأس المائة السابعة أو بعدها بسنتين. (العبر 7: 325). فإدريس هو ابن حسن من بني قتادة أمراء مكة بعد الهواشم، وأخواهُ كما في مشجّر نَسَبه الذي رَسَمه ابن خلدون هما جمّاز وأحمد (كذا). أمّا أبو نميّ فهو ابن علي بن قتادة. فإدريس هو ابن عمّه حسن وليس أخاه. (العبر 7: 330).

(2) الخلاف في نسب الأيوبيين قديم، والصحيح أن لهم خؤولة في الأكراد وليسوا منهم. يؤكّده ما كتبه الملك الأمجد الحسن بن الناصر داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل محمد بن أيوب: "المشهور عند بيْتنا أنّ جدّنا نزل على الأكراد وتزوّج منهم، فصارت بيننا وبينهم خؤولة لا غير، كما بيننا وبين الأتراك، فإنّ جماعة من أسلافنا تركيات. ودَلّلَ الملك الأمجد على ذلك بأدلّة مقبولة". انظر الملك الناصر داود ابن عيسى الأيوبي: الفوائد الجليّة في الفرائد الناصريّة 57 .

وتَأميلُ أَهْلِ الآفاقِ فيها، وآمتدادُ الأَيْدي إليها بالطّاعة. وكان أبو محمّد بن سَبْعين(1) الصّوفي نزيلاً بِمَكّة، بعد أن رَحَلَ من بلده مُرسِيَة إلى تونِس. وكان حافِظًا للعلُوم الشّرعيّة والعقْلِيّة وسالكًا مُرتاضًا بزَعْمه علي طَريقة الصّوفيّة، ويَتَكَلَّم بمذاهب غَريبَةٍ منها، ويقولُ برأي الوِحْدَة، كما ذَكَرْناهُ في ذكر المتصوّفة الغُلاةِ، ويَزْعُم بالتّصَرُّفِ في الأكْوان على الجُمْلة، فأُزْهِقَ في عَقْدِهِ، وَرُمِيَ بالكُفْرِ أو الفِسْقِ في كَلِماته، وأَعْلَنَ بالنّكير عليه والمُطالَبَةِ له شيخُ المُتَكَلِّمين بإشْبيليّة ثمّ بتُونِس أبو بكر بن خليل السَّكوني، فتَنَمَّرَ له المَشْيَخَة(أ) من أَهْلِ الفُتْيا وحَمَلَةِ السُّنّة، وَسَخَطُوا حالَتَه، وَخَشِيَ أن تأسِرَهُ البيّناتُ، فلَحِقَ بالمشْرِق ونَزَلَ مكّة، وتَذَمَّمَ بجِوار الحَرَم الأمين، وَوَصَل يده بالشّريف صاحِبِها. فلَمّا أَجْمَعَ الشريفُ أَمْرَه على البَيْعَة للمُسْتَنْصر صاحبِ إفريقيّة، داخَلَهُ في ذلك عبدُ الحقّ بن سَبْعين وَحَرَّضَهُ عليه، وأملَى رسالةَ بَيْعتهم وكَتَبَها بخطّه تنويهًا بذكره عند السّلطان والكافّةِ وتأميلاً للكرّة، ونَصُّها:

(أ) ظ: الشيخة.

---

(1) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد الإشبيلي المُرْسي الرقوطي، قطب الدين أبو محمد (613 – 669 هـ)، من فلاسفة المتصوفة الزهاد، يعرف أصحابه بالسبعينيّة. لاقاه ابن دقيق العيد فقال عنه: كان يسرد كلامًا تُعقل مفرداته ولا تُعقل مركباته. انظر عنه نفح الطيب 1: 421، النجوم الزاهرة 7: 232، لسان الميزان 2: 392 .

وقد وصلت هذه البيعة سنة 657 وقرئت على الناس، فعند ذلك تسمّى بأمير المؤمنين ولُقب بالمستنصر بالله، وكان قبل ذلك يُدعى بالأمير فقط. (ابن أبي دينار: المونس 128. وقد وصل بالبيعة عودته من الحج أبو محمد عبد الله بن محمد بن بُرْطُلّة الأزدي المرسي قاضي بجاية. ابن قنفد: الفارسية 126.

ويوجد نصها في المجموع 149 بالتيمورية بمصر، ولم يتيسر الإطلاع عليها.

بسم الله الرّحمن الرّحيم. صلّى الله على الأُسوَة المختار، سيّدنا محمّد وعلى آله وصَحْبه وسلّم تسليما ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ / وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة الفتح، الآيات 1- 4]. هذا [246أ] النّوعُ من الفتح، أَعْنِي المُبِينَ، هو من كلّ الجِهات داخلَ الذِّهْنِ وخارجَهُ، وهو الذي خُصَّتْ به مكّة، وهو أعظمُ فتح نَدَرَ في أيّام الدّهرِ والزّمانِ، الفَرْدُ منه خيرٌ من أيّامِ الشّهرِ، وَبِهِ تتِمُّ النّعمةُ وَيَسْتَقِيمُ صِراطُ الهِدايَة، وتُحْفَظُ النّهايَةُ، وَتُغْفَرُ ذنوبُ البِدايةِ، ويَحْصُلُ النَّصرُ العزيزُ ونورُ السّكينةِ، وَتَتَمَكَّن قواعدُ مكّة والمدينة. وكلمةُ اللهِ عاملةٌ في المَوْجودات بحَسَب قِسْمَةِ الزّمان، ثمّ لا يُقَالُ إنّها مُتَوَقّفَةٌ على شيْءٍ ولا في مَكان دونَ مَكان. وهذا الفتحُ قد كان بالقَصْدِ الأوّلِ والقدْرِ الأَكْملِ للمَتبوعِ الذي أَفادَ الكمالَ الثّاني بالسَّبْعِ المَثَاني، وقد يَكُونُ بِوَجْهٍ أَنْقَصَ في التّابِعِ، وبالقصد الثّاني، فإنّهُ هو الأُسوَةُ ﷺ، وكلُّ نعمةٍ تَظْهَرُ على سعيدٍ تُرْجَعُ إليه، مثلَ التي ظَهَرَتْ على خَليفَتِهِ وعلى يَدَيْه، وإنْ كانت نَصْبَةُ مولدِه ﷺ ورسالتُه تَقْتَضِي خَتْمَ الأنْبِياءِ بهذا القَرْن الذي نحنُ فيه، وإمامُنا فيه هو خَتْمُ الأَوْلياء. فَمَن فُتِحَ عليه بِفَتْحِ مَكَّةَ تَمّتْ له النِّعْمةُ، وَرُفِعَتْ له الدّرجةُ، وصُبَّتْ عليه الرّحمةُ. ومن وَصَلَ سلطانُه إليها فقد هُدِيَ إلى الرُّشْد وإلى صِراطه، وَرَجَحَ مِيزانُ تَرْجِيحِهِ على أَقْرانه وأَراهِطِهِ. ومن حُرِمَ هذا فَقَدْ حُرِمَ ذلك. والأمرُ هكذا، وسُنّة الله كذلك، وصلّى الله على رسوله الذي أَطْلَعَ المَجْدَ من مَدينته بعدما أَطْلَعَهُ من بَلَدِهِ، وَرَضِيَ الله عن خَليفَتِه

المنتخَب من عُنصر الخليفة عُمَرَ صاحِب نبيّه، ثمّ من عُمَرَ صاحبِه ووَلِيّه، والحمدُ لله على نِعَمِه.

بسم الله الرحمن الرّحيم، وصلّى الله على سيّدِ وَلَدِ آدم، محمّد ﴿حمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة الدخان، الآيات 1- 6].

[246 ب] / قَدْ صَحّ أنّ هذه اللّيْلَةَ فيها تَنَزّلُ الآياتُ، وتُرْتَقَبُ البيّناتُ، وفيها تُخَصّصُ القضايا الممكنة وإحكام الأكْوان، ويُفَرّقُ الأمرُ، ويفسّرُ المَلَكُ المُوَكّلُ بِقبض الأرواح مُحمل الآجال في الأزمان. وفيها تُقرّرُ خُطّة الإمامَة والمُلْك وَتُقَيّضُ الأمانَة بالهُلْك، وهي في القَوْل الأظْهر في أفضَل الشّهور، وفي السّابع [و](أ) العشرين منه كما وردَ في الحديث المشهور. ثمّ هي في أمّ القُرى، وفي حَرَمِهَا تُقَدّرُ بِقَدْرٍ زائِد، وَيَعُمّ فضلُها، إلاّ للحائد عن الفائِد. وَإنّما قلت هذا وَرَسَمْتُهُ ليَعْلَمَ من وقف على الخُطْبَة التي اقْتَضَبْتها واللّيلة التي فيها قرَأتُها، أنّها من أَفضل المطالِب التي قُصِدَتْ، وأنّ القَرائنَ التي اجْتَمعَت فيها ولها زَادَتْ على الفَضائِل التّي لأجْلها رُصِدَتْ، وأيْضًا تأخّرَ فيها مَجْدُ إمامٍ عن إمام، وَقَعَدَ مجدُ إمامه وراءَ إمامٍ هو وَرَاءَ الإمام، ورُحِمَتْ فيها نَفْسُ خليفة عَبَرَتْ وَتَلِفَتْ، وَعَظُمَتْ فِيهَا ذَاتُ خليفة تُحْيي التى سَلَفَتْ. فهذه نِعْمةُ بركةٍ يَنْبَغِي أن نُقَدّرَ حَمْدَها ونَتَحَقّق مَجْدَها، ولا يُقَدّرُ قَدْرُهَا، فإِنّها ليلةٌ قَدْرَ ليلةِ قَدْرِهَا. والحمد لله حَمْدَ وَاصِلٍ.

(أ) زيادة للربط.

بسم الله الرّحمن الرّحيم، وصلّى الله على واحدِ الله في عنايتِه سَنَدِنا محمّدٍ ﴿طسٓمٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [سورة الشعراء، الآيات 1- 2] إلى قوله: ﴿مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ [سورة القصص، من الآية 6]، الحقّ الشاهِد لنفْسه المتّفِق من جميع جِهاته، وفي سُنّة الله التي لا تُحوَّلُ ولا تُبدَّلُ. والمتعارَف من عادته التي رَبَطَها بحِكْمته التي تَعْدِلُ ولا تُعدَّلُ. أنّ لكلّ هدايةٍ نبويّة، ضلالةٌ فرْعونِيّة، وكذا الحالُ في الأوْلِياء، ومع كلّ مصيبةٍ فرَجٌ ولا ينْعَكِسُ الأمرُ في الأتْقياء. ولكلّ ظُلمِ ظالِمٍ مُتجبّرٍ، قَهْرُ قاهرٍ مُتَكبّرٍ، وعند ظُهور ظَفر المُبْطِلِ، يظْهَرُ قَصْدُ المُحِقّ المُفْضِلِ. وفي عَقِبِ كلّ فَتْرة أو فيها، كلمةُ قائمٍ بحقّ يَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ، وفي كل دَوْرٍ أو قَرْنٍ إمامةٌ تَطْلُبُ بشَخْصِها ولا تُطْلَبُ، وكواكِبُ الكفر / [247أ] إذا طَلَعَتْ على أُفُق الإيمان فيه تُكَبُّ آفِلَةً، وكَلِمةُ الله إذا عُورِضَتْ تكِرُّ مُعارِضَتَها قافِلَةً. وإنّما ذكَرْتُ ذلك بعد الذّكْر المَحفوظ ليُتذكَّر بالآيات الظّاهرة، إلى الآيات القاهِرة. ولْيَعْلَمْ كلّ مؤمنٍ أنّ كَلِمةَ الله متّصلةُ الاسْتِصْحابِ والسّبَب، وعامِلةٌ في الأشْياء مع الأزْمان والحِقَب، وأنّ رجالَ المِلّة الحنيفيّة لهم أعْلَى المنازِلِ والرُّتَب. ولذلك نقُولُ في نَوْع فرعونَ الأذَلّ، ونَوْع موسَى الأجَلّ، أشخاصُها مُتعدّدة، وأكوانُها متّحدة، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [سورة يوسف، من الآية 21].

وقد قِيلَ إن الملّة الحنيفيّة المُضَريّة تنصرُها السّيرةُ العُمَريّة المحمّديّة المستنصِريّة. ولعلّ الذي أقامَ الدّين وأطْلَعَهُ من المَشرق وأتْلَفَهُ منه، يَجْبُرُه من المَغرب ولا ينْقُلُهُ عنه. فيَنْبَغي لمن آمَنَ بالله وملائِكَتِه وكُتُبِه ورُسُله وبما يَجِبُ كما يَجِبُ، أن لايتَغيّرَ قصدُه، ولا يَتوقّفَ عندَ سَماع المُهْلِكَاتِ

حَمْدُهُ. فقد قُيِّدَتْ أقدامُ قومٍ بِشَرَكِ الشِّرْكِ، وَحَمَلَهُمُ الضجَرُ إلى الهُلْكِ، بطاعَةِ التُّرْكِ، وكَعَّ(1) كَيْدُ الكَنودِ مَلِكِ كَنْعان، وَكَلَّ بَصَرُ(أ) بَصيرتِه، ولَبِسَ لهم ثَوْبَ الذُّلِّ بالعَرْضِ، وجعلَ مُصيبةَ الدِّين تفِئَتَهُ مع جُحُودِهِ لِسُلْطان السّنَّة والفَرْض. وأمّا هامانُ المُريدينَ، فقد هَمَّ بالمؤمنين، وَعَلا فرعونُ الشَّرِّ في الأَرْض، والله يَمُنُّ على المُسْتَضْعَفين في الأَرْض بنَصْرٍ من عنْده، ويُهْلِكُ المفْسِدينَ بجُنْدٍ من رِفْدِهِ. وَيَنْبَغي أو يَجِبُ أن يَضْرِبَ عن ذكرِ كائنة مدينة السّلام، فإنّها تُزَلْزِلُ الطَّبعَ وتَحمِلُ الرّوحَ إلى ساحة الشّام، أو تُفْزِعُ في صَلاة الكُسوف شَمْسَ سُرورها إلى التّسليم بالاسْتِسْلام، ويُكَبِّرُ أربعَ تَكْبيرات على الأُنس بعد وَعدٍ وسَلام، وينْتَظِرُ قيامَه بقيام أَمْرِ مُحيي الدّين والاسلام. والحمدُ لله على كلّ حال.

بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على الذي أَعْجَزَتْ خِصالُه العَدَّ والحَدَّ......، مُسْلِمٌ والطبقة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه / وسلّم: [247 ب] يكونُ في آخر أُمّتي خليفةٌ يَحْثي المالَ حَثْيًا، لا يَعُدُّهُ عَدًّا(2). وقال ﷺ: يكونُ في آخر الزّمان خَليفَةٌ يَقْسِمُ المالَ ولايَعُدُّ(3)، زادَ أبو العبّاس

(أ) ظ: بصير.

(1) كَعَّ: وتُكسر الكاف. جَبُنَ وضَعُفَ.

(2) رواه مسلمٌ في صحيحه من حديث جابر. صحيح مسلم (2913) (67) وتقدم في العبر 1: 545 فقد أورده ابن خلدون في الفصل المطول الذي أثبته في "أمر الفاطمي وما يذهب إليه النّاس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك" وأورد فيه ما يحتج به الناس من أحاديث خرجها الأيمة، وما استدلّ به المتصوفة باعتمادهم على الكشف الذي هو أصل طرائقهم. وقد نقد تلك الأخبار عن المهدي بتخريج أسانيدها وفحص تفاصيلها على معيار العقل والعلم. انظر الفصل في العبر 1: 535 – 572 .

(3) المصدر نفسه (2913) (2914) (69) وفيه: ولا يَعُدُّهُ.

الهَمَذاني: وأشار بيَدِه إلى المَغرب. وذكر بهاءُ الدّين التّبْريزي في مَلْحَمَتِهِ التي زَعَمَ أنّه لا يُثْبِتُ فيها من الأَخْبار إلاّ ما صَحَّحَتْه روايَتُه، ولا يَذْكُرُ من الأَحْكام المنسوبة إلى الصّنائع العَمليّة إلاّ ما أَبْرَزَتْهُ دِرايَتُه، ولا يَعْتَبِر من الأَعْلام اللَّدُنيّة إلاّ ما أَدْرَكَتْه هِدايتُه، قال في التّرجَمة الأُولى: إذا خَرَجَتْ نارُ الحِجَازِ يُقْتَلُ خليفةُ بَغْداد، ويَسْتَقِيمُ أمرُ مُلْكِ المَغْرب، وتُبْسَطُ كلِمَتُه في الأَقْطار، ويُخْطَبُ له على مَنابر خُلفاء بَني العبّاس، ويَكْثُرُ الدُّرُ بالمَعْبَرِ من بلاد الهِنْد. ذَكَرْتُ هذا لِيَعْلَمَ المقامُ - أيّدَهُ الله - أنّه هو المُشار إليه، وأنّه الذي [يُعَوّلُ][أ] في إصْلاح ما فَسَدَ - بحَوْل الله - علَيْه. ومنْ تَأَمّلَ قولَه ﷺ: ويكونُ في آخر الزمان... الحديث، تبَيّنَ له ما أَرَدْنَاهُ. وذلكَ يَظْهَرُ من وجُوهٍ، **منها**: أنّ الخليفةَ المذكور لم يُسْمَعْ به فيما تَقَدَّمَ، ولاَذُكِرَ في الدّوَل الماضِية، ولَوْ ذُكِرَ لَرَدَدْنَا القولَ به وأَهْمَلْناهُ لأَجْل تَقْييده بآخر الزّمان. **والثّاني**: أنّ آخرَ الزّمان الذي يُرَادُ به ظُهور الشّروط المتوسّطة وأَكْثَرُ العلامات المُنْذِرة بالسّاعة، هو هذا بعَيْنِه. **والثّالث**: لا خليفةَ لأَهْل المِلّة في وَقْتنا هذا غيرُ الذي قَصَدْنَاهُ. وهذه أَقْطارُ المِلّة مُنْحصرةٌ ومَعْلومة لنا من كلّ الجِهات، والذي يُشارِكُه في الاسم ويُقَاسِمُهُ في إطْلاقه فقَط، لا يَصْدُقُ عليه، إذ هو أَضْعَفُ من ذَرّة في كرة، ومن نَمْلَةٍ في رَمْلة، وأَفْقَر من / [248أ] قَصْدِ طالبِ السّراب، ويَدُهُ مع هذا أَيْبَسَ من التّراب.

فصَحَّ بالسَّبْر والتقْسيم، وبتَصَفُّح المَوْجودات والأَزْمان والدُّوَل والمَراتِب والنُّعوت، أنّه لا شريكَ له فيها والمُصحّح لذلك كلّه، والذّي يَصْدُقُ ويَنْطَبِقُ عليه مَدْلولُ الحديث، كَرَمُه الذي يَعْجِزُ عنه الحدّ، ولا

(أ) ظ: يقول فصحفه.

يَتَوَقَّفُ فيه العَدّ. وهذا خليفة المِلّة كذلك، وهذه دَلائلُه هي أوضحُ من نارٍ على عَلَمٍ؛ وهذه خِصالُه شاهدةٌ له بفَضائل السّيف والقَلَم. وهذه خَزائِنُه[أ] تَغْلِبُ الطالبَ وتَعْجِزُ عن الدّافع. وهذه سُعُودُهُ في صُعود. وهذه مَتاجِرُ تَعْويله على الله رابِحَة. وهذه أحوالُهُ بالكُلّيّة صالِحَة، وهذه سِعايَتُه ناجِحَة. ثم هذه مَوازينُ تَرْجيحِهِ راجِحَة، والحمدُ لله كما يَجِبُ، وما النَّصْرُ إلاّ من عند الله، وصلّى الله على عبده محمّد بن عبد الله، إنّه من مكّة، وإنّه لَلْحَقُّ، وإنّه بسم الله الرّحمن الرّحيم، وإنّه إلى خَصٍ لا يَخُصُّ الحَصْرَ، ويَجْدُرُ فيها النّذْر، وتُحافِظَ على سُنّة الرَّؤوف الرّحيم ﷺ.

أمّا بعد، فبِهُداهُمُ اقْتَدِه. الحمد لله الذي أحْسَن بمقام الإحْسان، وتَمَّمَ النِّعْمَةَ، وبَيَّنَ لمن تَبَيَّنَ عِلْمَ البَيان، وحَكَمَ لمن أَحْكَمَ الحِكْمَةَ، وسَبَقَتْ في صِفات أَفْعاله صفةُ الرَّحمة، وذكَرَ الهِدايَة في كتابه بعدَ ذِكْر النِّعْمة. هو الرَّؤوفُ بالبريَّة، وهو الرّحيم والحفيّ بالحَنيفيَّة، وهو القاهِرُ الماضي المشيئة الذي يَقْبِضُ ويَبْسُطُ ويُمْضِي المَشيئَةَ. شَهِدَ له بالكمال المُمْكن الذي أبْرَزَهُ وخَصَّصَهُ، وَعَرّفه بالجَلال من يَسَّرَهُ لذلك وخَلّصَهُ. هو الذي اسْتَعْمل عليها من اخْتارَه لإقامة النّافِلة والفَرْض، وأَعْمى من أهلها من تَوَسَّلَ له بنيّة الفرض، وأَعْتَقَ العقاب[ب]، ويَسَّرَ العُقاب، وأَهْمَلَ العِقابَ بطاعة من اسْتَعْمَرَ به الرَّبْع المَعْمور، وأنْعَمَ على المُسْتَضْعفين في الأرْض بإمام نَجْرُ المَجْدِ في بَحْرِ خِصاله يُعَدّ بَعْضَ البَعْض، سُنّته مُحمّديّة، وسيرتُه / [248ب] بَكْريّة، وسَريرَتُه عَلَويّة، وسُلالَتُه عُمَريّة. فهذه ذُرّيّة وأنواعُ مَجْد بعضُها من بَعْض، بلْ هذه خُطوطٌ، فَضْلُ الطّول فيها مثلُ العَرْض. عُرِفَ بالرّئاسة العالِيَة،

(أ) ظ: حرايته (ب) كذا، ولعله أراد الرقاب.

وَوُصِفَ بالنّفاسة السّالية[أ]، وشَهِدَ له بذلك كلّه الخاصّ والعامّ، وَنُزِّهَ من النّقائص النّزيه النفس، وَمَنْ نَزَّهَهُ في سُلطانة عَلِمَهُ العامّ.

وصلّى الله على الأسْوة الرّؤوف بالمُؤمنين، سيّدِنا محمّدٍ الذي أُنْزِلَ عليه التّنزيل، وَكُتِبَ اسْمه في صَحيح القَصص والنّصوص، وَنَبّأَ الله به وبأيمّة أُمّته الذين شَبَّهَهُمْ بالبُنْيان المَرْصوص، وعلى آله وصَحْبه الكرام البَرَرَة الذين اصْطَفاهُمْ وطَهَّرَهم، ثمّ أيّدَهُم فَطَهَّرُوا الأرضَ من الكفَرَة الفجَرَة، وَأَخْرَجَ من ظُهورهم ذرّياتهم ثمّ بالدّين أَظْهَرَهُمْ، وبَشَّرَ بِهِمُ السبيلَ ثمّ السبيلَ يَسَّرَهُمْ. ومنهم الخَليفة المستَنْجد بالله المُفَضَّلُ على النّاس ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾[ب] [سورة الأنعام، من الآية 37]، ورضيَ الله عنْهم وعنه، وضَاعَفَ للمُحِبّ الثّوابَ الصّادر منْهم ومِنْه. وبعد خِدْمَةٍ يَتَقَدَّمُ فيها بعد الحَمْد والتَّصليّة والدُّعاء للدّوْلة الدّالّة على قَبول الدّعوة الأَصْلية، تحيّةٌ بعضُها مكيّة وكلّها ملكوتيّه، ورَوْضةٌ ريحُها حَضْرةُ القُدْس، ونَشْرُها تُدْرِكُ فيه صُحْبةُ النّفْثِ[ج] روحُ القدس. وتَكْبُرُ عن أن تُشَبَّهَ بالعَنْبر والندّ والوَرْدِ وأَزْهار الرُّبَى والرّياض، لأنَّ المُفارِقَ للمادّة مُفارِقٌ لغَيْر المُفارق لها مُفارقَةَ السّواد للبيَاض. ثمّ هي مع هذا واجبةُ القَصْد عذْبَةُ الوِرْدِ، تُذَكِّرُ الذّاكرَ الذّكيّ بِعَرْفِها الذّكيّ لِمُذَكّراتِ جَنّة الخُلْد والنّعيم، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [سورة المطففين، من الآية 26]. وتُدْرِكُ النّفس النَّفيسةُ لَذّة النّعيم لأنّها طاهِرةٌ طيّبةٌ وكَريمةٌ صَيّبَة، واقفةٌ على حَضْرة المُلْك والسُّلْطان ومدارِ فَلَكِ

(أ) كذا في ولم يتضح لي فيها وَجْه

(ب) كذا وردت في المخطوط ظ. وهي من آية غير محدّدة، رَمز بها ابن سبعين ليعود معنى استكمال الآية على الناس، فقد يكون عني صيغ بقية الآية كما وردت في القرآن الكريم اثنا عشر مرة بأوصاف: يجهلون، لا يعلمون، لا يشكرون

(ج) كذا، ولعلها: النفس.

النُّسك، ومُستَقَرّ الإمامة والجلالَة، ومَعْقَلِ الهِداية والدّلالة، وأَصْلِ الأَصالَة، ودارِ المتّقين، / [249 أ] وبَيْت العدالَة، وحِزْبِ اليَقين، وإنسانِها الأَعْظم، مُعْلِي المُوَحّدين على المُلْحِدين، وقائمِ الدّين وقَيِّمِه، ومقرّ الإسْلام ومُقَدَّمِه، القائمِ بالدّعْوة العامّة بَعْد أبيه، إمامِ المجْد والفَخْر. ثمّ الأَنْبَهِ الذي إذا عزَمَ أو هَمَّ بتَخْصيصِ مُهْمَلٍ اتَّخَذَ في خُلْدِه ماهو بالفِعْل مع ما هُوَ بالقُوّة. وإن يَعْرِضْ له في طريق إغْراضه المُمَكّنُ العَسيرُ يَسَّرَهُ سَعْدُهُ، وسَاعَدَه ساعِدُ القُوّة. وإن سُمِعَ بالحَمْد في جهةٍ جَذَبَهُ بخاصّة خِصالة، بعد مَجْد الأبوّة وفَخْر النّبوّة. لا يُذْكَرُ معَه ولا عندَه صَعْب الأمور إلاّ بالضِدّ. فإنّه مَظْهرُ العناية الإلاهيّة، ومرآةُ الجِدّ والجَدّ، هو عَلَمُ العِلْم، ثم هو مَحَلّ الحِلْم، اسْمُه متوَحّد في مَدْلوله كالاسْم العَلَم، وعَهْدُه لا يَتَوَقَّفُ على اللّسان ولا على رُسوم القلَم. كُتِبَ في السّماء، وسُمِعَ به في الكُرْسيّ وكذلك العَرْش. وما هُنا إنّما هو مِمَّا هُنَاكَ، فهو الأَعْلى وإن كان في الفَرْش. هو شامخُ القَدْر ظاهرُ الفَضْل شديدُ البَطْش. ثمّ هو ممّا ظَهرَ عليه عِلْمُ أَنَّ الشّجاعَةَ لم تَنْتَقِلْ من الإنْسان إلى الأَسَد، ولايُقَالُ هذا بَحْر العِلْم فَيُنْقَلُ من الطّبيعة إلى بَحْر الخُلْد، لأنّ ذلك كلّه فيه بوَجْهٍ أَكْمل، وبه وعليه وفي يدَيْه بنَوْعٍ أَفْضل. بَلَغَ ذرْوَةَ النّهاية المَخْصوصَة بالمطالب العالِية، وحَصَلَ في الزّمان الفَرْد ما حَصَّلَهُ الفَرْد في الأيّام الخالِية، وبَالَغَ في تَبْليغ حَمْده بصفاته وما بَلَغَ بَعْض الأَشُدّ عُمْرُه، ونَالَ غايَةَ الإنْسان وتَتَعَجَّبَ منه في القِيامة عمره ويَسَّرَهُ أَمْرُهُ، طَلَعَتْ سعودُه على مَوْلدِه ومَطالِعِه، كلِمةَ مَجْده لأَحْكام الفلَك وطَالِعِه. إن حَرَّرَ القَوْلَ فيه وفَهِمَ شأْنه قيل هو من فَوْق الأَطْلس والكَوْكَبِ، وإن قِيسَ سَعْدُه بالكمالات الثّلاثة كان كالبَسيط مع

المُرَكّب. أَيْنَ غايةٌ تُطْلَبُ بعد طاعَته؟ وأينَ تِجارةٌ تُنْظَرُ مع بِضاعَتِه؟ له الحَمْد وبيَدِه / [249 ب] الملكُ والأمانة، بل له الكُلّ بفَضْل الله وفيه المَقْصد والسَّلامة، لا بَلْ له الفَتْحُ المبينُ وتَتْميمُ النّعمةِ والهِداية ونورُ السّكينة، وفيه الأمارةُ والعَلامة. مِنبرُ مَكّةَ بَإزاء بَيْت بَكّة خَطَبَ بخُطْبته، والذي ذَهَبَ بالمدينة يَطْلُبُه فلعلّه يُسْعِفُه في خِطْبَتِه. أَفْئِدةُ السِرّ تَطِيرُ إذا سمعتْ بذِكْره، والمهنّداتُ البُتْرُ تلينُ لِبَأسِ ساعِدِه وتَقُولُ طِبَاعُ أَرْبابها بِشُكْرِهِ. دولةُ التّوحيد تَوَحَّدَتْ لهُ إذْ هو واحِدُها الأَوْحَدُ، وسِياسةُ التَّسْدِيدِ تَحَكَّمَتْ له فهو مُديرُها ومُدَبِّرُهَا الأَرْشَد. ومع هذا كتابتُه أَهْمَلَتْ صِيتَ الصّادّين، وكَوّرَتْ شَمْسَ الفَتْح ثم الفتح والصّادِين، وكذلك الثّلاثة الذين من قَبْلهم. لا يُذْكَرُ معهُ الأديبُ حبيبٌ[1] في رَدّ الأَعْجاز على الصُّدور، فإنّه الذي يُعْتَبَرُ في ذلك والذِي يَصْدُرُ عنه هو وَاقِعٌ في الصُّدور، وأَفْعَلُ في طِباع المَهَرة وفي نُفوس الصُّدور. يتأَخّر عن شِعْره شعرُ الرّجُلَين، وبعدَه تُذْكَرُ الطّبقةُ، ثمّ شُعراءُ نَجْدٍ والجانِبُ والجنبُ والجَبَلِيّ والمُوَلَّد بَعْده والهُذَلِيّ، والمُؤَكّدُ هو تَقْديمُه في المَغْرب من ذلك والهُذَلِيّ. علومُ الأدب الخَمْسةِ تَمَّمَهَا وسادسَها وسابعَها زَادَهُ من عند نَفْسِه. وخليلُ النَّحْو لو حَضَرَ عِنْده كان خَليلَه في تَحْصيل نَوْعه وجِنْسِه، والفارسيُّ تِلْميذُه ثمّ الآخر بعدَه، والأَخْفَشُ الكبيرُ ثمّ الصَّغير ما ضُرِبَ لهم من قبل في مِثْله بنَصيب. وإمامُ أيمّة النحوِ يَنْحُو نَحْوَهُ بِنَحْوٍ يَنْحُوهُ نَحْوَ

(1) يعني الشاعر أبا تمام، حبيب بن أوس الطائي (188 – 231 هـ).

نَحْوِهِ ثمّ لا يكونُ كالمُصيب. وكلّ كوفيٍّ بَلْ كلّ بَصْريٍّ يُحِبُّ الظّهورَ إذا سَمِعَ بهِ اخْتَفَى، والمُنْصِفُ منهم هو الذي بنَحْوه اكْتَفَى.

أَقْيِسَةُ الفِقْه الثّلاثة هَذّبَها وَحَصَّلَهَا، وأصولُه كما يَجِبُ عَلَّمَهَا وَفَصَّلَهَا، والمسائلُ الطّبولية تَكَلَّمَ على مُفَصَّلِها ومُجْمَلِها، وَسَهَّلَ الصَّعْبَ من مُخَصّصها ومُهْمَلِها. وإن فَسّر كتابَ الله المعجزَ عَزّ أربابَ البَلاغة بإعْجازِ بعدَ إعْجازه، وإنْ تَعَرَّضَ لعَوارض ألفاظِه أَظْهَرَ العجبَ في / اخْتِصاره [250 أ] وإيجازه، وإن شَرَعَ في شَرْح قَصَصِه وَجَدَلِهِ وفي تَفْسير تَرْغيبه وتَرْهيبه وَمُثْلِهِ، يُبْصِرُ النّاظرُ فيه والمسْتَمِعُ لما لم يَسْمَعْ وما لم يُبْصِرْ، فإنّه سَلَكَ بقَدَمِ كَمالِه وتَكْميله على قَنْطرة بعدُ لم تُعْبَرْ[أ]، ويَضْطَرُّ الزّعيمُ به وبتَحْصيله إلى تَجْديد فِطْرة[ب] أُخرى، وبعد هذا يَقْتَصِرُ في بَيانه إليه في الأُولى، وإلى الله في الأُخرى. وإن تَكَلَّمَ على مُتَشابهِهِ ومُحْكَمِهِ عَلَّمَ الاصْطلاحَ ثمّ بيانَ النّوع للخَبير به وبمُحْكَمِه، وكذلك القولُ على النّاسخ والمَنْسوخ والوَعْدِ والوَعيد، وإن يَشَاءُ طَوَّلَ في مُطوّلاتهم واخْتَصَرَ من مُخْتَصراتهم، فَبِيَدِهِ الزّيادةُ وضدُّ المَزيد. وأمّا تحريرُ أَمْرِه ونَهْيِه وأسرارِه ورَقائقه وفَواتِح سُوَرِه ولَطائِفِه وحَقائِقِهِ، والذي يُقال أنه لا من جِنْس الذي يُكْتَسَب، والذي هو أَعْظم من الذّي يَرِدُ، وإليه الأَحْوالُ تُنْسَبُ، فهو الشّارِحُ لها والخبيرُ بها وإن تَأَخّر، وتَنَوّعَ في ذلك ويَزِيدُ غيرَ الأوّل وإن تَكَرَّرَ.

وأمّا عُلومُ الحَديث وأنواعُها السَّبْعة فهو يَعْلَمُها، وصِناعَتُه بجُمْلَتِها للعُلَماء يُعَلِّمُها.

(أ) ظ: يعبر (ب) لعلها: قنطرة.

والوِرَاقَةُ والضَّبطُ والخَطّ وَقفَتْ عليه مِهْنة غايَتِها. وجُمْلَةُ الأَمْر علومُ الشّريعة كلِّها عَرفَها ووَعَاها ورَعَاها حَقَّ رِعايتِها، وكلّ العلوم العَقْليّة والنَّقليّة ورجالها على ذِهْنه الطّاهر من دَنَس النِّسيان، والمقامات السّنيَّة والـمُسْتَنْزلات العُلْويّة أَدْرَكَها بعد التّبْيان. فمن أَرَادَ أن يَمْدحَهُ وَيَعْدِلَ عن إطلاق القَوْل فقد اقْتَرَفَ أعظمَ الذّنب، ومن ذَكَرَهُ ولم يَتَلَذَّذْ بذلك فقد جاء بما يَنْصَحُ جَمَلَهُ الخَبَبَ، نُعُوتَ جمالِها يَمْنعُ عن إدْراكها نورُ المتّصِل، وحضرةُ جلاله محفوظةٌ بِحدِّها وجَدِّها وقاطعها المنفَصِل. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة، من الآية 54]. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 26]، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(أ) [سورة الأنعام، من الآية 124]. هذه كلّها آياتُه. والرّابعةُ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [سورة النحل، من الآية 18]، فإنّها هباتُه. / [250 ب] إن حَدَّثَ الـمُحدِّث بكَرمه يقول: قال رسولُ الله ﷺ(1): يكون في آخر الزّمان خليفةٌ يَقْسِمُ المالَ ولاَ يَعُدُّهُ. ونَصْرُ الله إذا جاءَ لا يَرُدُّهُ، وفَتْحُه من ذا الذي عن السَّعيد يَصُدَّهُ.

والمؤرّخ يَتَذَكَّرُ بِتَذَكُّرِهِ الكلماتِ الهَذْلَى في حَديث الـمُطالِب إذْ قالَ، وقد سُئِلَ عن الإمام عليٍّ بن أبي طالِب: هو الإمامُ وفيه أَرْبعةٌ وهو واحِدُها حتّى في رَفْع الشَّبيه وقَطْع السَّبَب: العِلْمُ، والحِلْم، والشَّجاعَةُ، وفَضْلُ الحَسَب. يُسَرُّ بِحِكْمَته ويُغْتَبَطُ بها متَى يَتَّبِعُ جُمْلَتَه الباحثُ الحكيمُ، ولا يَشْعُر بشِعْره إذا تَصَفَّحَ نُعُوتَه الشّاعِرُ العَليم، ويُنْشِده طبعُه في الحين والوَقْت والحَزّة، ويُخْرِجُ الحروفَ من مَخارِج الهَمْزَة: [من الطويل]

(أ) ظ: رسالاته.

شَهِدْتُ لقد أُوتِيتَ جَامِعَ فَضْلِهِ وأنت عَلَى عِلْمِي بذَاكَ شَهِيدُ(1)
ولَوْ طُلِبَتْ في الغَيْبِ(أ) منك سَجِيَّةٌ لقد قَرَّ(ب) مـوجودٌ وعَـزَّ وُجُودُ

أدامَ الله المجدَ الذي يُسلَكُ به على النَّجْدَيْن، وحَفِظَ عليه مَقامَه الذي لا يُحتَقَنُ فيه إلاّ جَوْهرُ النَّقْدَيْن، وبَسَطَ له في العِلْمِ والقُدْرَة، وبَارَكَ له في نَصيب النُّصْرَة، وجَهّزَ به العُسْرَة، وَرَدَّ به على الشِّرْك والفِتَن الكَرَّة، وَعَرَّفَهُ في كُلّ ما يَعْتَزِمُه صُنعًا جَميلاً ولُطفًا خَفِيًّا جليلاً، وكَفَاهُ الشَّرّ المَحْض وخبر الشرّين، كما كَشَفَ له عن الخَبَر المَحْض وعِلْم السِّرَّيْن، وأيَّدهُ بروحٍ منه في السِّرّ والسَّريرَة، وحَفِظَهُ في حَركاته وسكناته من الصَّغيرة والكَبيرة، وَجَعَلَ كَلِمته عاليةً غالِبَةً للضدّ والجنْد، وبَلَّغَ صِيتَه إلى الجزائرِ والبَرْبر ثمّ إلى السِّنْد والهِنْدِ، وخَلَّدَ مُلكَه، وسَلَّمَ فُلكَه، وَرَفَعَهُ على أَوْج المجد بجَدِّهِ الطّويل العريض، وأَهْبَطَ عَدوّه من الشَّرَف الأَعْلَى إلى الحَضيض، وفَتَحَ الله به بابَ الفَتْح في المَشرق والمَغرب بعدَ فتْح الثُّغور، وَشَرَحَ بنَصْره وفَتْحه أوساطَ الصّدور، وما اسْتَنْبَطَتْهُ / الضَّمائرُ [251 أ] من نَفثات المَصْدور، وجَبَرَ بِهِ كَسْرَ الظُّفْرِ ووَصَلَ به ما انْقَطَعَ من الأَسْباب، وَعَصَمَ جُنْدَه من ضُرِّ الدَّنِفِ الأَنِفِ وَرَدَّهُم إلى رَدْم الأبواب، وقدّسَ كلِمَته بعد الحرمَيْن في البيت المُقَدَّسِ، وَسَلَكَ به مَسالكَ السُّبُلِ

(أ) الديوان: الغيث (ب) الديوان: عزّ.

---

(1) الشعر لابن هانيء الأندلسي من مطولته (96 بيتا) يمدح الخليفة المعزّ ويذكر وُرودَ رُسل الروم بالكتب يضرعون إليه في الصّلح. الديوان 103 ومطلعها:

ألاَ طـرقَـتْنا والنجـوم رُكودُ وفي الحيّ أيقاظٌ ونحن هُجودُ

في المَقيل والمُعرَّس. وبعدَ هذا: فهذه أَدْعِيَتُنا بل هذه أودِيَتُنا، وهذه مسائِلُنا بل هذه وَسائِلُنا، وهذه تحيّة حَيًّا بها ذو الفِطْرة السّليمَة، وهذه خدمة تَفْتَخِرُ بها طبيعَةُ النّفس العَليمَة، اسْتُنْبِت فيها الكتاب، واسْتُثْبِتَ فيها الجواب، والموجِبُ لإصْدارها محبّةٌ أَصْلُها ثابتٌ وفرعُها في العُلَى، وَحَفَّزَ عليها حافزان: شَوْقٌ قَديم ورِعايَة الأخرى والأُولى، بل الأَمْر الذي هو في حيّز الأمور من أَوْسطها، وإذا نُظِمَ في عَقْد الأسباب الموجِبَة لهذه الـمُخاطَبة يَكونُ في وَسطها، فإنّه يَحْكِي إحْكام الشّأْن والقِصّة، ويَعْلَمُ الـمَقامُ - أيّدَهُ الله - الذي حَصَلَ له في حَرَم الله وحَرَم نبيّه من التّصيب والحِصّة. وفيه يَنْبَغي أن تُهَذَّبَ الأَلْفاظ وتُلْحَظَ عيون الأغْراض، وتُنَقَّحَ المقاصد وتُحْمَلَ على جواهِر الكمالات كالأَعْراض. فمن ذلك ذكرُ الـمِلّة التي كَمُلَتْ وكَبُرَتْ، والأخرى التي كانت ثم غَمَرَتْ وصَغُرَتْ، والـمِنْبَر الذي صَعَدَ خَطْبُ خُطْبَتِهُ على الخطيب، وعَرَجَ إلى سَماء السُّمُوّ وهو على دَرَجِه، والأخرى الذي دَرَجَ عنه خَطيبُه وضَاقَ صَدْرُه إلاّ مِنْ حَرَجِه. وقُرِئَتْ سُوَرُ الإمام بحرف الـمُسْتَنْجِد الـمُسْتَنْصِر، لا بحرف الـمُسْتَعْصم من الـمُسْتَنْصر، وَبَسَط القول وأَطْلَقَ تَرْجمةَ عبد الله بعدما قَبَضَهُ الذي أَمَاتَ وَأَحْيَا، وَقَبَضَ على مَقامه ودَفَعَ للأمام محمّد بن يَحْيى، وكان ذلك في يوم وُصول الخَبر بمصيبة الاخْتبار، ثمّ في ليلة الآيات والاعْتبار. ومن ذلك أيضًا نعمة / الحَمْد والدّعاء الطّاهر القَوْل والمقْبول في الحَرَم الشّريف، [251] والانْقياد الذي ظَهر على طائِفة الحقّ والسيّد والشّريف، ومن ذلك صُعود عَلَمِ الأعْلام على جَبَل مُعظّم الحجّ وَمَقرّ وُقوف الحاجّ، ووَقَف به المتكلّم

في مَقام من كانت له سِقايَة الحاجّ، وذُكِرَ كما يَجِبُ بما يَجِبُ في مَوْقف الإمام مَالِكِ، وعُرِفَ هناك أنه الإمامُ والمَالِكُ لكلّ مالِك. وتَعَرَّفَتْ نَكِرَةُ دَعْوة التّوحيد بتَخْصيص خُصوصيّة المَخْصوص بعَرَفه، وتَعَارَفَ بها من تَعَارَفَ معه هُناك ونِعْمَ(أ) التّعارُف والمَعْرِفَة. ثم ذُكِرَ عندَ المَشْعَر الحَرَام، وفي جهات حُدود حَرَم المَسْجد الحرام، وعَظُمَ اسمُه بعد ذِكْر الله ورَسوله وذكرِ الوَالدين، وطَلَعَ الذّاكِرُ بالتّرْكيب إلى الجدّين السّاكنَيْن في الخُلْدِ والخالِدَيْن. فلمّا وَصَلَ الحجيجُ إلى عَقَبة الجَمَرات، ذُكِرَ مع السّبع الأُولى سَبْعَ مرّات، وكذلك عندَ الرّكوع في مَسْجد الخِيف، وكلُّ كلماتِ تَمْجيدِه كلماتٌ بالكمّ والكَيْف. وعند التّوجّه من هُناك ويومَ النَّفر، قُرِّرَتْ آياتُه المذكورةُ في كتاب الجَفْر، ثمّ جُدِّدَ الذّكْر حولَ البَيْت العَتيق بالحَمْد والشّكر. فلَمّا وَصَلَ العِلْمِ بانْتقال بَيْت المُلْك والسّلطان، من بَغْداد في شَهْر رَمضان، أظهَرَ الخفيَّ المكْنونَ فكانَ ذلك مع التَّسْبيح والقُرْآن. وكان الخادِمَ في الزّمان الأوّل، وفي الذّاهب الذّاهِب يَنْتَظِرُ الخَطْفَة من نحو عِراق العَرَب، والآنَ وَجَدَ نَفْسَها من نَحْو اليَمن إقليمِ الأعْراب والعَرب. والذي حَمَلَ على هذا كلّه طاعَة كامِلةٌ وغِبْطة عامِلة، والله تعالى بفَضْله يَعْصِمُهُ من كَيْد المُعانِدِ، فإنّه في إظْهار دَعْوة التّوحيد كالمُجاهِد والمُكابِد. ومُعادٌ التّحيّة على المَقام الأَرْفع والمقرّ الأَنْفع، وعلى خُدّام حَضْرته العَليّة، وأَرْبات دَعْوته الجَليّة، وأنواع رحمته تعالَى وبركاته. والحمد لله كما يَجِبُ، وصَلّى الله على نبيّه محمّد وعلى آله وسلّم تسليما.

(أ) ظ: نعم، مصحّفة.

كُتِبَ تجاهَ الكَعْبَة المعظّمة في الجانب الغَرْبي / من الحَرَمِ الشَّريف، [252 أ] والحمد لله رب العالمين.

ولما وَصَلَتْ هذه البَيْعة، اسْتَحْضَرَ لها السلطانُ الملأَ والكافَّةَ، وقُرِئَتْ بمجمعهم، وقام خطيبُهم القاضي ابن البَراء في ذلك الحفل فَاسْحَنفَرَ[1] في تعظيمها، والإشادة بحُسْن توفّقها، وإظهار رِفْعَة السّلطان ودَوْلَتِه بطاعةِ أهْلِ البَيْت والحَرمِ ودُخولهم في دَعْوته. ثم جَأَرَ بالدّعاءِ للسّلطان، وانفَضَّ الجمْعُ فكانَ من الأيّام الـمَشهورة في الدّولة.

## 63 • الخَبَرُ عن الوُفود من بَني مَرين والسّودان وغَيْرهم

كان بنو مَرين كما قَدَّمْناه قدْ تَمَسَّكوا بطاعَة الأمير أبي زَكريّاء ودَخلوا في الدّعوة الـحَفصيّة، وَحَمَلُوا عليها مَنْ تَـحْتَ أيديهم من الرّعايا، مثل أهْل مِكْناسَةَ وتَازَى والقَصْرِ، وخَاطَبُوا السّلطانَ بالتّمويل والخُضوع. ولَمّا هَلَكَ السُلطان ووَلِيَ ابنُه المسْتَنْصر، وَقَارَنَ ذلك ولايَةَ المرتضى بِمَرّاكُش، ثمّ كان بَيْنهم وبَيْن المرتضى من الفِتْنَة والحَرْب ما ذَكَرْناهُ ونَذْكُرُهُ، واتَّصل ذلك بينهم، وَبَعَثَ الأميرُ أبو يحيى بن عَبْد الحقّ ببَيْعَة أهْل فاس، وأَوْفَدَبها مَشيخَةَ بَني مَرين على السّلطان وذلك سَنة ثِنْتَيْن وخَمسين، فكان لها مَوْقع من السّلطان والدّولة، وقَابَلَهُمْ من الكَرامة كلٌّ على قَدْرِه، وانْصَرفُوا مَحْبورين إلى مُرْسِلِهِم.

(1) اسْحَنفَرَ الرجلُ في منطقة: مضى فيه ولم يتمكّث، أسرع.

ولـمّا هَلَكَ أبو يحيى عبد الحقّ واسْتَقَلَّ أَخوه يَعْقوبُ بالأمْر، وَفَدَ إليه ثانيةً[أ] رُسُلُهُ وهديّتُه وطَلَبَ الإعانَة من السّلطان على المرتضَي وأَمْرِ مَرّاكُش على أن يُقِيمُوا بها الدّعوةَ له عندَ فتْحها. ولم يَزَلْ دَأْبُهم هذا إلى أن كان الفَتْح.

وفي سنة خَمْسٍ وخمسينَ وَصَلَتْ هدِيَّةُ ملك كانَم[1] من مُلوك السّودان / وهو صاحب بُرْنوُ مَواطِنِه قبلةَ طَرَابُلُس، وكان فيها الزّرافة وهو الحيوان الغريب الخَلْق المتنافر الحِلَى والشِّيَاتِ، فكان لها بتُونِس مَشْهد عظيمٌ بَرَزَ إليها الجَفَلَى[2] من أَهْل البلَد حَتَّى لَغَصَّ بهم الفَضاءُ، وطَالَ إعْجابهم بشَكْل هذا الحيوان وتَبَايُنِ نُعوته، وأَخْذِها من كلّ حَيوانٍ بشَبَهٍ. [252 ب]

وفي سنة ثمان وخمسين وصلَ دُون الرّنك، أخو مَلك قَشْتَالة مُغاضِبًا لأخيه، وَوَفَدَ على السّلطان بتونس فَتَلَقَّاهُ من المبَرّة والحِباءِ بما يَلْقَى به كريمَ القوم وعظماءَ الملوك، وَنَزَلَ من دَوْلته بأعزّ مكان. وكان تَتَابُعُ هذه الوِفادات مّما شَادَ بذكْر الدّولَة ورَفَعَ من قَدْرها.

(أ) ظ: تأتيه. تصحيف.

---

(1) كذا ضبطه ابن خلدون فيما تقدم. والإسلام غالبٌ عليهم، ومدينتهم أنجْمي، ولهم التغلب على بلاد الصحراء إلى فزّان، وكانت لهم مُهاداة مع الدولة الحفصية منذ أولها. (العبر 11: 456) وضبط ياقوت الاسم بكسر النون (معجم البلدان 4: 432).

(2) الجَفَلَى: أن تدعو النّاس إلى طعامك دعوةً عامّةً من غير اختصاص.

## 64 • الخبرُ عن مَقْتَل ابن الأَبّار[1] وسِياقَةِ أَوَّلِيَتِه

كان هذا الحافِظُ أبو عبد الله بن الأَبّار من مَشْيَخة أهل بَلَنْسِيَة، وكان علاّمةً في الحديث ولسان العَرب، وبَلِيغًا في التّرسيل والشّعْر، وَكَتَبَ عن السيّد أبي عبد الله بن أبي حَفْص بن عبد المؤمن بِبَلَنْسِيَة، ثمّ عن أبيه السيّد أبي زَيْد، ثمّ دَخَلَ معه دار الحَرْب حين نَزَعَ إلى دين النّصرانية، وَرَجَعَ عنه قبلَ أن يَأْخُذ به. ثمّ كَتَبَ عن زيّان بن مَرْدَنِيش. ولمّا دَلَفَ الطّاغِيَه إلى بَلَنْسِيَةَ وَنازَلَها بَعَثَ زَيّانُ بوَفْدِ بلَنْسِيَة وبَيْعَتهم إلى الأمير أبي زَكَرِيّاء، وكان فيهم ابنُ الأبّار هذا الحافظ، فَحَضَرَ مجلِسَ السّلْطان وأَنْشَدَ قصيدَتَه على رَوِيّ السّين يَسْتَصْرِخُه، فبَادَرَ السّلطانُ بإغاثَتِهم وشَحَنَ الأساطيلَ بالمَدَدِ إليهم من المال والأَقْوات والكُسَى فوَجَدُوهُم في هُوّة الحِصار، إلى أن تَغَلَّبَ الطّاغِيةُ على بَلَنْسِيَة.

ورَجَعَ ابنُ الأبّار بأَهْلِهِ إلى تُونِس غِبْطَةً بإقْبال / السّلطان عليه، 53]
فنَزَلَ منه بخير مكان، ورَشَّحه لكَتْب عَلامَتِه في صُدور رَسائله ومَكْتوباته، فكَتَبَها مُدّةً. ثمّ إنّ السّلطانَ أَرَادَ صَرْفَها لأبي العبّاس الغَسّاني لما كان يُحْسِنَ كِتابَها بالخطّ المشرقيّ، وكان آثَرَ عنده من الخطّ المَغْرِبي.

---

(1) محمد بن عبد الله، القضاعي البَلَنْسي مؤرخ أديب، رحل من بلنسية واستقر بتونس وولاّه السلطان أبو زكرياء الحفصي كتابة العلامة، وقتله ابنه المستنصر بأبيات نسبت إليه. من كتبه: التكملة لكتاب الصلة، والحلّة السِّيَراء، وإعتاب الكتاب، وغيرها. انظر الذهبي: سِيَر أعلام النبلاء 22: 336 (234)، الصفدي: الوافي بالوفيات 3: 355 .

فَتَخمَّطَ[1] ابنُ الأبّار أَنَفَةً من إيثار غَيْرِه عليه، وافْتَأتَ[2] على السّلطان في وَضْعها في كتابٍ أَمَر بإنْشائه لقُصور التّرسيل يَوْمئذٍ في الحَضْرة عليه، وأن يُبْقيَ مكانَ العلامة منه لواضِعها، فَجاهَرَ بالردّ وَوَضَعَها اسْتبدادًا وأنفَةً، وعُوتِبَ على ذلك فاسْتَشاطَ غضبًا وَرمَى بالقَلَم، وأنْشدَ مُتمثّلا[3]:

أطْلُبِ العزَّ في لظَى وذَرِ الذُلْـ لَ ولو كان في جِنانِ الخُلودِ

ونَمَى ذلك إلى السّلطان فأمَرَ بلُزومِه بَيْته. ثمّ اسْتَعْتَبَ السّلطانَ بتأليفٍ رَفَعَه إليه عَدَّ فيه من عُوتِبَ من الكُتّاب وأُعْتِبَ، وسمّاه: إعتابَ الكتّاب. واسْتَشْفع فيه بابْنه المسْتَنْصر، فَغَفَرَ السّلطانُ له وأقَالَ عَثْرتَه وأعادَهُ إلى الكِتابة.

ولَمّا هَلَكَ الأميرُ أبو زَكريّاء دَفعَهُ المُستَنْصر إلى حُضور مَجْلسه مع الطّبقة الذّين كانوا يَحْضُرونَهُ من أَهْل الأنْدَلس وأهل تُونِس، وكان في ابن الأبّار أَنفةٌ وَبَأْوٌ[4] وضيقُ خُلُق، فكان يُزْري على المُسْتنصر في مَباحِثة ويَسْتَقْصِرُهُ في مَدارِكه، فَخَشُنَ له صدْرُه، مع ما كان يُسْخِطُ به السّلطانَ من تَفْضيل الأنْدلس ووُلاَتها عليَه. وكانت لابن أبي الحُسَين فيه سِعايَةٌ لِحقْدٍ قَديم، سَبَبُه أنّ ابنَ الأبّار لـمّا قَدِمَ في الأُسْطول من بَلَنْسِيَةَ نَزَلَ

---

(1) تَخَمَّطَ الرجلُ: غضب وتكبّر.

(2) افتَأَتَ: اختلق.

(3) للمتنبي من شعر صباه، من قصيدته المبكرة: [من الخفيف]

كم قـتيلٍ كما قُـتِـلْـتُ شهيدِ بين طَعْنِ القَنا وخَفْقِ البُنود

الديوان 13 - 16 .

(4) البأْوُ: العظمة، والكِبْرُ والفَخْرُ.

بِنْزَرت وخَاطَبَ ابنَ أبي الحُسَين بغَرض رسالَتِه، وَوَصَفَ أَباه في عنْوان مَكْتوبه بالـمَرْحوم، ونَبَّهَ على ذلك فاسْتَضْحَكَ وقال: إنّ أَبَا لا يُعْرَفُ حياتُه من مَوْته لَأَبٌ خامِلٌ.

/ ونَمِيَتْ إلى ابن أبي الحُسين فأسَرَّهَا في نَفْسه، وَنَصَبَ له إلى أن 253]
حَمَلَ السلطانَ على إشْخاصه إلى بِجاية، ثمّ رَضِيَ عنه واسْتَقْدَمَهُ وَرَجَّعَهُ إلى مَكانه من الـمَجْلس. وعَادَ هو إلى مَساءَةِ السّلطان بنَزغاته. إلى أن جَرَى في بعض الأيّام ذكرُ موْلِد الواثِق، وسَاءَلَ عنه السّلطانُ فاسْتُبْهِمَ، فغدَا عليه ابنُ الأبار بتاريخ الولادَة وطالِعِها، فأتُّهِمَ بتَوَقُّع الـمَكْروه للدّولَة والتربُّص بها، كما كان أعداؤه يُشَنّعون عليه لِمَا كان يَنظُر في النُّجوم. فتَقَبَّضَ علَيه، وبَعَثَ السُّلطانُ إلى داره فَرُفِعَتْ إليه كُتبُه أَجْمَعُ، وأُلْفِيَ أثناءَها - فيما زَعَمُوا - رقعةٌ بأبْياتٍ، أوّلها[1]: [من المُجتث]

طَغَى بتُونِس خلْفٌ سَمَّوْهُ ظُلْمًا خَليفَـهْ

فاسْتَشاطَ لها السّلطانُ وأمَرَ بامْتحانه ثمّ بقَتْله، فقُتِلَ قَعْصًا بالرّماح وسط محرّم من سَنة ثمانٍ وخَمْسين، ثمّ أُحْرِقَ شِلْوُهُ، وسِيقَتْ مجلّداتُ كُتُبِه وأوراقُ سَماعِه ودَواوِينُه فأُحْرِقَتْ معَه.

---

(1) الزركشي: تاريخ الدولتين 76

## 65 • الخبرُ عن مَقْتل اللُّلّياني[أ]، وأَوّليّته، وتَصاريفِ أَحْواله

أصلُ هذا الرّجل من لُلّيانة، قَريةٌ من قُرى المَهْديّة، مَضمونة اللاّم الأولى مَكْسورة الثانية. وكان أبوهُ عامِلاً بالمَهْديّة، وبها نَشَأَ ابنُه أبو العبّاس، وكان يَنْتَحِلُ القراءةَ والكتاب حتّى حَذَقَ في عُلوم اللّسان، وتَفَقّهَ على أبي زَكَريّاء البَرْقي، ثم طَالَعَ مَذاهبَ الفَلاسِفَة، ثم صار إلى طَلَبِ المَعاش من الإمارة، فَوَلِيَ أعمالَ الجِبابة، ثم صُودِرَ في ولايته على مالٍ أَعْطَاهُ. وَتَخَلَّصَ من نَكْبته فنَهض في الولايات حتّى شارَكَ كلَّ عاملٍ في عَمله بما أَظْهر من كِفايته وتَنْمِيَته للأَمْوال حتّى قُصِرَ بِهم وأُدِيلَ منهم. وكان الكثيرُ منهم مُعْتَلِقًا من ابن أبي الحسَين رئيسِ الدّوْلة بذِمّة خِدْمةٍ، فآسَفَه بذلك، وأَغْرَى / [254 أ] به بِطانةَ السّلطان ومَواليه حتّى سَعَوْا به عند السّلطان وأنّه يَرُومُ الثّورةَ بالمَهْديّة، حتّى خَشُنَ له باطِنُ السّلطان. فدَخَلَ عليه ذاتَ يومٍ أبو العبّاس الغَسّاني فاستَجازَهُ السّلطان في قَوْله: [مجزوء الرجز]

اليومَ يومُ المَطر

فقَال الغَسّاني:

ويومُ رَفْعِ الضَّررِ

فتَنَبّهَ السّلطانُ واسْتَزادَهُ، فَأَنْشَدَ:

والعامُ عامُ تِسْعةٍ     كمثْلِ عامِ الجَوْهري[1]

(أ) ط: بلام واحدة، اللياني. انظر رحلة التجاني 37.

(1) تاريخ الدولتين 77

فكانتْ إغرَاءً باللّلِّياني، فأَمَر أن يُتَقَبَّض عليه وعلى عَدّوه ابن العَطّار، وكان عاملاً، وأَمَر أبا زَيْد بن يَغْمور بامْتِحانهما، فعَذَّبَهُمَا حتّى اسْتَصْفَى أموالَهما، والمَيْلُ في ذلك على اللّلِّياني. وكان في أيّام امْتِحانه يُبَاكِرُ مَوْضعَ عمَلِه، ثمّ نُمِيَ عنه أنّه يَرُوم الفِرارَ إلى صِقليّةَ، وبُوحِثَ بعضُ من داخلَه في ذلك فأَقَرَّ عليه، فَدُفِع إلى هِلالٍ كبيرِ الموالي من المَعْلُوجى فضَرَبَهُ إلى أنْ قَتَلَه وَرُمِيَ بشِلْوِه إلى الغَوْغاء فَعَبَثُوا به وقَطَعُوا رأْسَه. ثمّ تُتُبِّعَ أقارِبُه وذَوُوه بالنّكال إلى أن اسْتُنْفِذُوا.

## 66 • الخبرُ عن انْتقاض أبي عليّ المِلْياني بمَلْيَانَة، وفَتْحِها على يَد الأَمير أبي حَفص

كان المَغْربُ الأوسطُ من تِلمْسانَ وأعمالِها إلى بِجاية في طاعَة السُّلطان منذ تغلَّبَ أَبوه الأميرُ أبو زكرياء عليه وفتحَ تِلِمْسانَ وأَطَاعَهُ يَغْمَرَاسِن. وكان بين زَنَاتَةَ بتِلْك الجهات فِتَنٌ وحروبٌ شأنُ القبائِل واليَعاسيب. وكانت مَلْيانَة من قِسْمة مَغْرَاوة بَني وَرْسِيفَان، وكانوا أهلَ بادِيةٍ، وتَقَلَّصَ ظلُّ الدّولة عن تلك الجِهات بعضَ الشّيء. وكان أبو العبّاس المِلْياني من مَشيخة مَلْيَانَة صاحبَ فِقْهٍ وروايَةٍ وسَمْتٍ ودينٍ، رَحَلَ إليه الأَعْلام، وأخذَ عنه العُلماء، / وانْتَهَتْ إليه رِئاسةُ الشّورَى ببلَدِه. ونَشَأ ابنه أبو عليّ خِلْوًا من الخِلاَلِ، مُتَهالِكًا في الرّئاسة، متّبِعًا غِوايَة الشّبيبة. فلمّا رأَى تَقَلُّص ظِلّ الدّولة وفِتَنَ مَغْرَاوَةَ مع يَغْمَرَاسِن ومُزاحمَتَهُ لهم، حَدَّثَتْهُ نفسُه بالاسْتِبْداد، فَخَلَع طاعَةَ آلَ أبي حَفْص ونَبَذَ [254 ب]

دَعْوتهم، وانبَرَى بها داعيًا لنَفْسه. وبَلَغَ الخبرُ إلى السُّلطان فسَرَّح إليها أخاهُ الأميرَ أبا حَفْص ومعه الوزيرُ أبو زَيْدِ بنُ جامع، ودُنْ الرّنك أخو ألفُنْش وطبقاتُ الجُنْد، فخرجَ من تونِس سنةَ تسعٍ وخَمْسين، وأغَذَّ السَّيْر إلى مِلْيِيانَة، فنازَلَها مُدَّةً وَشَدّ حِصارَها حتّى اقْتَحَمَها غِلابًا، وفرّ أبو عليّ المِلْياني وَلَحِق ببَني يَعْقوب من آل العَطّاف[1] أحدِ شُعوبِ زُغْبَةَ، فأَجَارُوه وَأجازُوه إلى المغرب الأَقْصى، إلى أن كان من خَبَره ما نَذْكُره بَعْدُ.

ودَخل الأميرُ أبو حَفْص مَلْيَانة ومَهّد نواحِيَها، وقد عَقَدَ علَيْها ابنُ مِنْديلٍ أميرُ مَغْرَوَاةَ فَملَكَهَا، مُقيمًا فيها لِدَعْوةِ السّلطان، شأن غَيْرها من عَمالات مَغْراوَة. وقَفَلَ الأميرُ أبو حَفْصٍ إلى تونِس، ولَقِيَهُ بطَريقه كِتَابُ السّلطان بالعَقْد له على بِجَايَة وإمارَتها، فكَرِه ذلك غِبْطَةً بجوار السُّلْطان، وتَرَدَّدَتْ في ذلك رَغْبَتُه فأُدِيلَ منها بالشّيخ أبي هِلال عَيّاد بن سَعيد الهِنَاتي، وَعَقَدَ لَه على بِجايَة، ولَحِقَ الأميرُ أبو حَفْصٍ بالحَضْرَة، إلى أنْ كان من خِلافَته ما يُذْكَرُ بَعْد.

وَهَلَكَ شقيقُه أبو بَكْر ابنُ الأمير أبي زَكرِيّاء ثانيةَ مَقْدَمِهِ إلى تُونِس سنةَ إحدى وستّين، فتَفَجَّعَ له الخليفةُ والقَرابةُ والنّاس، وشَهِدَ السُّلْطان جنازتَه. والبقاءُ لله وَحْده.

---

(1) من أبناء الحارث بن مالك بن زُغْبة. وهم من ولد عطاف بن رومي بن حارث (العبر 11: 102). وموطن العَطاف قبلة مَلْيَانَة، ورئاسة ظعونهم لولد يغقوب بن موسى بن يعقوب بن نصر بن عروة بن منصور بن أبي الذيب بن حسن بن عياض بن عطاف .

## 67 • الخَبَرُ عن فِرار أبي القاسِم بن أبي زَيْد ابن الشّيخ محمّد، وخُروجِه في رياحٍ.

[255 أ] / كان أبو القاسِم بن أبي زَيْد هذا في جُمْلة ابن عَـمّه الخَليفَة وتحتَ جِرايَتِه. وأبوهُ أبو زَيْد هو القائِم بالأَمْر بعدَ أبيه الشّيخ أبي محمّد، ولَحِقَ بالـمَغرب. وجاءَ أبو القاسم في جُمْلة الأمير أبي زَكرِيّاء، وَأَوْصَى به ابنَه. إلى أنْ حَدَّثَتْه نَفْسُه بالتوثُّبِ والخُروج، وغَامَرَهُ[أ] الرُّعْبُ من إشاعَةٍ تَنَاقَلَها الدَّهْماءُ، سببُها أنّ السُّلْطان اسْتَحْدَثَ سِكّةً من النُّحاسِ مُقدَّرَةً على قيـمَتِهِ من الفِضّة، حَاكَى بها سِكّةَ الفُلوس بالـمَشْرق تسهيلاً على النّاس في الـمُعامَلات بأَسْواقِهم، وتَيْسِيرًا لاقْتِضاء حاجاتِهم، وَلِمَا كان لَحِقَ سكّةَ الفِضَّة من غِشّ اليَهود الـمُتَناولين لصَرْفها وصَوْغِها. وَسَمّى سِكّتَهُ التي اسْتَحْدَثَها بالحندوس[1]، ثم افسَدَهَا النّاس بالتّدْليس، وضَرَبَهَا أهلُ الرِّيَبِ ناقِصةً عن الوَزْن وفَشَا فيها الفسادُ، واشْتَدَّ السُّلطانُ في العُقوبَة عليها فَقَطَع وقَتَلَ، وَصَارتْ رِيبَةً لمن تَنَاوَلَها.

وأَعْلَنَ النّاسُ بالنَّكبير في شَأْنِها، وتَنَادَوْا بالسُّلْطان في قَطْعِها، وكَثُرَ الخَوْضُ في ذلك، وتُوُقِّعَتِ الفِتْنَةُ. وأُشِيعَ من طريق الحَدَثَان الذي يَكْلَفُ به العَامّةُ أنّ الخارجَ الذي يُثِيرُ الفِتْنَة هو [أبو][ب] قاسِم بن أبي زَيْد. فأَزَالَ

(أ) ظ: عامَره، بمَعْنى باطَشه وقاتلَه (ب) سقط من ظ.

(1) فلوس من النحاس ضربت في ربيع سنة 660 هـ تيسّر المعاملات بين الناس ثم كثر فيها التدليس فأوقف التعامل بها في شوال من السّنة نفسها (انظر تاريخ الدولتين 80).

السُّلْطانُ تلكَ السكّةَ وغَفَا[1] علَيْها. وأَهَمَّهُ شأنُ أبي القاسِم ابن عَمّه، وبَلَغه الخَبرُ فخَامَرَه الرُّعْب إلى ما كان يُحَدِّثُ نفسَه من الخُروج، فَفَرَّ من الحَضْرة سنةَ إحْدى وستّين ولَحِقَ برياحٍ، ونَزَلَ على أميرِهم شِبْلِ بن مُوسَى بن محمّد رئيسِ الذّوَاوِدَة، فَبَايَعَ له وقَامَ بأمْره، ثمّ بَلَغَهُ اعتزامُ السُّلْطان على النّهوض إليه فَخَشِيَ بادِرَتَه، واضْطَرَبَ أَمرُ العَرب من قَبيلِه. ولـمّا أَحَسَّ أبو القِاسم باضْطِرابهم، وخَشِيَ أن يُسَلِّمُوهُ إذَا أَرَادَهُم السُّلطان علَيْها، تَحَوَّلَ عنهم ولَحِق بتِلِمْسَان، وأَجَازَ البَحْرَ منها إلى الأندلس. وصَحِبَ الأميرَ / أبا إسْحاق ابن عمّه في مَثْوى اغْتِرابهما بالأَنْدلُس. [255 ب] ثُمّ ساءَتْ أَفْعالُه وعَظُمَ اسْتِهتارُه وفَشَا النّكيرُ عليه من الدّولَة، فَلَحِق بالمغرب وأَقامَ بتِينمَلَّلْ مدّةً، ثم رَجَعَ إلى تِلِمْسان وبها مَاتَ. وأَقَامَ الأميرُ أبو إسْحاق بمكانه من جوار ابنِ الأَحْمر إلى أن كان من أَمْره ما نَذْكُرُه.

## 68 • الخبرُ عن خُروج السّلطان [إلى][أ] المَسِيلَة

لما اتَّصَلَ بالسّلطان شَأْنُ [أبي][أ] قاسِم ابن عَمّه أَبي زَيْد وفِصَالُه عن رياحٍ إلى المَغْرب بعد عَقْدِهم بَيْعَتَه وإجْلابِهم على البلاد مَعه، خَرَجَ من تونِس سنةَ أربع وستّين في عَساكِر المُوَحّدين وطَبقات الجُنْد لتَمْهيد الوَطن ومَحْو آثارِ الفاسِد منه وتقويم العَرب على الطّاعَة. وتَنَقَّلَ في الجِهات

(أ) سقط من ظ.

(1) غفا: نام، كناية عن إهمالها بالنسيان، كأنّه نامَ عليها.

إلى أن وَصَلَ بلادَ رياحٍ، فدَوَّخَها ومَهَّدَ أرجاءَها، وفَرَّ شِبْلُ بنُ موسَى وقومُه الذَّواوِدةُ إلى القَفْر. واحتَلَّ السّلطانُ بالمَسِيلَةِ آخرِ وَطن رِياح. ووافاهُ هُنالك محمّدُ بن عبد القَوِيّ أميرُ بني تُوجِّين من زَناتة مجدِّدًا لطاعَتِه ومُتبرِّكًا بزيارته. فتلَقّاه من البُرور تَلَقِّيَ أمْثالِه، وأثقل كاهِلَه بالحِباءِ والجَوائِز، وجَنَبَ له الجيادَ المقْرَبات بالمراكِب المُثْقَلَة بالذَّهَب واللُّجُمِ المحلاّة، وَضَرَبَ له الفَساطِيطَ الفَسيحةَ الأَرْجاء من ثِيابِ الكِتّان وجُدَلِ القُطْن، إلى ما يَتْبَعُ ذلك من المالِ والظَّهْر والكُراع والأَسْلِحَة، وأَقْطَعَ له مدينةَ مَقَّرَة وبلَدَ أُوماش من عَمَل الزّابِ، وانقَلَبَ عنه إلى وَطَنِه. وَرَجَعَ السُّلطانُ إلى تُونِس وفي نَفْسه من رياحٍ ظَغَنٌ إلى أن صَرَفَ إليْهم وَجْهَ تَدْبيره كما نَذْكُرُه.

ولثانيةِ اختِلاله بالحَضْرة سنةَ خمسٍ وستّين كان مَهْلِكُ مولاه هِلالٍ ويُعْرَفُ بالقائِد، وكان له في الدّولة مكانٌ بما كان تِلاَدًا للسُّلْطان. وكانَ شُجاعًا جوادًا خيّرًا مُحَبَّبًا سَهْلاً مُقْبِلاً على أهل العِلْم وذَوي الحاجات، وله في / سَبيل الخَيْر أثارٌ مَنقولةٌ طارَلَهُ بها ذكرٌ، فارْتَمَضَ السّلْطان لِمَهْلِكِه. 256]

## 69 • الخَبَرُ عن مَقْتَل مَشْيَخَة الذَّواوِدَة

كان شِبْلُ بن موسى وقَوْمُه من الذَّواوِدَة قد فَعَلُوا الأَفاعيلَ في اضطِراب الطّاعة ونَصْبِ من لَحِقَ بهم من أَهْل هذا البَيْتِ للمُلْكِ. فبايَعُوا أوّلاً للأمير أبي إسْحاق، كما ذَكَرْنا، ثمّ بَعْده لأبي القاسم ابنِ عمّه أَبي زَيْد. وخَرَجَ إليهم السّلطان سنةَ أرْبع وستّين ودَوَّخَ أوطانَهم ولَحِقُوا بالصّحْراء.

ودَافعُوه على البُعْد بطاعةٍ ممرّضَة فتقَبّلَها وطَوَى لهم على النَّثّ. ورَجَعَ إلى تونِس فأَوْعَزَ إلى أبي هِلال عيّاد عامِل بِجَايَةَ من مَشْيَخة المُوَحّدين باصْطِناعهم واسْتِئْلافِهم لتَكُونَ وِفادَتُهم عليه من غَيْر عَهْد. وجَمَعَ السُّلطانُ أحْلافَه من كُعوب بَني سُلَيم ودَبّاب وأفاريقِ بَني هِلال. وخَرَجَ من تُونِس سنةَ ستٍّ وستّين في عساكِر المُوَحّدين وطَبقات الجُنْد. ووافَاه بَنو عساكِر بن سُلْطان إخْوةُ بَني مَسْعود بن سُلْطان من الذَّوَاوِدَة، فعَقَدَ لمهديّ بن عَساكِر على إمارَة قَوْمه وغَيْرِهم من رِياحٍ، وَفَرَّ بَنو مَسْعود بن سُلْطان مُصْحِرِينَ، والسّلطانُ في إثْرهم حتَّى نَزَلَ نَقَاوُس، وعَسْكَرُوا بثَنَايا الزَّابِ، ورُسُلُهم تَخْتَلِفُ إلى أبي هِلاَلِ إيناسًا للمُراجعة على يَده للدّخْلة السّابِقة، فأَشَارَ عليهم بالوِفادَة على السّلطان وَفاءً بقَصْده من ذلك فتقَبَّلُوا إشارَتَه، ووَفَدَ أميرُهم شِبْلُ بنْ موسَى بن محمّد بن مَسْعود، وأخوهُ يَحيى، وبَنو عَمّهما أولاد دُرَيد بن مَسْعود، [و][أ] سِبَاعُ بن يَحيى بن دريد، وابْنُه، وطَلْحةُ بن مَيْمون بن دُريد، وحدّاد بن مولاهم بن خنْفر بن مَسْعود، وأخوهُ، فتَقَبَّضَ علَيهم لحينِهم وعلَى دريد بن تازيز من شُيوخ كِرْفَة،
[2ب] وانْتُهِبَتْ أَسْلابُهم، وضُرِبَتْ أَعْناقُهم، ونُصِبَتْ أشْلاؤُهم بزرايا / من جِهات نَقَاوُس حيث كانَتْ بَيْعتُهم لأبي القاسِم بن أبي زَيْد، وبَعثَ برُؤوسِهم إلى بِسْكِرَة فنُصِبَتْ بها. وأغَذَّ السَّيْرَ غازيًا إلى أحْيائِم وحِلَلِهم بمكانها من ثَنايا الزّاب. وَصَبَّحَهُمْ هُنالِك فأَجْفَلُوا وتَرَكُوا الظّهْرَ والكُراع والأبْنيَة، فامْتَلأَتْ أيْدي العساكِر وسَدْويكِش منْها، ونَجَوْا بالعِيال والوُلْد على الأَقْتاب، والعساكِرُ في اتّبَاعِهم إلى أن أَجَازُوا وادي شدي قبلَةَ الزّاب،

(أ) زيادة للربط.

وهو الوادي الذي يَخْرُجُ أَصْلُه من جَبل راشِد قبلةَ المغرب الأوْسَط، ويَمُرّ إلى ناحِيَة الشّرق مجتازًا بالزّاب إلى أن يَصُبّ[أ] في سَبْخة نَفْزاوَة من بلاد الجَرِيد. فلمّا أجَازَ فَلُّهم الوادي أَصْحَرُوا إلى المفازة المُعْطِشة والأرضِ الحرَّة السّوداء المُستَحْجِرة المسمّاة بالحَمادَة، فَرجعَتْ العَساكِرُ عنهم. وانقَلَبَ السُّلطانُ من غزاتِه ظافرًا ظاهِرًا، وأَنْشَدَهُ الشعراء في التَّهْنِئة. ولَحِقَ فَلّ الذَّواوِدَة بملوك زَنَاتَة، فنَزَلَ بَنو يحيى بن دُريد على يَغْمَرَاسِن بن زَيَّان، وبَنو محمّد بن مَسْعود على يَعْقوب بن عبد الحقّ، فأَجَارُوهُمْ وأَوْسَعُوهُمْ حِباءً، ومَلأُوا أيديَهم بالصِّلات، ومَرابِطَهُمْ بالخَيْل، وأحْياءَهم بالإِبِل، ورَجَعُوا إلى مواطِنِهم فتَغَلَّبُوا على وَارْكَـلاَ وقصورِ رِيغَة، واقْتَطَعُوها من إيالَة السُّلطان. ثمّ زحفُوا إلى الزّاب فَجَمَعَ لهم عامِلُه ابنُ عَتُّو وكان مُوَطّنًا بِمَقَّرَة، ولَقِيَهم على حُدود أَرض الزّاب فَهَزَمُوه واتَّبَعُوه إلى فطَاوَة فقَتَلُوه عندَها، واستَطالُوا على الزّاب وجَبل أَوْرَاس وبلاد الحُضْنَةِ، إلى أن اقْتَطَعَتْهم الدُّولُ إيّاها من بعد ذلك فَصارَتْ مِلْكًا لهم.

## 70 • الخبرُ عن طاغِيَة الإفْرِنْجة ومُنازلَتِه تُونس في أَهْل نَصْرانِيَّتِه

هذه الأمّةُ المعْروفَةُ بالإفْرِنْجة، وتُسَمِّيهَا العامّةُ بالإفرانسي نسبةً / [257 أ] إلى بَلَدٍ من أُمّهات أَعْمالِهم تسمّى إفْرَانْسَة. ونَسبُهم إلى يافث بن نُوحٍ، وهم بالعُدْوَة الشّماليّة من عُدْوَتَيْ هذا البَحْر الرّومي الغَرْبيّ، ما بَيْن جزيرة

(أ) ظ: نصب.

الأنْدَلُس وخليج القُسْطَنْطِينيّة[أ]، مجاوِرُونَ الرومَ من جانِب الشّرق، والجلالِقَة من جانِب الغَرْب. وكانوا قد أَخَذُوا بدين النَّصْرانيَّة مع الرّوم ومنهم لَقِنُوا دينَها، واسْتَفْحَلَ مُلكُهم عندَ تَراجُع مُلْك الرّوم، وأَجَازُوا البحرَ إلى إفْريقيّة مع الرّوم فملكوها، ونَزَلُوا أمْصارَها العظيمةَ مثل سُبَيْطِلَة وجَلُولاَء وقَرْطَاجَنَّة ومُرْنَاق وبَاغَايَة ولَمْبَس وغيرها من الأَمْصار، وَغَلَبُوا على من كان بها من البَرْبَر حتى اتَّبَعُوهم في دينِهم وأَعْطَوْهم طاعةَ الانْقِياد.

ثم جَاءَ الإِسْلام وكان الفَتْح بانْتزاع العَرَب من أيديهم سائرَ أمْصارِ إفْرِيقِيَّة والعُدْوة الشَّرقية والجزرَ البحريّة، مثل إقْرِيطِش ومَالِطَة وصِقِلِّيَة ومَيُورقَةَ وَرَجَّعُوهُمْ إلى عُدْوَتِهم الشّماليّة. ثمّ أَجَازُوا خليجَ طَنْجَةَ، وغَلَبُوا القُوطَ والجَلاَلِقَةَ والبَشْلَنْس، ومَلَكُوا جزيرةَ الأنْدَلُس، وخَرَجُوا من ثَنَاياها ودُروبها إلى بَسائِط هؤلاء الإفرنْجَةِ فدَوَّخُوها وعَاثُوا فيها. ولم تَزَل الصّوائفُ تَتَرَدَّدُ إليهَا صَدْرًا من دَوْلة بَني أُميّة بالأَنْدَلُس. وكان وُلاَةُ إفْرِيقِيَّة من الأَغالِبة ومَن قَبْلهم أيضًا يُرَدِّدون عساكرَ المُسْلمين وأساطيلَهم من العُدْوة حتّى غَلَبُوهُمْ على الجُزُرِ البَحْريّة، ونَازَلُوهم في بَسائط عُدْوَتِهم. فلم تَزَلْ في نُفوسهم من ذلك ضَغائن، وبَدَأَتْ يُخَالِجُهَا الطّمعُ في ارتجاع ما غُلِبوا عليه مِنها، وكان الرّوم أقربَ إلى سواحِل الشّام وأَطْمَعَ فيها، فلَمّا وَهَنَ أمرُ الرّوم بالقُسْطَنْطِينِيَّة ورُومَة، واسْتَفْحل مُلْك الفِرنْجَة هؤلاء، وكان ذلك على تَفِئَة[ب] سُقوط الخِلافة بالمشرق، فَسَمَوْا حينئذٍ إلى التّغلّب على مَعاقل الشّام وثُغوره، فزَحَفُوا / إليها ومَلَكُوا الكثيرَ منها، [257ب]

(أ) كذا في ظ، وترد عنده دائمًا بصيغة القسطنطينة (ب) نفسه. ظ: تفية.

واسْتَوْلَوْا على المسْجد الأقْصى، وبنوا فيه الكنيسةَ العُظْمَى بَدَلَ المسْجد، ونازَلُوا مصرَ والقَاهِرةَ مِرارًا حتّى أَتَاحَ الله الإسْلامَ من صَلاَحِ الدّين بن أيوّب الكُرْدِي صاحبِ مصرَ والشّام في أواسِط المائة السّادسة جَنَّةً وَاقِيَةً وعذابًا على أهل الكُفْر مَصْبوبًا، فأبْلَى في جِهادهم وارْتَجَعَ ما مَلَكُوهُ، وطَهَّرَ المسجدَ الأقصى من إفْكِهِمْ وكُفْرهم، وهَلَكَ على خَيْرِ عملٍ من الغَزْو والجِهاد.

ثمّ عَاوَدُوا الكَرّة ونَازَلُوا مصرَ في المائة السّابعة على عَهْد الملك الصّالح صاحب مصْرَ والشّام، وأيّامَ الأمير أبي زَكَرِيّاء بتُونِس، فَضَرَبُوا أَبْنِيَتَهم بِدِمْيَاط وافْتَتَحُوهاَ، وتَنَقَّلُوا في قُرَى مِصْرَ. وهَلَكَ الملكُ الصّالِحُ خِلالَ ذلكَ، وَوَلِيَ ابنُه المُعَظَّمُ، وأمْكَنَتِ المسلمينَ في الغَزْو فرصةٌ أيّامَ مَفيض[أ] النّيل، فَفَتَحُوا الفِراضَ وأزَالُوا سُدَدَ الماء فأَحَاطَ بمُعَسْكَرِهم، وهَلَكَ منهم عالَمٌ، وقِيدَ سُلطانُهم أسيرًا من المعْركة إلى السُّلطان، فاعْتَقَلَه بالإسْكَنْدَرِيَّة حتّى مَنَّ عليه بعدَ حينٍ من الدّهْر، وأَطْلَقَهُ على أن يُمَكِّنُوا المسلمِيَن من دِمْيَاطَ فَوَفَوْا به، ثمّ على شَرْط المُسالَمَةِ[ب] فيما بَعْدُ، فَنَقَضَهُ لمدّةٍ قريبةٍ. واعْتَزَمَ على الحركَة إلى تونِس متجنّيًا عليهم فيما زَعَمُوا بمالٍ ادَّعَى تُجّارُ أرْضِهم وأنّهم أَقْرَضُوهُ لِلِّلِّيَاني، فلَمَّا نَكَبَهُ السّلطانُ طَالَبُوه بذلك المال وهو نحو ثلاث مائة ألف دينار بغير مُوجِبٍ يَسْتَنِدُونَ إليه، فَغَضِبُوا لذلك واشْتَكَوْا إلى طاغِيَتِهم، فامْتَعَضَ لهم، وَرَغَّبوهُ في غَزْو تُونِس لما كان فيها من المجاعَة والمَوْتان. فأَرْسَلَ الفِرنْسيسُ طاغيةُ الإفْرنْج واسمُه لُوِيسُ بن لُوِيس، ويُلَقّبُ بلُغَة الإفرِنْج ريد إفْرنْس، ومَعْناه مَلِكُ إفْرِنْس. فأرْسَلَ

(أ) ظ: مقبض (ب) ظ: المسالة.

إلى مُلوك النّصارَى يَسْتَنْفِرُهُمْ إلى غَزْوِها، وأَرْسَلَ إلى البَابَّة، خليفةِ المسيح بزَعْمِهم، فأَوْعَزَ إلى مُلوك النّصرانيّة بمُظاهَرته، وأَطْلَقَ يَدَهُ في أموال الكَنائِس مَددًا له.

وَشَاعَ خبرُ اسْتِعْداد النّصارَى للغَزْو في سائر / بلادِهم، وكان الذين [258 أ] أَجَابُوه لغزْو بِلاد المُسْلمين من مُلوك النّصْرانيّة مَلكُ الإنكتار وملكُ إسكوسنا وملك ثورك وملك بُرْشلونَة واسْمه ريد رَاكُون، وجماعةٌ آخرون من مُلوك الفِرنْج، هكذا ذكَر ابنُ الأَثِير[1]. وأَهَمَّ المسلمينَ بكلّ ثَغْرٍ شأنُهم، وأَمَدَّ السّلطانُ في سائِر عَمالاتِه بالاسْتِكْثار من العُدَّةِ، وأَرْسلَ في الثّغور بذلك وبإصْلاح الأَسْوار واخْتِزان الحُبوب، وانْقَبَضَ تُجّارُ النّصارَى عن تعهّد بلاد المسلمين. وأَوْفَدَ السّلطانُ رُسلَه إلى الفِرنْسيس لاخْتبار حالِه ومُشارَطته على ما يَكُفّ غَرْبَهُ، وحَمَلُوا ثمانِينَ ألفًا من الذّهب لاسْتِتْمام شُروطهم فيما زعَمُوا، فأَخَذَ المالَ من أيْديهم وأَخْبَرَهُم أنّ غَزْوَهُ إلى أَرْضهم. فلَمّا طَلَبُوا المالَ تَلَوَّى عليهم بأنّه لم يُبَاشِر قَبْضَه. وَوَافَقَ شأْنَهم معه وصولُ رسولٍ عن صاحب مِصْر، فأُحْضِرَ عند الفِرنْسيس واسْتُجْلِسَ فَأَبَى،

(1) لم يرد هذا النصّ في كتابه الكامل ولا كتابه الباهر، وقد وقعت هذه الأحداث بعد وفاة ابن الأثير بأربعين عامًا، فقد توفي سنة 630 هـ، والأحداث وقعت سنة 668هـ. وتقدم لابن خلدون أن أورد هذا الخبر عن التجمع الصليبي بصقليّة لملوك الفرنجة: لويس بن لويس وملك الانكلطار وملك اسكوسنا (في زبدة الفكرة: اسكوسيا) وملك بورك وملك برشلونة وهو ريد راكون وجماعة من ملوك الفرنج فاهتم الظاهر [في مصر] بحفظ الثغور والسواحل واستكثر من الشواني والمراكب. ثم جاء الخبر الصحيح بأنّهم قاصدون تونس. (العبر 10: 309). وقد نقل هذا الخبر في زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، لبيبرس الدوادار 124. لهذا فإنّ اسم ابن الأثير أُقحم هنا بوجه من الوجوه الخاطئة.

وأَنْشَدَ قائِمًا من قَوْل ابن مَطْرُوح[1] شاعِر السُّلطان بمِصْر: [من السريع]

قُلْ للفِـرِنْسيـسَ إذا جِئْـتَهُ　　مقالَ صِدْقٍ من قَؤولٍ فَصيحْ
آجَـرَكَ الله على مـا جَـرَى[أ]　　من قَتْل عُبّادِ نَصارَى[ب] المسيحْ
أَتَيْـتَ مصرًا تَبْتَغِي مُلْكَها[ج]　　تَحْسَـبُ أنّ الزَّمْرَ ياطَبْلُ رِيحْ
فَسَاقَـكَ الـحَيْنُ إلى أَدْهَمٍ　　ضَاقَ به عـن نَاظِرَيْكَ الفَسِيحْ
وكلُّ أَصحـابِـكَ[د] أَوْدَعْـتَهُمْ　　بسوء تَـدْبيرك[هـ] بَطْنَ الضَّرِيحْ
سبعونَ[و] أَلفًا لاَ يُـرَى مِنْهُمُ　　إلاّقـتـيلٌ أو أسيـرٌ جَرِيحْ
أَلْهَمَكَ[ز] الله إلى مِـثْـلِـها　　لَعلّ عـيـسَى مـنـكُمْ يَسْتَرِيحْ
إن يَكُنِ البَـابُ[ح] بِـذَا راضيًا　　فَرُبَّ غِشٍّ قـد أَتَى من نَصِيحْ
فاتَّـخِـذُوهُ كـاهِـنًا إنَّـه　　أَنْصَحُ من شِـقٍّ لكُمْ أو سَطِيحْ
وقُلْ لـهم إن أَزْمَعُوا[ط] عَوْدَةً　　لأَخْـذِ ثَـأْرٍ أو لِـفِعْلٍ قَبيحْ
دارُ ابن لُـقْـمَـانَ على حالِها　　والقَـيْـدُ باقٍ والطَّواشِي صَبِيحْ

/ يَعْنِي بدار ابنِ لُقْمان موضعَ اعْتِقاله بالإسْكَنْدَرِيَّة، وبالطَّواشِي [258 ب]
صَبيحَ الرّجلَ الموكَّل كان به، والطَّوَاشِي في عُرْف أَهْل مِصْرَ هو الخَصِيّ.

(أ) الديوان: مضى (ب) الديوان: نصارى (ج) الديوان: قد جئت مصرًا تبتغي أخذها (د) رُخْتَ وأصحابك (هـ) بقبح فعالك (و) الديوان: خمسون (ز) الديوان: فرَدَّك (ح) الديوان: إن كان بابَاكم (ط) الديوان: أضمروا.

(1) ديوان ابن مطروح 48 والقصيدة قيلت في وقت مبكّر على الأحداث المتداخلة المذكورة عاليه، فقد كتبها الشاعر بعد أسْر لويس التاسع بوقعة المنصورة سنة 648 وتفاصيل ذلك في الروضتين لأبي شامة 283 – 284 .

فلمّا اسْتَكْمَل إنشادَه لم يَزِدْ ذلك الطّاغِيَةَ إلاّ عُتُوًا واسْتِكْبارًا، واعْتَذَرَ عن نَقْضِ العَهْد في غَزْوِ تُونِس بما يَسْمَعُه عنْهم من الـمُخالَفاتِ عُذْرًا دَافِعَهُمْ به، وَصَرَفَ سائِرَ الرُّسُلِ من شَتّى الآفاقِ ليَوْمِه، فَوَفَد رُسلُ السُّلطان مُنْذِرِينَ بشَأْنِهم. وَجَمَعَ الطّاغِيةُ حَشْدَهُ، وَرَكِبَ أساطِيلَهُ إلى تُونِس آخِرَ ذي القَعْدة سنةَ ثمانٍ وستّين، فاجْتَمَعُوا بِسَرْدَانِيَة، ويُقَالُ بصقليّة، ثمّ وَاعَدَهم بـمَرْسَى تونِس، وأَقْلَعوا.

ونادَى السّلطانُ في النّاس بالنّذير بالعَدُوّ والاسْتِعْداد له والنّفير إلى أَقْرب المرافِيء، وبَعَثَ الشّواني لاسْتِطْلاع الخبَر، واسْتَبْهَم أيّامًا، ثمّ كان عَيْنُهُ فِرَارُهُ[1]، ثمّ تَوَافَتِ الأساطيلُ بمَرْسَى قَرْطَاجَنَّةَ، وَتَفَاوَضَ السّلطانُ مع أهْلِ الشّورَى من الأَنْدلُس والـمُوَحّدين في تَخْلِيَتِهم وشَأْنَهم من النّزول بالسّاحِل أو صَدِّهم عنه، فَأَشَارَ بعضٌ بصَدِّهِمْ حتّى تَنْفَدَ ذخيرتُهم من الزّاد والماء فيَضْطَرُّون إلى الإقْلاع. وقال الآخرون إذا أَقْلَعوا من مَرْسى الحَضْرة ذاتِ الحامِية والعَدَد صَبَّحُوا بعضَ الثُّغور سِواها فَمَلَكُوهُ واسْتَبَاحُوه واسْتَصْعَبَتْ مُغالَبَتهم عليه. فَوَافَقَ السّلطانُ على هذا وَخَلُّوا وشَأْنَهم من النّزول، فَنَزَلُوا بساحل قَرْطَاجَنَّة بعدَ أن مُلِئَتْ سواحلُ رَادِس بالـمُرَابِطَة من جُنْد الأَنْدلُس والمطوّعَة زهاءَ أربعةَ آلافِ فارِسٍ لنظر مُحمّد بن أبي الحُسيْن رئيس الدّولة. ولـمّا نَزَل النّصارَى بالسّاحِل، وكانوا زهاءَ ستّة آلافِ فارِسٍ وثلاثينَ ألفًا من الرَجْلِ، فيما حَدَّثَني أبي عن أبيه، رَحمهما الله،

---

(1) ينظر إلى المَثَل: إنّ الجواد عَيْنُهُ فرارُه. مثل يضربُ لمن يدُلّ ظاهره على باطنه فيغني عن اختياره. (مجمع الأمثال 1: 9، الزمخشري: المستقصي 1: 315 وهو من رَجَزٍ بَعْدهُ : لا يتَوارى نظرًا حِمارُه.

قال: وكانت أساطيلُهم ثلاثَ مائةٍ بين كبارٍ وصِغارٍ، وكانوا سَبْعَةَ يَعاسيب، كان فيهم الفِرَنْسِيس وأخوهُ خُبرُّون[أ] صاحبُ صِقليّة وصاحب الجُزُرِ، والعِلْجَةُ زوجُ الطّاغِية تسمّى الرّينة، وصاحب البرّ / الكبير وهو، [259] وتُسَمِّيهِمُ العامّةُ من أهل الأخبار ملوكًا، وَيَعْنُون أنّهم مُتبايِنون اظّاهَرُوا على غَزْو تُونِس، وليس كذلك، وإنّما كانَ مَلِكًا واحِدًا وهو طاغِيةُ الفِرِنْجة وإخوتُه وبَطارِقتُه، عُدَّ كلُّ واحِدٍ منهم ملكًا لفَضْل قُوّته وشِدّة بأسِه. فأَنْزَلُوا عساكِرَهم بالمدينة القَديمة من قَرْطاجَنَّةَ، وكانت مائِلَةَ الجُدُران، واضْطَرَبُوا[1] المُعسكَرَ بداخِلها، وَوَصَلُوا ما فَصَلَهُ الخرابُ من أَسْوارها بأَلْواح الخَشَب، ونَضَدُوا شُرفاتِها، وأَدارُوا على السّور خَنْدقًا بَعيدَ المَهْوَى، وَتَحَصَّنُوا. ونَدِمَ السُّلْطان على إضاعَةِ[ب] الحَزْم في تَخْرِيبها أو دفاعِهم عن نُزُلها. وَأَقامَ مَلِكُ الفِرِنْجة وقومُه مُتمَرّسِينَ بتُونِس مُدّةَ سِتّة أَشْهرٍ والمَدَدُ يَأْتِيهِ في أساطيله من البَحْر من صِقِلّيّة والعُدْوَة بالرَّجْلِ والأَسْلحة والأَقْوات. وَسَلَكَ بعضُ المسلمينَ طريقًا في البُحيرة واتَّبَعَهُمْ العَرَبُ فَأَصَابُوا غِرّةً في العدُوّ فَظَفَرُوا وَغَنِمُوا، وَشَعُرُوا بمكانهم فكَلَّفُوا بحِراسة البُحَيْرة، وَبَعَثُوا فيها الشّواني بالرُّماة وَمَنَعُوا الطريقَ إليْهم. وَبَعَثَ السُّلطان في مَمالِكه حاشِدًا فَوَافَتْه الأَمْدادُ من كُلّ ناحِية، وَوَصَلَ أبو هِلالٍ صاحبُ بجايَةَ، وجاءَتْ جموعُ العَرب وسَدْوِيكِش ووَلْهاصة وَهَوّارَة، حتّى أَمَدّه ملوكُ المَغْرب من زَناتة، وسَرَّح إليه محمّد بن عبد القويّ عَسْكَرَ

(أ) كذا في ظ (ب) ظ: اطاعة.

(1) كذا، بمعنى ضربوا، أي نصبوا معسكرهم وأقاموا.

بَني تُوجِّين لنَظر ابنه زيّان، وأَخرَجَ السُّلطان أَبنِيتَهُ، وَعَقَد لسَبْعة من المَوحّدين على سائِر الجُنْد من الـمُرْتزِقة والمطوّعة، وَهُمْ: إسماعيل بن أبي كَلداسن، وعيسى بن داود ويحيى صالح، وأبو هِلال عيّاد صاحبُ بِجايَة، ومحمّد بن أبي الحَسَن، ومحمّد بن عَبْو، وأَمْرُهُمْ كلّه راجعٌ ليَحيى بن صالح، ويَحْيى بن أبي بَكْر منهم.

واجْتَمَعَ من المسلمين عَددٌ لا يُحصَى، وَخَرَجَ الفُقهاءُ والصّلحاءُ والـمُرابِطونَ لـمُباشَرة الجِهاد بأَنفُسِهم، والْتَزَمَ السّلطانُ القعودَ بإيوانه مع بِطانَته وأَهْل اختِصاصِه، وهم: الشّيخ أبو سعيد المعروف بالعود الرَّطْب، ومحمد بن أبي الحُسَين، / وقاضيه أبو القاسِم بن البَرّاء، وأخو الْفُنش. [25 ب] واتَّصلَتِ الحربُ والْتَقَوْا في مُنتصف محرّم سنةَ تسعٍ بالمَنصَفِ[1]، تَزَاحفَ يومئذٍ يحيى بن صالح وجُرون فَماتَ من الفريقَيْن خلقٌ. وهَجَمُوا على المُعَسْكر بعضَ العَشايا، وقَدْ أَمَرَّ المسلمون عنده ثمَّ غَلَبُوا عليه بعد أن قُتِلَ من النَّصارَى زُهاءَ خمس مائة، فأَصبَحَتْ أَبنِيتُه مضروبةً كما كانَت. وأَمَرَ بالخَنْدق على المَعَسْكَر فتَعاوَرَتْه الأَيْدي، واحْتَفَرَ فيه الشّيخ أبو سَعيدٍ بنَفسه. وابْتُلِيَ المسلمون بتُونِس وظَنّوا الظّنونَ، وَهَمَّ السُّلطان بالتَّحوُّل عن تُونِس إلى القَيْروان. ثمّ أنّ الله أَهلَكَ عَدُوَّهم وأَصبحَ مَلِكُ الفِرنجَةِ مَيّتًا، يُقال حَتْفَ أَنْفِه، ويُقَال أَصابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ في بَعْض المواقِف فَأَثْبتَه، ويُقَالُ أَصابَهُ مرضُ الوَباء، وَيُقَال، وهو بَعيدٌ، أَنَّ السُّلطان بَعَثَ إليه مع سُليمان بن حزام الدّلاّجي بسيْفٍ مَسْموم كان فيه مَهْلِكه. ولمّا هَلَكَ

---

(1) تقدم هذا الاسم في 11: 367 وتأولناه محرفا من "المصف" وهو الموقف في الحرب.

اجْتَمَعَ النَّصارَى على ابْنِه دِمْيَاط، سُمِّيَ بذلك لميلاده بها، فَبَايَعُوهُ واعْتَزَمُوا على الإقْلاع، وكان أمرُهم راجعًا[أ] إلى العِلْجَة، فَرَاسَلَت المسْتَنْصرَ أن يَبْذُلَ لها ما خَسِرُوه في مَؤُونة حرَكَتِهم وتَرْجِعُ بقَوْمِها، فَأَسْعَفَها السّلطانُ لما كان العربُ اعْتَزَمُوا على الانْصِرافِ إلى مَشاتِيهم، وبَعَثَ مَشْيَخَةَ الفُقهاء لعَقْد الصُّلْح في ربيع الأول سنةَ تسْعٍ وسِتّينَ، فتَوَلّى عقْدَه وكتابَهُ القاضي ابن زَيْتُون(1) لخمسة عشر عامًا، وحَضَر أبو الحسَن عليّ بن أبي عمرو وأحمد بن الغمّاز و[زيّان](ب) بن محمّد بن عبد القويّ أميرُ بَني تُوجِّين. واخْتَصَّ خِروُّن صاحبُصِقِلّيّة بسِلْمٍ عقَدَه على جَزيرته، وأَقْلَعَ النّصارَى بأَساطيلهم، وأَصَابَهم عاصِفٌ من الرّيح أَشْرَفُوا منه على العَطب، وهَلَكَ الكثيرُ منهم.

وأَغْرَمَ السّلطانُ الرّعايَا ما أَعْطَى العدوَّ من المال فَأَعْطَوْهُ طَوَاعِيَةً، يُقَال إنّه عشرةُ أحمالٍ من المال، وَتَرَكَ النّصارى بقَرْطَاجَنَّة تسْعينَ مَنْجنيقًا.

وَخَاطَبَ السّلطانُ صاحبَ المغرب ومُلوكَ النَّواحي بالخَبر ودفاعِه عن / المسْلمينَ وما عَقَدَهُ من السِّلْم، وأَوْعَز بتَخْريب قَرْطَاجَنَّة [260أ] وأن يُؤْتَى بُنْيانُها من القَواعد فَصَيَّرَها يَبابًا طامِسَةً. ورَجَعَ الفِرِنْجَة إلى عُدْوَتهم فكانَ آخرَ عَهْدهم بالظّهور والاسْتِفْحال. ولم يَزالُوا في تَناقُص وضَعْفٍ إلى أن

(أ) ظ: رجعا (ب) ظ: زنان.

(1) أبو القاسم بن أبي بكر اليمني، ابن زيتون (وفاته 691 هـ) لقيه العبدري وقال عنه: لقيته وسمعت كلامه ...... فسمعت كلام ممارس للعلم طويل الخدمة له، مُدلّ على الخوض فيه. مُقلّ للرّواية، أخذ بالمشرق على عبد العظيم المنذري والعزّ بن عبد السلام وغيرهما. العبدري: الرحلة 256، الغبريني: عنوان الدراية 56، تاريخ الدولتين 159.

افترَق مُلكُهم عَمالاتٍ، واستَبَدّ صاحبُ صِقليّة لنَفسه، وكذا صاحبُ نابل وجَنْوة وسَرْدانية، وبَقِيَ بيتُ مُلكِهم الأَقْدَمُ لهذا العَهْد على غايةٍ من الفَشَل والوَهَن. واللهُ وارثُ الأرضَ ومن علَيْها وهو خَيْر الوارثِين.

## 71 • الخبرُ عن مَهْلِك رَبِيبَي الدَّوْلَة: أبي عبد الله بن أبي الحُسَين، وأبي سَعيد العودِ الرَّطب

أصلُ هذا الرَّجُل من بَني سَعِيدٍ رُؤساءِ القَلْعة المُجاوِرَة لغَرْناطَة، وكان كثيرٌ منهم قد استُعْمِلُوا أيّامَ المُوَحّدين بالعُدْوَتَين، وكانَ جَدُّه أبو الحسن سعيدٌ صاحبُ الأَشْغال بالقَيْروان. ونَشَأَ حافِدُه محمّدٌ هذا في كَفالَته، ولمّا عُزِلَ وقَفَلَ إلى المَغرب هَلَكَ بِبُونَة سنةَ أربعٍ وستّ مائة، ورجَع حافِدُه محمّدٌ إلى تونِس، والشيخُ أبو محمّد بن أبي حَفْص صاحبُ إفريقيّةَ لذلك العَهْد، فاعْتَلَقَ بخِدْمَة ابنِه أبي زَيْد. ولمّا وَلِيَ الأَمْرَ بعد وَفاة أبيه غَلَبَ محمّدٌ هذا على هَوَاه. ثم جاءَ السيّدُ أبو العُلَى من مَرَّاكُش على إفريقيّةَ. وارْتَحَلَ أبو زَيْد إلى مَرَّاكُش و محمّد بن أبي الحُسَين في جُمْلَته إلى أن هَلَكَ في حِصار هَسْكورَة لمَرّاكُش، كما قدّمْناهُ. وَرَجَعَ ابن أبي الحُسَين إلى تونِس، واتَّصَلَ بالأمير أبي زكريّاء لأوّل اسْتِبْدادِه فغَلَبَ على هَوَاه، وكان مُبْخَتًا في صِحابَة المُلوك. ولمّا وَلِيَ المُسْتَنْصِرُ أَجْرَاهُ على سَنَنِه[أ] بُرهةً ثم تنكّر له إثرَ كائِنَة اللّحْيَانِي. وَعَظُمَتْ سِعايَةُ أعْدائِه من البِطانَة وأشَاعُوا مُداخَلَته لأبي القاسِم ابن مَخْدومهِ أبي زَيْد ابن الشّيخ أبي

(أ) ظ: سبته.

مُحمّد، فنكَبَهُ السّلطانُ واعْتَقَلَهُ بدَارِه تسعةَ أَشْهرٍ، ثمّ سَرَّحَه وأعَادَهُ إلى مَكانه. وثأَرَ من أَعْدائه، / واسْتَوْلَى على أُمور السُّلطان إلى أن هَلَكَ سنةَ 260] إحْدى وسَبْعين. وكانَ ابنُ عَمِّه سعيدُ بنُ يوسفَ بنِ أبي الحسين صاحبُ أشْغالِ الحَضْرة، وكان قد أفْنَى مالاً جَسيمًا، ونَالَ من الحَضْرة مَنالاً.

وكان الرّئيس أبو عبد الله مُتَفَنِّنًا في العُلوم، مُجِيدًا في اللّغة، يَقْرِضُ الشّعْرَ فيُحْسِنُ، وَيُرَسّلُ فيُجِيدُ. وله من التّواليف كتابُ تَرْتِيب المُحْكَم لابن سِيدَهْ، علَى نَسق الصّحاح للجَوْهَريّ، واخْتصاره، وسَمّاهُ: الخُلاصَةَ. وكان في رئاسَتِه صَلِيبَ الرّأْي، قَويَّ الشّكيمة، عاليَ الهمّة، شديدَ المُراقَبة والحَزْم في الخِدْمة. وله شِعْر، نَقَلَ منه التّجّاني وغَيْرُه، ومن أَشْهر ما نُقِلَ له شِعْرُه يُخَاطِب عِنانَ بن جابِر عن الأَمير أبي زكريّاء، لمّا خالَفَ واتَّبَعَ ابنَ غانِيةَ، وهي على رَويّ الرّاء، وكان قَبْلَها أُخْرى على رَويّ الدّال[1]. وكان له وَلَدٌاسْمه سَعيد، وتَرَقّى في حَياة أبيه في المراتِب السُّلطانيّة، ثمّ اعْتَبَطَ دون غايَتِه، وفي ثالثه مَهْلِكه.

كان مَهْلِكُ الشّيخ أبي سعيد عُثْمان بن محمّد الهِنْتاتي المعروف بالعُودِ الرَّطْب، ويُعْرَفُ أهل بَيْتِه بالمَغْرب ببني أبي زَيْد، وكان منهم عبدُ العزيز المعروفُ بصاحب الأَشْغال، وكان فرَّ من المَغْرب أيّامَ السّعيد لجَفْوَةٍ نالَتْهُ، ولَحِقَ بِسِجِلْمَاسَة سنةَ إحْدى وأربعين، وقد كان انْتَزَى بها عبد الله الهَزْرَجي وبَايَعَ للأمير أبي زكريّاء فَأَجَازَهُ عبدُ الله إلى تُونِس، ونَزَلَ على

(1) لم أقف على هذا الشعر في النصّ المطبوع من الرحلة.

الأمير أبي زكريّاء ونَظَمَهُ في طَبقات مَشيخة المُوَحّدين وأَهْل مَجْلسه. ثمّ حَظِيَ عند ابنه المُسْتَنْصر بعد نَكْبة بني النُّعْمان حُظْوةً لا كَفاءَ لها، واسْتَوْلَى على الرَّأْي والتَّدْبير، إلى أن هَلَكَ سنةَ ثلاثٍ وسَبْعين، فشُيِّعَ طيِّبَ الذِّكْر مُلْحفًا بالرِّضْوان من[1] الخاصَّة والكافّة. واللهُ مالِكُ الأُمور.

## 72 • الخَبرُ عن انْتِقاضِ أَهْلِ الجَزائِر وفَتْحِها

/ كان أهلُ الجَزائِر لَمّا رَأَوْا تَقَلُّصَ ظِلِّ الدّولَة عن زَناتة وأَهْل المَغْرب الأَوْسط، حَدَّثُوا أنفُسَهم بالاسْتِبْداد والقيامِ على أَمْرهم وخَلْع رِبْقَة الطَّاعة من أَعْناقِهم، فَجاهَرُوا بالخُلْعان. وسَرَّحَ السُّلطانُ إليهم العساكِرَ سنةَ تسعٍ وستّين، وَأَوْعَزَ إلى صاحِب الثَّغْر بِجَايَةَ، وهو أبو هِلال عيّاد ابن سعيد الهِنْتاتي، فَزَحَفَ إليها في عساكِرِ المُوَحّدين سنةَ إحْدى وسبعين، ونازَلَها مُدّةَ حَوْلٍ وامْتَنَعَتْ عليه، فأَقْلَعَ عنها وَرَجَعَ إلى بِجَايَة، وَهَلَكَ بِمعَسْكره ببَني وَرّاسنة ثلاثٍ وسَبْعين. ثمّإنّ السّلطانَ صَرَفَ عزمَه إلى مُنازَلَتِهم سنةَ أربعٍ وسبعين، وَسَرَّحَ إليهم العساكِرَ في البَرِّ وأَنْفَذَ الأَسَاطيلَ في البَحْر، وعَقَدَ على عسكر تُونِس لأبي الحسن بن ياسين، وَأَوْعَزَ إلى عاملِ بِجَايَة بإنْفاذ عسكرٍ آخرَ لنظر أبي العبّاس بن أبي الأعلام. ونَهَضَتْ هذه العساكِرُ بَرّا وبَحْرًا إلى أن نازَلَتْها وَأَحاطَتْ بها من كلّ جانب، واشْتَدَّ حِصارُها ثمّ اقْتُحِمَتْ عَنْوَةً، واسْتَحَرَّ فيهم القَتْلُ، [26 أ

(1) إلى هنا ينتهي الخرم الموجود في نسخة ف، ويتواصل النصّ متوازيًا مع نسخة ظ.

وانتُهِبَتِ المنازلُ، وافتُضِحَ الكرائمُ في أبكارهن، وتَقَبَّض على مَشيخة البلَد فنُقِلُوا إلى تُونِس مُصَفَّدين واعْتُقِلُوا بالقَصبة إلى أن سَرَّحَهُمْ الواثِقُ بعد مَهْلِك السّلطان.

## 73 • الخبرُ عن مَهْلِك السّلْطان المُسْتَنْصر، ووَصْفُ شيْءٍ من أَحْواله

كان السّلطانُ بعدَ فَتْح الجزائر قد خَرَجَ من تُونس للصَّيْد وتَفَقُّد العَمالاتِ، فَأَصابَهُ في سَفره مَرضٌ ورَجَعَ إلى داره، واشْتَدَّت عِلّتُه وكَثُرَ الإرْجافُ بمَوْته، وخرجَ يومَ الإضْحى سنةَ خمسٍ وسبْعين يتَهادَى بين رجُلَيْن ورِجْلاه لا تَخُطّانِ الأرْضَ، وجَلَس للنّاس في منْبرٍ مُتجَلِّدًا، ثمّ دَخَلَ بَيْتَه وهَلَكَ للَيْلَته تلك، رضوانُ الله عليه. وكان شأنُ هذا المُستَنْصر في مُلوك آل أبي حَفص عظيمًا وشُهْرتُه / [261 ب] طائِرةُ الذّكْر، بما انفَسَح [من][أ] أَمَدِ سُلْطانه، ومَدَّتْ إليه ثُغور القاصِية من العُدْوَتَيْن يدَ الاعْتِصام به، وما اجْتَمَع بحَضْرته من أَعْلام النّاس الوافِدين على أَبيه وخُصوصا الأَنْدَلُس، من شاعرٍ مُفْلِقٍ، وكاتبٍ بَليغ، وعَالِمٍ نحْريرٍ، ومَلِكٍ أَرْوَعَ، وشُجاعٍ أَهْيَسَ، مُتفَيّئينَ ظلّ مُلْكه، مُتَناغينَ في اللِّياذ به لطُموس مَعالم الخِلافة شرقًا وغربًا على عَهْدِه، وخُفُوتِ صَوْتِ المُلْك إلاّ في إيوانِه. فقد كان الطّاغِيَةُ التَهَمَ قواعِدَ المُلْكِ بشَرْق الأَنْدَلُس وغَرْبها، فأُخِذَتْ قُرْطُبةُ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين، وبَلَنْسيَة سنةَ ستٍّ بعدَها، وإشْبِيلِيَّة سنةَ

(أ) للربط. وفي ظ: بلد.

ستّ وأربعين. واستَوْلَى الطَّطَر على بغداد دارِ خِلافة العَرب بالـمَشرق وحاضرةِ الإسْلام سنةَ ستٍّ وخَمْسين. وانْتَزَعَ بَنو مَرين ملكَ بَني عَبْد الـمُؤمن، واسْتَوْلَوْا على حَضْرة مَرّاكُش دار خِلاَفة الـمُوحّدينَ سنةَ ثمانٍ وسِتّينَ، كلّ ذلك على عَهْده وعَهْد أبيه، ودَوْلتُهم أشدُّ ما كانت قوّةً، وأعْظمُ رَفاهيةً وجِبايَةً، وأوفرُ قبيلاً وعصابةً، وأكثرُ عساكرَ وجُندًا، فأمَّلَه أهلُ العالَم للكَرّة، وأجْفَلُوا إلى الإمْساك بحِقْوَيْه[1]. وكانت له في الأُبّهة والجَلال أخبارٌ وفي الحُروب والفُتوح آثارٌ مَشْهورةٌ.

وفي أيّامه عَظُمَتْ حضارةُ تُونِس، وَكَثُر تَرَفُ ساكِنِها، وتأَنَّق النّاس في الـمَلابِس والـمَراكِب والمباني والماعون والآنِية، فاسْتَجادُوها وتَناغَوْا في اتّخاذِها وانْتِقائِها إلى أن بَلَغت غايَتَها، ثمّ رَجَعَت من بَعْده أَدْراجَها. والله مالكُ الأمور ومُصرّفُها.

## 74• الخَبرُ عن بَيْعة الواثِق يَحْيى بن الـمُسْتَنْصر، وهو المشهورُ بالـمَخلوع، وذكرِ أحْوَاله.

لـمّا هَلَكَ السُّلْطانُ الـمُسْتَنصر سنةَ خمسٍ وسَبْعين كما قَدّمناه، / اجْتَمَع المَوحدونَ وسائرُ النّاس على طَبقاتهم إلى ابنه يحيى، فبايَعُوه ليلةَ مَهْلِك أبيه وفي غَدِها، وتَلَقَّبَ الواثِق. وافْتَتَح أمْرَه برَفْع الـمَظالم، وتَسْريح أَهْل السُّجون، وإفاضَة العَطاء في الجُنْد وأَهْل الدّيوانِ، وإصْلاحِ المساجِد [262 أ]

(1) الحِقْو: الخَصْر، ومشدّ الإزار من الجنب. ويقال عُذْت بحقْو فلان. إذا استجرتُ به واعتَصمت.

وإزالَة كثيرٍ من الوَظائِف عن النّاس، وامْتَدَحه الشُّعراءُ فأَسْنَى جَوائِزَهم، وأَطْلَقَ عيسى بن داود[أ] من اعْتِقاله وَرَدَّه إلى حالِه. وكان المُتَوَلّي لأخْذ البَيْعة على النّاس والقيامِ بأَمْره سعيدُ بنُ يوسف بن أبي الحسين لـمَكانه من الدّولة ورُسوخِه في الشّهرة، فقامَ بالأَمْر، ولم يَزَل على ذلك إلى أن نَكَبَهُ، وأَدَال منه بالحَبَّير[ب].

## 75 • الخبرُ عن نَكْبَة ابن أبي الحُسَين، واسْتِبْداد ابن الحَبَّير[ب] على الدَّوْلة.

كان هذا الرّجلُ، واسْمُه يَحيى بن عبد الملك الغافِقي، وكُنْيتُه أبو الحسن، أندَلُسِيًّا من أَعْمال مُرْسِيَة، وَفَدَ مع الجالِية من شَرْق الأَنْدلس أيّامَ اسْتيلاء العدُوّ، وكان يُحْسِنُ الكتابَ ولم تكن له من الخِلال سِواها، فصُرِفَ في الأَعْمال، ثم ارْتَقَى إلى خِدْمة ابن أبي الحُسَين، فاسْتَكْتَبه ثمّ رَقّاهُ إلى ولاية الدّيوان فعَظُمَتْ حَالُه، وكانت له أَثْناء ذلك مُداخَلَةٌ للواثِق ابن السّلطان اعْتَدَّها له سابِقةً، فلَمّا اسْتَوْسَقَ الأَمْر للواثِق رفَع منزِلَتَهُ واخْتَصَّهُ بالشّورَى وقَلَّدَهُ كتابَ عَلامَتِه. وكان سعيدُ بن أبي الحُسَين مُزَاحِمًا له، مُنافِسًا لِما كان أَشَفَّ منه بقديمِهِ، فأَغْرَى به السّلطانَ ورَغَّبَهُ في مالِه، فتَقَبَّضَ على سعيد ° بن أبي الحُسَين لسِتّة أشْهرٍ من الدّولة سنةَ ستٍّ وسبْعين°[ج]، واعْتُقِلَ بالقَصبة، وتَقَبَّضَ على ثُقْلِه ابنُ ياسين وابنُ صيّاد الرجّالَة وغيرُهم. وقَدّم على الأَشْغال مُدافِعَ، من المَوالي المِعْلُوجى،

(أ) ف: عيسى بن دلول (ب) كذا ضبط الاسم في ف (ج) سقط ما بين النجمين من ف.

وَوَكّلَ أبو زَيْد بنُ أبي الأَعْلام من الموَحّدينَ بـمُصادَرَة ابن أبي الحُسَين على المال وامْتِحَانِه، ولم يَزَلْ يَسْتَخْرِجُ منه حتّى ادَّعَى الإمْلاقَ، واسْتُحْلِفَ فَحَلَفَ، ثمّ ضُرِبَ فَادَّعَى / مؤتمنًا من ماله عِنْدَ قومٍ اسْتُكْشِفُوا عنه [262 ب] فأَدَّوْهُ. ثمّ دَلَّ بعضَ مَواليه على ذَخيرةٍ بداره دَفينةٍ فاسْتُخرِجَ منها زهاءَ ستّ مائة ألفٍ من الدّنانير، فَلَمْ يُقْبَل بَعْدَها مَقالُه، وبُسِطَ عليه العذابُ إلى أن هَلَكَ في ذي الحَجّة من سنَتِه، وَدُفِنَ شِلْوُهُ بحيث لم يُعرَفْ مَدْفَنُه.

واسْتَبَدَّ أبو الحسَن الحَبَيَّر على الدّوْلَة والسّلْطان، وبَعَثَ أخاهُ أبا العُلَى والِيًا علىبجاية، وآسَفَ المشْيَخةَ والبطانةَ بعُتُوّه واسْتِبْدادِه وما يَتَجَشَّمُونَه من مُباكَرَة بابِه، إلى أن عادَ وَبالُ ذلك على الدّوْلَة، كما نَذْكرُ.

## 76 • الخبرُ عن إجازَة السّلطان أبي إسْحاق من الأَندلس، ودُخولِ أهْلِ بِجايَة في طاعَتِه.

كان السّلطانُ المُسْتَنْصر قد عَقَدَ على بِجايَةَ سنةَ ستّين لأبي هِلال عَيّاد بن سَعيد الهِنْتَاتي، وأَدالَ به من أَخيه الأمير أبي حَفْص، فأَقامَ والِيًا عليها إلى أن هَلَكَ ببَني ورا سنةَ ثلاثٍ وسَبْعين، كما ذكَرْناهُ. وَعَقَدَ عليها من بعده لابنه محمّد، فكان له غَناءٌ في وِلايَتِه واضطِلاعٌ بأَمْره إلى أن هَلَكَ المُسْتَنْصر. وَوَلِيَ ابنُه الواثِق، فبَادَرَ إلى إيتاء طاعَته، وبَعَثَ وَفْدُ بِجايَةَ ببَيْعَتهم. ثمّ قَلَّدَ أبو الحسن الحبَيَّر القائمُ بالدّولة أخاهُ إدْريسَ ولاية الأَشْغال بِبِجايَة فقَامَ بها، واقْتَنَى الأموالَ، وتحَكَّمَ في المَشْيَخة. وَأَنِفَ محمّد ابن أبي هلال من اسْتِبْداده عليه فهَمَّ إدْريسُ بنَكْبَته، فَخَشِيَ مُحمّد بنُ

أبي هِلالٍ بادِرَتَه، وَداخَلَ بعض بِطانَتِه في قَتْله وفاوَضَ الملأَ فيه، فغَدَوْا علَيْه لأوّل ذي القَعْدة سنةَ سبْعٍ وسبْعين بمَقْعَدِه[أ] من باب السّلطان، فقَتَلُوهُ ورَمَوْا برَأسه إلى الغَوْغاء والزَّعانِف فعَبَثُوا به. ووافَقَ ذلك حلول السّلطان أبي إسْحاق بتلِمْسَان، وكان عندَ بُلوغ الخَبَر / إليه بمَهْلِك أخيه [263أ] المُستَنصر، أَجْمَعَ أمْرَه على الإجازة لطَلَب حَقِّه بَعْدَما تَرَدَّدَ بُرْهَةً، ثمّ اعْتَزَم وَأجازَ إلى تلمْسان، وَنَزَلَ على يَغْمَراسِن بن زيّان، فقام لِمَوْرِدِهِ واحْتَفَلَ في مَبرّته.[و][ب] فَعَلَ أهلُ بِجَايَة وابن أبي هِلال فِعْلَتَهُمْ وخَشَوْا بوادِرَ السّلطان بالحَضْرة، فخاطَبوا السّلطانَ أبا إسْحاق وأتَوْهُ ببَيْعَتهم، وبَعَثُوا وَفْدَهم يَسْتَحِثُّونَهُ للمُلْك فأجابَهم، ودَخَلَ إليها آخرَ ذي القَعْدة من سنَتِه، فبايَعَهُ المُوَحّدون والمَلأُ من أهْل بِجاية، وَقامَ بأمْره محمّد بن أبي هِلال، ثمّ زَحَفَ في عساكِره إلى قُسنْطِينَة فنازَلَها وبها عبدُ العزيز بن عيسى بن داود، فامْتَنعَت عليه فأقْلَعَ عنها. إلى أن كانمن أمْره ما نَذْكُرُهُ.

## 77• الخبرُ عن خُروج الأميرِ أبي حَفْص بالعَساكِر لِلقاءِ السُّلطان أبي إسْحاق، ثم دُخولِه في طاعَتِه وخَلعِ الواثِق.

لما بَلَغَ الخَبرُ إلى الواثِق ووَزيرِه المستَبِدّ عليه ابن الحَبَّر بدُخول السّلطان أبي إسْحاق بِجَايَة، سَرَّحَ العساكِرَ إلى حَرْبه وعَقَدَ عليها لعَمّه أبي حَفْص، واسْتَوْزَرله أبا زَيد بن جامِع، فَخَرَجَ من تُونِس، واضْطَرَبَ[1]

(أ) ف: بمقعد (ب) من ف.

(1) اختَلَّ وارتبك، تحرّك وماجَ.

مُعَسْكَرِه بِبَاجَة. وَعَقَدَ الواثِقُ على قُسُنْطِينَةَ لعبد العزيز بن عيسَى بن داود لذِمّه صِهْر كانت له من ابن الحَبَبَّر، فتقَدَّم إلى قُسُنْطِينَة ومَانَعَ(أ) عنها الأميرَ أبا إسْحاق، كما ذكرناهُ. ثمّ اضْطَرَبَ رأيُ ابن الحَبَبَّر في خُروج الأمير أبي حَفْص وأَرادَ انْفِضاضَ عسْكَرِه، فكَتَبَ الواثِقُ إلى أبي حَفْص ووَزيرِه ابن جامِعٍ يُغْرِي كلٌّ واحدٍ منْهما بصاحِبه، فتَفَاوَضا واتّفَقا على الدُّعاء للأَمير أبي إسْحاق، وبَعَثُوا إليه بذلك. واتَّصلَ الخَبرُ بالواثِق وهو بتُونِس مُنْتَبِذًا عن الحامِيَة والبِطانَة، فاسْتَيْقَنَ ذهابَ مُلْكه، وأَشْهَدَ المَلأَ وانْخَلَعَ عن الأَمْر لعَمّه السّلطان أبي إسْحاق غُرَّةَ ربيع الأَوّل من سنَة ثمانٍ وسَبْعين، / [263 ب] وتَحَوَّلَ عن قُصور المُلْك بالقَصَبة إلى دَار الأَقوري، وانْقَرَضَتْ دَوْلَتُه وأَمْرُه. والبَقاءُ لله.

## 78 • الخَبرُ عن اسْتِيلاء السّلطان أبي إسْحاق على الحَضْرَة

لـمّا بَلَغَ السّلطانَ أبا إسْحاق كتابُ أخيه الأَمير أبي حَفْص وابن جامِعٍ من باجَة، بادرَ مُغِذًّا إليهم، ثمّ وافاهُ خبرُ انْخِلاعِ الواثِق ابنِ أَخيهِ بتُونِس فارْتَحَلُوا جميعًا، وتَسَاتَلَ أَهْلُ الحَضْرَة على طَبقاتِهم إلى لِقائه، وأَتَوْهُ طاعَتَهم. وَدَخَلَ الحضْرَةَ مُنتصفَ رَبيع الآخِر سنةَ ثمانٍ وسبْعين ومحمّد بن أبي هِلالٍ شيخُ دَوْلَته، وَعَقَدَ على حِجابَتِه لأبي القاسِم بن الشّيْخ، كاتبِ ابنِ أبي الحسَيْن، وَعَلَى خُطّة الأَشْغال لابن أبي بَكْر بن الحسَن بن خَلْدُون، كان وَفَدَ مع ابنه الحسَن على الأَمير أبي زَكَرِيّاء من إشْبِيلِيَّةَ لذِمّة

(أ) ف: بايع.

رَعَاها لهم، بما كانت أمُّ وَلَده أمّ الخَلَائِف من هَدايا بَني المُحْتَسِب إليْه، وكان أبو بَكر ابنِ الحسَن هذا سِبْطًا لهم، فآثَر الأميرُ أبو زكريّاء محَلَّهم. ورَحَلَ الحسنُ إلى المَشْرق وَمَاتَ هنالِك، وبَقِيَ ابْنُه أبو بَكْر بالحَضْرة فاسْتَعْمله الأميرُ أبو إسْحاق لأوّلِ دُخوله في خطّة الأَشْغال، ولم يَكُ يَليها إلاّ المُوَحّدون كما قَدَّمْناهُ. وعَقَدَ لفَضْل بن عليّ بن مُزْنِي *على الزّاب ولم يَكُ أيضًا يَلِيه إلاّ الموَحّدون، لكن رَعَى لفَضْل بن مُزْني*(أ) ذِمّةَ اغْترابِه معَه إلى الأَنْدَلُس، فعَقَدَ له على الزّاب، ولأَخيه عبد الواحِد على بِلاد قَصْطِيلَيّة، ثمّ تقَبّضَ على ابن(ب) الحَبَيِّر وَأَمَرَ باعْتقاله، ودَفَعَهُ إلى موسى ابن محمّد بن ياسِين للمُصادَرَة والامْتِحان، ووُجِد مكانَ التّمائم عليه طوابِعُ وطِلَّسْماتٌ مختلِفَةُ الأَشْكالِ والصُّوَر يَسْحَرُ بِها- فيما زَعَمُوا - مَخْدومَهُ، فحَاقَ به وَبالُها. وكان شأْنُه في الامْتحان والإسْتِخْلافِ والهَلاك بالعذاب شَأْنَ سعيدِ بن أبي الحُسَين مَنكوبِهِ أيّامَ صَوْلَتِه، إلى أنْ هَلَكَ شهرَ جُمادى الأُولَى / من سنَتِه. والله لا يَظْلِمُ مِثْقال ذَرّة. 64]

ولمّا اقْتَعَدَ السُّلطانُ أبو إسْحاق كُرسِيَّ مُلْكِه، واسْتَوْثَقَتْ عُرَى خِلافَتِه، تَقَبّضَ على محمّد بنِ أبي هِلال وقَتَلَهُ لحِين نَكْبَته سنةَ[ستٍّ](ج) وسبعين، لِمَا كان يَتَوَقَّعُ منه من المكْروه في الدَّوْلَة، وما عُرِفَ به من المساعِي في الفِتْنَة.

(أ) سقط ما بين النجمين من ظ (ب) ف: أبي (ج) كذا في الأصلين، وفي الفارسيّة 139: تسع.

## 79 • الخبرُ عن مَقْتَلِ الواثِق ووَلَدِه

لمّا انْخَلَعَ الواثِق عن الأمور(أ) وتَحَوَّلَ إلى دار الأقوري فَأَقَامَ بها أيامًا، وكان له ثلاثةٌ من الوُلْد أصاغِرُ: الفَضْل، والطّاهر، والطيّب، فكانوا معَه. ثمّ نُمِيَ عنه للسّلطان أبي إسْحاق أنّهُ يَرُومُ الثَّوْرةَ، وأنّه دَاخَلَ في ذلك بعضَ رُؤساءِ النّصارى الجُنْد، فأَقْلَقَ السّلطان مكان ترشيحه، واعْتَقلهُ بمكانِ اعْتِقال بَنيه هُوَ من القَصَبة أيّامَ أخيه المُسْتنصر. ثم بَعَثَ إليهم للَيْلَتِه فَذُبِحُوا جميعًا، شهرَ صفَر سنةَ تسعٍ وسبعين، واسْتَوْسَقَ له الأمرُ، وَأَطْلَقَ منعِنان الإمارة لوُلْدِه، إلى أن كان من شَأْنهم ما يُذْكَرُ(ب).

## 80 • الخَبَرُ عن ولايَة الأَميرِ أبي فارس ابن السّلطان أبي إسْحاق على بِجايَة بعَهْد أَبِيه، والسَّبَب في ذلك

كان للسّلطان أبي إسْحاق من الأَبْناء خَمْسة، أبو فارس عبد العزيز، وكان أَكْبَرَهم، وأبو محمّد عبد الواحد، وأبو زكريّاء يحيى، وخالد، وعمر. وكانَ السّلطان المُسْتَنْصر قد حَبَسَهُمْ عند فِرار أَبيهم إلى رِياحٍ في أيّامه ببَعْض حُجَر القَصْر، وَأَجْرَى علَيْهم رِزْقًا، فنَشأُوا في ظلّ كَفالَتِه وحَمِيمِ رِزْقه إلى أن اسْتَوْلَى أَبوهم السّلطان أبو إسْحاق على المُلْك، فَطَلَعُوا بآفاقِه، وطَالت فروعُهم في دَوْحه، واشْتَمَلُوا مُلَى(1) العزّ، واصْطَنَعُوا أَهْلَ

(أ) ف: الأمر (ب) ف: نذكر.

---

(1) ثوب لَيِّن رَقيق يُلتحف به، وهو المِلْحفة. الجمع: مُلاء ومُلًى.

السّوابِق من الرّجال، وأرْخَى السّلْطان لهم / [264 ب] ظِلّهم في ذلك. وكان الـمُجَلَّى فيها كبيرُهم أبو فارس، بما كان مرَشّحًا لولاية العَهْد. وكان ممّن اصْطَنَعه وألْقَى عليه رِداءَ مَحبّته في النّاس وعنايتَه، أحمدُ بن أبي بَكْر بن سيّد النّاس اليَعْمُري وأخوه أبو الحسَيْن، لسابِقَةِ رَعَاهَا لهما؛ وذلك أنّ أباهُما أبا بَكْر ابن سيّد النّاس كان [من][أ] بُيوت إشْبِيليّة، حافظًا بالحديث، راويةً له، ظاهِريًّا في فِقْهه على مَذهب دَاود[1] وأصْحابه، وكانت لأهل إشْبِيليّة خصوصًا من بَيْن الأنْدلس وصْلَة بالأمير أبي زكريّاء بن عبد الواحِد بن أبي حَفْص وبَنيه منذُ ولايته غَرْب الأنْدلس. فَلَمَّا تَكالَب الطّاغِية على العُدْوَةِ والتَهَمَ ثغُورَها، واكْتَسحَ بَسائِطَها، وأسَفَّ[ب] إلى قَواعِدها وأمْصارِها، أجَازَ الأعْلامُ وأهْلُ البُيوتِ إلى أرْض الـمَغْرِبَيْن وإفْرِيقيّة، وكان قَصْدُهم إلى تونِس أكثَرَ لاسْتِفْحال الدّولة الحفْصيّة بها. فلمّا رأى الحافِظُ أبو بَكْر اخْتلالَ أحْوالِ الأنْدلس وفَتْحَ مَصائرها وخِفّةَ ساكِنِها، أجْمَعَ الرّحلةَ عنها إلى ما كان يُؤْنِسُ من سابقيّة عند هؤلاء الخُلَفاء، فَأجازَ البحرَ ونَزَلَ بتُونِس، فَلَقّاهُ السلطانُ تَكْرِمَةً، وَجَعَل إليه تدريسَ العِلْم بالمدْرَسة[2] عند حَمَّامِ الهَوَاء التي أَسّسَتها أمُّه أمُّ الخَلائِف. ونشَأَ بَنوه أحمدُ وأبو الحسَن في جَوّ الدّولة وحِجْرِ كَفالَتها للاخْتِصاص الذي كَانَ لأَبيهم بها، وعَدَلُوا عن

(أ) من ف وسقط من ظ (ب) ف: أشف.

(1) هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني، مجتهد تنسب إليه المذهب الظاهري المعتمد على ظاهر الكتاب والسنّة واجتناب التأويل والرأي والقياس ولادته في الكوفة 201 هـ انظر عنه: تذكرة الحفاظ 2: 136، وتاريخ بغداد 8: 369، لسان الميزان 2: 422.

(2) محمد بالخوجة: تاريخ معالم التوحيد 178

طلَب العِلْم إلى طلَب الدُّنيا، وتَشوَّفُوا إلى مَراتِب السُّلطان، واتّصلوا بأبناء السّلطان أبي إسْحاق بمكانِهم من حُجَرِ القَصْر حيثُ أنزَلَهُمْ عَمُّهم بعد مَذْهَبأبيهم، فخالَطُوهُمْ واسْتُخْدِمُوا لَهم. ولمّا اسْتَوْلَى السّلطان على الأَمْر، ورَشَّحَ ابنَه أبا فارِسَ للعَهْد وَأَجْرَاه على سَنَنِ الوِزارةِ، فاصْطَنَعَ أحمدَ بنَ سيّد النّاس وَنَوَّهَ باسْمه، وخَلَعَ عليه لَبُوسَ كَرامَته، واخْتَصَّه بلَقَب حِجابَتِه، / وأخوه أبو الحسَيْن يُنَاهِضُه في ذلك عِنده. ونَفِسَ ذلك علَيْهما البِطانةُ فأغْرَوْا السّلطانَ أبا إسْحاق بابْنِه و[خَوَّفُوه][أ] شأنَه، وأنّ أحمد بن سيّد النّاس داخَلَه في التَّوَثُّب بالدّولة. وَتَوَلَّى كِبْرَ هذه السّعَايَةِ عبدُ الوهّاب بن قائِد الكَلاعي، من عِلْيَةِ الكُتّاب ووُجوهِهم، كان يَكْتُبُ العَلامةَ يومئذٍ، فَسَطَا السُّلطان بابن سَيّد النّاس سنةَ تسعٍ وستّين آخرَ رَبيع؛ اسْتُدْعِيَ إلى باب القَصْر فتَعاوَرَتْهُ السّيوفُ هَبْرا، ووُورِيَ شِلْوُه ببعْض الحُفَر. وَبلَغَ الخبرُ إلى الأمير أبي فارس فرَكِبَ إلى أبيه في لَبوس الحُزْن، فَعَزَّاه[ب] أبوهُ عن ذلك بأنّه ظَهَرَ لابن سيّد النّاس على المَكْر والخَديعَة بالدّولة، وَأَمَاطَ سوادَه بيَدِه. وَنَجَا أبو الحسَين من هذه المَهْلكة، واعْتُقِلَ في لُمَّةٍ من رِجال الأَمير أبي فارس وبِطانَته بعد أن تَوارَى أيّامًا إلى أن أُطْلِقَ من مَحْبَسه، وكان من أَمْره ما نَذْكره بعدُ. واسْتَبْلَغَ السّلْطانُ في تأْنيس ابنه وَمَسْحِ الضَّغِينَةِ عن صَدْره، فَعَقَدَ له على بِجَايَة وأَعْمالها وأَنْفَذَه إليها أميرًا مُسْتقِلاً، وأَنْفَذَ معه في رَسْم الحِجابةَ جَدّي مُحمّد ابنَ صاحبِ أشْغاله أبي بَكر بن الحسَن بن خَلْدون، فَخَرَجَ إليها سنةَ تسعٍ وستّين، وقامَ بأَمْرها. ولم يَزلْ أميرًا بها إلى آخر دَوْلَته، كما نَذْكُرُ.

[ 265 أ ]

(أ) من ف. ظ: خوفه (ب) ف: فعزله.

## 81 • الخبرُ عن ثَوْرة ابن الوَزير بِقُسُنْطِينَةَ ومَقْتَلِه

اسْمُ هذا الرّجُلِ أبو بَكْر بن موسَى بن عيسَى، ونِسبَتُهُ في كُومِيَّة، من بُيوت المَوَحّدِين. كان مُسْتَخْدمًا لابن كَلْداسنْ الوالي بِقُسُنْطِينَة بعدَ ابن النُّعْمان من مَشْيَخة المَوَحّدين أيّامَ المُسْتَنْصر. ووَفَدَ ابنُ كَلْداسنْ على الحَضْرة، وأَقامَ ابنُ وَزير نائبًا عنه بِقُسُنْطِينَة، فكان له غَنَاءٌ وصَرامَة، ووَلاّه السّلطانُ حافظًا على قُسُنْطِينَة، / [265 ب] واتَّصَلَت ولاَيَتُه. وهَلَكَ المُسْتَنْصرُ واضْطربت الأحْوالُ، ثمّ ولاّه الواثقُ ثمّ السّلطانُ أبو إسْحاق. وكان ابن وَزير هذا طموحًا جَموحَ الأَمَل، وَعَلِمَ أنّ قُسُنْطِينَة مَعْقَلُ ذلك القُطْرِ وحِصْنُهُ، فحَدَّثَتْهُ نفسُه بالامْتناعِ بها والاسْتبداد على الدّوْلة. وساءَ أثرُه في أَهْلها فرَفَعُوا أمرَهم إلى السّلطان أبي إسْحاق واسْتَعْدَوْهُ فلم يَعْدُهم لمَا رأى من مَخائِلِ انْحِرافِه عن الطّاعَة، وكَتَبَ هو بالاعْتِذار والنَّكير لما جاؤُوا به، فتُقُبّل وَأُغْضِيَ له عن هناتِهِ. ولمّا مَرَّ به الأميرُ أبو فارس إلى مَحَلّ إمارَته من بِجَايَة سنةَ تسْعٍ وسبعين، قَعَدَ عن لِقائه، وَأَوْفَدَ إليه جمعًا من الصُّلَحاء بالمعاذير والاسْتِعْطاف، فَمَنَحَهُ من ذلك كفاءَ مَرْضاتِه، حتّى إذا أَبْعَدَ الأميرُ أبو فارِس إلى بِجَايَة، اعْتَزَمَ هو على الانْتِزاء، وَكَاتَبَ ملكَ أَرَغُون في جَيْش من النّصارَى يَكُونُ مَعه في ثَغْره يُرَدّدُ بهم الغَزْوَ، على أن يَكُونَ - فيما زَعَمُوا - داعيةً لهُ، فأَجَابَه ووَعَدَهُ ببَعْثِ الأُسْطول إليه، فَجَاهَرَ بالخَلْعان، وانْتَزَى بثَغْر قُسُنْطِينَة داعيًا لنَفْسه آخرَ سنة ثمانين.

وَزَحَفَ إليه الأميرُ أبو فارس من بجاية في عَساكِره، واحْتَشَد الأَعْرابُ وفرسانُ القبائِل إلى أن احْتَلّ بِمِيلَة. ووَفَدَ عليه مَشْيَخةٌ من أَهْل

قُسُنطِينَة بمَكرٍ من الرَّغبة والتَّوسُّل، بَعَثَهم بها ابنُ وَزير، فأَعْرَض عنهم، وصَبَّحَ قُسُنطِينَة في أوّل ربيع سنة إحْدَى وثمانين، فنازَلَها، وجَمَعَ الأَيْدِي على حِصارِها، وَنَصَبَ المجانيقَ، وَقَرَّبَ مَقاعِدَ الرُّماة، وَقَاتَلَهَا يومًا أو بعضَ يومٍ، وَتَسَوَّرَ عليهم المَعْقِلَ من بَعْض جِهاته، وكان المُتَوَلِّي [التَسوُّرِه][أ] حَاجبُه محمّد بن أبي بَكْر بن خَلْدون. وَأَبْلَى ابنُ وَزير عندَ الصَّدْمَة حتّى أُحِيطَ به، وقُتِلَ هو وأخوه وأشياعُهُما، وَنُصِبَتْ رُؤُوسُهم بسور البِلاد. و[تَمشَّى][ب] الأميرُ في سِكَكِ البلَد مُسَكِّنًا / وَمُؤَنِّسًا، وَأَمَرَ بِرَمّ ما تَثَلَّمَ من الأَسْوار، وبإصْلاح القَناطِر، وَدَخَلَ إلى القَصْر، وَبَعَثَ بالفَتْح إلى أبيه بالحَضْرة. وَجَاءَ أَسْطولُ النَّصارى إلى مَرْسَى القُلِّ في مُواعَدَةِ ابن وَزير فأَخْفَقَ مَسْعاهم، وارْتَحَلَ الأميرُ أبو فارس لثالثَةِ الفَتْح إلى بِجايَة فَدَخَلَها آخرَ ربيع من سنَتِهِ. [266 أ]

(أ) من ف. ظ: لسوره (ب) من ف. ظ: نشا.

## 82 • الخبرُ عن قِيادَةِ أبناءِ السُّلْطان العَساكِرَ إلى الجهات.

كان السّلطان يُؤْثِرُ أبناءَهُ بمراتِب مُلكِه، ويُولِّيهِمْ خِطَطَ سُلْطانِه شَغَفًا بهم وتَرْشيحًا لهم، فعَقَدَ في رجَب سنةَ إحْدى وثمانين لابْنه الأميرِ أبي زكريّاءَ على عَسْكرٍ من المَوحّدينَ والجُنْد، وبَعَثَهُ إلى قَفْصَة للإشْراف على جِهاتِها وَضَمِّ مَجابيها. فخَرَجَ إليْها وقَضَى شَأْنه من حَرَكته، وانْصَرَف إلى تُونِس في رَمضان من سَنَتِهِ. ثمّ عَقَدَ لابْنه الآخر أبي محمّد عبد الواحِد على عسْكرٍ وأنْفَذَهُ إلى وَطَن هوّارة لاقْتِضاء مَغارِمِهم وجِباية ضَرائِبِهم وفَرائِضِهم، وبَعَثَ معه عبدَ الوهّاب بن قائِد الكَلاعي مُباشِرًا لذلك وواسطةً بَيْنه وبين النّاس، فانْتَهَى إلى القَيْرَوان، وبَلَغَهُ شأنُ الدّعِيّ وظهورُه في دَبّاب[أ] بنواحي طَرابُلس، فطَيَّر بالخَبَرِ إلى السُّلطان، وأَقْبَل على شَأْنِه. ثمّ انْتَشَر أمرُ الدّعيّ، فانْكَفَأَ راجعًا إلى تُونِس.

## 83 • الخَبَرُ عن صِهْرِ السّلْطان مع عُثْمان بن يَغمْراسِن.

كان السُّلطان لَمّا أَجازَ البحرَ من الأَنْدَلُس لطلب مُلْكه، ونَزَلَ على يَغمْراسِن بن زَيّان بتِلِمْسَان، فاحْتَفَل لقدُومه وأَرْكَب النّاسَ للقائِه، وأَتاهُ بَيْعَتَه عَلَى عادَتِه مع سَلَفه لما عَلِمَ أنّه أحقُّ بالأَمْر، ووَعَدَه النُّصْرَةَ من عَدُوّه والمؤازَرَةَ على أمْره، وأَصْهَرَ إليه في إحدَى بَناته المقْصوراتِ في خِيام الخِلافَة بابْنه عثمان، تشريفًا، خَطَبَهُ منه فأَوْلاهُ الإسْعَاف به. ولمّا

(أ) ف: دياب.

استَوْلَى السّلطانُ على حَضرته واستَبَدَّ بأَحْوال مُلكِه، بَعَثَ يَغمْرَاسِن / ابنَه إبراهيمَ المُكَنَّى بأبي عامِر في وَفْدٍ من قَوْمه لإتمام ذلك العَقْد، [266 ب] فاعْتَمَدَ السّلطان مَبرَّتهم وأَسْعَف طِلْبَتَهم، وأقامُوا بالحَضْرة أيّامًا، وظهر من إقْدامهم في فِتَنِ الدَّعِيِّ مَقامات، وانصَرَفُوا بظَعينَتِهم[أ] سنةَ إحدى وثمانين مَحْبُوِّينَ مَحبورِينَ، وابْتَنَى بها عُثمانُ لحين وُصولِها، فكانت من عَقائِل قُصورِهم ومَفاخِر دَوْلَتهم وذِكْرًا لهم ولقَوْمِهم آخرَ الأَيّام.

## 84 • الخبرُ عن ظُهورِ الدّعِيّ ابن أبي عُمارَة[1]، وما وَقَع من الغريب في أمْره.

هو أحمدُبنُ مَرْزوق بن أبي عُمارَة[ب] من بُيوتاتِ بِجايَة الطَّارئِين علَيْها من المَسِيلَة. نَشَأَ ببِجايَة وَسِيمًا مُحْتَرِفًا بصناعَة الخِياطَة، غِرًّا غَمْرًا. وكان يُحَدِّثُ نَفْسَه بالمُلْك لما كان العَرَّافون - زَعَمَ- يُخْبِرُونَهُ بذلك، وكان هو يَخُطُّ[2] فيُرِيهِ خَطُّهُ ذلك. ثمّ اغْتَرَبَ من بَلَده ولَحِقَ بصَحْراء سِجِلْمَاسَة واخْتَلَط بعَرب المَعْقِل، وانتَمَى إلى أَهْل البَيْت وادّعَى أنّه الفاطِمِيُّ المُنْتَظر عند الأغْمار، وأنّه يُحِيلُ المعادِنَ إلى الذّهب بالصّناعَة. فاشْتَمَلُوا

(أ) ف: ضغينتهم. ظ: طعيتهم. وهو تصحيف (ب) ف: عامر.

---

(1) إنّ ابن خلدون والذين كتبوا عن حركة الدّعيّ أحمد بن مرزوق التي تولّى كِبْرها معه شيخ الجواري من دَبّاب مُزغِم بن صابر، قد أغفلوا عمدًا أو بُعدًا عن المعرفة، صلةَ حركته بالتجاذب السّياسي الخارجي، ورَبطَ ذلك بدَعم الملك المنصور قلاوون ليمدّد سلطانه إلى مملكة تونس (إفريقية). انظر ابن عبد الظّاهر: تشريف الأيام والعصور 44 - .

(2) ذكر ابن خلدون أنّ قومًا استَنْبطوا لاستخراج الغيب وتعرُّف الكائنات صِناعةً سمّوها خطّ الرمل. انظر العبر 1: 199 - 203.

علَيه وتَحَدَّثُوا بشَأنِه أيّامًا. أَخبرني طَلْحَةُ بنُ مُظفّر من شُيوخ العمَارِنَةِ[أ] - إحدى بُطون المَعْقِل - أنَّهُ رَآهُ أيّامَ ظُهوره في المَعْقِل مُلْتَبِسًا بتلك الدّعْوى حتّى فَضَحَهُ العَجْزُ. ثمّ لمَّا زَهِدُوا فيه لعَجْز مُدّعاه، ذهبَ يَتَقَلَّبُ في الأَرْض حتّى وصلَ إلى جِهات طَرَابُلس، ونَزَلَ على دبّاب، وصَحِبَ بَيْنَهم الفتَى نَصيرًا مَوْلَى الواثِق بن المسْتَنْصِر وَيُلَقَّبُ بُوبي[ب]. ولمّا رآه تَبَيّن فيه شبهًا من الفَضْل ابن مَوْلاه، فَطَفِقَ يَبْكي ويُقَبِّل قدمَيْه، فقال له ابنُ أبي عُمارة: ما شأنُك؟ فَقَصّ عليه الخَبَر، فقال له: صَدِّقْني في هذه الدّعوَى وأنا أُثْئِرُكَ من قاتِلِهم. وأَقْبَلَ نصيرٌ على أُمَراء العَرب مُناديًا بالسّرور بابن مَوْلاه حتّى خُيّل علَيْهم. ثمَّ لَبَّسَ بما دَنَسَ[ج] إلى ابن أبي عُمارَة نَفْيًا للرِّيَب / [267 أ] بأَمْره، فصَدّقُوا واطْمَأَنُّوا، وأَتَوْه بَيْعَتَهم. وقامَ بأَمْره مُرْغِمُ بنُ صابِر بن عسْكر أميرُ دَبّاب، وجمعَ له العربَ، ونازَلوا طَرَابُلس وبها يَوْمئذٍ محمّدُ بن عيسى الهِنْتاتِي ويُشْهَرُ بعُنُقِ الفِضّة، فامْتَنَعَتْ علَيْهم ورَحَلُوا إلى مَجْدُنس[د] المُوطِنِينَ بزَنْزُور [و][هـ] جماتها من هَوّارَة، فأَوْقَعُوا بهم. ثمّ سارَ في تلك النّواحي واسْتَوْفَى جِبايةَ لَمايَة وزوَاوَة وزوَاغَة، وأَغْرَمَ نَفُوسَةَ وغَرْيَانَ ومَقَّر من بُطون هَوّارة وَضائِعَ أَلْزَمَهُم إيّاها واسْتَوفَاها. ثم زَحَفَ إلى قَابِس فبايَعَ له عبدُ المَلِك بن مَكّي في رجب سنَة إحدَى وثمانين، وأعطاهُ صَفْقَتَهُ طواعِيَةً وفاءً بحقّ آبائِه فيما طَوَّقُوهُ، وذَريعَةً إلى الاسْتِقْلال الذي كان يُؤَمِّلُه. وأعلَنَ بخِلافته ونادَى في قَوْمه، واسْتَخْدَمَ له بَني كَعْبٍ من سُلَيم ورِئاسَتُهم إذّاك في بَني شيخَة لعبد الرّحمن ابن...[و]

(أ) ف: الغمارنة (ب) ف: بوني (ج) كذا في ظ ف، ولعلّ الصواب: ثم لَبّس بما دَلَّسَ (د) ف: محريش (هـ) من ف (و) سقط الاسمُ من الأصلين.

ابن شيخة، فأَجابُوا داعِيهِ وأنابُوا إلى خِدْمَته. وتَوَافَتْ إليه بَيْعة أَهْلِ جِزبَة والحَامّة وقُرَى نَفْزَاوَة. ثمّ زَحَفَ إلى تَوْزَر وبلادِ قَسْطِيلِيَّة فأَطَاعُوهُ، ثمّ رَجَعَ إلى قَفْصَة فبايَعَ لهُ أهلُها، وعَظُم أمرُهُ وعلاَ صيتُهُ، فَجَهَّز إليه السّلطانُ أبو إسْحاق العساكرَ من تونِس كما نَذْكُرُهُ.

## 85• الخَبَرُ عن انفِضاض[أ] عساكِر السّلطان وتَفْويضِه[ب] عن تونِس.

لَمّا تَفَاقَمَ أمرُ الدّعيّ بنَواحي طَرَابُلُس ودخَلَ الكثيرُ من أَهْل الأَمْصار في طاعَتِه، جَهّز السّلطانُ عساكِرَه وَعقَد لابنه الأميرِ أبي زكريّاء على حَرْبِه، فخَرج من تُونِس، ونَزَلَ القَيْرَوان واقْتَضَى منها غراماتٍ وَوَضائِعَ اسْتَأْثَر منها بأَمْوالٍ. ثمّ ارتَحَلَ إلى لِقاء الدَّعِيّ. وانتَهَى إلى قَمُّودَة، وبلَغَه هُنالك ما كان من اسْتيلاء الدّعيّ على قَفصة، فأَرْجَفَ به أَهْلُ المُعَسْكر وانفَضُّوا من حَوْله، ورَجَعَ إلى تُونِس فدَخَلها آخرَ يومٍ من رمضان من / سنَتِه. وارتَحَلَ الدَّعِيُّ على إثْره من قَفْصَة، واحْتَلَّ بالقَيْرَوان [267 ب] فبايَعَ له أَهْلُها، واقْتَدَى بهم أهلُ المَهْدِيّة وصَفاقُس وسوسَة فبَايَعُوا له. وكَثُرَ الإرْجافُ بتُونِس فاضْطَرَبَ السّلطان بمُعَسْكَره[ج] بظاهِر البلَد وَسَطَ شوّال. وضَرَب الغَزْوَ على النّاس، واسْتَكْثَر من العدَد، وخرجَ إلى مُعَسْكره بالمُحَمَّدِيّة وتلَوَّم بها لإزاحَة العِلَل. وارتَحَلَ الدّعيّ من القَيْروان زاحفًا إليه، فتَسَرَّبَتْ إليه طبقاتُ الجُنود ومَشْيَخةُ المُوَحّدينَ، رِضَى

(أ) ف: انقضاض (ب) ف: تعويضه (ج) من ف. ظ : معسكره.

بمَكَانِه، وصاغيةً إلى بَني المُسْتَنْصر خَليفتِهم الطَّويلِ أَمَدِ الوِلايَةِ عليهم، ورَحْمةً لما نالَ الواثِقَ وأبناءَه من عَمِّهِمْ. ثمّ انفَضَّ عن السّلطان كبيرُ الدّوْلَة موسى بن ياسين في مُعْظَمٍ من المُوَحّدين، ولَقِيَ الدّعيَّ بطريقه فاختَلّ أمْرُ السّلطان وانتَقَضَتْ عُرَى مُلْكِه، وفَرَّ إلى بِجايَة كما نَذْكُره.

## 86 • الخبرُ عن لَحاقِ السُّلطان أبي إسْحاق ببِجايَة، ودُخولِ الدّعِيّ ابنِ أبي عُمارَة إلى تونِس، وما كان من أمْرِه بها.

لمّا انفَضَّ مُعَسْكرُ السّلطان أبي إسْحاق آخرَ شَوّال من سنَةِ إحْدى وثمانين، ركِبَ في خاصّته وبَعْض جُنْده ذاهبًا إلى بِجايَة، ومرّ بتونِس فوَقَفَ عندها حتّى احْتَمَلَ أهْلَهُ وولَده وسارَ في كَلَب البَرْد، فكانَ يُعَاني من قِلّة الأَقْوات وتَعاوُرِ المَطَر والثّلْج شِدّةً، وكانَ يُصانِعُ القبائِل في طَريقه ببَذْل مالِه. ثمّ مرّ بقُسَنْطِينَة فمَنَعَهُ عامِلُه عبد الله بن يوقيان الهَرْغيّ من دُخولها، وقَرّبَ إليه بعضَ القِرَى من الأَقْوات، وارْتَحل إلى بِجايَة، فكان من أَمْرِه ما يُذْكر.

ودَخَلَ الدّعيُّ ابنُ أبي عُمارَة إلى الحَضْرة وقلّدَ موسى بن ياسين وزارَتَه، وأبا القاسِم أحمدَ بنَ الشّيخ حِجابَتَهُ، وتَقَبّضَ على صاحب الأَشْغال أبي بَكْر بن الحسَن بن خَلْدون فاسْتَصْفاهُ وصادَرَهُ / [268أ] على مالٍ امْتَحَنَه عليْه، ثمّ قتَلَهُ خَنْقًا، وصَرَفَ خُطّةَ الجِباية إلى عبد الملك بن مَكّي

رئيسِ قابِس، واسْتَكْمَل أَلْقابَ المُلْك، وقَسَّمَ الخُطَطَ بَيْن رجال الدّولة، وصَرَفَ هَمَّه إلى غَزْو بجايَة.

## 87 • الخَبَرُ عن اسْتِبْدادِ الأميرِ أَبي فارسَ بالأَمْر عند وُصولِ أَبيه إِلَيْه.

لَمّا وصلَ السّلطان أبو إسْحاق إلى بِجايَة شهرَ ذي قَعْدة من سنَتِه طريدًا عن مُلْكه، عاطِلاً من حُلَى سُلْطانه، انْتَقَض علَيه ابنُه الأميرُ أبو فارس ومَنَعه من الدُّخول إلى قَصْره، فنزَل برَوْض الرَّفيع، وأَرادَه على الخَلْع فانْخَلَع له، وأَشْهَدَ المَلأَ من المُوَحّدين ومَشْيخةَ بِجايَة لذلك. وأَنْزَلَهُ قَصْرَ الكَوْكب، ودَعَا النّاسَ إلى بَيْعتِه آخرَ ذي قَعْدة، فبايَعوهُ، وتَلَقَّبَ المُعْتَمِدَ على الله، ونادَى في أوليائه من رياحٍ وسدْوِيكش. وخرجَ من بجايَة زاحِفًا إلى الدَّعِيّ، واسْتَخْلَف علَيْها أَخاه الأميرَ أبا زكريّاء، وخرجَ معه عَمُّه الأميرُ أبو حَفْص وإخوتُه، فكان من أَمْرهم ما نذكر.

## 88 ● الخَبَرُ عن زَحْفِ الأَميرِ أبي فارسَ لِلقاءِ الدَّعِيّ، ثمّ انْهزامُه أمامَهُ واستِلحامُهُ وإخْوته في المعْركة، وما كان إثر ذلك من مَهْلِك أَبيهم السّلطان أبي إسْحاق، وفرارِ أخيهم الأميرِ أبي زكرِيّاء إلى تِلِمْسان.

لمَّا بلَغ الخبرُ إلى الدّعيّ باسْتِبْداد الأمير أبي فارِس على أبيه واسْتعدادِه للقائه، تَقبّضَ على أهْل البَيْت الحَفصِيّ فاعْتَقَلَهم بعدَ أن هَمَّ بقَتْلهم. وخرجَ من تُونِس في عساكِرَ من الموَحّدين وطَبقاتِ الجُند في صَفَر سنةَ ثِنْتَين وثمانين، فانتهَى إلى مَرْماجَنّة، وتَرَاءى الجَمْعان ثالثَ ربيع الأوّل فاقْتَتلُوا عامّةَ يومٍ ثمّ اختَلّ مَصافُّ الأمير أبي فارِس وتخاذَلَ أنصارُه، [268 ر / فقُتِلَ في المَعْركة، وانتُهِبَ مُعَسْكرُه، وقُتِلَ إخْوانُه جميعًا صبْرًا: عبدُ الواحِد قَتَلَهُ الدَّعيّ بيَدِه، وعمرُ وخالدٌ ومُحمّدُ بنُ عبد الواحِد، وبَعث برُؤُوسِهم إلى تُونِس، فطِيفَ بها على الرِّماح، ونُصِبَتْ بأسْوار البلَد، وتَخلَّص عمّه الأميرُ أبو حَفْص من الواقِعة، إلى أن كانَ من أَمْره ما نذكُر.

وبلَغ خبرُ الواقِعة إلى بِجايَة فاضْطَرَب أهلُها وماجُوا بَعْضُهم في بَعْضٍ، وجَمَعَهم قاضِيهم أبو مُحمّد عبدُ المنعم بنُ عَتيق الجزائِريّ للحَديث في الشّأن، فتَكالَبُوا، وزَجَرَهم ابنُه فقَتَلُوه، ثمّ أَشْخَصوا القاضي إلى بَلَده في البَحْر.

وخرجَ السُّلطانُ أبو إسْحاق وابنُه الأميرُ أبو زكرياءَ إلى تِلِمْسان، فقَدَّمَ أهلُ بِجايَة عليهم مُحمّدَ بن أسرغين قائمًا فيهم بطاعة الدّعيّ، وخرجَ

في اتّباعِ السّلطان فأدْرَكَه بجبَل بَني غُبْرين من زواوَة فتَقَبّضَ علَيه، ونَجا الأميرُ أبو زكريّاء إلى تِلِمْسَان، وبَقِيَ السّلطانُ أبو إسْحاق ببجاية مُعْتَقَلا رَيْثَما بلَغ الخبرُ إلى تونِس. وأرسلَ الدَّعيُّ محمدَ بن عيسى بن داود فقتلَه آخرَ ربيع الأوّل سنة ثِنْتَيْن وثمانين، وانقَضَى أمرُه. ولله عاقِبَةُ الأُمور.

## 89• الخبرُ عن ظُهور الأميرِ أبي حَفْص، وبَيْعتِه، وما كان على إثر ذلك من الأَحْداث.

قد ذكَرْنا أنّ الأميرَ أبا حَفْص حضَرَ واقعةَ بَني أخيه مع الدَّعيّ بمَرْمَاجَنَّة، فخلَصَ من المَعْركة راجلاً ونَجا إلى قَلْعَةِ سِنَان مَعْقلِ هَوَّارَة القريبِ من مكان المَلْحَمَة، ولاذَ به في ذَهابه إلى مَنْجاته ثلاثةٌ من صَنَائعهم: أبو الحسَين[أ] بن أبي بَكر بن سيّد النّاس، ومحمّد بن الفَازازي، ومحمّد بن أبي بَكر بن خَلْدون، وهو جَدّ المؤلّف الأَقْرب، ورُبّما كانوا يَتَنَاقَلُونَه على ظُهورهم إذا أصابَه الكَلالُ. ولَمّا نَجا إلى قَلْعَةِ سِنَان تَحَدَّثَ به النّاس / [269أ] وشاعَ خبرُ مَنْجاته إليها. وكان الدَّعيُّ قد آسَفَّ العربَ وثَقُلَتْ وَطْأتُه عليهم بما كان يُسِيءُ المَلَكَةَ فيهم؛ فلِيَوْمِ دُخوله شَكا إليه النّاس عَيْثَهم فتَقَبّضَ على ثَلاثةٍ منهم وقَتلَهم وصَلَبَهم. ثمّ سَرَّحَ[ب] شيخَ المَوَحّدين عبدَ الحقّ بن تافراكين لحَسْمِ عِلَلِهم، وأوْعزَ إليه بالإثْخان، فاسْتَلْحَم من لَقِيَ منهم، ثمّ تَقَبّضَ على مَشائخ بني عَلاّق وأَوْدَعَ سُجونَه منهم نَيِّفًا على الثّمانين، فساءَ أثَرُه فيهم، وطَلَبُوا[ج] أعْيَاصَ البَيْت، وتسامَعوا بخَبَر الأمير أبي

(أ) ف: أبو الحسن (ب) ظ: شرح (ج) ف: وتطلبو.

حَفْصٍ بمكانه من قَلْعَة سِنَان، فرَحَلُوا إليه وأَتَوْه بَيْعَتهم في رَبِيع سنةِ ثلاثٍ وثمانين، وجَمَعُوا له شيئًا من الآلَة والأَخْبِيَة، وقامَ بأَمْره أبو اللّيل بن أحمد أميرُهم. وبَلَغَ الخبرُ إلى الدَّعِيِّ فَدَاخَلَتْه الظِّنَّةَ في أَهْل دَوْلته وتَقَبَّضَ على أبي عِمْران بن ياسين شيخِ دَوْلته وعلَى أبي الحسن بن ياسين، وابن وَانُودِين، وعلى الحسَن بن عبد الرّحمن يَعْسُوبِ[1] زَناتة، فامْتَحَنَهم واسْتَصْفَى أموالَهم ثمّ قَتَلَهم آخرًا، وتَوَجَّعَ لهم النّاسُ، واضْطَرب أمرُ الدَّعِيّ إلى أن كان ما نذكره.

## 90. الخبرُ عن خُروج الدّعِيّ ورُجوعِه، واسْتِيلاءِ السّلْطان أبي حَفْص على مُلكِه وعليه[2] ومَهْلِكِهُ

لما ظهر السّلطانُ أبو حَفْص وبايَعهُ العربُ، تسامَع به أَهْلُ الحَضْرة واجْتَمع إليه النّاس. وأَوْقَعَ الدّعِيّ بأهْل الدَّوْلة فمَقَتُوه، وخرجَ من تُونس يُريد قِتاله فأَرْجَفَ به أهْلُ مُعَسْكره ورَجَع مُنْهزمًا. ودخلتِ البلادُ في طاعَة السّلطان أبي حَفْص. ونَهَضَ إلى تُونِس فنزل سِيجُومَ قريبًا منها. وعَسْكَرَ الدّعِيُّ بظاهِر / البَلد تُجاهَهُ، وطَالَتْ بَيْنَهما الحربُ أيّامًا والنّاس [269 ب] في كلّ يومٍ يَسْتَوْضِحُون خِبْءَ الدّعِيّ ومَكْرَه إلى أن تَبَرّأوا منه وأَسْلَموه، ورَحَلَ من مَكان مُعَسْكره ولاذَ بالاخْتِفاء.

(1) يَعْسوب قَوْمه: سيّدهم ورئيسهم، والأصل أمير النّحل وذكرها.

(2) كذا. والضمير يعود على الدعيّ الذّي تقبض عليه السلطان أبو حفص بعد اختفائه.

ودخلَ السّلطان البلدَ في ربيع الآخرِ سنةَ ثلاثٍ وثمانين، واستَوْلى على سَرير مُلكه وطَهَّره من دَنَسِ فَاضِحِهِ ودَعِيِّهِ(أ). واختفَى الدّعيُّ بتونِس، وغاص في لُجَّةِ سَاكِنِهَا، وأحاطَ به البَحْث فَعُثِرَ عليْه لليالٍ من مَدْخَل السّلطان بدُورٍ بَعْض السّوقَةِ يُعْرَف بأبي القاسِمِ القَرْمادي فَهُدِمَتْ لحِينِهَا، وتُلَّ إلى السُلطان فَأَحْضَرَ له الملأَ ووَبّخَهُ وسأَلَه فاعْتَرَفَ بادّعائِه في بَيْتِهم، فأمَر بامْتِحانه وقَتْله، وذهَب في غَيْرِ سَبيل مَرْحَمَةٍ، وطِيفَ بِشِلْوِهِ ونُصِبَ رَأْسُه، وكان عبدُ الله بن يَغْمور(ب) المباشِرُ لقَتْله، وكان خَبرُه من المُثْلاَتِ.

واسْتَبَدَّ السّلطانُ بمُلكه، وتلَقّب المستَنْصِرَ بالله، وبَدَرَ النّاسُ إلى الدُّخول(ج) في طاعَتِه، وبعثَ أهلُ القاصِيَة بَيْعَتَهم من طَرَابُلُس وتِلِمْسَانَ وما بَيْنَهما. وعقدَ للشّيخ أبي عبد الله الفازازي على عَسَاكره على الحُروب والضّاحية، وأَقْطعَ البلادَ والمغارمَ(د) للعَرب رُعْيًا لذِمّة قِيامهم بأَمْره، ولم يَكُنْ لهم قَبْلَهَا إقْطاعٌ، وكان الخُلَفاء قبلَه يَتَحَامَوْنَ عن ذلك لا يَفْتَحُون فيه على أَنْفُسهم بابًا. وأقام مُتَمَلِّيًا مُلكه(هـ) وادِعًا في حَضْرته، إلى أن كان ما نَذْكُر.

(أ) ظ: دعته (ب) ف: يعمور (ج) ف: بالدخول (د) ف: المغام (هـ) ف: بملكه.

# 91• الخَبَرُ عن اسْتِيلاءِ العَدُوّ على جزيرة جِرْبَة[أ] ومَنورْقَة[ب] ومُنازلَتِه المَهْدِيَّة، وإجْلابه على السَّوَاحِل.

كان من أعْظم الحوادِث في أيّام هذا السّلطان تَكَالُب العدُوّ على الجزرِ البَحرية، فاستَوْلَتْ أساطيلُهم على جَزيرة جِرْبَةَ في رَجب من سَنة ثلاثٍ وثمانين، ورِئاسَتها يَوْمئذٍ من محمّد بن / [270] سُمّومنْ[1] شيخ الوَهْبِيّة[ج][2] ويَخْلِف بن أمغار[د] شيخ النكّارة[هـ] وهما فِرْقَتا الخوارِج[و] فبعث[ز] إليها المراكيّة صاحب صِقِلّيّة نائبًا عن الفدريك بن الريداكون[ح] مَلِكِ بَرْشَلُونَة أساطيلَه البَحْريّة، و[ط] كانوا فيما قيلَ سبْعونَ أُسْطولاً من غِرْبانٍ وشَوانِي، وضَايَقَهُمْ مِرارًا ثمّ تَغَلَّبُوا علَيْها فانتَهبوا أموالَها، واحْتَمَلُوا أهْلَها أَسْرًا وسَبْيًا، يُقالُ إنهُمْ بلَغوا ثمانيةَ آلافٍ بعد أن رَمَوْا بالرُضَّع في الجُبُوب، فكانت هذه الواقعة من أشْجَى الوقائع للمسلمين[ي]، ثمّ بَنَوْا بساحِلِها حِصْنًا،

(أ) ضبطت في ف بفتح الجيم فسكون الراء ففتح الباء (ب) ف: ميورقة (ج) شطْبٌ متأخّر لاسم الفرقة (د) ف: أومغار (هـ) ف: مشطوبة (و) ف: مشطوبة (ز) ف: فزحف (ح) ف: الرنداكون (ط) ظ: أو (ي) وردت هذه الجملة في ف في هذا الموقع المناسب، وتأخرت في نسخة ظ بعد النصّ التالي عن استعادة جربة أواخر الأربعين و[السبع]مائة. فآثرنا موقعهَا مع نسخة ف المناسب.

(1) استمرّ وجود هذه الأسرة ونفوذها السياسي والاقتصادي إلى القرن العاشر الهجري (16 ميلادي) حيث وجدنا عقودًا تجارية لهم مع تجار صقليين أيام حكم فرناندو دي كنزاغة نائب شارل الخامس، ومحفوظة في مكتبة Parma.

(2) نسبةً للإمام عبد الوهاب بن عبد الرّحمن بن رُسْتُم (190 هـ على اختلاف في تاريخ وفاته) وكان الإباضية في عهده قد افترقوا على ثلاث فِرق: النُكّار أو الشّغَبيّة، وقد أنكروا إمامتَه. والخلَفيّة، نسبَة لخلَف بن أبي الخطاب السّمح بن عبد الأَعْلَى الذي ولّوه عاملاً على طرابلس بعد والده فلَم يَرْضَه الإمام وأنكره. فقالوا: ما هو لنا بإمام، والتفّ أكثرُ الإباضية حول الإمام عبد الوهاب بن رُسْتم وسُمّوا بالوهبية. وعند ابن الصّغير أنّها نسبة لعبد الله بن وَهْب الرّاسبي. كتاب سير الأيمة 211.

واعْتَمَرُوهُ وشَحَنُوهُ حاميَةً(أ) وسِلاحًا، وفرضَ عليهم المغْرَم(ب) مائةَ ألفِ دينارٍ كلَّ سنَةٍ، وأقامُوا على ذلك. وهلَكَ المراكيَة(ج) على رَأْس المِائة، وبَقِيَتِ الجزيرةُ في مَلكَةِ النَّصارَى(د) إلى أن أعادَها اللهُ في أواخِرِ الأربعين و[سَبْع مائة](هـ)، كما نَذكر.

وفي سنَةِ خَمْسٍ وثمانين، ظَفرَ العَدُوُّ بجزيرة مَنُورْقَة(و)، رَكِبَ إليها طاغِيَةُ بَرْشلونَة في أساطِيله في عشرين أَلْفًا من الرّجال المُقاتِلَة، ومَرُّوا بمَنُورْقة(ز) كأنّهم سَفْرٌ من التّجّار، وطلَبوا من أبي عُمر بن حَكَم رئيسِها النُّزولَ للاسْتِقاءِ، فأَذِنَ لهم، فلمّا تَسَاحَلُوا(ح) آذَنُوا أهلَها بالحَرْب، فتَزَاحَفُوا ثلاثًا يُثْخِنُ فيهم المسْلِمُونَ في كُلّها قَتْلاً وجراحةً بما يُناهِزُ الآلاف، والطاغِيَةُ في بَطارِقَته(ط) قاعدٌ عن الزّحْف، فلَمّا كان في اليوم الثّالث واسْتَولَتِ الهَزِيمَةُ على قَوْمِه، زَحَفَ الطّاغِيَةُ في العَسْكر فانهَزَمَ المسلمونَ ولَجَأُوا إلى قَلْعَتهم فانْحَصَرُوا بها، وعَقَدُوا لابن حَكَم ذِمّةً في أَهْله وحاشِيَته فخَرجَوا إلى سَبْتَة، ونَزَلَ الباقون على حُكْم العَدُوّ فأجازَهم إلى جارَتِهم مَيُورْقَة، واسْتَوْلَى على ما فيها من الذّخيرَة والعُدَد، والأَمْر بيد الله.

[270 ب] وفي سَنَةِ ستٍّ وثمانين / بَعْدها غدرَ النَّصارَى(ي) بمَرْسَى الخَزر(ك) فاقْتَحَمُوها بعدَ أن ثَلَمُوا أسْوارَها، واكْتَسَحُوا ما فيها، واحْتَمَلوا أَهْلَها أسْرَى، وأَضْرَمُوا(ل) بيوتَها نارًا، ثمّ مَرُّوا لمرسَى تونِس وانْصرَفوا إلى بِلادهم.

وفيها أو في سنَةِ تِسْعٍ بَعْدها نازلَ أسْطولُ العدُوّ مدينةَ المَهْديّة، وكان فيهم الفرسانُ لقِتالها، فزَحَفوا إليها ثلاثًا ظَفَر بهم المسْلمون في كلّها،

(أ) ظ: حانه (مهملة) (ب) ظ: الغرم (ج) ظ: المراكيا (د) ف: النصرى (هـ) ظ: والتسع مائة. تصحيف (و) ظ ف: منرقة (ز) ظ ف: منرقة (ح) ظ: تساخلوا (ط) ف: برافته (ي) ف: النصراني (ك) ظ: الحرز. ف: الحزر (ل) ف: أضربوا.

ثمّ جاءَ مدَدُ أَهْلِ الأُجُمِّ[1] فانْهزَم العدُوّ حتّى اقْتَحَمُوا علَيْهم الأسطول وانْقَلَبُوا خائِبينَ، وتَمّتِ النّعْمَةُ.

## 92• الخَبَرُ عن اسْتِيلاءِ الأميرِ أبي زَكَرِيّاءَ على الثّغرِ الغَرْبي: بِجايَة والجزائِر وقسُنْطِينَة، وأَوّلِيّةِ ذلك ومَصائِره.

كان للأمير أبي زَكريّاء ابن السّلطان أبي إسْحاق من التّرشيح للأَمْر بِهَدْيِهِ وشَرَفِ هِمّتِه وحُسْن مَلَكَتِهِ ومُخالَطتِه أهلَ العِلْمِ، ما شَهِد له بِمَغَبّة حالِه، وهو الذي اخْتَطّ المدرسةَ[2] للعِلْمِ بإزاء دار الأَقوري حيث كان سُكْناهُ بتونِس. ولَمّا لَحِقَ بتِلِمْسَانَ بعد مَنْجاته من مَهْلِك أبيه بِبِجَايَة، نزلَ على صِهْره عُثْمان بن يَغْمَراسِنْ بتِلِمْسَان، وجاء في إثْره أبو الحسَيْن ابن أبي بَكْر بن سَيّد النّاس صنيعةُ أبيه وأخيه، بعدَ أن خَلَصَ مع السّلطان أبي حَفْصٍ من الواقِعَة إلى مَرْمَاجَنّة. فلَمّا بايَعَ له العربُ وبدَتْ مخايلُ المُلْك، رأى أبو الحُسَيْن إيثارَ السّلطان للفازازي[أ] علَيْهم، فنكَبَ عنه ولَحِقَ بالأمير أبي زكريّاء بتِلِمْسَان، واسْتَحَثّهُ لطَلَب مُلكه، واسْتَقْرَضَ من تُجّار بِجَايَة هنالِك مالاً أَنْفقه في إقامَة أُهْبَةِ المُلْك له، وجَمَعَ الرّجالَ، واصْطَنَعَ

(أ) ظ: الفاراري. ف: الفازاري.

(1) الأُجُم: بضمّ الألف والجيم، الحصن. ج آجام. تسميةٌ عربية تحوّلت إلى لَجَمْ منذ القرن الخامس الهجري (البكري: المسالك 2: 684 (1146)). وهو موقع المدينة الرومانية تيزدروس. يسميه الرّحّالة قصر الكاهنة، ويعدّه بعضهم من أعظم حصون إفريقية، ووصفوه بدقّة ولم يعرفوا وظيفته. العبدري: الرحلة 237 - ، التجاني: الرحلة 57، الروض المعطار 48، 168.

(2) هي المدرسة المعروفة بالشماعية التي أقيمت بسوق الشمع وقتها، وقد أنشأها أبو زكرياء إثر بناء صومعة جامع القصبة سنة 633 هـ، انظر المؤنس 127، معالم التوحيد 179، الباجي ابن مامي: مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني، 131-

[271أ] الأولياءَ. وفَشَا الخبرُ / بما يَرُومُهُ من ذلك، فَصَدَّهُ عُثمانُ بن يَغمُراسِن عنه، لِمَا كان تَقَلَّدَ من طاعَةِ السّلطان أبي حَفْص على سُنَّتِهِمْ مع الخُلفاء بالحَضْرة قبلَه. فاعْتَزَمَ الأميرُ أبو زكريّاء على شأنِه، وخَرج من تِلِمْسَانَ مُورِيًا بالصّيْد الذي كان يَنْتَحِلُه أيّامَ مُقامه بَيْنهم، ولَحِقَ بداود ابن هِلال ابن عَطّاف أميرِ بَني يَعْقوب وكافّة بني عامِرٍ من زُغْبَةَ. وأَوْعَزَ عثمانُ بن يَغمُراسِنَ إلى داود بَرَدّه إليه، [فأبَى](أ) من إخْفار ذِمَّتِه، وارْتَحَلَ معه بقَوْمه إلى آخرِ بلاد زُغْبَة، ونَزَلُوا على عَطيّة بن سليمان بن سِباع من رُؤساء الذَوَاوِدَة، فتَلَقَّاه بالطّاعة. وارْتَحَلُوا جميعًا إلى ضَواحي قُسُنْطِينَة، فدَخلَ العربُ وسَدْوِيكِش في طاعَتِه، ونَازَلَ البلَدَ سنةَ ثلاثٍ وثمانين وعامِلُها يومئذٍ ابنُ يُوقيَان من مَشْيَخة المُوَحّدين، وكان صاحبَ الجِبايَة بها أبو الحسن بن طُفَيْل، كان له من العامِل صِهْرٌ، فَدَاخلَ الأميرَ أبا زكريّاء في شَأْن البَلَد، [وشَرَط لنَفْسِه وصِهْرِه فأمْضَى السّلطانُ شَرْطَهم، وأمْكَنُوه من البَلَد](ب) وأقاموا بها دَعْوتَه. وارْتَحلَ إلى بِجاية وكانتْ قد حدَثَ فيها اضْطرابٌ بين أَهْلِها أدّى إلى الخِلاف والتّبايُن، واسْتَحَثُوا الأميرَ أبا زكريّاءَ فأَغَذَّ السّيْرَ إليهم ودَخلَها سنةَ أَرْبع وثمانين، ويُقالُ أنّ مُلكَه لبجَاية كان سابقًا على مُلكِه لقُسُنْطِينَة، وهو الأصحُّ فيما سَمِعْناه من شُيوخِنا. وبَعَثَ إليهم أهلُ الجَزائر وتِدْلِس بطاعَتِهم، فاسْتَوْلَى على هذه الثّغور الغَرْبيّةِ، وتَلَقَّبَ المنتخَبَ لإحْياء دين الله، وأَغْفلَ ذكرَ أمير المُؤمنين أدبًا مع عَمّه الخليفةِ بالحَضْرَة حيثُ تَلا الموحّدينَ أهلَ الحلّ والعَقْد من الجماعة.

(أ) ظ ف: فأما. تصحيف (ب) من ف. وسقط من ظ انزلاق نظر.

وَنَصبَ للحِجابة أبا الحسَيْن بن سيّد الناس فقامَ بها، وَرَسَّخَ[أ] مُلكه ومُلْكَ بَنيه بهذه النّاحية الغَرْبيّةِ، وانقَسَمَتْ به الدّوْلةُ إلى أن خَلَصَ الأَمْرُ للمُلوكِ من عَقِبه، واسْتَوْلَوْا على الحَضْرةِ، كما نَذكُر.

## 93●/ الخبرُ عن حَرَكةِ الأميرِ أبي زكريّاءَ إلى ناحِية طَرابُلس، ومُنازلةِ عثمانَ بن يَغمْرَاسِن بجَاية في مَغِيبه.

لَمّا اسْتَوْلَى الأميرُ أبو زكريّاءَ على النّاحِية الغَرْبية واقْتَطَعَها من أعْمال الحَضْرة، اعْتَمَلَ في الحرَكَة على تونِس، فنهضَ إليها في عساكِره سنةَ خَمْسٍ وثمانين، ووَفَدَ علَيْه عبدُ الله بن رِحاب بن مَحْمود من مَشْيَخة دبّابٍ، ومَانَعَه الفازازي[ب] عن أَحْواز تُونِس، فَنَازَلَ قابِسَ وحاصَرَها وكان له في قِتالها أثرٌ، واسْتَوَتِ الهَزِيمةُ على مُقاتِلَتِها ذاتَ يومٍ فَأَثْخَنَ فيهم قتلاً وأَسْرًا، وَهَدَمَ رَبَضَها، وأحْرقَ المنازلَ في غابَتِها والنّخْلَ. وارْتَحلَ إلى مسْرَاتَة، وانْتَهى إلى الأَبْيض، وأطاعَه الجواري والمحامِيدُ وآل سالم وعرَبُ بَرْقة.

وَبَلَغَهُ بمكانه من مسْرَاتَة أنّ عثمان بن يَغَمْرَاسِن أَسَفَّ إلى مُنازَلة بجايَة؛ وكان من خبره أنّ الأميرَ أبا زكريّاءَ لما فَصَلَ من تِلِمْسَان لطلَب مُلكه على كُرْهٍ منه، وامْتَنعَ جارُه داودُ بن عَطّافٍ من رَدّه، امْتَلأَ له عَداوةً وانحِرافًا، وجَدّد البَيْعةَ لصاحِب تُونس، وأَوْفَدَ بها عَلِيَّ بنَ مُحمّد الخُراساني من صَنائِعه؛ وكان له أَثْناءَ ذلك ظهورٌ على بني تُوجِّين ومَغْراوة

(أ) من ف. ظ: رشح (ب) ظ ف: الفازاري.

بالمَغْرب الأَوْسط. وضاقَ ذَرْع أَهْل الحَضْرة بمكان الأميرِ أبي زكريّاء من مُطالَبَتِهم وتَدْويخِه لقاصِيَتِهم، فدَاخَلوا عثمانَ بن يَغْمَرَاسِن في مُنازَلَة مَعْقَلِه ثَغْر بجايَة لِيَرُدُّوه إلى عَقِبِهِ عنْهم، فزَحَفَ إلى بجايَة سنةَ ستٍّ وثمانين، ونَازَلَها(أ) أيّامًا وامْتنعَ عليه سائرُ ضَواحيها فلم يَظْفَرْ بأَكْثَرَ من الإطْلالِ عليها. وانكفَأَ الأميرُ أبو زكريّاءَ راجِعًا إلى بجاية سنةَ ستٍّ وثمانين، إلى أن كانَ من أَمْره ما نَذْكر.

## 94 • / الخبَرُ عن فاتِحَة اسْتِبْدادِ أَهْل الجَرِيدِ. [272 أ]

كان في بعض الأيام بين سُدَادَة وكَيّومَة(ب) من عمل تَقْيُوس فِتْنةٌ قُتِلَ فيها ابنٌ لشَيْخ سُدَادَة، وأَقْسم لَيَثْأَرَنَّ فيه بشَيخ كَيّومَة(ب) نفْسِه. وكان عاملُ تَوْزَر محمّد بن يَحيى بن أبي بكر التينمَلّلي من مَشْيَخة المُوَحّدين، فَتَذَمَّم شَيْخُ كَيّومة(ب) به وبَذلَ له مالاً على نَصْره من عَدُوّه، فكاتَبَ الحَضْرةَ وأعْلَنَ بخلافِ أهل سُدَادَة. واحْتَشَدَ لهم أهلُ نَفْطَة وتَقْيُوسَ، وخرجَ هو في حَشْدِ أَهْلِ تَوْزَر وغَزَاهُمْ في بَلَدِهم، وَلاَذَ بإعْطاءِ الرُّهُن، وبذَلَ المالَ فلَمْ يُقْبَلْ، فأمَدَّهم أهلُ نَفْزَاوَة، وزَحَفوا إليْه، فانهزمت جموعُه وأَثْخَنُوا فيهم قتلاً وأسْرًا إلى تَوْزَرَ وذلك سنةَ ستٍّ وثمانين. ثمّ عَاوَدَ غَزْوَهم عقِبَ ذلك ففَلَحُوا عليه. ثمّ عَقَدَ لهم سِلْمًا على الوَفاء بمَغارِمِهم، واشْتَرَطُوا أن لا حُكْم عليهم في سِواها وأنّ رُؤساءَ نَفزاوَة منْهم، فأَمْضى شَرْطَهم، وكانت أوّلَ اسْتِبْدادِ أهْل الجريد، كما نَذْكُر.

(أ) كذا من ف. ظ: مصحفة إلى: ثار لها (ب) الياء من ف، وفي ظ مهملة.

## 95. الخبرُ عن خُروج عُثْمان ابن السّلطان أبي دَبّوس داعيًا لنفسِه بِجهات طرابُلس.

كان أبو دَبُّوس آخرَ خُلفاء بَني عبد المُؤمن بِمَرّاكُش لَمّا قُتِلَ سنةَ ثمانٍ وستّين وسِتِّ مائةٍ، وافترَقَ بَنوهُ وتقَلَّبُوا في الأَرْض، لَحِقَ منْهم عثمانُ بشَرْق الأَنْدلس وَنَزلَ على طاغِية بَرْشَلُونَة فأَحْسن تكْريمَه، ووَجدَ هُنالك أعقابَ عَمّه السيّد أبي زَيْد المُتَنَصّر أخي أبي دَبُّوس في مَثْواهم من إيالَة العدُوّ. وكان لَهم هُناك مكانٌ وجاهٌ لنُزوعِ أَبيهم السّيّد أبي زَيْد عن دينِه إلى دِينهم، فاسْتَبْلَغُوا في مُساهَمة قَريبهم هذا الوافِد، وخَطبوا له من الطّاغِية حَظًّا. ووَافقَ / ذلك حصولَ مُرْغِم بن صابِر بنِ عَسْكر، شَيْخ الجواري 272] من بني دَبّاب في قَبْضةِ أَسْرِه، وكان قد أَسَرَه العِدَى[(أ)] من أَهْل صِقِلِّيّة بنَواحي طَرَابُلس سنةَ ثِنْتَيْن وثَمانين، وباعُوه من أَهْل بَرْشَلونَة فاشْتَرَاهُ الطّاغِية، وأقامَ عنْدَه أسيرًا إلى أن نَزَعَ إليه عُثْمان بن أبي دَبُّوس هذا، كما ذكَرْناه. وشَمّرَ لطَلَب حَقّه في الدَّعْوة المُوَحِّديّة حيث كانَتْ، وأَمَّلَ الظّفَرَ في القاصِيَة لبُعدها عن الحامِية. فعَبَرَ البَحْرَ إلى طَرَابُلس. وكان من حُظوظ كَرَامَته عند الطّاغِية أن أَطْلَقَ له مرغِمَ بنَ صابِر، وعقَد له حِلْفًا معهُ على مُظاهَرته، وجَهّزَ لهما الأساطيلَ، وشحَنَها بالمَدَد من المُقاتِلَة والأَقْوَاتِ على مالٍ يَشْرُطُوهُ له، فنَزَلُوا على طَرَابُلس سنةَ ثمانٍ وثَمانين. واحْتَشَدَ مُرْغِمٌ قومَه وحَملَهم على طاعَة ابن أبي دَبُّوس، ونَازَلُوا البَلَد معَهُ ومعَ جُنْده من النّصْرانيّة فحاصَروها ثلاثًا، وسَاءَ أَثَرُهم فيهَا. ثم رَحَلَ النّصارَى بأسْطولهم

(أ) ظ ف: العرى، وهو تحريف.

وَأَرْسَوْا بأقرب السّواحل إلى البَلَد. وتَنَقَّلَ ابنُ أبي دَبُّوس ومُرْغِمُ في نَواحي طَرَابُلس بعدَ أن أَنْزلوا عليها عسكرًا للحِصار، فاسْتَوْفَوا من جِبايَة المغارِمِ والوَضائِع مالاً دَفَعُوه للنّصارَى في شَرْطهم، وانْقَلَبُوا بأسْطولهم. وأقامَ ابنُ أبي دَبُّوس يَتَقَلَّبُ مع العَرب، واسْتَدْعاه ابنُ مَكّي من بَعْد ذلك لِأنْ يُشَبَّهَ[أ] به في اسْتِبْداده فَلَمْ يَتِمَّ أمرُه، إلى أن هَلَكَ بِجِرْبَةَ سَنةَ[ب] ............. واللهُ وارثُ الأرْض ومن عليها.

## 96• الخبرُ عن مَهْلِك أبي الحسَنِ بن سَيِّد النّاس صاحب بجاية، وولايةِ ابنِ أبي حَيٍّ مكانه.

قد قَدَّمْنا سلَفَ هذا الرَّجُل وأَوّلِيَّتَه، وأنّه لَحِقَ بالأمير أبي زكريّاءَ [273 أ] بتِلِمْسَان وأَبْلَى في خِدْمَته. فلَمّا اسْتَوْلَى الأميرُ أبو زكريّاءَ / على الثّغْر الغَرْبي واقْتَطَعَه عن أعْمال الحَضْرة، ونزلَ بجاية وضَاهَى بها تونِس، عقدَ لأَبي الحسَيْن ابن سَيّد النّاس على حِجابَتِه وفَوّضَ إليه فيمَا وراءَ بابِه، وأَجْرَاهُ في رِئاسَتِه عَلَى سَنَنَ ابن أبي الحسَيْن الرّئِيس قَبْلَه في دَوْلة المسْتَنْصِر، الذي كانوا يتَقَيَّلُونَ طُرُقَهُ ويَنْزَعُون إلى مَرامِيه، بل كانَتْ رِئاسَةُ هذا في حِجابَتِه أبلغَ من رِئاسة ابن أبي الحسَيْن، لخَلاءِ جَوّ الدّوْلة بِبجَايَةَ من مَشْيَخة الموحّدين الذين يُزاحِمُونَه كما كان ابنُ أبي الحسَيْن مُزَاحِمًا بهم. فاسْتَوْلَى أبو الحسَيْن بنُ سيّد النّاس على الدَّوْلة بِبجَايَةَ، وقامَ بأَمْرِ مَخْدومِه أحسنَ قِيامٍ، وصارَ إلى الحَلّ

(أ) في ظ: مهملة. ف: نشنه، الحرف الأول مهمل، فرجحت القراءة المثبتة (ب) النصّ متصل في ظ، وفراغ في موقع النقص في ف.

والعَقْدِ، وانصرفَتْ إليه الوُجوه، وتَمَكَّنَ في يَده الزَّمانُ إلى أن هَلَكَ سنةَ تِسْعينَ أعظمَ ما كانَ رِئاسةً وأقرَب من صاحِبه مكانًا وسَيْرًا.

فأقامَ الأميرُ أبو زكرِيّاء مكانَه كاتِبَه أبا القاسِم بن أبي حيّ، لا أدْري من أوّلِيّته أكثرَ من أنّه من جالِيَة الأنْدلس. وَرَدَ على الدّولة وتَصرّفَ في أعْمالها، واتّصلَ بأبي الحسَيْن بن سَيّد النّاس فاسْتَكْتَبَهُ ثمّ رَقّاه وخَلَطَهُ بنفسه، وأَجَرَّهُ رَسَنَهُ، وتَناوَل زِمامَ الدّوْلة من يَدِ سَيّد النّاس فقادَها في يَد مُظْهِر خِدْمَتِه حتّى عَنَتْ إليه الوُجوه وأَمَّلَهُ الخاصَّةُ، واضْطَلَعَ السُّلطانُ على اضْطلاعِه وكِفايَته في أمُور مَخْدومه. وهَلَكَ أبو الحسَيْن بن سَيّد النّاس فرَشّحه السّلطانُ لخُطّتِه، فقامَ بها سائرَ أيّامِه وصَدْرًا من أيّام ابنِه الأمير أبي البَقاء، حتّى كانَ من أَمْره ما نَذْكُره بعدُ.

## 97 • الخبرُ عن خُروجِ الزّاب عن طاعَةِ الأميرِ أبي حَفْص إلى طاعَةِ الأميرِ أبي زكرِيّاء صاحِبِ بجايَة، وانتِظامِ بِسْكِرَةً في عَمَلِه.

كان السّلْطانُ أبو إسحاق قد عَقَد على الزّاب لفَضْل بن عليّ بن مُزْني / من مَشْيَخة بِسْكِرَة كما قدّمْناه، فقامَ بأَمْره. ولَمّا هلَكَ السّلطان عَدَا عليه [273 ب] بعضُ أَفاريق العَرب المُوطِنِينَ قُرى الزّاب بمُداخَلَة قَوْمٍ من أعْدائِه وقَتَلوه سنَةَ ثلاثٍ وثَمانين، كما نذْكُره. وأَمّلُوا الاسْتِبْدادَ بالبلَد، [فَدَفَعَهُمْ](أ) عنها

(أ) من ف. ظ: فذعَهم.

المشْيَخةُ من بني رمّان، واسْتَقلُّوا بأَمْرِ بَلَدِهم وبايَعوا للأمير أبي حَفْصٍ صاحبِ الحَضْرَة ودَانوا بطاعَتِه على السَّنَنِ. وتَوَقَّعُوا عادِيَة مَنصور بن فَضْل ابن مُزْنِي، وكان لَحِقَ بالحَضْرة عندَ هُلْك أبيه، فخاطَبوا فيه السُّلطان أبا حَفْصٍ وَرَمَوْهُ بالدّواهِي، فأَمَر باعْتِقاله وأُودِعَ السّجْنَ سَبْعًا[أ] سنينَ إلى أنْ فَرَّ منه ولَحِقَ بكَرْفَة من أَحْياء هِلال بن عامِر وهُمُ العربُ المُتَوَلّون أمرَ جَبَل[ب] أَوْراسْ، ونزلَ على الشّبه[ج] من أفاريقهم فَأَرْكَبُوهُ وكَسَبُوهُ[د]. ولَحِقَ ببجاية سنَةَ ثِنْتَين وتسْعين فنزلَ بباب السّلطان وَرَغَّبَهُ في مُلْك الزّاب، وصَانَعَ الحاجبَ بنَ أبي حيّ بأَنْواع التُّحَف، وَضَمِنَ له تَحْويلَ الدّعْوة بالزّابِ لسُلْطانه الأمير أبي زكريّاء وتَسْرِيبَ جِبايَته إليه، فاسْتَمالَهُ بذلك، وعَقَدَ له على الزّاب وأَمَدَّهُ بالعَسْكر، وَنَازَلَ بِسْكِرَة فامْتَنَعَتْ علَيْه. ورأَى مَشْيَخَتَها بَنو رمّان بُعْدَهُمْ عن صَرِيخِ تُونِس وإلحاحَ عَدوِّهم منصورِ بن فَضْل عليهم، فأَعْلَنوا بطاعَة الأمير أبي زَكريّاء، وبَعثوا إليه بِبَيْعَتِهم ووَفْدِهِمْ وَرَفْعِ عادية ابن مُزْني عنهم، فَرَجَّعَهُمْ بما أَمَّلوه من القَبول، وأن تكونَ[هـ] أحْكامُهم إلى قائدِ عَسْكرِه وَنَظَرُ ابنِ مُزْني مصروفًا إلى الجِبايَة فقَط.

ولَمّا وَصَلَ الوفْدُ إلى بِسْكِرَة خرَجوا إلى القائِد ومَنْصور بن مُزْني فأَدْخلوهما البَلَدَ، و[دَانوا][و] بالطّاعة. وتَصَرَّفَتِ الأُمور على ذلك إلى أنْ كان من أمْرِ مَنصور بن مُزْني ما نَذْكُرُه في أَخْباره. ولم يَزل الزّاب في دَعْوة الأمير أبي زكريّاء وبَنيه، إلى أن استَوْلَوْا على الحَضْرة وبعدَه لهذا العَهْد، كما تَراهُ في الأَخْبار بعدُ إنْ شاءَ الله.

(أ) كذا بتقديم النعت على المنعوت (ب) ظ: جبل (ج) لعله يعني فريق الشبانات (د) كذا و لعلها: وكَسَوْه (هـ) ف: يكون (و) من ف. ظ: بانو، مهملة.

[274]

## 98 • / الخبرُ عن مَهْلك عَبْد الله الفازازي شَيْخ المُوَحّدِين، والحاجبِ أبي القاسِم بن الشَّيْخ، رُؤَساءِ الدَّوْلة بالحضرَة.

كانَ أبو عبد الله الفَازازِي من مَشْيَخة الموحِّدين، وكان خالِصة للسّلطان أبي حَفْص، وعَقَدَ له على العَساكِر كما قَدَّمْناه، وَدَفَعَهُ إلى الحُروب وتَمْهيد النّواحي، فقامَ في ذلك المَقامَ المحمودَ، ودَوَّخَ الجِهات، واسْتَنْزَلَ الثُوّارَ ودَفَعَهُمْ، وَجَبَى الخراجَ، وكانت له في ذلك آثارٌ مَذْكورةٌ، وفي بِلاد الجَريد ومَشْيَخَتِها تَصاريفٌ وأَحْوالٌ. وهو الذي امْتَحَنَ أحْمَد بن يَمْلُول بسِعايَة المَشْيَخة من أهْل تَوْزَر، وَكَبَحَ عنانَه عن مَراميه إلى الرِّئاسَة عليهم، وهَلَكَ آخرَ حرَكاتِه إلى بلاد الجَريد على مَرْحلَتَيْن من تُونِس سنةَ ثلاثٍ وتِسْعين.

ولِسَنَةٍ منها كان مَهْلِكُ الحاجبِ أبي القاسِم بن الشّيخ. وكان من خَبَر أوّلِيّتِه [أنّه قَدِمَ من بلَدِه دَانِيَة إلى بجاية سنةَ ستٍّ وعِشْرين][أ]؛ واتَّصَل بعامِلها محمّد بن ياسِين، فاسْتَكْتَبه وغَلَبَ علَيه. واسْتُدْعِيَ ابنُ ياسينَ إلى الحَضْرة وابنُ الشّيخ في جُمْلَته. والْتَمَسَ السُّلْطانُ من يُرَشِّحُهُ لكتابَتِه وَيَخِفُّ عليه، فأطْنَبَ ابنُ ياسِين في وَصْف كاتِبِهِ أبي القاسِم بن الشّيخ وحَلاَّه، وابْتَلاَهُ السّلطانُ فلم يَرْضَهُ وَصَرَفَهُ. ثمّ رَاجَعَ رَأْيَه فيه واسْتَحْسَنَهُ وَرَسَمَهُ في خِدْمَته. وأمرَ ابنَ أبي الحسَيْن بتَلْقينه الآدابَ وتصريفِه في وُجوه الخِدْمة ومَذاهِبِها، فكان له في ذلك غَناءٌ وخِفّةٌ على مَخْدومه، إلى أن هلَكَ ابنُ أبي الحُسَيْن. وكان الخَرْجُ بدَار السّلطانِ مَوْقوفًا على نَظَره من جُمْلَةِ ما

(أ) وردت هذه الفقرة مضطربة في ظ على النحو التالي: أنه قدِم من بلده سنة ست وعشرين إلى بجاية دانية. فاعتمدنا نص ف.

إليْه، وكان قَلَمُه عامِلاً فيه، فأُفْرِدَ ابنُ الشَّيْخ بذلك بعدَ مَهْلِكه إلى آخرِ أيّام السُّلْطان المُسْتَنْصِر. ولـمّا وَلِيَ الواثِقُ اسْتَبَدَّ ابن أبي الحَبَرّ عليه كما قُلْناه، فأبْقَى عَلَى خُطَّتِه، واخْتَصَّه لنَفْسِه ودَرَجَهُ في جُمْلَتِه. / ثمّ جاءَت دَوْلَةُ السّلطان أبي إسْحاق فأقامَه في رَسْمه، وزاحَمَهُ بأبي بَكْر بن خَلْدون صاحبِ أشْغالِه. وكانت الرّئاسَةُ الكُبْرى على عَهْده لبَنيه أبي فارِس ثمّ أبي زكريّاء وأبي محمّد عبد الواحِد من بَعْده. ثُمَّ كانت مَضَلَّةُ الدَّعِيّ، واسْتَوْلَى على مُلْكِهم، فاسْتَخْلَص أبَا القاسِم ابن الشَّيْخ، واسْتَضَاف له إلى خُطَّة التّنْفيذ كتابَ العَلامَة في فَواتِح السّجِلاّت. فلمّا ارْتَجَعَ(أ) السّلطانُ أبو حَفْص مُلْكَه وقَتَلَ الدّعِيَّ، خافَه ابنُ الشَّيْخ لِما كان من رُتْبَتِه عنْدَ الدّعِيّ، فَلاذَ بالصُّلَحاء لأثَارَةٍ من الخَيْر والعِبادَة وَصلَتْ بَيْنهم وبَيْنَه، فَشَفَعُوا له، وتَقَبَّلَهَا السُّلطانُ وأَظْهَر لهم ذاتَ نَفْسه في الحاجَة إلى اسْتعمالِه، وقَلَّدَه حِجَابَته مَجْموعةً إلى تَنفيذ الخَرْج، وصَرَفَ العَلامَة إلى غَيْره من طَبقَة الدَّوْلة. فلَمْ يَزَلْ على ذلك إلى أن هَلَكَ سنةَ أربعٍ وتِسْعين. وبَقِيَ اسمُ الحِجابَة من بَعْده في هذه الخِطَطِ الثّلاث، وأَمْرُ التّدْبير والحَرْب ورئاسَتُها راجعٌ إلى مَشْيَخة الموحّدين، إلى أن تَصَرَّفَتِ الأحْوالُ وأُدِيلَ بعضُها من بَعْض كما تأْتيك أنباءُ الأخبار. وقَلَّدَ السّلْطانُ من بَعْدِ ابنِ الشَّيْخ حِجابَتَه لأبي عبد الله [الشّخشي](ب) من طَبقَة الجُنْد، فَقَامَ بها إلى آخر الدّوْلة. والله وارثُ الأَرْضَ ومن علَيها.

(أ) ف: أرجع (ب) ف: السحنى. ظ: المحتى. الحرف الأول مهمل في كليهما، ويرد في 275 ب: محمدا السخشى والشحشى وفي الفارسيّة 152 ب الشخششي.

## 99 • الخبرُ عن مَهْلك السّلْطان أبي حَفْص، وعَهْدِه بالأَمْر من بَعْدِه.

لم يَزَل السُّلْطان أبو حَفص على أكْمل حَالات الظُّهور والدَّعَة، إلى أن اسْتَوْفَى مُدّته وأَصَابه وَجَعُهُ أوّلَ ذي الحجّة من سنَة أرْبعٍ وتسعين، ثمّ اشتدّ به الوَجَعُ، وأَهَمّهُ أمرُ المُسْلمين وما قُلّدَهُ[ب] من عُهْدَتِهم، فَعَهِدَ لابْنه عبدِ الله بالخِلافة ثاني أيّام التّشْريق، / ونَكِرَهُ المُوَحّدون لتَخلّفه عن المَراتِب بصِغَره [275 أ] وأنّه لم يَحْتَلِمْ، وتَحدّثوا في ذلك، وأَفْضَى الخبرُ إلى السّلطان فأَسْخَطَهُ وعَدَلَ عنْهم إلى الشّورَى مع الوَليّ أبي محمّد المَرْجاني، وكان رَأْيُه فيه جميلاً وظَنُّه به صالحًا. وكان الواثِق بن المُسْتَنْصر لمّا قُتِلَ هو وبَنُوه بمَحْبَسهم، فَرّتْ إحدَى جَواريه - وقد اشْتَمَلَتْ على حَمْلٍ منه - إلى رباط هذا الوَليّ، فوَضَعَتْهُ في بَيْته فسمّاه الشّيخ محمّدًا، وعَقّ عليه، وأطْعَمَ الفُقراءَ يومئذٍ عَصيدةَ الحِنْطة فلُقِّبَ بأبي عَصيدَة آخرَ الدّهر. ثمّ صارَ بعد الاخْتِفاءِ ودَواعيه إلى قُصورِهم، ونَشأَ في ظِلّ الخُلَفاء من قَوْمه حتّى شَبَّ، وبَقِيَتْ له مع الوَليّ أبي محمّدٍ ذمّةٌ يُثابِرُ كلٌّ مِنْهما عَلَى الوَفاء بها. فلَمّا فَاوَضَهُ السّلطانُ أبو حَفص في شَأْن العهد، وَقصّ عليه نَكيرَ المُوَحّدين لوَلَده، أَشَار عليه الشّيْخ بصَرْف العَهْد إلى مُحمّد ابن الواثِق، فتَقَبّلَ إشارَتَه وعلِمَ تَرْشيحَه، وأنْفذَ بذلك عَهْدَه بمَحْضَر المَلإِ ومَشْيَخة المَوَحّدينَ. وهَلَكَ آخرَ ذي الحجّة سنةَ أربعٍ وتسْعين. وإلى الله المصير.

(أ) ف: قلدوه.

## 100 • الخبرُ عن بَيْعة السّلطان أبي عَصِيدَة وما كان على إثْرِها من الأَحْوال.

لما هَلَكَ السّلطانُ أبو حَفْص، اجتمع الملأُ من المَوَحّدين والأَوْلياء والجُنْد والكافَّة إلى القَصَبة، فبايَعوا بَيْعةً عامّةً لوليّ عَهْده السّلطان أبي عبد الله محمّد، ويُلَقَّبُ - كما ذكَرْناه - بأَبي عَصِيدَة بن السّلطان الواثِق، في الرّابع والعِشْرين لذي الحجّة سنةَ أربعٍ وتِسعين، فانشَرَحَتْ ببَيْعَته[أ] الصّدورُ ورَضِيَتْهُ الكافّةُ، وتَلَقَّب المُسْتَنْصِرَ بالله. وافْتَتَحَ أمرَه بقَتْل عبد الله / [275 ب] بن السّلطان أبي حَفص لمكان تَرْشِيحه، وَقَلَّدَ وزارَتَه محمّد بن يرزيكن[ب] من مَشْيخة الموحّدين، وأَبْقَى محمَّدا الشّخشي[ج] على خِطّة الحِجابَة، وصرفَ التّدبيرَ والعساكرَ ورئاسَةَ المُوَحّدين إلى أبي يَحيى زكريّاء بن أحمد بن محمّد اللِّحياني قَتِيلِ[د] السلطان المستنصر عند تَعرُّض ابنه للبَيْعة واسْتِيامِه[هـ] الخِلافةَ، فقام بما دَفَع إليه من ذلك، وضايَقَه فيه عبدُ الحقّ بن سُليمان رئِيسُ المَوَحّدين قَبْله، حتّى إذا نُكِبَ وهَلَكَ اسْتَبَدَّ هو على الدَّوْلة. واسْتَقَلّ الشّخْشي[و] بِحِجابَته. وكان محمّد بن إبراهيم بن الدبّاغ رَديفًا له فيها.

وكان من خَبَر ابن الدبّاغ هذا أنّ إبراهيم أبَاه وَفَدَ على تُونِس في جَالِيَة إشْبيلِيَة سنةَ ستّ وأَرْبعين، فَوُلِدَ هوَ بتُونِس ونَشَأَ بها، وأفاد صناعةَ[ز] الدّيوان وحُسْبانَه من المُبَرّزِين، كانا فيه، أبي الحسن وأبي الحكَم ابنَيْ مُجاهد، وأَصْهَر إليهما في ابنة أبي الحسَن فأنكَحاهُ، ورَشّحاهُ للأمانَة على ديوان الأَعْمال.

(أ) ف: لبيعته (ب) ظ: الياء معجمة وباقي الحلوف مهمل (ج) كذا في ف. ظ: السخشى
(د) مصحفة في الأصلين لاختلال وضع النقط (هـ) ظ: اسنيامه. ف: استتامة. واسْتامَ الخِلافَة: غالَى فيها
(و) ظ: السخشي (ز) ظ: أقاد متاعه.

ولـمّا اسْتَقَلَّ أبو عبد الله الفَازَزِي بالرِّئاسة اسْتَكْتَبَهُ، وكان طيَّاشًا[1] مُسْتَضعبًا على الخَليفة، فكان كاتِبُه محمّد بن الدبّاغ يُرَوِّضُه لأغْرَاضِ[أ] الخليفة إذَا دَسَّهَا إليه الحاجبُ ابن الشّيخ، فيَقَعُ ذلك من الخَليفة أحسنَ المَوَاقِع.

ولَمّا وَلِيَ السُّلْطان أبو عَصِيدة، وكانت له عنْدهُ سابِقَةٌ رَعَاهَا، وكان حاجِبُه الشّخْشي[ب] بُهْمَةً[2] غُفْلاً مِنْ أدوات الكُتّاب، فاسْتَكْتَبَ السّلطانُ ابنَ الدبّاغ، ثمّ رَقّاهُ إلى كِتاب العَلامَة سنةَ خمسٍ وتِسْعين، وكان يَتَصَرَّف فيها فأصبح رديفًا للشّخْشي في حِجابَته. وجرَتْ أمورُ الدّولة على ذلك إلى أن هَلَكَ الشخْشي[ج] سنةَ سبْعٍ وتِسعين، فقَلَّدَه السُّلطانُ حِجابَتَه فاسْتَقَلَّ / بها [276أ]
على ما قَدّمناهُ من أنَّ التّدْبيرَ والحربَ مصروفٌ إلى مَشْيَخة المُوَحِّدين.

## 101 • الخَبَرُ عن نَكْبة عبد الحقّ بن سُلَيمان، وخَبرِ بَنيهِ من بَعْدِه.

كان أبو محمّد عبد الحقّ بن سُلَيمان رئِيسَ المَوَحّدين لعَهْد السّلْطان أبي حَفص. وَأَصلُه من تِينَمَلّل الموطِنينَ بتَبَرْسق مُذْ أوّل الدَّوْلة، كانت له ولسلَفِه الرّئاسة علَيْهم، صارَت إليه رِئَاسَةُ المَوَحّدين كافّةً بالحَضْرة أيّام هذا السّلطان، وكان له خالصةً وشِيعةً. وكان حريصًا على وِلاية ابنِه عبدِ الله للعَهْد، وكان يُدَافِعُ نَكيرَ المُوَحّدين في ذلك، فأَسَرَّها له السّلطان أبو عَصِيدَة، ولـمّا اسْتَوسَق

(أ) ظ ف: لأعراض (ب) كذا في ظ ف (ج) ظ: الشحشى.

(1) صيغة مبالغة من فعل طاش، وهو من لا يقصد وجهًا واحدًا لخفّة عقله.

(2) البُهْمَة: الشجاع الذي يستبهم على أقرانه مَأتاهُ. ج بُهَم.

له الأَمْر، وقُتِلَ عبد الله بمَحْبَسه، تقَبَّضَ على أبي مُحمّد بن سُلَيمان له الأَمْر، وقُتِلَ عبد الله بمَحْبَسه، تقَبَّضَ على أبي مُحمّد بن سُلَيمان واعتقَلَه في صفر سنةَ خمسٍ وتِسعين، ولم يَزَلْ مُعتقَلاً إلى أن قُتِلَ بمَحْبَسِه على رَأْس المائة السّابعة. وفرّ عندَ نَكْبَته ابْناهُ محمّد وعبدُ الله، فأمّا عبدُ الله فَلَحِقَ بالأمير أبي زكريّاءَ وصارَ في جُمْلته إلى أن دَخل تونِسَ معَ ابْنِه السّلْطان أبي البقاء خالِد، وأمّا مُحمّد فأَبْعَدَ المَفَرّ، ولَحِق بالمَغْرب الأَقْصَى، ونزَلَ على [يوسف][(أ)] بن يَعْقوب سُلطان بَني مَرين بمُعَسْكره من حِصار تِلِمْسَان، فاسْتَبْلَغَ في تَكْريمه، وأَقامَ عنده مُدّةً ثمّ عاوَدَ وَطَنَه. ونَزَعَ عن طَريقِه إلى النُّسْك، ولَبِسَ الصّوفَ وصَحِبَ الصّالِحين، وقَضَى فَريضَةَ الحجّ، وامتَدّ عُمُره، وحَسُنَتْ فيه ظُنونُ الكافّة واعْتقَدوا فيه وفي دُعائه، وكَثُرَتْ غاشِيَتُه لالْتِماس البَرَكَة منه، وأَوْجبَ لَهُ الخُلفاءُ إزاءَ ذلك تَجِلّةً أُخرَى، وأَوْفَدُوه علَى مُلوكِ زَناتة مرّةً بعدَ مَرّة في مَذاهِبِ / الوُدّ وقُصودِ الخَيْر، وحضَر في بَعْضها الجهادَ بجَبَلِ الفَتْح عندما [276 ب] نازَلَتْه عَساكرُ السّلطان أبي الحسَن. ولم يَزَلْ هذا دَأْبُه إلى أنْ هَلَكَ في الطّاعون الجارِف في مُنتصَف المائة الثّامِنة.

## 102 • الخَبَرُ عن مُراسَلة يُوسف بن يَعْقوب سُلطانِ بَني مَرين ومُهاداتِه.

كان السُّلْطانُ أبو عَصيدَةَ لـمّا اسْتَفْحَلَ أَمْرُه واسْتَوسَقَ مُلْكُه، حَدَّثَ نفسَه بغَزْوِ النّاحِيَة الغَرْبيّة وارْتِجاع ثُغورها من يَدِ الأَمير أبي زَكريّاء. وكان

(أ) من ف. وسقط من ظ.

الأميرُ أبو زَكريّاء قد انتقضَ عليه أهلُ الجَزائِر بعدَ مَهْلِك عامِله علَيْها من الموَحّدين من بَني الكمَارين[أ]، وانتَزَى بها بَعْدَه مُحمّد بن علاّن[ب] من مَشْيَختِها. واسْتَفْحَل أمرُ عثمان بن يَغمْراسِن وبَني عبد الوَاد من وَرائِه، وتَغَلَّبوا على تُوجّينَ ومَغْرَاوةَ ومليكش[ج]، وكانَ شيعَةً لصاحِب الحَضْرَة بما كان مُتَمسّكًا بدَعْوتهم ومُتقبّلاً مَذْهَب أبيه في بَيْعتهم. فقوِيَتْ عزائمُ السّلطانِ أبي عَصيدةَ لذلِك، ونَهَضَ من الحضْرة سنةَ خَمْسٍ وتِسعين، وتَجاوَزَ تُخومَ عَمله إلى أعْمالِ قُسنْطِينَة، وأَجْفَلَتْ أمامَه الرّعايَا والقَبائلُ، وانتهَى إلى مِيلَة، ومنها كان مُنقَلَبُه إلى حَضْرته في رمضانَ من سنَتِهِ. ولـمّا ضايقَ عملَ بجَايَة بغَزْوه، أعملَ الأميرُ أبو زكريّاء نظرَه في تَسْكين النّاحية الغربيّة لِيَفْرَغَ عنْها إلى مُدافعة السّلطان صاحبِ الحَضْرة، فوَصَلَ يدَه بعُثْمان بن يَغمْراسِن، وأكّد معهُ قديمَ الصّهْر بحادِثِ الوُدّ والمُوَاصلَة. وفي خِلال ذلك زحَفَ يُوسفُ بنُ يَعْقوب سلطانُ بَني مَرين إلى تِلِمْسان وأَلْقَى عليها بكَلْكَلِه. واستَجَاشَ عُثْمانُ بن يَغمْراسِن بالأمير أبي زكريّاء فأمَدَّهُ بعَسْكرٍ من الموحّدين، لَقِيَهُمْ عسْكَرٌ من بَني مَرِين بناحِيةِ تِدْلِس، فهزَمُوهم وأَثْخَنُوا فيهم قَتْلاً، ورَجَعَ فَلُّهم إلى بجَايَة. وسَرَّح يوسفُ / بنُ يعقوب [277] عساكرَ بَني مَرين إلى بِجايَة، وعَقَد عليها لأخيه أبي يَحيى بعدَ أن كان عُثْمانُ بن سِباعٍ وَفَدَ عليه نازِعًا عن صاحِب بجَايَة إليه ومُرَغّبًا له في مُلكِها، فأَوْسَع له في الحِباء والكرامَة ما شاءَ، وبعثَ معه هذا العسْكَرَ، فانتَهَوْا إلى بجَاية وضَايَقُوها، ثمّ جَاوَزُوها إلى تاكْرارْث وبِلاد سَدْوِيكِش، وعاثُوا في تلْكَ الجِهات ودَوَّخُوها، وانقَلَبوا راجِعينَ إلى السُّلطان يوسف

(أ) كذا ف. ظ: مهملة الحروف (ب) كذا في ظ، وكما يرِدُ تاليا. وفي ف: علال (ج) ف: بنيكش.

ابن يعقوب بِمُعَسكره من تِلِمْسَان. وكان السُّلطان أبو عَصِيدَة صاحبُ الحَضْرة لـمّا عَلِمَ بإمْداد الأمير أبي زكريّاء لعثمان بن يَغمَراسِنَ، بعثَ إلى يوسف بن يَعْقوب عَدُوِّهم وحَرَّضَهُ على بِجَايَة ونَواحِيها. وسَفَرَ بَيْنَهما في ذلك رئيسُ الموحّدينَ أبو عبد الله بن أكمازير أُولَى[(أ)] سِفارَاتِه، ثمّ سَفَرَ ثانيةً سنةَ ثلاثٍ وسبْع مائة بهديّةٍ ضَخْمةٍ أَغْرَبَ فيها بسَرْجٍ وسَيْفٍ ومَهامِزَ من الذَّهَب مرصّعةَ الحِلَى بالفاخِرِ من حَصَى الياقوت والجَوْهر. ورَافَقَهُ في هذه السّفارةِ الثّانِية وزيرُ الدّولَة أبو عبد الله بن يَرْزيكن، ورَجعَا بهديةٍ ضَخْمةٍ من يوسف بن يَعْقوب، كان من جُمْلَتِها ثلاثُ مائة من البِغال.

واتّصلَت المُخاطَبات والسّفاراتُ والهدايَا والمُلاطَفات، وكان يوسفُ ابن يَعقوب يُكاتِب السُّلطانَ في تِلْكَ الشّؤون تَعْريضًا ويُكاتِبُ رئيسَ الموحّدين أبا يَحْيى بن اللّحْياني تَصْريحًا. وتَرَدَّدَتْ عَساكِرُ بَني مَرين إلى نَواحِي بِجَايَة إلى أن هلَكَ يوسفُ بن يَعْقوبَ، كما يأتي في أَخْباره.

## 103 • الخَبَرُ عن مَقْتَل هَدّاج، وفِتْنةِ الكُعوب وبَيْعَتِهم لابن أبي دَبُّوس، وما كانَ بعدَ ذلك من نَكْبَتِهم.

كان هؤلاء الكُعوبُ قد آثَرَتْهُمُ الدَّوْلة واصْطَنَعتْهم منذُ قيامِهم بأَمْر الأمير أبي حَفْص، فاعْتَزُّوا ونَمَوْا وبَطَرُوا النّعْمةَ وَكَثُرَ عَيْثُهم[(ب)] وفَسادُهم، / وطال إضْرارُهم بالسّابِلَة وحَطْمُهم للجنّات وانتِهابُهم للزّرع، فاضْطَغن[(ج)] [277 ب]

(أ) ف: أوّل (ب) ف: عبثهم (ج) ظ: اضطعن. ف: اصطن.

لهم العامّة وحَقَدُوا علَيْهم سوء آثارِهم. ودَخلَ رئيسُهم هَدّاجُ بن عبيد[1] سنةَ خَمس وسَبْع مائة إلى البَلد فخَزَرَتْه العُيون، وهَمّتْ به العامّة. وحضر المسجدَ لصلاة الجُمعة فتَجَنَّوْا علَيْه بأنّه وَطِيءَ المسْجدَ بخُفِّهِ، وقال لمن نَكِرَ ذلك عليه: إنّي[أ] أَدْخلُ به مجْلِسَ السّلطان، فثَارُوا به عقِبَ الصّلاة وقَتَلُوه، وجَرُّوا شِلْوَهُ في سِكَكِ المدينة. فزادَ عَيْثُهم وإجْلابُهم على السُّلطان.

واسْتَقْدَمَ أحمدُ بن أبي اللّيل شيخُ الكُعوب لذلك العَهْد عُثمانَ بن أبي دَبُّوس من مَكانه بنَواحي طَرابُلس ونَصبَهُ [للأَمْر][ب] وأَجْلَبَ به على الحَضْرَة ونازَلَها، وخرج إليهم الوزيرُ أبو عبد الله بن يرزيكن في العساكِر فهزَمَهم. وسار بالعَسْكر لتَمْهيد الجِهات وتَسْكينِ ثائِرةِ العَرَب، فوَفَد عليه أحمدُ بنُ أبي اللّيل ومعَه سُليمانُ بن جامِع - من رجالات هَوّارة - بعد أن راجَع الطّاعة، وصرَفَ ابنَ أبي دَبّوسٍ إلى مَكانه، فتَقَبّضَ عليْهما وبَعثَ بهما إلى الحَضْرة، فلَمْ يزالاَ مُعتقَلَيْن إلى أن هلَكَ أحمدُ بمَحْبِسه سنةَ ثمانٍ. وقامَ بأمْر الكُعوب محمّدُ ابن أبي اللّيل ومَعهُ حَمْزَةُ ومولاهم ابنا أخيه عمر، رديفَيْن له. ثمّ خرج الوزير بالعساكر ثانية سنةَ سَبْعٍ، واسْتَوْفَدَ مولاهُم بنَ عمر وتَقَبّضَ علَيه، وبَعث به إلى الحَضْرة فاعْتُقِلَ مع عَمّه أحمد. وجَاهَرَ أخوهُ حمزةُ بالنّفاق، واتّبَعَهُ عليه قومُه، فكَثُرَ عَيْثُهم[ج] وأَضَرُّوا بالرّعايا، وكَثُرَتْ الشّكايَةُ من العامّة، [و][د] لَغَطُوا بها في الأسواق وتَصايَحُوا، ثمّ

(أ) ف: إنّه أدخل به مجلس السلطان (ب) من ف. ظ: للأمير (ج) ظ: عبثهم (د) من ف.

(1) "كان من رؤساء الكعوب، وكان الكعوب قد أضرّوا بالسُّبُل وعتوا في الأرض، فحقد العامّة عليهم وفعلوا به ذلك. ولما بلغ خبرُه لقومه ازدادوا طغيانا". الزركشي: تاريخ الدولتين 116 .

نَفَروا إلى باب القَصَبة يُريدونَ الثَّورةَ فَسُدَّ البابُ دونَهم فرَمَوْهُ بالحِجارة، وهم في ذلك يَعْتَدّون ما نَزَلَ بهم من الحاجِب ابن الدبّاغ ويَطْلُبُون شِفاءَ صُدورِهم بقَتْلِه. وَرُفِعَ أمرُهم إلى...(أ) واستِلْحامُهم جميعًا فأبَى من ذلك السّلطانُ وأمرَ بمُلاطَفَتِهم إلى أن سكَنَتْ هَيْعَتُهم، / * ثمّ تَتَبَّعَ العِقابُ من [278أ] تَوَلّى كِبْرَ ذلك منْهم*(ب)، وانْحَسَمَ الداءُ، وكان ذلك في رمضان من سنَة ثمانٍ. واستَمرَّ العربُ في غُلَوائِهم إلى أن هَلَكَ السّلطان، فكان ما يأتي ذِكْرُه.

## 104 • الخَبَرُ عن انْتقاضِ أَهْلِ الجزائِرِ واسْتِبْداد ابن عَلاّنٍ بها.

قد قدّمنا ما كانَ من انتقاضِ أهْلِ الجَزائِر أيّام المُسْتَنْصِر ودُخولِ عَساكِر المَوَحّدين علَيْهم عَنْوَةً واعْتِقال مَشْيَخَتِهم بتُونِس حتّى أُطْلِقُوا بعد مَهْلِكِهِ. ولَمّا استَقَلّ الأميرُ أبو زَكرِيّاء الأَوْسط بمُلْك الثّغور الغَربيّة من بِجاية وقُسُنْطِينَة، وكان الوَالي على الجَزائِر ابن أَكْمازير(ج) من مَشْيخة المُوَحّدين، فبادَرَ إلى [طاعَته](د) باتّفاقٍ من مَشْيخة الجَزائِر، ووَفَدوا عليه، وكتب لابن أكْمازير(هـ) بولايتها، فلَمْ يزلْ واليًا عليهم إلى أن كان شأنُ بَني مَرِين وزَحْفُهم إلى بِجايَة، وكان ابن أكْمازير قد أَسَنَّ وَهَرِمَ فأَدْرَكَتْه الوفاةُ خِلالَ ذلك. وكان ابن عَلاّن من مَشْيَخة الجَزائِر مُخْتَصًّا [به](و) ومُتَصَرّفًا في أَوامِره ونَواهيه ومَصْدرًا لإمارَته، حَصَلَتْ له بذلك

(أ) الكلام متصل الرسم في الأصلين، وهناك سقط بمعنى: [السلطان بجرمهم] واستِلحامهم (ب) سقط ما بين النجمين من ف (ج) ظ ف: أكمار، ويرد الاسم التام لاحقا (د) من ف، سقط من ظ (هـ) كذا في ظ بإشمام الكاف فأجرينا الاسم عليه كلما ورد (و) من ف.

الرِّئاسَةُ على أَهْلِ الجَزائِر سائرَ أَيّامِه، ويُقالُ كان له مَعهُ صِهْرٌ، فلَمّا هَلَكَ ابنُ أكـمازير حَدَّثَتْهُ نَفْسُه بالاسْتِبْداد والانْتِزاء بالجَزائر، فبعَثَ عن أَهْلِ الشَّوْكَة من نُظَرائِه ليلةَ هَلاكِ أميره وضَرَب أعْناقَهم، وأصبحَ مُناديًا بالاسْتِبْداد. وشُغِلَ الأميرُ أبو زكريّاء عنْه بما كان من مُنازَلة بَني مَرين بِبِجَايَة، إلى أن هَلَكَ وبقِيَتْ في انْتِقاضِها على المَوَحّدين آخرَ الدّهر، إلى أن تَمَلَّكَهَا بَنو عبد الوادِ، كما نَذكُرُ.

## 105 • الخبرُ عن مَهْلك الأميرِ أبي زَكَرّياءَ صاحب بِجايَة، وبَيْعَةِ ابْنِه الأمير أبي البَقاء خالد.

[278] / كان الأميرُ أبو زَكريّاء قد اسْتَولى على الثّغور الغربية كما قُلْناه، واقْتَطعها من أَعْمال الحَضْرة، وقَسّمَ الدّعوةَ الحفْصِيّةَ بدَوْلَتين، وكان على غايةٍ من الحَزْم والتّيَقُّظ والصَّرامة لم يَبْلُغْها سواهُ، وكان كثيرَ الإشْراف على وَطَنه والمُباشَرةِ لأعْماله بنفْسه وسَدِّ خَلَلِه. ولم يَزلْ على ذلك إلى أن هَلَكَ على رَأس المائة [السّابعة](أ). وكان قد عَهِدَ بالأَمْر لابنه الأميرِ أبي البَقاء خالدٍ سنةَ ثمانٍ وتسْعين قبْلَها، وعَقَدَ له على قُسُنْطِينَةَ وأنزلَه بها. فلَمّا هلَكَ الأميرُ أبو زَكريّاء، جَمع الحاجِبُ أبو القاسِم بن أبي حيّ مَشيخةَ الموحّدينَ وطَبقاتِ الجُنْد وأخذَ بَيْعتَهم للأمير أبي البَقاء، وطَيَّرَ إليه بالخَبَر واسْتَقْدَمَه فقَدِمَ، وبُويِعَ البَيْعةَ العَامّة، وأبقى ابنَ أبي حيّ على حِجابَتِه، واسْتَوْزَر يَحيى بن أبي الأَعْلام، وقَدَّم على صِنْهاجَة أبا عبد الرّحمن يَعْقوبَ

(أ) ظ: السابقه.

ابنَ خَلُوفٍ منْهم، ويُسَمّى المِزْوَار، وقَلَّدَ رئاسةَ المُوَحّدين أبا زَكريّاء يَحيى ابن زَكريّاء من أَهْل البَيْت الحَفْصي، واستَمَرَّ الأمرُ على ذلك إلى أن كانَ ما نَذكُره(أ).

## 106 • الخبرُ عن سِفارَة القاضي(ب) الغِبْرِيني ومَقْتَلِه.

قد قدّمنا ما كان من زَحْف بَني مَرِين إلى بِجَايَة بمُدَاخَلة صاحبِ تُونس، ولـمّا وَلِيَ السُّلْطان أبو البَقاء اعْتَزَمَ على المُوَاصلَة مع صاحِب تُونِس قطعًا للزَّبُون(1) عنه، وعَيَّنَ للسّفارَة(ج) في ذلك شيخَ القَرابَة ببابِه أبا زَكريّاء يَحيى بن زكريّاء الحَفْصي ليُحْكِمَ شأنَ المُوَاصلَة بَيْنه وبَيْنه، وبَعَثَ معه القاضي أبا العَبّاس الغِبْرِيني(2) كبيرَ بجاية وصاحبَ شُورَاها، فأدّوْا رسالَتَهم وانْقَلَبُوا إلى بِجَايَة. ووَجَدَ بِطانَةُ السّلطانِ السّبيلَ في الغِبْرِيني فأَغْرَوْهُ به، وأَشَاعُوا أنّه داخلَ صاحبَ الحَضْرة في التَّوَثُّبِ بالسُّلطان، وتَوَلّى كِبْرَ ذلك ظافرٌ الكبير، وذَكَّره بجَرائِره، وما / كانَ منْه في شَأْن السُّلْطان أبي [279 أ] إسْحاق، وأنّهُ الذي أَغْرَى بَني غِبْرينَ به، فاسْتَوْحَشَ منه السُّلْطانُ وتَقَبَّضَ علَيه سنةَ أَرْبعٍ وسَبْع مائة، ثمّ أغْرَوْهُ بقَتْله فقُتِلَ بمَحْبِسه في سَنَتِه تلك، وتَوَلّى قَتْلَه منصورٌ التّركي. والله غالبٌ على أَمْره.

(أ) ف: نذكر (ب) سقط من ف (ج) ف: السفارة.

---

(1) يقال حربٌ زبون: يدفع بعضها بعضًا من الكثرة.

(2) هو أحمد بن أحمد، المؤرخ (644 هـ / 1246 م – 704 هـ / 1304 م)، صاحب عنوان الدراية، في من عُرف من علماء المائة السابعة في بجاية ولد في بجاية، ونسبته لقبيلته غِبْرين، وتولّى قضاء بجاية. انظر الديباج المذهب 79 - 80.

## 107 • الخبرُ عن سِفارة الحاجب ابن أبي حَيّ إلى تونُس، وتَنكُّرِ السّلطان له بَعْدَها وعَزْله.

لما وَلِيَ السّلطانُ أبو البَقاء، كانت عَساكِرُ بَني مَرين مُتَردّدةً(أ) إلى أعْمال بِجَايَة بمُدَاخَلَة صاحبِ تُونس، كما ذكَرْناه، فدَوَّخُوا نواحِيها. وكانَ ابنُ أبي حَيّ مُستَبِدًا على الدّوْلَة في حِجابته، فضاقَ ذَرْعُه بشَأْنِهم، وأَهَمَّته حالُ الدّولة معَهم، ورَأى أنّ اتّصال اليَدِ بصاحِب الحَضْرة ممّا يَكُفُّ من غَرْبِهم، فعزَم على مُباشَرة ذلك بنَفْسه لوُثوقِه من سُلْطانه. فخرَج من بجايَةَ سنةَ خمْسٍ وسَبْع مائة، وقَدِم على الحَضْرة رَسُولاً عن سُلْطانه، فاهْتَزّتْ له الدّولةُ وتُلُقِّيَ بما يجبُ له ولِمُرْسِله من البِرّ، وأَنْزَلَهُ شيخُ المَوَحّدين ومُدبّرُ الدَّولة أبو يحيى زَكرِيّاء بن اللِّحْيَاني بدَاره اسْتِبْلاغًا في تَكْرِيمه، وقَضَى من أمْر تلك الرّسالَةِ حاجَةَ صَدْره. وكان بِطانَةُ الأمير أبي البَقاء خالدٍ لـمّا خلاَ لهم وَجهُ سُلْطانهم [منه](ب)، تَهافَتُوا على التّنَصُّح إليه والسّعايَة بابن أبي حَيّ عنده، وشَمّر لذلك يَعقوبُ بن عُمَر(ج) وخَلاَ فيه، وتابَعهُ عليه عبدُ الله الرّخامي كاتبُ ابن أبي حَيّ وصديقُه، بما كان ابنُ طُفَيْلٍ قريبَهُ يُسْخِط عليه النّاسَ ويُوغِرُ له صدورَهم ببَأْوِهِ وتَحْقِيره بهم، فَأَلْقَحَ له العَداوة في كلّ جانِحَةٍ، وأَسْخَطَهُ على عبد الله الرّخامي وكان صديقَه ومُداخِلَه، فتولّى من / السّعايَة فيه مع يَعْقوب بن عُمَر كِبْرَهَا والقَوْلَ(د) إلى السّلطان أنّ ابنَ أبي [279ب]
حَيّ داخلَ صاحبَ الحَضِرة في تَمْكينِهِ من ثَغْر قُسُنْطِينَةَ وبِجَايَةَ بما كان عليُّ بن الأمين العامِلُ بِقُسُنْطِينَة صِهْرًا لابن أبي حَيّ، وهو الذي وَلاّه

(أ) ف: مترددة (ب) ظ: منهم (ج) ف: عمرو (د) ف: القوا.

عليها، فاسْتَرَابَ السّلطانُ به، وتَنَكَّرَ له بعدَ عَوْده من تُونِس، وخَشِيَ كلُّ واحدٍ منهما بادِرَةَ صاحِبِه. ثمّ رَغِبَ ابن أبي حَيّ في قَضاء فَرْضه وتَخْلِيَة سَبيله إليه فأُسْعِفَ. وخَرَجَ من بِجَايَة ذاهبًا إلى الحجّ، ولَحِقَ بالقَبائل من ضَواحي قُسُنْطِينَة وبجايَة فنَزلَ عليهم، وأقامَ بينهم مُدّةً ثمّ لَحِقَ بتُونِس، وأقامَ بها إلى حين مَهْلِك السّلطان أبي عَصيدَةَ وبَيْعةِ أبي بَكْرٍ الشّهيد. وحضَر دُخولَ الأمير أبي البَقاء علَيه بتُونِس، وخَلَصَ من تَيّار تِلْكَ الصّدْمَة، فلَحِقَ بالمَشْرق، وقَضَى فَرْضَه، ثمّ عادَ إلى المَغْرب ومَرَّ(أ) بإفْريقيّة ولَحِقَ بتِلِمْسَانَ، وأغْرَى أبَا حَمُّو بالحَرَكة على بِجَايَة، فكانَ ما نَذْكُره.

## 108 • الخبرُ عن حِجابَة أبي عبد الرّحمن بن عمر *ومَصائِر أَمْرِه*(ب).

هو يَعْقوبُ بن أبي بَكر بن محمّد بن عمر السُّلَمِيّ، وكُنيتُه أبو عبد الرّحمن. كان جدُّه محمّد - فيما حدّثني أَهْلُ بَيْتِهم - قاضيًا بشَاطِبَةَ، وخرجَ(ج) مع الجالِيَة أمام(د) العَدوّ إلى تُونِس، ونَزَل بالرَّبَضِ الجَوْفِيِّ أيّام السّلطان أبي عَصيدَة. وانتقلَ ابْناهُ أبو بَكر ومُحمّد إلى قُسُنْطِينة، ونَزَلاَ على ابن أوقيّان العامِل عليها من مَشْيَخة الموحّدين لعَهْد الأمير أبي زَكريّاء الأَوْسط، فأَوْسَعَهُمَا عنايَةً وتكْريمًا، ووَلّى أبَا بَكْر على الدّيوان بالقُلّ، واسْتَخْلَصَهُ لنَفْسه، وكانَ يَتَرَدَّدُ إلى الحَضْرة ببِجايَة في شُؤونِه. فاتّصل بمَرْجان الخَصِيّ من مَوالي الأمير/ أبي زَكَريّاء وخَواصّ دَارِه، واسْتُخْدِمَ على يَدِهِ للأمير خالدٍ وأُمّه من [280أ]

(أ) ظ ف: فرّ (ب) سقط ما بين النجمين من ف (ج) ف: وجع من (د) ظ: أقام.

كَرائِمِ السّلطان، فَحَظِيَ عنْدَهم. وتَزَوَّجَ ابنُه يَعْقوبُ من رَبِيّاتِ القَصْر وخَوَلِه. ونَشَأَ في جوّ تلك العِناية، وأَعْلَنُوا بصُحْبَة الحاجّ فَضْلٍ قَهْرَمانِ دار السّلطان وخاصّتِه، فاسْتَخدَمَ له سائرَ أيّامه إلى أن هَلَكَ. وكان الحاجّ فَضْل كثيرًا ما يَتَرَدّدُ إلى الأَنْدَلس لاسْتِجْلاب الثّياب الحَريريّة من هنالك وانْتِقاء أَصْنافِها، وكذلك إلى تُونِس لاسْتِجادَةِ الثّياب مِنْها، وبَعَثَهُ السّلطانُ آخرَ أَمْره إلى الأَنْدَلس فاسْتَصْحَبَ ابن عَمَر(أ)، وهَلَكَ الحاجّ فَضْلٌ هنالِك فَعَدَلَ السّلطانُ عن خِطاب ابْنه مُحمّد * إلى خِطاب *(ب) ابن عَمَر يأْمُره بإتمام ذلك العمل والقُدوم به، فَقَدِمَ هو وابنُ الحاجّ فَضْل، وسَاءَلَهُمَا السّلطان عن عَمَلِها فكان ابن عَمَر أَوْعَى من صاحِبه، فَحَلِيَ بعَيْنه وخَفَّ عليه، واعْتَلَقَ بذِمَّةٍ من خِدْمَته أَخَصَّتْهُ عند السّلطان وَرَقَّتْهُ، فاسْتُعْمِلَ في الجِبايَة، ثمّ قُلِّدَ أعمال الأَشْغال، وزاحَمَ(ج) ابنَ أبي حَيّ وعبدَ الله الرّخامي، وغَصُّوا به، فأَغْرَوْا السّلطانَ بنَكْبَتِه، وأَشْخَصَهُ إلى الأَنْدلس فأقامَ هُنالك. واسْتَعْطَفَ السّلطانَ أبا البقاء بَعْد مَهْلِك أَبيه وتَشَفَّعَ بوَسائل خِدْمَته، فاسْتَقْدَمَه، وقَدِمَ مع عليّ وحسين ابْنَي الرّنْداحي، رَكِبَ مَعَهما البحرَ إلى بِجَايَةَ في مَغيب ابن أبي حَيّ عن الحَضْرة، فَصَادَفَ من السّلطان قَبولاً، وَشَمَّرَ في السِّعايَة بابن أبي حَيّ مع مَرْجان إلى أن تَمّ له ما أرادَ من ذلك، وصُرِفَ ابنُ أبي حَيّ كما ذكَرْناهُ. فَقَلَّدَ السّلطانُ حِجابَتَه ليَعْقوب بن عَمَر، وقَدَّم على الأَشْغال عبدَ الله الرّخامي، وكان ناهِضًا في أُمور الحِجَابَة لمُبَاشَرتها مع مَخدومه فأَصْبَح رَديفًا لابن عَمَر، وَغَصَّ بمكانه فأغْرى به السّلطان / ودَلَّهُ على مَكامِن ثَرْوَته(د) وعَداوَته، فنُكِبَ، وصُودِرَ، وامْتُحِنَ، [280 ب]

(أ) كذا ضبط بفتح العين والميم في ف (ب) سقط ما بين النجمين من ف (ج) ف: زاعم (د) ف ثوونه.

وغُرِّبَ إلى مَيُورْقَةَ حتّى افْتداه يوسفُ بن يَعْقوب سلطانُ بَني مَرِين من أَسْره، واستَقْدَمه ليُقَلِّدَه أَشْغالَه عند تَنَكُّره لعبد الله بن أبي مَدْيَن، كما نَذْكُره في أَخْباره. فَهلَكَ يوسفُ بن يعقوب.....[(أ)] دونَ ما أَمَّلَ من ذلك. وأقام الرّخامي بِتِلِمْسَانَ وبها كان مَهْلِكه. واسْتقلَّ يعقوبُ بن عُمَر بأَعْباء خِطّتِه واضْطَلَعَ بها، وفَوّضَ إليه السّلطانُ في الإبْرام والنَّقْض، فَحَوّلَ المراتِبَ بنَظره وأَجْرَى الأمورَ على غَرَضِه. وكان أوّلَ ما أتاهُ صَرْعَتَه لِمَرْجَانَ[(ب)] مُصْطَنِعِه، مَلأَ صَدْرَ السّلطان عليَه، وحَذَّرَهُ مَغَبَّتَه فتَقَبَّضَ عليَه، وأُلْقِيَ في البَحْر يَلْتَقِمُهُ الحوتُ، فَخَلاَ وَجْهُ السّلطان لابن عُمَر وتَفَرَّدَ بالعَقْد والحَلّ، إلى أن اسْتَوْلَى السّلطانُ أبو البَقاء على الحَضْرة، وكان من أَمْره ما نَذْكُر.

## 109 • الخَبرُ عن ثَوْرة ابن الأَمين بقُسَنْطينَة، وبَيْعَةِ السّلطان أبي عَصيدَةَ، ثمّ فتحُ السّلطان أبي البَقَاء خالد لها وقتله.

كان يوسفُ بن الأمين الهَمَذاني بعدَ أن قتلَه بِطَنْجَةَ أَبْناءُ أبي يَحيى ابن عبد الحقّ من بَني مَرِين، كما يأْتِي في أَخْبارهم، انْتقلَ بَنُوه إلى تُونِس أيّامَ المُسْتَنصر، ورَعَى لهم السّلطانُ وسيلةَ قِيامِهم بالدّعْوة الحَفْصيّة أيّامَ أبي عليّ بن خلاص بِسَبْتَةَ وبعدَها إلى أن غَلَبَهُمْ عليها العَزَفِيّ، كما نَذْكُره في أَخْباره، فلَقّاهُمْ مَبَرّةً وتكريمًا، ونَزَلُوا من الحَضْرة خيرَ نُزُلٍ تَحْتَ جِرايةٍ ونِعْمةٍ وعِنايَة. وكان كَبيرُهم متحَمّقًا مُتعاظِمًا، فرُبَّما لَقِيَ من الدّولة

(أ) ف: فراغ لكلمة، وبقيتُها حرف راء مثبت (ب) ظ لم حان.

لذلك عَسْفًا إلاّ أنّ الإبقاءَ عليهم كان مانِعًا من اضْطِهادهم، ونَشأَ بَنوهم في ظِلّ ذلك النَّعيم. ثمّ / هَلَكَ السّلطانُ واضْطَرَبَتِ الأُمورُ، وضَرَبَ الدّهر [281أ] ضَرَباتِه، ولَحِقَ عليٌّ منهم بالثّغر الغَرْبيّ، وتأكّدتْ له مع ابن أبي حَيّ [الحُمَةُ](أ) نسبٍ وذِمّةُ صِهْرٍ وَشَجَتْ بينهما عروقُها. فلمّا اسْتَقَلَّ ابن أبي حَيّ بحِجابة(ب) الأمير أبي زكريّاء، لم يَألُ جُهْدًا في مُشارَكة عليّ بن الأمين وتَرْقيته المنازلَ، إلى أن وَلاّهُ ثَغر قُسُنْطِينَة مستقِلاًّ بها، وحاجِبًا للسّلطان أبي بَكْر ابن الأمير أبي زكريّاء، وأَنْزَلَهُ معَه فقام بحِجابَته، وأظهرَ فيها غَناءَهُ وحَزْمَه. حتّى إذا سَخِطَ السّلطانُ ابنَ أبي حَيٍّ وصَرَفَه عن حِجابَتِه، تَنَكَّر أبو الحسَن بن الأمين، وخَشِيَ بوادِرَ السّلطان، فَحَوَّلَ الدّعوةَ إلى صاحِب الحَضْرة وطَيَّرَ إليه بالبَيْعة، واسْتَدعَى المددَ والنائب، فوَصَلَهُ رئيسُ المَوَحّدين والدَّوْلة أبو يَحيى زَكريّاء بن أحمد بن محمّد اللِّحْياني، وعَقَدَ البَيْعَة لسُلْطانه سنةَ أربعٍ وسَبْع مائةٍ.

وبلَغ الخبرُ إلى السّلطان أبي البقاء ببجاية فنَهَضَ إليه بالعساكِر آخرَ سنةِ أربعٍ وسَبْع مائة، ونازَلَهُ أيّامًا فامْتَنَع عليْه، وهَمَّ بالإفْراج عنه، ثمّ داخَلَ رجلٌ من بِطانة ابن(ج) الأمين، يُعْرَفُ بابن موزة(د)، أبا الحسن بنَ عثمان من مَشْيَخة المَوَحّدين، وكان مُعَسْكَرُه بباب الوَادي، فناجَزَهُم الحربَ من هنالك حتّى انتهَى إلى السّور، فتَسَنَّمَه المُقاتِلَة بإغْضاءِ ابن مُوزَة(د) لهم عَنه. ورَكِبَ السّلطانُ في العساكِر عندَ الصّدْمة، ووَقَفَ على باب البَلَد وقد استَمْكَنَ أَوْلياؤه منه، فخرجَ إليه بَنو القُنْفُد وبَنو باديس

(أ) من ف (ب) ف: بجهاته (ج) سقط من ف (د) كذا في ظ. ف: موره.

ومَشْيَخةُ البلَد، فاقْتَحمَ البلدَ عَنْوَةً، ومَضى أبو محمد الرُّخامي في رجال السّلطان إلى دار ابنِ الأمين فَغشِيَهُ بها وقد انفَضَّ عنه النّاس، واسْتَحْصَنَ بغُرْفَة من غُرف دارِه واسْتَمَاتَ. فلاطَفه الرّخامِيّ واسْتَنْزَلَه، ثمّ حملَه على بِرْذَوْنٍ مُسْتَدْبِرًا، وأَحْضَره بين يَدَي السّلطان، فقُتِلَ ونُصِبَ شِلْوُهُ، وأصبَح آيةً للمُعْتَبِرين.

## 110 ● / الخَبَرُ عن حَرَكَةِ السُّلْطان أبي البَقاءِ إلى الجزائر [281]

قد قَدّمنا ما كان من خبر انْتِقاض الجَزائِر على الأَمير أبي زَكَرِيّاء واسْتِبْداد ابن عَلاّنٍ بها؛ فلَمّا اسْتَوْلَى السّلطان أبو البَقاء على الأَمْر وتَمَهَّدَتْ له الأَحْوالُ، وأَقْلَعَ بنو مَرِين بَعْد مَهْلِك يوسف بن يعقوب عن تِلِمْسان، أَعْمَلَ السّلطانُ نظرَه في الحرَكة إليها، فَخَرَجَ إليهم سنةَ سبْعٍ أو ستٍّ، وانْتَهَى إلى مَتّيجَة، ودخلَ في طاعَته مَنصورُ بنُ مُحمّد شيخُ مليكش وجميعُ قَوْمه، ولَجَأ إليه راشِد بنُ محمّد بن ثابِت بن منْديل أميرُ مَغْرَاوَة هارِبًا أمامَ بني عبد الوَاد، فآوَاهُ إلى ظِلّه وأَلْقَى عليه جَناحَ حِمايَتِهِ. واحْتَشَدَ جميعُ من في تلك النّواحِي من القَبائِل، وزَحَفَ إلى الجَزائِر وأقام عليها أيّامًا فامْتَنَعَتْ عليه، وانْكَفَأَ راجعًا إلى حَضْرته بِبِجَايَةَ. وأقام مليكش على طاعَتِه ومُطاولة الجزائر بالقِتال، إلى أن كانَ من أَمْرها وتَغلّبِ بَني عبد الوادِ علَيها، كما نَذْكُرُه في أَخْبارِهم. وجاء معَهُ راشِدُ بن مُحمّد إلى بِجاية مُتَذَمِّمًا بِخِدْمَته، إلى أن قَتَلَه عبدُ الرّحمن بن خَلوف، كما يُذْكَرُ في مَوْضعه.

## 111 ● الخبرُ عن السِّلْم وشُروطِه بَيْن صاحِب تُونس وصاحب بِجايَة.

لَمّا افْتَتَحَ السّلطانُ أبو البَقاء خالدٌ قُسُنْطِينَة، وقتلَ ابنَ الأمين وفَرَغَ من ذلك الشّأن، أَدْرَكَ أهلَ الحَضْرَة النّدمَ على ما اسْتَدْبَرُوا من مُهادَنة

صاحبِ الثّغر، وَقَارَنَ ذلك مَهْلِكَ يوسف بن يَعْقوب الذى كانوا يَرْجُوْنَهُ شاغِلاً له، فَجَنَحُوا إلى السِّلْم، وبَعَثُوا وَفْدَهم في ذلك إليه فأَسْدَوْا وأَلْحَمُوا[1]، وشَرَطَ عليهم السّلطان أبو البَقاء أنَّ من هَلَكَ منْهما قبلَ صاحِبه فالأَمْر من بعْدِه للآخر والبَيْعةُ له، فتقَبّلُوا / الشَّرْطَ. وحَضَر الملأُ [282 أ] والمَشْيَخَةُ من المَوحّدين بِبجاية ثمّ بتونِس فأَشْهَدُوا به على أَنْفُسِهم، ورُبِطَ ذلك العَقْدُ وأُحْكِمَتْ أَوَاخِيه[2] إلى أن نَقَضَهُ أهلُ الحَضْرة عند مَهْلِكِ السّلطان أبي عَصِيدَة، كما نَذْكُرُهُ.

## 112 • الخَبَرُ عن سَفَر شَيْخ الدّوْلَة بتُونس أبي يَحيى اللّحْياني لِحِصار جِرْبَة، ومُضِيّه منها إلى الحجّ.

لـمّا انعَقَد أمرُ هذا الصّلْح واسْتَتَمَّ، رَاجَع رئيسُ الدَّوْلة أبو يحيى زكرِيّاء بن اللّحيانى نَظَره لنَفسه وأَعْمَلَ فِكْرَه في الخَلاص من أُنْشوطَتِه، وكان يُؤَمّلُ رجوعَ الوَفْد المُغَرّبِينَ بالهَدِيّة من أُمَراء الدّيار المصْريّة إلى يوسف بن يعقوب، فَيَصْحَبُهُمْ لقَضاء فَرْضِه، وأَبْطأَ عليه شَأْنُهم فاعْتَزَمَ على قَصْدِه، ووَرَّى بحَرَكَتِه إلى جزيرة جِرْبَة لاسْتِرْجاعِها من أَيْدي النّصارَى والرّجوع عنْها من بعد ذلك إلى الجَريد لتَمْهيد أحْواله. وتَناوَلَ الرّأْيَ في الظّاهر من أَمْره مع السّلطان فأَذِنَ له، وسَرَّح معه العساكرَ. فخَرَجَ من تُونِس في جُمادى سنةَ ستٍّ غازِيًا إلى جِرْبَة، ولم يَزَلْ يُغِذُّ السَّيْرَ حتى

---

(1) من المثل: ألحِمْ ما أسدَيت، أي تمِّم ما بَدأْت به.

(2) جمع آخية، وهي الشروط الرابطة الموثقة.

انتهى إلى مَجَازِهَا، ثمّ عَبَرَ منه إلى الجَزيرة. وكان النّصارى لما تَغَلّبوا علَيها سنةَ ثمانٍ وثمانينَ شَيَّدُوا بها حِصْنًا لاعْتِصام الحامية سَمّوْه بالقَشْتِيل، فنَزَلَتِ العساكرُ علَيه، وأنفَذَ الشّيخُ أبو يحيى عُمّالَه للجِبايَة. وأقامَ في مُنازَلَته شهرَيْن، ثمّ انقَطَعَتِ الأَقْواتُ واستَعْصَى الحِصْن إلاّ بالـمُطاوَلَة، فرجعَ إلى قابِس.

ثمّ ارتَحَل إلى بِلاد الجريد، وانتَهَى إلى تَوْزَر ونَزَلَها. وأَغْنَى في خِدْمته أحمدُ بن مُحمّد بن [يَمْلول][أ] من مَشْيَختها، فاستَوفَى جِبايَةَ الجَريد. وعادَ إلى قابِس، وأنْزَله عبدُ الملك بن عُثْمان بن مَكّي بدارِه، وصَرَّحَ بما وَرّى عَنْه من حَجّه، وصَرَفَ العساكرَ / إلى الحَضْرة. [282] وَوَلِيَ بَعْدَه رِئاسةَ المَوَحّدين وتدبيرَ الدّولة أبو يعقوب بن يزدوتن. وَتَحَوّل عن قابِس إلى بَعْض جِبالها تجافِيًا عن هَوائِها الوَخِم، وأقامَ في انتِظار الرّكْب الحِجازِيّ، وكانَ مريضًا إلى أنْ أَبَلَّ فتحَوَّل عَنه إلى طرابُلس، فأَقامَ بها عامًا ونِصْفَه إلى أن وَصَلَ وَفْدُ التُّرْك[1] من المَغرب الأَقْصى آخرَ سنَة ثمانٍ فَخَرَجَ معَهم حاجًّا حتّى قَضَى فَرْضَهُ وعادَ، فكان من شَأْنه واستيلائِه على مَنْصب الخِلافة ما يَأْتي ذِكْرُه.

ووَصَل مَدَدُ النّصرانيّة إلى قَشْتِيلِ جِرْبَةَ سنةَ ثمانٍ بعدَ مُنْصَرَفِ العساكر عنهم، وفيهم فذْريك ابن الطاغية صاحب صقِلّيّة، فقاتلَهم أهلُ الجَزيرة من التّكارينَ لنَظر أبي عبد الله بن الحسَيْن من مَشْيخة المَوَحّدين

(أ) ظ: مملول. ف: بملول وقد تكون يملول أدمجت الميم في الياء الراكبة.

---

(1) يعني وفد الأمراء المماليك المصري.

ومعَه ابن أومغار في قَوْمه من أَهْل جِرْبَة، فأَظْفَرَهُم الله بهم. ولم يَزل شأنُ هذه الجزيرة مع العدُوّ كذلك منذ التَاثَث دَوْلة صِنْهاجَة، وربمّا وقعَتِ الفِتْنةُ بين أَهْلها من النّكارة فتَصِلُ إحْدَى الطّائفَتَيْن يدَها بالنّصارَى، إلى أن كان ارتجاعُها في هذه النّوْبَة سنَةَ [سبع مائة](أ) وأربعين لعَهْد مولانا السّلطان أبي يحى كما نَذْكر في أَخْباره.

## 113 • الخبَرُ عن مَهْلِك السُّلْطان أبي عَصِيدَة، وبَيْعةِ أبي بَكْر الشّهيد.

كانَ السُّلْطانُ أبو عَصِيدَة بعدَ تَمَلّي سُلْطانِه وتَمْهيدِ مُلكه، طَرَقَهُ مرَضُ الاسْتِسْقاء فأَزْمَنَ به، ثمّ ماتَ على فِراشه في رَبيع الآخر سنَةَ تِسْعٍ ولم يُخَلّفِ ابْنًا. وكان بقَصْرِهم سِبْطٌ من أَعْقاب الأمير أبي زَكريّاء جَدّهم ثمّ من وَلَد أبي بَكْر ابنِه الذى ذكَرْنا وَفاتَه في خَبر شَقيقِه أبي حَفْصٍ في فَتْحِ مَلْيانَة أيّام السّلطان المُسْتَنْصِر. فلَمْ يَزَلْ بَنوه بقُصورهم وفى ظِلّ مُلْكِهم. ونَشَأَ منهم أبو بَكْر بن عبد الرّحمن / بن أبي بَكْر في إيالَة السّلطان أبي [283 أ] عَصِيدة، ورَبِيَ في جَميم نِعْمَته. فلمّا هَلَكَ السّلْطان أبو عَصِيدَة ولم يُعْقِبْ، وكانَ السّلطان أبو البَقاء خالدٌ(ب) قد نَزَعَ إليه حَمْزةُ بن عمر عند إياسِه من خُروج أَخيه من مَحْبِسه، فرَغّبه في مُلْك الحَضْرة واسْتَحَثَّهُ علَيها. ثمّ وصلَ أبو عليّ بن كثير فنَعَى السّلْطانَ أبا عَصيدَة، واسْتَنْهَض السّلطانَ أبا البَقاء لمُلْكِ تُونِس، فنَهض كما نَذْكره. واسْتَرَابَ الموَحّدون بتُونِس بشَأْن حركَتِه

(أ) من ف. وسقط من ظ. وقد كتب التاريخ في الفراغ المتروك في ف بخط مغاير (ب) ظ. ف: خالدا.

فخافوهُ على أنفُسهم، فبايَعوا لهذا الأمير أبي بَكْر الذي عُرِف بالشّهيد بما كان من قتْلِهِ لسَبْع عَشْرة ليلةٍ من بَيْعتِه. وأَبْقى أبا عَبْد الله بن يرزيكن على وزارَته، وزَحْزَح مُحمّدَ بن الدبّاغ عن رُتْبة الحِجابَة وتوَعّدَهُ لما كان يَحْقِدُ عليه من التّقْصير به أيّام سُلْطانه، فكانَ عَوْنًا عليه، إلى أن هَلَكَ عند اسْتيلاء السّلطان أبي البَقاء، كما نَذْكره.

## 114 • الخبَرُ عن اسْتيلاء السُّلْطان أبي البَقاء على الحَضْرة، وانفِرادِه بالدّعْوة الحفصِيّة.

لما بَلَغ السّلطانَ أبا البَقاء بمكانه من بِجاية وأعْمالِها الخَبَرُ بمرَض السّلطان أبي عَصيدةَ، مع ما كانَ من العَقْد بَيْنَهما بأنّ من ماتَ قبلَ صاحِبه جُمِعَ الأمْرُ بَعْدَه للآخِر، دَاخلَتْه الظِنّةُ أن يَنْتَقِضَ أهلُ الحَضْرة في هذا الشّرْط، فاعْتزَمَ على النُّهوض لمُشارَفَة الحَضْرة، ووَصلَ إليه حَمزةُ بن عمر نازعًا عنهم فرَغّبَه واسْتَحثّه. وخرجَ من بِجاية في عَساكِره ووَرَّى بالحَرَكَة إلى الجزائِر لِمَا كانَ من انتِقاضِهم على أَبيه، واسْتِبْداد ابن عَلاّنٍ بها. ثمّ ارتَحَلَ إلى قَصْر جابِر، وعندَ بُلوغه إلَيْه، ورَدَ الخبرُ بمَهْلَكِ السّلْطان / أبي عَصِيدةَ وبيْعةِ المَوَحّدين بَعْدَه لأبي بَكْر بن عبد الرّحمن بن [83]
أبي بكر بن الأمير أبي زَكريّاءَ، فاضْطَغَنَها على الموَحّدين. وأَغَذَّ السّيْرَ، وانْحَاشَ إليه كافّةُ أولاد أبي اللّيل، واجتَمعَ أَقْتالُهم أولادُ مُهَلْهِل إلى صاحب تُونِس، وخرجَ معهم شيخُ الدَّوْلَة أبو يعقوب بن يزدوتن والوزير أبو عبد الله بن يرزيكن في العَساكِر للّقاء، ووَقَوْا سلْطانَهم بأنفُسهم.

فلمّا زَحَفَ إليهم السّلْطان أبو البَقاء اختَلّ مَصافُّهم، وانهزموا وانتُهِبَ المُعَسْكر، وقُتِل الوزيرُ ابن يرزيكن، وأَجْفَلَتْ أحياءُ العَرب إلى القَفْر، ودخلَ العَسْكرُ إلى البَلَد واضْطَرَب الأَمْرُ. وخرجَ الأميرُ أبو بَكْر بن عبد الرّحمن فوقَف بساحَة البَلَد قليلاً ثمّ تَفَرّقَ عنه العَسْكَر وتَسَاتَلُوا إلى السّلطان أبي البَقاء، وفَرّ أبو بَكْر ثمّ أُدْرِكَ ببَعْض الجَنّات فتُلَّ إلى السّلطان، واعْتَقَلَهُ في بَعْض الفَازَات. وغدَا على السّلطان أهلُ الحَضْرة من مَشْيَخة المَوَحّدين والفُقهاءِ والكافّة فعقَدوا بَيْعَته، وقُتِلَ الأميرُ أبو بَكْر بمَحْضَرِهم، فسُمِّيَ أبو بكر الشّهيد آخرَ الدّهْر، وبَاشَر قتلَه ابنُ عَمّه أبو زكرِيّاء يحيى بن زكريّاء شيخ المَوَحّدين. ودَخلَ السّلطانُ من الغَدِ إلى الحَضْرة واستَقَلّ بالخِلافَة، وتَلَقّبَ الناصرَ لدين الله المنصور، ثُمّ اسْتَضَافَ إلى لَقَبه المتوكّلَ. وأبقى أبا يعقوب بن يزدوتن في رئاسَتِه على المَوَحِّدين مُشاركًا لأبي زكرِيّاء يحيى بن أبي الأَعْلام الذي كان رئيسًا عندَه قبلَها، واسْتَمَرَّ على خُطّة الحِجابَة أبو عبد الرحمن يعقوب بن عمر، ووَلّى على الأَشْغال بالحضرة منصورَ بن فضل بن مُزْني، وَجَرَتِ الحالُ على ذلك إلى أن كان ما نَذْكُرُهُ.

## 115 • الخَبرُ عن بَيْعة ابنِ مُزْني ليَحْيى بن خالِد، ومَصائر أُموره.

[أ 284] / كان يَحْيى بنُ خالد ابن السّلطان أبي إسْحاق في جُمْلَة السّلطان أَبي البَقاء خالد، وتَنَكّرَتْ له الدّولةُ لبَعْض النّزَعات، فَخَشِيَ البادِرَةَ وفَرّ

ولَحِقَ بمنصور بن مُزْني. وكان مَنْصورُ قد اسْتَوْحَشَ من ابن عَمَر، فَدَعَاهُ إلى القِيام بأَمْره، فأَجابَ وَعَقَدَ له على حِجابَتهِ، وجَمع له العَربَ، وأجْلَب على قُسُنْطينَة أيّامًا وبها يومئذٍ ابنُ طُفَيْل، وكانت قد اجْتَمعت ليَحْيى بن خالد زَعْنَفَةٌ[1] من الأَوْغاد اشْتَمَلُوا عليْه واشْتَمَل عليهم وأَغْرَوْهُ بابن مُزْنِي، فوعَدهم إلى حين ظَفَرِهِ. وأُطْلِعَ ابنُ مُزْنِي على سُوء دِخْلَته ودِخْلَتِهم، فَنَقَضَ يَدَه من طاعته وانْصَرَفَ عنه إلى بلده، فانْفَضَّت جُموعُه. ورَاجَعَ ابنُ مُزْني طاعةَ السُّلْطان أبي البقاء ومُخالَصةَ بِطانَتِه وحاجِبِه فتَقَبَّلوه. ولحِق يحيى بن خالد بتِلِمْسَان مُسْتَجيشًا، ونَزَلَ على أميرها أبي زيّان مُحمّد بن عثمان بن يَغْمَراسِن فَهَلَكَ لأيّامٍ من قُدومِه. وَوَلِيَ بَعْدَه أخوهُ أبو حَمّو مُوسى بن عُثْمان فَأَمَدَّهُ، وزَحَف إلى مُحارَبة قُسُنْطِينَة فَامْتَنَعت عليه. ثمّ اسْتَدْعاهُ ابنُ مُزْني إلى بِسْكِرَة فأقامَ عنْدَه، وأَسْنَى له الجِرايَةَ ورَتَّبَ عليه الحرَسَ. وكان السّلطانُ ابن اللّحْياني يَبْعث إليه من تُونِس بالجائِزَة مُصانَعَةَ [له][أ] في شَأنه، حتّى لَقَدْ أَقْطَعَ له بتُونِس من قُرَى الضّاحِية، فلَمْ يزلْ في إسْهامِه وإسْهام بَنيه من بَعْده إلى أن هلَكَ يحيى بنُ خالد بمكانِه عنْدَه سنةَ إحْدى وعِشْرين.

(أ) من ف وحدها.

(1) وتكسر الزاي والنون: زِعْنِفة – الطائفة من كل شيء.

## 116 • الخبرُ عن بَيْعة السّلطان أبي بَكْر بقُسَنْطِينَةَ على يَد الحاجب ابن عُمَر، وأَوَّلِيَّة ذلك.

لَمَّا نَهَضَ السّلطان أبو البَقاء إلى الحَضْرة، عَقَدَ على بجايَة لعبد الرّحمن بن يعقوب بن الخَلُوف مُضافًا إلى رئاسَتِه على قَوْمه، كما / كانوا [284 ب] يَسْتخْلِفُونَ أباهُ عليها عند سفرِهم عنها، وكان يُلَقَّبُ المِزْوَارَ، وجَعَلَهُ حاجِبًا لأخيه الأمير أبي بَكْر وأَنْزلَه مَعَه. ثمّ عقدَ بعدَ دُخوله إلى الحَضْرة للأمير أبي بَكْر على قُسَنطِينَة فانْتَقَل إليها. وَعَكَفَ السّلطانُ أبو البَقاء بتُونِس على لَذّاتِه، وأَرْهَفَ حَدَّهُ وَعَظُم بَطْشُه؛ فقَتَل عَدْوانَ بنَ المَهْدِي من رِجالات سَدْويكْش، وذَعّارَ بنَ حريز من رِجالات الأَثابِج. فتَفَاوَضَ رجالُ الدّولة في شَأنه وخَشَوْا بادِرَتَه، وأَعْمَلَ الحاجبُ ابنُ عمر وصاحبُه مَنصورُ بنُ فَضْل عاملُ الزّاب الحيلَةَ في التّخلُّص من إيالَتِه. واسْتَغْضَب راشدَ بنَ مُحمّد أميرَ مَغْراوَة، كان نَزَعَ إليهم عندَ اسْتيلاءِ بَني عبد الوادِ على وَطَنِهم [فتَلَقَّوْهُ][أ] من الكَرامة بما يُناسِبُه واسْتَقَرَّ في جُمْلَتِهم، وعليه وعلَى قَوْمه كانَتْ تدورُ رَحَى حُروبِهم.

واسْتَصْحَبه السّلطانُ أبو البَقاء خالدٌ إلى الحَضْرة أميرًا على زَناتَة، فرُفِعَ بعضُ حَشَمِه إلى الحاجِب في مَقْعَد حُكْمِه وقد اسْتَعْدَى عليه بعضُ الخَدَم، فأَمَر بقَتْله لحينِه، وَأَحْفَظَ ذلك الأميرَ راشدَ بنَ محمّد فركِبَ لها عَزائِمَه وقَوَّضَ خِيامَه لِحينه مُغاضِبًا، فَوَجَدَ الحاجبُ بذلك سبيلاً إلى قَصْدِه وتَمّتْ حِيلَتُه وحيلَةُ صاحِبه.

(أ) من ف. ظ: فتقلوه.

وأَهَمَّ السلطانَ شأنُ بجايَة ونَواحيها، وخَشِيَ علَيها من راشِد بما كان صديقًا مُلاطِفًا لعبد الرّحمن بن الخَلوف، وفاوَضَهُما فيمن يَدْفَعُه إليها فأشارَ عليه الحاجبُ بمَنْصور بن مُزْني، وأشارَ مَنْصورُ بالحاجِب، وتَدافَعاها أيّامًا حتىّ دَفَعَهُما جميعًا إليها. وَطَلَبَ ابنُ غمر من السّلطان العَقْدَ لأخيه أبي بكر على قُسُنْطِينَة فعَقَدَ له، ووَلَّى عَلِيَّ ابنَ عَمّه الحِجابَة بتونس نائبًا عنه، وفَصَلَ من / الحَضْرَة وَلحِق بقُسُنْطِينَة، وصُرِف منصورُ بنُ فَضْلٍ [أ 285] إلى عَمَله بالزّاب، فكانَ من خِلافِه ما نَذْكُرُ. وقام ابنُ غمر بخِدْمة السّلطان أبي بَكر فتَصرَّفَ في حِجابَته، ثمّ داخلَه في الانْتِقاض على أَخيه، وبدَت مخائِلُ ذلك علَيهم فارْتابَ لهم السّلطانُ أبو البَقاء، وأَحَسَّ عَلَى ابن غمر بارْتِيابه فلَحِقَ بقُسُنْطِينة.

وجَهَّز السّلطانُ أبو البَقاء عسْكرًا، وعَقَدَ عليه لظافِر مَوْلاه المعروف بالكَبير، وسَرَّحَه[أ] إلى قُسُنْطِينَة، فانْتَهى إلى بَاجَة وأَرَاحَ بها، إلى أن كان من أَمْره ما نَذْكُر. وبادَر ابن غَمر إلى المُجاهَرة بالخُلْعان، ودَعا مولانا السّلطانَ أبا بَكْر إليه فأجَابَه، وأَخَذَ له البَيْعَةَ على النّاس، فتَمَّتْ سنةَ إِحْدَى عَشْرة وسبع مائة، وتَلَقَّب بالمُتَوَكّل. وعَسْكَرَ بظاهِر قُسُنْطِينَة إلى أن بَلَغَه مُجاهرةُ ابن الخَلُوف بخِلافِهم كما نَذْكُره.

(أ) ظ: شرحه.

## 117 • الخَبَرُ عن استِيلاء السُّلطان على بجَايَة، ومَقتَلِ ابن خَلُوفٍ، وما كان من الإدارَةِ في ذلك.

كان يَعْقوبُ بنُ الخَلُوفِ ويُكْنى أبا عبد الرّحمن كبيرَ صِنْهاجَة [من](أ) جند السلطان الموطنين بنَواحي بِجَايَة، وكان له مكانٌ في الدّوْلَة وغَناءٌ في حُروبهم ودفاعِ عَدُوِّهِمْ. ولـمّا نَزَلَتْ عَساكِرُ بَني مَرِين على بِجَايَة مع أبي يحيى بن يَعْقوب بن عبد الحقّ سنةَ ثلاثٍ وسبع مائة، كان له في حُروبهم مقاماتٌ مذكورة وآثارٌ معروفة. وكان الأمير أبو زكرياء وابنُه يَسْتَخْلِفُونَهُ ببِجَايَة أزمانَ سَفرِهم عَنْها، وكان يُلَقَّبُ بالمِزْوَار. ولمَّا هَلَكَ خلَفَهُ في سَبيله تلك ابنُه عبدُ الرّحمن. واستَخْلَفَه السُّلطانُ أبو البَقاء خالدٌ على بِجايَةَ عندما نَهَضَ إلى تُونِس سنةَ تِسْعٍ، وأنْزَلَه بها. وكان طَموحًا / [285 ب] لَجوجًا(ب) مُدِلاًّ ببَأسِه وقَوْمِه ومَكانِه من الدّوْلة. فلمّا دعَا السّلطانُ أبو بَكْر لنفْسه وخلَع طاعةَ أخيه، وأَخَذَ لَهُ أبو عبد الرّحمن بن عمر البَيْعة على النّاس، وخاطَبُوه بأخذ البَيْعة له على من يَليه ببِجايَة وأَعْمالِها، فأبَى منْها وتَمَسَّكَ بدَعْوة صاحِبِه، وَنَفَسَ على ابن عُمَر ما تَحَصَّلَ له بذلك من الحظّ، فَجاهَرَ بخِلافِهم وجَمَعَ واحْتَشَدَ، وتَقَبَّضَ على صاحِب الأَشْغال عبدِ الواحد بن القاضي أبي العبّاس الغُماري وعلى صاحِب الدّيوان محمّد بن يَحيى القَالون مُصْطَنَعِ الحاجِب ابن عُمَر من أَهْل المَرِيّة، كان أَسْدَى إليه عندَ اجْتيازه به معروفًا، ورَحلَ إليه عندما استَوْلَى على الرّتْبة ببِجايَة فكَافَأه عن مَعْروفه، واصْطَنَعَه وألقَى عليه مَحبّته ورَقّاهُ إلى الرُّتَب، وَصَرَفَهُ في أعْمال

(أ) زيادة للربط (ب) من ف، وهو التمادي في العناد. ظ: لحوجا.

الجِبايَة وقَلَّدَه ديوانَ بِجايَة، فتقَبَّض عبدُ الرحمن بن الخَلُوف علَيْه وعلى صاحِبه، وجَمَعَ النّاسَ وأَعْلَنَ بالدَّعْوة للسّلْطان أبي البَقاء خالد.

وارْتَحَلَ السّلطان أبو بَكر من مُعَسْكره بظاهِر قُسُنْطِينَة وأَغَذَّ السَّيْرَ إلى بِجاية وَنَزَلَ مُطِلاًّ علَيها، واقْتَتَلَ النّاس عامّةَ يَوْمِهم، وشَرَطَ ابنُ الخَلُوفِ على السّلطان عَزْلَ ابن عُمَر، وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهم في ذلك، وكانَ الوَزيرُ أبو زَكرِيّاء بنُ أبي الأَعْلام من السّاعين في هذا الإِصْلاح بما كان له من الصِّهْر مع ابن خَلُوفٍ. وحين رجعَ إليه بامْتِناع السّلطان عن شَرْطه منَعَه من الرُّجوع إليهم وحَبَسَهُ عِنْده. وأَرْجَفَ أهلُ المُعَسْكر بالسّلطان وخَامُوا عن لِقاءِ صِنْهاجَة ومن مَعَهم من مَغْراوَة أهلِ الشَّوْكَةِ والعَصَبِيّةِ والعَديد والقُوَّة. وأَجْفَلَ السّلْطانُ من مُعَسْكره فانتُهِبَ، وأُخِذَتْ آلَتُهُ [286] / وسُلِبَ من كانَ في المعَسْكر من أَخْلاطِ النّاس.

ودَخَلَ السّلطانُ إلى قُسُنطينَة في فَلٍّ من عَسْكَرِه، وبَعَثَ ابنُ خَلُوفٍ عسكرًا في اتّباعِه، فوَصَلوا إلى مِيلَة فدَخلوها عَنْوَةً، ثمّ وَصَلوا إلى قُسُنْطينة فقاتَلوها أيّامًا ورَجَعوا إلى بِجايَة. وأقامَ السُّلطانُ واضْطَرَب أَمْرُه، وتَوَقَّعَ زحْفَ ظَافِرٍ إليه من باجَة. واتَّصلَ به أنّ أبا يَحْيى زكريّاء بنَ أحمد اللِّحْياني قَفَلَ من المَشْرق، وأنّه لمّا انتهَى إلى طَرابُلُس دعا لنَفْسه لِمَا وَجَدَ بإفريقيّة من الاضْطِراب، فبُويِعَ، وتَوَافَت إليه العَرَبُ من كلّ جِهَة. فرَأَى السّلْطانُ من مَذاهب الحَزْم أن يَبْعَثَ إليه بالحاجِب ابن أبي عبد الرّحمن بن عُمَر لِيَتَشِيدَ من سُلطانه ويَشْغَلَ أهل الحَضْرة عنه؛ فَوَرَّى بالفِرار عن السّلطان، وتَوَاطَأَ معه على المكْر بابن خَلُوفٍ في ذلك. ولَحِقَ

ابن عَمَر باللِّحياني واستَحَثَّه لملك تُونس وهَوَّنَ عليه الأَمْرَ. وغَدَا السّلطانُ عند فُصولِ ابن عَمَر على مَنازِله فكَبَسَها، وسَطَا بحاشِيَته، وَوَلَّى حِجابَتَه حُسَيْنَ(أ) بن إبراهيم بن أبي بَكْر بن ثابِت رئِيسَ أَهْل الجَبَل المُطِلّ على قُسَنْطينَةَ والقُلّ من كُتامَة، ويُعْرَفُ(ب) قَوْمُه بنَي تليلان، وكان قَدْ اصْطَنَعَهُ من قَبْل. وارْتَحَل بالعَساكِر إلى بِجايَة سنةَ ثِنْتَي عَشْرة، واسْتَخْلَف على قُسُنْطينَة عبدَ الله بنَ ثابت أخَا الحاجِب. وأُشِيعَ بالجِهات أنّ السّلطانَ تنَكَّرَ لابن عَمَر وسَخِطَهُ، وأنّه ذَهب إلى ابن اللِّحْياني واسْتَجَاشَهُ على الحَضْرة. وبلَغ ذلك ابنَ خلُوف، واسْتَيْقَنَ اضْطِرابَ حال السّلطان خالِدٍ بتُونِس، فَطَمِعَ في حِجابَة السّلْطان أبي بكر، وتَوَثَّقَ لنَفْسه منه بالعَهْد بمُداخَلَة عُثْمان بنِ سِباع بن شِبْل؛ / [286 ب] وعُثْمانَ بن سِباع بن يَحيى من رجالات الذَّوَاوِدَة، والوليّ يَعْقوب المَلاّرِي(1) من نَواحي قُسُنطينَة. وَأَغَذَّ السَّيْرَ من بِجاية، ولَقِيَ السُّلطانَ بفِيرْجِيوَة(2) من بلاد سَدْويكش، فلَقَّاهُ مَبَرَّةً ورُحْبًا، ثُمّ اسْتَدْعاه من جَوْف اللّيل إلى رِواقه في شَرْبٍ من مَواليه المغْلَوْجَى فعاقَرَهُمْ الخَمْرَ إلى أن ثَمِلَ، واسْتَغْضَبُوهُ ببَعْض النّزَعات فَغَضِبَ وأَقْذَعَ، فتَناوَلُوه طَعْنًا بالخَناجِر إلى أن قَتَلُوه وجَرُّوا شِلْوَهُ فطَرَحُوه بَيْنَ الفَساطِيط. وَتَقَبَّضَ على سائِر قَوْمه وحاشِيَته، وفَرّ كاتِبُه عبدُ الله بن هلالٍ فَلَحِقَ بالمَغْرب. وارْتَحَل السّلطان مُغِذًّا(ج) إلى بِجايَة فدَخلها على

(أ) ف: حسن (ب) ظ: تعرف (ج) ظ: مغد.

(1) الفارسية 89 - 90 - 164 نزيل ملارة.

(2) المصدر نفسه 182

حين غَفْلَةٍ واسْتَوَى على مُلْكِ أَبيه بالنّاحِية الغَرْبيّة واسْتَوْسقَ له أَمْرُها، وأقامَ في انتظار حاجِبِه ابن عُمَر، إلى أن كانَ من الأَمْر ما يُذْكَرُ (أ).

## 118 • الخبرُ عن مَهْلِكِ السّلطان أبي البَقاء خالدٍ، واسْتِيلاءِ السّلطان أبي يَحْيى بن اللحْياني على الحضْرَة.

كان السّلطانُ أبو البقاء خالدٌ بعدَ بَيْعَة السّلطان أبي بكر بقُسُنْطينَة قد اضْطَرَبَت أَحْوالُه، وجَهَّزَ العساكِرَ لِمُنازَلَة قُسُنْطِينَة وعَقَدَ علَيها لِمَوْلاه ظافِرٍ المعروفِ بالكبير. فعَسْكَر [بِبِجايَةَ] (ب)، وأَرَاحَ يَنْتَظِرُ أمرَ السّلطان. وكان أبو يَحيى زَكَرِيّاء بن أحمد بن محمّد اللّحْياني بن أبي محمّد عبد الواحِد ابن الشّيخ أبي حَفْصٍ قد بُويع بطَرابُلُس لما قَفَل من المَشْرق ورأى اضطِرابَ الأَحْوال، ووَفَدَ عليه هنالك الحاجِبُ أبو عبد الرّحمن بن عُمَر بهديّة من السّلطان أبي بَكْر، وأنّه مُمِدّه ومُظاهِرُه على شَأْنه، فأَحْكَمَ ذلك من عُقْدَته وشَدَّ من أَمْره. وتَوَافَتْ / إليه رجالاتُ الكُعوب أولادُ أبي اللّيل وغيرُهم، فبَايَعُوه واسْتَحَثّوهُ للحَضْرة، فارْتَحَل إليها. وبعثَ في مقدّمَته أولادَ أبي اللّيل ومعَهُم شيخُ دَوْلَته أبو عبد الله محمّد بن محمّد المَزْدوري، فأغذّوا السَّيْرَ إلى الحَضْرَة، وبَعث السّلطانُ إلى مَوْلاه ظافِرٍ بمكانِه من باجَة مُسْتَجيشًا به، فاعْتَرَضُوهُ قبلَ وُصوله وأَوْقَعُوا به، واعْتَقَلُوا ظافِرًا (ج). وصَبَّحُوا تُونِس ثامنَ جُمادى سنةَ إحْدى عشرة، ووَقَفُوا بساحَتها فكانَتْ هَيْعَةٌ بالبلَد، قُتِلَ فيها شَيْخُ الدّوْلة أبو زَكرِيّاء الحَفْصي. وغَدا القاضِي أبو [287أ]

(أ) ف: نذكر (ب) في ظ ب: بباجة، وهذا مستبعد (ج) من ف. ظ: ظافر.

إسْحاق بن عبد الرّفيع[1] على السّلطان، وكان متبوعًا صارمًا قَوِيَّ الشّكيمَةِ، فأغْراه بمُدَافعة العَدُوّ، فَخَامَ عن لقائه واعْتذَر بالمَرَض، وأشْهَدَ بالانْخِلاع عن الأمْر وحَلِّ البَيْعَة. ودخلَ أبو عبد الله المَزْدُوري القصرَ فاسْتَمْكَن من اعتِقاله.

ثمّ جاءَ السّلطانُ أبو يَحيى زَكريّاء بن اللِّحْياني على إثْره ثاني رَجب فبُويِعَ البَيْعة العامّة بظاهِرِهَا، ودَخَل إلى البلَد واسْتَولى عليها.

وَوَلّى على حِجابَتِه كاتِبَهُ أبا زَكريّاء يَحيى بن عليّ بن يَعْقوب، وعلى الأشْغال بالحَضْرة ابنَ عَمّه محمّد بن يَعقوب؛ وبَنو يَعْقوب هؤلاء أهلُ بيتٍ بِشَاطِبَةَ من بُيوت العِلْم والقَضاء، وقَدِمُوا إلى الحَضْرة مع الجَالِيَة، وكان مِنْهم أبو القاسِم عبد الرّحمن بن يَعْقوب، وَفَد مع ابن الأَمين صاحبِ طَنْجَةَ كَمَا قَدَّمْناهُ، وتَصَرَّف في القَضاء بإفريقيّة، ووَلاّهُ السّلطان المُسْتَنْصِر قضاءَ الحَضْرة، وسَفَرَ عنه إلى مُلوك مِصْر. وكان بنو عليّ هؤلاء عبدُ الواحِد ويَحيى ومُحمّد من أقاربه، فكان لهم ظُهورٌ في دَوْلَة السّلطان أبي حَفْص وبَعْدَها. وكان عبد الواحِد منهم صاحبَ جِبايَة الجَريد، وهلَكَ بتَوْزَر سنَةَ ثِنْتَيْن وسَبْع مائة. وكان السلطان أبو يَحيى بن / [287 ب] اللِّحْياني قد اسْتَكْتَب أخاهُ أبا زَكريّاء يَحيى أيّامَ رئاسَتِه على المَوَحّدينَ، فَحَظِيَ عنده واخْتَصّه ولازَمَه وحَجَّ معه. فلَمّا وَلِيَ الخلافةَ أَحْظَاهُ وَوَلاّه حِجابَتَه. ولمّا اسْتَقَرّ بتُونِس

---

(1) إبراهيم بن حسن بن علي بن عبد الرّفيع، تولّى قضاء الجماعة بتونس، وكان صارمًا في أحكامه حكم على ابن السلطان بالقتل في دم. له: معين الحكام على القضايا والاحكام، طبع. توفي في رمضان 733هـ. انظر الزركشي تاريخ الدولتين 144 – ابن فرحون: الديباج 1: 270.

واسْتَوْسَق له الأمْر، أَعَادَ الحاجبَ أبا عبد الرّحمن بن عَمَر إلى مُرْسِله السّلطان أبي يحيى بعد أن وَثَّقَ العَقْد معه على المُهادَنَة، وضَمِنَ له ابنُ عَمَر من ذلك مَا رَضِيَهُ. وتمَسَّكَ بابن عَمّه عليّ بن عَمَر فأَقَامَ عنْدَه مُكرَّمًا متّسِعَ الجرايَة والأسْهام، إلى أن كانَ من الأمر مايُذْكَر.

## 119 • الخَبَرُ عن قُدومِ ابن غَمَر[أ] على السُّلْطان ببِجايَة، ونَكْبَةِ ابن ثابِتٍ وظافِرِ الكبير.

لما قَدِمَ ابن غَمَر[ب] على بجاية اسْتَبَدَّ بحِجابَتِه و[كَفالَتِهِ][ج] كما كانَ، وليوْمِ وُصوله فَرَّ عبدُ الله بن هِلالٍ كاتبُ ابن خَلُوفٍ ولَحِقَ بتِلِمْسَان. وشَمَّرَ ابنُ غمر[ب] عَزائِمَهُ للاضطِلاع بأَمْرِه، وَدَفَعَ حسَنَ بنِ إبراهيم.....[بن][د] ثابتٍ عن الرُّتْبَة، فلَمْ يتَزَحْزَحْ لَه، وخرجَ لجبايَة الوَطن. ثمّ أَغْرَى به السّلْطانَ وحَذَّرَهُ من اسْتِبْداده بِقُسُنْطِينَة لمكان مَعْقَله المُجاوِر لهَا وسعاياتِ يَنْصَحُ[هـ] له بها، حتىّ صَادَفَتِ القَبولَ لمكانهِ والوُثوقِ بنَصائِحِه. وخرجَ السُّلطانُ في العساكِر من بِجايَة إلى قُسُنطِينَة سنة ثلاثَ عَشْرةَ للنّظر في أَحْوالها، فلمّا انْتَهَى إلى فِرْجِيوَة لَقِيَهُ عبدُ الله بنُ ثابِت فتَقَبَّضَ عليه وعلَى أخيه حَسن بن الحاجِب[و] سنةَ ثلاثَ عَشْرة وقَتَلَهما بعد أن اسْتَصْفَى أمْوالَهما. ويُقَال إنّه بعد خُروج حسَن بن ثابِت إلى أَعْمال قُسُنطِينَة بعثَ في إثْرِهِ بعضَ مَواليه وأَوْعَزَ مَعهم إلى عَبْد الكريم بن منْديل ورجالاتِ سَدْويكش فقتَلُوه بوَادِي القُطْن، وأنّ السُّلطان لم يُباشِر / نَكْبَتَهُ. [288

(أ) كذا في ظ وحدها بالغين، لحافظنا عليه، وفي ف: عمر (ب) ف: عُمر (ج) ظ: كفاله (د) سقط من الأصلين (هـ) ف: ينضَح. ونَضَحَهُ بالنبل رَماهُ به. وهو أكثر ملاءمة لمعنى السعايات (و) كذا هو لقب جدّه الحاجب ثابت.

وكان ظافِرُ الكبيرُ بعدَ انهزامِه وحُصوله في أَسْرِ العَرَب كما قَدَّمْنَاه، امْتَنَعُوا علَيْه وأَطْلَقُوه، ولَحِقَ بالسُّلْطان أبي بَكْر فآثَرَه واسْتَخْلَصَهُ كما كانَ لأخِيه، ووَلاَّهُ على قُسُنْطِينَة عندَ نَكْبَة ابن ثابِت، واسْتَكْتَبَ له أبا القاسِم ابنَ عبد العزيز لِخُلُوِّهِ من الأَدَوات. فأقامَ ظافِرُ وَاليًا بقُسُنْطِينَة، ثمّ اسْتَقْدَمَهُ السُّلطانُ إلى بِجايَة، وقد غَصَّ ابن غَمْر[أ] بمكانه فَأَغْرَى به السُّلطانَ، فتَقَبَّضَ علَيه وأَشْخَصَه في السَّفين إلى الأَنْدَلُس.

## 120 • الخَبَرُ عن مُنازلَة عَساكِر بَني عبد الوَادِ ببجايَة، وما كانَ في ذلك من الأَحْداث.

كان السُّلطانُ أبو يحيى بَعْد انهزامِه عن بِجايَة سنةَ عَشْرٍ بَعَثَ سعيدَ ابنَ يَخْلف من مَواليه إلى أبي حَمّو موسى بن عُثْمان بن يَغْمَرَاسِن، وكان قد أُتِيحَ له في زَناتة المَغرب الأَوْسَط ظَفَرٌ واعْتِزَازٌ، وتَمَلَّكَ أمصارَه من أَيْدي بَني مَرين بعد مَهْلِك يوسف بن يَعْقوب على تِلِمْسَان، وَدَوَّخَ جِهاتِه، واسْتَوْلَى على أَعْمال مَغْراوَةَ وتُوجِّين، ومَلَكَ الجزائِرَ واسْتَنْزَلَ منها ابنَ عَلاّن الثّائِرَ بها، ومَلَكَ تَدْلِس من يَدِ ابن خَلُوف. فبعَثَ إليه السُّلْطانُ في المُواصَلَة والمُظاهَرَة، وأن تكونَ يَدُهُما على ابن خَلُوف واحدةً. فَطَمِعَ لذلك موسَى بنُ عُثْمان في مُلْك بِجايَة، ثمّ بَلَغَهُ مَهْلِكُ ابنِ خَلُوفٍ واسْتِيلاءُ السّلطان على ثَغْره، فاسْتَمَرَّ على المُطالَبة، وادَّعَى أنّ بِجايَة له في شَرْطه. وقَارَنَ ذلك لَحاقَ صِنْهاجة إليه عند مَهْلك صاحِبِهم، فرَغَّبُوه في

(أ) ف: عمر.

وكان ظافِرُ الكبيرُ بعدَ انهزامِه وحُصوله في أَسْرِ العَرَب كما قدَّمْنَاه، امْتَنَعُوا علَيْه وأَطْلَقُوه، ولَحِقَ بالسُّلْطان أبي بَكْر فآثَرَه واسْتَخْلَصَهُ كما كانَ لأَخِيه، ووَلاَّهُ على قُسُنْطِينَة عندَ نَكْبَة ابن ثابِت، واسْتَكْتَبَ له أبا القاسِم ابنَ عبد العزيز لِخُلُوِّهِ من الأَدَوات. فأقامَ ظافِرُ وَالِيًا بقُسُنْطِينَة، ثمّ اسْتَقْدَمَهُ السُّلطانُ إلى بجايَة، وقد غَصَّ ابن غَمَر[أ] بمكانه فَأَغْرَى به السُّلطانَ، فتَقَبَّضَ علَيه وأَشْخَصَه في السَّفين إلى الأَنْدلُس.

## 120 • الخَبَرُ عن مُنازلَة عَساكِر بَني عبد الوَادِ ببجايَة، وما كانَ في ذلك من الأَحْداث.

كان السُّلطان أبو يحيى بَعْد انهِزَامِه عن بِجايَة سنةَ عَشْرٍ بَعَثَ سعيدَ ابنَ يَخْلف من مَواليه إلى أبي حَمّو مُوسى بن عُثْمان بن يَغْمَراسِن، وكان قد أُتِيحَ له في زَناتة الـمَغْرب الأَوْسَط ظَفَرٌ واعْتِزَازٌ، وتَمَلَّكَ أمصارَه من أَيْدي بَني مَرين بعد مَهْلِك يوسف بن يَعْقوب على تِلِمْسَان، وَدَوَّخَ جِهاتِه، واسْتَوْلَى على أَعْمال مَغْراوَةَ وتُوجِّين، ومَلَكَ الجزائِرَ واسْتَنْزَلَ منْها ابنَ عَلاّن الثّائرَ بها، ومَلَكَ تَدَلِس من يَدِ ابن خَلُوف. فبعَثَ إليه السُّلْطانُ في الـمُواصَلَة والـمُظاهَرَة، وأن تكونَ يَدُهُما على ابن خَلُوف واحدةً. فَطَمِعَ لذلك موسَى بنُ عُثْمان في مُلْك بِجايَة، ثمّ بَلَغَهُ مَهْلِكُ ابنِ خَلُوفٍ واسْتِيلاءُ السّلطان على ثَغْره، فاسْتَمَرَّ على الـمُطالَبة، وادَّعَى أنّ بِجايَة له في شَرْطه. وقارَنَ ذلك لَحاقَ صِنْهاجة إليه عنْد مَهْلك صاحِبِهم، فرَغَّبُوه في

(أ) ف: عمر.

مُلْك بِجاية وضَمِنُوا له أمرها. ثم قدِم عُثْمان بن سِباعٍ بن يَحيى مُغاضِبًا للسُّلْطان لِما كانَ من افْتِيَاتِه عليه / في ابن خَلُوف وإخْفارِ ذِمّتِهِ وعَهْده فيه، 288] واسْتَقَرَّ عنْده ابن أبي حَيّ منذ صَرْفِه عن الحِجابَة ورُجوعِه من الحَجّ، فرَغَّبُوهُ في ذلك واسْتَحَثُّوه لطَلَب بِجايَة، فسَرَّحَ العَساكِرَ إليها لنَظَرِ مُحمّد ابن عَمّه يوسف بن يَغْمَراسِن، ومَسْعود ابن عَمّه أبي عامِر إبراهيم، ومَوْلاهُ مُسَامِح، وبعثَ معَهما أبا القاسِم بن أبي حَيّ الحاجِبَ، ففَصَلوا عنه من دار مُقامَتِه بشَلَف فأغَذُّوا السَّيْرَ، وَهَلَكَ ابن أبي حَيّ في طريقه بجبل الزّان. ونَازَلُوا البلَدَ ثمّ جاوَزُوها إلى الجِهات الشَّرْقيّة فأَثْخَنُوا فيها، ودَخلوا جبَلَ ابن ثابِت واسْتَوْلَوْا عليه واسْتَبَاحُوهُ سنةَ ثلاثَ عَشْرة. ونالَتْ منهم الحامِيَةُ في المُدافَعة بالقَتْل والجِرَاحَة أعظَمَ النَّيْل، وقَفَلُوا راجِعِينَ. فشَيَّدوا حِصْن[أ] تَآصِفُّون[ب] وشَحَنُوه بالأقْوات. ولَمّا وصلَ مُحمّدُ بنُ يوسف ومُسامِحُ وبَّخَهُمَا وطَوّقَهما ذَنْبَ القُصورِ والعَجْز وعَزَلَهُمَا. وبَعَثَ السّلطان عسكرًا في البَرّ وأُسْطولاً في البَحْر بَعْد رُجوعِه من قُسُنْطِينَةَ سنةَ أرْبعَ عَشْرة لهَدْم حِصْن بَني عبد الوَاد بآصفُّون، فخُرِّبَ وانْتُهِبَتْ أَقْواتُه وَعُدَدُهُ.

وسَرَّحَ أبو حَمّو عسكرًا آخرَ لِحِصار بجاية عَقَدَ عليه لمَسْعود ابن عَمّه أبي عامِر بن إبراهيم بن يَغْمَرَاسِن، فنَازَلُوها سنةَ خَمْسَ عَشْرة. واتَّصَلَ بهم خُروجُ مُحمّد بن يوسف بن يَغْمَرَاسِن وبَني تُوجِّين مَعه على أبي حَمّو، وأنّهم أَوْقَعوا به وهَزَمُوه واسْتَوْلَوْا على مُعَسْكره، فأَجْفَلَ مَسْعودُ

(أ) ظ: حصنا (ب) الضبط والشكل من ظ ف.

ابنُ أبي عامِرٍ وعَسْكَرُه وأَفْرَجُوا عن بِجَايَة. وَوَصَلَ على إثْرِها خِطابُ مُحمّد بنِ يوسف بالطّاعة والانْحِياش، فبَعثَ السُّلطانُ إليه صَنِيعَتَه مُحمَّدَ بن الحاج فَضْل بالهَدِيّة والآلَةِ، / ووَعَدَهُ بالـمُظاهَرَة وتَسْويغ الأسْهام التي كانَتْ ليَغْمَراسِن بإفْريقيّة. وشُغِلَ بَنو عَبْد الوَادِ عن بِجايَة، وخرجَ السّلْطان في عَساكِره للإشْراف علَى وَطَنِه، إلى أن كانَ ما نَذْكُره. [289 أ]

## 121 • الخَبرُ عن اسْتِبْدادِ ابن غَمَر(أ) ببِجايَة.

لم يَزَلْ ابن غَمَر(أ) مُسْتَبِدًّا على السّلطان في حِجابَتِه يَرَى أنّ زِمامَه بيَدِه وأَمْرَهُ مُتوقّفٌ على إنْفاذِه، وصارَ يُغْرِيه بِبِطانَتِه فيَقْتُلُهم و[يُغَرِّبهم](ب)، ورُبّما كان السّلطان يَأْنَفُ من اسْتِبْداده علَيه. وداخَلَهُ بعضُ أَهْل قُسْنطينَة سنةَ ثلاثَ عَشْرَة في اغْتِيال ابن غَمَر(أ) فهَمُّوا بذلك ولَمْ يتِم. وَوَطَنَ لهم ابن غَمَر(أ) فأَوْقَعَ بهم وقَسّمَهم بَيْنَ النّكال والعَذاب فِرَقًا.

ثمّ رَجَعَ السّلطان إلى بِجايَة سنةَ ثلاثَ عَشْرَة لِمَا أَهَمَّهم من حِصارِها. واتّصلَت حالُه معهُ على ذلك النّحْو من الاسْتِبْداد إلى أن بَلَغَ السّلطانُ أَشُدَّهُ وأَرْهَفَ حَدَّهُ، وسَطَا بمُحمّد بن فَضْلٍ فقَتَلَه في خَلْوَة مُعاقَرَتِهِ من غَيْر مُؤامَرة الحاجِب. وبَاكَر ابن غَمَر(أ) مَقْعدَه بباب السّلطان فوجَدَ شِلْوَهُ مُلْقًى في الطّريق مُضَرَّجًا في ثِيابِه. وأُخْبِرَ أنّ السّلطانَ سَطَا به، فدَاخله الرّيْبُ من اسْتِبْداد السُّلْطان وإرْهافِ حَدّه، وخَشِيَ بَوادِرَه، وتَوَقَّعَ سِعايَةَ البِطانَةِ ونَجِيّ الخُلْوة، وتَحَيَّلَ في بُعْده عنه واستبدادِه بالثّغْر دُونَه. فأَغْراهُ

(أ) من ظ. ف: عمر (ب) ظ ف: يغريهم، كذا ولا معنى له، فافترضنا الأقرب.

بطَلَب إفريقيَّة من يَدِ ابن اللِّحياني، وجَهَّزَه بما يَصْلُح من الآلَةِ والفَساطِيطِ والعَساكِرِ والخُدّام ورَتَّبَ له المراتِبَ. وارْتَحَلَ السُّلطانُ إلى قُسُنْطِينَة سنةَ خمسَ عَشْرة، ثمّ تَقَدَّم غازيًا إلى بلاد هَوّارَة، وَأَجْفَلَ عنها ظافر..........(أ) قائدُها من مَواليهم فاسْتَوفَى جِبايَة هَوّارَة، وقَفَلَ إلى قُسُنْطِينَة سنةَ ستَّ عَشْرة. واسْتَبَدَّ ابنُ غَمر(ب) بِبجايَة ومُدافعةِ العَدُوِّ من زَناتة / عنها، [289 ب] واسْتَخْلَف على حِجابَة السُّلْطان مُحمّدَ بنَ القالون، وَقَرَّتْ عَيْنُه بما كان يُؤَمِّلُ من اسْتِبْدادِه، إلى أن كانَ من أَمْره ما نَذْكُرُ.

## 122 • الخَبَرُ عن سَفَرِ السّلطان أبي يَحْيى اللّحْياني [إلى](ج) قابِس وتجافِيه عن الخِلافَة.

كان هذا السّلطانُ أبو يحيى بن اللّحْياني قد طَعَن في السِّنِّ، وكانَ بَصيرًا بالسيّاسَة مجرّبًا للأُمور. وكان يَرَى من نَفْسه العَجْزَ عن حَمْل الخِلافَةِ واسْتِحْقاقِها مع أَبْناء الأَمير أبي زَكرِيّاء الأَكْبر. وَعَلِمَ مَع ذلك اسْتِفْحالَ صاحِب الثُّغور الغَرْبيّة الأميرِ أبي بكْر واسْتِغْلاظِ أَمْره بمن انْتَظَمَ في جُمْلَتِه وارْتَسَمَ في ديوانِ جُنْده مِنْ أَعْيَاصِ زَناتَة و[فحولِ](د) شُوْلهم من تُوجِّين ومَغْراوَة وبَني عَبْد الوادِ وبَنى مَرين، كانوا يَنْزَعُونَ إليه مع الأَيّام عن مُلوكهم خَشْيَةً على أَنْفُسِهم لما قَاسَمُوهم في النَّسَب وسَاهَمُوهم في يَعْسُوبيّة القَبِيل وفُحُوليّة(هـ) الشُّوْل؛ ومنهم من غُلِبُوا على مَواطِنهم

(أ) ظ ف: ظافر المزلعاطي، ولم أتبينه (ب) من ظ. ف: عمر (ج) من ف وحدها (د) من ف. ظ: فحون (هـ) ظ: فحولية.

ومَلَكُوهَا عليهم، مثل مَغْراوَة وبَني تُوجِّين ومليكش، فاسْتَكْثَفَ بذلك جُنْدُ السّلطان، وكَثُرَتْ جُموعُه وَهَابَهُ المُلوك.

ونَهَضَ سنةَ ستَّ عَشْرة إلى إفريقيّة، وجالَ في بلاد هَوّارَة وأَخَذَ جباياتِها كما ذكرْناه. فتَوَقَّعَ السُّلطان ابنُ اللِّحْياني زَحْفَه إليه بتُونِس، وكانت إفريقيّة مُضْطربَةً عليه، وكان تَعْويلُه في الحِماية والمُدَافعة على أَوْليائه من العَرب، تَوَلَّى منهم حَمْزَةُ بن عمر بن عليّ بن أبي اللّيل، فحَكَّمَهُ في أَمْره وأَشْرَكَهُ في سُلْطانه، وأَفْرَدَهُ برئاسَة العَرب وأَجَرَّه الرّسَنَ وَسَرَّبَ إليه الأَموال، وَكَثُرَ بذلك زَبونُ العَرب واختِلافُهم عليه، فاعْتَزَم على التّفويض[(أ)] عن إفريقيّة ونَفْض اليَدِ من الخِلافَة، فَجَمَعَ الأَموال والذَّخيرةَ، وباعَ ما كان بمودَعاتِهم من الآنِية والفَرْشِ والخُرْثيّ / والماعون والمَتاع، حتىّ الكُتُب [أ 290] التى كانَ الأميرُ أبو زَكرِيّاء الأَكْبر جمَعَها واسْتَجادَ أُصولَها ودَواوينَها أُخرِجَتْ للوَرّاقين فَبِيعَتْ بدَكاكِينهم. فجَمَع من ذلك - زعموا - قناطيرَ من الذّهب تجاوزَ العِشْرينَ، وجُوَالَقَيْن من حَصَى الدُرّ والياقوت. وخَرج من تُونِس إلى قابِس مُوَرّيا بمُشارَفَة عَمَلِها فاتحَ سبعَ عَشْرَة، بعد أن رَتّب الحامِيَةَ بالحَضْرة وباجَة والحَمّامات. واسْتَخْلَف بالحَضْرة أبا الحَسن بن وَانُّودِين. وانتهى إلى قابِس فأقامَ بها، وَصَرَّفَ العُمّالَ في جِهاتها، إلى أن كانَ من بَيْعة وَلَده بتونس، مما نَذْكرُه بَعْدُ.

(أ) كذا في ف ظ، ولعله التّقويض.

## 123 • الخبَرُ عن نُهوض السّلطان أبي بَكْر إلى الحَضْرة، ورُجوعِه إلى قسُنْطينَة.

لـمّا رجعَ السّلطان من هَوّارَة إلى قُسُنطِينَة سنَةَ ستَّ عَشْرة كما قَدّمناه، اسْتَبْلَغَ في جِهاز حَرَكةٍ أخْرَى إلى تُونِس، فاحْتَشَد وقَسَّمَ العطاءَ وأَزاحَ العِلَلَ، واعْتَرَضَ الجنودَ على طَبقاتِهم من زَناتَة والعَرب وسَدْويكْش، واسْتَخْلَفَ على قُسُنْطينة الحاجبَ محمّد بن القالون، وبعثَ إلى حاجِبه الأَعْظم أبي عبد الرّحمن بن غَمَر بمكانه من إمارَة بِجايَة في مَدَدِ المال للنّفقات والأَعْطِيات. فبعثَ إليه منصورَ بن فَضْل بن مُزْني عاملَ الزّاب. وكان ابن غَمَر لِـمَا رأَى من كِفايَته وأنّه جمّاعةٌ للمال، اسْتَضَاف له عملَ جَبل أوْراس والحُضْنَة وسَدْويكش وعياض وسائِر أعمال الضّاحِية، فكانَتْ أعمالُ الجِبايَة كلّها لنَظره، وأموالُها في حُسْبان دَخْلِهِ وَخَرْجِه. فبَعَثَا[أ] ابنَ غَمَر ليُقِيمَ إنْفاقَ السّلطان، واسْتَخْلَفَهُ على خُطّة حِجابَته.

وارْتَحَلَ السّلطانُ من قُسُنْطينة في جُمادى سنة سبعَ عَشْرة يَطْوِي المراحلَ، وَلَقِيَهُ في طريقه وُفودُ العَرب، وانتهَى إلى باجَة فانْفَضَّتْ حامِيَتُها إلى تُونِس. وكان السّلطانُ أبو يَحيى / اللِّحْياني قد خَرجَ عنها إلى قابِس كما [290] قَدّمناه، واسْتَخْلَفَ عليها أبَا الحسن بن وَانُّودِين. وبَعثَ إليه بنُهوض السّلطان أبي بكْر إلى تُونس، وأنّه مُحتاجٌ إلى المُدَافَعة، فاعْتَذَر لهم اللِّحْياني بما قَبلَه من الأحْوال، وأَطْلَق يدَهم في الجَيْش والمال فأَرْكَبُوا واسْتَلْحَقُوا ورَتّبوا الدّيوان، وأَخْرَجُوا ابنه محمّد ويُكْنَى أبا ضَرْبَة، فأَطْلَقُوه من اعْتِقاله.

(أ) في ظ ف: فبعثه، وأصلحت في ف.

وبَلَغَهُمُ الخبرُ بإشْراف السّلطان أبي بَكر على باجة، فخَرجوا جميعًا من تُونِس. وخالَفَهم إلى السّلطان مَوْلاهم ابنُ عُمر بن أبي اللّيل، كانَ مُضْطَغِنًا على الدّولة متَرَبِّصًا[أ] بها لَمَا كان اللِّحْياني يُؤْثِر علَيه أخاه حَمْزة، فَلَقِيَ السّلطانَ دُوَينَ باجَة فأَعْطاهُ صَفْقَتَه واسْتَحَثَّه. وَوَصَلَ إلى تُونِس فنزلَ رَوْضَ السّناجِرَة من رياض السّلْطان في شَعْبان من سنَة سبعَ عَشْرَةَ. وخرج إليه الملأُ وتَرَدَّدُوا في البَيْعة بعضَ الشئ، انتِظارًا لشأن أَبي ضَرْبَة وأَصْحابِه. وكانَ من خَبَرِهم أنَّ السّلطانَ لـمّا أَغذَّ السّيْرَ من باجَةَ بادَر حمزةُ بنُ عمر إلى بِطانة اللِّحْياني وأَوْليائه بتُونِس، فلَقِيَهم وقد خرَجوا عنها، فأشارَ عليهم ببَيْعة أبي ضَرْبَة ابنِ السّلطان اللِّحْياني ومُزَاحَمةِ القَوْم به، فَبَايَعُوه وزَحفُوا إلى لقاء السُّلطان. وَدَسَّ حَمْزةُ إلى أَخيه مَوْلاهم أن يَزْحَفَ بالـمُعَسْكر، فأَجْفَلَ السّلطان من مُقامَتِه برَوْض السّناجِرة لسَبْعة أيّامٍ من احتِلاله قبلَ أن يَسْتَكْمِل البَيْعَة. وارْتَحَلَ إلى قُسنْطِينَة، وَرَجَعَ عنه مولاهم من تُخوم وَطَنِه. وَسَرَّح مَنصورُ بن مُزْنِي إلى ابن غَمر[ب] ببجايَة، ودخلَ أبو ضَرْبَة بنُ اللِّحْياني والـموَحّدونَ إلى تُونِس مُنتصفَ شَعْبان من سَنَتِه، وبُويِعَ بالحَضْرة البَيْعَةَ العامَّةَ، وتلَقَّبَ الـمُسْتَنْصِرَ. وأَرَادَ أهلَ تُونِس على إدارةِ سورٍ بالأَرْباضِ يَكونُ سِياجًا عليها، فأَجَابُوه إلى ذلك وشَرِعَ فيه. وأَرْهَقَهُ العَرَبُ في مَطالبهم واشْتَطُّوا عليه في شُروطِهم إلى أن عاوَدَ مولانا السُّلْطانُ / حركَتَه كما نَذْكر. [129]

(أ) ف: مُرْتبصًا (ب) من ظ، ف: عمر.

## 124 • الخَبَرُ عن اسْتيلاءِ السُّلْطان أبي بَكْر على الحَضْرة، وإيقاعِه بأبي ضَرْبَة، وفِرارِ أَبيه من طرَابُلس إلى المَشْرق.

لما قَفَلَ السّلطانُ من تُونِس إلى قُسُنطِينَة، بعث قائدَه محمّد بن سيّد النّاس بَيْن يَديه إلى بِجايَة، فارتابَ ابنُ غَمَر بوُصوله وتَنكَّر له، وشَعَرَ بذلك السّلطان [فَأَغْضى](أ) له عَنْها، وطَلَبَه في المَدَدِ، فاحْتَفَلَ في الحَشْدِ والآلَةِ والأَبْنِيَة، وبعث إليه سبعةً من رجال الدّوْلة بسبْعَة عَساكِر، وهم: محمّدُ بنُ سيّد الناس، ومحمّد بن الحكيم، وظافرُ السّنان، وأَخُويْ من مَوالي الأَمير أبي زَكرِيّاء الأَوْسط، ومُحمّد البطوني، ومُحمّد المَدْيوني، ومُحمّد المَخرسي. وبَعثَ له من فُحولِ زَناتة وعُظمائِهم: عبدَ الحقّ بن عُثمان، من أَغْياص بَني مَرين، كان ارْتَحل إليه من الأَندلس، كما نَذْكُر في خَبَره. [وأَبا رشيد بن مُحمّد بن يوسف](ب) من أَغْياص بَني عبد الوَادِ فيمَنْ كانَ مَعهم من قَوْمهم وحاشِيَتِهم. وتَوَافَوْا بعَساكِرهم عند السّلطان بقُسُنطينَة، فاعْتَزَمَ على مُعاوَدة الزّحْف إلى تُونِس، وكان قد خَبَرَ أَحْوَالَ إفريقيّة وأحسنَ في ارْتيادِها(ج). فخرجَ في صفَر من سنة ثمانِ عَشْرة، واستَعْمل على حِجابَتِه أبا عبْد الله بن القالون، ويُرادِفُه أبو الحسن بن غَمر(د). [و](هـ) وَافاهُ بالأُرْبُس وَفْدُ هَوّارَة وكبيرُهم سلَيْمان بنُ جامع، وأَخْبروه بأنّ أبا ضَرْبَة ابنَ اللّحْياني أَجْفَلَ من باجَة بعدَ أن نزلَها مُعْتَزِمًا على اللّقاء. فارْتَحَلَ مولانا السّلطانُ مُغِذًّا، ولَقِيَه مَوْلاهم بن عمَر(د)، فراجَعَ الطّاعَةَ. وارْتَحلوا

(أ) من ظ . ف: فأعفى (ب) من ف، وسقط من ظ (ج) سقطت الراء من ظ (د) ظ: غمر
(هـ) من ف.

في اتّباع أبي ضَرْبَة وجُموعِه حتّى شارَفُوا القَيْروان، فخرج إليه عامِلُها ومَشْيَختُها فألْقَوْا إليه باليَدِ وأعْطَوْا الطّاعَة. وارْتحَلَ السّلطانُ راجِعًا عن [اتّباعِ](أ) عَدُوّه إلى الحَضْرة، وقد تركَ بها أبو ضَرْبَة بن اللّحْياني من بطانَتِهِ مُحمّدَ بنَ الفلاّق ليُمَانِعَ دُونَها، فأَخْرَجَ الرُّماةَ إلى ساحَتِها، وقاتَلَ العساكرَ ساعةً من نَهارٍ / ثمّ اقْتَحَمُوها عليه، واسْتُبيحَ عامّةُ أرْباضِها، [291 ب] وقُتِل ابنُ الفَلاّق، ودخلَ السّلطانُ إلى الحَضْرة في رَبيع من سنتِه، فأقَامَ خِلالَ ما انعقدت البَيْعةُ العامّةُ. وقَدّمَ على الشُّرْطة مَيْمونَ بن أبي زَيْد واسْتَخْلَفَهُ على البلَد، ورَحَلَ في اتّباع أبي ضَرْبَة بن اللّحْياني وجُموعِه فأوْقَعَ بهم بمَصّوح من جِهات بلاد هَوّارَة، وقُتِلَ من مَشْيخة المَوَحّدينَ أبو عبد الله بن الشّهيد، من أَهْل البَيْت الحَفْصِي، وأبو عبد الله بن ياسِين، ومن طَبقَة الكُتّاب أبو الفَضْل البِجائِيّ. وتُقُبِّضَ على شيّخ الدّولة أبي محمّد عبد الواحد بن يَغْمور، وقِيدَ إلى السّلطان فَعفَا عنه ونَوّهَهُ[1] ليَوْمِه، ثمّ أعادَهُ إلى خُطّته بعدَ ذلك. ورجعَ السّلطانُ إلى تُونِس في رجب من سنَتِهِ.

وكان السّلطان أبو يحيى بن اللّحْياني لـمّا بلَغه الخبَرُ بنُهوض السّلطان إلى تُونِس حَرَكَتَهُ الثّانية سنةَ سبْعَ عَشْرة، وما كان من بَيْعة المَوَحّدين والعَرب لابْنه أبي ضَرْبة، ارْتحَل من مُقامَتِه بقابِس إلى نَواحي طَرابُلس. ثمّ بَلَغَهُ رجوعُ السّلطان إلى قُسُنْطِينَة فأَوْطَن طَرابلُس، وبَنى مَقْعد المَلِكَة لِسُور البَلَد ممّا يَلي البَحْر، سمّاه الطّارِمة. وبَعثَ العُمّال في الجِهات لِجبايَة

(أ) ظ: إيقاع.

(1) نَوّه الشيء تنويهًا: رفعه.

الأمْوال، وبعثَ على جِبال طَرابُلس أبا عَبْد الله بن يَعْقوب قريبَ حاجِبه، ومعه هَجْرَس بنُ مُرْغِم كبيرُ الجواري من دَبّاب، فَدَوَّخَ البلادَ وَفَتَحَ المعاقلَ وَجَبَى الأموالَ، وانتهَى إلى بَرْقة، واسْتَخْدَم آلَ سالم وآلَ سليمان من عَرب دَبّاب، ورَجعَ إلى سُلطانه بطَرابُلس. ووَافاهُ الخبرُ بانْهزام أبي ضَرْبَة ابنِه فبَعثَ حاجِبَه أبا زَكرِيّاء بنَ يعقوب ووَزيرَه أبا عبد الله بنَ ياسين بالأَمْوال لاحْتِشاد العَرب، ففَرَّقُوها في عَلاّق ودَبّاب. وزَحف أبو ضَرْبَة إلى القَيْروان، وبلَغَ الخبرُ إلى السّلطان أبي بكر فخَرج من تُونِس آخرَ شَعْبان من سنة ثمانٍ / عَشرة، فأَجْفَلُوا عن القَيْروان، ثمّ تَذَامَرُوا [292 وعَقَلُوا رَواحِلَهم مُسْتَمِيتِينَ بزَعْمِهِم حتّى أَطَلَّتْ عليهم العَساكرُ بمكانٍ فَجِّ النّعام[أ] فانفَضَّتْ جموعُهم وشُرِّدَتْ رَواحِلُهم، وارْتَحلوا مُنْهزمينَ والقَتْلُ والنّهْبُ يأخذُ منهم مَأْخذَه. ولَجَأَ أبو ضَرْبَة في فَلِّه إلى المَهْديّة وكانوا مُقيمِينَ على دَعْوة أَبِيه، فامْتَنَعَ بها، إلى أن كان من شَأْنه ما نَذْكُرُه.

وبلَغ الخبرُ إلى أَبيه بمكانِه من طرابُلُس فاضْطَرَبَ مُعَسْكَرُه، وبعثَ إلى النّصارَى في أُسْطولٍ يَحْمِلُهُ إلى الإسْكَنْدريّة، فوَافَوْهُ بستّة أساطيلَ فاحْتَمَلَ أهْلَه ووَلَدَه ورَكِبَ البحْرَ ومعهُ حاجِبُه أبو زَكَرِيّاءَ بن يعقوب إلى الإسْكَنْدرِيّة. واسْتَخْلَفَ على طَرابُلس أبا عبد الله بن أبي عِمْران من ذَوِي قَرابَتِه وصِهْره، فلَمْ يزلْ بها إلى أن اسْتَدْعاه الكُعوبُ ونَصَبُوه للأَمْر، وأَجْلَبوا به على السّلطان مِرارًا كما نَذْكُرُه بَعْد.

(أ) ف: الفعام.

وركبَ السّلطانُ أبو يَحيى بن اللِّحْياني البحرَ إلى الإسْكنْدَرِيّة، فنَزَلَ بها على السّلطان محمد بن قَلاوون من مُلوكِ التُّرْك بمِصْر والشّام، واسْتَقْدَمَه إلى مِصْر فعَظَّم من مَقْدَمه واهْتَزَّ للقائِه، ونَوّه من مجلسه، وأسْنى من جِرايَته وإقْطاعِه، إلى أن هَلَكَ سنةَ ثمانٍ وعشرين.

ورجعَ السُّلطان أبو بَكْر إلى تُونِس بعد الواقِعَة على أبي ضَرْبة وقَوْمِه بفَجّ النَّعام، فدَخلَها في شوّال من [سنَتِه][أ]، واستقامَتْ إفريقيّة على طاعَتِه، وانْتَظَمَتْ أمْصارُها وثُغورُها في دَعْوته. إلاّ المَهْدِيّة وطَرابُلُس كما ذكَرْناه، إلى أن كانَ ما يأتي ذِكْرُه.

## 125 • الخبرُ عن مَهْلِكِ الحاجب ابن غَمَر ببجايَة، وولايةِ الحاجبِ مُحمّد بنِ القالون عليها، ثمّ الإدالة منْه بابن سَيّد النّاس.

كانَ الحاجبُ ابن غمر لمّا اسْتَبَدّ ببِجايَة سنةَ خمسَ عَشْرة، وانْتَقَلَ السُّلْطان إلى قُسُنْطينَة ولم يُرَاجِعْها بعدُ. ثمّ لمّا رَجعَ من تُونِس ثانية حَرَكاتِه سنةَ سبعَ عَشْرة، صرَفَ إليه مَنْصورَ بنَ فَضْل،/ وبَعث في إثْره [292 ب] قائدَه أبا عبد الله مُحمّد بنَ حاجبِ أبيه أبي الحُسَين بن سَيّد النّاس يُهَيِّئُ قُصورَه ببجايَة للتّحَوُّلِ إليها. فرَدَّهُ ابنُ غَمَر وتَنَكَّر، وطالَبَه السّلْطانُ في المَدَدِ فبادَرَ به فَأَقْطَعهُ جانبَ الرِّضى، وَعَقَدَ له على بجايَة وقُسُنطِينَة، كما ذكَرْنا ذلك كلَّه [قَبْل][ب]. فاسْتَبَدَّ ابنُ غَمَر بالثّغر وما إليه من الأَعْمالِ،

(أ) ف. ظ: سنة (ب) من ف.

مُقْتصِرًا على ذِكْر السّلطان في الخُطْبَة واسمِه في السِكّة. وأقامَ على ذلك إلى أن ملَكَ السّلطانُ [تونِس](أ) واسْتَوْلَى على جِهاتِها. وبعثَ إليه بابْن عَمّه علي بن مُحمّد بن عمر فعَقَدَ له أبو عبد الرّحمن الحاجِبُ على قُسُنْطِينَة فمَضى إليها، وهو في خِلال هذا كلّه يُدَافع عساكِرَ زَناتَة عن بِجايَة. وقد كان أبو حَمُّو صاحبُ تِلِمْسان بعَد ظُهوره على مُحمّد بن يوسف واسْتِرْجاعِه بلادَ مَغْراوَة وتُوجِّين من يَدِه، كما قَدّمناهُ، يُسَرِّبُ العساكِرَ لِحصارِها، وابْتَنَى بالوَادي على مَرْحلتين مِنْها قَلْعَةَ بَكْر، يُجَمِّرُ بها الكَتائِبَ لِحصارِها.

ثمّ هَلَكَ أبو حَمُّو ووَلِيَ ابْنُه أبو تَاشَفِين من بَعْده سنةَ ثمانِ عَشْرةَ، فتَنفَّس مُخَنَّقُ(ب) الحِصار عن بِجايَة رَيْثَما كانت حركةُ السّلطان إلى تُونِس وفَتْحِها. ثمّ خرجَ أبو تَاشَفِين من تِلِمْسَان لتَمْهيد أَعْمالِه وقَتْل مُحمَّد بن يوسف بمَعْقَلِه من جبَل وانْشَرِيس كما نَذْكُره في أَخْبارِهم، فارْتَحَل من هُنالك غازيًا إلى بجاية، فأَطَلَّ عليها في سنة تسعَ عَشْرةَ، وبَدَا له من حِصْنِها وكثرة مُقَاتِلَتِها وامْتِناعِها مالم يَحْتَسِبْ، فانْكَفَأَ راجعًا إلى تِلِمْسَان. وأَصَابَ ابنَ غَمر المرَضُ، فبَعَثَ عن عليٍّ ابن عَمّه من مَكان عَمَلِه بِقُسُنْطِينَة، وعَهِدَ إليه بأَمْره والقِيامِ بولايَة بِجايَة إلى أن يَصِلَ أمرُ السّلطان، وهَلَكَ لأيّامٍ على فِراشِه في شوّال من سنَة تسعَ عَشْرة. وقام عليّ بن غَمر بأَمر بِجايَة، واتّصل الخبرُ بالسُّلْطان فأَهَمَّهُ شَأْنُ الثّغر، وطَيَّرَ ابنَ سَيّد النّاس إليه مع قَهْرمانَةِ دارِه لتُحَصِّلَ(ج) تُراثَه والبَحْث عن ذَخيرته. فاسْتَوْفَى من ذلك فوقَ الكَثْرة من الصَّامِت والذَّخيرَة، وقَدِمَ بِهِ على السّلطان. واسْتَقْدَم

(أ) من ف وحدها (ب) ظ: محيق (ج) ف: لتحصيل.

[293 أ] / معه عليَّ بنَ غَمر، فَأَوْلاَه السّلطانُ مِنْ [رِضاه][أ] ما أَحْسَبَ أَملَه. وأَقامَ بالحَضْرة إلى أن كان منه خلافٌ مع ابن أبي عِمْران، ثُمّ راجعَ الطّاعةَ وقد أَحْفَظَ السّلطانَ بولاية عَدُوِّهِ، فلمَّا عادَ إلى تُونِس أَوْعَزَ إلى مَوْلاهُ نجاحٍ - [وهَلَكَ][ب] بقَتْله - فاغْتَالوهُ خارجًا من بُسْتانِه [فأشوَوْهُ][ج]، وَهَلَكَ من جِراحَتِه.

## 126 • الخبرُ عنِ إمارَة الأمير أبي عبد الله على قُسُنْطِينَة، وأَخيه الأميرِ أبي زكريّاء على بجايَة، وتوْليةِ ابن[ج] القالون على حِجابَتها.

لـمّا هَلَكَ ابنُ غَمَر أَهَمَّ السّلطانَ شَأْنُ بِجاية، لِمَا كانت عليه من حال الحِصارِ ومُطالَبةِ بَنى عبد الوادِ لَها. فرأى أن يُكَثِّفَ الحامِيَةَ بالثّغور الغَربيّة، ويُنْزِلَ بها أبناءَه للمُدافَعة والحِمَاية. وعَقَدَ على قُسُنطينَة لابْنه الأميرِ أبي عبد الله، وعَقَدَ على بِجايَة لابْنه الآخَر الأميرِ أبي زَكرِيّاء، وجَعَلَ حِجابَتَها لأبي عبد الله بن القالون مُستبِدًا عليهما[د] لمكان صِغَرِهِما، وأَكْثَفَ له الجُنْدَ، وأَمَرَهُ بالـمُقام ببجايَة لـمُمانَعَتِها من العَدُوّ المُلِحّ على حِصارِها. وارْتَحَلُوا من تُونِس فاتِحَ سنةِ عشرِينَ في احْتِفال من العَسْكر والصِّحاب والأُبَّهَةِ. وأَبْقَى خُطّةَ الحِجابَة خِلْوًا مِمّن يَقُومُ بها إبقاءً على ابنِ

(أ) ظ ف: رماه، والأرجح أنّه تصحيف سببه صغر حجم الضاد الذي رُسم قريبا من الميم (ب) كذا من ف محقّقًا. وحرّف ناسخُ ظ الكلمة إلى: "هلال" فأربكَ النصّ (ج) كذا صريحًا في ف. وحوّل ناسخ ظ السنّ الأول من الشين إلى ميم فصُحّفت إلى: فامتنوه (د) سقط من ف (هـ) من ف. ظ: عليها.

القالون، وبقِيَ للتَّصرُّف في الأُمور من رجالات السّلطان أبو عبد الله مُحمّد بن عبد العزيز الكُرْدي الملقّب بالمِزْوَار، وكان مُقَدَّما على بِطانَة السُّلْطان المعروفينَ بالدَّخْلَة، وعلى الأَشْغال الكاتبُ أبو القاسِم بنُ عبد العزيز، وسَنَذْكُرُ أَوّلِيّتَهما بعدُ. وانْصَرَفَ إلى بِجاية رافِلاً في حُلَل العِزّ والتّنْويهِ، إلى أن كانَ من أَمْره ما نَذْكُرُهُ[أ].

## 127 • الخبرُ عن اسْتِقْدام ابن القالونِ، والإِدالَةِ منه بابن سَيّد النّاس في بِجايَة، وبظافِرِ الكبيرِ في قسُنْطِينَة.

لـمّا انْصَرَفَ أبو عبد الله بن يَحيى بن القالون إلى بِجاية، وَخلاَ وَجْه السّلطان فيه لبِطانَتِه عندَ وِلايَتِه بجايَة،/ بَثُّوا فيه السّعاياتِ ونَصَبُوا له
[293 ب] الغَوائِلَ[1]، وَتَوَلّى كِبْرَ ذلك المِزْوارُ ابنُ عبد العزيز بمُداخَلَة أبي القاسِم ابن عبد العزيز صاحبِ الأَشْغال، وعَظُمَتْ السّعايَةُ فيه عند السّلطان حتّى داخلَتْه فيه الظِنَّةُ. وعقَدَ لمحمّد بنِ سَيّد النّاس على بِجايَة، نَقَلَهُ إليها من عَملِهِ بباجَة، وكتبَ له عهْدَه بخَطّه.

واسْتَقْدَم حاجِبَه مُحمّد بن القالون فَقَدِمَ وقد تَغَيَّرَ له السّلْطان. ودخلَ ابنُ سَيّد النّاس بجايَةَ وقام بأمر حِصارِها وحِجابَة أَميرِها إلى أن اسْتُقْدِمَ للحِجابَةِ، وكان من أَمْره ما نَذْكُرُهُ. ومَرّ ابنُ القالون بِقُسُنْطِينَة في

(أ) ف: نذكر.

---

(1) جمع غائلة، وهو الحقد الباطن والشرّ والدّاهية.

طَريقه إلى الحَضْرة، فحَدَّثَتْهُ نفسُه بالامْتِناع بها، ودَاخَلَ مَشْيَخَتَها في ذلك فأبَوْا عليه، فَأَشْخَصَهُم إلى الحَضْرة نَكالاً بهم. ونَمَا الخبرُ بذلك إلى السّلطان فأَسَرَّها لابن القالون، و[إعْتَزَمَ](أ) على اسْتِضافَة الحِجابَة بقُسَنْطينةَ لابن سَيّد النّاس، فاسْتَعْفَى مَشْيَخَتَها من ذلك، وأَرَوْهُ أنّ ابنَ الأمير قريبُه وابنُ أخيه، وذكّروه ثورةَ أبيه، فَأَقْصَرَ عن ذلك، وصَرَفَ اعْتزامَه إلى مَولاه ظافرِ الكبير، وذلك عندَ قُدومه من المَغرب. وكان من خَبَره أنّه كانَ من مَوالي الأميرِ أبي زَكرِيّاء، وكان له في دَوْلَة ابنِه السّلطان أبي البَقاء ظُهورٌ، وهو الذي زَحفَ بالعساكِر عندَ ما اسْتَرَابَ السّلطانُ أبو البَقاء بأخيه السّلطانِ أبي بَكْر، فأقامَ بباجَة، وجاءَ المِزْدُورِي والعربُ إلى تُونِس في مُقَدّمة ابنِ اللّحْياني، فزَحَفَ إليهم ففَضُّوهُ وتَقَبَّضُوا عليه، كما ذكَرْنا ذلكَ كلَّه، ثمّ لَحِق بعدَها بمولانا السّلطانِ أبي يحيى، وأعادَه إلى مَكانه من الدّوْلة، ووَلاّهُ قُسَنطينةَ عند مَهْلِك ابن ثابتٍ سنةَ ثلاث عَشْرَة. ثمّ غَصَّ به ابن عُمَر وأغرَى به السّلطانَ فأشخَصَه في السَّفين إلى الأَنْدَلُس، وأجازَ إلى المَغرب، ونزلَ على السّلطان أبي سَعيد إلى أن بَلَغَه الخبرُ بمَهْلِك ابن عُمر فكَرَّ راجِعًا إلى تُونِس، وَلَقَّاهُ السّلطانُ مَبرَّةً وتكريمًا. / وَوَافَقَ ذلك وصولَ الحاجِب ابن القالون من بجايَة، فعقَدَ [294 أ] السّلطان لظافرِ هذا على حِجابَة ابنِه بِقُسَنْطِينَةَ الأميرِ أبي عبد الله، فقَدِمَها وقام بأَمرِها، واستَعْمَل ذَويه وحاشِيَتَهُ في وُجوه خِدْمَتِها، وصرَفَ من كانَ هُنالِكَ من الخُدّام أهلِ الحَضْرة إلى بَلَدِهم. وكان بها أبو العبّاس ابن ياسين مُتَصرّفًا بين يدَي الأميرِ أبي عبد الله، والكاتِبُ أبو زَكرِيّاءَ بنُ

(أ) ظ ف: أعزم.

الدّباغ على أَشْغال الجِبايَة، وكانا قَدِمَا من الحَضْرة في رِكابِ الأَمير أبي عبد الله، فَصَرَفَهما القائِدُ ظافِرٌ لحين وُصوله، واسْتَقلَّ بأَمْره، إلى أن كانَ ما يُذْكَرُ(أ).

## 128 • الخبرُ عن ظُهور ابنِ أبي عِمْرانَ، وفرارِ ابن القالون إليْه.

كان محمّدُ بنُ أبي عمرانَ هذا من عَقِبِ أبي عِمْران موسى بن إبراهيم ابن الشّيخ أبي حَفْص. وهو الذى وَلِيَ إفريقيّة نائبًا عن أبي محمّد عبد الله ابن عَمّه الشّيخ أبي محمّد عبد الواحِد، كَتَبَ له بها من مَرَّاكُش لأوّل وِلايَتِه، فأَقَامَ واليًا عليها ثمانيةَ أشْهرٍ إلى أن قَدِم آخرَ سنةِ ثلاثٍ وعشرين وسِتّ مائة. وأَقَامَ أبو عِمْران هذا في جُمْلَتهم إلى أن هَلَكَ، ونَشَأَ بَنوهُ في ظِلّ دَوْلَتهم، إلى أن كان من عَقِبه أبو بَكْرٍ والدُ محمّدٍ هذا، فكان له صيتٌ وذِكرٌ. وكان السّلطانُ أبو يحيى زكريّاء بن اللّحْياني قد رَعَى له ذِمّةَ قَرابَتِه، ووَصَلَهُ بصِهْرٍ عَقَدَه لابْنه محمّد على ابْنَتِه، واسْتَخْلَفَه على تُونِس عندَ خُروجه عنها، ثمّ اسْتَخْلَفَه على طَرابلُس عند رُكوبه السّفينَ إلى الإسْكندريّة. وكان أبو ضَرْبَة بعد انْهزامِه وافتراق جُموعه اعْتَصم بالمَهْديَّة، ونازَلَه بها السّلطانُ أبو بكر فامْتَنَعَتْ عليه وأَقْلَعَ عنها على سِلْمٍ عقَدَه لأبي ضَرْبَة. وأقامَ حمزةُ بن عمر في سبيل خِلافِه على السّلطان يَتَقَلَّبُ في نَواحي إفريقيّة حتّى عَظُمَ زَبونُه على السّلطان، ونَزَعَ إليه الكثيرُ من الأَعْرابِ وكَثُرتْ جُموعُه، فاسْتَقْدَمَ محمّدَ بنَ أبي عِمران من / مَكانِ ولايَتِه بثغر [294]

(أ) ف: نذكر.

طَرابُلس، وزَحَفَ إلى تونِس [مُقَارِضًا][أ] للسُلْطان قبلَ اجْتماعِ عَساكِره وكَمالِ تَعْبئته، فخَرَجَ السّلطان أبو بَكْر عن تُونِس في رَمضان سنَةَ إحْدَى وعشرين ولَحِقَ بِقُسُنْطِينَة، وصَحِبَهُ[ب] إليها مولاهم ابنُ عمر. وكان الحاجِبُ محمد بن يحيى بن القالون قد أغَصَّتْهُ البِطانَةُ والحاشِيَةُ بالسِّعاية فيه عند السّلطان، وتَبَيَّن له انْحرافه عنه. وكان مُعزُّ بن مُطاعِن الفَزاريّ وزيرَ حَمْزَة ابن عمر وصاحبَ شوراهُ صديقًا للقالون[ج] ومُخالصًا[د]، فَدَاخَلَه في الإجْلابِ بابن أبي عِمْران. فلمّا خرجَ السُّلطانُ أمامَ زَحْفهم تَخَلَّفَ القالونُ بتُونِس، ورَكِبَ من الغَدِ في البلَد مُناديًا بدَعْوة ابن أبي عمران. ودخلَ محمّد بن أبي عِمْران ثانيَةَ خُروجِ السّلطان واسْتَوْلَى على الحَضْرَة، وأقام بها بَقِيّة سنَته وصدرًا من الأُخرى. ولَحِقَ السّلطانُ بقُسُنْطِينَةَ فجمعَ عساكِرَه واحْتَشَد جموعَه وأَزَاحَ العِللَ واسْتَكْمَل التَّعبِئَةَ، وزَحفَ منها في صفَر سنةَ ثِنْتَيْن وعِشْرين. وخَرَجَ ابنُ أبي عمران للقائِه مع حَمْزة بن عمر في جُموع العَرب، فلَقِيَهم السّلْطان أولَى وثانية بالرّجلة[هـ] وأَوْقَعَ بهم، وقَتَلَ شيخَ المَوَحِّدين أبا عبد الله بن أبي بكر [وكان][و] على مُقَدَّمَتِهم، ومحمّدَ بنَ مَنصور بن مُزْنِي وغيرَهم، وأَثْخَنَت العَساكِرُ فيهم قتلاً وأسْرًا، وكان للسّلطان فيها ظُهورٌ لا كِفاءَ له. ثمّ تَقَبَّضَ على مَوْلاهم بن عمر، فكان من خبره ما نَذْكُرُهُ[ز].

(أ) من ف، بمعنى مقاطعًا. ظ: مفارضا (ب) ف: صحب (ج) اقتصر على اللقب لتعريف المعنيّ ابن القالون، ويتكرر هذا بعد (د) من ظ وحروفها مهملة. ولعل الأوجه ما في ف: ومُجالِسًا (هـ) الجيم مهملة في ف (و) من ف (ز) ف: نذكر.

# 129 • الخبرُ عن مَقْتَل مَوْلاهُم بنِ عمَر وأَصْحابِه من الكُعوبِ.

لمّا أُتِيحَ للسّلطان من الظُّهور على ابن أبي عِمْران وأَتْباعِه والظَّفرِ بهم ما أُتِيحَ، وصُنِعَ له فيهم رغْمَ أَنْف مَوْلاهم بن عمر، وظَهَرَتْ من أَصْحابه كلماتٌ أَنبَأَتْ بفَسادِ[أ] دِخلَتِهم. ثمّ نُمِيَ للسّلطان أنّ مَوْلاهم دَاخَلَ في الفَتْك به ابنَه / مَنصورَ ورَبِيبَيْهِ زَغْدانَ ومَعْران[ب] ابنَي عبد الله بن أحمد [295 أ] ابن كَعْب، وسليمان بن جامِع، من شُيوخ هَوّارَة، وَشَى بذلك عنْهم ابنُ عَمّهم عونُ بنُ عبد الله بن أحمد بعدَ أن دَاخَلُوهُ فيها، فَتَنَصَّحَ بها للسّلطان. فلَمّا غدَوْا على السّلطان تَقَبَّضَ علَيهم وبَعَثَهُمْ إلى تُونِس فاعْتُقِلُوا بها، وَرَجَعَ هو إلى الحَضْرة فدَخلَها في جمادى من سنَتِهِ، وجَدَّد البَيْعَةَ على النّاس. وزَحفَتِ العَربُ في اتّباعِه حتّى نَزلُوا بظاهِر البَلَد، وشَرَطُوا عليه إطْلاقَ مولاهم وأَصْحابه، فأَنفَذَ السّلطانُ قتْلَهم فقُتِلُوا بمَحْبَسهم وبَعثَ بأشْلائهم إلى حَمزة، فَعَظُمَ عندَه موقعُ هذا الحُزْن، وصَرَخَ في قومه، وتَذامَرُوا أن * يُثِيرُوا بصاحبهم *[ج]. وأَغْذُّوا السّيْرَ إلى الحَضْرة وابنُ أبي عِمْران معَهم على حين افْتراقِ العَساكِرِ وإراحَة السُّلْطان، وظَنُّوا أنّهم يَنْتَهِزُونَ الفُرْصةَ؛ فَخرَجَ السّلطان عن تُونِس لأربعين يومًا من دُخوله، ولَحِقَ بقُسُنْطينة، ودخل ابنُ أبي عمْران إلى تُونس[د] فأقامَ بها سِتّةَ أشهر خلالَ ما احْتَشَدَ السّلطان جُموعَه واسْتَكْمَلَ تَعْبِئَتَه. ونَهضَ من قُسُنْطينَة، وزَحَفَ إليه ابنُ أبي عمران وحَمْزة بن عمر في جُموعهم فأَوْقَعَ السّلطان بهم

(أ) ف: بفاسد (ب) ف: رغدان (ج) كذا في ظ. وفي ف: وتذامروا أن ينتزوا. وهو أوجه (د) تكرر في ظ ما بعد كلمة "تونس" المتقدمة: لأربعين يومًا من دخوله ...... إلخ.

وَأَثْخَنَ فيهم وشَرَّدَهم في النّواحي، وعادَ إلى تُونِس فَدَخَلَهَا في صفر من سنة ثلاثِ وعِشْرين، وَمَضى حَمزةُ لوَجْهه إلى أن كان من أمره ما نَذْكرُ.

## 130 • الخَبرُ عن وَاقعة رغيس مع ابن اللِّحْياني وزَنَاتَة، ووَاقِعةِ الشقّة مع ابن أبي عِمْران.

لـمّا انْهَزَمَ حمزةُ بنُ عمر وابنُ أبي عِمْران عن تُونِس مَرّةً بعد أخرى، ورأى حمزةُ أنّ ابنَ أبي عِمْران غيرُ مُغْنٍ عنه، فصَرَفَه إلى مكان عَمله بطَرابُلُس، / [295 ب] وَبَعَثَ إلى أبي ضَرْبة ابن السّلطان اللِّحْياني بمكانه من المَهْديّة فدَاخَلَه في الصّريخ بزَناتة والوُفودِ على سُلْطان بَني عبد الوادِ، فَرَحَلَ معه أبو ضَرْبة، وَوَفَدُوا على أبي تاشَفين صاحبِ تِلِمْسان ورَغَّبُوه في الظّفَر ببِجايَة، وأنْ يَشْغَلَ صاحبَ تُونِس عن مَدَدِها بتَرْديد البُعوث وتَجْهيز العساكر إليه، فسَرَّح معهم السّلطانُ آلافًا من العَساكِر، وعقدَ عليها لموسى ابن عليّ الكُرْدي صاحبِ الثّغر بِتيمزْزدَكْت وكثيرَ الحاشيةِ والرّجالات. وارْتَحَلُوا من تِلِمْسَان يَغُذّونَ السّيْر، وبَلَغَ السّلطانَ خبرُ فُصولِهم من تِلِمْسَان، فَبَرَزَ للقائهم من تُونِس في عَساكِره حتّى انْتَهى إلى رغِيس [بين][(أ)] بُونة وقُسُنْطينة. ولـمّا أَطَلّتْ عساكرُ زَناتة والعرب اخْتَلَّ مَصافُّ السّلطان، وانهَزَمتِ المجنّبات، وثَبَتَ في القَلْب، وَصَدَقَ العزيمةَ واللّقاء، فاخْتَلَّ مَصافُّهم وانهَزَمُوا في شعبان سنةَ ثلاثِ وعِشْرين، وامْتَلأَتْ أَيْدي العساكر من أَسْلابِهم والسّبايَا من نِساء زَناتة، ومَنَّ عليهنّ السّلْطان

(أ) من ف. ظ: من.

وأطْلَقَهُنَّ، وَرَجَعَ أبو ضَرْبَة وموسى بن عليّ الكُرْدي في فَلّهم إلى تِلمْسانَ. وعادَ السُّلْطان إلى حَضْرته لأيّامٍ من هَزيمتهم، ولَقِيَهُ الخبرُ في طريقه باجْتِماع العَرب وابن أبي عِمْران بنَواحي القَيْروان، فتخَطّى الحضْرَةَ إليهم، ولَقِيَهُمْ بالشقَّة وأَوْقَعَ بهم. ورَجَعَ إلى تُونِس في شَوّال من سنَة أربعٍ وعشْرين، فاتّبَعَه حمزةُ ومن مَعهُ إلى تُونِس عندما افْتَرَقَت العساكرُ ومعهُ إبراهيمُ ابن الشّهيد من البَيْت الحفصي، وسَبَقَ إليه بخَبرهم عامرُ بن بو عليّ وسُحَيْم بن ..... (أ) فخَرَج للقائِهم من يَوْمه في خِفٍّ من الجُنود بعدَ أن بَعَثَ عن عسكر باجَة وقائِدها عبدِ الله العاقِل مولاه، فصَبّحَهُ العربُ بنواحي شاذلَة، / [296أ] فقاتلوهُ صدْرَها وحَمِيَ الوَطيسُ، ووَصل عبد الله العاقِلُ والنّاس مُتواقِفون، واشْتَدَّتِ الحربُ، ثمّ كانت الهزيمَةُ على العَرب، واسْتُبيحَتْ حُرُماتُهم وافْتَرَقَتْ جُموعُهم، وَرَجَعَ السّلطانُ إلى البلَد واسْتَقَرَّ بالحَضْرة.

## 131 • الخبرُ عن إجْلاب حَمْزة بإبراهيم ابن الشّهيد، وتغلّبه على الحضرة.

لـمّا انهَزَم أبو ضَرْبة بن اللّحْياني وحَمزة بن عمر وعساكرُ بَني عبد الواد، لحِقَ أبو ضَرْبة بتِلِمْسَان فهَلَكَ بها. ولَقيَ حمزةُ بَعْده من الحُروب مع السّلطان ما لَقيَ، ويَئِسَ الكُعوبُ من غِلابِه وتذامَروا لِفِتْنته والإجْلابِ عليه، فوَفَدَ حَمزة بنُ عمر على ابن تاشَفين صَريخًا ومعَهُ طالبُ بنُ مهَلْهل، قِرْنُهُ في قَوْمه، ومحمّدُ بنُ مسكين شيخُ بَنى حَكيم من أولاد القَوْس، وكُلُّهم

(أ) فراغ في الأصلين.

من سُلَيم، ومَعهُم الحاجبُ ابن القالون، فاسْتَحَثُّوا عساكِرَه لصَرِيخِهم فكَتَّبَ لهم السّلطان كتيبةً عُقِدَ عليها لموسى بن عليّ الكُردي، وأَعادَهُ معَهم، وَنَصبَ لهم لـمُلْكِ تُونِس من أَغْياصِ أبي حَفص إبراهيمَ ابنَ الشّهيد منهم، وأَبوه الشّهيدُ هو أبو بكر بنُ أبي الخَطّاب عبد الرّحمن الذى نُصِّبَ للأَمر عندَ مَهْلِكِ السّلطان أبي عَصِيدَة، وقَتلَه السّلطانُ أبو البقاء خالدٌ كما ذكَرْناهُ.

وكان إبراهيم هذا قد لَحِقَ بالعَرب، ونَصبُوه للأَمْر، وأَجلَبُوا به على تُونِس إثْر واقعة رغيس، وبَرزَتْ إليهم العساكرُ فانْهَزَمُوا، كما ذكَرْنَاهُ، ولَحِقَ بتِلِمْسان. وجاءَ هذا الوفدُ على إثْره فنَصَّبَهُ السُّلْطان أبو تاشَفين لهم، واسْتَعْمَل على حِجابَتِه محمَّدَ بن يحيى بن القالون، وَبَعَثَ معَهم العساكرَ لنَظر موسى بن عليّ الكُردي، وزَحَفُوا إلى إفريقيّة. وخَرَجَ السّلْطان أبو بكْر من تُونِس لـمُدافَعَتهم ذا القعْدة من سنَةِ أَربعٍ وعشْرين، وانْتَهَى إلى قُسنْطينَة، وعَاجَلُوه قبلَ اسْتِكْمال التَّعْبِئَة فَنَزلُوا بساحَتها، وأقامَ موسى بن عليّ على مُنازَلَتِها بعساكر بَني عبد / الوَادِ. وَتَقَدَّم إبراهيم [296 ب] ابن الشّهيد وحمزةُ بن عمر إلى تُونِس فدَخَلَهَا في رَجَب سنَةَ خمسٍ وعشْرين واسْتَمْكَنَ منها، وعَقَد على باجَة لمحمّد بن داود من مَشْيخة المَوَحّدين.

وثَارَ عليه في بَعْض ليالي رَمضان بعضُ بِطانَة السّلطان كانوا بالبلَد في غَياباتِ الاخْتِفاء، وكان منهم يوسُف بن عامر بن عثمان، وهو ابنُ أخي عَبْد الحقّ بن عُثمان، من أَغْياصِ بَني مَرين، وفيهم القائدُ بَلاطٌ، من وُجوه

التُّرْك المرْتَزِقَة بالحَضْرة، وابنُ جَسّار[أ] نَقيبُ الشُّرَفاء، فاتَّعَدُوا واجْتَمَعوا من جَوْف اللّيل، وهَتَفُوا بدَعْوة السُّلْطان، وأطَافُوا بالقَصَبة فامْتَنَعَت عليهم، فعَمَدُوا إلى دار كُشْلي[ب] من التّرْك المُرْتَزقَةِ، وكانَ بِطانَةً لابن القالون، فقَاتَلُوها وامْتَنَعَت عليهم، ثمّ أَعْجَلَهُم الصّباحُ عن مَرامِهم، وتُتُبِّعُوا بالقَتْل وفُرِغَ من شَأْنِهم.

وكان موسى بن عليّ ومن معهُ من العَساكِر لـمَّا تَخَلَّفُوا عن ابن الشّهيد لِحِصار قُسُنْطِينَة، أقامَ علَيْها أيّامًا ثمّ أَقْلَعَ عنْها لخَمْسَ عَشْرة ليلة من مُنازَلَته، ورَجع إلى صاحِبه بتِلِمْسَان.

وخَرَجَ السُّلْطان من قُسُنْطِينَة فاسْتَكْمَلَ الحشْدَ والتَّعْبِئَة، ونَهَضَ إلى تُونِس فأَجْفَلَ منْها ابنُ الشّهيد وابنُ القالون، ودَخَلَهَا السّلطان في شَوّال سنةَ خمسٍ وعِشْرين، واسْتَوْلَى على دار مُلْكه، وأقامَ بها، إلى أن كان من أَمْره ما نَذْكُرُهُ.

## 132 • الخَبرُ عن حِصار بِجايَة وبناءِ تِيمْزِزْدَكْت، وانهزامِ عَساكر السُّلْطان عَلَيْها.

كان أبو تاشَفين منذُ خَلاَ لَهُ الجوُّ وتَمَكّنَتْ في الأَمْر منه القَدَمُ، يُلِحُّ على بجايَة بتَرْديد البُعوث و مُطاوَلَةِ الحِصار، [و][ج] السُّلْطان أبو بَكْرٍ يَدْفَعُ لحمايتها والـمُمَانَعة دونَها من رجالات دَوْلَته وعُظَماء وزرائِه الأَوّلَ

(أ) كذا ضبط في ظ (ب) كذا ضبط في ظ (ج) سقط حرف العطف من ظ.

فالأوّلَ من أَهْل الكِفايَةِ والاضْطِلاع بما يَدْفَعُ إليه من ذلك. ويُسَرِّبُ إليهم المَدَد من الأَمْوال والأَسْلِحَة والجُنود، ويُعْهَدُ إليهم بالصَّبْر والثَّبات في المواطِن، / ونَظَرُه من وَراء ذلك. [297 أ]

وكان أبو تاشَفين كلّمَا أَحَسَّ من السّلطان أبي بكر بنُهُوضٍ إلى المُدافعَة عنها أو عزَمَ على غَزْوِ كتائِبه المُجَمَّرَة عليها رَماهُ بشاغِلٍ يُوهِنُ من عَزْمه ويُمْسِكُ عِنانَ بَطْشِه. وكانت فِتْنَةُ حَمْزة بن عُمَر من أَدْهى الشّواغِل في ذلك، بما كان يُجَنِّبُ العرَب عن الطّاعة، ويَجْمَعُ الأحزابَ للإجْلاب على الحَضْرة، ويَنْصُبُ الأَعْياصَ يُطْمِعُهُم فيما لَيْس لهم من نَيْل الخِلافَة، وكان ذلك دَيْدَنًا متّصلاً أزمانَ تلك المُدّة.

ولماّ سَرَّحَ أبو تاشَفين العساكرَ سنةَ خمسٍ وعِشْرين مع إبراهيم بن الشّهيد وحَمْزَة بن عُمَر وأَوْليائهم من أَهْلِ إفريقيّة، وعَقَدَ علَيها لموسى بن عليّ من رِجالاتِه، فنَازَلَ قُسُنْطِينَة ثمّ أَقْلَعَ عنها، وَعَاوَدَ حِصارَها سنةَ ثمانٍ وعشْرين، وشَنَّ الغارَةَ في نَواحيها، واكْتَسَحَ الأَمْوالَ، وَرَجَع إلى وادِي بجايَة فاخْتَطَّ مدينةَ بتيكلات على مَرْحلة منْها وعلى قارِعَة الطّريق الشّارع من الغَرْب إلى المشرق(أ)، بما كانتْ بجايَةُ رائِغَةً عنها إلى البَحْر، فاخْتَطُّوا تلكَ المدينةَ وشَيَّدُوها، وجَمَعُوا الأَيْدي علَيها، وقَسَّمُوها مسافاتٍ على جُيوشِهم، فاسْتُتِمَّت(ب) لأَرْبعينَ يومًا، وَسَمَّوْها تِيمْزَزْدكْت باسم حِصْنهم الأَقْدم بالجَبَل قُبالَةَ وَجْدَة، حيثُ امْتَنَع يَغْمَراسِن على السّعيد ونازَلَهُ وَهَلَكَ علَيه، كما ذَكَرْناهُ في أَخْباره. وشَحَنُوا هذه المدينةَ بالأَقْوات والعُدَد،

(أ) ف: الشرق (ب) ف: فاستمعت.

وعَمَرُوها بالـمُقاتِلَة من الرَّجْلِ والفُرْسان والقَبائل، وأَخَذَتْ بـمُخَنَّق البلَد. وقَلِق السّلطانُ بمكانِها فأَوْعَزَ إلى قُوَّاد عَساكِرِه وأَصْحابِ عَمالاتِه من مَواليه وصَنائِعه أن يَنْفُرُوا بعَساكِرِهم إلى صاحبِ الثّغْر محمّد بن سَيّد النّاس وَيَزْحَفُوا معَه إلى هذا البلَد الـمَخْروب ويَسْتَمِيتُوا دون تَخْريبه. فنهَضَ ظافِرُ الكبيرُ من قسُنْطينةَ وعبدُ الله العاقِل من هَوَّارَة وظافِرُ السّنان من [بُونَة](أ)، وتَوافَوْا ببجايَةَ / سنةَ سبعٍ وعشْرِينَ. وَبَلَغَ موسَى بنَ عليّ خبرُهم، فاسْتَنْفَرَ مَنْ وَراءَه من عَساكِر بَني عبد الوَادِ، وخَرَجَت العساكِرُ جميعًا من بجايَة تحت لِواءِ ابنِ سَيّد النّاس، وزَحَفَ إلى العَدُوّ بمخيَّمِهم من تيكلاتْ، فكانَتْ عليه وعلَى أَصْحابه، وقُتِلَ ظافرُ الكبيرُ، ورَجَعَ فَلُّهُم إلى بِجايَة. [297 ب] وَدَاخَلَت ابنَ سيّد النّاس فيهم الظِنّةُ بما كان يُداخِل موسى بن عليّ في الزّبون، كلٌّ واحدٍ منهما بصاحِبه على سُلْطانِه، فَمَنَعَهُم من دُخول البلَدِ لَيْلَتَئِذٍ، وأَسْحَرُوا قافِلين إلى أَعْمالهم. وَعَقَد السّلطانُ على قُسُنْطِينَة لأبي القاسِم بن عبد العَزيز أيّامًا ثمّ اسْتَقْدَمَهُ إلى الحَضْرة لِيَسْتَعِينَ به مُحمّد بنُ عبد العزيز الـمِزْوَار(ب) في خُطّة حِجابَتِهِ، بما كان غُفْلاً من الأَدَوات التي تَحْتَاج إليها الحِجَابة. وعَقَدَ على حِجابة ابنه الأميرِ أبي عبد الله بقُسُنْطِينَة لـمَوْلاهُ ظافرِ السّنان، إلى أن كانَ من تَحْويل(ج) شَأْنِه ما نَذْكُرُ.

(أ) ظ: ثونه (ب) ظ: المزواز (ج) ف: تحويل الخطّة نيابةً ما نذكر.

## 133 • الخبرُ عن مَهْلك الحاجب المِزْوار، وولايةِ ابنِ سَيّد النّاس مكانِهُ، ومَقتَلِ ابنِ القالون.

هذا الرّجلُ مُحمّدُ بن عبد العزيز المعروف بالـمِزْوار، لا أَدْري من أَوّليّتِهِ أكثَرَ من أنّه كُرْديّ من الأكْراد الذين وَفد رُؤساؤهم على مُلوك المَغرب أيّامَ أجْلاهُمُ الطَّطَر[أ] عن أَوْطانِهم بِشَهْرَزُورَ عندَ تغَلُّبهم على بَغْداد سنةَ ستٍّ وخَمْسين وسِتِّ مائَة، فمِنْهم من أَقامَ بتُونس، ومنْهم من تَقَدَّم إلى الـمَغْرب فَنَزَلُوا على الـمُرْتَضَى بِمَرَّاكُش فَأَحْسَنَ جِوارَهم، وَصارَ قومٌ منهم إلى بني مَرين، وآخرون إلى بَني عبد الوادِ، حَسْبما نَذْكُر في أَخْبارِهم.

ومن المقيمين بالحَضْرة كان سَلَفُ ابنِ عبد العزيز هذا، إلى أن نَشَأَ هو في دَوْلة الأميرِ أبي زكريّاءَ الأَوْسط صاحبِ الثّغور الغربيّة وتَحْتَ كَنَفِ من اصْطِناعِهُ، واخْتَلَطَ بأَبْنائِه، وَقَدِم في جُمْلة / ابنِهِ السّلطان أبي بكْر [298 أ] إلى تُونِس مُقَدَّما في بِطانَتِه ورئيسًا على الحاشِيَة المسمّين بالدَّخْلَة، وكان يُعْرف لذلك بالـمِزْوَار. وكان شهمًا وَقُورًا مُتدَيّنًا وله في الدّولة حَظٌّ من الظّهور، وهو الذى تَوَلّى كِبْرَ السّعايَة في الحاجِب ابن القالون حتّى ارْتّابَ بمكانه وفَرّ إلى ابن أبي عِمْران سنةَ إحْدى وعِشْرين، كما قَدَّمناهُ. وَوَلّاه السّلطانُ الحجابةَ مكانه فقَام بها مُسْتَعِينًا بالكاتِب أبي القاسِم بن عبد العزيز لِخُلُوّهِ من الأَدَوات، وإنّما كان شُجاعًا بُهْمَةً. ولم يَزَلْ على ذلك إلى أن هَلَكَ في شَعْبان سنةَ سبعٍ وعِشْرين.

(أ) كذا رسمت بالطاء المشمة بالنقط في ظ. وفي ف: التتر.

وأرادَ السُّلْطانُ على الحِجابَة محمّدَ بنَ خَلْدون جَدَّنا الأقربَ، فأبَى ورَغِبَ في الإقالَة، فأُسْعِفَ جُنوحًا لما كان بسبيله(أ) منذ سنينَ من الصّاغِيَة إلى الدّين والرّغبَة في السّكوت(ب) والفِرار من الرُّتَبِ. وأَشار على السّلْطان بصاحِب الثّغر محمّد بن أبي الحسَين بن سَيّد النّاس [القَديمَةِ سَلَفِه مع سَلَفِ السّلطان، وكَثْرَة تابعه، وقُوّة شَكيمَتِه في الإضْطلاع بما يُدْفَعُ إليه؛ أخبرني بهذا الخَبَرِ أبي رحمه الله وصاحِبُنَا محمّد بن مَنْصور بن مُزْني، قال لي: حضرْتُ لاستِدْعاء جَدِّكم إلى مُعسكر السّلْطان بباجَة يومَ مَهْلِك المِزْوار، وأَدْخلَه السّلطانُ إلى رِواقِه، وغابَ مَلِيًّا ثمّ خرج وقد اسْتَفَاضَ بين البِطانَة والحاشِيَةِ أنّه دُعِيَ إلى الخُطّةِ فاسْتَكْرَه. وأقامَ السلطانُ يومَئِذٍ في خُطّة الحِجابَة الكاتبَ أبا القاسِم بن عبد العزيز يُقِيمُ الرَّسْمَ، واسْتَقْدَمَ خالِصَته محمّدَ بن حاجِب أبيه أبي الحسَيْن بن سَيّد النّاس](ج) فقَدِم في محرّم فاتِح ثمانٍ وعشرين، ووَلاّهُ حِجابَتَه فاضْطَلَعَ بها، وجَدّدَ له العَقْدَ على بِجايَة وحِجابَةِ ابنهِ بها، فدَفَعَ إليها للنّيابَة عنه في الحِجابَة صَنيعَتَهُ مُحمّدَ بنَ فَرْحون، ومعه كاتِبُه أبو القاسم بن المُريد. وجَرَى الحالُ على ذلك بِبِجايَة وعساكِرُ زَناتَة تَجُوسُ خِلاَلها ومَعاقِلُهم تأْخُذُ بمخَنّقِها. وقدِمَ القالون(د) دونَ مَقْدَم ابن سَيّد النّاس بشَفاعَةٍ من نَزيلِهِ عليّ بن أحمد، سَيّدِ الذوَاودَة، وطَمِعَ في عَوْدِه إلى الخُطّة.

وكانَ من خَبَرِه أنّه لَمّا تَخَلّفَ عن السّلطان بتُونِس في خِدْمَة ابن أبي عِمْران، أرادَ رُكوبَ السّفينِ إلى الأَنْدلُس، فأَعْجَلَهُم السّلطانُ عن ذلك،

(أ) ظ: بسنيله (ب) ف: السكون (ج) من ف. وسقط ما بين الحاصرتين من ظ. انزلاق نظر
(د) كذا في ظ ف. وتقدّم شرحُ مِثْلِه.

وخرجَ مع ابن أبي عمران فأَجْلَبَ معَهُ على الحَضْرة مِرارًا، ولَحِقَ بتِلِمْسَان. ثم جاءَ مع ابن الشَّهيد وفعَلَ الأفاعيلَ، ثم انْحَلّ أمرُ ابن الشّهيد ولَحِقَ هو بالذّواوِدَة من رِياح ونَزَلَ على عليّ بن أحمد رئيسِهم لذلك العَهْد، فأَجَازَه وأَنْزَلَه بِطُولْقَة[1] / [298 ب] من بلاد الزّاب، وخاطَبَ السّلطانَ في شَأْنه واقْتَضَى له الأمانَ حتّى أُسْعِفَ(أ). ووَفَد على الحَضْرة مع أخيه موسى بن أحمد وفي نَفْس القالونِ طَمَعٌ في الخُطّة. وَسَبَقَه ابنُ سَيّد النّاس إلى السُّلطان فاسْتَقَلَّ بها. وجاءَ القالونُ من بَعدُ فأَوْصلَه السّلطانُ إلى نَفْسه واعْتَذَرَ إليه، ووَعَدَهُ، وَعَقَدَ له على قَفْصَة. فسارَ إليها وصَحِبَهُ مَوالي السُّلطان من المَغْلُوْجَى: بَشِيرٌ وفَارِحٌ. وأَوْعَزَ ابنُ سيّد النّاس إلى مَشْيَخة قَفْصَة أن يَتَقَبَّضُوا على حامِيَته لِيَتَمَكَّنَ الموالي منه، فلَمّا نَزَل بساحَة البَلَد دخلَ كُشْلي من جُنْدِ التُّرْك المُرْتَزِقَة، كانَ في جُملته مُنْذُ أيّام حِجَابَته، وكان يَسْتَظْهِرُ بمكانِه، فلَمّا دَخَلَ إلى البَلَد قُتِلَ في سِكَكِهَا فكانت لِقَتْلِهِ هَيْعَةٌ تَسَامَعَ النّاس لَغَطَهَا من خارج البَلَد. وبَرَزَ القالونُ من فُسْطَاطِه(ب) وقد خَنِثَ للرُّعْب، فتَقَدَّمَ إليه المَوالي الذين جاؤوا معَه وتَنَاوَلُوهُ طَعْنًا بالخناجِر إلى أن هَلَكَ. والله وارثُ الأرضَ ومن علَيْها.

(أ) ظ: أشعف (ب) ف: قسطالة.

(1) كذا في معجم البلدان 4: 50، وتنطق اليوم: طُولْقة.

## 134 • الخبرُ عن ولايةِ الفَضْل على بُونَة.

كان السلطان قد عَقَدَ على بُونَةَ منذُ أَوّل دَوْلَته لمولاهُ مَسرورٍ من المَغْلَوجي فقام بأَمْرها واضْطَلَعَ بولايتِها. وكان من الغِلْظَة ومِرَاسِ الحُروب بمكان، وكان لذلك غَشُومًا جبّارًا. وخرجَ إلى وَلْهَاصَةَ سنةَ ........(أ) فاضْطَهَدَهُمْ، وَذَهَبُوا إلى مُدافعَتِه عن أَمْوالهم فحَارَبَهُمْ. وبلَغَ خبرُ مَهْلِكِه إلى السّلطان فعَقَدَ على بُونَةَ لابْنِه أبي العَبّاس الفَضْل، وبَعثَهُ إليها، ووَلّى على حِجابَتِه وقِيادَة عَسْكره ظافِرَ السّنان من مَواليه المَغْلَوجي، فقَامَ بما دُفِعَ إليه من ذلك أحسنَ قيامٍ، إلى أن كانَ من أَمْرهم ما نَذْكُرهُ.

## 135 • الخبرُ عن وَاقِعةِ الرّيّاس وما كان قَبْلَها من مَقْتَل الأمير أبي فارِسَ أخي السُّلطان.

كان / السّلطان أبو بَكْر لـمَّا قَدِمَ على تونِس قَدِم معهُ إخْوتُه الثّلاثة [299] محمّدٌ وعبدُ العزيز وعبدُ الرّحمن. وهَلَكَ عبدُ الرّحمن منْهم، وبَقِيَ الآخرانِ، وكانَا في ظلٍّ ظَليلٍ من النّعمَةِ وحَظٍّ كبيرٍ من المُساهَمَة في الجاهِ. وكان في نَفْس الأمير أبي فارِس تَشَوُّفٌ إلى نَيْل الرُّتْبَة وتَرَبُّصٌ بالدّولَة. وكان عبدُ الحقّ بنُ عثمان بن محمّد بن عبد الحقّ من فُحول بَني مَرين وأَعْياصِ مُلْكِهم، قَدِمَ على الحَضْرة نازعًا إليها من الأَندلُس، فنزلَ على ابن عُمر بِبجايَة قُبَيْلَ مَهْلِكه سنةَ ثمانِ عَشْرة. ثمّ لَحِقَ بالسّلطان فلَقّاهُ مَبَرَّةً ورُحْبًا،

(أ) بياض في الأصلين.

ووَفَّرَ حَظّه وحظَّ حاشِيته من الجِرايات والإقْطاع، وجعلَ له أن يَسْتَرْكِبَ ويَسْتَلْحِقَ(أ)، وكان يَسْتَظْهِرُ به في مَواقِف حُروبه، ويَتَجَمَّلُ في المشَاهِد بمكانِه من سَريرِه بما كان سَيّدًا في قَوْمه. وكان قد انْعَقَدَتْ له بَيْعةٌ على أهْل وَطَنِه، وكانت فيه غِلْظَةٌ وأَنفة وإباءٌ. وغدا في بَعْض أيّامه على الحاجِب ابن سَيّد النّاس فتَلَقّاهُ الآذِنُ بالعُذْرِ فذَهَبَ مُغاضِبًا، ومَرَّ بدار الأمير أبي فارِس فحَمَلَهُ على ذاتِ صَدْره من الخُروج والثَّوْرة. وخرجَا من يَومِهما في رَبيع سنةِ تِسْعٍ وعشرين، ومَرُّوا(ب) ببَعْض أحْياء العَرب فاعْتَرَضَهُمَا أميرُ الحيّ فعرضَ عليهما النُّزولَ، فأمّا عبدُ الحقّ فأبَى وذهبَ لوَجْهِه إلى أن لَحِقَ بتِلِمْسَان، وأمّا الأميرُ أبو فارس فأجابَ ونَزَلَ. وطَيَّرُوا بالخَبر إلى السُّلْطان فسرّح لوَقْته محمد بن الحكيم من صَنائِعه وقُوّادِ دَوْلَته في طائفةٍ من العَسْكرِ، والنَّصارَى صَبَّحُوهُ في الحيّ وأحاطوا بِبَيْت نُزُلِهِ فامْتَنَع من الإلْقاء باليَدِ، ودافَع عن نَفْسه مُسْتَميتًا فقَتَلُوهُ قَعْصًا بالرّماح، وجاؤُوا بِشِلْوِهِ(ج) إلى الحَضْرة فَدُفِنَ بها. ونزلَ عبدُ الحقّ بن عُثْمان على أبي تاشفين(د) خيْرَ نُزُلٍ، ورَغَّبَهُ فيما كان / [299 ب] بسَبيله من مُطالَبَة الدّولة الحَفْصيّة وتَدْويخ مَمالِكها. ووَفَد على إثْرِهِ حَمزةُ بن عمر ورجالاتُ سُلَيْم صَريخًا على عادَتِهم، فأجابَ أبو تاشَفين صَريخَهُمْ، ونَصَبَ لهم مُحمّدَ بن أبي عِمْران. وكان من خَبَرِه أنّه تركَهُ السّلطانُ اللّحْياني عاملاً على طَرابُلُس، فلمّا انهزمَ أبو ضَرْبَة وانْحَلَّ أمرُه اسْتَقْدَمَه العَرَب وأَجْلَبوا به على الحَضْرة سنةَ إحْدَى وعشرين، فَملَكَها ستّةَ أشْهرٍ، ثمّ أَجْفَلَ عنها عند رُجوعِ

(أ) ظ: يستحلق (ب) كذا في ظ ف. وطريقة ابن خلدون أنه يجمع المثنى أحيانًا (ج) ظ: شلوه
(د) ف: ونزل على أبي تاشفين عبد الحق بن عثمان.

ووَفَّرَ حَظَّه وحظَّ حاشِيته من الجِرايات والإقْطاع، وجعلَ له أن يَسْتَرْكِبَ ويَسْتَلْحِقَ(أ)، وكان يَسْتَظْهِرُ به في مَواقِف حُروبه، ويَتَجَمَّلُ في المَشاهِد بمكانِه من سَريرِه بما كان سَيِّدًا في قَوْمه. وكان قد انْعَقَدَتْ له بَيْعةٌ على أَهْل وَطَنِه، وكانت فيه غِلْظَةٌ وأَنفَة وإباءٌ. وغدا في بَعْض أيّامه على الحاجِب ابن سَيِّد النّاس فَتَلَقَّاهُ الآذِنُ بالعُذْرِ فَذَهَبَ مُغاضِبًا، ومَرَّ بدار الأمير أبي فارِس فَحَمَلَهُ على ذاتِ صَدْره من الخُروج والثَّوْرة. وخرجَا من يَومِهِما في رَبيع سنةِ تِسْعٍ وعشرين، ومَرُّوا(ب) بِبَعْض أحْياء العَرب فاعْتَرَضَهُمَا أميرُ الحيّ فعرضَ عليهما النُّزولَ، فأمّا عبدُ الحقّ فأَبَى وذهبَ لوَجْهِه إلى أن لَحِقَ بِتِلِمْسَان، وأمّا الأميرُ أبو فارس فأجابَ ونزَلَ. وطَيَّرُوا بالخَبَر إلى السُّلْطان فسرّح لوَقْته محمد بن الحكيم من صَنائِعه وقُوّادِ دَوْلَته في طائفةٍ من العَسْكرِ، والنَّصارَى صَبَّحُوهُ في الحيّ وأحاطوا بِبَيْت نُزُلِهِ فامْتَنَعَ من الإلْقاء باليَدِ، ودافَعَ عن نَفْسه مُسْتَميتًا فقَتَلُوهُ قَعْصًا بالرِّماح، وجاؤُوا بِشِلْوِهِ(ج) إلى الحَضْرة فَدُفِنَ بها. ونزلَ عبدُ الحقّ بن عُثْمان على أَبي تاشفين(د) خَيْرَ نُزُلٍ، وَرَغَّبَهُ فيما كان / [299 ب] بسَبيله من مُطالَبة الدّولة الحَفْصيّة وتَدْويخ مَمالِكها. ووَفَد على إثْرِهِ حَمزةُ بن عمر ورجالاتُ سُلَيْم صريخًا على عادَتِهِم، فأجابَ أبو تاشَفين صَرِيخَهُمْ، ونَصَبَ لهم مُحمّدَ بن أبي عِمْران. وكان من خَبَرِه أنّه تركَهُ السّلطانُ اللِّحْياني عاملاً على طَرابُلُس، فلمّا انهزمَ أبو ضَرْبَة وانْحَلَّ أمرُه اسْتَقْدَمَه العَرَب وأَجْلَبوا به على الحَضْرة سنةَ إحْدَى وعشْرِين، فَمَلَكَها ستّةَ أشْهرٍ، ثمّ أَجْفَلَ عنها عند رُجوعِ

(أ) ظ: يستحلق (ب) كذا في ظ ف. وطريقة ابن خلدون أنه يجمع المثنى أحيانا (ج) ظ: شلوه
(د) ف: ونزل على أبي تاشفين عبد الحق بن عثمان.

ووفَّرَ حَظَّه وحظَّ حاشِيته من الجِرايات والإقْطاع، وجعلَ له أن يَسْتَرْكِبَ ويَسْتَلْحِقَ[أ]، وكان يَسْتَظْهِرُ به في مَواقِف حُروبه، ويَتَجَمَّلُ في المشاهِد بمكانِه من سَريرِه بما كان سَيِّدًا في قَوْمه. وكان قد انعَقَدَتْ له بَيْعةٌ على أَهْل وَطَنِه، وكانت فيه غِلْظَةٌ وأَنَفَةٌ وإباءٌ. وغدا في بَعْض أيّامه على الحاجِب ابن سَيِّد النّاس فتَلَقّاهُ الآذِنُ بالعُذْرِ فذَهَبَ مُغاضِبًا، ومَرَّ بدار الأمير أبي فارِس فحَمَلَهُ على ذاتِ صَدْره من الخُروج والثَّوْرة. وخرجَا من يَومِهما في رَبيع سنةِ تسْعٍ وعشرين، ومَرُّوا[ب] ببَعْض أحْياء العَرب فاعْتَرَضَهُمَا أميرُ الحيّ فعرضَ عليهما النُّزولَ، فأمّا عبدُ الحقّ فأَبَى وذهبَ لوَجْهِه إلى أن لَحِقَ بتِلِمْسَان، وأمّا الأميرُ أبو فارس فأجابَ ونَزَلَ. وطَيَّرُوا بالخَبَر إلى السُّلْطان فسرّح لوَقْته محمد بن الحكيم من صَنائِعه وقُوّادِ دَوْلَته في طائفةٍ من العَسْكرِ، والنَّصارَى صَبَّحُوهُ في الحيّ وأحاطوا ببَيْت نُزُلِهِ فامْتَنَع من الإلْقاء باليَدِ، ودافَع عن نَفْسه مُسْتَميتًا فقَتَلُوهُ قَعْصًا بالرِّماح، وجاؤُوا بشِلْوِهِ[ج] إلى الحَضْرة فدُفِنَ بها. ونزلَ عبدُ الحقّ بن عُثْمان على أَبِي تاشفين[د] خيْرَ نُزُلٍ، ورَغَّبَهُ فيما كان / بسَبيله من مُطالَبة الدّولة [299 ب] الحَفْصيّة وتَدْويخ مَمالِكها. ووَفَد على إثْرِهِ حَمْزةُ بن عمر ورجالاتُ سُلَيْم صريخًا على عادَتِهم، فأجابَ أبو تاشَفين صَريخَهُمْ، ونَصَبَ لهم مُحمّدَ بن أبي عِمْران. وكان من خَبَرِه أنّه تركَهُ السّلطانُ اللِّحْياني عاملاً على طَرابُلُس، فلمّا انهزمَ أبو ضَرْبَة وانْحَلَّ أمرُه اسْتَقْدَمَه العَرَب وأَجْلَبوا به على الحَضْرة سنةَ إحْدَى وعشْرين، فملَكَها ستّةَ أشْهرٍ، ثمّ أَجْفَلَ عنها عند رُجوعِ

(أ) ظ: يستحلق (ب) كذا في ظ ف. وطريقة ابن خلدون أنه يجمع المثنى أحيانًا (ج) ظ: شلوه
(د) ف: ونزل على أبي تاشفين عبد الحق بن عثمان.

السّلطان إليها ولَحِقَ بطَرابلُس، إلى أن انْتَقَضَ عليه أهلُها سنةَ أربعٍ وعشْرين وثَاروا به وأَخْرجوهُ، فلَحِقَ بالعَرب، وأَجْلَبُوا به على السّلطان مِرارًا ينْهَزِمونَ عنه في كلّها كما ذكَرْناهُ. ثمّ لَحِقَ بتِلِمْسَانَ واسْتَقَرّ بها عند أبي تاشَفين في خَيْر جِوار كَرامةً وجِرايةً، إلى أن وَصَلَ هذا الوَفْدُ إليه سنَةَ تسعٍ وعِشْرين، فَنَصَبَهُ للأَمْر بإفْريقيّة، وأَمَدَّهُم بالعساكر من زَناتَة، عقَدَ علَيْهِم ليحيى بنِ موسى من بِطانَتِهِ وصَنائِع أبيه، ورجَعَ معَهم عبدُ الحقّ بن عثمان بمَن في جُمْلَته من بَنِيهِ وعَشِيره ومَواليهِ وحاشِيَتِه، وكانوا أَحْلاسَ حَرْبٍ وفِتْيانَ كَريهَةٍ، فَنَهَضُوا جميعًا إلى تُونِس، فزَحَفَ السّلْطانُ للقائِهِم وتَراءَى الجَمْعان بالرّياس من نَواحي بلاد هَوّارَة آخرَ سنةِ سبعٍ وعشْرين. فدارَتِ الحرْب، واخْتَلّ مصافُّ السّلطان وقَلَّتْ جُموعُه وأُحِيطَ به، فأَفْلَتَ بعدَ عَصَبِ[1] الرّيق، وأصابَتْهُ في حَوْمَة الحَرْب جِراحَةٌ وَهَنَ لها، وقُتِلَ كثيرٌ من بِطانَتِه وحاشِيَته، كان من أَشْهرهم محمّد المَدْيوني، وانْتُهِبَ المعَسْكر، وتُقُبِّضَ على أحمد وعمر ابْنَيْ السّلطان فاحْتُمِلاَ إلى تِلِمْسانَ حتّى أَطْلَقَهُما أبو تاشَفين بعدَ ذلك في مُراسَلةٍ وَقَعتْ بَيْنه وبين السّلطان، فاتَحهُ فيها أبو تاشَفين وجَنَحَ إلى السّلْم وأَطْلَقَ الابْنَيْن، ولم يَتِمَّ شأْنُ الصّلْح من بعد ذلك. وتَقَدّم ابن أبي عِمْران بعدَ الواقِعَة / إلى تُونِس فدَخَلَها في صفَر سنةَ ثلاثين، واسْتَبَدّ عليه يحيى بن موسى قائدُ بَني عبد الوَادِ وحَجَرَ عليه التّصرُّفَ في شيءٍ من أَمْرِه، ثم عادَ يحيى بن موسى إلى سُلْطانه. ونَهَضَ السّلطان أبو بكر من قُسُنْطِينَة إلى تونِس بعدَ أن اسْتَكْمَلَ

(1) عَصَبَ الرّيقُ: يَبِسَ، وجَفَّ.

الحشْدَ والتّعْبِئَة، فَأَجْفَلَ ابنُ أبي عمران عنها، ودَخل إليها السّلطان في رَجَب من سَنَتِه، إلى أن كان ما نَذكُره.

## 136 • الخَبرُ عن مُراسَلَة مَلِكِ المَغْرب في الاسْتِجاشَة على بَنى عبد الوَادِ، وما تبعَ ذلك من المُصَاهَرَة.

كان السُّلْطانُ أبو بكر لـمَّا خَلَصَ من واقِعة الرّياس نَجا إلى بُونَة، ورَكِبَ منها البحرَ إلى بِجايَة وقد ضاقَ ذَرْعُه بِإِلْحَاحِ بَني عبد الوَادِ على مَمالِكِهِ، وتَجْميرِ الكتائِب على ثَغْره وتَرْديد البُعوث إلى وَطَنِه، فَأَعْمَلَ نظرَه في الوِفادَةِ على مَلِك المَغرب السّلطان أبي سَعيد لِيُذَكِّرَهُ ما بَيْن سَلَفه وسَلَفِهم من السّابِقة وما لَهم عندَ بني عَبْد الوادِي[أ] من الأَوْتار والإحَنِ، ليبعثَ بذلك دَواعِيَهم على مُطالَبَة بَني عبد الوادِ فيأخذ بحُجُزَتِهم عَنْهُ. ثم عيَّنَ للوِفادَة عليه ابنَه الأميرَ أبا زَكرِيّاء، وبعثَ معهُ أبا مُحمّد عبد الله بن تَافْرَاكِين من مَشْيَخة المُوَحّدين لسانًا لِخطابهِ ونَجِيًّا لِشُوراه. ورَكبوا البحرَ من بِجايَة فنَزلوا بمرسى غَسَاسَة. واهتَزَّ صاحبُ المَغْرب لقُدومِه وكَرَّمَ وِفادَتَه واسْتَبْلَغَ في القِرَى والإجارَة، وأجابَ دعاءَهم إلى مُحارَبة عَدُوّهم وعَدُوّه على شَريطة اجْتِماع اليَد علَيْها ومُوافاةِ السّلطان أبي سَعيد والسّلطان أبي يحيى بعساكِرِهما تِلِمْسَانَ لموعِدٍ ضَرَبُوهُ لذلِك.

وكان السُّلطانُ أبو سَعيد بعثَ سنةَ إِحْدَى وعشرين يَحيى الزَّنْداحي قائدَ الأُسْطول بسَبْتَة إلى مولانا السّلْطان أبي بكر في الإصْهار على إحدى

(أ) كذا في ظ ف، بالياء على غير ما تقدّم.

كَرائِمه، وَشَغَلَ عن ذلك ما وَقَعَ من شأن ابن / أبي عِمْران، فلمَّا وَفَد عليه |300ب ابنُ السّلطان وأولياؤُهُ أعادَ الحديثَ في ذلك، وعَيّن للنّيابَةِ عنه في الخُطْبَة من السّلطان إبْراهيمَ ابنَ أبي حاتِمِ العَزَفِي، وصَرَفَه مع الوَفْد، فَوَافَوْا السُّلْطانَ بتُونِس آخرَ سنة ثَلاثين، وقد طَرَدَ عَدوَّه وشَفا نفْسَه فَجَاوَره بأُمْنِيَتِه من حَركة صاحبِ المغْرب على تِلِمْسَان، وخطَب إبراهيمُ للأمير أبي الحسَن ابنِ السّلْطان أبي سَعيد، فعَقَد له على ابْنَته فاطِمَة شِقَّةِ الأمير أبي زكريّاء السّفِير إليهم، وَزَفَّها إليه في أساطِيله سنَةَ إحْدى وثَلاثين. وَتَقَدَّمَ لزفافها من مَشْيَخة المَوَحّدين أبو القاسِم بن عَتُّو[أ] ومحمّد بن سُلَيمان النّاسِك، وقد مرّ ذكرُه، فَنَزَلَتْ على وَثِيرٍ من الغِبْطَة والعِزّ، وكانَ الشَّأْنُ في مَهْرها وزفافِها ومَشاهِد أعْراسِها ووَلائِمها وجِهازها كلّه من المَفاخِرِ للدّوْلَتين، ولم يَزَلْ مذكورًا على الأيّام.

## 137 • الخبرُ عن حَركةِ السُّلْطان إلى المَغْرِب، وفِرارِ بَني عبد الوادِ، وتخريبِ تَامْزِزْدكْت.

كان مَهْلِكُ السّلْطان أبي سَعيد على تَفِئَةِ ما قَدَّمْناه من الأَخْبار آخرَ سنةِ إحْدى وثَلاثين، وَوَلِيَ السّلْطانُ أبو الحسَن من بَعْده فبعثَ إلى أبي تاشَفين يُخاطبه في الغَضّ من عِنانِ عَيْثِهِ في بِلاد المَوَحّدين وطُغْيانِه عليها، فلَجَّ واسْتَكْبَرَ وأَساءَ الرّدَّ، فنَهَدَ إليه في سَبيل الصّريخ لهم سنة ثِنْتَيْن وثلاثين، وَطَوى البِلادَ طَيّا إلى تِلِمْسَان، وأَفْرَجَتْ عساكِرُهم عن بِجايَة

(أ) مهملة في ظ، وتقدم فيها الضبط، ف: عبو.

إلى سُلْطانهم. وتَقدّم السّلْطان أبو الحسَن عن تِلِمْسَان لِمُشارَفَة أحوالِ بِجايَة والأَخْذ بِحُجْزَةِ العَدُوّ المحاصِر لها. وبعثَ عسكرًا من قَوْمه مَددًا لَها عقَدَ عليهم لمحمد البَطُّوِيِي(أ)، وأَرْكَبَهم أَساطيلَه من سَواحِل وَهْران، فدَخلوها وقُوبِلُوا بما يُنَاسِبُهُم من الكرامَة والجِرايَة. واسْتَنْهَض السّلطانُ أبو الحسن السلطانَ أبا بَكْر لِحصار / تِلِمْسَان معه كما كانَ الشّرْط بَيْن أبيه [301أ] وبَيْن ابْنِه الأمير أبي زَكريّاء. فَشرَعَ السُّلطانُ في جِهاز حَرَكته وإزاحَة عِلَلِهِ.

وأَقَام السّلطان أبو الحسَن بتاسَّالَة في انْتِظاره شَهْرًا حتّى انْصَرَمَ فَصْلُ الشّتاء، وبَلَغَهُ بمعَسْكَره من تَاسَّالَة أنّ أخاهُ السّلطان أبا عليّ صاحبَ سِجِلْمَاسَة انْتَقَض، وخَرَجَ إلى دَرْعَة فَقَتَلَ عامِلَه بها بعد أن كان دَامَلَه(1) وَعَقَد له بعَدَائها(2) على المُهادَنَةِ والتّجَافِي عنه بمكانه من سِجِلْمَاسَة، فلمّا بَلَغَهُ هذا الخبرُ كَرَّ رَاجِعًا إلى المَغرب لإصْلاح شَأنه. وكان السّلطان أبو بَكْر قد خَرَجَ من تُونِس واحْتَفَلَ في الحَشْدِ والتّعْبِئَة، فانْتَهَى إلى بِجايَة، وبَعَثَ مُقَدّماته إلى ثُغور بَني عبد الوَادِ المُحيطَةِ ببِجايَة فهَزَمُوا كتائِبَها، ثمّ زَحَفَ بِجُمْلَته إلى تيمْزَزْدَكت(ب)، وفَرَّتْ عَنْها الكتائِبُ المجمَّرَةُ بها، فأَنَاخَ عليها حتّى خَرَّبَها وانْتَهَبَ أَمْوالَها وأَسْلِحتَها، ونَسَفَ آثارَها، وقَفَلَ عنْها إلى بَلَد المَسِيلَة، أُخْتِها في الغيّ ومَوْطِن أولاد سِباع بن يحيى من الذَّوَاوِدَة. كانت مَشْيَختَهم سليمانُ ويحيى ابنا عليّ بن سِباع،

(أ) كذا ضبط في ظ. ف: البطوني (ب) يرد هذا الاسم بصيغتين، هذه، وتامززدكت.

(1) دامَلَ القومَ مُدامَلةً: دَارَاهُم، وطواهم على ما فيهم.

(2) العَداءُ: الظلمُ والتّجاوز، يريدُ أنه عقد له بالمهادنة والتّجافي عنه، بدَلَ العَداء والظلم والتجاوز.

وعثمانُ بن سِباع عَمُّهم وابنُه سعيدٌ قد تَمَسَّكُوا بطاعَة أبي تاشَفين وحَمَلُوا علَيها قَوْمَهُمْ، وَنَهَجُوا لعَساكِره السبيلَ إلى وَطْءِ بلادِ المَوَحِّدين والعَيْثِ فيها ومُجاذَبة حَبْلها. وأَقْطَعَهم أبو تاشفين بلَدَ المَسِيلَة وجبالَ متنان ووَانوغَة وجَبلَ عِيَاض فأصاروها من أعْماله. فلمّا شَرَّدَ السّلطانُ عساكِرَهم عن بِجايَة وهَدَّمَ ثَغْرهم علَيها واسْتَرْجَع أعمالَ بجاية إليها، سارَ في جُموعه إلى هذا المَوْطن لِيَسْتَرْجِعَ أعماله وَيُجَدِّدَ به دعوته، وزادَ في إغرائه بذلك عليّ ابن أحمد كبيرُ أوْلادِ محمّدٍ أَقْتالِ أولادِ سِباعٍ هؤلاء ونُظرائِهم وأَهْل أَوْتارِهم وذُحُولهم. فارْتَحل غازيًا إلى المَسِيلَة حتّى نَزلَها، واصْطَلَمَ نِعَمَها، وخَرَّبَ أسوارَها. وبَلَغَهُ بمكانه منها شأنُ / عبد الواحد ابن السّلطان اللِّحْياني [301 ر] وإجْلابِه على تُونِس؛ وكان من خَبَرِه أنّه قَدِمَ من المَشرق بعدَ مَهْلِكِ أبيه السّلطان أبي يحيى زَكَرِيَّاء سنةَ تِسْعٍ وعِشْرين، فنَزَلَ على دَبّاب، وبَايَعَ له عبدُ الملك بن مَكّيّ رئيسُ المشْيَخة بقابِس، وتَسامَع به النّاس وإفريقيّةُ شاغِرَةٌ من الحامِيَة والعساكِرِ لنُهوضِهم مع السُّلْطان، فاغْتَنَمَ حَمزةُ بن عمر الفرصةَ واسْتَقْدَمَهُ فَبَايَع لَه، وَرَحَلَ به إلى الحَضْرة فَنَزَلَ بساحَتِها، ودَخَلَ عبدُ الواحِدِ بن اللِّحْياني وحاجِبُه ابنُ مَكّي إلى البلَدِ فأَقَامُوا بها رَيْثَما بلَغَ الخبَرُ إلى السّلْطان، فقَفَلَ إلى الحَضْرة، وبَعَثَ في مُقَدّمته محمّد البَطُّوِيي من بِطانَتِه في عَسْكرٍ اخْتَارَهم لذلك، فأَجْفَلَ ابنُ اللِّحْيَاني وجُموعُه عن تونس لِخَمسَ عَشْرة ليلةٍ من نُزولهم، ودخل البَطُّوِيي إليها، وجاء السّلطان على إثْره أيّامَ عيد الفِطْر سنة ثِنْتَيْن وثَلاثين.

# 138 • الخبرُ عن نَكْبةِ مُحمّدِ بن سَيّد النّاس، وولايةِ ابنِ عبد العَزيز وابن الحكيم من بَعْده.

قد قَدَّمْنَا أولية هذا الرجل وأنَّ أباه [أبا][أ] الحسين كان حاجبًا للأمير أبي زكريّاء ببجايَة، ولماّ هَلَكَ سنة تسعين وست مائة خَلَّفَ ابنه محمّدا هذا في كفالة السّلطان وَمَرْعَى نِعْمته، فاشْتَمَلَ قَصْرُهُمْ عليه وآواه إلى حِجْره، وَأَرْضَعَهُ مع الكثير من بنيه ونَشَأَ في كَنَفِهِ. وكان الحُجَّابُ للدّولة من بعد أَبيه مثل ابن أبي حَيّ والرُّخامِي صَنائِعَ لأَبيه، فكَانُوا يَعْرِفُون حَقَّه ويُؤْثِرُونَهُ في التجِلَّةِ على أَنْفسهم، ولم يُدْرِكْ في سِنّ الرُّجوليّة والسّعي في المَجْد إلاّ أيّامَ ابن عمر آخرِهم، فكان لَه منه مَكان. حتىَّ إذا ارْتَحَلَ السّلطانُ أبو يحيى إلى قُسُنْطِينَةَ لطلب تُونِس، وجَهَّزَ له ابنُ عمر الآلاتِ والعَساكرَ، وأَقَامَ له الحُجّابَ / والوُزراءَ والقُوّادَ، كان فِيمَنْ سَرَّحَ معه محمّدَ [302 أ] ابن سَيّد النّاس قائدًا على عَسْكرٍ من عَساكرِه، وكان ظِئْرًا للسُّلْطان، فكانت له عندَه[ب] أَثَرَةٌ واختِصاصٌ. وعقَدَ له من بَعْد مَهْلِكِ ابن غُمَر[ج] على بجايَة لـمّا عَزَلَ عنها القالونَ كما قَدَّمْنَاه، فاسْتَبَدَّ بها على السّلطان، وَحَمَاهَا دونَ عساكرِ زَنَاتة، ودَفَعَ في صُدورِهم عَنْها، وكان له في ذلك كُلِّهِ مقاماتٌ مَذْكورة. وكانت بَيْنَه وبين قائِد زَناتة موسى بن عليّ مُداخَلَةٌ في زَبُونِ كلّ واحدٍ منْهما بمكانِ صاحِبه على سُلْطانه، وفُطِنَ لأَمْرِهما. فأمّا[د] أبو تاشَفين فنَكَبَ موسى بنَ عليّ كما نَذْكره في أَخباره، وأمّا السّلْطانُ أبو بَكْر فأَغْضَى لابن سيّد النّاس عَنْها، ثمّ اسْتَدْعَاهُ وَقَلّده حِجَابَتَه سنةَ سبعٍ وعشْرينَ كما

(أ) من ف (ب) ظ: عده (ج) كذا بالغين في ظ (د) ظ: وأمّا.

قَدّمْناه. واسْتَخْلَفَ على مَكانه ببجايَة صنيعَتَه محمّدَ بن فَرْحون، وأحمدَ بن المريد، للقِيام بما كان يَتَوَلاّه من مُدافعةِ العَدُوّ وكفالَة الأَمير أبي زَكَرِيّاء ابن السّلطان. وقَدِمَ هو على السُّلْطان وأَسْكنه بقُصور مُلْكه، وفَوَّض إليه أمورَ سُلْطانه تَفْويضَ الاسْتِقْلال، فَجَرى في طَلْقِ الاسْتِبداد عليه، وأَرْخَى له السُّلطانُ طِيَلَ[1] الإمْهال، واعْتَدَّ عليه فَلَتاتِ الدّالّةِ[2] مع ما كانتِ الظّنونُ تَرْجُمُ فيه بالمُداهَنة في شَأْن العدُوّ، والزَّبُونِ على مَوْلاه باسْتِغْلاَظِهم. وأَمْهَلَه السّلطانُ لمكانِه من حِمايَة الثّغر بِجَايَة والاسْتِقْلالِ به دونَه، حتىّ إذا تَجَلَّتْ غَيَايَتُهم[3]، وأَطَّل أبو الحسَن عليهم من مَرْقَبه، ونَهَضَ السّلطانُ أبو بَكْر إلى بِجايَة وخَرَّبَ تيمززدكـت، فأَغْراه البِطانَةُ حينئذٍ بالحاجب محمّد بن سَيّد النّاس، وتَنَبّهَ له السّلطانُ فأَحْفَظَه له اسْتِبْدادُه، وتَقَبَّضَ عليه مَرْجِعَه من هذه الحرَكة في رَبيع سنةِ ثلاثٍ وثَلاثين، / واعْتَقَلَه ثمّ امْتَحَنَهُ بأَنْواع العَذاب لاسْتِخْراج المالِ منه، فلَم يَنْبِس بقُطْرَة[4]. وما زالَ يَسْتَغِيثُ ويَتَوَسَّلُ بسَوابقه من الرّضاع والمَرْبَى وسَوابق أَبيه عندَ سَلَفه، حتّى لَدَغَهُ العذابُ فأَفْحَشَ، ونَالَ من السُّلطان وأَقْذَعَ، فقُتِلَ شَدْخًا بالعِصِيِّ، وجُرَّ شِلْوُهُ فأُحْرِقَ خارجَ الحَضْرة، وَعَفَا رَسْمُه كأَنْ لم يكُنْ. وإلى الله عاقِبةُ الأُمور. [302

(1) الطِّيَلُ والطِّوَل: حبلٌ طويل يُشدّ به قائمة الدابة. وقد تربطه إلى وَتَدٍ وترسلها ترعى فيه. يقال أرخى طِوَلَ فرسه، وطِيَلَها.

(2) الدّالّة: الجرأة بسبب وَجاهته عنده.

(3) كل ما أظلّ الإنسان من فوق رأسه كالسحابة والغبرة ونحوهما.

(4) القُطْرَة، بضمّ القاف: الشيء التافه اليَسير الخسيس.

ولـمّا تقَبَّض السّلطان على ابن سَيّد النّاس ومَحَا أثرَ اسْتبداده، قَلّد حِجابَتَه الكاتِبَ أبا القاسِم بن عبد العزيز، وقد كان قَدِم من الـحُمّةِ عندَ مُبايَعة ابن مَكيّ لعبد الواحد بن اللِّحْياني، فَلَحِقَ بالسُّلطان في طَريقه إلى تِيمْزِزْدَكـبت، فلم يَزلْ معَهُ إلى أن دخلَ حَضْرَتَه وتَقَبَّضَ على ابن سَيّد النّاس فوَلاّه الحِجابَةَ، وكان مُضَعَّفًا لا يَقُوم بالحَرْب، فعقَد السُّلْطان على الحرب والتّدبير لصَنيعَتِهِ وكبيرِ بِطانَتِه يومئذٍ محمّد بن الحَكيم، وفَوّض له فيما وراء الحَضْرَة.

وهو محمّد بن عليّ بن محمّد بن حَمْزة بن إبراهيم بن أحمد اللّخْمِي، ونَسبُهُ في بَني العَزَفِي الرُّؤساءِ بِسَبْتَةَ، وجَدُّه أحمدُ هو أبو العباس المذكور بالعِلْم والدّين، وَالِدِ أَبي القاسِم المسْتقِلّ برئَاسة سَبْتَة من بعد المَوَحّدين. وكان من خَبَر أوّلِيّتِهِ فيما حَدّثني به مُحمّد بن يَحيى بن أبي طَالب العَزَفِي آخرِ رُؤساء العَزَفِيّينَ بسَبْتَة والـمُنْقَضِي أمرُهم بها بانْقِضاء رِئَاسته، وحَدّثني بها أيضًا حسينُ بنُ عَـمّه عبد الرّحمن بن أبي طالِب، وحدّثني بها أَيضًا الثّقَةُ عن إبراهيم ابن عَـمّهما أبي حَاتِم، قالوا جميعًا: إنَّ أبا القاسِم العَزَفي كانَ له أخٌ يُسمّى إبراهيم، وكان مُسرِفًا على نَفسه، وأصابَ دَمًا في سَبْتَة، وحَلَفَ أخوه أبو القاسم لَيَقِيدَنّ منه، ففرَّ ولَحِقَ بدِيار الـمَشْرق، هذا آخرُ خَبَرِهم، وأنّ محمّدًا هذا من بَنِيه. / وبقيَّةُ الخَبَر عن أَهْل هذا البَيْت [303 أ] من سِوَاهم: أنّ إبراهيمَ أَنْجَبَ محمّدًا، وأَنْجب محمّدٌ حمزةَ، ثمّ أَنْجَبَ حَمزةُ عَليًا فكَلِفَ بالقِراءَة، واسْتَظْهَرَ عِلْمَ الطِبّ واستقرَّ في إيالَة السّلطان أبي زَكريّاء بالثّغور الغربيّة. وأصابَ السّلطانَ وَجَعٌ في بَعْض أَزْمانه وأَعْيَا دَواؤُه،

فَجُمِع له الأطبّاءُ وكانَ فيهم عليٌّ هذا، فَحَدَسَ على المَرَض وأحسنَ المداواة فَوَقَعَ من السّلطان أحسنَ المواقِع، واسْتَخْلَصَهُ لنَفْسه، وخَلَطَهُ بخَاصّتِهِ وأَهْلِ خِلْوَتِه، وصارَ له من الدَّوْلَة مكانٌ لا يُجَارِيه أحدٌ فيه. وكان يُدْعَى في الدَّوْلة بالحَكِيم، وبه عُرِفَ ابنُه من بَعْده. وأَصْهَرَ إلى إحْدَى بُيوتِ قُسُنْطِينة فزَوَّجُوهُ، وخَلَطَ أهلَه بِحُرَمِ السّلطان، وَوُلِدَ له محمّد ابنه بقَصْره، ورَضَعَ مع الأميرِ أبي بكر ابنِه، ونَشَأَ في حِجْرِ الدّوْلَة وكَفالَتِها وعلى أحْسَن الوُجوهِ من تَرْبِيَتِها. ولمّا بلغ أَشُدَّهُ صرَفَ إليه رئيسُ الدَّوْلَة يعقوبُ بن عمر وَجْهَ إقْبالِه واختِصاصِه، فكانَ له منه مكانٌ أكْسَبَهُ تَرْشيحًا للرِّئاسة فيما بَعْدُ من بين خواصّ السّلطان وخُلَصائه. ولمّا نَهض السُّلْطان أبو يحيى إلى إفريقيّة قَلّده قيادةَ بعض العَساكِر، ثمّ عَقَدَ له بعدَ مَهْلك ابن عمر على عَمل باجَة حينَ رُقِّيَ ابنُ سَيّد النّاس عنها إلى بجايَة، وكانَ عملُ باجَة من أَعْظَم الوِلايات في الدّولة، فاضْطَلَعَ به. ثمّ لمّا وَامَرَ السُّلْطانُ بِطَانَتَهُ في نَكْبة ابن سَيّد النّاس دَفَعه لذلك فَوَلِيَ القَبْضَ عليه، وكَمَنَ له في عُصْبَةٍ من البِطانَة في بَعْض الحُجَر من رياضِ رَأْس الطَّابِية، واسْتُدْعِيَ ابنُ سَيّد النّاس إلى السُّلْطان، ومَرَّ بمكانِهم، فلمّا انْتَهَى إليهم تَوَثَّبُوا به، وَشَدُّوه كِتَافًا، وتَلُّوهُ إلى مَحْبَسه بالبُرْج المُعَدّ لِثِقَافِ أَمْثاله بالقَصَبة، وتَوَلَّى ابنُ الحكيم من امْتِحانه وعَذابه ما ذَكَرْناهُ / إلى أن هَلَكَ. وعقدَ له السّلطان مكانَه على الحَرْبِ والتّدْبير من خُطَطِه، وفَوَّضَ إليه فيما وراءَ الحَضْرَة، كما قُلْناه، وجَعلَ تَنفيذَ الأَموال والكِتَابِ على الأَوامِر لابن عبد العزيز، فكانَ عِدْلَهُ في حَمْل الدّوْلَة، إلاّ أنّ ابن الحَكيم كانَ أَشَفَّ منه، لما [...03]

كانَ إليه من التَّدْبير والحَزْب الرَّئيسَيْن على الكِتابَة، لرِئَاسَة السَّيْف علَى القَلَم، فاضْطَلَع برِئَاسَتِه وأَحْسن الغَنَاءَ والولايَةَ، إلى أن كانَ من خَبره وخَبر الدَّوْلَة ما نَذْكُر.

## 139 • الخبرُ عن فَتْح قَفْصَة، وولايةِ الأميرِ أبي العبّاس علَيْها.

كانَ أهلُ الجَريد مُنذُ تقَلَّص عنهم ظِلُّ الدَّوْلة عندَ انقسام المُلْك بَيْن الثُّغور الغَرْبيّة والحَضْرة وما إليها، وصارَ أمرُهم إلى الشُّورَى بَيْن المَشْيَخة إلاّ في الأَحايِينِ يُؤَمِّلُونَ الاسْتِبْدادَ كما كانوا علَيه من قَبْل المَوَحّدين. فقد جاءَ عبدُ المؤمِن إلى إفريقيّة وبنو الرَّنْد على قَفْصَة وقَسْطِيلِيَة، وابنُ وَاطاس على تَوْزَر، وابن مَطْروح على طَرابلُس، فَأَمَّلُوا مثلَها، وشغلَ مولانا السلطانَ أبا بكر عنهم اسْتِقْلالُه بالأَمْر وانفِرادُه بالدّعْوة الحَفْصيّة، شأنُ الفِتْنَة مع آل يَغْمَرَاسِن بن زيّان، وإجْلاب عساكِرهم مع حَمْزة بن عمر على أَوْطانه، حتّى إذا أخذَ السّلطانُ أبو الحسَن بحُجْزَتهم وأَطَلَّ علَيهم مِنْ مَرَاقِبِهِ فعَادُوا إلى أَوْكارِهم بعدَ أن أَسَفُّوا[أ]، وَتَنَفَّسَ مُخنّقُ الثغور الغربية من حصارِهم، وزالَ عن كاهِل الدَّوْلة إصْرُ مُعاناتِهم، وَسَكَنَ [اضْطِراب][ب] الخَوارج على الدّوْلة وخَفَتَتْ أصواتُ المُرْجِفِينَ في مَمالِكها. وصَرَفَ السّلطانُ نَظَرَهُ إلى أعْطاف مُلكِهِ ومَحْوِ الشّقاق من سائر أعْماله، وسَمَتْ هِمّتهُ إلى تدويخ القاصِيَة من بِلاد الجَريد واسْتِنْقاذ أَهْلِها من أيْدي الذّئاب العادية[ج] والكلابِ العاويَة[د]، زُعماءِ أَمْصارِهَا، وأَعْرَابِ

(أ) ف: أشفوا (ب) ظ: إضراب (ج) من ف. ظ: العاوية (د) من ف. ظ: العادية.

فَلاَتها. فنَهَدَ إلى / قفْصة سنة خمسٍ وثلاثين، وقد كان اسْتَبَدَّ بِشُورَاهَا يَحيى بن مُحمّد بن عليّ بن عبد الجليل بن العابد الشّريدي من بُيوتاتِها، فنَازَلَهَا أيّامًا والعساكرُ تُلِحُّ عليها بأَنْواعِ القِتال، وَنَصَبَ علَيها المجانيق فامْتَنَعُوا، ثمّ جمعَ الأَيْدي حتّى قَطْعِ نخيلِهم واقتِلاع(أ) شَجْرَائهم، فنادَوْا بالأَمان فأمَّنَهم. وخرجَ إليه ابن عبد الجَليل في رَبيع الآخر من سَنته فأَشْخَصَه إلى الحَضْرة وأَنزَلَهُ بها ورجالاتٍ من قَوْمه بَني العابد، وَفرَّ سائرُهم إلى قابِس فنَزَلَ في جوار ابن مَكّي، ودَخلَ أهلُ البلَد في حُكْمه، وتَفَيَّأوا - بعد أن كانوا ضاحين من المُلْك - ظِلَّهُ، فأَحْسَنَ التّجاوُزَ عنْهم، وبَسط المَعْدَلَةَ فيهم، وأحسنَ أملَ ذَوي الحاجاتِ منْهم بالأَسْهام والإِقْطاعِ وتَجْديد ما بأَيْديهم من المَكْتوبات السّلطانيّة. ثم آثرَهُمْ بسُكْنى وَلَدِه المَخْصُوصِ بعْدئذٍ بعَهْد الأميرِ أبي العبَّاس، وأَنْزَلَهُ بين ظَهْرَانِيهم وَأَوْصَاهُ بهم، وعَقدَ له على قَسْطيلِيّة وما إلَيها، وجعلَ معهُ على حِجابَتِه أبا القاسِم بنَ عَبّو من مَشْيَخة المَوحّدين، وقَفَلَ إلى حَضْرته فدَخلَها في رَمضان من سَنَته. [304]

(أ) ف: إقلاع.

## 140 • الخَبرُ عن ولاية الأَميرَين أبي فارس بن عزّوز و أبي البَقاء خالدٍ على سُوسَة، ثم إضافةِ المَهْديّة إليهما .

لمّا نَكبَ السّلطانُ حاجِبَهُ ابنَ سَيّد النّاس، وَوَلّى محمّدَ بنَ فرْحون على حِجابَة ابْنِه الأمير أبي زَكريّاء، وقَارَنَ ذلكَ ما نزلَ بآل يَغمُراسِن من عَدُوّهم، تَفرّغَ السّلطانُ للنّظر في مُلكِه وتَمْهيد أَحْواله، وأن يُرْسِيَ قواعدَ أَعْماله بنُجَباء أَبْنائه، فعقَدَ على سُوسَة والبلادِ السّاحِليّة لوَلَدَيْه الأميرَيْن عَزّوز وخالِد شَريكَيْن في الأَمْر، وأَنْزَلَهما بسُوسَة، وأنزلَ معَهما مُحمّدَ بن طاهِرٍ من صَنائع الدّولَة ومن بُيوت أَهْل الأَنْدلس القادِمينَ في الجالِيَة، ورِئاسةُ سَلَفِهم بِمُرْسِيَة / معروفٌ في أَخْبار الطّوائِف. وكان أخوهُ أبو [304 ب] القاسِم صاحبُ الأَشْغال بالحَضْرة، فأَقاما كذلك. ثم هلَكَ مُحمّدُ بن طاهر فاسْتَقْدم السّلطانُ محمّدَ بنَ فَرحون من بِجايَة ثِقةً باسْتِبْداد ابْنِه، وأن يُوَلّيَ من شاءَ على حِجابَته، وأَنْزلَ ابنَ فَرْحون مع هذين الأميرين لِصِغَرِهما سنةَ خمسٍ وثلاثين، ثم اسْتَدْعاهُ الأميرُ أبو زكريّاء فرجعَ إليه، وأقامَ هذان الأميران بسُوسَةَ، حتّى إذا نَكَبَ السّلطانُ قائِدَه محمدَ بن الحَكيم، واسْتَنْزَلَ قريبَه محمّدَ بن الرّكْراكِ من المَهْديّة، كان أَنْزلَهُ بها ابنُ الحكيم لمّا افْتَتَحَها من يَد المُتغلّبِ عليها من أَهْل زجيش[أ] ويُعْرف بابن عبد الغفّار سنةَ كذا........[ب] واتّخَذَها حِصْنًا لنفْسِه وأَنْزل بها قريبَه هذا، وَشَحَنَها بالعُدَد والأَقْوات فلم تُغْن[ج] عنه. ولمّا هَلَكَ اسْتَنْزَلَ ابنَ

(أ) ف: رجيس (ب) كذا في ظ. وفي ف فراغ (ج) ف: يغن.

الرَّكْراكِ، وبعثَ السُّلطانُ عليهما ابنَه الأميرَ أبا البَقاء، وأَفْرَدَ الأميرَ أبا فارسَ بولايةِ سُوسَة، فأقاما لذلك إلى أن كان من خَبَرِ مَهْلَكِهِما * ما نَذْكُرُهُ *[أ].

## 141 • الخبرُ عن وَفاةِ الأميرِ أبي عبد الله صاحب قُسُنْطِينَة من الأَبناء، وولايةِ بَنيه من بَعْدِه.

كان الأَميرُ أبو عبد الله مخصوصًا من أبيه من بَيْن وَلَده بالأَثَرةِ والعِنايَة، قد صَرَفَ إليه إقْبالَه، وألْقَى عليه مَحَبَّتَهُ، لِمَا كان يَتَوَسَّم في شَواهِدِهِ من التَّرْشيح، وما تَحَلَّى به من خِلالِ المُلْكِ. وكانَ النَّاس يَعْرِفُون له حقَّ ذلك. وذلك أنّ ابن غَمَر[ب] كان مُسْتَبِدًا بالثّغور الغَرْبية، بجايَة وقُسُنْطِينَة، ومُدافِعًا عنها العدوَّ من زَناتة المُطالِبينَ لها، فلمَّا هَلَكَ ابن غَمَر[ب] سنةَ تِسْعَ عَشْرةَ كما قَدّمناه، صَرَفَ السُّلطانُ نَظَرَهُ إلى ثُغوره، فعقَدَ على بِجايَة لابْنه الأميرِ أبي زَكرِيّاء، وعَقَدَ على حِجابَته لابن القَالُون، وسَرَّحَهُ معَه لمُدافَعة العَدُوّ، وعقدَ على قُسُنْطِينَة للأمير أبي عَبْد الله ومَعه أحمدُ بن يَاسِين، وخَرجوا جميعًا من تُونِس سنةَ عِشْرين، ونزلَ / كلٌّ بعَمَلِه.

وقَدِمَ ظافِرُ الكبيرُ من الغَرْب فولاّهُ السُّلطانُ حِجابَةَ ابنِه بقُسُنْطِينَة، وأَنْزَلَه بها إلى أن هلَكَ سنة سَبْعٍ وعشرين على تِيمْزِزْدَكْت، كما ذكرناه، فجاءَ بحجابَتِه من تونِس أبو القاسِم بنُ عبد العزيز الكاتبُ، فأقامَ أربعينَ

(أ) سقط من ف (ب) ف: ابن عمر.

يومًا ثمّ رجعَ إلى الحَضْرة. وأضافَ السُّلْطانُ حِجابَةَ قُسُنْطِينَة لابن سَيّد النّاس إلى حِجابَة بجَايَة، وبعث إليها نائبًا عنه مَوْلاَهُ هِلاَلَ التّازِعَ [إليه][أ] عن موسى بن عليّ قائدِ بَني عبد الوَادِ. فقامَ بخِدْمَة الأميرِ أبي عَبْد الله إلى أن كانَتْ نكبَةُ ابن سَيّد النّاس عندَ ما بلَغ الأميرُ أبو عبد الله أشُدَّهُ وَجَرَى في طَلْقِ اسْتِبْدادِه. ففَوَّضَ له السُّلطانُ في عَمله، وأطلق من عِنانِه، وكان يُؤَامِرُه في شَأْنه ويُنَاجِيه في خَلْوته، وأَنزل معه بقُسُنْطينة مَوْلاه نَبيلاً من المغْلوجَى يقيم له رَسْمَ الحجابة. ثمّ استَدْعى ظافرَ السّنان من تُونِس سنةَ أربعٍ وثلاثين لقيادَةِ الأَعِنَّةِ والحَرْب، فقَدِم لذلك، وأَقَام سنةً ونصفَها ثمّ رَجعَ. وقام نَبيلٌ بحجابَته كما كان، ودفَع يعيشَ بن ......[ب] من صَنائع الدّوْلَة لقِيادَة العَساكِر وحِماية الأَوْطان؛ فقَاسَمَهُ لذلك مراسِمَ الخِدْمة وَرُتَبَ الدّولَة.

واستَمرّت حالُ الأمير أبي عبد الله على ذلك والأَيّامُ تَزيدُه ظهورًا ومَساعيه المُلوكيّةُ تُكْسِبُه خِلالاً وتَرْشيحًا، إلى أن اغْتَبَطَ دونَ غايَتِهِ واغْتافَهُ[ج] الأَجلُ عن مَداهُ، فهَلَكَ رضوانُ الله عليه آخرَ تسعٍ وثَلاثين. وقامَ بأَمْره من بَعْده كبيرُ بَنيه الأميرُ أبو زَيْد عبدُ الرّحمن، فعقَدَ له السّلطانُ أبو بكر على عَمَل أَبيه لنَظَر نَبيلٍ مَوْلاهم لمَكان صِغَرِه، واستَمرّتْ حالُهم على ذلك إلى آخرِ الدّولَة، وكان من أَمْرهم ما نذكره بعدُ.

(أ) من ف (ب) فراغ لكلمة في ظ ف (ج) ظ ف: اعتاقه. واعتاف: كرِهَ.

## 142 • الخبرُ عن شأنِ العَرب ومَهْلِك حَمْزة، ثمّ إجْلاب بَنيه على الحَضرَة وانهزامِهم، [وَمَقتل مُعِزٍ وزيرِهم][أ]، وما قارنَ / ذلك من الأحْداث. [305]

لمّا مَلك السّلطانُ أبو الحَسن تِلِمْسَانَ وأعمالَها، وقطعَ دابِرَ آلِ زَيّان واجْتَثَّ أصْلَهم، وجمَعَ كلمةَ زناتَةَ على طاعَتِه، واسْتَتْبَعَهم عُصَبًا[ب] تحت لِوائِه، ودَانَتِ القبائلُ بالانقِياد له، ونَخبَتِ[1] القلوبُ لرُعْبِه.

ووَفَدَ عليه حمزةُ بن عمر يُرَغِّبُهُ في ممالك إفريقيّة ويَسْتَحِثُّه لها، دَيْدَنه مع أبي تاشَفين من قبْله، فَكَفَّ باليَأْسِ من غُلْوَائِه، وزَجَرَهُ عن خِلافه علَى السّلطان وشِقاقِه، ونَهَجَ له بالشَّفاعَة سبيلاً إلى مُعاودَة طاعَتِه والعملِ بمَرْضاتِه. فَرَجعَ حَمزةُ إلى السُّلطان عائِذًا بحِلْمِه، مُتَوَسّلاً بشفاعَةِ[ج] صاحِبه، زعِيمًا بإذعانه، وقَطْع موادّ الخِلاف من العَرب باستِقامَتِه. فتلَقّاهُ السُّلْطانُ بالقَبول وإسْعاف الرَّغْبَة والجزاءِ على المُناصَحَة والمُخالَصَة. ولَمْ يَزَلْ حمزةُ بن عمر من لَدُنْ رِضَى مَوْلانا السّلطانِ عنه وإقبالِه عليه، صَحيحَ الطّاعةِ، خَالصَ الطَّوِيَّةِ، مُناديًا بمُظاهَرَة مُحمّد بن الحكيم قائدِ حَرْبه وشِهابِ دَوْلَتِه على تَدويخ إفريقيّة وتَمهيدِ أَعْمالها، وحَسْمِ أَدْواء الفَساد منْها. وَأَخْذِ الصّدقاتِ من جَميع ظَواعِنِ البَدْو النّاجِعة في أقْطارِها، وجَمْعِ

(أ) زيادة من ف (ب) ف: غصبا (ج) ظ: شفاعة.

---

(1) نَخبَتِ القُلوبُ: نُزِعتْ. نَخَبَ الصقر الصقرَ: نزع قلبه. النَّخْبُ مصدر. الجبان لا فؤاد له، كأنّه منزوع الفؤاد.

الطّوائفِ المُتعاصِينَ بالثّغور على إلقاءِ اليَدِ للطّاعة والكفّ عن أَموال الجِبايَة. فكانت لهذا القائِد آثارٌ في ذلك مَهّدَتْ من الدّولَة وأرْغَمتْ أُنوفَ المتَعاطِينَ للاسْتِبْداد في القاصِيَة، حتّى اسْتقامَ الأَمْرُ وانمَحى أثَرُ الشّقاقِ، فاسْتَوْلَى على المَهْدِيّة سنةَ تسعٍ وثَلاثين، وغلَب عليها .....(أ) بن عبد الغفّار المنْتَزِي بها من أَهْل رجيش. واستَوْلَى على تَبسّةَ، وتَقَبّضَ على صاحِبِها مُحمّد بن عَبْدون من مَشْيَختها، وأوْدَعَهُ سِجْنَ المَهْدِيَّة إلى أن أُطْلِقَ بعدَ نَكْبَته. ونازلَ تَوْزَرَ من بعد ذلك حتى اسْتقامَ ابنُ يَمْلُول على طاعَتِه المُضَعَّفة، واسْتَرْهَنَ وَلَدَهُ. ونازلَ بِسْكِرَةَ غير مرّة يُدافِعُه / [306 أ] يوسف ابن مَنْصور [بن](ب) مُزْنِي بِذِمَّةٍ يَدَّعِيهَا من السّلطان أبي بَكْر وسَلَفِهِ، ويُعطيه الجِبايَةَ عن يَدٍ مع ما كان لَه من الاعْتِلاق بخِدْمَة السّلطان أبي الحسَن، فيَتَجَافَى عنه ابنُ الحكيم لذلك بعد اسْتِيفاءِ مَغارِمِه. وزَحَفَ إلى بِلاد ريغَةَ فافْتَتحَ قاعِدَتها تقَرْتَ(ج)، واسْتَوْلَى على أَمْوالِها وذَخيرتها، وسارَ إلى جَبل آوْرَاسْ فافْتَتحَ الكثيرَ من مَعاقِلِه. وعصفَتْ ريحُ الدّوْلَة بأَهْل الخِلاف من كلّ جانبٍ، وجاسَتْ عساكرُ السّلْطان خِلالَ كلّ أرضٍ. وفي أَثْناء ذلك هَلَكَ حَمزةُ بن عمر سنةَ ثِنْتَيْن وأَرْبعين على يَد أبي(د) عون ابن أبي عليّ من بني كُثير أَحَدِ بُطونِ بَني كَعْب بطَعْنةٍ طعَنَهُ بها غيلةً فأَشْواه. وَقَامَ بأَمْرِه من بَعْده بَنُوه وكَبِيرُهُمْ يومئذٍ عُمَرُ، ودَاخلَتْهم الظِنّةُ أنّ قَتْلَهُ بإملاء الدّولة، فاعْصَوْصَبُوا وتَذامَرُوا واسْتَجاشُوا بأَقْتالِهم أولادِ مُهَلْهِل، فَجَيَّشُوا معهم وَزَحَفَ إليهم ابنُ الحكيم في عَساكِرِ السّلطان من زَناتة

(أ) فراغ موقع الاسم في الأصلين. وتقدم ذلك ص 298 (ب) من ف (ج) في ظ مهملة. ف: يوفرت ويرد ضبطها في ظ [308 ب] (د) ف: ابن.

والجُنْد، ففَلُّوهُ واسْتَلْحَمُوا كثيرًا من وُجوهِهِم، ورَجَع إلى الحَضْرَة فتَحَصَّن بها، واتَّبَعُوه فنَزلُوا بساحَتِها سنةَ ثلاثين، وقاتلوا العساكرَ سبعَ ليالٍ ثمّ اختَلَفُوا. ونزَع طالبُ بنِ مُهَلْهل في قَوْمه إلى طاعَة السّلطان، فأَجْفَلُوا وخرجَ السُّلطان علَى بقيّة ذلك في جُمادى من سَنَتِه في عساكِرِهِ وأَحْزابِه من العَرَب وهَوّارَة، فأَوْقَعَ بهم بِرَقّادَة من ضَواحي القَيْروان، ورجَعَ إلى حَضْرته آخرَ رَمضان من سَنَتِه وذَهَبُوا مَفْلولينَ إلى القَفْر. ومَرُّوا في طَرِيقِهم بالأمير أبي العبّاس بقَفْصة فرَغَّبُوهُ في الخِلاف على أبيه وأنْ يَجْلِبُوا به على الحَضْرة، فَأَمْلَى[1] لهم في ذلك حتّى ظَفِرَ بمعزّ بن مُطاعِن وَزير حَمْزَة، وكان رأسَ النّفاق والغِوَايَة، فتَقَبَّضَ عليه وقَتَلَهُ، وبَعثَ بِرَأْسِه إلى الحَضْرَة فنُصِبَ / بها، ووَقَع ذلك من مَوْلانا السُّلْطان أحسنَ المَواقِع. ثُمّ [306 وَفَدَ بعدَها على الحَضْرة فبَايَعَ له بالعَهْد في آخرِ سَنَتِهِ في مَحْفَلٍ أَشْهَدَهُ الملأَ من الخاصّة والكافّة بإيوانِ مُلْكِه، وكان يومًا مشهودًا قُرِئَ فيه سِجِلُّ العَهْد على الكافَّة وانفَضُّوا منه داعينَ للسُّلْطان.

ورَاجَع بَنو حَمْزة الطّاعَةَ من بَعْدها واسْتَقاموا علَيْها إلى أن كانَ من أَمْرِهم ما نَذكُرُ.

---

(1) أَمْلَى له في غَيِّه: أطال له، أمهله وطوّل له.

## 143 • الخبرُ عن مَهْلِك الحاجب ابن عبد العَزيزِ، وولايةِ أبي محمّد بن تافراكين من بَعْدِه، وما كان على تفِئَةِ ذلك من نكبَةِ ابنِ الحكيم.

هذَا الرَّجُلُ اسْمُه أحمدُ بنُ إسْماعيل بن عبد العزيز الغَسّاني، وكُنْيتهُ أبو القاسِم، وأصلُ سَلَفِهِ من الأَنْدلس، انْتَقَلُوا إلى مَرَّاكُش، واسْتُخدِمُوا بها للموَحِّدين، واسْتَقَرّ أبوهُ إسْماعيلُ بتُونِس. ونشأ أبو القاسم واسْتَكْتَبهُ الحاجِبُ ابنُ الدَبّاغ. ولـمّا دخلَ السُّلطان أبو البَقاء خالدُ إلى تُونِس، ونَكَبَ ابنَ الدبّاغ، لَجأَ ابنُ عبد العزيز إلى الحاجِب ابنِ عَمَر، وخرجَ معه من تُونِس إلى قُسُنْطِينَةَ. واسْتَقَرَّ ظافِرُ الكبيرُ هنالِك فاسْتَخْدَمه إلى أن غُرِّبَ إلى الأَنْدلُس كما قدّمناه. ثمّ اسْتَعْمَلَه ابنُ عَمَر على الأَشْغال بقُسُنْطِينة سنةَ ثلاثَ عَشْرةَ فقَامَ [بها](أ)، وتَعَلَّقَ بخدْمة القَالُون بعدَ اسْتِبْداد ابنِ عَمَر ببجايَة. فلَمَّا وَصلَ السُّلطانُ أبو بكر إلى تُونِس سنةَ ثمانِ عَشْرة اسْتَقْدمه القالونُ واسْتَعْمَلَه على أَشْغال تُونِس. ثمّ كانت سِعايَتهُ في القالون مع الـمِزْوار ابنِ عبد العزيز إلى أن فَرّ القَالُونُ سنةَ إحدَى وعشْرين، وَوُلِّيَ الحِجَابَة المزوارُ ابنُ عبد العزيز، وكان أبو القاسِم بن عبد العزيز هذا رَديفًا له لضَعْف أَدَواتِه. ولَـمّا هلَكَ ابنُ عبد العزير الـمِزْوارُ بَقِيَ أبو القاسِم / ابن عبد العزيز يُقِيمُ الرَّسْم(ب) إلى أن قَدِمَ ابنُ سَيّد النّاس من بِجاية [307أ] وتَقَلَّدَ الحِجابَة كما قَدّمْناه، فَغَصّ بمكانِ ابن عَبْد العَزيز هذا وأَشْخَصه عن الـحَضْرة ووَلاّهُ أعمالَ الحَامّةِ. ثمّ اسْتُقْدِمَ مِنها عندما ظهرَ عبدُ الواحِد

(أ) من ف (ب) كرّر كتابتها في ظ.

ابنُ اللّحياني بجهات قابِس، فلَحِق بالسّلْطان في حَركَته إلى تِيمْزَزْدَكْت، وأقامَ في جُمْلة السّلطان إلى أن نُكِبَ ابنُ سَيّد النّاس، ووُلّيَ الحِجابَة بالحَضْرة، كما ذكَرْنا ذلكَ كلَّه من قبْل، إلى أن هَلَك فاتحَ سنَةِ أربعٍ وأرْبعين. فعقَدَ السُّلطانُ على حِجابَتِهِ لشَيْخ المَوحّدينَ أبي مُحمّد عبد الله ابن تَافْرَاكِين. وكان بَنو تَافْرَاكِين هؤلاء من بُيوت المَوحّدين في تِينْمَلّلْ ومن أيْتَ(أ) الخَمْسين، ووَلّى عبدُ المؤمِن كَبِيرَهُمْ عُمَرَ بن تَافْرَاكِين على فَاس أوّلَ ما مَلَكَها الموحّدون سنةَ أَرْبعين وخَمْس مائة إلى أن فَتَحُوا مَرّاكُش، فكان عبدُ المؤمن يَسْتَخْلِفهُ علَيها - أيّامَ مَغيبه عنْها- علَى الإمارَة والصّلاة. ولـمّا ثارَ بـمَرّاكُش عبدُ العزيز وعيسى ابْنَا أومغار أخي الإمام الـمَهْدي سنةَ إحْدى وخَمسين، كان أوّلُ ثَوْرتهم أن اعْتَرَضُوا عُمَرَ بنَ تَافْرَاكِين عِنْد نِدائه بالصّلاة فقَتَلُوه، وفَضَحَهُمُ الصّبْحُ فاستَلْحَمَتْهُمُ العامّة. ثمّ كان ابنُه عبد الله بن عُمَر من بَعْده من رجالاتِ المَوحّدين ومَشْيَختِهم. ولـمّا عَقَد الخليفةُ يوسفُ بن عبد المؤْمِن على قُرْطُبَة لأخيه السيّدِ أبي إسْحاق، أَنْزلَ معه عبدَ الله بن عُمَر بن تَافْرَاكِين للمَشُورَة مع جَماعَةٍ من الـمُوَحّدين، كان منهم ابن وَانُّودِينْ، وكان عبدُ الله الـمُقدَّمَ فيهم. وجاء ابْنُه غمر(ب) من بَعْده مُتَقَيِّلاً(1) مَذْهَبَه مَرْموقًا بتَجِلّتِه.

ولـمّا وُلّيَ السَّيّدُ أبو سعيد بن عمر بن عبد المؤمن على إفريقيّة وَلاّه قابِسَ وأعمالَها إلى أن استَنْزَلَهُ عنْها يحيى بن غانِيَة سنةَ ثِنْتَيْن وتِسْعين

(أ) كذا ضُبطت في ف (ب) كذا بالغين في ظ وحدها.

(1) تَقَيّلَ أباه : أشبهَهُ.

[307 ب] وخَمْس مائة. / ثمّ كانَ منهم بعدَ ذلك عُظماءٌ في الدّولَة وكبراءٌ من المَشْيَخة، آخرَهم عبدُ العزيز بن تَافْرَاكِـين، خالَفَ الموَحّدينَ بِمَرَّاكُش لَمَّا نَقَضُوا بَيْعةَ المأمون، فاغْتَالُوهُ في طَريقه إلى المَسْجد عند الإيذَانِ بالصُّبح بما كانَ مُحافظًا على شُهود الجَماعات. وَرَعَاهَا له المَأمونُ في أخيه عبد الحقّ وبَنِيه أحمدَ ومحمّدٍ وعُمَرَ، فلَمَّا اسْتَلْحَمَ الموَحّدونَ وعَمَّهُم الجزَعُ، ارْتَحلَ عبدُ الحقّ مُوَرِّيًا بالحَجّ، ونزلَ على السّلطان المُسْتَنْصِر فأنزلَه بمكانِه من الحَضْرة، وسَرَّحه بعضَ الأحايِين إلى الحامّة لحَسْم الدّاء فيها، وقد كان تَوَقَّعَ الخِلافَ من مَشْيَختها فَحَسُنَ غَناؤُه فيها، وَقَتَلَ أَهْلَ الخِلاف، وحَسَمَ العِلَلَ. وولاّه السّلطانُ أبو إسْحاق على بِجاية بعدَ مَقْتل مُحمّد بن أبي هِلال فاضْطَلَعَ بها. ولَمّا وَلِيَ الدّعِيُّ ابن أبي عُمارة سَرَّحَهُ في عَسْكرٍ من الموَحّدين لقَهْر العَرب وكَفِّ عُدْوَانِهم فَأَثْخَنَ فيهم ما شاءَ. ولم يَزَلْ معروفًا بالرّئاسَة مَرْموقًا بالتَّجِلَّة إلى أن هَلَكَ. وكان بَنو أَخيه عبد العزيز وهم أحمدُ ومُحمّد وعُمر جاؤوا على إثْره من المغْرب فَنَزَلُوا بالحَضْرة خيرَ مَنْزلٍ وغُذُوا بلِبانِ النّعْمة والجاهِ فيها، وكان أحمدُ كبيرَهم، ووَلاّه السّلطانُ أبو حَفْصٍ على قَفْصَه ثمّ على المَهْدِيّة ثمّ اسْتَعْفَى من الولايَة فَعُوفِيَ. وكان السّلطان أبو عَصِيدَة يَسْتَخْلِفُه على الحَضْرة إذا خَرَج منها على ما كان لأوّلِيهِ إلى أن هَلَكَ لأوّل [المائة][(أ)] الثّامنة سنةَ ثَلاثٍ. ونَشأَ ابْناهُ أبو مُحمّد عبدُ الله وأبو العبّاس أحمد في حِجْر الدّولة وجوّ عِنايَتِها، وأَصْهَر عبدُ الله منهما إلى أبي يعقوب بن يزدوتن شَيْخِ الدّوْلة في ابْنَتِه فعقَدَ له عليها، وأَصْهَر من بَعْده أخوهُ أحمدُ إلى أبي محمّد بن يَغْمور في ابْنَتِه

(أ) من ف وسقط من ظ.

فعَقَد له أيضًا عليها، واسْتَخْلَص أبو ضَرْبَة بنُ اللِّحْياني كبيرَهما أبا مُحمّد عبدَ الله وآثَرَهُ بصِحابَتِه، فلَمْ يزلْ معَه إلى أن / كانت الوَقيعة عليه [308أ] بمَصّوج، وتُقُبِّض على كثيرٍ من المَوحِّدين فكان في جُمْلَتِهم. وَمَنَّ عليه السّلطان أبو بكر وَرَقّاهُ في رُتَب عِنايَته إلى أن وَلاّهُ الوِزارَةَ بعد الشّيخ أبي مُحمّد بن القاسِم، ثمّ قدَّمَهُ شيخًا على المُوحِّدين بعدَ مَهْلِك شَيْخهم أبي عُمر بن عُثمان سنةَ ثِنْتَيْن وأَرْبعين، وبعَثَه إلى مَلِك المَغرب مع ابْنِه الأميرِ أبي زَكريّاء صاحبِ بِجايَة صَريخًا على بَني عبد الوادِ، فَجلَّى في خِدْمَة ابن السّلطان وغَرَضِ سِفارَته. وتوَجَّهَ الإيثارُ بَعْدها إليه، واختُصّ بالسّفارَة إلى مَلك المَغرب سائرَ أيّامِه. وغَصّ الحاجبُ ابن سَيّد النّاس بمكانه، وهَمَّ بمَكْروهه فكَبَحَ السّلطانُ عِنانَه، وَيُقَالَ إنّه أَفْضى إليه بذاتِ صَدْره من نَكْبتِه. ولمّا انْقَسمت خُطَطُ الدّولة من الحَرْب والتّدْبير ومُخالَصة السّلطان وتَنْفيذ أوامِره بَيْن ابن عبد العزيز الحاجِب وابنِ الحكيم القائِدِ، كان له هو القِدْحُ المُعَلّى في المَشورَةِ والتّدْبير، وكانوا يَرْجِعونَ إليه ويُعوّلونَ على رَأْيه، وكانَ ثالثَ أثافِيهم ومَصْقَلَةَ آرائهم. ولمّا هَلَك الحاجبُ ابنُ عبد العزيز وكان السّلطانُ قد أَضْمَرَ نَكْبَةَ ابن الحكيم لِمَا كان يَتعاطاهُ من الاسْتِبْداد ويَخْتَجِنُه[1] من أَمْوال السّلطان، وأَسَرَّ الحاجِب ابنُ عبد العزيز إلى السّلطان، - زَعَمُوا - بين يدَيْ مَهْلِكِه بالتّحذير من ابن الحَكيم وسوءِ دِخْلَتِه. وأنّه فاوَضَهُ أيّامَ نُزولِ العَرب عليه بساحِ تُونِس سنةَ ثِنْتَيْن وأربعين كما قدمناه، في الإدالَة من السّلطان ببَعْض الأَغْياص[أ] من

(أ) ظ ف: الأعياض.

---

(1) اختجَنَ المال: ضَمَّهُ إلى نَفْسه واحتواه.

بني أبي دَبُّوس كانوا مُعْتقلين بالحَضْرة، أَلْقاهَا القَدَرُ على لسانِه ضَجَرًا من قُعود السّلطان عن الخُروج بنَفْسه إلى العَرَب، وسَآمةً ممّا هو فيه من الحِصار، فاعْتَدَّها عليه ابنُ عبد العزيز حتّى أَلْقاهَا إلى السّلطان / [308 ب] عندَ مَوْتِه، وبَرِئَ منْها إليه فأَوْدَعَها أُذُنًا واعِيةً، وكان حَتْفُ ابن الحَكِيم فيها.

فلمّا هلَكَ وَوَلِيَ شيْخُ المَوَحِّدين أبو مُحمّد بن تَافْراكِين، فَاوَضَهُ في نَكْبة ابن الحكيم، وكان يتربّص به لما كان بينهما من الـمُنافَسَة، وكان ابنُ الحكيم غائبًا عن الحضْرَة في تَدْويخ القاصِيَة، وقد نازلَ جبلَ آوْرَاسْ، واقتضى مَغارِمَه، وتوغّل في أرض الزّاب واسْتَوْفَى جِبايَتَهُ من عامِله يوسفِ بن مَنْصور، وتقدّم إلى رِيغْ، ونازلَ تُـقُّرْت[أ]، واقْتحَمَها، وامْتلأَتْ أَيْدي عَساكِره من مَكاسِبِهم وحَلْيِهم. واتّصلَ به خبرُ مَهْلِك ابن عبد العزيز وولايَة أبي محمّد بن تَافْراكِين الحِجابَةَ، فنَكِرَ ذلك لما كان يَظُنُّ أن السّلطان لا يَعْدِلُ بها عنه؛ وكان يُرَشِّحُ له كاتِبَه أبا القاسِم بن واران، ويَرى أنّ ابنَ عبد العزيز قَبْلَه لم يتَمَيَّزْ بها إيثارًا عليه، فَبَدَا لَهُ ما لم يَحْتَسِبْهُ فظَنَّ الظنونَ، ونفَرَ. ثمّ أَصْحَبَ[1] وأغذَّ السّيْرَ إلى الحَضْرة، وقد وَامَرَ السلطانُ أبا مُحمّد ابن تَافْراكِين في نَكْبته، وأَعدّ البِطانَةَ للقَبْض عليه. وقَدِمَ على الحَضْرة مُنْتصف رَبيع من سنَة أربعٍ وأَرْبعين، وجلَس له السُّلْطانُ جلوسًا فخْمًا فَعرَضَ عليه هَدِيّته من الـمُقَرّبات والرّقيق والأَنْعام، حتّى إذا انْفَضَّ الـمجلسُ، وشَيَّعَ السّلطانُ وُزَرَاءَهُ وانْتهَى إلى بابِه، أشارَ إلى البِطانَة

(أ) كذا ضبطت في ظ.

(1) أَصْحَبَ الرجل: صار ذا صاحب، وتقول استَصْحَبَ ثمّ أَصْحَب.

فأَخْذَقُوا به، وتَلَّوهُ إلى مَحْبَسِه، وبُسِطَ عليه العذابُ لاسْتِخْراج الأَمْوال، فأَخْرَجَها من مَكان اختِجابِها[أ]، وحَصَلَ مِنها في مَوْدَع السّلطان أربعُ مائة ألف من الذّهب العَيْن، ومثلُها أو ما يُقارِبُهَا قيمةً من الجوهر والعقَار والأَقْوات، إلى أن استُصْفِيَ. ولـمّا امْتُكَّ[1] عَظْمُهُ، ونَفَذَ ماله، خُنِقَ بمَحْبَسه في رَجب من سنته، وَذَهَبَ مثلاً في الأيّام، وَغُرِّبَ وَلَدُه مع أمّه إلى المشْرِق، وطَوَّحَ بهم الاغْتراب إلى أن هَلَكَ منْهم من هلَكَ. وَرَاجَعَ الحَضْرَةَ عليٌّ وعُبَيد منْهم في آخرين من أَصاغِرِهم بعد أَيّام وأَحْوال. والله يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لحكْمِه.

## 144 • / الخبرُ عن شَأْنِ الجَريدِ واسْتِكْمال فَتْحه، وولايةِ ابْنِهِ أبي العبّاس عليه، [ب]وولايةِ صاحبِ قَابِس أحمدَ بن مَكّي على جَزيرة جرْبَة[ب]. [309

كان أمرُ الجَريد قد صارَ إلى الشّوَرَى منذ شُغِلَتْ الدّولة بمُطالَبة زَناتة بَني عبد الوادِ وما نالَها لذلك من الاضْطِراب، واسْتَبَدَّ مشْيَخةُ كلّ بَلَدٍ بأَمْره، ثمّ انفَرَدَ واحدٌ منهم بالرِّئاسَة.

وكان مُحمّد بن يَملول من مَشْيَخة تَوْزَرَ هو القائم فيها والمستبِدُّ بأمْرِها، كما سَنَذْكُرُه. ولـمّا فَرَغَتْ الدّولَة إلى الاسْتِبْداد، وأَرْهَفَ السّلطانُ

(أ) كذا في ظ. وفي ف: احتجابها وهو أنسب.

(ب) ف: وعَقده لأحمد بن مكّي على حَزبه. وما في ظ هو المطابق للنص التالي.

---

(1) مَتَكَ: قطع. امتكَّ دَقّ.

حَدَّهُ للثوّار، وعَفَّى على[أ] آثارِ المَشْيَخة بِقَفْصَة، وَعَقد لابْنه الأميرِ أبي العبّاس على بلاد قَسْطِيلِيَّة، وَأنْزَلَهُ بقَفْصَة فأقامَ بها مُمَهِّدًا لإمارَته مُرَدِّدًا بُعُوثَهُ إلى البلادِ، اخْتِبَارًا لما يُظْهِرُون من طاعَتِه. وَزَحَفَ حاجِبُه أبو القاسم بن عَتُّو[ب] سنةَ .... [ج] بالعساكر إلى نَفْطَةَ ابْتلاءً لطاعة رُؤسائها بَني مُدافِع، المعروفينَ ببَني الخَلَف، وكانوا إخوةً أربعة اسْتَبَدُّوا برئاستها في شُغْلِ الدّولة عنهم فَسَامَهُمْ سوءَ العذاب، وَلاَذُوا بجدران الحصون التي ظَنّوا أنّها مَانِعَتُهُمْ، وتَبَرَّأَتْ منهم الرّعايا فأدْرَكَهُمْ الدّهَش وسَألُوا النُّزُولَ على حُكْمِ السّلطان فَجُنِّبُوا(1) إلى مَصارِعهم، وَصُلِبُوا على جُذوعِهم آيةً للمُعْتَبِرين. وَأفْلَتَ السَّيْفُ عَلِيًّا صغيرَهم لنُزُوعِهِ إلى العَسْكر قبل الحادِثة فكانت له ذِمَّةً وَاقِيَةً[د] من الهَلَكة. وانْتَظَمَ الأميرُ أبو العباس [بَلَدَ نَفْطَةَ في مَلَكَتِه، وجَدَّدَ له العهدَ عليها أبوهُ، وتَمَلَّكَ الكثير][هـ] من نَفْزَاوَةَ، ولمّا اسْتُبِيحَتْ نَفْطَةُ ونَفْزَاوَةُ سَمَتْ هِمّتُه إلى مُلْكِ تَوْزَر جُرْثُومَةِ الشِّقَاق وعُشِّ الخِلافِ والنِّفاق، وخَشِيَ مُقَدَّمُها مُحمّد بن يَمْلول مَغَبَّةَ حالِه، وذَهَبَ إلى مُصانَعة [309 ب] قائدِ الدّولَةِ مُحمّد بن الحكيم بذاتِ صَدْره، فتَجَافَى عنه، إلى / أن كان مَهْلِكُهما في سنةٍ واحِدةٍ. واضْطَرَبَ أمرُ تَوْزَرَ وتَوَاثَبَ بَنُوه وإخوَتُه وَقَتَلَ بعضُهم بعضًا. وكان أخوهُ أبو بكر مُعْتَقَلاً بالحَضْرة فأَطْلَقَهُ السّلطان من مَحْبسِه بعدَ أن أَخَذَ عليه المواثيقَ بالطّاعة والجِبَاية. وَمَضَى إلى تَوْزَرَ فَملَكَها، وطَالَبَهُ الأميرُ أبو العبّاس صاحبُ قَفْصَةَ وبِلاَدِ قَسْطِيلِيَّة بالانْقِياد

(أ) ف: عن (ب) كذا ضبطت في ظ (ج) فراغ لكلمة في الأصلين (د) ظ: وافية (هـ) انفردت ف بهذه الزّيادة.

---

(1) جُنّبوا: دُفِعوا واقتِيدوا.

الذي عَاهَدَ عليه، فنازَعَهُ ما كان في نَفْسِه من الاسْتِبْداد، وصارت تَوْزَرُ لذلك شَجًى[(أ)] مُعْتَرِضًا في صَدْر إمارَته. فَخَاطَبَ أباه السّلطانَ أبا[(ب)] بكر وَأَغْرَاهُ، فنَهَضَ إليه سنةَ خمسٍ وأربعين وانْتَهى إلى قَفْصَةَ. وَطَار الخبرُ إلى أبي بكر بن يَمْلُول رئيسِها يَوْمئذٍ فَأَدْرَكَهُ الدَّهَشُ، و[انفَضَّ][(ج)] من حَوْله الأَوْلياءُ، وَجَاهَرَ بطاعَة السّلطان ولقائه، فَفَرَّ عنه كاتِبهُ وكاتبُ أبيه المستَوْلي على أَمْرِهِ عَلِيُّ بنُ مُحمّد القَمّودي المعروفُ الشّهْرة [ولحِقَ][(د)] بِبِسْكِرَةَ في جِوار يوسف بن مُزْنِي.

وأَغَذَّ السّلطان السيْرَ إلى تَوْزَرَ، فخرجَ إليه أبو بكر بن يَمْلول وأَلْقَى إليه بيَدِهُ وخَلَطَ نَفْسه بجُمْلَتِه، ثمّ نَدِمَ على ما فَرَّطَ من أَمْره، وأحسَّ بالنَّكْرَاءِ من الدّوْلَة ونُذِرَ بالهَلَكَة، فلَحِقَ بالزّابِ وَنَزَلَ على يوسف بن مَنْصور بِبِسْكِرَة، فتَلَقّاهُ من التّرْحيب والقِرَى بما تَحَدَّث به النّاس. ولمّا اسْتَوْلَى السّلطانُ على تَوْزَرَ وانْتَظَمَها في أَعْماله عَقَدَ عليها لابْنه الأمير أبي العبّاس وأَنْزَلَهُ بها، وأَمْكَنَهُ من رُمَّتِها[(هـ)]، وَرَجَعَ السّلطان إلى الحَضْرة ظاهِرًا عزيزًا، وَتَمَلَّى[(1)] أيّامَ مُلْكه إلى أن هَلَكَ على فِراشِه، كما نَذْكُر. واتَّصَلَت ممالكُ الأمير أبي العبّاس في بِلاد الجَريد، وسَاوَرَ[(2)] أبو بَكْر بنُ يَمْلول تَوْزَرَ مِرارًا يُفْلِتُ في كلّها من الهَلَكة إلى أن ماتَ بِبِسْكِرَة سنةَ

(أ) سقط من ف (ب) ف: أبا (ج) ظ: انقبضّ (د) من ف وسقط من ظ (هـ) ظ: رميها
والمعنى أمكنه من جُملتها.

---

(1) عاش أيام مُلكه واستَمْتَع منها.

(2) ساوَر: واثَب وقاتل، والسَّوْرَةُ: الوثْبَة والسَّطْوَةُ والغَضْبَة.

سبْعٍ وأربعين قُبَيْلَ مَهْلِكِ السُّلْطان، كما نَذْكُر. وأقام الأميرُ أبو العبّاس بمحلِّ إمارَته، ولم يَزِلْ / يُمَهِّدُ الأَحْوالَ ويَسْتَنْزِلُ الثّوارَ. [310 أ]

وكان ابن مَكّي قد امْتَنَعَ علَيه بقابِس، وكان من خَبَره أنّه لما رجع عبد المَلِكِ من تُونِس مع عبد الواحد بن اللِّحْياني الذي كان حاجِبًا له، وذهب ابنُ اللِّحْياني إلى المَغْرب وأقامَ هو بقابِس، ثمّ اسْتَرَاب بمآلِ أمره مع السّلطان حين ذَهب مُلْك آلِ[أ] زيّان، فأَوْفَدَ أخاهُ أحمدَ بنَ مَكّي على السّلطان أبي الحسَن مُتنَصِّلاً من ذُنوبه مُتَذَمِّمًا بِشَفَاعَةٍ منْهُ إلى السّلطان أبي بكر فشَفَعَ لَه، وأعادَه السّلطانُ إلى مَكان رِئاسَتِه، واسْتَقَام هو على الطّاعَة، ونَكَبَ عن سَنَنِ العِصْيان والفِتْنَة. وكان لأَحمَدَ بنِ مَكّي حظٌّ من الخِلال[ب] والأَدواتِ، ونفْسٌ مَشْغوفَةٌ بالرئاسة والسَّرْوِ[1]، وكان يَقْرِضُ الشِّعْرَ فَيُجِيدُ، ويُرَسِّلُ فَيُحْسِنُ، وكان خَطُّ كِتابهِ أنيقًا يَنْحو به مَنْحَى الخَطّ الشَّرْقيّ، شأنُ أَهْل الجَريد، فيُمْتِعُ ما شاءَ، فكانَتْ لذلك كلِّه في نَفْس الأمير أبي العبّاس صاغِيَةٌ إليْه. وكان هو مُسْتريبا بالمُخالَطة لما شاء من إثارَة السّالِفَة. ولم يَزِلْ الأميرُ أبو العبّاس يَفْتِلُ له في الذِّرْوَة والغارِب[2] إلى أن جَمَعَهُمَا[ج] مَجْلِسُ السيّدةِ أمَةِ الواحِد، أُخْتِ مَوْلانا السُّلْطان، قَافِلَةً من حَجّها، فَمَسَحَ ما كانَ في صَدْرِه، وَأَحْكَمَ له عَقْدَ مُخالَصَتِه، واصْطَنَعَهُ لنَفْسه فَحَلّ من إمارَته بمكانِ غِبْطَةٍ واعْتِزازٍ. وعَقَدَ له السّلطانُ

(أ) ف: ملك اربان (ب) ظ: حط من الحلال. ف: خطه من الجلال. وهو تصحيف وتحريف بيِّن
(ج) ظ: جمعها.

---

(1) السَّرْوُ: الفَضْل والسّخاء في المروءة.

(2) أي يدور من وراء خديعته، وتقدم شرحها.

علَى جزيرة جِرْبَة واسْتَضَافَها إلى عَمله، وأَنْزَلَ عنها مَخْلوفَ بنِ الكمّاد من صَنائِعه، كانَ افْتَتَحها سنةَ ثمانٍ وثلاثين. وعَقَدَ له السُّلْطان عليها فنزَلَها أحمدُ ابن مَكّي، واسْتَقَلّ عبدُ الملك أخوهُ برئاسَة قابِس، وأقامَا على ذلك، وجَرَّدَا عَزائِمَهما في ولاية أبي العبّاس صاحبِ أَعْمال الجَريد، فلَمْ يَزالُوا كذلكَ، إلى أن كانَ من أَمْر الجَميع ما نذكرُهُ.

## 145 • الخبرُ عن مَهْلِك الوزيرِ أبي العَبّاس / بنِ تَافْرَاكِين(أ). [310

كان السّلطانُ أبو بكر عِنْد نَكْبته لقائِده ابن الحَكيم، اسْتَعْمَلَ على حِجابَته شيخَ الموحّدين أبا مُحمّد بنَ تافراكِين، كما ذكَرْناهُ، وفوّضَ إليه فيما وراءَ بابِه، وعقَد على الوِزارَةِ لأخيه أبي العبّاس أحمدَ. وكان أبو محمّد حِلْسَ(1) البَابِ لمكانِ الحِجابَة، [فدَفعَ](ب) إلى الحَرْب وَقَوْدِ العَساكر وإمارَةِ الضّاحية أخاهُ أبا العبّاس، فقَامَ بما دُفِعَ إليه من ذلك. وكان بَنو سُلَيْم بعد مَهْلِكِ حَمزة بن عُمَر، نَقَمُوا ما كان عليه من الإذْعان، وسَمَوْا إلى الخِلاف والعِنَاد، فكان من أَنْباء(ج) حَمزة في ذلك من الإجْلاب على الحَضْرة ما ذكَرْنَاهُ. وكان سُحَيْمُ بن ........(د) من أَوْلادِ القَوْس من حَكيم بُهْمَةَ(2) غَوَارٍ ومَارِدَ خِلاَفٍ وعنادٍ. وكان السُّلطان قد وَلّى على حِجابة ابْنه الأمير أبي العبّاس في أَعْمال الجَرِيد، أبَا القاسِم بن عَتُّو من مَشْيخة

(أ) اشمام الكاف مثبت في ظ وحدها (ب) من ف، ظ: فوقع (ج) مصحّفة في ف إلى: أبناء (د) فراغ للاسم في الأصلين.

---

(1) حِلْس الباب، ملازم له لا يَبْرحُه.

(2) البُهْمَة: الشجاع المقدام (وتقدم شرحها) ، والغِوَار: الغارَة.

الموحّدينَ، وكان يُنَاهِضُ بَني تَافْرَاكِين - بزَعْمِه - في الشَّرَفِ[أ]، ويَنْفَسُ علَيْهِم ما آتاهُم الله دونَه من الرّتْبة والحَظّ. فلمّا وُلّيَ أبو مُحمّد الحِجابَة مُلِئَ منه حَسَدًا وحَفيظَة، وَدَاخَلَ - فيما زَعَمُوا - سُحَيْمًا هذا الغَوِيَّ في النَّيْلِ من أبي العباس بن تَافْرَاكِين صاحبِ العَساكر، وشَارَطَهُ على ذلك بما أدّاه إليه، وتَكَاتَمُوا أَمْرَهم.

وخَرجَ أبو العَبّاس بنُ تَافْرَاكِين فاتحَ سنَةِ سَبْعٍ في العَساكرِ لِجبايَة هَوّارَة، فوَفَدَ عليه سُحَيْمٌ هذا وقومه، وضَايَقُوهُ في الطَّلَب، ثمّ انْتَهَزُوا فيه الفرصةَ بعضَ الأيّام وأَجْلَبُوا علَيه، فانْفَضَّ مُعَسْكَرُه وكَبَا بهِ فَرَسُه، فقُتِلَ وَحُمِلَ شِلْوُهُ إلى الحَضْرة فدُفِنَ بها. وجاهرَ سُحَيْمٌ بالخِلاف وخَرَجَ إلى الرّمال، فلَمْ يَزَلْ كذلك إلى حين مَهْلِكِ السُّلْطان، كما نَذْكُر.

## 146 • الخبَرُ عن مَهْلك الأَميرِ أبي زكَرِيّاء صاحب بجاية من الأبناء، وما كان بعدَ ذلك من ثَوْرة أَهْل بجاية بأخِيه الأميرِ أبي حَفصٍ، و وِلاية / ابْنِه الأميرِ أبي عَبْد الله. [311أ]

كان السّلطانُ أبو بَكْرٍ لما هَلَكَ الحاجِب ابنُ غمر عَقَد على بجاية لابنه الأمير أبي زكريّاء كبيرِ وُلْدِه، وأَنْفَذَهُ إليها مع حاجبه مُحمّد بن القَالُون، كما ذكَرْناهُ، وجعلَ أمورَه تحتَ نَظرِه. ثمّ رجعَ القَالُون إلى تُونِس فأَنْزَلَ معه ابنَ سَيّد النّاس كذلك. فلَمّا اسْتَبَدَّ بحِجابَة الحَضْرة جعل على حِجابَتِه أبا عبد الله بن فَرْحون، ثُمّ لـمّا تَقَبَّضَ على ابن سيّد الناس وعلى

(أ) ظ: الشرق.

ابن فَرْحون، وقد استَبَدَّ الأميرُ أبو زكريّاء بأَمْره وقامَ على نَفْسه، فَوّضَ السّلطانُ إليه الأمرَ في بجايَة، وبعَثَ إليه ظافرَ السّنان - مَوْلَى أَبيه الأمير أبي زكريّاء الأوسَط - قائدًا على عَسْكره، والكاتِبَ أبا إسْحاق بن زَغْلان[أ] مُتَصَرّفًا في حِجابَته، فأقامَا ببابِه مُدّةً ثمّ صَرَفَهما إلى الحَضْرة، وقَدَّمَ لِحجابَتِه أبا العبّاس أحمدَ بن أبي زَكَريّاء الرّنْدِي، كان أبوهُ من أَهْل العِلْم، وكان يَنْتَحِلُ مذهبَ الصّوفِيَّة الغُلاَة، ويُطَالِعُ كُتُبَ عبد الحقّ بن سَبْعين. وَنَشَأَ أحمدُ هذا بِبجايَة، واتَّصلَ بخِدْمَة السّلطان، وتَرَقّى في الرُّتَب، إلى أن اسْتَعْمَلَهُ الأميرُ أبو زَكَريّاء كما قُلْناه. ثمّ هَلَكَ وقَدْ أَنِفَ السُّلْطانُ أبو بكر من انْتِزاء هؤلاء السّوَقِ[1] على حِجابَة ابْنه، فَأَنْفَذَ لها من حَضْرته كبيرَ المَوَحِّدين يومئذٍ وصاحبَ السّفارة أبا مُحمّد بن تافْراكِين سِنِيَّ أربعين وسَبْع مائة، فأقامَ أحوالَ مُلْكه، وَعَظَّم أُبَّهَةَ سُلْطانه. وجَهَّزَ العساكِرَ لسَفره، وَأَخْرَجَه إلى أَعْماله فطاف علَيْها وَتَفَقَّدَها، وانْتَهَى إلى تُخومِها من المَسِيلَة ومَقَّرَة. ولم يَسْتَكْمِل الحَوْلَ حتّى سَخِطَهُ[2] المَشْيَخَةُ من أهل بِجايَة لِمَا نَكِرُوا من الأُبَّهة والحِجاب حتّى اسْتَغْلَظَ عليهم بابُ السّلطان. وتَوَلَّى كِبْرَ ذلك القاضِي ابنُ أبي يوسف [تعنتّا][ب] ومَلاَلاً، واسْتَعْفَى هو من ذلك فأُعْفِيَ وعادَ إلى مَكانِه بالحَضْرة. / ثمّ اسْتَقْدَمَ الأميرُ أبو زكريّاء 11] حاجِبَه الأوّلَ لِعَهْد ابن سَيّد النّاس، وهو أبو عبد الله مُحمّد بنُ فَرْحون، وقد كانَ السّلطان بَعثه في غَرَض الرّسَالَة إلى مَلِك المَغْرب في الأُسْطول

(أ) ف: زعلان (ب) ظ: تغنتا. ف: تغنتا. ولعلها تصحيف لما قرأناه.

(1) كذا ضبطت في ظ، ولعله، يعني السّوقة، بمعنى الرعية. ولم أقف على هذا الجمع.

(2) سَخِطَ سَخَطًا: غَضِب ولم يَرْض.

الذي بَعثه مَدَدًا للمُسلمين عند إجازَة السُلطان أبي الحَسن إلى طَرِيف. وكان أخوهُ زَيْدُ بنُ فَرْحون قائدَ ذلك الأسطول بما كان قائِدَ البَحْر ببِجايَة.

فلَمّا رَجعَ أبو عبد الله بن فَرْحون من سِفارَتِه تلك، أَذِنَ له في المُقام عند الأمير أبي زَكريّاء، واسْتَعْمَلَهُ على حِجابَته إلى أن هَلَكَ، فوَلّى من بعده في تلك الخِطَّة ....[أ] ابن القشّاش من صَنائع دَوْلَته، ثمّ عزَلَهُ، ووَلّى عليها أبا القاسِم بن علَنّاس[ب] من طَبَقَة الكُتّاب، اتّصل بدارِ هذا الأمير وتَرَقّى في ديوانه، إلى أن وَلاَّهُ خطَّةَ الحِجَابَةِ، ثم عزَله بعَليٍّ[ج] بنِ مُحمّد بن المنت الحَضْرَميّ. كانَ أبوهُ وعَمُّه قَدِمَا مع جالِيَة الأنْدَلُس، وكانا يَنْتَحِلاَن القِرَآت، وأخذَ أَهلُ بِجايَة عن عَمّه أبي الحَسن عليٍّ القِراآتِ وكان خطيبًا بجامِع السُلطان، ونَشَأَ عليٌّ ابنُ أَخيه واسْتُعْمِلَ في الدّيوان، وكان طَموحًا للرّئاسَة، واتَّصلَ بحَظِيَّةٍ كانت للمَوْلَى أبي زكريّاءَ تُسَمَّى أُمَّ الحَكَمِ قد غَلَبَتْ على هَواهُ، فرَشَّحتْ عَلِيَّ بن المنت هذا لخُطّة الحِجابَة، واسْتَعْمَلَه فيها فقامَ بها، وأَصْلَحَ مؤونَاتِ السّلطان وأحوالَ مُقامَتِه وسَفَرِه، وجَهَّزَ له العساكرَ، وَجَالَ في نَواحي أَعْمالِه. وَهَلَكَ هذا الأميرُ في إحْدى سَفَراته وهو علَى حِجابَتِه بتاكْرَارَتْ[د] من أعمال بِجايَة، من مَرَضٍ كان أَزْمَنَ به في رَبيع الأَوّل سَنَةَ سبع وأَرْبعين. وكان ابنُه الأميرُ أبو عبد الله في حِجْر مولاه فارحٍ من مَعْلُوجَى ابن سَيّد النّاس، وكانوا اصْطَنَعُوه فأَلْفَوْهُ قابِلاً للتّرشيح، فأَقامَ مع ابن مَوْلاه يَنْتَظِرُ أَمْرَ الخَليفَةِ، وبادَرَ حاجبُه
[131ظ] الأَوّل أبو القاسِم بن عَلَنّاس إلى الحَضْرة، وَأَنْمَى الخبَرَ / إلى الخَليفَةِ، فعقَد

(أ) فراغ في الأصلين لموقع الاسم (ب) صحفت في ظ إلى: علياس (ج) ف: يعلى (د) ف: بتاكزازت.

على بِجايَة لابْنه الأميرِ أبي حَفص، كانَ معه بالحَضْرة وهو من أَصاغِر وَلَدِه، وأَنْفَذَهُ إليها مع رجالهِ وأُولِي اخْتِصاصِه.

وخرجَ معه [أبو][أ] القاسم بن عَلَنّاس فوصَل إلى بِجايَة ودَخلَها على حين غَفْلَة، وحَمَلَهُ الأوْغَادُ من البِطانة على إرْهاف الحَدّ وإظْهار السَّطْوِ، فَخَشِيَ النّاسُ البَوَادِرَ وائْتَمَرُوا[ب]. ثم [كانت][ج] في بَعْض الأيّامِ هَيْعَةٌ تَمالأَ فيها الكافَّةُ على التَوثُّبِ[د] بالأمير القادِم، فطَافوا بالقَصَبة في سِلاحِهم، ونَادَوْا بإمارَة ابن مَوْلاهم، ثمّ تَسَوَّرُوا جُدْرانَها واقْتَحَمُوا دارَهُ وَمَلَكُوا عليه أَمْرَه، وَأَخْرَجُوه بِرُمَّتِه بعدَ أن انْتَهَبُوا جميعَ مَوْجودِه. وتَسَاتَلُوا[هـ] إلى دارِ الأمير أبي عبد الله مُحمّد بنِ أميرِهم ومَوْلاهم بعدَ أن كان مُعْتَزِمًا على التَفْويض[و] عنهم واللّحاق بالخَليفة جَدِّه. وأَذِنَ له في ذلك عَمُّه الأميرُ القادِمُ. فبايعوهُ بدَارِه من البَلَدِ ثمّ نَقَلُوهُ من الغد إلى قَصْره بالقَصَبَة ومَلَّكُوهُ أمرَهم. وقامَ بأمْره مَوْلاهُ فارحٌ ولَقَّبَهُ باسْم الحِجابَة، واسْتَمَرَّ حالُهم على ذلك.

ولَحِقَ الأميرُ أبو حَفْصٍ بالحَضْرة آخرَ جُمادى الأولَى من سنته لشَهْرٍ من يوم وِلاَيَتهِ، إلى أن كان من شَأْنه بعدَ مَهْلِك مولانا السّلطان ما نَذْكُرُهُ. وتَدَارَكَ السُّلطانُ أمرَ بِجايَة، وبَعَثَ إليهم أبا عبد الله بن سُلَيمان - من كِبار الصَّالحين ومَشْيَخة الموَحّدينَ - يُسَكِّنُهُم ويُؤْنِسُهم، وبعثَ معه كتابَ العَقْد علَيْها لحافِده الأميرِ أبي عبد الله مُحمَّدِ ابن الأمير أبي زَكرِيّاء[ز] ذهابًا مع مَرْضاتِهم، فسَكَنَتْ نُفوسُهم وأَنِسُوا بولايَةِ ابن مَوْلاهم، وجَرَتِ الأمورُ إلى مَصائِرِها كما نَذْكُرُه[ح].

(أ) من ف. وسقط من ظ (ب) ظ ف: انتمروا (ج) ظ: كاتب (د) ظ: التوتب (هـ) ف: تسايلوا (و) ظ: التفويض (ز) كرر الكنية في ظ (ح) ف: نذكر.

## 147 • الخبرُ عن مَهْلك مَوْلانا السّلطان أبي بَكْرٍ، ووِلايةِ ابنِه الأميرِ أبي حَفْصٍ.

بَيْنَما النّاس في غَفْلَةٍ من الدّهْر، وظِلٍّ ظَليلٍ من العَيْش وأمْنٍ / من الخُطوبِ، وتحتَ سُرادِقٍ من العِزّ وذِمَّةٍ وَافِيَةٍ من العَدْل، إذْ رِيعَ السّربُ، وتَكَدَّر الشَّرْبُ، وتَقَلَّصتْ ظِلالُ العِزّ والأَمْن، وتَعَطّل فِناءُ المُلْك، ونُعِيَ السُّلْطانُ أبو بَكْر بتُونِس فجْأَةً من جَوْف اللّيلِ، لَيْلَةَ الإربعاء ثاني رَجب من سنَةِ سبعٍ وأَرْبعين وسَبْع مائة فهبَّ النّاسُ من مَضاجِعهم مُتَسايِلين(أ) إلى القَصْر يَسْتَمِعُونَ [نبَأَةَ](ب) النَّعيّ، وأَطافُوا به سائرَ لَيْلَتِهم، تَرَاهُمْ سُكَارَى وما هم بسُكَارَى. وبادَرَ الأميرُ أبو حَفْصٍ عمرُ ابنُ السّلطان من دارِه إلى القَصْر فملَكَه وضَبَطَ أَبْوابَه، واسْتَدْعى الحاجبَ أبا محمّد بن تَافْرَاكِين من دَارِه، ودَعَوْا المشيخَةَ من الموَحّدين والمَوالي وطَبقاتِ الجُنْد، وأخَذَ الحاجبُ عليهمُ البَيْعَةَ للأمير أبي حَفْص. ثُمّ جلَس من الغَداةِ جُلوسًا فخمًا على التّرتيب المعروفِ في الدّولة، أَحْكَمَهُ الحاجِبُ أبو محمّد لمَعْرفَتِه بعوائِدها وقَوانين تَرْتيبِها، لَقِنَهُ عن أشياخِه أهلِ الدَّوْلَة من الموَحّدين، وَغَدَا علَيه الكافَّةُ على طَبقاتِهم فبايَعوا له وأَعْطَوْهُ صَفْقَةَ أَيْمانِهم، وانفَضَّ المجلِسُ وقد انعَقَدَتْ بَيْعَتَهُ، وأُحْكِمَتْ خِلافَتُه. [312ب]

وكان الأميرُ خالدُ ابنُ مولانا السّلطان مُقيمًا بالحَضْرة قَدِمَها زائرًا منذُ أشْهُر، وأَقامَ مُتَمَلّيًا من الزّيارَة، فلمّا سَمِعَ النّعيَّ فَرَّ من لَيْلَته، وتَقَبَّض عليه

(أ) كذا في الأصلين ولعله: متسائلين (ب) ظ: نباة. ف: بناة.

أولادُ منْديلَ من الكُعوب، ورَدّوهُ إلى الحَضْرة فاعْتُقِلَ بها. وقامَ أَبو مُحمّد ابنُ تافْراكِين بخُطّة الحِجابة كما كانَ، وزيادةِ تَفْويضٍ واسْتِبْدادٍ، إلاّ أَنَّ بِطانَةَ السُّلْطان كانوا يُكْثِرُونَ السِّعايَةَ فيه ويُوغِرُونَ صَدْرَهُ عليْه بِذِكْرِ مُنافَساتٍ ومُناقَشَةٍ سابِقَةٍ بَيْنَ الحاجِب والأميرِ أيّامَ أَبيه. واتّصَلَ ذلكَ منْهم غَصًّا بمَكانِه، ونُذِرَ الحاجِبُ بذلكَ منْهم فأَعْمَلَ الحيلَةَ في الخَلاصِ من صِحابَتِهم، كما نَذْكُرُ بَعْدُ.

## 148 • / الخَبَرُ عن زَحْفِ الأَميرِ أبي العَبّاس وَلِيِّ العَهْد من مَكان إمارَته بالجَريد إلى الحَضرة، وما كان من مَقْتَله ومَقْتَلِ أَخوَيْه الأَميرِ أبي فارِسَ عَزُّوزٍ وأبي البَقاء خالدٍ. [313]

كانَ السُّلْطانُ أبو بَكْرٍ قد عَهِدَ إلى ابْنِه الأميرِ أبي العبّاس صاحبِ أَعْمالِ الجَريد كما ذكَرْناه سنةَ ثلاثٍ وأَرْبعين، فلَمّا بلَغهُ خَبَرُ مَهْلِكِ أَبيه، وما كان من بَيْعة أَخيه، نَعَى على أَهْل الحَضْرة ما جاؤُوا به من نَقْض عَهْده، وَدَعَى العَرَبَ إلى مُظاهَرته على أَمْره، فأَجابوهُ، ونَزَعُوا جميعًا إلى طاعَتِه عن طاعَة أَخيه بما كان مُرْهِفًا لحَدِّهِ في الاسْتِبْداد والضَّرْبِ على أَيْدي أَهْل الدَّوْلَة من العربِ وسِواهُمْ. وزَحَفَ إلى الحَضْرة، ولَقِيَهُ أخوهُ أبو فارس صاحبُ عَمَلِ سُوسَةَ، لَقِيَهُ بالقَيْرَوان فأَتاهُ طاعَتَهُ وصارَ في جُمْلتِه. وجمعَ السُّلْطانُ أبو حَفْصٍ عمرُ جُموعَه واسْتَرْكَبَ واسْتَلْحَقَ، وأزاحَ العِلَل، وخرجَ غُرَّةَ شعْبان، وارْتَحَلَ عن تُونِس وحاجِبُه أبو مُحمّد ابن تافْراكِين قد نُذِرَ منه بالهَلَكة، واعْتَمَلَ في أَسْباب النّجاة، حتّى إذا

تراءى الجَمْعان رجعَ الحاجبُ إلى تُونِس في بَعْض الشُّغْل، ورَكِب اللّيلَ ناجيًا إلى المَغْرب. وبلغ خبرُ مَفرّهِ إلى السُّلْطان فأَجْفَلَ واختَلَّ مَصافُّه، وتحيَّزَ إلى باجَة فتلَوَّمَ(1) بها، وتَخلَّفَ عنه أهلُ المُعَسْكَر فلَحِقُوا بالأمير أبي العبّاس، ومَلَكَ الحضْرةَ ثامِنَ رَمضان، ونزلَ برياضِ رَأْس الطَّابية، وأطْلَق أخاهُ أبا البَقاء من مُعْتَقَلِه، ثمّ دَخلَ إلى قَصْرِه لسَبْع ليالٍ من مُلكِه.

وصبّحَهُ الأَمير أبو حَفْص في ثامِنِها فاقْتحَمَ عليه البلَد لصاغِيَةٍ كانت له في قُلوب الغَوْغاء مِنْ غِشْيَانه أَسْمَارَهِمْ وطُرُوقِه منازِلَهم أيّامَ جُنون شَبابِه وقَضاءِ لَذّاته في مَرْباه. وَفتَكَ / بأخيه الأمير أبي العَبّاس، ولَسرْعَانَ [31ب] ما نَصبَ رَأْسه على القَناة ودَاسَتْ شِلْوَهُ سَنابِكُ العَسْكر وأَصْبَحَ آيةً للمُعْتَبرين. وثارَتْ العَامّةُ بمن كان بالبلَد من وُجوهِ العَرَب ورِجالاتِهم فقَتَلُوا في تِلْكَ الهَيْعَةِ من كُتِبَ عليه القَتْلُ، وتلُّوا كثيرًا منهم إلى السّلطان فاعْتقَلهم، وقَتَلَ أبا الهَوْل بن حَمْزَة بن عُمر من بَيْنهم. وتَقَبَّضَ على أَخَوَيْه خالدٍ وعَزّوزٍ فأَمَر بقَطْعِهم من خِلافٍ فقُطِّعُوا، وكان فيه مَهْلَكُهُمْ. واستَوْسَقَ(2) مُلكُه بالحَضْرة، واسْتَعْمَلَ على حِجابَتِه أبا العَبّاس أحمد بن علي ابن رُزَيْن من طَبَقَةِ الكُتّاب. كان كاتِبًا للشّخْشيّ الحاجِب، وبعدَهُ للقائِد ظافِرِ الكَبِير، واتّصلَ بالسّلطان أبي بَكْر لأَوّلِ مُلكه بالحَضْرة فأَسَفَّ(أ) على ابن عُمَر(ب) بولايَةِ ابن القَالُون الحاجِب، فخَاطَبَ السلطانَ

(أ) ظ: أسَف (ب) ف: عمر.

(1) تلَوّمَ في الأمر تلَوُّمًا: تمكّث فيه وانتظَر.

(2) استَوْسَق ملكُه، باجتماع الناس على طاعته، واستقرار أمر الملك فيه.

فيه ونَكَبَهُ، ثمّ أُطْلِقَ من مَحْبَسه، ومضى إلى المَغْرب، ونزل على السّلطان أبي سَعيد فأَحْمَدَ [نُزُلَه][(أ)]، ثمّ رجعَ إلى الحَضْرة. ولم يزَلْ مَشْنوءًا أيّام السّلطان كلَّهَا، واسْتَكْتَبَ الأميرُ أبو حَفْصٍ وَلَدَه مُحمّدا، وكانت له به وُصْلَة، فلَمَّا اسْتَوْسَق له المُلْك بعدَ مَفَرِّ أبي مُحمّد بن تَافْراكِين، كما ذكرنا[(ب)]، وَلّى أباهُ أبا العَبّاس هذا على حِجابَتِه، وعَقَدَ على حَرْبه وعَساكِرِهِ لظَافِرِ مَوْلى أبيه وجَدّه المعْروفِ بالسّنان، واسْتُخْلِصَ لنَجْوَاهُ وسِرِّهِ مُكَتِّبُهُ أبو عبد الله مُحمّد بنُ الفَضْل بن نِزار من طبقَةِ الفُقَهاء والقُضاة ومن أَهْل البُيوت النّابِهة بتُونِس. كان له بها سَلَف مَذْكور، واتَّصَلَ بدَارِ السّلطان، وارْتَسَمَ بها مُكَتِّبًا لوَلَدِه. وقرأَ عليه هذا الأميرُ أبو حَفْص فيمن قرأَ عليه منهم، فكانَتْ له من أَجْل ذلك خُصوصِيّةٌ به ومَزيدُ عِنايَةٍ عنده. ولمّا اسْتَبَدَّ بأَمْره كان هو مُسْتبِدًّا بشُورَاه، وجَرَتِ الحالُ على ذلك إلى أن كان من أَمْره ما نَذْكُر.

(أ) ظ: نزوله (ب) ف: ذكرناه.

## [314 أ] 149 • / الخبرُ عن استيلاء السُّلطان أبي الحسَن على إفريقيّة، ومَهْلِك الأمير أبي حَفص، وانتِقال الأبناء من بِجاية وقُسُنْطينَة إلى المَغرب، وما تخلل ذَلك من الأحْداث.

كانَ السُّلطانُ أبو الحسَن يُحدِّثُ نَفْسه منذُ مَلَك تِلِمْسانَ وقبْلَها بمُلْكِ إفريقيّة، ويتَربَّص بالسّلطان أبي بَكر، ويُسِرُّ له حَسْوًا في ارتِغاء. فلمّا لَحِقَ به حاجِبُه أبو محمد بن تافْراكِين بعدَ مَهْلِكه، رَغّبه في سُلْطانِها واستَحثَّهُ للقُدُومِ علَيْها، وحَرَّكَ لَهُ الحوار فتنَبّهتْ لذلك عزائِمُهُ.

ثمَّ وصلَ الخبرُ بمَهْلِك وَليّ العَهْد وأَخَوَيْه، وخبرُ الوَاقِعة، فأَحْفَظَهُ ذلك بما كان من رضاهُ بعَهْده وخَطِّهِ الوِفاقَ على ذلك بيَده في سِجِلّه؛ وذَلك أنَّ حاجِبَ الأمير أبي العبَّاس، وهو أبو القاسِم بنُ عتُّو من مَشْيَخة المُوَحِّدين، كان سَفَرَ عن السّلْطان لآخِرِ أيّامِهِ إلى السّلطان أبي الحسَن بهَدِيّةٍ، وحَمَلَ سِجِلَّ العَهْد، فوقَفَ[أ] عليه السُّلْطانَ أبَا الحسَن، وسألَ منْهُ إمضاءَهُ لمولاهُ وكِتابَ ذلك بخَطّه في سِجِلّه، فَخطَّهُ بِيَمينِه وأَحْكَمَ له عَقْدَهُ. فلمّا بَلَغَهُ مَهْلِكُ وليّ العَهْد، تعَلَّلَ بأنَّ النّقْضَ أتَى على ما أَحْكَمَهُ، فأَجْمَعَ غَزْوَ إفريقيّة ومَن بها. فَعَسْكَرَ ظَاهِرَ تِلِمْسان، وَفرَّقَ الأَعْطِياتِ وأزاحَ العِلَلَ. ثم رحلَ في صَفَر من سنَةِ ثمانٍ وأربعين يجُرُّ الدُّنيا بما حَمَلَتْ. وأَوْفَدَ علَيه أبناءُ حَمْزة بن عُمَر أمَراءُ البَدْوِ بإفريقيّة ورِجالاتُ الكُعوب

(أ) بمعنى: فأوْقف.

---

(1) مثلٌ يُضربُ لمن يريك أنّه يُعينك، وإنّما يجُرُّ النّفعَ إلى نفسه (مجمع الأمثال 3: 608)، وأصلُه الرجل يُظهر أنّه يُريد رغوة اللبن خاصة، فيشربُها وهو في ذلك ينال من اللّبن.

أَخاهُمْ خالِدا يَسْتَصْرِخُهُ(أ) لثَأْرِ أَخيهم أبي الهَوْلِ الهالكِ يومَ الوَاقِعة فأَجابَهم. ونَزَع إليهم أيضًا أهلُ القاصِيَة من إفريقيّة بطاعَتِهم فجَاؤُوا في وَفْدٍ واحِدٍ، ابنُ مَكيّ صاحبُ قابِس، وابنُ يَمْلول صاحبُ تَوْزَر، وابنُ العابد صاحبُ قَفْصَة، ومَوْلاهم بنُ أبي عِنان صاحبُ الحامَّة، وابنُ الخَلَف(ب) / صاحبُ نَفْطة. [314ب] فلَقَوْه بِوَهْرَانَ وأَتَوْهُ بَيْعتهم رَغْبَةً ورَهْبَةً، وأَدَّوا بيعةَ ابن ثابِت صاحبِ طَرابُلس، ولم يَتَخَلَّفْ عنْهم إلاَّ لبُعْد دارِه. ثم جاءَ من بَعْدهم وعلى إِثْرهم صاحبُ الزَّاب يوسف بن مَنْصور بن مُزْنِي ومعه مشيخةُ المَوَحِّدين الذَّوَاودَة وكبيرُهم يَعْقوب بن عليّ، فلَقوهُ ببني(ج) حسن من أَعْمال بجايَة، فأَوْسَع الكلَّ حِباءً وتَكْرُمَةً، وأَسْنَى الصِّلاتِ والجوائزَ، وعقَدَ لكلٍّ منْهم على بَلَده وعَمَلِه. وبعثَ مع أَهْل الجَزائِر الوُلاَةَ للجِباية لنَظَر مَسْعودِ ابن إبراهيم البِرْنيَّاني(د) من طبَقَة وُزَرائِه. وأَغَذَّ السَّيْرَ إلى بِجايَة، فلمّا أطَلَّت عساكِرُه علَيْها تَوَامَرَ أهلُها في الامْتِناع، ثمّ أَنَابُوا، وخرَج أَميرُها أبو عبد الله مُحمّد ابن الأَمير أبي زكريّاء فأتاه طاعَتَهُ، وصرفَه إلى المَغْرب مع إِخْوانه، وأَنْزَله ببلد نَدْرُومَةَ، وأَقْطَعَ له الكفافَ من جِبايَتِها. وبَعثَ على بِجايَة عُمّالَه وخُلَفاءَهُ، وسارَ إلى قُسُنْطِينةَ فخَرَجَ إليه أبناءُ الأمير أبي عبد الله يَقْدُمُهُمْ كبيرُهم الأميرُ أبو زَيْد، فَأَتَوْهُ طاعَتَهم، وأَقْبَلَ علَيْهم، وصَرَفَهُمْ إلى المَغْرب وأَنْزَلَهم بوَجْدَةَ وأَقْطَعَهم جِبايَتَها، وأَنْزلَ بقُسُنْطِينَةَ خُلفَاءَهُ وعُمّالَه، وأَطْلَق القَرابَةَ من مَكان اعتقالهم بها، وفيهم أبو عبد الله مُحمّد أَخو السّلطان أبي بَكر وبَنُوه ومُحمّد ابنُ الأمير خالدٍ وإخوانه وبَنُوه،

(أ) استصرخه (ب) ظ: الخلف (ج) ظ: بني (د) كذا ضُبط في ظ.

وأَصَارَهُمْ في جُمْلَته حتّى صَرَفَهم إلى المَغرب من الحَضْرة من بَعْد ذلك.

ووَفَدَ عليه هُنالِكَ بَنو حَمْزة بن غمر[أ] ومَشايخُ قَوْمهم الكُعوب فأَخبروهُ بإجْفال [المولى][ب] أبي حَفْص من تُونِس مع ظَواعِنِ أولادِ مُهَلْهِل، واسْتَحَثُّوهُ باعْتِراضِهم قبلَ لَحاقِهم بالقَفْر. فَسرَّحَ معهم العَساكِرَ في طَلَبه لنَظَر حَمّو العسْرى من مَواليه، وسَرَّحَ عسْكرًا آخر إلى تُونِس لنظَرِ يَحْيى بنِ سُلَيمان من بَنى عَسْكر، ومَعهُ أبو العبّاس بن مَكّي، وسارَت [315أ] العَساكِرُ لطَلب الأَمير / أبي حَفْص، فأَدْرَكُوهُ بأَرْضِ الحامّة من جِهات قَابِس، وصَبَّحُوهم، فدَافَعوا عن أَنْفُسهم بعضَ الشّيْء، ثم انْفَضُّوا، وكَبَا بالأَمير أبي حَفْص جَوادُه في بَعْض نَافِقَاء[1] الجَرابيع، وانْجَلَتْ الغَيايَةُ[ج] عنه وعن مَوْلاهُ ظافِرٍ رَاجِلينَ، فتَقَبَّضَ علَيهما وأَوْثَقَهُما قائدُ الكتائِبِ في قِدَّةٍ، حتّى إذَا جُنّ اللّيلُ وتَوَقَّعَ أن يُفْلِتَهُما العربُ من إساره قبل أن يَصِلَ بهما إلى مَوْلاه فذَبَحَهُما، وبعثَ برؤوسِهما[د] إلى السّلطان أبي الحسَن فوَصَلاَ إليه بباجَة. وخلَصَ الفَلُّ من الواقِعَة إلى قَابِس، فتَقَبَّضَ عبدُ الملك بن مَكّي على رِجالاتِ من أَهْل الدَّولة كان فيهم أبو القاسِم بنُ عَتُّو من مَشْيخة المَوَحّدين، وصَخْرُ بنُ موسى من رجالات سَدْويكَش وغيرُهما من أَعْيان الدَّوْلَة، فبعثَ بهم ابنُ مَكّي إلى السّلطان، فأمّا ابنُ عَتُّو وصخرُ بنُ موسى وعليّ بن مَنْصور، فَقَطَّعَهُمْ من خِلافٍ، واعْتَقَلَ الباقِينَ.

(أ) ف: عمر (ب) ظ: الموالي (ج) ظ: الغيابه، ف: الغباية. وتقدم شرح الغياية (د) كذا في الأصلين جمَع وثنّى بدل: برأسَيْهما.

---

(1) النافقاء: احدى حُجَر اليربوع يكتمها ويُظهر غيرها.

وسَبَقَتِ العساكرُ إلى تُونِس، ثمّ جاءَ السُّلطانُ على أثرهم ودَخلَ الحَضْرة في الزِّيّ والاحْتفال في جُمادَى الآخرة من سَنَتِهِ. وخَفَتَت[أ] الأَصْواتُ وسكَنَتِ الدَّهْماءُ وانقَبَضَتْ أَيْدي أَهْلِ الفَساد، وانقَرَضَ أمرُ المَوَحّدين إلاّ ذُبَالاً في بُونة، فإنّه عَقَد علَيها للمَوْلَى الفَضْلِ ابن مولانا أبي بَكْر لمكان صِهْره ووِفادَتِه علَيه بين يدَيْ مَهْلِك أبيه. ثمّ ارْتَحل السّلطان إلى القَيْروان ثمّ إلى سُوسَة والمَهْدِيّة، وتَطَوَّف على المعالم التي بِها، ووَقَفَ على آثار مُلوك الشّيعَة وصِنْهاجَة في مَصانِعها ومَبانِيها، والتَمَسَ البرَكَة في زيارَة القُبور التي تُذْكَر للصَّحابة والسَّلَف من التّابِعين والأَوْلياء في ساحاتِها، وقَفَل إلى تُونِس فدَخَلَها آخرَ شَعْبان من سنته[ب].

## 150 • الخَبَرُ عن ولاية الأَمير أبي العبّاس الفَضْلِ على بُونَة، وأَوّلِيّة ذلك ومَصائره.

كان السّلطانُ أبو الحسَن قد أَصْهر إلى السّلطان أبي بَكْر قُبَيل مَهْلكه / [315 ب] في إحْدَى كَرائِمه، وأَوْفَد عليه في ذلك عَريفَ بنِ يحيى كبيرَ بَني سُوَيدٍ من زُغْبَة وصاحبَ شُورَاه وخالصةَ سِرِّه، مع وَفْدٍ من رِجالات دَوْلَتِه من طَبقاتِ الفُقَهاء والكُتّاب والمَوَالي، كانَ فيهم صاحبُ الفُتْيا بمجْلِسه أبو عَبْد الله السَّطّي[1]، وكاتِبُ دَوْلَته أبو الفَضْل بنُ عبد الله بن أبي مَدْيَن،

(أ) ف: خفيت (ب) ف: سنة، وموقع فراغ للتاريخ.

---

(1) محمد بن علي، من قبيلة سَطّة من بطون أوْرَبة، نشأ بفاس وأخذ عن أبي الحسن الصغير، وأصبح أفقه فقهاء مذهب مالك. انظر عنه، التعريف بابن خلدون 31 - ، نيل الابتهاج 2: 62.

وأميرُ الحَرَم عَنبَرُ الخَصِيّ، فأُسْعِفَ السُّلطان وعُقِدَ له على خَطِيّته عَزُّونة شِقّة ابْنه الفَضْل، وَزَفّها إليْه بَيْن يَدَيْ مَهْلكه مع أَخيها الفَضْل، ومعه أبو مُحمّد عبدُ الواحِد بن أكـمـازير(أ) من مَشْيخة المَوحّدين. وأَدْرَكَهم الخبرُ بمَهْلِك السُّلْطان في طَريقهم، فلَمّا قَدِمُوا على السُّلطان أبي الحسَن تَقَبَّلَهم بقَبولٍ حسَن، ورَفَع مَجْلسَ الفَضْل، وأَنّسَهُ ووَعَده بالـمُظاهَرة على مُلْكِ أَبيه. فلمّا زَحَف إلى إفريقيّة واسْتَتَبَّ له مُلكُها أَعْرَض له عن ذِكْر ذلك، إلاّ أنّه رَعَى له ذمّة الصِّهْر وسابِقَةَ الوَعْد، فأَقْنَعَهُ بالعَقْد على بُونة مَكَانِ عَمَلِهِ منذُ أيّام أبيه، وأَنْزلَه بها عندما رَحلَ عنها إلى تُونِس. واضْطَغَنَ(ب) الـمَوْلَى الفضْلُ من ذلك حِقْدًا لما كان يَرْجُوهُ من تَجَافيه له عن مُلْك آبائِه لِحَقِّ وِفادَتِه وصِهْره، وأَقامَ بمكان عَـمَله منها يُؤمّلُ الكَرّةَ، إلى أن كان من أَمْره ما نَذْكُر.

## 151 • الخَبَرُ عن بَيْعة العَرَب لابن أَبي دَبُّوس، ووَاقِعَتِهم مع السّلطان أَبي الحسن بالقَيْروَان، وما قارَنَ ذلك كله من الأَحْداث.

كان السّلطانُ أبو الحسَن لـمّا اسْتَوْسَقَ له مُلْكُ إفريقيّة آسَفَ العربَ بـمَنْعِهم من الأَمْصار التي ملكوها بالإقْطاعَاتِ والضّرب على أَيْديهم في الإتاوات. فَوَجَمُوا لذلك واسْتَكَانُوا لغلَبته، وتَرَبَّصُوا الدّوائرَ. ورُبّما كان بَعضُ البادِيَةِ منْهم يشنُّ الغاراتِ في الأَطْراف فيَعْتَدّهَا / السّلطانُ على [316أ]

(أ) ف: اكماريز (ب) من ف. ظ: اضطعن.

كُبَرائِهم. وأَغارُوا بعضَ الأيّامِ في ضَواحي تُونِس فاسْتَاقُوا الظَّهْرَ الذي كان للسّلطان في مَرَاعِيها، وأَظْلَمَ الجَوُّ بَيْنهم وبَيْنَه، وخَشَوْا عَادِيَتَهُ وتَوَقَّعُوا بَأسه. ووَفَدَ عليه أيّامَ الفِطْر من رجالاتِهِم خالدُ بنُ حَمْزة، وأخوه أحمدُ من بَني كَعْب، وخَليفَةُ بن عبد الله بن مِسْكين، وخَليفةُ بن بوزيد من رجالات حَكيم، وساءَت ظُنونُهم في السّلطان لسُوء أَفْعالهم فدَاخَلُوا عبدَ الواحِد بن اللِّحْياني في الخُروج على السّلطان. وكان من خَبَرِ عبد الواحِد هذا أنّه بعدَ إجْفالِه من تُونِس سنةَ ثِنْتَيْن وثلاثين كما ذكرناهُ، لَحِقَ بأبي تاشَفين، فأقام عنْدَه في مَبَرَّة وتكْرُمَة، ولَمّا أخذَ السُّلطانُ أبو الحسَن بمُخَنّقِ تِلِمْسَانَ واشْتَدَّ حِصارُهَا، سألَ عبدُ الواحِد من(أ) أبي تاشَفين تَخْلِيَتَهُ للخُروجِ فوَدَّعه، وخرجَ إلى السُّلطان أبي الحسَن فنَزَلَ عليه، ولم يَزَلْ في جُمْلَته إلى أن احْتَلَّ بإفريقيّة. فلمّا خَشُنَ ما بَيْنَه وبَيْن الكُعوبِ والْتَمَسُوا الأغياصَ من بَني أبي حَفْصٍ يُنَصِّبُونَهُمْ للأَمْر، رَجَوْا أن يَظْفَرُوا من عبد الواحِد هذا بالبُغْيَة(ب)، فدَاخَلُوه وارتابَ لذلك وخَشِيَ بادِرَةَ السّلطان، فرفَعَ إليه الخبرَ فتَقَبَّضَ السّلطان عليهم أَرْبَعَتَهُمْ بعدَ أن أَحْضَرهم معَه، فأَنْكَرُوا وَبُهِتُوا، ثمّ وَبَّخَهم واعْتَقَلَهم وعَسْكَرَ بساحَة الحَضْرة لغَزْوهم، وتَلَوَّمَ لتَفْريقِ الأَعْطِياتِ وإزاحَةِ العِلَل. وبلَغ الخبرُ إلى أَحْيائِهم فقَطَعَ اليَأْسُ أَسْبَابَ رَجائِهم، وانْطلَقوا يُحَزِّبُونَ الأحْزابَ ويَلْتَمِسُونَ للمُلْك الأَغْياصَ. وكانَ أَوْلادُ مُهَلْهل أَقْتالُهم وعَديلَةُ حِمْلِهم قد أَيْأَسَهُم السّلطانُ من القَبول والرِّضَى بما بالغوا في نَصيحَةِ المَوْلَى أبي حَفْصٍ عُمَرَ ومُظاهَرَتِه، فلَحِقُوا بالقَفْرِ ودَخلوا الرّمالَ. فرَكِبَ إليهم فُتَيْتَة بنُ حَمْزة وأمّه ومعَهم ظَعائِنُ

(أ) ف: بن (ب) من ف. ظ بالنعية.

أبنائِهما مُتَذمِّمين لأولادِ مُهَلْهل بالعَصبِيّة والقَرابَة، فأَجابوهم، واجْتَمعوا بقَسْطِيليّة، / وتَوَاهَبُوا التِّراتَ والدّماءَ، وتَدامَروا بما شَمِلَهم من رَهَبِ [31 ب]
السُّلطان وتَوَقُّع بَأْسه، وتَفَقَّدُوا من أَغْياص المَوَحِّدين من يُنَصِّبُونَهُ للأَمْر.
وكان بِتَوْزَرَ أحمدُ بنُ عثمان بن أبي دَبّوس آخرُ خُلَفاء بَني عبد المُؤمِن بمَرّاكُش، وقد ذكرنا خبَرَه وخروجَه بجِهات طَرابُلُس، وإجْلابَهُ مع العَرَب على تُونِس أيّامَ السّلطان أَبي عَصِيدَة، ثمّ انْفَضُّوا، وبَقِيَ عثمانُ بجهات قابِس وطرابُلُس إلى أن هلَكَ بجزيرة جِرْبة، واسْتَقَرّ بَنو ابنه عبد السّلام بالحَضْرة بعد حينٍ فاعْتُقِلُوا بها أيّامَ السّلطان أبي بَكْر، ثمّ غَرَّبَهم إلى الإِسْكَنْدريّة مع أَوْلاد ابن الحكيم عندَ نَكْبَتِه كما ذكَرْنا ذلك كلّه، فنزلُوا بالأَسْكَنْدريّة، وأَقْبَلُوا على الحِرَفِ لمعاشِهم، ورَجعَ أحمدُ هذا من بَيْنِهم إلى المَغرب واسْتَقَرَّ بتَوْزَر، واحْتَرَف بالخِياطَة. ولمّا تَفَقَّدَ العربُ الأَعياصَ دَلَّهُمْ على نَكَرَتِهِ[1] بعضُ أهل عِرْفَانِه، فانْطَلَقُوا إليه وجَاؤُوا بِهِ، وجَمَعُوا إليه الآلَةَ، ونَصَّبُوهُ للأَمْر، وتَبَايَعُوا على الاسْتِمَاتَةِ. وزَحف إليهم السُّلْطانُ في عساكِره من تُونِس أيّامَ الحجّ من سَنة ثمانٍ، ولَقِيَهُمْ بالثَّنِيّة دونَ القَيْروان فغَلَبَهُمْ، وَأَجْفَلُوا أَمامَهُ إلى القَيْروان، ثمّ تَدَامَرُوا[2]، وَزَحَفُوا مُسْتَمِيتِينَ ثاني مُحرّم سنةَ تسعٍ، فاخْتَلَّ مَصَافُّه، ودخلَ القَيْروانَ، وانْتَهَبُوا معسكَرَهُ بما اشْتمل عليه، وأَخذُوا بمخنَّقِه إلى أن اخْتَلَفوا وأَفْرَجُوا عنه، وخَلَصَ إلى تُونِس كما نَذْكُرُ.

---

(1) اسم من الانكار كالتّفنة.

(2) تدامَر القومُ: تحاضّوا على القتال.

## 152 • الخَبرُ عن حِصار القَصَبَة بتُونس، ثمّ الإفراجِ عن القَيْروانِ وعنْها، وما تخلل ذلك.

كان الشّيخُ أبو مُحمد بن تَافرَاكِين أيّامَ حِجابَته السّلطان أبي بكر مُستَبِدًّا بأمْره مفوّضا إليه في سَائِر شُؤُونِه، فلَمّا اسْتوزَرَهُ السُّلْطان أبو الحسَن لم يُجْرِهِ على مَألُوفِه لِما كان قائِمًا علَى / أَمْره، ولَيْس التَّفْويضُ [317] للوُزَراء من شَأنه. وكان يَظُنُّ أنّ السّلطانَ أبا الحسَن سَيَكِلُ إليه أَمْرَ إفريقيّة ويُنَصِّبُ معَه الفَضْلَ للمُلْك، وربّما زَعَموا أنّه عاهَدَه على ذلك، فكان في قَلْبِه من الدّوْلة مَرَض. وكان العَربُ يُفاوِضُونَهُ بذاتِ صُدورِهم من الخِلاف والإجْلاَبِ، فلَمّا حصَلوا على البُغْيَة من الظُّهور على السّلطان أبي الحسَن وعساكِرِه وأحاطوا به في القَيْروان، تَحَيَّل ابن تَافْرَاكِين في الخُروج عن السُّلْطان لِما تَبَيَّن فيه من النَّكْراء منه ومن قَوْمِه. وبعثَ العربُ في لِقائِه وأن يُحمِّلُوه حديثَ فَيْئِهم إلى الطَّاعَة، فأَذِن له وخَرجَ إليهم، وقَلّدُوه حِجابَة سُلْطانهم ثمّ سَرَّحُوهُ إلى حِصار القَصبَة. وكان عِنْد رَحيلِهِ من تُونِس خَلَّفَ بها الكثيرَ من حُرَمِه وأَبْنائِه ووُجوهِ قَوْمه، واسْتَخلَف علَيها يحيى بن سُليمان العَسكري من كِبار بِطانَتهِ وأَهْلِ مَجْلِسه ووُجوهِ قَوْمه. فلمّا كانت واقِعَةُ القَيْرَوان، واتّصل الخَبَرُ بتُونِس، كانَتْ لنَبَأتِه هَيْعَةٌ خَشِيَ لها عَسكرُ السلطان على أَنفُسِهم، فَلَجَأَ من كان مَعهم بتُونِس إلى قَصَبَتِها، وأَحاطَ بهم الغَوْغَاءُ فامْتَنعَتْ علَيهم، واتَّخذُوا الآلَة للحِصار، وفَرَّقُوا الأَموالَ في الرَّجْلِ، وعَظُم فيها غَناءُ بشيرٍ من الـمَعْلُوجَى الـمَوَالي فطارَ له ذِكْرٌ.

وكان الأميرُ أبو سالِم ابن السُّلْطان أبي الحسَن قد جاءَ من الـمَغْرب، فوافاهُ الخبرُ دُوَيْنَ القَيْروان فانفَضَّ مُعَسْكرُه، ورجعَ إلى تُونِس فكانَ مَعهم بالقَصَبة. ولما خرجَ ابنُ تَافرَاكِين من هُوّة الحِصار بالقَيْروان إليْهم طَمِعُوا في الاستِيلاء على قَصَبة تُونس وفَضِّ خِتامِها، فدَفَعُوهُ إلى ذلك. ثم لَحِقَ به سُلْطانهم ابنُ أبي دَبّوس، وعَانَى[أ] من ذلك ابنُ تَافرَاكِين صَعْبًا لكَثْرة الرَّجْل الذين كانوا بِها، ونَصَبَ المجانيقَ علَيْها فلم يُغْنِ شيئًا، وهو أثْناء ذلك يُحَاوِلِ النَّجاةَ بنَفْسه / لاضْطرابِ الأُمور واخْتِلالِ الرُّسُوم، إلى أن بَلَغَه خُلُوصُ السُّلْطان من القَيْرَوان إلى سُوسَة. [317ب]

وكان من خَبَرِه أنَّ العَرَبَ بعد إيقاعِهم بعَساكِره أَحاطُوا بالقَيْروان واشْتَدُّوا في حِصَارِهَا، وداخَلَ السُّلطانُ أولادَ مُهَلْهل من الكُعوب وحكيمًا من بَني سُلَيْم في الإفراج عنْه، واشترطَ لهم على ذلك الأمْوالَ، واخْتلَف رأيُ العرَب لذلك، ودخل عليه فُتَيْتَة بنُ حَمْزة بمكانه من القَيْروان زعيمًا بالطّاعَة فتَقَبَّله، وأطْلَقَ إخْوانَه خالدًا وأحمدَ، ولم يَثِقْ إليْهم. ثمّ دخلَ إليه مُحمّدُ بنُ طالِب من أَوْلاد مُهَلْهل وخَليفَةُ بن بو زيد وأَبو الهول بن يَعْقوب من أولاد القَوْس وأَسْرَى معهم بعَسْكَره إلى سُوسَة فَصَبَّحَها، وركِبَ منها في أَساطيله إلى تُونِس. وسَبَقَ الخبرُ إلى ابن تَافرَاكِين بتُونِس فتَسَلَّلَ من أَصْحابه، وركب السَّفينَ إلى الإسكندريّة في رَبيع سنَة تسْعٍ وأربعين. وأصْبَحوا وقد تَفَقَّدُوهُ فاضْطَرَبُوا وأَجْفَلُوا عن تُونِس، وخَرجَ أهلُ القَصَبة من أَوْلياء السلْطان فمَلَكُوها، وخَرَّبُوا منازلَ الحاشِيَة فيها. ونزلَ السّلطانُ بها من أسطوله في رَبيع الآخر، فاسْتَقَلَّتْ قدَمُه من

(أ) من ف. ظ: عاثا.

العِثَار[أ]، وَرَجَا الكَرَّةَ، لَوْلاَ مَا قَطَعَ أَسْبَابَهَا عَنْهُ مَا كَانَ مِن انْتِزَاء أَبْنائِه بالـمَغرب، على ما نَذْكُره في أَخْبارهم. وأجلب العرب وابن أبي دَبّوس مَعهم على الحَضْرة ونَازَلوا بها السُّلْطانَ، فامْتَنَعت علَيهم فرَجعوا إلى مُهادَنَتِه، فعَقَدَ لهم السِّلْمَ، ودخلَ حمزةُ بن عُمر إليه وافِدا فحَبسه إلى أن تَقَبَّضَ على ابن أبي دَبُّوس، وأَمْكنه منه. فلَمْ يَزلْ في مَحْبَسه إلى أن رَحلَ إلى الـمَغْرب، ولَحِقَ هو بالأَنْدَلُس، كما نذكره في أَخْباره. وأقام السّلطان بتُونِس، ووفد علَيه أحمدُ بن مَكّي فعَقَدَ لعبْد الواحِد بن اللِّحْياني على الثُّغور الشرقيّة، طرَابُلُس وقابِس وصَفَاقُس وجِرْبة، وسَرَّحَهُ مع ابنِ مَكّي فهَلَكَ عندَ وصوله / إلَيْها في الطّاعون الجارِف. وعَقَد لأبي القَاسِم بن عَتُّو من مَشْيَخة الـمُوَحِّدين وهو الذى كان قَطَعَهُ بإغْراء أبى محمّد بن تَافْرَاكِين، فلَمّا ظَهَر خِلافه أعادَ ابنَ عَتُّو إلى مَكانه، وعَقَد له على بلاد قَسَنطِيلِيَّة وسَرَّحَهُ إليها، وأَقام هو بتُونِس إلى أن كانَ ما نَذْكُر.

## 153 • الخَبرُ عن اسْتِيلاءِ الأَمير الفَضْل على قُسُنْطِينَة وبِجاية، ثمّ استيلاءِ أُمَرائهما علَيْهما.

كان سَنَنُ السلطان أبي الحسَن في دَوْلته بالـمَغرب وفودُ العُمّال علَيه آخرَ كلّ سنَة لإيراد جِبايَتِهم والـمُحاسَبَةِ على أَعْمالِهم، فوَفَدُوا علَيه عامَهم ذلك من قاصِيَة الـمَغرب، ووَافاهم خبرُ الوَاقِعة بقُسُنْطِينَة، وكان معَهم ابنُ مُزْني عاملُ الزّاب، وَفَدَ أيضا بجِبايَته وهَدِيَّتِه، وكانَ معهم أبو عَـمَر[ب]

(أ) ف: الغبار (ب) الضبط من ظ.

تاشَفين ابن السّلطان أبي الحسَن، كان أسيرًا من يوم وَاقِعَة طَرِيف، ووَقعتْ المُهادَنَةُ بينَ الطَّاغِية وبَيْن أبيه فأَطْلَقَه، وأَوْفَدَ معه جمْعًا من بَطارِقته، وقَدِمُوا معه على أَبيه، ووَفد معه أخوه عبدُ الله من المَغْرِب، وكان أيضًا معَهم وَفْدُ السّودان من أهْلِ مَالِي في غَرَض السّفارة. واجْتَمَعُوا كلُّهم بِقُسُنطِينَة، فلَمّا اتّصل بهم خبرُ الوَاقِعة على السّلطان كثُرَ الاضطِرابُ، وتَحلَّبَتِ الشّفَاهُ من الغَوْغَاءِ إلى ما بأيْدِيهم. وخَشِيَ المَلأُ من أَهْل البلَدِ على أَنْفُسِهم، فاسْتَدْعَوْا أبا العبّاس الفضلَ من عَمَلِه ببُونة، ولمّا أطلّ على قُسُنْطِينَة ثارَتِ العامّة بمَنْ كانَ هنالِكَ من الوُفودِ والعُمّال، وانتَهبوا أَمْوَالَهم، واسْتَلْحَمُوا منهم، وخَلَص أبناءُ السُّلْطان مع وُفود السّودَان والجَلالِقَةِ إلى بِسْكِرَة مع ابن مُزْني وفي خَفَارَة يعقوب بن علي أميرِ الذّوَاودَة، فأَوْسَعَهُم ابنُ مُزْني قِرَى وتَكْرُمَةَ إلى أن لَحِقُوا بالسّلطان أبي الحسَن بتُونِس في رَجب من سنة / [318ب] تِسْعٍ. ودَخل المَوْلَى الفَضْلُ إلى قُسُنْطينة، وأعادَ ما ذَهَب من سُلْطان قَوْمه، وشَمَلَ النّاسَ بعَدْلِه وإحْسانِه، وَسَوّغَ الإقْطَاعَ والجَوَائِزَ، وَرَحَلَ إلى بِجَاية لِمَا أَنِسَ من صاغِيَةِ أهْلِها إلى الدّعوة الحَفْصِيّة. فلَمّا أطَلّ عليها ثَارَ أهلُها بالعُمّال الذين كانَ السّلطان أَنْزَلهم بها، واسْتَبَاحُوهُم وأَفْلَتُوا من أَيْدي نَكْبتِهم بجُرَيْعَةِ الذَّقْنِ[1]. ودَخلَ المولَى الفضلُ إلى بِجاية واستولى على كُرْسيّ مُلْكِهَا، وَنَظَمَها مع قُسُنْطِينَة وبُونَة في مُلكِه، وأعادَ أَلْقابَ الخِلافَةِ ورُسُومَها وشِياتها[أ] كما كانَتْ،

(أ) ف: شأنها.

(1) أي نجَا بعد أن أشرفَ على التلف، وقرب الموت منه قُرب الجُرَيْعة من الذّقن، وأضافها إلى الذّقن لأنّ حركة الذّقن تدلّ على قرب زهوق الروح، والباء بمعنى مع.

واعتزم على الرّحيل إلى الحَضْرة. وبينَما هو يُحَدّثُ نَفْسَهُ بذلك إذْ وصلَ الخبرُ بقُدوم أُمراءِ بجايَةَ وقُسُنْطِينَةَ من المَغْرب.

وكان من خَبَرهم أنّ الأميرَ أبا عنَانٍ لـمَّا بلَغهُ خبَرُ الواقِعة بأَبِيه وانتزاءِ مَنصورِ ابن أخيه أَبي مَالِكٍ بالبَلَد الجَديدِ دارِ مُلكِهم، وأَحَسّ بخَلاص أَبيه من هُوّة الحِصار بالقَيْروان، فَوَثَبَ على الأَمْر ودَعَا لنَفْسِه، ورَحلَ إلى المَغْرب، كما نَذْكره في أَخْباره. وسَرَّحَ الأميرَ أبا عبد الله مُحمّد ابن الأَمير أبي زكريّاء صاحبَ بجايَةَ من الأَبْناء إلى عَمَلِه، وأَمَدَّه بالأَمْوال، وأخذ عليه المواثِيقَ لِيكونَنَّ له رِدْءًا دونَ أَبيه، ولِيَحُولَنَّ بَيْنَه وبين الخُلُوصِ إليه متَى مرّ به. وانطلَق أبو عبد الله إلى بجاية وقَدْ سَبَقَه إليها عَمُّه الفَضْلُ واستَوْلَى علَيها، فنازَلَه بها، وطالَ حِصارُها، ولَحِقَ به بمكانِه من مُنازَلَتِها نَبِيلُ المَوْلَى من المَعْلَوْجى حاجِبُ أَبْناء الأمير أبي عبد الله وكافلُ بَنِيه من بَعْده، وتَقَدَّمَ إلى قُسُنْطِينَة وبها عاملٌ من قِبَلِ الفَضْلِ، فثارَ به النّاس لحِينه، ودَخل نَبيلٌ ومَلَكَ البلَدَ وأَقامَ فيها دَعْوة الأمير أبي زَيْد ابنِ الأمير أبي عبْد الله. وكان الأميرُ أبو عِنان اسْتَصْحَبَهُ وإخوانه إلى المَغرب، وبعد احْتِلالِه بفاس سَرَّحَهُم إلى مَكان إمارَتِهم بقُسُنْطِينَة بعدَ أن أخذَ عليهم المَوْثِقَ في شَأْنِ أَبيه بمثل مَوْثِقِ ابنِ عَمِّهم، فجَاؤُوا على إثْر نَبِيلٍ مَوْلاهم ودَخلُوا البلَدَ، واحْتَلّ أبو زَيْدٍ منها / بمكانِ إمارَتِه وسُلْطانِ قَوْمه، كمَا كان قَبْلَ رِحْلَتِهم إلى المغرب. ولم يَزلْ الأمير أبو عبد الله يُنَازِل بجاية إلى أن بَيَّتَهَا بعض لَيالي رَمضان من سَنَتِه بمُدَاخَلة بعض الأشْياع 19]

من زَعانفتِها، داخلهم مولاه وكافلُه فارحٌ في ذلك، فسَرّبَ فيهم الأموالَ وَوَاعَدُوه للبَيَاتِ، وفَتَحُوا له باب البَرّ من أبوابها فاقْتَحَمَه، وفَجَأَهُمْ هديرُ الطّبول، فهَبَّ السُّلْطان من نَوْمه، وخرجَ من قَصْره فتَسَنَّم الجبل المُطِلّ [عليهم](أ) متَسَرّبا في شعابِه إلى أن وضَحَ الصّبَاح، وظُهِرَ عليه فجِيءَ به إلى ابن أخِيه، فمَنّ عليه واسْتَبْقَاه وأَرْكَبَهُ السّفينَ إلى بَلَدِه بونَة في شَوّال من سنةِ تسعٍ وأربعين. ووجدَ بعضَ الأغْيَاصِ من قَرابَتِه قد ثَارُوا بها، وهو مُحمّدُ ابنُ عبد الواحِد من وَلَد أبي بكر ابن الأمير أبي زكريّاء، كان هو وأخوهُ عُمَر بالحَضْرة، وكان لعُمَر منهما النّظَرُ على القَرابَة. فلَمّا كان هذا الاضْطراب لَحِقُوا بالفَضْل، وتَرَكَهم بِبُونَةَ عِنْد سَفَرِه إلى بجَايَة، فحَدَّثَتْهُمْ أنْفُسُهُمْ بالانْتِزاء فلم يَتِمَّ لَهم أَمْرٌ، وثَارَتْ بهم الحاشِيَةُ والعَامَّةُ فقُتِلُوا لوَقْتِهم. ووَافَى الفضلُ إلى بُونَةَ وقد انْجَلَتْ غَيَايَتُهم ومُحِيَتْ آثارُهم، فدَخل إلى قَصْره وأَلْقى عَصَا تَسْيَارِهِ.

واستقَلّ أبو عبدِ الله ابنُ الأميرِ أبي زَكريّاء ببِجاية محلّ إمارَة أبيه، و(ب) الأميرُ أبو زَيْد ابن الأمير أبي عبد الله بِقُسُنْطِينَة محلّ إمارَة أبيه، والأميرُ أبو العباس الفَضْلُ ببونَةَ محلّ إمارَتِه منذُ عَهْد أَبيه. والسّلطانُ أبو الحسَن بتُونِس، إلى أن كان مِنْ أَمْرِهم ما نَذْكُرُ.

(أ) بالتثنية في ظ ف، عليهما ولم يتبين لي الوجهُ في ذلك، فلَعله يريد عليهم. وهو ما أثبت (ب) سقط حرف العطف من ظ.

## 154 • الخَبَرُ عن حَرَكَةِ الفَضْلِ إلى تُونس بَعْد رَحِيل السُّلطانِ أبي الحسَن إلى المَغرب.

كان العَرَبُ بعدَ ما قَدَّمْنا من طَاعَتِهم وإسْلامهم سُلطَانَهم ابنَ أبي دَبُّوس قد انْقَبَضُوا عن السُّلطان أبي الحسَن وأجْلَبُوا عَلَيه / ثانِيَةً، وتَوَلَّى كِبْرَ ذلكَ فُتَيْتَة بن حَمْزَة، وخَالَفَ إلى السّلطان [أخوهُ][(أ)] خالدٌ مع أوْلاد مُهَلْهِل، وافترَقَ أمرُهم، وخرجَ كبيرُهم عُمَرُ بن حَمْزة حَاجًّا. فاستقْدَم فُتَيْتَة وأَصْحابُه الأَمِيرَ الفضلَ مِنْ مكانَ إمارَته ببُونَة لطَلَب حَقّهِ واسْتِرْجاع مُلْكِ آبائِهِ، فأَجابَهم ووَصلَ إلى أَحْيائِهم آخِرَ سنَةِ تسعٍ، فنَازَلُوا تونِس وأَجْلَبوا علَيْها ثمّ أَفْرَجوا عنْها، وعاوَدا مُنَازَلَتَها أوّلَ سنةِ خمسٍ، وأَفْرَجوا عنْها آخِرَ المَصيف. واسْتَدْعَاهم أبو القاسِم بن عَتُّو صاحبُ الجَرِيد من مكانِ عَمَله بتَوْزَر، فدَخلَ في طاعَةِ الفَضْل وحَملَ أهلَ الجَرِيدِ كلَّهم علَيْها، واتَّبَعَهُ في ذلك بنو مَكّي.

وانتقضَتْ إفريقيَّةُ على السّلطان أبي الحسَن من أَطْرافها فرَكِبَ أَساطيلَه إلى المَغرب أيّامَ الفِطْر من سنَة خَمْسين.

ونهضَ المَوْلَى الفَضْلُ إلى تُونِس وبها أبو الفَضْلِ ابنِ السّلطان أبي الحسَن، كان أَبُوه قد عَقَدَ له علَيْها عندَ رَحيله إلى المَغْرب تَفَادِيًا من ثَوْرات الغَوْغاء ومَعَرّات هَيْعتِهم، وأَمِنَ عليه بما كان عقَدَ له من الصِّهْر مع عُمَر بن حَمْزة في ابْنَتِه، فلَمّا أَطَلَّتْ راياتُ المولَى الفَضل على تُونِس أيّامَ الحجّ، نَبَضَتْ عُروقُ التَّشَيُّع للدّعْوَة الحَفْصِيّة، وأَحاطَتِ الغَوْغاءُ بالقَصْر

(أ) من ف. وسقط من ظ.

ورَجَموهُ بالحِجارَة. وأَرْسلَ أبو الفَضل إلى بَني حَمْزَة مُتَذَمّمًا بصِهْرهم فدَخَلَ إليه أبو اللّيْل وأَخْرَجَه ومَنْ معَه من قَوْمه إلى الحَيّ، واستَرْكَبَ له من رِجالات بَني كَعْب من أَبْلَغَهُ مَأمَنه وهَداهُ السَّبيلَ إلى وَطَنِه. ودَخلَ الفَضْلُ إلى الحَضْرَة، وقَعدَ بمَجْلِس آبائِه من الخِلافَة، وجَدّد ما طَمَسَه بَنو مَرِين من معالِم الدَّوْلَة، واستَمَرَّ أَمْرُه على ذلك إلى أن كانَ ما نَذْكُر[أ].

## 155 • الخبرُ عن مَهْلِك الفَضْل، وبَيْعَة أَخيه المَوْلَى أبي إسْحاق في كَفالةِ أبي مُحمّد / بن تافْراكين وتَحْتَ اسْتِبْدادِه. [320أ]

لَمّا دَخلَ أبو العَبّاس الفَضْلُ إلى الحَضْرة واسْتَبَدَّ بمُلْكِها، عقَدَ على حِجَابَته لأَحْمد بن مُحمّد بن عَتُّو نائِبًا عن عَمّه أبي القاسِم رَيْثَما يَصِلُ من الجَريد، وعَقَدَ[1] على جَيْشِه وحَرْبه لمحمّد بن الشوّاش من بِطانَتِه. وكان وَلِيَّه المطارِدُ به أبو اللّيل فُتَيْتَة بنُ حَمْزة مُسْتَبِدًّا عليه في سائر أَحْواله، مُشْتَطًّا في طَلَباته، وأَنِفَ له بِطانَتُه من ذلك فحَمَلُوهُ على التَّنَكّر له، وأن يُدِيلَ منه بولاية خالدِ أَخِيه. وبَعَثَ عن أبي القاسِم بن عَتُّو وقدْ قَلَّدَهُ في حِجابَتِه، وفَوَّضَ إليه في أمره وجَعلَ مَقادَ الدّولَة بيَدِهِ، فَرَكِبَ إليه البحرَ من سوسَة، واسْتَأْلَفَ له خالدَ بنَ حَمْزة ظَهيرًا على أَخِيه بعد أن نبذَ

(أ) ف: نذكره.

(1) وقع خرمٌ كبير في نسخة ابن شهاب "ف" يشمل 21 خبرًا، يطابق في النسخة ظ من هذا الموقع في الورقة [320أ] . وتكون ظ هي المعتمد الوحيد.

إليه عَهْدَه. وفارَصَهُمْ أبو اللّيل بن حَمْزة قَبْلَ اسْتِحْكام أُمورِهم، فغلَبَ على السُّلطان وحَمَلَه على عَزْلَةِ قائِده محمّد بن الشَوَّاش، فدَفعه إلى بُونَة على عَساكِرِها. واضْطَرَبَتْ نارُ الفتنةِ بين أبي اللّيل بن حَمْزة وأَخيه خالدٍ، وكادَ شَمْلُهم أَنْ يَنْصَدِعَ، وبينما هم يَجُشُّون(1) نارَ الحَرْب ويَجْمَعُونَ الجموعَ والأَحْزابَ، إذ قَدِمَ كبيرُهم عُمَرُ وأبو محمّد عبد الله بن تَافْرَاكِين من حَجِّهم. وكان ابنُ تَافْرَاكِين لـمّا احْتَلَّ بالأَسْكَنْدريَّة بعَثَ السُّلطانُ أبو الحسَن فيه إلى أَهْل الـمَشْرق، وخَاطَبَ مُلوكَ مِصْر في التَّحكيم فيه، فأَجارَهُ عليه الأميرُ المسْتَبِدُّ على الدّوْلَة يومَئذٍ يَلْبُغَارُوس. وخرجَ من مِصْرَ لقَضاء فَرْضِه، وخرجَ عامَئِذٍ عُمرُ بنُ حَمْزة لقَضاء فَرْضِه أَيْضًا، فاجْتَمَعَا في مَشاهِد الحَجِّ آخرَ سنةِ خَمْسين، وتَعَاقَدَا على الرُّجوعِ إلى إفريقيَّة والتظاهُرِ على أَمْرِها. وقَفَلاَ فأَلْفَيَا خالدًا [و](أ) فُتَيْتَة على الصّفير(2)، فأشارَ عُمَرُ بردائِه فاجتمعا وتَوَافَقَا ومَسَحَ الإحَنَ من صُدورِهما، وتَواطَؤُوا جَميعًا على الـمَكْر / بالسّلطان. وبَعَثَ إليه وَلِيَّه فُتَيْتَة بالـمُراجعة فقَبِلَهُ، [320]
واتَّفقوا على أن يُقَلِّدَ حِجابَتَه أبا مُحمّد بن تَافْرَاكِين صاحبَ أَبيه وكبيرَ دَوْلَتِهم، ويُدِيلَ به من ابن عَتُّو فأَبَى، ثمَّ أَصْحَبَ(3) ونَزَلَتْ أَحْياؤُهم ظاهرَ البلَد، واسْتَحَثُّوا السّلطانَ للخُروج إليهم ليُكْمِلُوا عَقْدَ ذلك معَهُ، فخرَجَ

(أ) سقط حرف العطف من ظ. وخالد وفتيتة أخوان.

(1) جَشّ القومُ: نَفَروا واجتمعوا. يضرمونَ نار الحرب ويُسَعّرونَها.
(2) لم نتبيّنه، ويبدو أنّه اسم مكان معلوم عندهم.
(3) أَصْحَبَ: دخل في الصّحبة بعد أن كان نافرًا.

ووقف بساحَة البلَد إلى أن أحاطُوا بِه ثم اقْتَادُوه إلى بُيوتهم، وأذِنُوا لابن تافْراكِين في دُخولِ البَلَد فدَخلَها لإحْدَى عَشْرَة من جُمادى الأولى سنةَ إحدى وخَمْسين. وعمَدَ إلى دار المَوْلَى أبي إسحاق إبراهيم ابن مَوْلانا السّلطان أبي بَكْر فاسْتَخْرَجَهُ بعدَ أن بَذَلَ لأُمِّه من العُهودِ والمَواثِيق ما رَضِيَها[1]. وجاء به إلى القَصْر وأقْعَده على كَراسي الخِلافة، وبَايَع له النّاسُ خاصّةً وعامّةً وهو يَومئذٍ غُلامٌ مُناهِزٌ، فانْعَقَدَتْ بَيْعَتُهُ، ودخلَ بنو كَعْبٍ فأتَوهُ طاعَتَهم، وسِيقَ إليه أخوهُ الفضلُ لِيَلْتَئِذِ فاعْتَقَلَهُ، وغُطَّ من جوف اللّيل بمحْبَسِه حتّى فَاظ. ولاَذَ حَاجِبُه أبو القاسِم بنُ عَتُّو يومَئِذٍ بالاخْتِفاء في غَيابَاتِ البَلَد، وعُثِر عليه للّيَالِ فامْتُحِنَ وهَلَكَ في امْتِحانه.

وخُوطِبَ العُمّالُ في الجِهات بأخذ البَيْعة على من قِبَلِهِمْ[أ] فبَعَثُوا بها. واستَقَام ابنُ يَمْلُولَ صاحبُ تَوْزَرَ على الطّاعة وبعثَ بالجِبايَة والهَدِيّة، وأتْبَعَهُ صاحبُ نَفْطَةَ وصاحبُ قَفْصةَ، وخالَفَهم ابنُ مَكّي وذهبَ إلى الإجْلابِ على ابن تافْراكِين لما كانَ قد كَفلَ السّلطانَ وحَجَرَه عن التّصرّف في أمْره واسْتَبَدّ علَيه، إلى أن كانَ ما يُذكَرُ.

(أ) ضبطت في ظ: قَبْلهم.

(1) ما رَضِيَها: ما اختارته وقنعت به وأرضاها، فهو مَرْضِيّ.

## 156 • الخبرُ عن حَرَكَةِ صاحبِ قُسُنْطِينَة إلى تونس، وما كانَ من حِجابَةِ أبي العبّاس بن مَكّيَ، وتصاريف ذلك.

لمّا اسْتَوْلَى أبو مُحمّد بنُ تَافْرَاكِين على تُونِس، وبايع لِلمَوْلَى أبي إسْحاق / بالخِلافة واسْتَبَدَّ عليه، نَقِمَ علَيْه الأُمَراءُ شأنَ اسْتِبْداده، [321] وَشَمَّرَ ابنُ مَكّي للسّعْيِ عليه بمنافسةٍ كانت بينَهُما قديمةٍ من لَدُنْ أيّامِ السّلطان أبي بَكْر، واسْتَعَانَ على ذلك بأَوْلادِ مُهَلْهِل مُقَاسِمِي أولادِ أبي اللّيل في رِئاسَة الكُعوب ومُجَاذِبِيهِمْ حَبْلَ الإمَارَة. فلَمّا رَأَوْا صاغِيَةَ ابن تَافْرَاكِين إلى أَوْلاد أبي اللّيْل أَقْتَالِهم أَجْمَعُوا له ولَهم، وَحَالَفُوا[أ] بَني حَكِيمٍ من قَبائِل عَلّاق، وأَجْلَبوا على الضّواحي وشَنُّوا الغَارَةَ. ثمّ وَفَدُوا على الأمير أبي زَيْدٍ صاحبِ قُسُنْطِينَةَ وأَعْمَالِهَا لِيَسْتَحِثُّونَهُ للنهوض إلى إفريقيّة واسْتِخْلاص مُلْكِ آبائِه [مِمّن][ب] اسْتَبَدَّ علَيهم واحْتَازَه دُونَهم. فَسَرّحَ معَهم عسكرَيْن لنَظَر مَيْمونٍ ومَنْصورٍ الجاهِلِ من مَواليه ومَوالي أبيه. وارْتَحَلُوا من قُسُنْطِينَةَ، وارْتَحَلَ معَهم يعقوبُ بنُ عليّ كبيرُ الذَوَاوِدَة بمن مَعه من قَوْمه. وَسَرّح أبو مُحمّد بن تَافْرَاكِين من الحَضْرة لِلقائِهم عسكرًا مع أبي اللّيْل ابن حَمْزة لنَظَر مُقَاتِلٍ مِنْ مَوالي السّلطان. والْتَقَى الجَمْعان ببِلَادِ هَوّارَة سَنةَ ثِنْتَيْنِ وخَمْسين، فكانت الدَّبْرَةُ على أَوْلاد أبي اللّيل، وَقُتِل يَوْمَئِذٍ أبو اللّيل فُتَيْتَة بن حَمْزة بيد يَعْقوب بن سُحَيْم من أَوْلاد القَوْس شُيوخِ بَني حَكيم، وَرَجَعَ فَلُّهم إلى تُونِس. وامْتَدَّتْ أَيْدي أَوْلاد مُهَلْهِل وعَساكِرُ قُسُنْطِينَةَ في البِلاد، وجَبَوْا الأَمْوالَ من أَوْطان هَوّارَة، وانْتَهَوْا

(أ) ظ: خالفوا (ب) ظ: من، فصوبتها.

إلى أُبَّة، ثمّ قَفَلُوا راجِعِينَ إلى قُسُنْطِينَةَ. وَوُلِّيَ على أَوْلادِ أبي اللّيل مَكانَ فُتَيْتَة أخوهُ خالِدُ بنُ حَمْزة، وقام بأَمْرِهِم. وكان أبو العبَّاس بن مَكّي أثْناءَ ذلك يُكَاتِبُ المولَى أبا زَيْدٍ صاحبَ قُسُنْطِينَةَ من مَكان وِلاَيته بقَابِس، وَيَعِدُهُ مِنْ نَفْسه الوِفَادَةَ والمَدَدَ بالمالِ والأَحْزابِ والقيامَ بأَعْطِيَاتِ العَرَبِ. حتّى إذا انْصَرَمَ فَصْلُ الشِّتاء، وَفَدَ عليه مع أَوْلاد مُهَلْهِل فلَقّاهُ مَبَرّةً وتَكْرِيمًا، وعَقَد له على حِجَابَتِهِ، / وجَمَع عساكِرَهُ وجَهّز آلَتَهُ وأزاحَ عِلَلَ [32 ب] تَابِعه، ورحلَ من قُسُنْطِينَةَ سنةَ ثلاثٍ وخَمْسِين في صَفَر. وجَهّز أبو مُحمّد بن تَافْرَاكِين سُلْطانَه أبا إسْحاق بما يحتاجُ إليه من العَساكِرِ والآلَةِ، وجَعلَ على حَرْبِه(أ) ابنَه أبا عبد الله محمّدًا، وعلى حِجابَته أبا عبد الله مُحمّد بنَ نِزارٍ من طَبَقة الفُقَهاء ومَشْيَخةِ الكُتّاب، كان يُعَلِّمُ أَبْناءَ السُّلطان الكِتَابَ ويُقْرِؤُهم القُرْآنَ كما قَدّمْناه. وفَصَلَ من تُونِس في التَّعْبِئة حتّى تراءَى الجَمْعان بِمَرْمَجَنَّة، وتَزاحَفُوا فاختَلَّ مَصافُّ السُّلْطان أبي إسْحاق وافْتَرَقَتْ جُموعُه ووَلَّوْا مُنْهزمين، واتَّبَعَهم القَوْمُ عَشِيَّةَ يَوْمِهم، ولَحِقَ السّلطان بحاجِبِه أبي مُحمّد بن تَافْرَاكِين بتُونِس، وجاؤُوا على إثْرِه فنازَلُوا تُونِسَ أيامًا، وطالَتْ عليها الحَرْبُ ثمّ امْتَنَعَت عليهم، وارْتَحلوا إلى القَيْروان ثُمّ إلى قَفْصَة.

وبَلَغَهُم أنّ مَلِكَ المَغْرب الأَقْصى السّلطانَ أبا عِنانٍ بعدَ اسْتيلائه على المَغْرب الأَوْسط زَحفَ إلى التُّخوم الشَّرْقيّة وانْتَهى إلى المَدِيَّة. وكان صاحبُ بِجايَة الأميرُ أبو عبد الله قد خالَفَهم إلى قُسُنْطِينَة بمُداخَلَة أبي مُحمّد بن تَافْرَاكِين واسْتِجاشَتِه، ونازَلَ جِهات قُسُنْطِينَة، وانْتَسَفَ

(أ) ظ: حزبه.

زُرُوعِهَا، وشَنَّ الغاراتِ في بَسائِطِها، فبَلَغَهم أنّه رجعَ إلى بِجايَة مُنْكَمِشًا من زَحْف بَنى مَرِين. واعْتَزَمَ الأميرُ أبو زَيْدٍ على مُبادَرَةِ ثَغْره ودارِ إمارَتِه قُسُنْطِينَة. ورَغِبَ إليه أبو العبّاس بنُ مَكّيّ وأولادُ مُهَلْهِل أن يُخَلِّفَ بَيْنَهم من إخوانه من يَجْتَمِعون إليه ويُزاحِفُونَ به، فَوَلّى عليْهم أخاهُ أبا العبّاس فبَايَعُوه، وأقامَ فيهم هو وشَقيقُه أبو يحيى زكريّاء إلى أن كانَ من شَأنه ما نَذكر. وانصرَفَ الأميرُ أبو زَيْد عندَ ذلك من قَفْصة يَغُذُّ السَّيْرَ إلى قُسُنْطِينَة، واختَلَّ بها في جُمادَى من سَنته.

## 157 • / الخبرُ عن وفادة صاحب بِجايَة على أبي عِنانٍ، واسْتيلائِه عليْه وعلى بَلَده، ومُطالبتِه قَسُنْطِينَة. [322أ]

كان بَيْن الأميرِ أبي عبد الله صاحبِ بِجايَة وبَيْن الأمير أبي عِنانٍ أيّامَ إمارَتِه بِتِلِمْسَانَ ونُزولِ الأَغْياص الحَفْصيّينَ بِنَدْرُومَة ووَجْدَة أيّامَ أبيه كما ذكَرْناه، اتّصالٌ ومُخالَصةٌ أَحْكَمَهَا بَيْنَهما نَسَبُ الشّبابِ والمُلْكُ وسابِقَةُ الصِّهْر، فكانَ للأمير[أ] أبي عبد الله من أجْل ذلك صَاغيةٌ إلى بَني مَرِين أوجَد بها السَّبِيلَ على مُلْكِه. ولمّا مَرَّ به السُّلْطان أبو الحسَن في أُسْطولِه عندَ ارْتحاله من تُونِس كما قَدّمْناه، أَمَرَ أَهْلَ سَواحِلِه بمَنْعِه الماءَ والأقْواتِ من سائِر جِهاتِها رَعْيًا للذّمّةِ[ب] اعْتَقَدَها مع الأمير أبي عِنانٍ في شَأْنِه، وجُنوحًا إلى تَشْييد سُلْطانِه. ولمّا أَوْقَعَ السّلطانُ أبو عنانٍ ببَني عبدِ الوادِ سنةَ ثلاثٍ وخَمْسين، واسْتَوْلَى على المَغْرب الأَوْسط، ونَجا فَلُّهُم إلى بِجايَة، أَوْعَزَ

(أ) ظ: الأمير (ب) كذا في ظ وهو فصيح، ويعني: التي اعتقدها.

زُرُوعُهَا، وشَنَّ الغاراتِ في بَسائِطِها، فبلَغَهم أنّه رجعَ إلى بِجايَة مُنْكَمِشًا من زَحْف بَنِى مَرِين. واعْتَزَمَ الأميرُ أبو زَيْدٍ على مُبادَرَةِ ثَغْره ودارِ إمارَتِه قُسُنْطِينَة. وَرَغِبَ إليه أبو العبّاس بنُ مَكيّ وأولادُ مُهَلْهِل أن يُخَلِّفَ بَيْنَهم من إخوانه من يَجْتَمِعون إليه ويُزَاحِفُونَ به، فَوَلَّى علَيْهم أخاهُ أبا العبَّاس فبَايَعُوه، وأقامَ فيهم هو وشَقيقُه أبو يحيى زكريّاء إلى أن كانَ من شَأنه ما نَذكر. وانصرَفَ الأميرُ أبو زَيْد عندَ ذلك من قَفصة يَغُذُّ السَّيْرَ إلى قُسُنْطِينَة، واحْتَلَّ بها في جُمادَى من سَنته.

## ١٥٧ • / الخبرُ عن وفادة صاحب بِجايَة على أبي عِنانٍ، واسْتيلائِه علَيْه وعلى بَلَده، ومُطالبتِه قُسَنْطِينَة. [322أ]

كان بَيْن الأميرِ أبي عبد الله صاحبِ بِجايَة وبَيْن الأمير أبي عِنانٍ أيّامَ إمارَتِه بِتِلِمْسَانَ ونُزولِ الأغْياص الحَفصيّينَ بِنَدْرُومَة ووَجْدَة أيّامَ أبيه كما ذكَرْناهُ، اتّصالٌ ومُخَالَصَةٌ أَحْكَمَهَا بَيْنَهما نَسَبُ الشّبابِ والمُلْكُ وسابِقَةُ الصِّهْر، فكانَ للأمير[أ] أبي عبد الله من أجْل ذلك صَاغيةٌ إلى بَني مَرِين أوجَد بها السَّبيلَ على مُلكِه. ولـمّا مَرَّ به السُّلْطان أبو الحسَن في أُسْطولِه عندَ ارْتِحاله من تُونِس كما قَدّمْناهُ، أَمَرَ أَهْلَ سَواحِلِه بمَنْعِه الماءَ والأَقْواتِ من سائِر جِهاتِها رَعْيًا للذّمّةِ[ب] اعْتقدَهَا مع الأمير أبي عِنانٍ في شَأنِه، وجُنوحًا إلى تَشْيِيد سُلْطانِه. ولـمّا أَوْقَعَ السّلطانُ أبو عنانٍ ببَني عبدِ الوادِ سنةَ ثلاثٍ وخَمْسين، واسْتَوْلَى على المَغْرب الأوْسط، ونَجَا فَلُّهُمْ إلى بِجايَة، أوْعَزَ

(أ) ظ: الأمير (ب) كذا في ظ وهو فصيح، ويعني: التي اعتقدها.

إلى الأمير أبي عبد الله باعْتِراضِهم في جِهاتِه والتَّقبُّضِ علَيْهم فأَجابَهُ إلى ذلك، وبَعثَ العيونَ بالمراصِدِ فعثَروا في ضَواحي بجايَة على مُحمّد ابن سُلْطانِهم أبي سَعيد عُثْمانَ بن عبد الرَّحمن، وعلى أخيه أبي ثابِت الزّعيم بن عبد الرّحمن، وعلى وَزيرِهم يحيى بن داود بن مَكّين، فأَوْثَقوهُمْ اعْتِقالاً وبعثَ بهم إلى السُّلْطان أبي عِنان، ثمّ جاءَ على إِثْرِهم فتَلَقّاهُ بالقَبول والتَّكرمة، وأَنزلَه بأحْسن نُزُلٍ. ثم دَسّ إليه من أَغْراه بالنُّزول له عن بِجايَة رَغْبَةً فيما عندَ السّلطان إزاءَ ذلك من النِّحلة والإدالَة مِنْها بمِكْناسَة المغرب، والرّاحة من زَبون الجُنْـد والبِطانَة، وإخْفاقًا ممّا سواه إن لم يعْتَمِدْه. فأجابَ إليه على اليَأْس والكُرْه، / [322 ب] وشَهِدَ مَجْلِسَ السّلطانِ والملأُ من بَني مَرين بالرّغبة في ذلك فأُسْعِفَ، وأُسْنِيَتْ جائِزَتُه، واقْتُطِعَتْ له مِكْناسَة من أَعْمال الـمَغْرب، ثمّ انْتَزَعَها لأيامٍ قلائلَ، ونَقَلَه في جُمْلَته إلى الـمَغْرب.

وبعثَ الأميرُ أبو عبد الله مَوْلاه فارِحًا المستَبِدَّ كان علَيْه، لِيَأْتِيَهُ بأَهْلِه ووَلَدِه.

وعَقَدَ أبو عِنانٍ على بِجايَة لعُمَر بن عليّ بن الوزير من بَني واطّاس، وهم يَنْتَسِبون - بزَعْمِهم - إلى عليّ بن يوسف أميرِ لَمْتونَة، فاخْتَصَّه أبو عِنان بولايَتِها لمتَاتِ هذا النَّسَب الصّنهاجي بَيْنه وبَيْن أهل وَطَنِها منْهم، وانْصَرَفُوا جميعًا من الـمَدِيَّة.

ولـمّا اختَلُّوا بِجايَة تَوامَرَ أَوْلِياءُ الدَّعْوة الحَفْصِيّة بها من صِنْهاجَة والمَوالي، وتَمَشَّت رِجالاتُهم في قَتْل عُمَرَ بنِ عليّ بن الوَزير وأَشْياعِ بَني مَرِين، وتَصَدّى لذلك زَعيمُ صِنهاجة مَنْصورُ بن إبراهيم بن الـحاجّ في

رِجالاتٍ من قـوْمه بإمْلاءِ فارحٍ - زَعَمُوا -، وَغَدَوْا عليه بدَارِه من القَصبة فأَكَبَّ علَيه منصورٌ يُنَاجِيهِ فَطعَنَهُ، وطَعَنَ آخرٌ مِنْهُم القَاضِيَ ابنَ فَرْكان بما كان شيعةً لبَني مَرين، ثم أجْهَزُوا على عُمَر بن عليّ، ومضَى القاضِي إلى دَاره فَماتَ. واتّصلَت الهَيْعةُ بفارحٍ فركِبَ لها، وَهتَفَ الهاتِفُ بدَعْوَة صاحبِ قُسُنْطِينَة المولَى أبي زَيْدٍ، وطَيَّرُوا إليه بالخبر واسْتَحَثُّوه للقُدوم. وأَقامُوا على ذلك أيّامًا. ثمّ تَوَامَرَ الـمَلأُ من أَهْل بِجَايَة في التَّمسُّكِ بدَعْوة صاحبِ الـمَغْرب خوفًا من بَوادِره، فثَارُوا بفارِحٍ وقَتَلُوه أيّامَ التّشْريق من سنَةِ ثلاثٍ وخَمْسين، وبَعَثُوا برَأْسِه إلى السّلطان بتِلمْسان، وَتَوَلَّى كِبْرَ ذلك هِلالٌ صَاحِبُه من مَوالِي ابن سَيّد النّاس، ومُحمّدُ بن الحاجِبِ أبي عبد الله بن سَيّد النّاس، ومَشْيَخةُ البَلَد. واسْتَقْدَموا العامِلَ بِتِدْلِسْ من بَني مَرين وهو / يَحيى بن عُمر بن عبد الـمُؤْمن من بَني وَنْكاسنْ فبادَرَ إليهم. وَسرَّح السّلطانُ أبو عِنانٍ إليها حاجِبَه أبا عبد الله محمد بن أبي عَـمْرو في الكتائِب فدَخلها فاتِحَ سنَةِ أَرْبعٍ وخَـمْسين، وذَهبَ صِنْهاجَةُ في كلّ وَجْهٍ، ولَحِقَ كُبَرَاؤُهم وذوو الفَعْلَةِ مِنْهم بتُونِس، وتُقُبِّضَ علَى هلالٍ مولَى ابن سَيّد النّاس لِمَا دَاخَلَتْه فيه من الظِنّة، وعلَى القاضي مـحمّدِ بن عُمَر لما كان شِيعةً لفارِح، وعلَى عُرَفاءِ الغَوْغاء من أَهْل الـمَدينة، وأَشْخَصَهم مُعْتَقَلينَ إلى الـمَغْرب. وصرَف نَظَرَه إلى تَمْهِيد الوَطَن، واسْتِدْعاءِ كُبراءِ العَرَب وأَهْلِ النَّواحِي من أَعْمال بِجَاية وقُسُنْطِينَة. ووَفَد علَيه يوسفُ بنُ مُزْنِي صاحبُ الزّاب ومَشْيَخَةُ الذّوَاوِدَة، فاسْتَرْهَنَ أَبْناءَهم على الطّاعة وقَفَل بهم إلى الـمَغْرب.

واسْتَعْمَلَ أبو عِنانٍ على بجايَة مُوسَى ابن إبْراهيم البَرْنِيَّاني[أ] من طَبقة الوُزَراء وبعثَه إليها. ولـمّا وَفَدوا على السّلطان جلَس لهم جُلوسًا فَخْمًا ووَصَلُوا إليه ولَقَّاهُمْ تكْرُمَةً ومَبَرَّةً وأَوْسعهم حِباءً وإقْطاعًا، وأَنفذَ لهم الصُّكوكَ والسِّجِلاّت، وأخذَ على طَاعَتِهم العُهودَ والمَواثِيق والرُّهُنَ، وانقَلَبُوا إلى أَهْلهم. وعَقَد لحاجِبِه ابن أبي عَمْرو على بجايَة وأَعْمَالِها وعلَى حَرْب قُسُنطِينَة من ورائِها، وَرَجَّعَهُ إليها فدَخلَها في رَجب من سَنَتِه. وأَوْعزَ السّلطانُ إلى موسى بن إبراهيم بالوِلاَية على سَدْوِيكِش والنُّزُول بِبَني يَاوَرَارْ في كَتِيبةٍ جَهّزها هنالِك لـمُضَايَقة قُسُنْطِينَة وجِباية وَطَنِها، وكلُّ ذلِك لنَظر الحاجِب ببِجايَة. وكان بِقُسُنْطِينَة أبو عمر تاشَفين ابنُ السلطان أبي الحسَن مُعْتَقَلاً من لَدُنْ وَاقِعة بَني مَرين بها، وكان مُوسْوَسًا في عَقْله مَعْروفًا بالجُنون عِنْد قَوْمه. وكان الأُمَراءُ بِقُسُنْطِينَة قد أَسْنَوْا جِرَايَته في اعْتِقالِه وأَوْلَوْهُ من الـمَبَرّة والكفاية[ب] كَفَاءَ نَسَبِهِ. فلمَّا زحَفَ كتائِبُ بَني مَرِينَ إلى بَني يَاوَرَارْ[ج] آخرِ / عَملِ بجايَة وآذَنُوا قُسُنطِينَة [323 ب] ومن بها بالحَرْبِ والحِصَارِ، نَصَبَ المَوْلَى أبو زَيْد هذا المُوَسْوَسَ أبو[د] عمر لِيُجَاْجِئَ به رجالاتِ بَني مَرين أهلِ العَسْكَرِ ببِجاية وبَني يَاوَرَارْ، وَجَهّزَ له الآلَة، وتَسَامَعُوا بذَلك ففزع إليه الكثيرُ منْهم. وخرجَ نبيلٌ حاجبُ الأميرِ أبي زيد إلى أهل الضَّاحِية من بُونَة[هـ] ومن كان على دَعْوَته من سَدْوِيكِش والذَّوَاوِدَة، فَجَمَعَهَمْ وزَحفُوا جميعًا إلى وطَنِ بجايَة. واتَّصَلَ الخبَرُ بالحاجِب ببِجايَة فبعَثَ في الذَّوَاوِدَة من مَشَاتِيهم بالصَّحْرَاء فأَقْبَلوا إليه حتّىٰ نَزلُوا

(أ) كذا ضبطت في ظ (ب) منطمسة في ظ وقد تقرأ: العناية (ج) هكذا ضبطت في ظ (د) صوابه أبا (هـ) ظ: تونه.

التُّلُولَ. وَوَفَدَ عليه أبو دينارِ بن عليّ بن أَحْمد واسْتَحَثَّه للحَرَكَة على قُسُنْطِينَة، فاعْتَرَضَ عساكِرَه وأزاحَ عِلَلَهُمْ، وخرجَ من بِجايَة في ربيعٍ من سنَةِ خَمْسين، فَكَرَّ أبو عُمَر ومن معه راجعين إلى قُسُنْطِينَة، وزَحَفَ الحاجِبُ فيمَنْ معَهُ من بَني مَرِينَ والذَّوَاوِدَة وسَدْوِيكِش، ولَقِيَهُمْ نَبِيلٌ الحاجِبُ بمن معَه، فكانَت عليه الدَّبْرَة[أ]، واكْتُسِحَتْ أموالُ بُونَة[ب]. ورجع ابن أبي عُمَر بعساكره إلى قُسُنْطِينَة فأناخَ عليها سَبْعًا ثمّ ارْتَحَلَ عَنْهَا إلى مِيلَةَ. وعقَدَ يعقوبُ بنُ عليّ بَيْنَ الفَريقَيْن صُلْحًا على أن يُمَكّنوه من أبي عُمَر المَوَسْوَسِ، فَبَعَثُوا به إلى أخيه السّلطان أبي عِنان فأَنْزَله ببعض الحُجَرِ وَرَتَّب عليه الحرسَ. وسارَ الحاجِبُ في نَواحي أَعْماله وانتهى إلى المَسِيلَة واقْتَضَى مَغَارِمَهَا ثمّ انكَفَأَ راجعًا إلى بِجايَة، وهَلَكَ فاتِحَ سِتٍّ وخمسين. وعقَدَ السّلطانُ على بِجايَة وأَعْمَالِهَا بَعْدَهُ لوزيره عبد الله بن عليّ ابن سَعيد من بني يابان[ج]، وسَرَّحه اليها فَدخلها، وزَحَف إلى قُسُنْطِينَة فحاصَرَها، وامْتَنَعَتْ عليه فرجَع إلى بِجايَة. ثمّ زَحف من العام المُقْبِل سنةَ سبعٍ وخَمْسين كذلك، ونَصَبَ عليها المجانيقَ فامْتَنَعَتْ علَيْه. وأُرْجِفَ في مُعَسكره بمَوْت السّلطان / فانْفَضّوا، وأَحْرَقَ مَجانِيقَه، ورَجَعَ إلى بِجايَة، [324أ] وجَمَّرَ الكتائبَ ببني يَاوَرَارْ لنظَر موسى بن إبراهيم اليَرْنَيَاني عامِلِ سَدْوِيكِش، إلى أن كان من الإيقاعِ به وبِعَسْكره ما نَذْكرهُ.

(أ) ظ: الديرة (ب) ظ: توبة (ج) كذا في ظ.

## 158 • الخبرُ عن حادِثَة طرابُلُس واسْتِيلاء النَصارَى علَيْها، ثمّ رجوعِها إلى ابْنِ مَكِّي.

كانت طرابُلُس هذه ثغْرًا مُنذ الدّولَة القَديمة، وكان لَهم عنايةٌ بحِمايتِها لِمَا كان وَضْعُهَا في البَسِيط، وكانت ضَواحِيها قفْرًا من القَبائل، فكانَ النّصارَى أهلُ صِقليّة كثيرًا ما يُحَدِّثون أنفسَهم بمُلكِها. وكان ميخائيلُ الأنطاكي صاحبُ أُسْطول رُجّار قَدْ تمَلّكَها من أيْدى بني خَزْرون من مَغْرَاوَة آخر دَوْلَتِهم ودولة صِنْهاجَة كما ذكَرْنا. ثمّ رَجّعَها ابنُ مَطْروحٍ ودخلَتْ في دَعْوة الموَحّدين. ومرّت علَيها الأيّامُ إلى أن اسْتَبَدّ بها ابنُ ثابتٍ، ووَلِيَهَا من بَعْده ابنُه في أعْوام خَمْسين وسَبْع مائة، مُنقَطِعًا عن الحَضْرة مُقيمًا رَسْمَ الدّعْوة. وكان تُجّار الجَنَوِيّين يتَرَدَّدُون إليها فاطّلَعُوا على عَوْراتها، وائْتَمَرُوا في غَزْوِها واتّعَدُوا لمَرْساها، فوَافَوْهُ سنةَ خمسٍ وخَمسين، وانْتَشَروا بالبَلَد في حاجاتِهم، ثمّ بَيّتُوها ذاتَ ليلةٍ فصَعِدُوا أَسْوارَها وَمَلَكُوها علَيهم، وهَتَف هَاتِفُهم بالحرْب وقد لَبِسوا السلاحَ، فارْتَاعُوا وهَبّوا من مَضاجِعهم، فلمّا رَأَوْهُمْ بالأَسْوار لم يكُنْ هَمّهم إلاّ النّجَاةَ بأنفسهم، ونَجَا ثابتٌ بن مُحمّد مُقَدَّمُهُمْ إلى حِلّةِ الجَواري أعْرابِ وَطَنِهَا من دبَاب، إحْدى بُطون بَني سُلَيْم، [فقَتَلوهُ](أ) لِدَمٍ كان أصابَه مِنهم. ولَحِق إخوتُه بالإسْكَنْدَرِيّة. واسْتَبَاحَها النّصارَى، واحتَملوا في سُفُنِهم ما وَجَدُوا بها من الخُرْثِيّ والمَتاعِ والعَقائِل والأَسْرى، وأقامُوا بها.

(أ) ظ: فقتلَهُ.

وداخَلَهم أبو العبّاس بنُ مَكّي صاحبُ قابِس في فِدائِها، فاشْتَرَطوا عليه خمسين ألفًا من الذّهَب / العَيْن، [324 ب] فبعَثَ فيها لـمَلِكِ الـمَغرب السُّلْطان أبي عِنانٍ يُطْرِفُه بـمَثُوبَتِها، ثمّ تعَجَّلُوا عليه فَجَمَع ما عِنْدَه، واسْتَوْهَبَ ما بَقِيَ من أَهْل قابِس والحَامّة وبِلادِ الجَرِيد فَجَمَعُوها له حِسْبَةً وَرَغْبَةً في الخَيْر، وأَمْكَنَهُ النّصارَى من طَرابُلُس فـمَلَكَها واسْتَوَلَى عليها، وأَزالَ ما دَنَّسَهَا من وَضَرِ الكُفْر. وبَعثَ(أ) السّلطانُ أبو عِنانٍ بالمال إليه وأن يَرُدَّ علَى النّاس ما أَعْطَوْهُ ويَنْفَرِدَ بـمَثُوبَتِها وذِكْرِها فامْتَنَعوا إلاّ قليلاً منهم، ووُضِع المالُ عندَ ابن مَكّي لذلك. ولم يزَلْ ابنُ مَكّي أميرًا عليها إلى أن هَلَكَ، كما نَذْكُره في أَخْباره.

## 159 • الخبرُ عن بَيْعةِ السُّلطان أبي العَبّاس أميرِ المؤْمنينَ، ومُفْتَتَحِ أَمْرِه السّعيدِ بقُسَنْطِينَة.

كان الأميرُ أبو زَيْدٍ قد وَلِي الأمرَ من بعد أبيه الأميرِ أبي عبد الله بولايَة جَدّه الخليفةِ أبي بَكْر، وكَانَ إخْوَتُه جميعًا في جُمْلَته، ومنْهُم السّلطانُ أبو العَبّاس أميرُ المؤمنين لهذا العَهْد والمُنْفَرِدُ بالدّعْوة الحَفْصيّة. وكانَ النّاسُ من لدُنْ مَهْلِك أبيهم يَرَوْنَ أنّ الوِراثَة لهم وأنّ الأَمْرَ فيهم، حتّى لقَدْ يُحْكَى عن شَيْخ وَقْتِه الوليّ أبي هَادي المشهورِ الذّكْر، وكان من أَهْل الـمُكاشَفَة، أنّه قال ذات يومٍ وقد جَاؤوا لزيارَته بأَجْمَعهم على طَريقَتِهم وسَنَنِ أَسْلافِهم في التَّبَرُّك بالأَوْلياء، فدَعَا لهم الشّيْخُ ما شَاء، ثمّ قال:

(أ) ظ: تعث.

البركةُ إن شاءَ الله في هَذَا العُشّ، وأشارَ إلى الإخْوَة مُجْتَمعين. وكانَ الحُزّى والمنجّمون أيضًا يُخَبِّرُون بمِثْلها ويُحَوِّمُون بظُنونهم على أبي العبّاس من بَيْنهم لِمَا يَتَفَرّسُون فيه من الشّواهِد والمَخايِل. فلَمّا كانَ من مُنازَلة أخيه أبي زَيْد لتُونِس سنةَ ثلاثٍ وخَمْسين ما قدّمناه، ثمّ ارتَحلَ عنْها إلى قَفْصَة، وأرادَ الرُّجوعَ إلى قُسُنْطِينَةَ للإرْجافِ بشَأنِ السّلطان أبي عِنانٍ، وأنّه زَحَفَ إلى / آخرِ عَمَلِه من تُخوم بِجايَة، رَغِبَ حينئذٍ إليه أَوْلَادُ [325 أ] مُهَلْهِل أَوْلياؤُه من العَرَب وشِيعَتُه، وحَاجِبُه أبو العبّاس بن مَكّي صاحبُ عَمَلَ قابِس وجِرْبَة، أن يَسْتَعْمِلَ عليهم من إخْوَته من يُقِيمُ معهم لمُعَاوَدَة تُونِس بالحِصَار، فسَرَّح أخاهُ مَوْلانا أبا العبَّاس فتَخَلَّفَ معهم لذلك، وفى جُمْلته شَقِيقُه أبو يحيى، فأقامَا بقابس. وكان صَاحِبُ طرابلسَ محمدُ بن ثابِت قد بَعثَ أسْطولَهُ لحِصار جِرْبَة، فدَخلَ الأميرُ أبو العبّاس بمن مَعه إلى الجَزيرة وخَاضوا إليها البَحْرَ، فأَجْفَلَ عَسْكَرُ ابن ثابِتٍ وأَفْرَجوا عن الحَضْرَةِ. ثمّ رجعَ السّلطان إلى قابِس وزَحفَ العربُ أولادُ مُهَلْهِلٍ معه إلى تُونِس وحاصَرُوها أيّامًا فامتنعَتْ عليهم ورَجعَ إلى أَعْمال الجَريد، وأوْفَدَ أخاهُ أبا يحيى زكريّاء على السّلطان صَرِيخًا سنةَ خمسٍ وخَمْسين، فلَقّاهُ مَبَرّة ورُحْبًا وأَسْنَى جائِزَته وأَحْسَنَ وَعْدَهُ، وانْكَفأَ راجعًا عنه إلى وَطَنِه. ومَرّ بالحاجِب ابنِ أَبي عمرو عند إفْراجه عن قُسُنْطِينَة، ولَحِقَ بأَخيه بمَكانِه من قاصِيَة إفريقيّة، واتَّصلَت أيديهما على طَلَب حَقِّها.

وفى خِلال ذلك فَسَدَ ما بَيْن أبي مُحمّد بن تَافْرَاكِين صاحِبِ الأَمْر بتُونس وبين خالد بن حَمْزَة كبيرِ أولادِ أبي اللّيل، فعَدَلَ عنه إلى

أَقْتالِه أَوْلادِ مُهَلْهِلٍ، واسْتَدْعَاهم للمُظَاهَرَة فأَقْبلوا إلَيْه، وتَحَيَّزَ خالدٌ إلى السُّلْطان أبي العبّاس، وزَحَفوا معه إلى تُونِس فنازَلُوها سنةَ ستٍّ وخَمْسين، وامْتَنَعَتْ علَيْهم فأَفْرجُوا عنها. واسْتَقْدَمَه أَخُوه أبو زَيْد إثْرَ ذلك لِيَنْصُرَهُ من عَساكِر بَني مَرِين عندَما تَكَاثَفُوا علَيه وضاقَ به الحِصارُ، فأجابَه وقَدِمَ عليه بخالِدٍ وقَوْمِه. وخرجَ الأميرُ أبو زَيْد مع خالد إلى مُنازَلَة تُونِس، واسْتَخْلَفَ على قُسُنْطينَة أخاه أبا العبّاس، فدَخَلَها / ونَزلَ بِقُصُورِ [325 ب] المُلْكِ مِنْهَا، وأقامَ بها مُدّةً وعَساكِرُ بني مَرِين قَدْ مَلأَتْ عَليه الضَّاحِيَةَ، فدَعاه الأَولياءُ إلى الاسْتِبْدادِ وأَنّه أَبْلَغُ في المُدَافَعة والحِمايَة لما كانوا يَتَوَقَّعُونَ من زَحْفِ العسَاكِرِ إلَيْهم من بِجايَة، فأجاب وبُويِعَ شَهْر [شَعْبان](أ) من سنَة سِتٍّ وخَمْسين، وانْعَقَد أَمْرُه. وزحفَ عبدُ الله بن عليّ صاحبُ بِجايَة إلى قُسُنْطِينَة في سَنَتِهِ. وفي سنةِسَبْعٍ بَعْدَهَا حاصَره(ب) ونصبَ(ج) المجانيقَ، ثمّ أَجْفَلَ آخرًا للإرْجاف(1) كما ذَكَرْناهُ، وتَنَفَّسَ مُخَنِّقُ الحِصار عن قُسُنْطِينَة. وكان الأميرُ أبو زَيْدٍ أَخُوهُ لَمَّا ذهبَ مع خَالدٍ إلى تُونِس ونَازَلَها امْتَنَعَتْ علَيه، ورَجعَ وقد اسْتَبَدَّ أَخُوه بأَمْر قُسُنْطِينَة، فَعَدَلَ إلى بُونَة، ورَاسَلَ أبا مُحمّد بن تَافْرَاكِين في سُكْنَى الحَضْرة والنّزولِ لهم عن بُونَة، فأَجَابَه، ونَزل عنها الأميرُ أبو زيدٍ لعَمّه السّلطان أبي إسْحاق، وتحوّل إلى تونِس، فأَوْسَعوا له المنازِلَ وأَسْنَوْا الجرايات والجوَائزَ، وأقام في كفالةِ عمّه، إلى أن كان من أمْرِه ما نَذْكُر.

(أ) موقع بياض في ظ. والتكملة من تاريخ الدولتين 195 (ب) ظ: لحاصره. العطف زائد (ج) ظ: نصف.

---

(1) أرجفوا بوفاة الملك أبي عنان وكان مريضا. انظر البيان في تاريخ الدولتين 195.

## 160 • الخَبرُ عنْ وَاقعَةِ مُوسَى بنِ إبْراهيم، واسْتِيلاءِ أبي عِنَانٍ بَعْدَها على قسُنْطِينَة، وما تخلل ذلك من الأَحْداث.

لـمّا اسْتَبَدَّ السُّلْطانُ أبو العَبَّاس بالأَمْر، وزَحفَتْ إليه عَساكِرُ بِجايَةَ وبَني مَرين، فأَحْسَنَ دفاعَها عن بَلَدِه، وتبَيَّنَ لأَهْل الضَّاحِية مَخائلُ الظّهور فيه، فدَاخَلَه رِجالاتٌ من سَدْويكِش من أَوْلادِ المَهْدي بن يُوسِف في غَزْو[(أ)] مُوسى بن إبْراهيم وكتائِبه الـمُجَمَّرة ببَنِي يَاوَرَارَ، ودَعَوْا إلى ذلك مَيْمونَ بن عليّ بن أَحْمد، وكان مُنْحَرِفًا عن أخيه يَعْقُوبَ ظَهيرِ بَني مَرينَ ومُناصِحِهِم، فأَجابَ. وسَرَّحَ السُّلطانُ أخاهُ أبا يحيى زكرِيَّاءَ مَعهم بمَنْ في جُمْلَته من العَساكِر، وصَبَّحُوهم في غَارَةٍ / شَعْواءَ. [326أ] فلَمَّا شَارَفُوهُمْ رَكِبُوا إليهم فتَقَدَّمُوا قليلاً ثمّ أَحْجَمُوا، واخْتَلَّ مَصافُّهم وأُحِيطَ بهم، وأُثْخِنَ قائدُ العَسْكر موسى بن إبراهيم بالجِراحَة، واسْتُلْحِمَ بَنُوه رَتانُ وأبو القاسِمِ ومن إليْهم، وكانوا أُسودَ هَيَاجٍ وفرسانَ مَلْحَمَةٍ، في آخرينَ من أَمْثالِهم، وتَتَبَّعُوا بالقَتْلِ والنَّهْب إلى أنْ اسْتُبِيحُوا، ونَجَا فَلُّهُم إلى بِجايَة، ولَحِقُوا بالسُّلْطان أبي عِنان. ولـمّا بلَغه الخَبرُ قامَ في رَكائِبه وَقَعَدَ، وفَتَحَ ديوانَ العَطاء، وبَعَثَ وُزَرَاءَهُ للحَشْد في الجِهات، واعْتَرَضَ الجنودَ وأَزاحَ العِلَلَ. وشَكَى له موسى بْنُ إبراهيم بِقُعُودِ عبْد الله بن عليّ صَاحِبِ بِجايَة عن نَصْرِهِ فَسَخِطَهُ ونَكَبَهُ، وعَقَد مَكانَه ليحيى بن مَيْمون بن آمَصْمُود. وتلَوَّمَ بعدَه أشْهرًا في تجْهيز العساكِر.

(أ) سها الناسخ عن كتابة الواو: غز.

وبَعَثَ السُّلطانُ أبو العبّاس أخاهُ أبا يحيى إلى تُونِس صَرِيخًا لعمّه السّلطانِ أبي إسْحاق فأَعْجَلَهُ الأَمْرُ عن الإيَاب إليه. وارْتحَلَ أبو عِنانٍ في عَساكِره ثمّ بَعَثَ في مُقدَّمتِه وَزيرَه فارسَ بنَ مَيْمون بن وَدْرار، وزَحفَ على إثْره في ربيع سَنَة ثمانٍ وخَمْسين، وأَغَذَّ السَّيْرَ إلى قُسُنْطِينَةَ وقد نازَلَها وزيرُه ابنُ وَدْرار قَبْلَه، فلمّا نزلَ بسَاحَتِها وقد طَبّقَ الأَرْضَ الفَضاءَ بجُيوشه وعَساكِره، وَجَمَ أَهْلُ البَلَدِ وَأَدْرَكَهُمُ الدَّهَشُ فانْفَضُّوا وتَسَلَّلُوا إليه، وَتحَيَّزَ السّلطان أبو العَبّاس إلى القَصَبة فامْتَنَع بها حتّى تَوَثَّقَ لنَفْسه بالعَهْد، ثمّ نزلَ إليه فلَقّاهُ تَكْرِمَةً ورُحْبًا، وبَنَى له الفَساطِيطَ في جِوارِه. ثمّ بَدَا له لأَيّامٍ قَلائِلَ فَنقَضَ عَهْدَه، وأَرْكَبه السَّفينَ إلى المَغْرب وأَنْزَلَه بِسَبْتَةَ، ورَتّبَ عليه الحَرَسَ. وبَعث خِلالَ ذلك إلى بُونَةَ فدَخَلَتْ في طاعَتِه وَفرَّ عَنْها عُمَّالُ الحَضْرَة. ولما اسْتَوْلَى عَقَدَ على قُسُنْطِينَةَ لمَنْصور بن خَلُوفِ شيخِ بَني يَابان من قَبائل بَني مَرين. ثمّ بَعث رُسُلَهُ إلى أبي مُحمّد ابن / تَافْرَاكِين في الأَخْذ بطاعَتِه والنُّزولِ عن تُونِس، فَرَدَّهُمْ وأَخْرَجَ 6]
سُلْطَانُهُ المولَى أبا إسْحاق مع أَوْلاد أبي اللّيل ومن إلَيْهم من العَرَب، بعد أن جَهَّزَ له العساكِرَ وما يُصْلِحُهُ من الآلَة والجُنْد، وأَقامَ هو بتُونِس. وأَجْمَع أبو عِنانٍ النُّهوضَ إليه، ووَفَدَ عليه أَوْلادُ مُهَلْهِل يَسْتَحِثُّونَه لذلك، فَسَرَّحَ معَهم عسكرًا في البَرّ لنَظر يَحْيى بن رَحُّو (أ) بن تاشَفِين بن مُعْطِي كَبيرِ يتربيعين من قَبائل بَني مَرين وصاحبِ الشُّورَى في مَجْلِسه، وسَرَّحَ عَسْكرًا آخرَ في الأُسْطولِ لنَظر محمّد بن يُوسِف المعروفِ بالأَبكَم من بَني الأَحْمر بَيْتِ المُلوكِ بالأَنْدلس لهذا العَهْد، فسَبَقَ الأُسْطولُ، وصَبَّحُوا

(أ) يرد في ظ بضمّة مخفّفة على الحاء.

تُونِسَ، وقاتَلُوها يومًا أو بَعْضَ يَوْمٍ، وأُتيحَ لهم الظّهورُ فخَرَجَ عنها أبو مُحمّد بن تافْراكِين ولَحِقَ بالمَهْدِيّة، واسْتَوْلَت عساكِرُ بَني مَرِين على تُونِس في رَمَضان سنةَ ثمانٍ وخَمْسين. ولَحِقَ يَحيى بن رَحُّو[أ] بعَسْكره فدَخَل البلَدَ وأَمْضَى فيها أَوامرَ السُّلطان، ثمّ دَعاهُ أولادُ مُهَلْهل إلى الخُروج لمُباغَتة أَوْلادِ أبي اللّيل وسُلْطانِهِمْ، فخَرَجَ معَهم لذلك؛ وأقامَ ابنُ الأَحْمر وأَهْلُ الأُسْطولِ بالبَلَد.

وفي خِلال ذلك جاهَر يَعقوبُ بنُ عليّ بالخِلافِ لِمَا تبَيَّنَ من نَكْراء السُّلطانِ أبي عِنانٍ وإِرْهافِ حَدّهِ للعَرَب، ومُطالَبتِهم بالرُّهُنِ، وَقَبْضِ أَيْديهم عن الأَتاوات، ومَسْحِ أَعْطافِه بالمُدارَاة، فلَمْ يَقْبلْها. فلَحِقَ يعقوب بالرَّمْل، واتّبَعَهُ السُّلطانُ فأَعْجَزَهُ، فعَدَا على قُصوره ومنازله بالتّل والصَّحْراء فخَرَّبَها وانْتَسَفَها، ثمّ رَجَعَ إلى قُسَنْطِينة. وارْتَحَلَ منها يُريد إفريقيّة، وقد نَهَضَ المَوْلَى أبو إسْحاق بمن معهُ من العَرَب لِلِقائِه، وانتهَوْا إلى فَحْص سَبْتة[ب] ثمّ تَمَشَّتْ رجالاتُ بَني مَرِينَ وائْتَمَرُوا في الرُّجوع عنه حَذَرًا أن يُصِيبَه بإفريقيّة ما أصابَهم / [3أ] من قَبْل، فانفَضُّوا مُتَسَلِّلِينَ إلى المَغْرب. ولمّا خَفَّ المُعَسْكَر من أَهْله أَقْصَر عن القُدوم إلى إفريقيّة، فرَجَعَ إلى المَغْرب بمن بَقِيَ مَعَهُ، واتّبَع العَرَبُ آثارَه، وَبلَغَ الخبَرُ إلى أبي محمّد بن تافْراكين بمكانِ مَنْجاتِه من المَهْديّة فسارَ إلى تُونِس، ولمّا أَطَلَّ علَيْها ثارَ أهلُ البَلَد بمن كانَ عِنْدهم من عَسْكر بني مَرين وعُمّالِهم فنجَوْا إلى الأساطِيل. ودَخَلَ أبو مُحمّد بن تافْراكِين إلى الحَضْرة وأعادَ ما طُمِسَ من الدَّوْلَة،

(أ) يرد في ظ بضمّة مخفّفة على الحاء (ب) كذا في ظ.

ولَحِق به السُّلْطان أبو إسْحاق بعدَ أن تَقَدَّمَ الأميرُ أبو زَيْدٍ في عَسْكرِ الجُنودِ والعَرَبِ لاتبّاعِ آثار بَني مَرين ومُنازَلةِ قُسُنْطينَة، فاتَّبَعَهُمْ إلى تُخُومِ عَملِهم. ورَجعَ أبو زَيْد إلى قُسُنْطِينَة وقاتلَها أيّامًا فامْتَنعَت عليه فانْكَفأَ راجِعًا إلى الحَضْرَة. ولم يَزَلْ مُقيمًا بها إلى أن هَلَكَ عفا الله عنه سنةَ كذا......(أ) وكان أخوه أبو يحيَى زكرياء قد لَحِق بتُونِس من قَبْلُ صَريخًا كمَا قُلْناهُ، فلَمّا بلَغَهم أنّ قُسُنْطينَةَ قد أُحِيطَ بها تَمَسَّكُوا به فلَحِق به الفَلُّ من مَوالِيهم وصَنائِعِهم فكَانُوا مَعَه، إلى أن يسّر الله أَسْباب الخَيْر والسَّعادة للمُسْلمين، وأَعادَ السُّلطانَ أبا العبّاس إلى الأَمرْ من بَعْدِ مَهْلِك أبي عنان، ومدّ إيَالَتَهُ عَلَى الخَلْق، فطَلَعَ على الرَّعايَا بالعَدْل والأَمان وشُمول العافِيَة والإحْسان، وكَفَّ أيديَ العُدْوَان، ورَتَعَ النَّاسُ مِنْ دَوْلَتِهِ في ظِلٍّ ظَليل ومَرْعىً حَميمٍ، كَمَا نَذْكُره بَعْدُ.

## 161 • الخبرَ عن انْتقاض الأَميرِ أبي يَحْيى زكَرِّياءَ بالمَهْدِيّة، ودُخوله في دَعْوة أبي عِنانٍ، ثمّ نزوِله عنْها، ورُجوعِها إلى الطاعَة، وتصاريفِ ذلك.

كان الحاجِبُ أبو مُحمّد عندَ رُجوعِه إلى الحَضْرة صرَفَ عِنايَته إلى تَحْصين المَهْدِيّة يُعِدُّها للدّولة وَزَرًا(1) من حادثٍ مَا يَتَوَقَّعُه / [327 ب] من المَغْرب وأَهْله، فشَيَّدَ من أَسْوارِها وشَحَن بالأَقْوات والأَسلِحَة مخازِنَها ومُودعَاتِها،

(أ) كذا في ظ ...

(1) الوَزَر محرّكة: الملجأ والمَعْقل والمُعْتَصَم، والجبل المنيع.

وعَقَدَ علَيها للأمير زَكرِيّاءَ أخي السُّلْطان أبي إسْحاق، كان في كَفَالَتِهِ، وأَنْزَلَه بِهَا. وَبَعَثَ على حِجَابَته أحمدَ بنِ خَلَف من أَوْليائه وذَوِيه مُسْتَبِدًّا علَيه، فأَقامَ على ذلك حَوْلاً أو بَعْضَه، ثمّ ضَجِرَ الأميرُ أبو يحيى زَكرِيّاء من الاسْتِبْداد عليه، واسْتَنْكَفَ من حَجْرِه في سُلْطَانه، فَبَيَّتَ أحمدَ بنَ خلَف فقتَلَه. وبعَثَ عن أبي العبّاس أحمدِ بن مَكّي صاحبِ جِرْبَةَ وقَابِس ليُقِيمَ لَه رَسْمَ الحِجابَة بِمَا كان مُناوِئًا لأبي محمّد بن تَافْرَاكِين كافِلِه، فوَصلَ إلَيْه. وطَيَّرُوا بالخَبَرِ إلى السُّلْطان أبي عِنانٍ صاحبِ المَغرب، وبَعَثُوا إليه ببَيْعَتِهم، واسْتَحَثُّوهُ لصَرِيخِهم، واضْطَرَبَ أمرُهم. وَسَرَّحَ أبو مُحمّد بن تَافْرَاكِين إليها العَسْكَرَ فَأَجْفَلُوا أَمَامَهُ، ولَحِقَ المَوْلَى أبو يحيى زَكرِيّاءُ بقَابِس واسْتَوْلَى علَيْها العَسْكَرُ، واسْتَعْمل علَيها أبو محمّد بنُ تَافْرَاكِين مُحمّدَ بنَ الخْكْجَاك[أ] من قَرَابَة ابن ثابِت، اصْطَنَعَهُ عِنْدما وَقَعَت الحادِثَةُ على طَرابُلس، ولَحِقَ به فاسْتَعْمَلَه على المَهْدِيّة.

ولما وَصَلَ الخَبَرُ إلى أبي عِنان بشَأْن المَهْدِيّة جَهّز إليها الأُسْطولَ وشَحَنَه بالمُقَاتِلَةِ والرَّجْلِ، وعَيّن الوَالِيَ والحامِيةَ فأَلْفَوْها وقد رَجَعت إلى إيالَة الحَضْرة. ووَصَلَ إليْها ابن الخْكْجَاك وقامَ بها وحَسُنَ غَنَاؤُه فيها، إلى أن كانَ من أَمْره ما نَذْكر.

وأقامَ الأميرُ زكرِيّاءُ بقابِس، وأَجْلَب به أبو العَبّاس بن مَكّي على تُونِس، ثُمّ بَعَثُوه للذّواوِدَة، ونَزَلَ على يَعْقوب بن عليّ وأَصْهَرَ إليه في ابْنةِ أَخيه سَعيد فعَقَد له علَيها. ولمّا اسْتَوْلَى أخُوه أبو إسحاق على بجاية اسْتَعْمله

(أ) كذا ضبطت في ظ وتقدم هذا الاسم. والجيم بالنقاط الثلاث فوقها هو حرف جيم مشمّ بالشين.

على سَذوِيكش بعضَ الأعْوام، ولم يزلْ بَيْن الذَّواوِدَة إلى أن هَلَكَ سنَةَ ستٍّ وسبْعين، كما نَذكُره بَعْدُ.

## 162 • / الخبرُ عَن اسْتِيلاءِ السُّلطان أَبي إسْحاقَ على بِجايَة، وإعَادَةِ الدَّعْوَة الحفصِيّةِ إليْها . 28]

لـمّا رَجعَ السُّلْطانُ أبو عِنانٍ من قُسُنطِينَةَ إلى الـمَغْرب، أَراحَ سَنَتَهُ وسَرَّحَ عَساكِرَه من العام الـمُقْبِل إلى إفْريقيَّة لنَظَر وَزيرِه سُلَيمانَ بنِ داود، فسارَ في نَواحي قُسُنطِينَة ومَعَه مَيْمُونُ بنُ عليٍّ بن أَحْمد، أُدِيلَ به من يَعْقوب على قَوْمه من الذَّوَاوِدَة، وعُثْمان بنِ يوسف بن سُلَيْمان شيخِ أَوْلاد سِباعٍ منهم. وحضَر معهُ يوسفُ بن مُزْنى عاملُ الزّاب، أَوْعزَ إليه السّلطانُ بذلك فدَوَّخَ الجِهات، وانْتَهى إلى آخر وَطَنِ بُونَة، واقْتَضى الـمَغَارِمَ، ثمّ انكَفَأَ راجِعًا إلى الـمَغْرب.

وهَلَكَ السُّلْطانُ أبو عِنانٍ إثْرَ قُفُولِه سنةَ سَبْعٍ وخَمْسين. واضْطَرَبَ أمرُ الـمَغْرب، ثمّ اسْتقامَ على طاعَة أَخيه السّلطان أَبي سالِم، كما نَذكُرُه. وكَانَ أهلُ بجايَة قد نَقَمُوا على عامِلهم يحيى بن مَيْمون من بِطَانَةِ السُّلطانِ أبي عِنان سُوءَ مَلَكَتِهِ وَشِدَّةَ سَطْوِهِ وعَسْفِه، فدَاخَلوا أبَا مُحمّد بن تافْرَاكِين على البُعْد في التَّوثُّبِ به، فَجَهَّزَ إليهم السُّلطانُ أَبَا إسْحاق بما يحتاجُ إليه من العَساكِرِ والآلَة، ونَهض من تُونِس ومَعَه ابنُه أبو عبد الله على العَساكِر، وتَلَقَّاهم يَعقوبُ بنُ عليّ وظاهَرَهم على أَمْرهم، وَسَارَ أَخُوه أبو دينار في جُمْلَتهم. ولـمّا أَطَلُّوا على بِجايَة ثَارَت الغَوْغَاءُ بيحيى بن مَيْمون

العامِل، كان علَيْهم مُنذُ عَهْدِ السُّلْطَانِ أبي عِنانٍ، فأُلْقِيَ بِيَدِه وتُقُبِّضَ عليه وعلى من كان من قَوْمه، وأُرْكِبُوا السَّفينَ إلى الحَضْرة، وأَوْدَعَهُمْ أبو مُحمّد ابنُ تَافْرَاكِين سُجُونَهُ تَحْتَ كَرَامَةٍ وجِرَايَةٍ إِلَى أَنْ مَنَّ علَيهم من بعد ذلك وأَطْلَقَهم إلى المَغْرب.

ودخلَ السّلطانُ أبو إسْحاق إلى بجاية سنةَ إحْدى وستّين واستبَدَّ / [328 ب] بها بعضَ الاسْتِبْدَاد، وحاجِبُهُ وكافِلُه أبو مُحمّد يُدَبِّر أمرَهُ من الحَضْرة. ثمّ اسْتَقْدَمَ ابنَه، ونَصَب لوزارة السُّلْطان أبا محمّد عبد الواحِد بن محمّد بن أكمازير من مَشْيخة الموحِّدين، فكان يُقِيمُ له رَسْمَ الحِجابَة. وقامَ بأمْر الرَّجْل بالبلَدِ من الغَوْغَاءِ عَلِيُّ بنُ صالح من زَعَانِفَة بجاية وأَوْغَادِهَا، الْتَفَّ علَيه الشِّرَارُ والدُّعَّار، وأصبحَتْ له بهم شَوْكَةٌ كَانَ لَهُ بها تَغَلُّبٌ على الدَّوْلَة، إلى أن كان من أَمْره ما نَذْكرهُ.

## 163 • الخبرُ عن فَتْح جرْبَة، ودُخولِها في دَعْوة السّلطان أبى إسْحاق صاحبِ الحضرة.

هذهِ الجزيرة جِربَةُ من جُزُرِ هَذَا البَحْرِ الذي قريبًا من قَابِس وإلى الشَّرْق عنْها قليلاً. طولها من المَغْرب إلى المَشْرق سِتُّون ميلاً، وعَرْضُهَا من ناحِية الغَرْب عِشرون ميلاً، ومن ناحِية الشَّرْق خَمْسَةَ عشَرَ ميلاً. وبَيْنها وبَيْن قِرْقِنة في ناحية الغرب سِتّون ميلاً. وشَجَرُها التِّينُ والنَّخلُ والزّيتونُ والعِنَبُ، واخْتصَّتْ بالتُّفَّاحِ وعَمَلِ الصّوف لِلِبَاسِهم فيَتَّخِذُون منه الأَكْسِيَة المُقَلَّمَة للاشْتِمَالِ وغَيْرَ المقَلَّمَة للّباس، ويُجْلَبُ منها إلى

الأَقْطار فتَنْتَقِيه النَّاسُ لِلِبَاسهم. وأَهْلُهَا من البَرْبَر من كُتامَة، وفيهم إلى الآن سَذوِيكِش وصَدْغيَان من بُطونِهم، وفيهم أيضًا من نَفْزَة وهَوّارَة وسائِر شُعوب البَرْبَر. وكانوا قديمًا على رَأْي الخَوارِج، وبَقِيَ بها الآنَ فِرْقَتان منهم، الوَهْبِيّةُ وهم بالنّاحِيَة الغَرْبية ورِئَاسَتُهم لبني سُمُومِن(أ)، والنَّكّارَةُ وهُمْ بالنّاحِية الشَّرقية، وجِزْبَةُ فاصِلَةٌ بينهما، والظّهور والرِّئاسَةُ على الكلّ لَبني سُمُومِن.

وكان فَتْحُها أوّلَ الإسْلام على يَد رُوَيْفَع بن ثابِت بن سَكَن بن عَدِيّ ابن حارِثة، / [329أ] من بَني مالِك بن النَجّار من الأنْصار ومن جُنْد مِصْرَ، وَلاّه مُعاويةُ على طرابلُس سنةَ ستٍّ وأَرْبعين، فغزَا إفريقيّة وفَتَحَ جِرْبَةَ سنةَ سَبْعٍ وأربعين بعدَها، وشهِدَ الفتحَ حَنَشُ بنُ عبد الله الصّنعاني، ورَجع إلى بَرْقة فماتَ بها. ولمْ تَزَلْ في مَلَكةِ المسلمين إلى أن دخلَ دينُ الخوارِج إلى البَرْبر فأَخذوا به. ولـمّا كان شأْنُ أبي يَزيد سنةَ إحْدى وثلاثين وثلاث مائة وأَمَدُّوا بِدَعْوته بعد أَنْ دَخلَها عَنْوَةً وَقَتَلَ مُقَدَّمَها يومئذٍ ابنَ كلدين(ب) وصَلَبَهُ، ثمّ اسْتَرَدَّها المنصورُ إسْماعيلُ وقَتَلَ أَصْحابَ أبي يزيد. ولما غَلَبَتِ العَرَبُ صِنْهَاجَةَ عَلَى الضَّوَاحِي وَصَارَتْ لَهم أَخَذَ أَهْلُ جِرْبَةَ في إِنْشَاءِ الأَسَاطِيلِ وغَزَوْا السّواحِلَ. ثمّ غَزَاهم عليُّ بنِ يحيى بنِ تميم ابنِ المُعِزّ بن باديس(ج) سنةَ تسعٍ وخَمْس مائة بأساطيلِهِ إلى أن انْقَادُوا وَضَمِنُوا قَطْعَ الفَسَادِ وصَلاَحَ الحَالِ. ثُم تَغَلَّبَ النّصارى عليها سنةَ تسعٍ وعشرين وخمس مائة عندَ تغَلُّبِهم على سَواحِل إفريقيّة. ثُمَّ ثَارَ أَهْلُهَا عَلَيهم وأَخْرجوهم سنةَ ثمانٍ وأَرْبعين. ثمّ تَغَلَّبُوا عليها ثانيةً وسَبَوْا أَهْلَهَا، واسْتَعْمَلُوا

(أ) كذا ضبط في ظ (ب) كذا في ظ (ج) ظ: تادبس.

على الرّعيّة وأَهْل الفَلْح. ثمّ عادَت للمُسلمين، ولم تزل مُتَرَدِّدَة بين المسلمين والنّصارى إلى أن غلَب عليها الموحّدون أيَّامَ عَبْدِ المؤمن.

واستقام أَمْرُهَا، إلى أن استبدّ بَنو أبي حَفْص بإفريقيّة، ثم افْتَرَق أمْرُهُمْ بعد حينٍ، واسْتَبَدَّ المولَى أبو زكرياء ابن السّلطان أبي إسْحاق بالنّاحية الغَرْبية، وشُغِلَ صَاحِبُ الحَضْرة بشَأْنه كما قدّمناه، فَتَغلَّبَ على هذه الجَزيرة أَهْلُ صِقِلِّيَةَ سنةَ ثمانٍ وثمانين وستّ مائة، وبَنَوْا بها حِصْنَ [القَشْتِيل][أ] مربّعَ الشّكل، في كلّ رُكْنٍ منه بُرْجٌ، وبَيْن كل رُكنين بُرْجٌ، ويَدور به حفِيرٌ[ب] وسُورَان. وأَهَمَّ المسلمينَ شَأْنُهَا، ولم تَزلْ عساكرُ الحَضْرة تَتَرَدَّدُ إليها كما تَقدَّم، إلى أن كان فَتْحُها أيَّامَ السُّلْطان / [329ب] أبي بكر عَلَى يَدِ مَخْلوف بن الكمّاد من بِطانَتِه سنةَ ثمانٍ وثلاثين، واسْتَضَافَها ابنُ مَكّي صاحبُ قابِس إلى عَمَله فأضافَها، إليه وعَقَدَ له عليها، فصارت من عَمَله سَائِرَ أيّامِ السّلطان وَمِنْ بَعْدِهِ.

واتّصَلَت الفِتْنَةُ بين أبي مُحمّد بن تَافْرَاكِين وبَيْن ابن مَكّي[1]، وبَعَثَ الحاجِبُ أبو مُحمّد بن تَافْرَاكِين عن أبيه أبي عَبْدِ الله، وكانَ في جُمْلة السُّلْطان ببجاية كما قُلْناه، ولمّا وصلَ إليه سَرَّحَهُ في العساكر لِحصار جِرْبَةَ، وكان أَهْلُهَا قد نَقَمُوا على ابن مَكّي سِيرَتَهُ فيهم، ودَسُّوا إلى أبي مُحمّد بن تَافْرَاكِين بذلك، فَسَرَّح إليه ابْنَهُ في العَسَاكر سنةَ ثلاثٍ

(أ) حُرف في ظ إلى: الفيشل (ب) ظ: خفير.

(1) نقل الزركشي خبر هذا الخلاف وأحداثه ببعض التصرف. تاريخ الدولتين 207.

وسِتِّين. وكان أَحْمَدُ بنِ مَكّي غائبًا بطرابُلُس قَدْ نَزَلَها مُنْذُ مَلَكَهَا من أيدي النَّصارَى وَجَعَلَهَا دَارًا لإمَارَتِهِ، فنهَضَ العَسْكرُ من الحَضْرَة لنَظر أبي عبد الله بن الحاجِب أبي مُحمّد، ونَهَضَ الأُسْطُولُ في البَحْر، ونَزلُوا بالجَزيرَة، وَضَايقُوا القَشْتِيل[أ] بالحِصار إلى أن غلَبوا علَيْه ومَلَكوه، وأَقامُوا به دَعْوَةَ صاحب الحَضْرة. واسْتَعْمَل عليه أبو عبد الله بنُ تَافْرَاكِين كَاتِبَهُ مُحمَّدَ ابنَ أبِي القاسِم بن أبي العُيون، كان من صَنائِعِ الدَّوْلة منذ العَهْد الأَوَّلِ، وكانت لأبيه قرابةٌ من ابن عبد العزيز الحاجِبِ تَرَقَّى بها إلى الدّولة [وتولّى][ب] الأشْغالَ بتونِس، مناهِضًا لأبي القاسم بن طاهِر الذي كان يَتَوَلَّاها يومئذٍ، فكان رَدِيفَهُ عَلَيْهَا إلى أَن هَلَكَ ابن طاهِر، فاسْتَبَدَّ هُوَ بها مُنْذُ أيّام الحاجِب أبي مُحمّد. واتَّصلَ ابْنُهُ مُحمّدٌ هذا بِخِدْمَةِ ابن الحاجِب، واختَصَّ بكتابته إلى أن اسْتَعْمَلَه على جِرْبة عند اسْتيلائه علَيها هذه السَّنَة، وانكَفأَ راجعًا إلى الحَضْرة. فلم يَزَلْ مُحمَّدُ بنِ أبي العُيون واليًا عليها، ثمّ اسْتَبَدَّ بها على السّلطان بعدَ مَهْلِكِ الحَاجِب وفِرَارِ ابنه عن السُّلْطَان، إلى أن غلَبه عليها السّلطانُ أبو العبّاس سنةَ أَرْبعِ وسَبْعين، كما نَذْكره.

(أ) ظ: الفشتيل (ب) زيادة لضبط السياق.

# 164 • الخَبَرُ عن عَوْدَةِ الأُمَراءِ من المَغْرِب، واسْتيلاءِ السُّلْطان أبي العبَّاس على قسنْطِينَة.

/ لما هَلَكَ السُّلطانُ أبو عِنانٍ قامَ بأَمْره من بَعْده وَزيرُه الحَسَنُ بن عُمَر، وَنَصَبَ ابْنَه مُحَمَّدَ السَّعِيدَ للأَمْرِ، كما نَذْكُره في أَخْبارِهِ. وكان يَضْطَغِنُ للأمير أبي عبد الله صاحبِ بِجايَة، فتَقَبَّضَ عليه لأَوّل أَمْرِهِ واعْتَقَلَهُ حَذَرًا مِنْ وُثُوبه عَلَى عَمَلِهِ فِيما زَعَمَ. وكان السُّلْطان أبو العبّاس بسَبْتَة منذُ أَنْزلَه السّلطان أبو عِنانٍ بها ورَتَّب عَلَيْهِ الحَرَسَ كما ذَكَرْنا. فلَمّا انْتَزَى على المُلْكِ مَنْصورُ بن سُلَيمان من أَعْياص مُلْكِهم، ونَازَلَ البَلَدَ الجديدَ دَارَ المُلْكِ، ودَخلَ في طاعَتِه سائرُ الممالِك والأَعْمال، بَعَثَ في السُّلطان أبي العبَّاس واسْتَدْعاهُ من سَبْتَةَ فنهَضَ إليه، وانْتَهى في طَريقِه إلى طَنْجَةَ، ووَافَقَ ذلك إجازَةَ السُّلْطان أبي سالمٍ من الأَنْدلُس لِطَلَبِ مُلْكِهِ. وكان أوّلُ ما اسْتَوْلى عليه من أَعْمالِ المَغْرب طَنْجَةَ وسَبْتَةَ، فاتّصل به السّلطان أبو العبّاس وَظَاهَرَهُ على أَمْرِه إلى أن نَزَعَ إليه قَبيلُهُ بَنُو مَرِين عن مَنصور بن سُلَيمان المُنْتَزِي على ملكهم، فاسْتَوْسَقَ أَمْرُهُ، واسْتَتَبَّ سُلْطَانُه، ودَاخَلَ فَاسَ، وسَرَّح الأميرَ أبا عَبْدِ الله من اعْتِقال الحسنِ بنِ عُمَر، كما قَدّمْناهُ، وَرَعَى للسُّلْطانِ أبي العَبَّاس ذِمَّةَ سَوابِقِهِ القَديمةِ والحَادِثَةِ، فرَفَعَ مَجْلِسَهُ وَأَسْنَى جِرايَتَهُ، وَوَعَدَهُ بالمُظَاهَرَة على أَمْره، واسْتَقَرُّوا جميعًا في إيَالَتِه، إلى أن كان مِنْ تَغَلُّبِ السّلطان أبي سَالِمٍ على تِلِمْسَانَ والمَغْربِ الأَوْسَطِ ما نَذْكُره في أَخْبارِهم. واتَّصَلَ به ثَورةُ أَهْلِ بِجايَة بعامِلِهم يحيى بن مَيْمون ورجالاتِ قَبيلِهم، فامْتَعَضَ لذلك؛ [330أ]

وحين قَفَل إلى المغرب نَفَضَ يَدَيْهِ من الأَعْمال الشَّرْقية، ونزلَ للسُّلْطان أبي العبّاس عن قُسُنْطينَة دارِ إمارَته ومَثْوَى عِزّه ومَنْبَتِ مُلْكِه، فأَوْعَزَ إلى عامِلِها مَنْصور بن خَلوفٍ بالنُّزول له عنها، وسَرّحه إليها، وسَرّح معه الأميرَ أبا عبد الله ابنَ عَمّه لطَلَب / حقّه في بِجاية والإجْلابِ على عَمّه [330 ب] السُّلطان أبي إسْحاق جزاءَ بما نالَ من بَني مَرين عنْد افْتِتاحِها من المَعرَّةِ. وارْتَحلوا من تِلِمْسانَ في جُمادَى من سنَةِ إحْدَى وستّين، وأَغَذُّوا السَّيرَ إلى مَواطِنِهِم.

فأمّا السُّلْطانُ أبو العباس، فوَقَفَ مَنصورُ بنُ خَلُوفٍ عاملُ البَلَد على خِطاب سُلْطانِه بالنُّزول عن قُسُنْطِينَةَ، فنَزَلَ وأَسْلَمها إليه وأمكنه منها، فدَخَلَها شهرَ رَمضان سنةَ إحْدَى وستّين، واقْتَعَدَ سَريرَ مُلْكِهِ مِنْهَا، وتَبَاشَرَتْ بعَوْدَتِه مَقاصِرُ قُصورِها، فكَانَت مَبْدَأً لسُلطانه ومَظْهَرًا لِسَعَادَته ومَطْلَعًا لِدَوْلَتِه، على ما نَذْكُرُ بَعْد.

وأمّا الأميرُ أبو عبد الله صَاحِبُ بِجاية فلَحِقَ بأوّلِ وَطَنِها، واجْتَمَعَ إليه أولادُ سِباعٍ أهلُ ضَاحِيَتِهَا وَقَفْرِهَا مِنَ الذَّوَاوِدَة، ثمّ زحفَ إليها فنازَلَها أيّامًا وامْتَنَعَتْ عليه، فَرَحَلَ عَنْهَا إلى بَني [يَاوَرَارْ][(أ)]، واستخدمَ أولادَ مُحَمّدِ بنِ يوسفَ والعزيزيّين أهلَ ضَاحِيَتِها من سَدْوِيكِش، ثمّ نَزَعُوا عنه إلى خِدْمَةِ عَمّهِ بِبجاية، فَخَرَجَ إلى القَفْر مع الذّوَاوِدَة، إلى أن كَانَ من أَمْره ما نَذْكُر.

(أ) ظ: تاوزاز. وتقدم على ما اثبتناه.

## 165 • الخبرُ عن وُصول الأخِ الأميرِ أبي يحيى زكريّاءَ من تونس، وافتِتاحِه بُونة واسْتيلائه عليْها.

كان الأميرُ أبو يحيى زكريّاء منذ بَعَثَهُ أخوهُ أبو العبّاس إلى عَمّهما السّلْطانِ أبي إسْحاق صَرِيخًا لَمْ يَزَلْ مُقيمًا بتونِس، وبَلَغَهُ اسْتِيلاءُ السُّلْطانِ أبي عِنانٍ على قُسُنْطِينَةَ وهو بتونِس، ثمّ كانَتْ عودَةُ مَوْلانا أبي العبّاس من المَغْرب واسْتيلاؤه على قُسُنْطينة، فَخَشِيَ الحاجِبُ أبو محمّد بن تافْراكِين بادِرَتَهُ، وتَوَقَّعَ زَحْفَهُ(أ) إليه وغَلَبَهُ إيّاه على الأمْر، ورأى أن يَخِصّ(1) جناحَه في أخيه، ويَتَوَثّق به، فاعْتَقَلَهُ بالقَصَبَة تحت كَرامةٍ وَرَعْيٍ، وبَعثَ فيه السّلطان أبو العبّاس بعدَ مُراوَضَةٍ في السّلْم فأطْلَقَه، وانعَقَدَتْ بينهما السِّلْم. ولـمّا وصل الأميرُ أبو يحيى إلى / أخيه بقُسُنْطِينَة [331أ] عقَدَ له على العَساكِر، وزحف إلى بُونَةَ فملكَها سنةَ ثِنْتَيْن وسِتّين، وعقدَتْ له عليها وأنْزَلَهُ بها مع العَساكِر، وأَصارَها تخْمًا لعَمَلِه. واسْتَمرّتْ حالُها على ذلك إلى أن كان ما نَذْكره.

(أ) ظ: رجفه مصحّفة.

---

(1) يُدخل عليه الخَلَل.

## 166 • الخَبرُ عن اسْتيلاءِ الأمير أبي عَبْد الله على بِجايَة، ثمّ على تِدْلِس بعدَها.

لـمّا قَدِم السّلطانُ أبو عبد الله من الـمَغْرب، ونازَلَ بجايَةَ فامتنعت عليه، خرجَ إلى أَحْيَاءِ العَرَبِ كَمَا قَدَّمناه، ولَزِمَ صِحَابَتَهُ أولادُ يحيى بن عليّ بن سِباع فَغرِمُوا في الوَفاء بها، وأقامَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهم وفي حِلَلِهِمْ مُنْقلبًا في طلَب بجايَة برحْلة الشّتاء والصَّيْف، وَتَكَفَّلُوا نَفقَةَ عِياله ومَؤُونَةَ حَشَمِه، وأنْزَلوهُ ببَلَدِ المَسِيلَةَ مِنْ أوْطَانِهِمْ، وتَجافَوْا له عن جِبايَتِها، وأقامَ على ذلك سِنِينَ خَمْسًا، يُنازِلُ بجايَة في كلِّ سَنَةٍ منْها مِرارًا. وتَحَوَّل في السّنة الخامِسة عنهم إلى أولادِ عَليّ بن أحمد، ونَزلَ على يَعقوب بن عليّ فأسْكَنه بِمَقَّرَة من بلادِه إلى أَنْ بَدَا لعَمّه المولَى أبي إسْحاق رَأْيٌ في اللَّحَاقِ بتُونِس لـمَا تَوَقَّع من مَهْلِكِ حَاجِبِهِ وكَافِلِهِ أبي محمّد بن تَافْرَاكِين، أَسَرَّهُ إليه بعضُ الحُزَّى فَحَذِرَ مَغَبَّتَهُ، وَوَقَعَ لِذَلِكَ في نُفُوسِ أَهْل بجايَة انْحرافٌ عَنْهُ، ومَرَجَ أمرُه، وَرَاسَلُوا أَميرَهم الأَقْدمَ أبَا عَبْدِ الله من مَكانِه بِمَقَّرَة، وَظَاهَرَهُ عَلى ذَلِكَ يعقوبُ بنُ عليّ، وأَخَذَ له العَهْدَ عَلَى رِجَالاَتِ سَدْويكِش أهلِ الضاحية، وارْتَحَلُوا معه إلى بِجايَة، ونَازَلَهَا أيّامًا. ثمّ اسْتَيْقَن الغَوْغَاءُ اعْتِزَامَ سُلْطَانِهم على التَّقْويض(أ) عنهم، وسَئِمُوا مَلَكَة عليّ بن صالح الذي كانَ عريفًا عليهم، فثارُوا به ونَبَذُوا عَهْدَهُ وانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِه إلى الأمير أبي عبد الله بالرسة(ب) من ساحَة البَلد، ثم قادوا إليه عَمّه

(أ) ظ: التفويض (ب) كذا في ظ ولم نتبينها، ويبدو أنها تحديد لمكانٍ من ساحة البلد.

أبا إسحاق فَمَنَّ عليه وخلّى سبيلَه إلى حضرَته فلَحِقَ بها. واسْتَوْلَى أبو عبد الله / على بجاية مَحَلّ إمارَتِه في رَمضان سنةَ خَمْسٍ وستّين، وتَقَبَّضَ عَلَى عليّ بن صالح ومن معَه من عُرَفاءِ الغَوْغاءِ أَهْلِ الفِتْنَة فاسْتَصْفَى أَمْوالَهم ثُمَّ أَمْضَى حُكْمَ اللهِ في قَتْلِهِم. ثمّ نَهَضَ إلى تِدْلِس لِشَهْرين من مُلْكِهِ بِجاية فغلَب عليْها عُمَر بن موسى عاملُ بَني عبد الوَادِ ومِنْ أَعْيَاصِ قَبِيلِهِمْ وتَمَلَّكَها في آخِرِ سَنَةَ خَمْسٍ. [331 ب]

وَبَعَثَ[1] عنّي من الأَنْدَلس [و][أ] كنْتُ مُقيمًا بها نزيلاً عندَ السّلطان أبي عبد الله بن أبي الحَجّاج بن الأَحْمر، في سَبِيل اغْتِرابٍ ومُطَاوَعَةِ تَقَلّبٍ مُنْذُ مَهْلِكِ السُّلْطَانِ أبي سَالِمِ الجاذبِ بِضَبْعي إلى تَنْوِيهِ والرّاقي في خُطَط كتابتِه من تَرْسِيلٍ وتَوْقيعٍ ونَظَرٍ في المَظالِم وغَيْرِها، فلَمَّا اسْتَدْعَانِي هَذَا الأميرُ أبو عَبْدِ الله بادَرْتُ إلى امتِثاله، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [سورة الأنعام، من الآية 137] ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [سورة الأعراف، من الآية 188]، فأجَزْتُ البَحْرَ شهرَ جُمادَى من سَنَةِ ستٍّ [وستّين وسبع مائة][ب]، وَقَلَّدَني حِجَابَتَهُ، ودَفع إليّ أمورَ مَمْلَكتِه، وقُمْتُ في ذلك المَقامَ المحمودَ، إلى أن تأذَّنَ اللهُ بانْقِراضِ أمرِهِ وانقِطَاعِ دَوْلَتِهِ كما نَذْكُرُه. ولله الخَلْق والأَمْرُ، وبيدِه تصاريفُ الأمور.

(أ) أضيفت للربط اختيارًا (ب) إضافة للتوضيح.

---

(1) انظر التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا 100 -

## 167 • الخبرُ عن مَهْلِك الحاجبِ أبي مُحمّد بن تافْراكِين واسْتِبْدادِ سُلطانِه من بَعْدِه.

كَانَ السُّلْطَانُ أبو إسْحاق آخِرَ دَوْلَتِهِ ببِجاية قد تَحَيَّنَ مَهْلَكَ حَاجِبِهِ المُسْتَبِدِّ عليه أبي مُحَمَّد بنِ تَافْرَاكِين لِمَا كَانَ أَهْلُ صِناعَةِ التَّنجيم يتَحَدَّثُونَه بذلك(1) فأَجْمع الرِّحلَةَ إليها، وانفَضَّ عنه أهلُ بجاية إلى ابن أخيه كما قَدّمناه، واستَوْلَى عليه ثمّ أَطْلَقَهُ إلى حَضْرَتِهِ فَلَحِق بها في رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّين. وتلَقَّاهُ أبو مُحمّد بنُ تَافْرَاكِين، وَرآهُ مُرْهَفَ الحَدِّ للاستِبْدَادِ الذي أَلِفَهُ ببجاية فكَايَلَهُ بصاعِ الوِفاق، وَصَارَفَهُ نَقْدَ المُصانَعَةِ، وازْدَلَفَ إليه بأنْواع القُرُبات، / وقادَ إليه الجنائِبَ، ومنحه الذّخائر [332 أ] والأموالَ، وتَجَافَى له عن النَّظَر في الجِباية. ثم أَصْهَرَ إليه السّلطان في كَرِيمته فعَقَد له عَلَيْهَا وَأَعْرَسَ السُّلْطَانُ بها. ثمّ كَانَ مَهْلِكُهُ عقِبَ ذَلِكَ فَاتِحَ سِتٍّ وسِتِّينَ، فَوَجَمَ السُّلْطَانُ لِنَعْيه، وَشَهِدَ جَنَازَتَهُ حَتَّى وُضِعَ بِمَلْحَدِه من المَدْرَسَة التى اختَطّها لِقِرَاءَةِ العِلْمِ إزاءَ دَارِهِ جوْفِيّ المَدِينَةِ، وقَامَ عَلَى قَبْرِهِ بَاكِيًا وَحَاشِيَتُهُ يَتَنَاوَلُونَ التُّرَابَ حَثْيًا عَلَى جَدَثِه، فَغَرَّبَ في الوَفَاءِ مَعَهُ بما تحدَّثَ به النَّاسُ، واسْتَبَدَّ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِهِ، وَأَقَامَ سُلْطَانَهُ لِنَفْسِهِ.

وكَانَ(2) أبو عبد الله بن الحاجِب، أبي محمّد، غائبًا عن الحَضْرة، خرجَ منها بالعَسْكر للجِبايَة والتّمهيد، فلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ مَهْلِكِ أبيه دَاخَلَتْهُ

---

(1) إلى هنا ينتهي الخرم الكبير الواقع في نسخة "ف"، ونعود إلى المقابلة عليها مع نسخة ظ.

(2) نقل الزركشي هذا الخبر بأكثر تعبير ابن خلدون في تاريخ الدولتين 208 .

الظِنَّةَ وَأَوْجَسَ الخِيفَةَ، فَصَرَفَ العَسْكَرَ إلى الحَضْرَة وارْتَحَلَ مع حكيم من بني سُلَيْم، وعَرَضَ نفسَه على مَعاقِل إفريقيّة التى كَانَ يَتَظَنَّنُ أنّها خَالِصَةٌ لَهُمْ، فَصَدَّهُ مُحمَّدُ بنُ أبي العُيون كَاتِبُهُ عَن جِزيَة، ومُحمّدُ بنُ الثُّبكثاك صَنيعَتُهُمْ وَبِطَانَتُهُمْ عنِ المهديّة، وبَعَثَ إليه السُّلْطَانُ بما رَضِيَهُ من الأَمان فأَصْحَبَ بَعْدَ النُّفور، وبَادَرَ إلى الحَضْرة فتَلَقَّاهُ السُّلْطَانُ بالبِرّ والتَّرْحِيبِ، وقَلَّدَهُ حِجَابَتَهُ، وأَنْزَلَه بأَعْلَى مرَاتِبَ العِزّ والتَّنْوِيه. وَنكِرَ هو مُبَاشَرَةَ السُّلْطَانِ لِلنَّاسِ ورَفْعَهُ لِلْحِجَابِ. وَلَمْ يُرْضِهِ، لما أَلِفَ مِنَ الاسْتِبداد مُنذ عَهْد أبيه. فأَظْلَمَ الجَوّ بَيْنَه وبين السُّلطان، ودَبَّتْ عَقَارِبُ السِّعَاية لِمِهادِهِ الوَثِير، فتَنَكَّرَ وخَرج من تُونِس وَلَحِقَ بقُسُنْطينَة، ونزلَ بها على السُّلْطَانِ أبي العَبَّاسِ مُرَغّبًا له في مُلْك تُونِس ومُسْتَحِثًا، فأَنْزلَه خَيْرَ نُزُلٍ، وَوَعَدَهُ بالنُّهُوضِ مَعَهُ إلى إفريقيّة بَعْدَ الفَرَاغِ مِنْ أَمْرِ بِجايَة، لِمَا كَانَ بَيْنه وبين ابن عَمّه صَاحِبِهَا مِنَ الفِتْنَةِ، كَمَا نَذكرهُ بَعْدُ. واسْتَبَدَّ السُّلْطَانُ أبو إسْحاق بعد مَفَرِّ ابن تَافْرَاكِين عنه، ونَظَرَ في أَعْطَاف مُلْكه، وعَقَدَ على حِجابَتِه لأَحْمد بن إبراهيم اليالقى[1] / مُصْطَنِعِ الحَاجِبِ أبي مُحمّدٍ، من طَبَقَة [332 ب] العُمّال، وعلَى العساكِر والحَرْب لِـمَوْلاه مَنصور سرِيحُهْ[أ] من الـمَعْلُوجَى. وَرَفَعَ الحِجَابَ بَيْنَهُ وبَيْنَ رِجَالِ دَوْلَتِهِ وصَنَائِع مُلْكِهِ، حَتَّى بَاشَرَ جُباةَ الخَرَاجِ وَعُرَفَاءَ الحَشَمِ وَأَوْصَلَهُمْ إلى نَفْسِه، وأَلْغَى الوَسَائِطَ بَيْنَهم وبَيْنَه إلى حِين مَهْلِكِه كما نَذْكُر.

(أ) كذا ضبطت في ظ.

---

(1) كذا وردت هذه النسبة محققة في ظ ف، وفي تاريخ الدولتين 209 : البالقي.

## 168 • الخَبَرُ عن استِيلاءِ السّلطان أبي العَبّاس على بِجايَة، ومَهْلِك صاحِبِها ابنِ عَمّه.

لـمّا مَلَكَ الأميرُ أبو عبد الله بجايَة واستَقَلَّ بإمارَتِها، تَنَكَّرَ للرّعيّة وسَاءَت سِيرَتُهُ فِيهم بإرْهَافِ الحَدِّ للكافّة وإسْخاطِ الخاصّة، فَنغِلَتِ الصُّدور، ومَرِضَتْ القلوب، واستَحْكَمَت النُّفْرة، وتَوَجَّهَتْ الصَّاغِيَةُ إلى ابن عَمّه السُّلطانِ أبي العبّاس بِقُسُنْطِينَةَ بما كان أَسْوَسَ منه وأغْلَبَ لِلذّاتِه وأَقْوَمَ عَلَى سُلْطَانِهِ. وكَانَتْ بَيْنَهُمَا فِتْنَةٌ وَحُروبٌ جَرّتْها [الـمُنافسة](أ) في تُخوم العَمالَتَيْن منذ عَهْد الآباء. وكان السّلطان أبو العباس أيّامَ نُزوله على السّلطان أبي سالم محمُودَ السّيرةِ والخلالِ عنده، مُسْتَقيمَ الطَّرِيقَةِ في مَثْوى اغْتِرابه، وَرُبّما كانَ يَنقِمُ على ابن عَمّه هذا بَعْضَ النَّزْعات(ب) المعرِّضَة بصاحِبها لِلْمَلاَمَةِ، فيَسْتَثْقِلُ نَصيحتَهُ وَنَغِلَ(1) بذلك ضَمِيرُه. فَلَمّا استَوْلَى على بجايَة عادَ إلى الفِتْنَة فَشَبَّهَا وشمّر عَزَائِمَهُ لَهَا، فكان مغلّبا فيها. واعْتَلَقَ منه يعقوب بن عليّ بِذِمّةٍ في الـمُظاهَرَة على السّلطان أبي العبّاس فَلَمْ يُغْنِ عنه، ورَاجَعَ يَعْقُوبُ سُلْطَانَهُ. ثمّ جَهّزَ هو العَسَاكِرَ مِنْ بجايَةَ لـمُزاحَمَةِ تُخُومِ قُسُنْطِينَةَ فَفَضّها مَوْلاَنَا أبو العبّاس. فنَهَضَ إليه ثانيةً بِنَفْسِهِ في العساكِر وَنَواجِع العَرَبِ مِنْ أَوْلادِ سِبَاع بن يحيى، وَجَمَعَ هُو أولادَ محمّدٍ، وزحفَ فيهم وفي عَساكِرَ من زَناتة، والْتَقَى الفريقان بناحِية سَطِيف فاخْتَلَّ

(أ) كذا في الأصلين المناقشة، وهو بيّن تحريف (ب) ظ: النّزعات.

(1) نَغِلَ: فَسَد وساءت نِيّته وقلبُه على ضِغن.

مَصافَّ أهْلِ بِجايَة وانهزموا، واتَّبَعَهُمْ السّلطان أبو العبّاس إلى تاكرارت، / وجالَ في عَمَلِه ووَطِئَ نَواحِيَ وَطنِهِ، وقَفَلَ إلى بلَدِه. [333أ]

ودخلَ الأميرُ أبو عبد الله إلى بِجايَة وقد اسْتَحْكَمَتِ النُّفْرَةُ بينه وبين أَهْلِ بَلَدِه، فَدَسُّوا إلى السلطان أبي العبّاس بِقُسُنْطِينَة بالقُدوم عليهم فوعَدَهم من العام القابِل. وَزَحَفَ سنةَ سبعٍ وستّين في عساكره وشِيَعِهِ من الذَّوَاوِدَة أولادِ محمّدٍ، وانضَوى إليه أولادُ سِبَاع شِيعَةُ بِجايَة بالجوار والسَّابِقَةِ القَديمَةِ، لِمَا نَكِرُوا من أَحْوال سُلْطانهم. وعَسْكَرَ الأميرُ أبو عبد الله بِلِيزُو في جَمْعٍ قَليلٍ من الأولياء، وأقامَ بها يَرْجُو مُدافَعَةَ ابنِ عَمِّهِ بالصُّلح، فَبَيَّتَهُ السُّلطانُ بمَعَسْكره من لِيزُو، وصَبَّحَهُ في غَارَةٍ شَعْوَاءَ فانْفَضَّ جَمْعُهُ، وأُحِيطَ به، وانتُهِبَ المعَسْكر. ومرّ إلى [بِجاية](أ) فَأُدْرِكَ في بَعْض الطريق وتُقُبِّضَ عليه، وقُتِلَ قَعْصًا بالرِّماح.

وأَغَذَّ السّلطانُ أبو العباس السَّيْرَ إلى بجايَة فأَدْرَكَ بها صلاةَ الجُمعة تاسعَ عشَر شَعْبان من سنَة سبعٍ وستّين. وكُنْتُ بالبَلَد مُقِيمًا فَخَرَجْتُ إليه في المَلأِ، وتَلَقَّاني بالمَبَرَّةِ والتّنْويه، وأشار إليّ بالاصْطِنَاع. واسْتَوْسَقَ له مُلْكُ جَدّه الأمير أبي زكريّاء الأَوْسط في الثّغور الغَربيّة. وأقمْتُ في خِدْمَتِه بعضَ شَهْرٍ ثُمّ تَوَجّسْتُ(ب) الخيفة في نفسي وأذِنْتُه في الانطِلاق فَأَذِنَ لي تَكَرُّمًا وفَضْلاً وَسَعَةَ صَدْرٍ ورحْمَةً. ونَزَلْتُ على يعقوب بن عليّ، ثمّ تَحَوَّلْتُ عنه إلى بِسْكِرَة، ونزلتُ على ابن مُزْني إلى أن صفَا الجوّ واسْتَقْبَلْتُ من أَمْري ما اسْتَدْبَرْتُ، واسْتَأْذَنْتُهُ لثلاث عشرة سنة من

(أ) من ف. وسقط من ظ (ب) ف: توحشت.

انطلاقي عنه في خَبَرٍ طَويل نَقُصُّه[1] من شَأني، فَأَذِنَ لي، وَقَدِمْتُ عليه فقَابَلَتْني وُجُوهُ عِنايَتِه، وأَشْرَقَتْ عليَّ أشِعَّة بَخْتِه، كَما نَذْكُر ذلك من بَعْدُ.

## 169 • الخَبرُ عن زَحْفِ أبي حَمُّو وبَني عَبْد الوادِ إلى بِجاية ونَكْبَتِهِمْ عليْها، وفتحِ تِدْلِس من أيْديهم بعْدَها.

كانَ الأميرُ أبو عبد الله صاحبَ بِجايَة لـمَّا اشْـتَدَّتِ الفِتْنَةُ بَيْنه [333 ب] / وبَيْن ابن عَمّه السّلطان أبي العَبّاس، معَ ما كان بَيْنه وبَيْنَ بَني عبد الوَادِ من الفِتْنَة عند غَلَبِه إيّاهم على تِدْلس تَكَاءَدَ[2] عَنْ حِمْل العَدَاوَةِ من الجانِبَيْن وصَغَا إلى مُهادَنَة بَني عبد الوَاد، فنَزَلَ لهم عن تِدْلس وأمكن منها قائدَ العَسْكَرِ المحاصِرِ لها، وأَوْفدَ رسُلَهُ عَلَى سُلْطَانِهم أبي حَـمُّو بتلِمْسان، وأَصْهَرَ إليه أبو حَمُّو في ابنَتِه فعقدَ لَهُ عليَها وزَفَّها إليه بجهاز أَمْثالها. فلَمَّا غَلَبَهُ السُّلطان أبو العبّاس على بِجايَة وهَلَكَ في مَجَالِ حَرْبِه أشَاعَ أَبو حَمّو الامْتِعَاضَ له لمكان الصِّهْر، وجَعَلَها ذَريعةً إلى الحَرَكَة على بِجايَة.

وَزَحَفَ من تلِمْسان يَجُرُّ(أ) الشَّوْكَ والمدَرَ في آلافٍ من قَوْمه وطَبقَاتِ العَسَاكِرِ والجُنْدِ ونَوَاجِع العَربِ، حتىّ انْتهَى إلى وَطن حَمْزَةَ، فَأَجْفَلَ أمامَه أبو اللَّيل بن موسى بنُ زُغْلِي في قَوْمه بني يَزيد، وتَحَصَّنُوا في جبال زَوَاوَة المطلّةِ على وَطَاءِ[3] حَمْزة. وبعثَ إليه رُسُلَه لاقْتِضَاءِ طَاعَتِه، فأَوْثقَهُمْ

(أ) ظ: يجر.

---

(1) التعريف بابن خلدون 101-

(2) تَكَاءَدَ وتَكَأَّدَ الأمرَ: كابده وصَلِيَ به، المشقَّة والصعوبة.

(3) الوَطاء، كسحاب: ما انخفض من الأرض بين النشاز والإشراف.

كِتافًا، وكانَ فيهم يحيى حَافِدُ أبي مُحمّد صالح؛ نَزعَ عن السّلطان أبي العبّاس إلى أبي حَمّو، وكان عَينًا على غِرّاتِ أبي اللّيل هذا بما بَيْنَهما من المَرْبَى والجِوارِ في الوَطَن، وَجاء في وَفد الرّسالة عن أبي حَمُّو فتقَبَّض عليهم وعلَيه، فقتَلَهُ وبعَثَ برأسه إلى بِجايَة. وامْتَنَعَ على أبي حَمُّو وعَساكِره فأجازُوا إلى بِجايَة ونَزلَ مُعسْكَرُهُ بساحتِها، وقاتَلَها أيّامًا، وجَمعَ الفَعلَةَ على الآلاتِ للحِصار. وكانَ السّلطان أبو العبّاس بالبلَد وعَسكَرُه مع مَوْلاهُ بشير بتاكبرارتْ ومعَهم أبو زَيّان بن عُثمان بن عبد الرّحمن، وهو ابنُ عَمّ أبي حَمّو من أَغياصِ بَيْتِهم. وَكَانَ من خَبَرِه أنّه كان خرجَ من المَغرب، كما نَذْكره في أَخْبارِه، ونَزلَ على السّلطان أبي إسْحاق بالحَضْرة، ورَعَا له أبو مُحمّد الحاجبُ حَقَّ بَيْتِه فأوسع في كَرامَتِه. ولـمّا غَلَبَ الأميرُ [334أ] / أبو عبد الله على تِدلِس بَعثَ إليه من تُونِس ليُوَلّيَهُ عليها ويكونَ رِدْءًا بَيْنه وبين بني حَمُّو، ويَتفرّغَ هُوَ للإجْلاَب على وطن قُسنْطِينَة، فبادرَ إلى الإجابة، وَخرَجَ من تُونِس، وَمرَّ [بـ](أ) السُّلْطَانِ أبي العَبّاسِ بمكانِه من قُسنْطِينَة فَصدَّهُ عن سَبِيله واعْتقَلَهُ عنْده مُكرَّما، فلَمَّا غلَب على بِجايَة، وَبلَغَهُ الخبَرُ بزَحْف أبي حَمُّو، أَطْلقَهُ من اعْتِقَالِه ذَلِكَ، واسْتَبْلَغَ في تَكرُمَتِه وحِبَائه(ب)، وَنصَبَهُ للمُلْك، وجَهّزَ له بعضَ الآلَة، وخرجَ في مُعسْكر مَوْلاه بَشير ليُجَاجِئَ به بَني عَبْدِ الوَادِ عن ابنِ عَمّه أبي حَمّو لِمَا سَئِمُوا من مَلَكته وعُنْفِه. وكانَ زُغْبَةُ عَربُ المَغرب الأوْسَطِ في مُعسْكر أبي حَمّو، وكانوا حَذِرِينَ مَغَبَّةَ أمْرِه مَعَهُم، فَرَاسَلُوا أبا زَيّان وائْتَمَرُوا بَيْنَهم في الإرْجاف بالمُعَسْكر، ثم تَحَيَّنُوا لذلك أن تَشِبَّ الحربُ بين أَهْل البَلَد وأَهل المُعَسْكر، فأَجْفلوا

(أ) ظ ف: السلطان أبي العباس    (ب) ظ: حبابه.

خامِسَ ذي الحجّة وانفضّ المُعسكر، وانتهَوْا إلى مَضائِقِ الطُّرُقات بساحِ البلَد فَكَظَّتْ بزحامِهم، وتَرَاكَمُوا عليها فهلَكَ الكَثِيرُ مِنْهُمْ، وخَلَّفُوا مِنَ الأَثْقال وَالعِيَالِ والسِّلاحِ والكُراع مَا لا يُحِيطُ بِهِ الوَصْفُ. وأَسْلَمَ أبو حَمُّو عِيَالَهُ وأَمْوَالَهِ فَصارَتْ نَهْبًا واحْتُقِبَتْ[أ] حظَايَاهُ[ب] إلى السُّلْطان فوَهَبَهَا لابن عَمِّهِ. ونَجَا أبو حَمُّو بِنَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ طَاحَ في كَظِيظِ الزِّحَامِ عَنْ جَوَادِهِ فنَزَلَ لَهُ وَزيرُه عِمْرَان بن مُوسَى عن مَرْكُوبِهِ فكَانَ نجَاؤُه عَلَيْهِ، ولَحِقَ بالجزائر في الفَلِّ، ثمّ لَحِقَ مِنْهَا بتِلِمْسَان، واتَّبَعَ أبو زَيّان أثَرَه؛ واضْطَرَبَ المغرِبُ الأَوْسطُ، كما نَذْكرُهُ في أخباره. وخَرجَ السّلْطان أبو العبّاس من بجايَة على إثر هذه الوَاقِعة، فنازَلَ تِدْلِس وافْتَتَحَهَا، وغَلَبَ علَيها من كان بها من عُمّال بني عبد الوَادِ، وانْتَظَمَتْ الثُّغُورُ الغَرْبِيَّةُ كلُّها في مُلْكِهِ / كما كانَت في مُلْك جَدّه الأميرِ أبي زكريّاء الأَوْسَطِ حِينَ قَسَمَ الدَّعْوَةَ الحَفْصِيَّةَ بها، إلى أن كانَ ما نَذْكره بعد[ج]. [334 ب]

## 170 • الخَبَرُ عن زَحْفِ العَساكِرِ إلى تُونس

كان أبو عبد الله بنُ الحاجب أبي محمّد بن تَافْرَاكِين لَمَّا نَزَعَ عن السّلطان أبي إسْحاق صَاحِبِ الحَضْرَةِ، لَحِقَ بِحِلَلِ أَوْلاد مُهَلهل من العَرَب، ووَفَدُوا جميعًا على السُّلطان أبي العبّاس فاتحَ سنَةِ سَبْعٍ وَستّين يَسْتَحِثُّونه إلى الحَضْرَةِ ويُرَغِّبُونَهُ في مُلْكها. فاعْتَذَرَ لهم بما كان عليه من الفِتْنَةِ مَعَ ابنِ عَمّهِ صَاحِبِ بجايَة، وزَحَفَ إليها في حَرَكَةِ الفَتْح وَسَارُوا

(أ) ف: أحقب (ب) ظ: خطاياه (ج) سقط من ف.

في جُمْلَته. فلمّا اسْتَكْمَلَ فتْحَ بِجايَة، سَرَّحَ معَهم أَخاهُ المَوْلَى أبا يحيى زَكرِيّاءَ في العَسَاكِر، فساروا معَه إلى الحضرة وابنُ تافرَاكِين في جُمْلَته، فنازَلُوها أياما وامْتَنعَتْ عليهم، فأَقْلَعُوا عَلى سِلْمٍ ومُهادَنَةٍ انْعَقَدَتْ بَيْن صاحِبِ الحَضْرةِ وَبَيْنَهُمْ، وقفَلَ المولَى أبو يحيى بعَسْكره إلى[أ] مكانِ عَمَلِه، ولَحِقَ ابنُ تَافرَاكِين بالسّلطان، فلَمْ يَزَلْ في جُمْلته إلى أن كان من فتْح تُونِس ما نَذكُرُ.

## 171 • الخَبَرُ عَنْ مَهْلِكِ السُّلطان أبي إسْحاق صاحب الحضرَة، وولايَةِ ابْنِهِ خالدٍ *من بَعْده*[ب].

لَمْ يَزَلْ حَالُ السّلطان أبي إسْحاق بالحَضْرة على ما ذكَرْناه، تَخْتَلِفُ في الفِتْنَة والمُهادَنَة مع السّلطان أبي العبّاس طَوْرًا بطَورٍ، واسْتَخْلَصَ لدَوْلَتِهِ منصُورَ بنَ حَمْزة أَمِيرَ بَنِي كَعْبٍ يَسْتَظْهِرُ به على أَمْرِه، ويَسْتَدْفِعُ برَأْيه وشَوْكَتِه، فَخَلَصَ له سائرَ أيّامه. وعَقَد سنةَ تسعٍ وستّين لابنه خالدٍ على عَسْكرٍ لنَظر محمّد بن رافِع من طَبقات الجُنود من مَغْرَاوة، مُسْتَبِدًّا على ابنه، وسَرَّحَهُ معَ مَنْصور بنِ حَمْزة وقَوْمِه، وأَوْعَزَ إليهم بتَدْويخ ضَواحي بُونَة واكْتِسَاح نِعَمِها وجِبايَة ضَواحيها، فسَارُوا إليها.[1] / وَسَرَّحَ الأميرُ أبو يحيى زكرِيّاءُ صاحبُ بُونَة عسكرَه مع أهْل الضّاحية، فأَغْنَوْا في مُدَافعَتِهم وانقَلَبوا على أعْقابِهم، فكانَ آخرُ العَهْد بظُهورهم. ولـمّا رَجعوا إلى [335 أ]

(أ) ف: الحق (ب) سقط ما بين النجمين من ف.

---

(1) نقله الزركشي في تاريخ الدولتين قريبًا من لفظه 211 - 212

الحَضْرة تَنكَّرَ السُّلْطان لمحمّد بن رافع قائدِ العَسْكر، فخَرَجَ من الحَضْرة ولَحِقَ بقَوْمه بمكانِهم من تَجّقّه[أ] من أعْمال تونِس، واسْتَقْدَمَهُ السُّلْطان بعدَ أن اسْتَعْتَبَ له، فلَمَّا قَدِمَ تَقَبَّض عليه وأَوْدَعَهُ السِّجْنَ.

وعلى إثْر ذلكَ كانَ مَهْلِكُ السّلطان فَجْأَةً ليلةً من .....[ب] سَنَةِ سبْعين بعدَ أن قَضَى وَطَرًا من مُحادَثَة السَّمَر، وغلَبهُ النّومُ آخرَ لَيْلِهِ فنَامَ، ولمّا أَيْقَظَهُ الخادمُ وَجدَهُ مَيّتًا. فاسْتَحَالَ السّرورُ وعَظُم الأَسَفُ وغَلَبَ على البِطانَة الدَّهَشُ. ثمّ رَاجَعوا بَصائِرَهم ودَفَعُوا الدَّهَشَ عن أَنْفُسِهم وتَلافَوْا أَمْرَهُمْ بالبَيْعَةِ لابْنِه الأميرِ أبي البَقاء خالدٍ، فأَخَذَها له على النّاس مَوْلاَه مَنْصورُ سريجُه[أ] من المَغْلَوْجَى وحاجِبُه أحمدُ بنُ إبراهيم اليالقي، وحضَرَ لها الموَحّدُون والفُقَهاءُ والكَافّةُ، وانفَضَّ المَجْلِسُ وقدْ انْعَقَد أمرُه إلى جَنازَة أبيه حتّى وَارَوْهُ التُّراب. واسْتَبَدَّ مَنصورٌ وابنُ اليَالقي على هذا الأَميرِ المَنصوب للأَمْر، فلَمْ يكن له تَحَكُّمٌ عَلَيْهِمَا. وَكَانَ أَوَّلُ ما افْتَتَحَا به أَمْرَهُمَا أَنْ تَقَبَّضَا على القاضي مُحمّد بن خلَف الله من طَبقة الفُقَهاءِ، كان نَزعَ إلى السُّلطان من بلَده نَفْطَةَ مُغاضِبًا لِمُقَدِّمِها عَبْدِ الله بنِ علي بن الخلَف فرَعَى له نُزُوعَهَ إليه، واسْتَعْمَلَه بخطّة القَضاء بتُونِس عند مَهْلِكِ أبي عَليّ عمر بن عبد الرّفيع، ثمّ وَلاّه قَوْدَ العَساكِر إلى بِلاَدِ الجَرِيدِ وحَرْبِهِم، فكَانَ لَهُ فيها غَناءٌ، واسْتَدْفَعُوه مَرّاتٍ بجِبايَتِهم يَبْعثون بها إلى

(أ) كذا ضبطت في ظ. وجاءت كل الحروف مهملة في ف وفي تاريخ الدولتين تَجُبَّة.
(ب) بياض في ف. والنصّ متصل في ظ. ونصّ الزركشي ( الدولتين 212): كان مهلك السلطان فجأة في ليلة من رجب سنة 770 هـ ونقل بقية النصّ من ابن خلدون. انظر حاشيته1

السّلطان، ومرّاتٍ بمُصانَعة العَربِ على الإرجاف بمُعَسكره. وكان ابن اليالقي يَغصّ بمكانِه عنْد السُّلْطان، فلمّا استَبَدَّ على ابْنه أَعْظَمَ فِيهِ السّعايَةَ، وتَقبَّضَ علَيه وَأَوْدَعَهُ السِّجْنَ مَعَ / محمد بن عليّ بن رَافع. ثمّ بعث عليهما [ب 33] مَنْ دَاخَلَهما فِي الفِرَارِ مِنَ الاعْتِقَالِ حتّى دَبَّرُوه معهُ، وظَهَرَ على أمْرِهِما فَقتَلَهُمَا في مَحْبَسهِما خنقًا، واللهُ مُتَوَلِّي الجزَاءَ مِنْهُ، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية 227].

ثمّ أَظْهر ابنُ اليالقي مِنْ سُوءِ سيرته في النَّاسِ وجَوْرِه عَلَيهم وعَسْفِه بهم وانتزاعِ أَمْوالِهم وإهَانَةِ سِبَالِ الأَشْرَافِ ببابِه منهم ما نَقمُوه وضَرَعُوا إلى الله في إنْقاذِهم من مَلَكته، فكان ذلك على يد مَوْلانا السّلطان أبي العبّاس كما نَذْكُرُ.

## 172 • الخبرُ عن فَتْح تُونس واسْتيلاءِ السُّلْطان أبي العبّاس علَيْها، واسْتِبْدادِه بالدّعْوَة الحفصِيّةِ في سائِر عَمالاتِ إفريقيّة ومَمَالِكِها(أ).

لما هلَكَ السُّلطان أبو إسْحاق صَاحِبُ الحَضْرَةِ سَنَةَ سَبْعِين كما قَدّمْناه، وقامَ بالأَمْر مَوْلاهُ مَنْصور سريجَةُ(ب) وحاجِبُه اليالقي، ونَصَبُوا ابْنَه الأَمِيرَ خَالِدًا لِلأَمْر صَبيًّا لَمْ يُنَاهِز الحُلُمَ، غِرًّا، فلَمْ يُحْسِنُوا تَدْبيرَ أَمْرِه ولا سِيَاسَةَ سُلْطانه. وأَسْخَطُوا لِوَقْتِهم مَنْصُورَ بنَ حَمْزَةَ أَمِيرَ بَني كَعْب المُتَغَلّبين على الضّاحية بما أَطْمَعوه بسُوءِ تَدْبيرهم في شَرِكَتِه لهم في الأَمْر، ثمّ قَلَبُوا له

(أ) تقدم هذا الضبط في ظ (ب) كذا في ظ.

ظَهْرَ المِجَنِّ فسَخِطَهُمْ، ولَحِق [بـ]ـالسُّلْطانَ أبي العَبّاس وهو مُطِلٌّ علَيهم بمَرْقَبِه من الثّغور الغَرْبيّة مُستَجْمِعٌ لِلتَوثُّبِ بهم، فاسْتَحَثَّهُ لـمُلْكِهم وحَرَّضه على تلافي أَمْرهم ورَمِّ ما تَثَلَّمَ مِنْ سِيَاجِ دَوْلَتِهِمْ، وكانَ الأَحقَّ بالأَمْرِ لِشَرَفِ نَفْسه وخِلالِه(أ) واسْتِفْحال مُلْكه وسُلْطانِه، وشِيَاعِ الحديثِ علَى عدْلِه ورِفْقِه وحَميد سِيرَتِه، وأَمانِ أَهْلِ مَمْلَكَتِه من نَظَرٍ يَعْقُبُ نَظَرَهُ فيهم أو اسْتِبْدادِ سِواهُ عليهم، فأجابَ / صريخَه وشَحَذَ للنُّهُوض عَزْمَه. وكان 36] أَهْلُ قَسْطِيلِيَّةَ قد بَعثُوا إليه بمِثْلِ ذلك، فسَرَّح إليهم أبا عبد اللهِ بنَ الحاجِبِ أبي مُحمّد بنِ تَافْرَاكِين لاخْتِبارِ طاعَتِهم وابْتلاء دِخْلَتِهم، فسارَ إليهم واقتضى(ب) بَيْعاتِهم وطاعتَهم، وسارعَ إليها يحيى بنُ يَمْلول مُقَدَّمُ تُوزَر، والخَلَفُ بنُ الخَلَفِ مُقَدَّمُ نَفْطَةَ، فأَتَوْهَا طَوَاعِيةً، وانْقَلَبَ عنْهم وقد أَخَذُوا بدَعْوة السّلطان مِنْ بجايَة في العَساكِر. وأَغَذَّ السَّيْرَ إلى الـمَسيلَة، وكان بها إبراهيمُ بنُ عمّه الأمير أبي زكرِيّاء الأخير، جَأْجَأَ به أَوْلادُ سليمان ابن عليّ من الذَّواوِدَة من مَثْوَى اغْتِرابه(ج) بتِلِمْسَان، ونَصَّبُوه لطَلَب حقّه في بجايَة من بَعْد أَخيه الأمير أبي عبد الله، وكان ذلك بمُداخَلَةٍ مِنْ أبي حَمّو صاحبِ تِلِمْسَان ومواعيدَ بالـمُظاهَرَة مُخْلِفَة. فلَمّا انْتَهى السُّلطان إلى الـمَسِيلَة نَبَذُوا إلى إبراهيم عَهْدَهُ وتَبَرَّأُوا منه ورَجَّعُوهُ من حيثُ جَاءَ، وانكَفَأَ السُّلطان راجعًا إلى بجايَة. ثم نَهَض [منها](د) إلى الحَضْرة، وتَلَقَّتْهُ وُفود إفريقيّة جميعًا بالطّاعَة، وانتهَى إلى البَلَد فخَيَّمَ بساحَتِها أيّامًا يُغادِيها القِتَالَ ويُرَاوِحُهَا، ثُمَّ كَشَفَ عن مَضْدُوقَتِهِ وزَحفَ إلى أَسْوارِها وقد تَرَجَّلَ

(أ) ف: جلاله (ب) ظ: افتضى (ج) ظ: اعترانه (د) من ف. ظ: فيها.

أَخُوه والكثيرُ من بِطانَتِه وأَوْليائِه، فلم يَقُمْ لهم شَيْءٌ حتَّى تَسَنَّمُوا الأَسْوارَ برياضِ رأسِ الطَّابِية، فنَزَلَ عنها المقاتِلةُ وفَرُّوا إلى دَاخِلِ البلَد، وخامَرَ الناسَ الدَّهَشُ، وتَبَرَّأَ بعضُهُمْ من بَعْض، وأَهْلُ الدَّوْلَة في مَوْكِبهم وُقوفٌ ببابِ الغَدْر من أَبْواب القَصبة، فلَمَّا رَأَوْا أنّهم أُحِيطَ بهم وَلَّوْا الأَعْقابَ، وقَصَدُوا بَابَ الجزيرة فكَسَرُوا أَقْفالَه. وثارَ أهلُ البلَدِ جميعًا بهم فَخَلَصُوا بسُلْطانهم من البلَد بَعْدَ عَصْبِ الرّيق[1]. ومَضَى الجُنْدُ في اتِّباعِهِمْ فأَدْرَكَ [336 ب] أحمدُ بنُ اليالقي فقُتِلَ / وسِيقَ رَأْسُهُ إلى السّلطان، وتُقُبِّضَ على الأمير خالدٍ فاعْتُقِلَ، وَنَجَا العِلْجُ مَنصور سريجُه برأسِ طِمِرَّةٍ[أ] ولِجامٍ[2]، وذُهِلَ عن القتال دُونَ الأَحِبَّة. ودخلَ السُّلطانُ القصرَ واقْتَعَدَ أريكَتَه، وانْطَلَقت أَيْدي العَيْثِ في دِيار أَهْل الدَّوْلة فاكْتُسِحَتْ بما كان النَّاس يَضْطَغِنُون عليهم تحامُلَهُمْ على الرَّعِيّة واغتصابَ أَمْوالِهِم، واضْطَرمت نَارُ العَيْثِ في دُورِهم ومُخَلَّفِهِم، فلم تكَدْ أن تنْطفئَ. ولَحِق بعضَ أَهْلِ العافِية مَعَرَّاتٌ مِنْ ذَلَكَ لِعُمُومِ النَّهْبِ وشُمُولِهِ حتّى أطفأَهُ الله بِبَرَكَةِ السُّلْطَانِ وجَمِيلِ نِيّته وسَعَادَةِ أَمْرِهِ، ولاذَ النَّاسُ منه بالـمَلِكِ الرّحيم والسُّلطان العادِل، وتَهَافَتُوا

(أ) ظ: ظمرّة. والطِّمِرَّة: الفرسُ الشديدة العَدْو، والخيل المشرفة الطويلة القوائم.

---

(1) جفّ ريقُه وبيبس عليه. يقول ابن أحمر: [من الطويل]

يصلّي على من مات منا عريفُنا ... ويقرأ حتّى يعصِبَ الرّيق بالفَمِ

(2) تضمين لقول حسان بن ثابت: من قصيدة يذكر الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي بهزيمته يوم بَدْر ثم حسن إسلامُه واستشهد بأجنادين : [من الكامل]

إن كنتِ كاذبة الذي حدثتني ... فنجَوْت مَنجى الحارث بن هشامِ

ترك الأحبّة أن يُقاتِل دُونَهم ... ونَجا برأس طمِرَّة ولِجامِ

ديوان حسان بن ثابت 1: 3 (صادر)، ص 84 (تونس 1218 هـ).

عليه تهافُتَ الفَراشِ على الذّبال، يَلْثَمُون أَطْرافَهُ ويَجْأرُونَ(أ) بالدُّعاء له ويَتَنافَسُونَ في التِياحِ(ب) مُحَيَّاه إلى أن غَشِيَهُمُ اللّيل. ودَخَلَ السُّلْطَانُ قُصُورَهُ، وخَلاَ بما ظَفِر من مُلْك آبائه، وبعثَ بالأَمير خالدٍ وأَخيه في الأَسْطول إلى قُسَنْطِينة، فعصَفَتْ بهما(ج) الرّيحُ وانْخَرقَت السَّفينةُ وتَقاذَفَتِ الأمواجُ إلى أن هَلَكَا. واسْتَبَدَّ السُّلْطَانُ بأَمْره وعَقَدَ لأَخِيهِ الأميرِ أبي يحيى زكرِيّاءَ على حِجَابَتِهِ، ورَعَى لابن تَافْرَاكِين حَقَّ انْحِيَاشِه إليه ونُزُوعِه فـجَعَلَه رَدِيفًا لأخيه، واسْتَمَرَّ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إلى أَنْ كَانَ مَا نَذْكُر.

## 173 • الخبرُ عن انْتقاضِ مَنْصور بن حَمْزة وإجْلابه بالعَمّ أبي يَحْيى زكرِيّاءَ على الحضرَة، وما كان عَقِبَ ذلك مِن نكبَة ابنِ تَافْرَاكِين.

كان مَنْصُورُ بنُ حَمْزة هذا أَميرَ البَدْو مِنْ بَني سُلَيم بما كَانَ سَيِّدَ بني كَعْبٍ؛ وكَانَ السُّلْطَانُ أبو إسْحاق يُؤْثِرُه بمزيد العِنايَة، ويَجْعلُ له على قَوْمه المَزِيَّةَ. وكان بنو حَمْزة هؤلاء مُنْذُ غَلَبُوا / السُّلطانَ أبا الحسَن على إفريقيّة [337أ] وأَزْعَجُوهُ مِنْها قد اسْتَطَالَتْ أَيْديهم عليها، وتقَسَّمُوها أَوْزاعًا، وأَقْطَعَهُمْ أُمَرَاءُ الحَضْرَةِ السُّهْمَانَ في جِبايتها زيادةً لما غَلَبُوا علَيْه من ضَواحيها وأَمْصارها، اسْتِئْلافًا لهم على المُظاهَرةِ وإقامةِ الدّعْوة والحِمايَةِ من أَهْل الثُّغور الغربيّة، فـمَلَكُوا الأَكْثر مِنْها، وضَعُفَ سُهْمانُ(د) السّلطان بينَهم فيهَا. فلمّا اسْتَوْلَى هذا السّلطان أبو العبّاس على الحَضْرة، واستبدّ بالدَّعْوة الحَفْصِيَّةِ،

(أ) ف: يجاورون (ب) ظ: الياح (ج) ف: بها (د) من ف. ظ سهما.

كَبَحَ أَعِنَّتَهُمْ عن التَّغَلُّب والاسْتِبْداد، وانْتَزَعَ ما في أَيْديهم من الأَمْصَارِ والعَمَالاَتِ التي كَانَتْ مِنْ قَبْلُ خَالِصَةً للسُّلطان، وبدَا لهم ما لَمْ يكونوا يَحْتَسِبُونَه فَأَحْفَظَهُمْ ذلك وَأَهَمَّهُمْ شَأْنُه. وَتَنَكَّرَ مَنصورُ بنُ حَمْزَة، وَقَلَبَ ظَهْرَ المِجَنِّ، ونَزَعَ يَدَه من الطَّاعَة وغَمَسَهَا في الخِلاَف، وَتَابعَهُ عَلى خُرُوجِهِ عَلَى السُّلطان أبو صَعْنُونَةَ[أ] أحمدُ بنِ محمّد بنِ عبد الله بن مسْكين، شيخ حَكِيم. وارْتَحل بأَحْيائه إلى الذَّوَاوِدَة صَرِيخًا مُسْتَجِيشًا بالأمير أبي يَحيى بنِ السّلطانِ أبي بَكْرِ الـمُقيمِ بين ظَهْرَانِيهم من لَدُنْ فَعْلَته في المهديّة وانْتزائه بها على أخيه المولَى أبي إسْحاق، كما ذكَرْناهُ. فنَصَّبُوه للأَمْر وَبايَعُوه، وارْتَحل معَهم. وَأَغْذُّوا السَّيْرَ إلى تُونس، ولَقِيَهُم منصورُ بن حَمْزة في أَحْيائه بنَواحي تِبِسَّةَ فبايَعوا لَهُ. وأَوْفَدُوا[ب] مَشْيَخَتَهُم علَى يَحيى بنِ يَمْلُول شيطانِ الغِوَايَةِ المَارِدِ على الخِلاَفِ، يَسْتحِثُّونَهُ لِلطَّاعَةِ والمَدَدِ لـمُدَاخَلَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ في ذلك، سَوَّلَ لهم فيها بالمواعِيد وَأَمْلَى لهم، حتىّ إذا غَمَسُوا أَيْدِيَهم في النِّفاقِ والإجْلاَب، سَوَّفَهُمْ عن مَواعِيدِه ضَنَانَةً بمالِه. فأَسَرَّها مَنْصورُ في نَفْسه، واعْتَزَمَ من يومئذٍ على الرُّجُوع إلى الطَّاعَةِ، ثُمّ رَحلوا للإجْلاب على الحَضْرَة، وَسَرَّح السّلطانُ أبو العبّاس أخاهُ الأميرَ أبا يحيى زَكَرِيَّاء لِلُقِيِّهِمْ في العَساكِر، وتَزاحفُوا فأُتِيحَ لمنصورٍ وقَوْمِه ظُهُورٌ على عَساكِرِ / [337ب] السُّلْطَانِ وَأَوْلِيَائهِ لَمْ يَسْتَكْمِلْهُ، وأَجْلَبُوا على البِلاَدِ أَيّامًا. وَنُمِيَ إلى السُّلطان أنّ حاجِبَه أبا عبد الله بن تَافْرَاكِين دَاخَلَهُم في تَبْيِيتِ البَلَدِ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ وَأَشْخَصَهُ في البَحْرِ إلى قُسَنْطِينَةَ، فَلَمْ يَزَلْ بها مُعْتَقَلاً

(أ) كذا في ظ. ف: أبو صعبونة  (ب) ظ: أفدوا.

إلى أن هَلَكَ سَنَةَ ثمانٍ وسَبْعين. ثمّ سَرَّبَ السّلطان أَمْوَالَهُ في العَرَبِ(أ) فانْتَقَضَ على مَنْصُورٍ قَوْمُهُ، وخَشِيَ مَغَبَّةَ حالِه، وسَوَّغَهُ السُّلْطَان جائِزَتَه فعَاوَدَ الطَّاعَةَ، وَرَهَنَ ابْنَهُ، ونَبَذَ إلى سُلْطَانِه زكريّاء العَمّ عَهْدَهُ، وَرَجَّعَهُ على عَقِبِه إلى الذَّوَاوِدَة، والتَزَم طاعَةَ السُّلْطَانِ والاسْتِقامَة على المُظاهَرَة إلى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ سِتٍّ وسَبْعين، قَتَلَهُ مُحمّدُ ابْنُ أخيه فُتَيْتَة في مُشاجَرَةٍ كانت بينَهُما، طَعَنَهُ [فيها](ب) فأَشْوَاه، وَرَجَعَ جريحًا إلى بَيْتِه، وَهَلَكَ دُونَهَا أواخرَ يَوْمِه.

وقَامَ بأَمْرِ بَني كَعْب بَعْده صَوْلَةُ ابْنُ أخيه خَالِدٍ، وعقَد له مَوْلانا السّلطان على أَمْرِهم، واسْتَمَرَّت الحالُ إلى أن كان من أَمْره ما نذكُرُ.

## 174 • الخَبرُ عن فَتْح سُوسَة والمَهْدِيّة.

كانَت سُوسَةُ منذُ وَاقِعة بَني مَرِين بالقَيْرَوان وتَغَلُّبِ العَرَب على العَمَالاَت، أَقْطَعَها السُّلْطَانُ أبو الحَسَن لخليفَةِ بنِ عبد الله بن مِسْكين فيمَا سَوَّغَ للعَرَب من الأَمْصار والإقْطاعَاتِ مِمّا لم يكنْ لهم. فاسْتَوْلى عليها خليفةُ هذا، ونَزَلَها، واسْتَقَلَّ بِجِبايَتِها وأَحْكَامِها واسْتَبَدَّ بها على السُّلْطَانِ، ولَمْ يَزَلْ كذلك إلى أن هَلَكَ. وَقَامَ بأَمْره في قَوْمه عامرُ ابنُ عَمّه مُحَمّدِ ابن مِسْكين أيّامَ اسْتِبْداد أبي مُحمّد بن تَافْرَاكِين، فَسَوَّغَها له كذلك مُتَقَيِّلاً(ج) مَذْهَبَ مَن قَبْلَهُ، ثمّ قَتَلَهُ بنو كَعْبٍ. وَقَامَ بأَمْرِ حَكِيمٍ مِنْ بَعْدِهِ أحمدُ الملقّب أبو صَغْنُونَةَ بن مُحَمّد، أخي خَليفَةَ / بن عبد الله بن مِسْكين، [338أ]

(أ) ظ: الغرب (ب) من ف . ظ: لها (ج) كذا في ظ، من تقيّل بمعنى مشابهًا ومحاكيًا. وفي ف: متقبّلاً.

فاسْتَبَدَّ بِسُوسَةَ عَلَى السُّلْطَانِ واقْتَعَدَهَا دَارَ إِمَارَةٍ، ورُبّما كان يَنْتَقِضُ على صاحبِ الحَضْرَةِ فَيَجْلِبُ علَيها مِنْ سُوسَةَ ويَشُنُّ الغَارَاتِ في نواحِيها، حتّى لَقَدْ أَوْقَعَ في بَعْضِ أيّامِهِ بِمَنصُور سريجُه مَوْلَى السُّلْطَانِ أبي إسْحاق وَقَائِدِ عَسَاكِرِهِ، فَتَقَبَّضَ عَليه واعْتَقَله بسوسةَ(أ) أيّامًا، ثمّ مَنَّ عليه وأَطْلَقَهُ، وَعَاوَدَ الطَّاعَةَ مَعَهُ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَأْبُهُم. وكَانَتْ لَهُم في الرَّعايا آثارٌ قَبِيحَةٌ وملَكاتٌ سَيِّئَةٌ، ولم يَزَالُوا يَضْرَعُون إلى الله في إنْقاذِهم من أيْدي جَوْرِهِم وعَسْفِهم إلى أن تَأَذَّنَ الله لأَهْل إفريقيّة بإقْبال الخَيْرِ وَفَيْءِ ظِلاَل الأَمْنِ، واسْتَبَدَّ مَوْلانا السّلطانُ أبو العبّاس بالحَضْرة وسائرِ عَمالاَتِ إفريقيّة، وَهَبَّتْ رِيحُ العِزّ على العَرَب في جَميع النَّواحِي، فتَنَكَّرَ أَهْلُ سُوسة لعَامِلِهم أبي صَغْنُونة هذا وأَحَسَّ بِنَكَرَاتِهم فَخَرَجَ عَنْهم وتَجافَى لِلسُّلْطَانِ عن البَلَد، وثَارَتْ عَامَّتُها بِعُمَّالِهِ فأَجْهَضُوهم، ونَزَلَ عُمَّالُ السُّلْطان بها.

ثمّ كانت من بعد ذلك حركةُ المَوْلَى أبي يحيى إلى نَواحِي طَرابُلس، ودَوَّخَ جِهَاتِها واسْتَوفَى جِبايَةَ أَعْمالِها. وكان بالمَهْدِيَّةِ مُحَمّدُ بنُ الخُكخُاك اسْتَعْمله عليها الحَاجِبُ أبو مُحمّد بنِ تَافْرَاكِين أيّامَ ارْتجاعِه إيّاها من يدَيْ أبي العبّاس بن مكّي والأمير أبي يحيى زكريّاء المنْتَزِي بها، ابن مَوْلانا السّلطان أبي بكر كما مَرّ، وأقامَ ابنُ الخُكخُاك أميرًا عليها، واستبَدَّ بها بَعْدَ مَوْتِ الحاجِب، فلَمّا وَخزَتْه شَوْكَةُ الاسْتِطالةِ مِنَ الدَّوْلَةِ، وَطَلَعَ نَحْوَهُ قَتَامُ العَسَاكِرِ، فَرِقَ من الاسْتيلاءِ عليه(ب) وَرَكِبَ أُسْطولَه إلى طرابلُس، ونَزَلَ عَلَى صَاحِبِهَا أبي بكر بنِ ثابتِ لِذمّة صِهْرٍ قَدِيمٍ كَانَ بَيْنَهُما، وبادَر

(أ) ظ: سيوسة (ب) كذا في ظ ف. وقد يكون عنيَ بالضمير حصن المهدية.

مولانا السلطانُ إلى تَسَلُّمِ المهديَةِ وَبَعَثَ عَلَيْهَا عُمَّالَهُ وانْتَظَمَتْ في مَلَكَتِهِ، واطَّرَدَتْ / أَحْوَالُ الظُّهور والنُّجْح، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا نَذْكُر. [338 ب]

## 175 • الخبَرُ عن فَتْح جِرْبَةَ، وانتظامِها في مَلْكَةِ(أ) السُّلْطَان.

كَانَ مُحَمّدُ بنُ أَبِي القَاسِمِ بنِ أبي العُيون مُنذُ وَلاّه أبو عبد الله بنُ تَافْرَاكِين على هذه الجَزيرة قد تَقَبَّل مَذَاهِبَ جِيرَانها مِنْ أَهْلِ قَابِسَ وَطَرَابُلس وسَائِرِ الجَريد في الامْتِناع على السُّلْطان، ومُصارَفَةِ[1] الاسْتِبْداد، وانْتِحالِهِ مَذاهبَ الإمارة وطُرُقَها وَلَبُوسَ شارَتِها. وقد ذَكَرْنا سلَفَه من قَبْل، وأنَّ والِدَه كان صاحبَ الأَشْغال بالحَضْرة أيّامَ الحاجِب أبي مُحمّد بن تَافْرَاكِين، وإِنَّهُ اعْتَلَق بكِتابَة ابنه أبي عبد الله فَوَلاّه على جِرْبَةَ عند افْتِتاحِه إيّاها سنَةَ [ثلاثٍ وستّين](ب)، وأنَّه قَصَدهُ عندَ مَفَرِّه عن المولَى أبي إسْحاق لِيَنْزِلَ جِرْبَةَ مُعَوّلاً على قَديم اصْطِناعِه إيّاه(ج) فمَنَعَهُ. ثم داخَلَ شُيوخَ الجَزيرة من بني سَمُّومَنْ(د) في الامْتِناعِ على السُّلطان والاسْتِبْدادِ بأَمْرِهِم، فأَجابوهُ، وأقامَ مُمْتنعًا سائرَ دَوْلَةِ المَوْلَى أبي إسْحاق وابْنِه من بَعْدِه. ولـمّا اسْتَوْلَى مولانا السّلطان أبو العبّاس على تُونِس داخَلَهُ الرَّوْعُ والدَّهَشُ وصارَ إلى مُكاثَرةِ رُؤَساءِ الجَريدِ في التَّظافُر على المُدافعَةِ بزَعْمِهم، فأَجْرَى في ذلك شَأْوًا بَعيدًا مع تَخلُّفِه في مِضْمارِه بقَديمه وحَديثِه.

(أ) ف: وانتظامها في مُلكه (ب) فراغ لكلمتين في ف. والنص متصل في ظ. والتكملة مما تقدم في الفصل 163 ص 365 عن فتح جربة ودخولها في دعوة السلطان أبي إسحاق (ج) ظ: أباه (د) الضبط من ظ.

(1) المُصارفة: المُبَادلة. وصارفه: باذله.

وصَادَفَ[أ] السّلطانُ سوءَ الامْتِثَالِ والْتِيَاثَ[ب] الطّاعَةِ ومَنْعَ الجِبايَةِ، فأَحْفَظَهُ ذلكَ.

ولمّا افتتحَ أَمْصَارَ السَّاحِلِ وثُغُورَهُ سرّحَ ابنَه الأميرَ أبا بَكْرٍ في العَساكِرِ إلى جِرْبَة، ومَعَهُ خَالِصَةُ الدّوْلَةِ مُحمّدُ بنُ عليّ بنِ إبرهيم، من وَلَدِ أبي هِلالٍ، شيْخُ المَوَحِّدين وصاحبِ بِجايَةَ لِعَهْدِ المُسْتَنْصِر، وقد تَقَدّمَ ذكْرُه، وأَمَدَّهُ بالأُسْطول في البَحْرِ لِحِصارِها، ونزلَ الأميرُ / بمُعَسكرِهِ على [339 أ] مَجازِهَا، ووَصلَ الأسْطولُ إلى مَرْساهَا فأَطافَ بحِصْنِ القَشْتِيل، وقدْ لاَذَ ابنُ أبي العُيون بجُدْرانِه، وافْتَرَقَ عنه شيوخُ الجَزيرة من البَرْبر، وانْحاشَ معه بِطَانَتُهُ من الجُنْد المُسْتَخْدَمين معَه بها. ولمّا رَأَوْا ما لا طاقَةَ لهم به وأَنَّ عساكِرَ السُّلطانِ قد أحاطَتْ بهم بَرًّا وبَحْرًا، نَزلُوا إلى قائِد الأُسْطولِ وأَمْكنوهُ من الحِصْنِ، وبادَرُوا إلى مُعَسْكرِ الأميرِ، فأَقْبلَ معهم الخَاصّةُ: أبو عَبْد الله بن أبي هِلالٍ فيمَنْ معهُ من بِطانَةِ الأميرِ وحاشِيتِه، فاقْتَحَمُوا الحِصْنَ وتَقَبّضُوا على محمّد بنِ أبي العُيون ونَقَلُوهُ من حِينهِ إلى الأُسْطول، واسْتَوْلَوْا على دَارِهِ، ووَلَّوْا على الجَزيرة، وارْتَحَلُوا قافِلينَ إلى السّلطان.

ووَصلَ محمّدُ بنُ أبى العُيون إلى الحَضْرة ونزلَ بالدّيوان، فأُرْكِبَ إلى القَصَبة على جَمَلٍ وَطِيفَ به على أَسْواقِ البَلَد إظْهَارًا لعُقوبَة الله النّازلَةِ به، وأَحْضَرَهُ السّلطان فوَبّخَهُ على مُرْتَكَبِه في العَنادِ ومُداخلَتِه أَهْلَ الغِوايَةِ من أُمَراء الجَريد في الانْحِرافِ عنه، ثمّ تَجَافَى عن دَمِه، وأَوْدَعَهُ السِّجْنَ إلى أن هَلَكَ سنَة تِسْعٍ وسَبْعِين.

(أ) في ظ: صارف (ب) ظ: النيات.

## 176 • الخبرُ عن استِقْلال الأُمَراءِ من الأَبناء بوِلايَةِ الثُّغورِ الغَرْبِيَّةِ.

كان السُّلْطَانُ عِنْدَمَا استَجْمَعَ الرِّحْلَةَ إلى إفريقيَّة باستِحْثَاثِ أَهْلِها لذلك، ووِفادَةِ مَنصور بنِ حَمْزة شيخِ الكُعوبِ مُرَغِّبًا فيها، فأَهَمَّهُ عند ذلك شَأْنُ الثَّغورِ الغربيَّةِ، وأجالَ اختيارَه في بَنيه، يَسْبُرُ أحوالَهم ويُفَتِّش عن الأكْفَاءِ لهذه الثُّغور منْهم. فوقَع نَظرُهُ أوّلاً على كبير وُلْدِه المخصوصِ بعناية الله في إِلْقاءِ محبَّتِه عليه، الأَمِيرِ أبي عبد الله، فعَقَدَ له على بِجَايَة وأَعْمَالِهَا، وأَنْزَلَه بقُصور المُلْكِ منْها، وأطلَقَ يدَهُ في مال الجِبايَة وديوانِ الجُنْدِ. واستَعْمَلَ على قُسَنْطِينَة / وضَواحيها مولاهُ القائدَ بَشيرَ، سيفَ دَوْلَتِه وعِنانَ حَرْبِه وناشِئَ قَصْره وتِلاَدَ مَرْبَاهُ. وكانت لهذا الرَّجُلِ نخوةٌ[أ] من الصَّرامَةِ والبَأْس، ودَالَّةٌ بالقَديمِ والحادثِ، وخِلاَلٌ لَقِنَها أيامَ التَّقَلُّبِ في أَوَاوِين المُلْكِ، وكان مُلازِمًا رِكابَ مَوْلاه في مَطارِحِ اعْتِزامِه وأيّامِ تَمْحيصِه، ورُبّما لَقِيَ عند الحادثة على قُسُنْطِينَةَ من المِحْنَةِ والاعْتِقال الطّويلِ ما أَعَاضَه الله عنهُ بجميلِ التَّنْويه وعَوْدِ العِزِّ والمُلْك إلى مَوْلاه على أَحْسَنِ الأَحْوال، فظَفِرَ من ذلك بالبُغْيَةِ وحَصَلَ من الرُّتْبَة على الأُمْنِيَةِ. وكان السُّلْطَانُ يَثِقُ بنَظرِهِ في العَساكِر ويَبْعَثُه في مُقَدّمة الحُروب، وكانَ عند استيلائِه على بِجايَة وصَرْفِ العِناية إليها وَلاّهُ أَمْرَ قُسُنْطِينَةَ وأَنْزَلَه بها، وأَنْزَلَ معهُ ابنه الأميرَ أبا إسْحاق، وجعلَ إليه كَفالَتَه لصِغَرِه، ثمّ استَنْفَرَهُ بالعَسْكَرِ عند النُّهوضِ إلى إفريقيّة، فنهَضَ في جُمْلتِه وشَهِدَ معَهُ

[339ب]

(أ) ظ: نخوه.

الفَتْح، ثمّ رَجَّعَهُ إلى عَمله بقُسنْطِينَةَ بمَزِيدِ التّفْويض والاسْتِقْلال. فلَمْ يزلْ قائمًا بما دُفِعَ إليه من ذلك إلى أنْ هَلَكَ.

وكان السّلطان قد أَوْفَدَ ابنَه أبا إسْحاق على مَلِك المغرب السّلطانِ عبدِ العَزيزِ عندَما اسْتَولَى على تِلِمْسان، مُهَنِّئًا بالظَّفَر ومُلْقِحًا غِراسَ الودّ، وأَوْفَدَ معهُ شيخَ الموحِّدين ببابِه أبا إسْحاق بنَ أبي هِلال، وقدْ مرّ من قبْلُ ذكرُه وذكْرُ أَخيه، فتَلَقَّاهُما مَلِكُ المَغرب بوُجوه المبَرّة والاحْتِفاء، ورَجَّعَهُمَا بالحديث الجَميل عنه سنةَ ثلاثٍ وسَبْعين. ونزلَ الأميرُ أبو إسْحاق بقُسنْطِينَةَ دارِ إمارَتِه وعقَدَ له السُّلطانُ عليها، فأَقَامَ وأَلْقابُ المُلْك ورُسومُه مَصْروفةٌ إليه، والقائدُ بَشيرٌ مَوْلَى أبيه مُسْتبِدٌّ عليه لمكان صِغَره، إلى أَنْ هَلَكَ بَشيرٌ سنَة / ثمانٍ وَسبْعين عندَما اسْتَكْمَلَ الأميرُ أبو [340أ] إسْحاق الخلالَ واسْتَجْمعَ للإمارَة، فجَدَّدَ له السُّلطانُ عهدَه علَيها، وفَوَّضَ إليه في إمارَتها وقَامَ بما دُفِعَ إليه من ذلك أَحْسنَ مَقامٍ وأَكْفأَهُ، مصَدِّقًا الظُّنونَ التي كانَت تومِيءُ إليه، وشهادةَ المخائِل(أ) التي دَلَّت علَيه. فاسْتَقَلَّ هذان الأَميران بثَغْر بِجايَة وقُسنْطِينَةَ وأَعْمالِهما، مُفَوَّضًا إليهما في الإمارَة، مأذونًا لهما في اتّخاذِ الآلَة وإقامةِ الرّسومِ المُلوكِيّة والشَّارَةِ. وكان الأميرُ أبو يَحيى زكريّاء الأخُ الكريمُ مستقِلاً أيضًا ببُونَةَ وعَمَلِها منذُ اسْتيلائه علَيها سنةَ [اثنتين وستين](ب) قد أَضافَها السُّلطانُ وأصارَها في سُهْمانِه. فلَمَّا ارْتَحَلُوا إلى إفريقيَّة عَامَ الفَتْح، وتَيَقَّنَ الأَخُ أبو يَحيى طولَ مَغيبِه واغْتِباطَ السّلطانِ أَخيه بكَوْنِه معه، عقَدَ عليها لابْنِه الأمير أبي عبد الله، وأَنْزله

(أ) الخاء مهملة في الأصلين (ب) النصُّ متصل في ظ. وترك ناسخ ف فراغًا لكلمتين. والتكملة مما تقدّم في الخبر عن فتح بونة الفصل 165 ص 371.

بقَصْره منها، وَفَوَّضَ إليه في إمارتها لِمَا اسْتَجْمَعَ من خِلاَلَ التّرْشيح والذّكْرِ الصّالح في الدّين، واسْتَمَرَّ الحالُ على ذلك لهذا العَهْد، وهو سنةُ ثلاثٍ وثمانين وسَبْعِ مائة. والله مُدبّرُ الأمورِ سُبْحَانه.

## 177 • الخبرُ عن فَتْح قَفْصَةَ وتَوْزَر، وانتظامِ أعْمالِ قَسْطِيلِيَّة في طاعةِ السّلطان.

كان أمرُ هذا الجَريد قد صارَ شُورَى بين رُؤَساء أَمْصارِه فيما قبلَ[أ] دَوْلة السّلطانِ أبي بكرٍ، لاعْتِلالِ الدّولة حينئذٍ بانقِسامِها كما مَرَّ، فلَمّا اسْتَبَدَّ السُّلطانُ أبو بَكْر بالدَّعْوة الحَفصِيَّةِ وفَرَغ عن الشَّواغِل، صرَفَ إليهم نَظرَهُ وأَوْطَأَهُم عَسَاكِرَهُ. ثمّ نَهَض بنَفْسه فَمَحَى أَثَرَ[ب] الشّورَى منها، وعقدَ لابنه أبي العبّاس علَيْها كما قُلْناه. فلَمّا كان بعد مَهْلِكِه من اضْطرابِ إفريقيّة وتَغَلُّب الأعْرابِ / على نَواحيها ما كَانَ مُنْذُ هَزيمة السّلطان أبي [340 ب] الحسَن وبَني مَرِين بالقَيْروان، عادَ أهلُ الشُّورى في الجَريد إلى دينِهم من التَّوثُّبِ على الأَمْر والاسْتِبْدادِ على السّلطان، وتناغَى رُؤساؤهم بعدَ أن كانوا سُوقَةً في انْتحالِ مَذاهِب المُلْك وشَاراتِه، يَقْتَعِدُونَ الأَرائِكَ ويَعْقِدُون في المَشْيِ بين السِّكَكِ المواكِبَ، ويُهينُونَ في أَبْوابهم سِبالَ الأَشْراف، ويَتَّخِذُونَ الآلَةَ أيّامَ المَشاهِد، آيةً للمُعْتبِرينَ في تَقَلُّب الأَيّام، وضحكةً لأَهْل الشّمات، حتىَّ لقد حَدَّثَتْهُم أَنْفُسُهم بأَلْقابِ الخِلاَفَة، وأَقاموا على ذلك أحوالاً والدَّولَةُ في الْتِياثِها.

(أ) ظ: قيل (ب) صُحّفت في ف إلى: ابن.

فلَمّا اسْتَبَدَّ السّلطانُ أبو العبّاس بإفريقيّة وعمالاتِها، وأُتيح منه بالحضْرَة البازي المُطِلُّ من مَرْقَبِه، والأَسَدُ الخادر في عَرينه، وأَصْبَحوا فرائسَ له يَتَوَقَّعُونَ انْصِبابَهُ علَيهم وتَوَثُّبَهُ بهم، دَاخَلُوا حينَئذٍ الأَعْرَابَ في مُدافعتِه عنْهم بإضْرامِ نارِ الفِتْنةِ واقْتِعادِ مَطِيّة الخِلافِ والنّفاقِ يَفُتُّونَ بذلك في عَزائِمِه. وأَرْخَى هُوَ لَهُمْ طِيَلَ[أ] الإمْهال، وفَسحَ[ب] لهم مَجالَ[ج] الإيناس بالـمُقارَبَةِ والوَعْدِ رَجَاءَ الفَيْئةِ إلى الطّاعَة المعروفةِ والاسْتِقامةِ على الجادّةِ، فأَصَرُّوا وازْدَادُوا عِنَادًا[د] ونِفاقًا. فشَمَّرَ لهم عن عَزائِمه، ونَبَذَ إليهم عَهْدَهُم على سَواءٍ، ونَهَضَ من الحَضْرة سنةَ سبْعٍ وسَبْعين في عَساكِره من الـمُوَحّدين وطَبقاتِ الجُنْد والـمَوالي وقَبائِل زَناتَة ومن اسْتَأْلَفَ إليْه من العَرَب أَوْلادِ مُهَلْهِلٍ وحَكيمٍ، واظّاهَرَ أولادُ أبي اللّيل على الـمُدافَعَة عن أَهْل الجَرِيد، ووَاقَفُوا السّلْطانَ أَيّامًا ثُمّ أَجْفَلوا أمامَه، وغَلَبَهُمْ السّلطانُ على رعاياهم مرَنْجيزَة، وكانوا من بَقايَا بَني يَفْرِنْ، عَمَرُوا ضَواحِيَ إفْريقيّة مع ظَواعِنِ هَوّارَة / ونَفُوسَة ونَفْزاوَة، وكانت للسّلْطان علَيْهم مَغارِمُ وجِباياتٌ وَافِرةٌ، فلَمّا تَغَلَّبَ العَربُ على بَسائِط إفْريقيّة وتَنَافَسُوا في الإقْطاعاتِ، كانت ظَواعِنُ مرَنْجيزَة هؤلاء في إقْطاعِ أَوْلادِ حَمْزَة، فكانَتْ جِبايَتُهم مَوْفورَةً ومالُهم دَثْرًا بما صارُوا مَدَدًا لهم بالمال والكُراع والزَّرْع والأُدْم وبالفُرْسان منْهم، يَسْتَظْهِرُونَ بهم في حُروبِهم مع السُّلْطان ومعَ قَوْمِهم، فاسْتَوْلَى السّلْطان علَيهم في هذه السَّنَةِ واكْتَسَحَ أموالَهم، وبَعثَ بوجالِهم أَسْرَى إلى سُجون الحَضْرة، وقطَع بها عنْهم أعظَمَ مادَّةٍ كانت تَمُدُّهُم، [134أ]

(أ) ف: طبْل. وتقدم شرحه بأنّه حَبْل طويل يشدّ به قائمة الدابّة (ب) ظ: فسخ (ج) ظ: محال
(د) ظ: عتادا.

فَخَمَّدَ(1) بذلك من عُتُوِّهِمْ وحَصَّ(2) من جَناحِهم آخرَ الدَّهْر، ووَهَنُوا لَها. ثمّ عادَ السّلطانُ إلى حَضْرته، وافترَق أشياعُه.

ونزعَ عنهم أبو صَعْنُونة فتَألَّف مع أَوْلادِ أبي اللّيل، وزَحَفُوا إلى الحَضْرَة فأجْلَبُوا بسَاحها أيّامًا، وشَنُّوا الغاراتِ عليها ثمّ انفَضُّوا عنْها. وخرجَ على إثْرِهم لأوّل فَصْل الشّتاءِ وتساحلَ إلى سُوسَة والمَهْدِيّة فاقْتَضى مَغارِمَ الأَوْطان التي كانتْ لأبي صَعْنُونة ثمّ رَجعَ إلى القَيْروان، وارْتَحَلَ منْها يُريد قَفْصَةَ. وجمعَ أولادَ أبي اللّيل للمُدافَعة عنْها، وَسَرَّبَ فيهم صاحبُ تَوْزَر الأَمْوالَ فلم تُغْنِ عنه.

وزَحفَ السّلطانُ إلى قَفْصَةَ فنازَلَها ثلاثًا ولَجُّوا في عِصْيانِهم، وقاتَلُوه، فجَمعَ الأَيْدي على قَطْعِ نَخيلِهم فتَساتَلَتْ(أ) إليه الرعيّة من أماكِنِهم، وأَسْلَمُوا أَحْمَدَ بن العابد مُقدَّمَهُمْ وابنَه مُحمّدَ المسْتَبِدَّ عليه لِكِبَرِه وذُهُولِه. فخرجَ إلى السُّلطان واشْتَرَطَ له ما شاءَ من الطّاعَة والخَراج، ورَجَعَ إلى البلَد وقد ماجَ أَهْلُها بعضُهُمْ في بَعْض، وهَمُّوا بالخُروج، فسابَقَهم ابنُه مُحمّدُ المستَبِدُّ على أبيه. وكان السّلطانُ سَرَّحَ أخاه أبا يَحْيى في الخاصّة والأَوْلياء إلى البلَد، فلَقِيَهُ مُحمّدٌ هذا في / ساحَتِها، فبَعثَ به إلى السُّلْطان، ودخلَ هو [341 ب
إلى القَصبة وتَمَلَّكَ البلَدَ. وتَقبَّضَ السُّلْطانُ على مُحمّد بن العابد لوَقْته، وسِيقَ إليه أبوهُ أحمد من البلَد فجُعِلَ مَعه، واسْتُولِيَ على دَارِهِ وذَخائِره.

(أ) ف: تسايلت.

---

(1) خَمَّدَ من عُتوّهم: سَكّن لهبَ تجبُّرهم وأطفأه، فهَمَدَ.

(2) حَصّ الشَّعر حَصًّا: حلَقه وأذهبَه. حصّ من جناحِهم: أذهبَ ريشَهم فأقعدَهم.

واجْتمعَ المَلَأُ والكَافّةُ من أَهْلِ البلَد عند السّلطان وآتَوْهُ بَيْعَتَهم، وعقَدَ علَيها لابنِه أبي بَكْر، وارْتحَلَ يَغُذُّ السَّيْرَ إلى تَوْزَر وقد طَار الخبَرُ بفتْح قَفْصةَ إلى ابن يَمْلُول، فرَكِبَ لِجِينِه واحْتَمَلَ أَهْلَه وما خَفَّ من ذَخِيرتِه ولَحِقَ بالزَّاب. وطَيَّرَ أهلُ تَوْزَر بالخَبَر إلى السُّلطان فلَقِيَهُ أَثْناءَ طَرِيقِه، وتقَدَّمَ إلى البلَدِ فمَلَكَها، واسْتَوْلَى على ذَخيرة ابنِ يَمْلُول، ونزلَ بقُصورِه فوجدَ بها من المَاعُون والمَتاعِ والسِّلاح وآنِيةِ الذَّهَب والفِضّة ما يُعْتَدُّ لأَعْظَم مَلِكٍ من مُلوك الأَرْض، وأَحْضَر بعضُ النَّاس وَدائِعَ كانت له عِندهم من نَفيس الجَوَاهر والحُلِيِّ والثِّياب وبَرِئُوا منها إلى السّلطان. وعَقَدَ السُّلطان على تَوْزَر لابْنِه المنْتَصِر، وأَنْزلَه قصورَ ابنِ يَمْلُول وجعلَ إليه إمارَتَهَا. واسْتَقْدَمَ السّلطانُ الخَلَفَ بنَ الخَلَفِ صاحبَ نَفْطَة فقَدِمَ عليه وآتاه طاعَتَه، وعَقَد له على بلَده ووَلّاه حِجابَةَ ابْنِه بتَوْزَر وأَنْزلَه مَعه، وقَفَلَ إلى حَضْرته.

وقد كان أَهْلُ الخِلافِ من العَرَب عندَ تَغَلُّبِهِ على أَمْصار الجَريد خالَفوه إلى التّلول، فلَمّا قَصدَ حَضْرتَه اعْتَرَضُوهُ دونَها فأَوْقَعَ بهم وَفَلَّ من غَرْبِهم[أ] وأَجْفَلُوا إلى الجِهَاتِ الغربيّة يُؤَمِّلُونَ منها كَرَّةً لـمَا كان ابنُ يَمْلُول قد جَأْجَأَ بهم إلى خِدْمَة صاحبِ تِلِمْسَان والاسْتِجاشَة به، فوفَدَ علَيه بتلِمْسانَ مَنْصورُ بن خالد منهم، ونَصْر ابنُ عَمّه مَنْصور صَرِيخَيْنِ به على عادَةِ صَرِيخِهم بأبي تاشفين سَلَفِهِ، فدَافَعهم بالمَواعِد وتَبَيَّنُوا منها عَجْزَه، وانكَفَأُوا راجِعِينَ. ووَفَدَ / [342 أ] صَوْلَةُ على السّلطان بعدَ أن تَوَثَّقَ لنفْسه، فاشْتَرط له على قَوْمه ما شاءَ، ورجعَ إليهم فلَمْ يَرْضَوْا بشَرْطِه.

(أ) ف: عزهم.

ونهضَ السّلطانُ من الحَضْرة في العَساكِر والأَوْلياء من العَربِ، وأَجْفَلوا أمامَه فاتَّبَعَهُمْ، وَأَوْقَعَ بهم ثلاثَ مَرّاتٍ في أيّامٍ ثلاثةٍ واقَفُوه فيها، ثمّ أَجْفَلوا ولَحِقُوا بالقَيْروان. وقَدِمَ وَفْدُهُمْ على السّلطان بالطّاعة والاشْتِراط له كما يَشاء، فتقَبَّلَ ووَسِعَهُم عَفْوُه، وصارُوا إلى الانْقِياد والاعْتِمال في مَذاهب السّلطان ومَرْضاتِه، وهُمْ على ذلِك لهذا العَهْد.

## 178 • الخبرُ عن ثَوْرَة أَهْل قَفْصة، ومَهْلك ابنِ الخَلَف.

لما استقلَّ الخَلَفُ بن عَليّ [بن الخَلَف][أ] بحجابَة المُنْتَصِر ابنِ السُّلطان، وعَقَدَ له مع ذلك على عَمَله بنَفْطَة، فاسْتَخْلَفَ عليْها عامِلَه، ونزلَ بتَوْزَر مع المُنْتَصِر. ثمّ سَعَى به أنّه يُدَاخِلُ ابنَ يَمْلُول ويُرَاسِلُهُ، فبَثَّ عليه العُيونَ والأَرْصادَ، وعثَرَ على كِتابِه بخطّ كاتِبه المَعْروف إلى ابنِ يَمْلُول وإلى يَعْقوب بن عليّ أمير الذَّوَاوِدَة يُحَرِّضُهُمَا على الفِتْنَة، فتَقَبَّضَ عليه وأَوْدَعه السّجنَ، وبعثَ عُمّالَه إلى نَفْطَة واسْتَوْلَى على أَمْواله وذَخائِره. وخاطَبَ أباهُ في شَأنه فأَمْهَلَهُ بعد أن تَبَيَّنَ نَقْضَه للطّاعة وسَعْيه في الخِلاف. وكانَ السُّلْطانُ قبل فَتْح قَفْصةَ قد نَزعَ إليه من بُيوتَاتِها أحمدُ ابنُ أبي زَيْد، وسارَ في رِكابِه إليهَا، فلَمّا اسْتَوْلَى على البلَد رَعَى له ذِمَّةَ نُزُوعِه[ب] إليه، وأَوْصَى به ابنَه أبا بَكْر، فاسْتَوْلَى على مَشُورَتِهِ وحَلِّهِ وعَقْدِهِ، وطَوَى على النَّثّ. ثمّ حَدَّثَتْهُ نَفْسُه بالاسْتِبْداد، وتَحَيَّنَ له المواقيتَ، واتّفقَ أن سارَ الأميرُ أبو بَكْر من قَفْصة لزيارة أَخيه المُنْتَصر

(أ) من ف (ب) ظ: نزوغه.

[342 ب] بتَوْزَر، وخلّف بالبلَد عبدَ الله التّريكي / من مَواليهم، وكان السُّلطانُ أنْزلَه معهُ ووَلّاه حِجابَتَه، فلَمّا تَوارَى الأميرُ عن البلَد داخلَ ابنُ أبي زَيْدٍ زِعْنِفَةً من الأَوْغاد، وطافَ في سِكَكِ المدينة والهاتِفُ معهُ يُنادِي بالثَّوْرَة ونَقْضِ الطّاعَة، وتَقَدَّم إلى القَصبة فأَغْلَقها القائِدُ عبدُ الله دُونَه، وحارَبَها فامْتَنَعتْ عليه، وقَرَعَ عبدُ الله الطَّبْلَ بالقَصَبة، واجْتمع إليه أهلُ القُرَى فأَدْخلَهم من باب كان بالقَصَبة يُفْضِي إلى الغَابَةِ فَكَثَرُوا شِيعَ ابنِ أبي زيدٍ، وتَسَلَّلَ عنه النّاسُ فلاذَ بالاخْتِفاء. وخرجَ القائِدُ من القَصبة فَتَقَبَّضَ على كثيرٍ من أَهْلِ الثَّوْرة فأَوْدعَهم السِّجْنَ، واستَوْلَى على البلَد، وسَكَّنَ الهَيْعَةَ. وطارَ الخبرُ إلى المَوْلَى أبي بكر فأَغَذَّ السَّيْرَ مُنْقلِبًا إلى قَفْصَة، ولحين دُخوله ضَربَ أَعْناقَ المُعتقَلِينَ من [أهل][أ] الثورة، وأمرَ الهاتفَ فَنادَى في النّاس بالبَراءَة من ابن أبي زَيْدٍ وأَخيه. ولأيّامٍ من دُخوله عَثَرَ بهما الحرسُ في مقاعِدِهم بالبابِ مُسْتَتِرينَ بزِيّ النّساء، فتَقَبَّضُوا علَيْهما وتَلُّوهُما إلى الأمير فضربَ أَعْناقَهما وصَلَبَهما في جُذوعِ النَّخل، وكانا من المُترَفِينَ فأَصْبَحا مثلاً في الأيّام وقد خَسِرَا دينَهما ودُنْياهُما ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [سورة الحج، من الآية 11]. وارْتابَ المُنْتَصِر صاحبُ تَوْزَر حينئذٍ بابنِ الخَلَف وحَذِرَ مَغَبّةَ حالِهِ فقتَلَه بمَحْبَسِه، وذهبَ في غَيْرِ سبِيل مَرْحَمَةٍ. وانْتَظَمَ السُّلطانُ أمصارَ الجَريد كُلَّهَا في طاعَتِه، واتَّصلَ ظُهورُه، إلى أن كانَ ما نَذْكُرُ.

(أ) من ف.

## 179 • الخبرُ عن فَتْح قَابِس وانْتِظامِها في مَلْكَةِ السُّلْطان.

هذا البلَدُ لم تزلْ رئاسَتُهُ في هذه الدّولَة الحفْصية لبَني مَكّي المشْهور ذكرُهم في هذه العُصور وما إليْها، وسيَأْتى ذكرُ / أَخْبارِهم ونَسَبِهم وأوّليّتِهم [343أ] في فَصْلٍ نُفْرِدُه لهم فيما بَعْدُ[1]. وكان أَصْلُ رِئاسَتِهم فيها اتّصالَهم بخِدْمة الأَمير أبي زكريّاء الأَوّل أيّامَ وِلاَيتة قابِس سنةَ ثلاثٍ وعشْرين وسِتّ مائة، فاخْتَصّوا به وداخَلَهم في الانْتِقاض على أخيه أبي مُحمّد عبد الله عندَما اسْتَجْمَعَ لذلك، فأَجابُوه وبايَعوا له فرَعَى لهم هذه الوسائلَ عندَما اسْتَبَدّ بإفريقيَّة، وأَفْرَدَهم برئاسة الشّورَى في بَلَدهم. ثم سَمَوْا إلى الاسْتِبْداد عندَ[أ] فَشَلِ الدَّوْلَة عن القاصِيَة بما حدَث من الفِتَن، وانفِرادِ الثّغور الغَرْبيّة بالمُلْك. ولم يَزالوا جانِحينَ إلى هذا الاسْتِبْداد سابحين[ب] إليه بنارِ[ج] الفِتَن والانْتِقاضِ على السّلطان ومُداخَلةِ الثُّوّار والإجْلابِ بهم على الحَضْرة، والدّولةُ أثْناءَ ذلك في شُغْلٍ عنهم وعن سِواهُمْ من أَهْل الجَريد منذُ أَحْقابٍ مُتَطاوِلَةٍ، بما كان من انقِسام الدّوْلة، وإلحاحِ صاحبِ الثُّغور الغَرْبية على مُطالَبَةِ الحَضْرة. ثمّ اسْتَبَدَّ مَوْلانَا السُّلطانُ أبو بَكْر بالدَّعْوة الحَفْصيّة في سائِر عَمالات إفريقيّة، وشَغَلَهُ عنْهم شاغِلُ الفِتْنَةِ مع صاحبِ تِلِمْسان ومُنازَلَتُهُ ثَغْرَ بِجايَة، وتَسْريبُهُ جُيوشَ بَني عبد الوادِ مَرّةً بعدَ أُخرَى مع الأَعْياصِ من بَني أبي حَفْصٍ والعَرَبِ إلى إفريقيّة. وكان المُتَوَلّي لرئاسَة قابِس[د] يَوْمئذٍ عبدُ الملك بن مَكّيِ بنِ أَحمَدَ بن عبد الملك،

(أ) ف: عندما (ب) ف: سابحين (ج) ف: شأن. ظ: ثار. وتقرأ أولا: بثار. لعلّ قراءتنا أصوب
(د) ف: المتولي الرئاسة بقابس.

---

(1) العبر 11: 372

ورَدِيفُه فيها أَخوه أحمدُ، وكانَا يُداخِلان أبا تاشَفينَ صاحبَ تلِمْسان في الإجْلاب على الحضرة مع جُيوشِه والثُوّارِ القادمينَ معهم، ورُبمّا خالَفُوا السّلْطانَ إلى الحَضْرة أزمانَ مَغيبِه عنْها كما وَقَع لهم مع عبد الواحِد بن اللِّحْياني، وقد مَرّ ذِكرُ ذلك. فلَمّا اسْتَولَى / [343 ب] السّلطانُ أبو الحسَن على تلِمْسان وانمَحَى أثَرُ بَني زيّان، فَرَغَ السّلطانُ أبو بَكْر لهؤلاء الثُوّار الرُّؤساءِ بالجَريد الدّائِنين بالانْتقاضِ سائرَ أيّامِهم. وزَحَفَ إلى قَفْصة فمَلَكَها فذُعِرُوا، ولَحِقَ أَحْمَدُ بن مَكّي بالسُّلطان أبي الحسَن مُتَذَمِّمًا شفاعَتَهُ بعدَ أن كان الرّكْبُ الحِجازِيّ من المَغْرب مَرَّ بقابِس وبه بعض كَرائِم السُّلْطان، فأَوْسَعُوا حِباءَها[أ] وسائرَ الرّكْب قِرَى وحباءً، وقَدَّمُوا ذلك وسيلةً بَيْن يدَيْ وفادَتِه فتقَبَّلَ السُّلْطانُ وسيلَتَه، وكتَب إلى مَوْلانا السُّلْطان أبي بَكْر شافِعًا فيهم لذِمَّةِ السّلطان والصِّهْر، فتَقَبّلَ شَفاعَتَه وتَجاوزَ عن الانْتِقام منْهم بما اكْتَسَبُوا.

ثمَّ هلَكَ مَوْلانا السّلطانُ أبو بَكْر، وماجَ بَحْر الفِتْنَة والخِلاف، وعادَتِ الدّولةُ إلى حالِها من الانْقِسام، واشْتَدَّتْ على صاحب الحَضْرة وجوهُ الانْتِصافِ مِنْهم، فعادَ بَنُو مَكّي وسِواهُم من رُؤَساء الجَريد إلى حالِهم من الاسْتِبْداد على الدّوْلة وقَطْعِ أَسْبَاب الطّاعَة، ومَنْعِ المَغارم والجِبايَة، ومُشايَعَةِ صاحِب الثُّغور الغَرْبية زَبونًا على صاحبِ الحَضْرة. فلَمّا اسْتَبَدَّ مولانَا السُّلطان أبو العبّاس بالدّعوة الحَفْصيَّةِ، وجَمَعَ الكلمةَ واسْتَوْلَى على كثيرٍ من الثُّغور المُنْتَقِضَة، تَراسَل أهلُ هذه الأَمْصار الجَرِيدِيّة وتَحَدَّثُوا فيما دَهَمَهُم وطَلَبُوا وَجْهَ الخَلاص منه والامْتِناعِ عليه. وكانَ عبدُ الملك بن مَكّي

(أ) مصحفة في ظ إلى خياءها.

أَقْعَدهم بذلك لطُول مِراسَةِ الفِتَنَ وانْحِياشِه إلى الثُوّار، وكان أَحمدُ أخُوه ورَديفُه قد هَلَكَ سنةَ خَمْسٍ وستّين وانفردَ هو برِئاسَة قابِس، فرَاسَلُوه ورَاسَلَهم في الشَّأن، وأَجْمَعوا جميعًا على تَخْبيبِ(أ)(1) العرب على السُّلطان، وتَسْريب الأمْوالِ فيهم، ومُشَايَعةِ صاحبِ تِلِمْسان بالتَّرْغِيب في مُلْك إفْريقيّة، فانْتَدَبُوا(ب) / لذلك من كلّ ناحِيَةٍ، وبَعثوا البريدَ إلى صاحبِ [344 تِلِمْسان فأَطْمَعهم من نَفْسِه وعَلَّلَهم بالمواعِيدِ الكاذِبَة، والسُّلطانُ أبو العبّاس مُقْبِلٌ على شَأْنِه يَفْتِلُ لهم في الذِّرْوَة والغارِب(2)، حتىّ غَلَبَ أَوْلادَ أبي الليّل الذين كانوا يَغْزُونَهُمْ بالـمُدَافَعة عنْهم، وافْتَتَح قَفْصة وتَوْزَر ونَفْطَة. وتَبَيَّن لهم عَجْزُ صَاحِبِ تِلِمْسان عن صَريخِهم، فحِينئذٍ بادَرَ عبدُ الملك إلى مُراسَلَة السّلْطان يَعِدُهُ من نَفْسه الطّاعَةَ والوفاءَ بالجِبايَة، ويَسْتَدْعِي لاقْتِضاء ذلك منْه بعض حاشِيَتهِ، فأجابَه إلى ذلك وبَعَثَ وَافِدَهُ إليه. ورَجَعَ إلى الحَضْرة في انتِظاره، فطاوَلَهُ ابنُ مَكّي في الغَرَضِ، ورَدَّهُ بالوَعْد، ثمّ اضْطرَبَ أمْرُه.

وانْتَقَضَ عليْه أهلُ ضاحِيَتِه بنو أَحْمد، إحدَى بُطون دبّابٍ، ورَكِبوا إليه فحَاصَرُوهُ وضَيَّقُوا عليه، واسْتَدْعَوْا المدَدَ لذلك من الأَمير أبي بَكْرٍ صاحبِ قَفْصَة، وأَمَدَّهُمْ بعَسْكر وقائدٍ، فنازَلُوهُ واشْتَدَّ الحِصَارُ. واتّهَمَ ابنُ

(أ) ف: تحبب، كذا مهملة الحروف وفي ظ: تخييب، وهو تصحيف لما اعتمدناه (ب) ظ: فايتدبوا.

(1) خَبَّبَهُ تَخْبِيبًا: خدعه وغشّه وأفسَدَهُ.

(2) الذروة أعلى السّنام، والمعنى: أن يخدعه صاحبه ويتلطف له بفتْل أعلى سَنامه حكًّا ليسْكنَ إليه فيتسلّق بالزمام عليه، وهو يضرب لمن خادَعَ غيره حتى أزالَه عن رأيه. الأمثال للميداني 2: 503 .

مَكّي بَعْض أَهْل البلَد بمُداخَلتِهم فكَبَسَهُمْ في مَنازِلهم وقَتَلَهُم. وتَنَكَّرَتْ له الرعيّةُ وساءَتْ حالُه، ودَسّ إلى بَعْض المُفْسِدين من العَرب من بَني عليّ في تَبْييت العَسْكر المُحاصِرين لَه، واشْتَرَطَ لهم على ذلك ما رَضُوهُ من المال. فَجَمَعُوا لَهم وبَيَّتُوهُمْ فانقَضُّوا(أ) ونَالُوا مِنهم. وبلَغ السّلطانَ خَبَرُهم فأَحْفَظَه وأَجْمَعَ الحركةَ على قابِس، وعَسْكَرَ ظاهِرَ الحَضْرة في رَجب سنةَ إحدَى وثَمانين، وتَلَوَّمَ أيّامًا حتّى اسْتَوْفَى العطاءَ واعْتَرَضَ العساكِرَ، وتَوافَتْ أحياءُ أَوْليائِه من أولاد مُهَلْهِل وأَحْلافِهم من سائر سُلَيْم. ثمّ ارْتَحل إلى القَيْروان، وارْتَحلَ منها يُريدُ قابِسَ وقد اسْتَكْمَلَ التَّعْبِئَةَ. وبادَرَ إلى لُقِيِّهِ والأَخْذِ بطاعَته مَشْيَخَةُ دَبّابٍ أَعْرابُ قابِس من بَني سُلَيم، ووَفَدَ منهم خالِدُ بنُ سِبَاع بنِ يَعْقوب شيخُ المَحامِيد، وابنُ عَمّه عليّ بن رَاشِد فيمنْ إليهم يَسْتَحِثُّونَهُ إلى مُنازَلَة قابِس، / [344 ب] فأَغَذَّ السَّيْرَ إليها، وقَدّمَ رُسُلَه بَيْنَ يدَيْه بالإعْذار لابن مَكّي، وانتَهَوْا إليه فرَجَّعَهُمْ بالإنابة والانْقِيادِ إلى الطّاعة، ثمّ احْتَمَلَ رَواحِلَه وعَبَّأَ ذَخائِرَهُ وخرجَ من البلَد، ونزلَ على أَحْياء دَبّابٍ هو وابنُه يَحيى وحافِدُه عبدُ الوهّاب ابنُ ابنِه مَكّي، الهالكُ منذُ سِنين من قَبْل. واتَّصل الخبرُ بالسُّلْطان فبادَرَ إلى البَلَد ودَخلَها في ذي القَعْدة من سَنَتِهِ، واسْتَوْلَى على مَنازِل ابنِ مَكّي وقُصورِه، ولاذَ أهلُ البلَد بطاعَتِه، ووَلَّى عليها من حاشِيَته. وكان أبو بَكْرِ بنُ ثابِت صاحبُ طرابُلُس قد بَعثَ إلى السُّلْطان بالطّاعَة والانْحِيَاش، ووَافَتْه رُسُلُه دُوَيْنَ قابِس، فلَمّا اسْتَكْمَلَ فَتْحَها بعثَ إليه من حاشِيَته لاقْتِضاء ذلك فرَجَّعَهُمْ بالطّاعة. وأَقامَ عبدُ الملِك بنُ مَكّي بعدَ خُروجِه من قابِس بَيْنَ أَحْياء العَرب لَياليًا

(أ) ظ: فانقضوا.

قَلاَئِلَ، ثمّ بَغتَهُ الموتُ فهلَكَ. ولَحِقَ ابنُه وحافِدُه بطرابُلُس فمَنَعهم ابنُ ثابت الدّخولَ إليْها، فنزَلُوا بزَنزُور من قُراها في كَفالَةِ الجوارِي من بُطونِ دبّابٍ. ولمّا استَكمَلَ السلطانُ الفتحَ وشؤونه انكفَأَ راجعا إلى الحَضْرة، فدَخلَها فاتِحَ ثِنتَيْن وثمانين، ولَحِقه رَسولهُ من طَرابُلُس بهديَّةِ ابن ثابِت من الرَّقيق والمَتاع بما فيه الوَفاءُ بمغارِمِه بزَعْمِه. ووَفَدَ عليه بعدَ استِقْراره بالحَضرة رُسُلُ أَوْلادِ أبي اللّيل مُتَطارِحينَ في العَفْوِ عَنْهم والقَبولِ علَيهم، فأَجابَهم إلى ذلك. ووَفَد صَوْلَةُ ابنُ خالدٍ شَيْخُهم، وقَبْلَهُ أبو صَعْنُونَةَ شيخُ حَكِيمٍ، ورَهَنُوا أَبناءَهم على الوَفاء، واسْتَقاموا على الطّاعَة. واتّصل النُجْحُ والظُّهورُ، والأَمرُ على ذلك لهذا العَهْد، وهو فاتِحُ ثلاثٍ وثمانين وسبع مائة. واللهُ مالِكُ الأُمور لا رَبَّ غَيْرُه.

## 180 • الخَبَرُ عن اسْتِقامَة ابن مُزْني وانْقِيادِه، وما اكْتَنَفَ ذلِك من الأَحْوال.

/ كان هؤلاء الرُّؤساء المُستَبِدُّون بالجَريد والزّاب مُنذُ فَرَغَ السُّلْطان [345 أ] لهم من الشّواغل واستَرابُوا بِمَغبَّةِ حالِهم معَهُ ومُراوَغتِهم له بالطّاعَة، يَرُومُونَ استِحْداثَ الشّواغِلِ، ويُؤَمّلونَ لها سُلطانَ تِلِمْسان لعَهْدهم أبا حَمّو الأخيرَ وأنّه يأْخذُ بِحُجْزَتِه عنهم إن وَصَلوا به أَيْدِيَهم واسْتَحثّوه لذلك لإيلافِهم مِثْلَها مِنْ سَلَفِ قومه، وابنِ حَمّو وابنِ تاشَفين من قَبْله، قياسًا مُتَوَرِّطًا في الغَلَط بعيدا من الإصابَةِ، لِمَا نزل بسُلْطان بني عبدِ الوادِ في هذهِ العُصور من الضّعْفِ والزّمانَةِ، وما أصابَ قَوْمَهُم من الهلاك والشَّتاتِ

بأيديهم وأيْدي عَدُوّهم. وتقَدّمَهم في هذا الشّأنِ أحْمَدُ بنُ مُزْني صاحبُ بِسْكِرَة لقُرْب جِوارِه واشْتِهار مِثلها من سَلَفِه فاتّبَعُوهُ وقلّدوهُ، وغطّى هَواهُمْ جميعًا على بَصيرَتِهم. وقارنَ ذلك نزولَ الأمير أبي زيّان ابنِ السّلطان أبي سَعيد عمِّ أبي حَمّو على ابن يَمْلُول بتَوْزَر عندَ مُنابَذةِ سالِم بن إبراهيم الثّعالبي إيّاه، وكان طارَدَ به أيّامًا ثمّ راجَع أبا حَمّو، وصَرَفَه سنةَ ثمانٍ وسَبْعين. فخرج من أعْمالِ تِلِمْسَان وأبْعدَ المَذْهَبَ عَنْهم، ونزل على ابن يَمْلول بتَوْزَر، فطَيَّرَ(أ) الخَبَرَ(ب) إلى إمامِه في تلك الفِتْنَةِ أحْمَد بنِ مُزْني، واغْتَبَطوا بمكان أبي زيّان، وأنّ تَمسُّكَهُمْ به ذريعةٌ إلى اغتيال أبي حَمّو في مَرْضاتِهم وإجَابَتِهِ إلى دَاعيهم. ورَكَضَ بَريدُهم إلى تِلِمْسَان في ذلِك ذاهبًا وجائيًا حتّى أعْيَت الرُّسُلَ واشْتَبَهَتْ المذاهِبُ، ولم يَحْصُلوا على غَيْر الـمُقارَبَةِ والوَعْد، لكنْ على شَريطة التَّوثُّق من أبي زيّان.

وبَيْناهُمْ في ذلك إذ هَجَمَ السُّلْطان على الجَريد، وشرّد عنه أولادَ أبي اللّيل الذين تَكَفّلُوا الرُّؤساءَ به بالـمُدافعة، وافتتَحَ قَفْصةَ وتَوْزَر ونَفْطَة. ولَحِقَ يحيى بن يَمْلُول بِبِسْكِرَة، واسْتَصْحبَ الأَميرَ أبا زيّان، فنزلَ على [345ب] ابنِ مُزْنِي، / وهلَكَ لأيّامٍ قلائلَ، كما ذَكَرْناهُ. واسْتَحْكَمَتْ عندَها اسْتِرَابَةُ يَعْقوب بنِ عليّ شيخِ رياحٍ بأَمْره مع السُّلطانِ، لـمَا سَلَفَ منه في مُداخَلَةِ هؤلاءِ الرّهْط وتمسُّكِهم بِحَقْوَيْهِ(1) والمُبالَغةِ في العُذْر عَنْهم، [ثُمّ عَثْرَتِه](ج) بأنْصاره من مَشْيَخة الذّواوِدَة، انحاشُوا إلى السّلطان فأَفاضَ عليهم عطاءَهُ، واختَصّهُمْ بولايَتِه، فحَدَثَ لذلك منه نَفْرَةٌ واضْطِرابٌ.

(أ) ف: وطيّر (ب) ظ: الخبرة (ج) من ف. ظ: في العذر عنهم غيرته بأنصاره .

---

(1) تمسك بحقْوَيْه: فزع إليه ولاذ به. والحقْو: وبكسر الحاء: الخَصْرُ، ومشدّ الأزرار من الجنب.

وارتحلَ إلى السّلطان أبي حَمّو صاحبِ تلِمْسان فاتحَ ثِنْتَيْن وثمانين يَسْتَجِيشُه لهؤلاء الرَّهطِ ويَهُزُّه بها إلى البِدَارِ بصَرِيخِهم. ونزلَ على أَوْلاد عَرِيفٍ أَوْليائِه من سُوَيْد، وأَوْفَدَ عليه ابنَه فتَعَلَّلَ لَهُمْ بـمُنافَرَةٍ حدَثَتْ في الوَقْتِ بَيْنه وبين صاحبِ الـمَغرب، وأنَّه لَهُمْ[أ] بالـمِرْصادِ متَى رَابَهُمْ رَيْبٌ من نُهوضِ السّلطان أبي العَبّاس إليهم، يُمْسِكُ بذلك طَرَفَ التَوثُّقِ من أبي زَيّان، ورُبَّمَا دَسَّ إليهم بـمُشارَطَةِ اعْتِقاله وإلْقائِه في غَيابات السُّجون. وفي مَغيب يَعْقوب هذا طَرَقَ السُّلْطَانَ تمحيصٌ من الـمَرض أَرْجَفَ له الـمُفْسِدونَ بالجَرِيد، وَدَسَّ شِيَعُ آلِ يَمْلُول بخَبَره إلى صَبِيٍّ من أَبْناء يحيى مُخَلَّفٍ بِبسْكِرَة، فَذَهِلَ ابنُ مُزْنِي عن التَّثبُّت لها ذهابًا مع صاغِيَةِ الوَلَد وأَوْلِيائه، وجَهَّزَهُمْ لانتهاز الفُرْصة في تَوْزَر مع العَرَب الـمُشَارِطِينَ في مِثْلها بالمال. وأَغَذُّوا السَّيْرَ إلى تَوْزَر على حين غَفْلَةٍ من الدّهر وخِفٍّ من الجُنْد، فَجَلَّى الـمُنْتَصِرُ وأولياؤُهُ في الامْتِناع وصِدْقِ الدِّفاعِ، وَتَمَحَّضَتْ بهذا الابْتِلاءِ طَاعَةُ أَهْلِ تَوْزَرَ ومُخَالَصَتُهم، وانصرَفَ ابنُ يَمْلُول بإخْفاقٍ من السَّعْيِ وأَلِيمٍ من النَّدَم وتَوَقُّعٍ للمَكارِه. ووافَقَ بِبِسْكِرَة قُدُومَ يَعْقوب بن عليّ مَرْجِعَهُ من الغَرْب، فبالَغ في تَعْنيتهم[1] بالملامة على ما أَحْدثوا بَعْده من هذا الخَرْق المتَّسِع المُعْيِي على الرَّاقِعِ.

[346أ] وكانَ السّلطان / لأوّلِ بُلوغ الخَبر بإجْلابِهم على تَوْزر ومُمَالأَةِ ابن مُزْنِي على ابْنِه وأَوْليائه أَجْمَعَ النُّهوضَ إلى بِسْكِرَة، وعَسْكرَ بظاهِر الحَضْرة،

(أ) ظ: هم.

(1) عَنَّتَهُ: شدّد عليه وألزمه ما يصعب عليه أداؤه ويشقّ عليه تحمُّله.

وفَتحَ ديوانَ العَطَاءِ، وجَهّز آلاتِ الحصارِ. وسرَى الخبرُ بذلك إليهم فخَلَصُوا نجِيًّا ونَقَضُوا[أ] عَيْبَةَ آرائهم فتَمَحَّضَ لهم اعْتقالُ أبي زَيّان الكفيلِ لهم بصَريخِ أبي حَمُّو على زَعْمِه، فتَعَلَّلُوا عليه ببعضِ النَّزغات[ب] وتوَرَّطوا في إخْفَارِ ذِمَّته. وطَيَّرُوا بالصَّريخِ إلى أَبي حَمّو، وانتظروا، فما راعَهم إلاّ وافِدُه بالعذر عن صَريخِهم والإعاضةِ بالمال، فتَبَيَّنوا عَجْزَه ونَبَذُوا عهْدَه، وبادَروا لِتَخْلِيَةِ السّبيل لأبي زَيّان والعُذْرِ له لـمَا كان السّلطان نكِرَ علَيهم من أَمْرِه، فارْتَحَلَ عَنهُمْ ولَحِقَ بقُسُنْطِينَة. وحَمَلَهم يعقوبُ بنُ عليّ عَلَى اللِّيَاذِ بالطّاعَة، وَأَوْفَدَ ابنَ عَمّه مُتَطَارِحًا وشافِعًا، فتَقَبَّلَ السّلطانُ فَيْئَتَهُ[ج] ووَسِيلَتَهُ، وأَغْضَى لابن مُزْنِي عن هَنَاتِه، وأَسْعَفَهم بكَبير دَوْلَته وخَالِصَةِ سِرّه أبي عبد الله بن أبي هِلال لِيَتَنَاوَلَ منه الـمُخالَصَةَ ويُمَكِّنَ له الأُلْفَةَ ويَمْسَحَ عن هواجِسِ الارْتِياب والـمَخافَةِ، وكان لَقِيُّهُ أَشْهَى إليْهم من الحَياة، فَفَصَلَ عن الحَضْرة.

وارتَحَلَ السُّلْطَانُ في ذي القَعْدة آخِرَ سَنَةَ ثِنْتَين وثَمانين لتَفَقُّد عُمّالِه وابتلاء الطّاعَةِ من أَهْلِ أَوْطانِه. ولـمّا وصلَ وافدُ السُّلْطان إلى ابن مُزْني أَلْقَى زِمامَه إليه وحَكَّمَهُ في ذاتِ يَده، وَقَبِلَهُ ومَحَا أَثَرَ الـمُراوَغَة، واسْتَجَدَّ لَبُوسَ الانْحِياش والطّاعَة، وبادَرَ إلى اسْتِجادَة المُقْرِبَاتِ وانتِقاء صُنُوفِ التُّحَفِ، وبَعثَ بذلك في رِكاب الوَافِد مع الذي علَيْه من الضَّريبَة المعْروفَة مُحَمّلاً أَكْبادَ ثِقاتِه وظُهورَ مَطاياه. ووَصلُوا إلى مُعَسْكر السّلطان بِسَاحِ تَبِسَّةَ فَاتِحَ ثلاثٍ وثَمانِينَ، فجَلَس لَهم السُّلطان جُلوسا فَخْمًا، ولَقّاهُمْ قَبولا وكَرامَةً، فعَرضوا الهديَّةَ وأَعْرَبُوا عن الانْحِياش والطّاعة، وحَسُنَ مَوْقِعُ ذلك

(أ) ف: نقضوا (ب) ظ: النزعات (ج) ظ ف: فيته.

/ من السّلطان، وشمِلَهم إحْسَانُ السُّلطان في مُقَامَتِهِمْ، وجَوائزه على [346ب] الطّبقات في انصِرافِهم. وانقَلَبوا بما مَلأَ صُدورَهم إحْسانًا ونِعْمةً، وظَفِرُوا برِضَى السُّلطان وغِبْطتِهِ، وحَسْبُهُمْ بها أُمْنِيَّةً. وبيد الله تَصاريفُ الأمور ومَظاهِرُ الغُيوب.

## 181 • الخبرُ عن انتِقاض أوْلاد أبي اللّيل، ثمّ مراجعتهم الطّاعَة.

قد ذكَرْنا ما كانَ من رُجوع أولادِ أبي اللّيل هؤلاءِ إلى طَاعَةِ السُّلْطَانِ إثْرَ مُنْصَرَفِهِ من فَتْحِ قَابِس، وأنّهُمْ وَفَدُوا عَلَيه بالحَضْرَةِ فتَقبّلَهُمْ وعفَا عن كبائِرِهِمْ، واسْتَرْهَنَ على الطّاعة أبْناءَهم، واقْتضَى بالوَفاء على ذلك أيْمَانَهُمْ. وخرجَ الأخُ الكَريمُ أبو يحيى زَكَرِيّاء في العَساكِر لاقْتضاء المغارِمِ من هَوّارَة التي اسْتَأْثَرُوا بها في فَتْرة هَذهِ الفِتَنِ. وارتَحلَ معه أولادُ أبي اللّيل وأخلافُهم من حَكيمٍ حَتّى اسْتَوْفَى جِبايَتَه وجالَ في أقْطار عَمَلِهِ، ثمّ انكَفَأَ راجِعًا إلى الحَضْرة. ووَفَدُوا معه على السّلطان يَتَوَسَّلُون به في إسْعافِهم بالعَسْكر إلى بِلاد الجَريد لاقْتِضاء مَغارِمِهم على العادَة واسْتِيفاء إقْطاعَاتِهم، فَسَرَّحَ السُّلْطانُ مَعهم لذلك ابْنَهُ أبا فارِسَ، وارْتَحلوا معَه بأَحْيائِهم. وكانَ ابنُ مُزْنِي وابنُ يَمْلول من قَبْله ويعقوبُ بنُ عليّ كثيرًا ما يُرَاسِلُونهم ويَسْتَدْعُونَهم لمثْل(أ) ما كانوا فيه من الانْحِراف ومُشايَعَةِ صَاحِبِ تِلِمْسان. ولمّا اعتقَلوا أبا زيّانَ ببِسْكِرَة -كما ذكَرْناهُ- وثوقًا بصَريخِ أبي حَمُّو

(أ) ظ: لمثلي.

ومُظَاهَرَتِه، نَبَضَتْ عُروقُ الخِلاَفِ في أوْلاَدِ أبي اللّيل، ونَزَعوا إلى اللّحاق بيعقوب بن عليّ رجاءَ فيما تَوَهَّمُوه من اسْتِغلاَظِ أَمْرِهم بصاحِبِ تلِمْسان ويأسًا من مُعاوِدَةِ التَّغلُّب الذى كان لهم على ضَواحي إفريقيّة. ففارَقوا الأَميرَ أبا فارس بعدَ أن أبْلغوه / مَأْمَنَهُ مِنْ قَفْصَةَ، وسارُوا بأَحْيائِهم إلى الزّاب، [347أ] فلَمْ يَقَعُوا على الغَرَضِ وَلاَ ظَفِرُوا بالبُغْيَة. ووَافَوْا يَعْقُوبَ وابنَ مُزْني وقد جاءَهم وَافِدُ أبي حَمّود[أ] بالقُعُودِ عن نُصْرتِهم، والأَمِيرُ أبو زيّان قد انْطلقَ لسَبِيله عنْهم، فسقَطَ في أَيْديهم وعاوَدَهُم النَّدَمُ على ما اسْتَدْبَرُوا من أَمْرِهم. وحَمَلَهم يعقُوب على مُراجَعَة السّلطان، وأَوْفَد ابْنَه مُحمّدًا في ذلك مَعَ وَافِده العزيز أبي عبد الله مُحمّد بن أبي هِلالٍ فتَقَبّلَهُمْ وأَحْسَنَ التّجاوُزَ عنْهم، وبَعثَ أبا يَحْيى أخاهُ لاسْتِقْدامِهم أمانًا لَهم وتأْنيسًا، وبَذَلَ لهم فَوْقَ ما أَمَّلوهُ من مَذاهِبِ الرِّضَى والقَبول. واتّصلَ النُجْحُ والظُّهورُ، والحمد لله.

## 182 • تغلّبُ ابنِ يَمْلُول على تَوْزَر، وارْتجاعُها مِنْه.

قد كان تقَدّم لنَا أنَّ يحيَى بنَ يَمْلول لَمّا هَلَكَ بِبِسْكِرة تخَلَّفَ صَبِيًّا اسْمُه أبو يَحيى، وذكَرْنا كيفَ أَجْلب علَى تَوْزَر سنة ثِنْتَيْن وثمانين مع لَفيفِ الأَعْرابِ وَرِياحٍ ومِرْداس. فلمّا كان سنةُ ثلاثٍ وثمانين بعدَها وَقَعَتْ مُغاضَبَةٌ بَيْن السّلطان وبَيْن أولادِ مُهَلْهل من الكُعوب، وانْحَدَرُوا إلى مَشَاتِيهم بالصَّحْراء، فبَعَثَ أميرُهم يحيى بنُ طالِبٍ عن هذا الصَّبيّ أبي يحيى من بِسْكِرة، ونَزَل بأحْيائه بِسَاحِ تَوْزَرَ، ودفَعَ الصبيَّ إلى حصارها، واجْتَمع

(أ) كذا في الأصلين. وصوابه أبي حَمّو.

عليه شِيَعتُه من نَواحي البلَد وأَوْشَابٌ من أَعْراب الصّحراء، فأَجْلَبوا[أ] على البلَد ونَاوَشُوا أَهْلَهَا القِتالَ، وكان بها المنْتَصِرُ بنُ السّلطان فقاتلَهم أيّامًا. ثمّ تَدَاعَى شِيَعُهُمْ من جَوانِب المدينة، وغَلَبُوا عساكره وأَخجَرُوهُمْ بالبَلَدِ ثُمَّ دَخَلُوا عليهم. وخرج المنتصر ناجيا بنفسه إلى بيت يحيى بن طالب واسْتَذَمَّ به، فأَجارَه وأَبْلَغه إلى مَأْمَنِهِ بقَفْصَة / [347ب] وبها عامِلُها عبدُ الله التّريكي. واسْتَوْلَى ابنُ يَمْلُول على تَوْزَر، واسْتَنْفَذ ما مَعهُ وما اسْتَخْرَجَه من ذَخائِرهم بتَوْزَر في أَعْطِيَاتِ العَرَب، وزَادَهم جِبَاية السّنة من البلَد بكَمالِها ولم يَحْصُلْ على رِضَاهُمْ. وبلَغ الخبرُ إلى السُّلطان بتُونِس، فشَمَّرَ عَزائِمَه وعَسكَرَ بظَاهِر البلَدِ، واعْتَرَضَ الجُنْدَ وأزاحَ عِلَلَهم. وارْتَحل إلى ناحِيَة الأُرْبُص وهو يَسْتَأْلِفُ الأَعْرَابَ ويَجْمَعُ لقتال أَوْلادِ مُهَلْهِل أَقْتَالِهم، وأَعَدَّ أَعْداءَهم أولادَ أبي اللّيل وأَوْلياءَهم وأَحْلافَهم ليَسْتَكْثِرَ بهم حتّى نَزلَ بفَحْص تبسْتة[ب] فأراحَ به أيّامًا حتّى تَوَافَتْ أَمْدادُه من كلّ ناحِيَةٍ. ثمّ نَهَضَ يُريد تَوْزَر، ولـمّا احْتَلَّ بقَفْصة قَدَّمَ أخاهُ الأميرَ أبا يَحيى وابْنَه الأميرَ الـمُنْتَصر في العساكِر ومَعهُما صَوْلَة بنُ خالِد بقَوْمه أولادِ أبي اللّيل، وسارَ على إثْرهم في التّعْبِئَة. ولـمّا انتهى أخوهُ وابنُه إلى تَوْزَر حاصَرُوها وضَيَّقُوا علَيها أيّامًا، ثمّ وَصلَ السّلطانُ فزَحفَت إليها العساكِرُ من جوانِبها، وقاتلوهَا يومًا إلى الـمَساء، ثمّ بَاكَرُوهَا بالقِتال فَخذَلَ ابنَ يَمْلُولَ أَصْحَابُه وأَفردُوه فذَهب ناجيًا بنَفْسه إلى حِلَل العَرب. وَدَخَلَ السُّلْطَانُ البَلَدَ، واسْتَوْلَى عليه، وَأَعَادَ ابنَه إلى مَحَلّ إمارَتِه منه، وانْكَفَأَ رَاجِعًا إلى قَفْصَةَ ثُمَّ إلى تُونِس مُنْتَصفَ أَرْبعٍ وثَمانين.

(أ) ف: أجلبوا (ب) كذا ضبطت في ظ ف تَبَسْتة. ولم نعرفها.

## 183 • وِلايةُ الأَميرِ زكريّاءَ ابنِ السُّلْطانِ على تَوْزَر.

ثمّ عادَ ابنُ يَمْلُول إلى الإجْلابِ على تَوْزَر من السّنة القَابِلَة، وخرجَ السّلطان في عَساكِرِه فكَرّ راجِعًا إلى الزّاب، ونزلَ السُّلْطان قَفْصَة ووَافاهُ [هنالكَ][أ] ابنُه المنْتَصِرُ. وتَظَلَّم أهلُ تَوْزَر من أبي القاسِم الشّهرَزُورِي الذي كان حاجِبًا للمُنْتَصِر فسَمِعَ شَكْواهم، وأَنْهى إليها الخاصّةُ سُوءَ دِخْلَتِهِ وقبيحَ أفْعاله فتَقَبّضَ علَيْه بقَفْصَة. واحْتَمَلَهُ / مُقَيّدًا إلى تُونِس. وغَضِبَ [348 أ] لذلك المُنْتَصِرُ وأَقْسَم لا يَلي على تَوْزَر، وسارَ مع السُّلطان إلى تُونِس. ووَلّى السّلطانُ عَلى تَوْزَر الأميرَ زَكريّاء من وُلْدِه الأَصاغِرِ لِمَا كان يَتَوَسّمُ فيه من النّجابة، فَصَدَقَتْ فَراسَتُه فيه وقامَ بأَمْرِها وأَحْسَنَ المُدافَعَةَ عنها، وقامَ بِإستئلاف الشّارِدِ من أَحْياءِ العَرب وأُمَرائِهم حتّى تَمّ أمرُه وحَسُنَت وِلايَتُه. والله متولّي الأمورِ بحِكْمَته.

## 184 • وفاةُ الأمير أبي عبْد الله صاحب بِجَايَة.

كان السُّلْطانُ لما سارَ إلى فَتْح تُونِس وَلّى على بجايَةَ ابنه محمّدا كما مَرّ، وأقامَ له حاجِبًا، وأَوْصاهُ بالرُّجوع إلى مُحمّد بن أبي مَهْدي زعيمِ البَلَد وقائدِ الأُسْطول[ب]، المُتَقَدّم على أَهْل الشّطارَة والرُّجولَة من رَجْلِ البلَد ورُماتِهم، فقامَ هذا الأميرُ أبو عبد الله في مَنْصب المُلْك ببجاية أَحْسنَ قِيام، واصْطَنَعَ ابنَ أبي مَهْدِي أحسَنَ اصْطِناعٍ، فكانَ يَجْرِي في قُصورِه

(أ) ظ: لذلك (ب) ظ: الأصطول.

وأغْراضِه ويَكفِيه مُهِمَّهُ في سُلْطانِه، ويُراقِبُ مَرْضاةَ السُّلطان في أَحْوالِه، والأميرُ يَعْرِفُ له ذَلك ويُوَفِّيهِ حَقَّه، إلى أن أَدْركَتْه المَنيّةُ أَوائِلَ خَمْسٍ وثَمانِينَ، فَتُوُفِّيَ على فِراشِه آنَسَ ما كان سِرْبًا وآمنَ رَوْعًا، مُشَيَّعًا من رِضَى أبيه(أ) ورَعِيّته بما يَفتحُ له أَبوابَ الرِّضَى من ربّه. وَبلَغَ نَعْيُه إلى أبيه بتُونِس فبادَرَ بإنفاذ(ب) العَهْد لإبْنِه أبي العبّاس أَحْمد بولاية بِجايَة مَكان أبيه، وجعلَ كفالَةَ أَمْره لابْن أبي مَهْدي مُسْتَبِدًّا علَيه، واسْتَقامَتْ الأُمورُ على ذلِك.

## 185 • حَرَكَةُ السّلْطان إلى الزّاب.

كنتُ انتَهَيْتُ بتَأْليف الكِتاب إلى ارْتِجاع تَوْزَر من يَدِ ابنِ يَمْلول وأنَا يَومئذٍ مقيم بتُونِس، ثمّ ركِبْتُ البحرَ مُنْتصفَ أربعٍ وثَمانين / [348ب] إلى بِلاد المَشْرق لقَضاء الفَرْض، ونَزلْتُ بالإسْكندَريّة ثمّ بمِصْرَ. وصارَتْ أخبارُ المَغرب تَبْلُغُنا على أَلْسِنَة الوارِدِينَ، فَمِنْ أوّل ما بَلَغَنا وفاةُ هذا الأميرِ ابنِ السّلطان ببِجايَة سنةَ خَمْسٍ وثَمانين، ثمّ بلَغنا بَعْدَها حَرَكَةُ السّلطان إلى الزّاب سنةَ ستٍّ وثَمانين. وذلِكَ أنّ أحْمدَ بنَ مُزْنِي صاحبَ بِسْكِرَة والزّاب لعَهْده كان مُضطربَ الطّاعَة متحيّزًا على السُّلطان، ويَمْنَعُ في أكْثَرِ السّنينَ المغارِمَ مُعَوّلاً على مُدافعة العَرب الذين مَلَكُوا ضَواحي الزّاب والتّلول دونَه، وأكْثرُ وُثوقِه في ذلك بيعقوب بن عليّ وقَوْمِه الذَّواوِدَة، وقد مَرَّ طَرَفٌ من أَخْباره مَبْثوثًا في أَخْبار الدّوْلَة. وكان ابنُ يَمْلُول قد آوَى

(أ) ظ: ابنه (ب) ظ: بانقاد.

إلى بلَدِه واتّخذ وَكْرًا في جوّه، وأَجْلب على تَوْزر مِرارًا برَأيِه ومَعونَتِه، فأَحْفظ(أ) ذلك السُّلطانَ ونبّه له عَزائِمَه. ثمّ نهَض سنةَ ستٍّ وثمانين يُريد الزّابَ بعد أن جمعَ الجُموعَ واحْتَشَد الجنودَ واسْتَألَف العربَ من بَني سُلَيْم، فسارُوا معَهُ وأَوْعَبوا، ومرّ على فَحْص تبِسَّةَ، ثمّ خرجَ من طَرَفِ جَبل آوْرَاس إلى بَلد تَهُودَا من أعْمال الزّاب. واعْصَوْصَبَ الذّواوِدَةُ ومن تَبِعَهُم من قَبائل رياحٍ على الـمُدافَعة دُونَ بِسْكِرَة والزّاب غَيْرَةً من بني سُلَيْم أن يَطْرُقُوا أَوْطانَهم أو يَرُودُوا(ب) مَراعِيَهم إلاّ بَني سِباع بن شِبْل من الذّواوِدَة فإنّهم تَحيّزُوا إلى السُّلطان. واسْتَنْفَر ابنُ مُزْنِي حُماةَ وَطَنِه ورَجّالَةَ قَوْمه من الأَثْبَج، فغَصَّتْ بِسْكِرَةُ بجُموعِهم. وتَوَاقَفَ الفَرِيقان ونَاوَشَهُم السّلطانُ القِتالَ أيّامًا، وهو يُراسِل يعقوبَ بنَ عليّ ويَسْتَحِثُّه لما كان يُطْمِعُه به من الـمُظاهَرَة على ابن مُزْنِي، ويعقوبُ يُخادِعُهُ بانْحرافِ قَوْمِه عنه وائتِلافِهم على ابنِ مُزْني، ويُرَغِّبُهُ / في قَبول طاعَتِه ووَضْعِ أَوْزار الحَرْب مع رِياحٍ [349أ] حتّى تَتَمكّنَ(ج) له فُرْصةٌ أُخْرى، فتقبّل السُّلْطانُ نَصيحتَه في ذلك وأَغْضَى لابْنِ مُزْني ولرياحٍ عنْها، وقَبِلَ طاعَتَه وضَريبَتَه المغْلُومَة وانْكَفَأَ راجِعًا، ومرّ بجَبَل آوْرَاس(د) ثمّ إلى قُسُنْطِينَةَ، فأَرَاحَ بها أيّاماً ثمّ ارْتَحل إلى تُونِس، فوصَلَ إليْها مُنْتَصَفَ ستٍّ و ثَمانين.

(أ) ظ ف: فأحفض (ب) ف: يردوا (ج) ف: يتمكن. ظ: مهملة (د) في ظ ضبط للمرة الأولى: أَوَرَاس.

## 186 • حركةُ السُّلطان إلى قابِس.

كان السُّلْطانُ قد فتَحَ مدينةَ قابِس سنةَ إحْدَى وثمانين وانْتَظَمَها في أعْمالِه، وشَرَّد عنها بَني مكّي فذهبوا إلى نَواحي طَرابُلُس، وهَلَكَ كبيرُهم عبدُ الملك وعبدُ الرّحمن ابن أخيه أحْمد وذَهب ابنُه يحيي إلى الحجّ وأقامَ عبدُ الوهّاب في زَنْزُور، ثمّ رَجعَ إلى جِبال قَابِس يحَاوِلُ على مُلْكها. واسْتَتَبَّ له ذلك بوُثوب جَماعةٍ من أهْلِ البلَد بعامِلِها يوسف بن الأبّار - من صَنائِع السُّلْطان - [لِقُبْح][أ] إيالَتِه وسُوءِ سِيرَته. فدَاخَلُوا جماعةً من شِيعة ابنِ مَكّي في ضَواحي قَابِس وقُرَاهَا ووَاعَدُوهم، فجَاؤُوا لميعادِهم وعبدُ الوهّاب معَهم واقْتَحَمُوا بابَ البلَد وقَتلُوا البَوّابَ، ثمّ قَصدُوا ابنَ الأبّار فقَتلُوهُ في مَسْكَنِه سنةَ ثِنْتَيْن وثمانين. وملَك عبدُ الوَهّابِ البلَدَ واستقَلَّ بها كما كانَ سلَفُه. وجاءَ أخوهُ يحيي من المَشْرق فأَجْلَب عليه مِرارًا يَرُوم مُلْكَ البلَد منه فلَم يتَهَيَّأْ له ذلك. ونزلَ على صاحِب الحَامّة وأقامَ عنْدَه يحَاوِلُ أمْرَ البلَد منها، فبَعثَ عبدُ الوَهّاب إلى صاحِب الحَامّة وبذَلَ له المالَ أن يُمَكِّنَهُ منه فبعث *إليه به*[ب] فاعْتَقَلَه بقَصْر العَرُوسَيْن. وأقامَ يُرَاوِغُ السّلطانَ عن الطّاعَة ويَبْذِلُ مالَه في أعْراب الضّاحِية من دَبّابٍ وغَيْرِهم للمُدَافَعة عنه، ومنَعَ الضَّريبَةَ التى كانوا يُؤَدُّونهَا للسُّلطان / أيّامَ طاعَتِهم، والسُّلْطانُ مَشغولٌ عنهم بمُهِمِّهِ. فلَمَّا فرغَ من شَواغِله بإفريقيّة والزّاب نَهضَ إليْه سنةَ سَبْعٍ وثمانينَ، بعد أن اعْتَرَضَ عَساكِرَه واسْتَأْلَفَ من العَرَب أَوْلياءَهُ وسَرَّبَ فيهم عَطَاءَهُ. ونزلَ على قابِس وقد اسْتَعَدَّ لَها

[349 ب]

(أ) ظ: بفتح (ب) سقط ما بين النجمين من ف.

وجَمعَ الآلاتِ لحصارِها، فاكْتَسح نَواحِيها وجَثَمَ[أ] علَيها بعَساكِره يُقَاتِلُهَا، ويَقْطَعُ نَخِيلَها حتّى أعادَ الكثيرَ من أَلْفافها بَرَاحًا، وتَموَّجَ الهواءُ في ساحَاتِها فَصَحَّ بَعْدَ أنْ كانوا يَسْتَوْخِمُونَه، لاحْتِقَانِهِ بَيْنَ الشّجَر وفي مُتَكاثِف الظّلال وَمَا يَلْحَقُهُ بذلك من التَّعفُّنِ، فذَهَب عنها ما كان يُعْهَدُ فيها من ذلك الوَخَم، رَحْمَةً من الله أصابَتْهم من عَذابِ هذا السّلْطان. [من البسيط]

وَرُبّمَا صَحَّتْ الأَجْسامُ بالعِلَلِ[1].

ولَمّا اشْتَدَّ بهم الحِصارُ وضاقَ المخْنَقُ، وظَنَّ ابنُ مَكّي أنّه قد أُحِيطَ به، اسْتَعْتَبَ للسُّلْطان واسْتَأْمَنَ، فَأَعْتَبَهُ وَأَمَّنَهُ، وَرَهَنَ ابْنَه على الطّاعَة وأداءِ الضَّريبَة، وأَفْرجَ عنه السُّلطانُ، وانْكَفَأَ راجعًا إلى تُونِس، واسْتَقامَ ابنُ مَكّي حَتّى كانَ من تَغَلُّبِ عَمّه يحيى علَيه ما نَذْكُرُه.

## 187 • رُجوعُ المُنْتَصِر إلى وِلاَيَته بتَوْزَر، ووِلايةُ أخيه زَكَرِيّاءَ على نفطة ونفزاوَة.

كانَ العربُ أيّامَ ولاية المُنْتَصِر بتَوْزَر قد حَمِدُوا سِيرَتَه وأَصْفَقُوا على مَحبّته والتّشيُّع له، فلَمّا رجعَ السّلطانُ عن قابِس رَغِبُوا إليه في طريقهم أن يُوَلِّيَ المُنْتَصِرَ على بِلاد الجَريد كما كان، ويَرُدَّهُ إلى عَمَله بتَوْزَر، وتَوَلَّى

(أ) ف: ختم.

(1) عَجُزُ بيتٍ من قصيدة للمتنبي في مَدْح سيف الدّولة، وصدر البيت: (الديوان 331)
لعلّ عُتْبك محمودٌ عواقِبُه     فربّما صحّت الأجسامُ بالعِلَلِ

ذلكَ بَنو مُهلْهِل، وأَرْكَبُوا نِساءَهُم الظّعن في الهوادِجِ واعْتَرَضُوا بهنّ السُّلطانَ سَافِرَاتٍ مُوَلْوِلاَتٍ دُخَلاَءَ عليه في إعادَة الـمُنْتَصر إلى تَوْزَر، لِمَا لهم فيه من المصالح، فَقَبِلَ السّلْطان وَسيلَتَهُنَّ وأعادَهُ إلى تَوْزَر، وَنَقَل ابْنَه زكَرِيّاءَ إلى نَفْطَة، وأَضاف إليها عَملَ / نَفْزاوَة، فسارَ إليها واسْتَقَلَّ بعَمَله، وأَظْهَرَ [350] من الكِفايَةِ والاضْطِلاعِ ما تَحدَّث به النّاس عَنه، وكانت[أ] وِلاَيتُهما أوّلَ سَنَةِ تِسْعين.

## 188 • فِتْنَةُ الأَمير إبراهيم صاحب قُسُنْطينَة مع الذَّواودَة، ووفاةُ يَعْقوب بنِ عليّ، ثمّ وفاةُ الأمير إبراهيم إثْرَها.

كان للذّواوِدَة بقُسُنْطِينَة عَطاءٌ مَعْلوم مُرَتّب على مَراتِبهم، زيادةً لما بأَيْديهم من البِلاد في التّلُول والزّاب بإِقْطاع السُّلْطان، وضاقَ نِطاقُ الدّولَة لهذه العُصور فضاقَتِ الجِبايَةُ. وصارَ العربُ يَزْدَرِعُونَ الأَراضِيَ في بلادِهم بالتّلُول ولا يَحْتَسِبُونَ بمَغارِمِها فَيَضِيقُ الدَّخْلُ، ويَمْنَعُهُم السُّلْطانُ العَطاءَ من أجْل ذلك، فَتَفْسُدُ طاعَتُهم وتَنْطَلِقُ بالعَيْثِ والنَّهْب أَيْديهم.

ولـمّا رجعَ الأميرُ إبْراهيم من حَرَكَتِه في رِكاب أبيه إلى قابس، وكانَ منذُ أعوامٍ يُنْقِصُ من عَطائِهم[ب] لذلِكَ ويُعَلِّلُهُمْ بالمواعِد؛ فلمّا فَصَلَ[ج] من قابِس اجتمعوا إليه وطلَبوا منه عطاءَهم، فتعَلّلَ عليهم، وجاءه يعقوبُ بن عليّ مرجَعَه من الحجّ، وأشارَ عليه بإنْصاف العَرَب[د] من مَطالِبهم فأَعْرَضَ عنه، وارتَحلَ لبَعْض مَذاهِبه وتَرَكَه. ونادَى في العَرَبِ بالفِتْنَة معه يَرُوم

(أ) ف: وكان (ب) ف: عطاياهم (ج) ف: فقل (د) ف: الحرب.

اسْتِئْلافَ أَعْدائِه، فأجابَه الكثيرُ من أَوْلادِ سِباعِ بنِ شِبْلٍ وأولادِ سِباعِ ابن يحيى وبَادِيتِهم من ذُوبَان رِياحٍ. وخرجَ يَعقوبُ من التَلّ فنزلَ على نَقَاوُس فأَقامَ بها، وانطَلَقتْ أَيْدي قَوْمه على تُلول قُسُنْطِينَة بالنَّهْب وانتِسافِ الزّرُوع حتّى اكْتَسَحوا عَامَّتَها ولَحِقوا به مَالِئِي اليَدِ مُثقَلِي الظَّهْرِ. ثمّ طَرَقَه المَرَضُ فهلَكَ سنةَ تِسْعين، ونَقَلُوا شِلْوَهُ إلى بِسْكِرَة فدَفَنوه بها، وقام مكانَه في قومه ابنُه مُحمّد، واسْتَمَرَّ على العِصْيان، / وصَعِدَ إلى التَلّ [350 ب] في مُنْتَصَف[أ] إحدَى وتِسْعين. واسْتَأْلَفَ الأميرُ إبراهيم أَعْداءَهُ من الذَّواودة وأحْلاَفِها من البادية، وجنَح إليه أبو ستّة بن عُمَر أخي يَعْقوب ابن عَليّ بمن مَعَهُ من أولاد عائِشة أمّ عُمَر، وخالَفَهُ أخوهُ صمّيت إلى مُحمّد بنِ يَعْقوب. ثمّ تحارَبوا مع الأمير إبراهيم فهزَموهُ، وقُتِلَ أبو سِتّة.

ثمّ جمعَ السّلطانُ لحَرْبِهم ودَفَعهم عن التّلول ومَنَعهم من المَصيف[ب] عامَهُمْ ذلك، وانحَدَروا إلى مَشاتِيهم وعَجَزوا بعْدَها عن الصُّعود إلى التّلول، وقَضَوْا مَصيفَهم عَامَهُمْ ذلك بالزّاب، وانحدَروا منه إلى المَشاتِي. فلَمّا رَجعوا من مَشاتيهم وقَدْ فَقَدُوا المِيرَةَ انْطَلَقتْ أَيْديهم على نَواحي الزّاب فانْتَسَفُوا زُروعَه، وكادَ[ج] أن يَفْسُدَ ما بَيْنَهم وبَيْن ابن مُزْنِي مُظَاهِرِهِم على تلْك الفِتْنَة. ثمّ ارْتَحلوا صاعِدين إلى التُّلول، وقد جمع الأميرُ إبراهيم لدِفاعِهم عنه. وبَيْنَما هو في ذلك أَلَمَّ به طائِفٌ من المَرَض فتُوُفِّيَ سنةَ ثِنْتَيْن وتِسْعين، وافْتَرقَتْ جُموعُه.

(أ) ظ: مصف (ب) ظ: المصنف (ج) ف: كان.

وأَغَذَّ مُحمّد بن يَعْقوب السّيْرَ إلى نَواحي قُسُنْطِينَة فاحْتَلَّ بها مُظْهِرًا للطّاعَة مُتَبَرِّئًا من الخِلاف، ونادَى في أَهْل البِلاد بالأَمان والعِمارَة، فَصَلَحَتْ أحوالُ الرّعايا والسّابِلةِ، وبَعثوا إلى السّلطان بتُونِس مُسْتَأْمِنين مُسْتَعْتِبين، فأَمَّنَهُمْ وأَعْتَبَهُمْ. وأقامَ بقُسُنْطِينَة مَكانَ ابنِه إبراهيم ابنَه ....(أ)، وبعثَ من حَضْرَته مُحمّدَ ابنَ مَوْلاهُ بَشير لكَفالَتِه والقيامِ بدَوْلَته، فقامَ بأَمْرِها، وَصَلَحَتِ الأَحْوالُ.

## 189 • مُنازَلَةُ نَصارَى الفِرَنْج للمَهْدِيّة.

كانَتْ أُمّةُ الفِرَنْج وَراءَ البَحْر الرّوميّ في الشّمال قد صارَ لهم تَغَلُّبٌ ودَوْلَةٌ بعد انْقِراضِ دَوْلة الرُّوم، فمَلَكوا جَزائِرَهُ مثلَ دانِيَة وسَرْدانِيَة ومَيُورْقَة وصِقِلِّيَّة، وملأَتْ أَساطيلُهم فضاءَه، ثمّ تَخَطَّوْا إلى سواحِل / الشّام وبَيْتِ المَقْدِس فمَلَكوهَا، وعادَتْ لهم سَوْرَةُ الغَلَبِ في هذَا البَحْر بعد أن كانت سَوْرَةُ المسْلِمينَ فيه لا تُقاوَمُ إلى آخر دَوْلة المَوحّدين بكَثْرَة أَساطِيلِه ومِرانِ راكِبيهِ، فَغَلَبَهُمُ الفِرَنْجُ وعادَتِ السَّوْرَةُ لَهم، وزاحَمَتْهم أساطيلُ المَغْرب لعَهْد بَني مَرين أيّامًا. ثمّ فشلَ رِيحُ الفِرَنْجَةِ واخْتَلَّ مَرْكَزُ دَوْلَتِهم بإفْرِنْسَة، وافْتَرَقَت طَوائِف في أَهْل بَرْشلونة وجِنْوَة والبَنادِقَة وغَيْرِهم من أُمَمِ الفِرَنْجَة النّصْرانِيّة، وأَصْبحوا دُوَلاً مُتَعَدِّدَة، فَتَنَبَّهَتْ عَزائِمُ كَثيرٍ من المسْلمين بسَواحل إفريقيّة لغَزْو بِلادِهم، وشرَعَ في ذلك أهلُ بِجايَة منذُ ثَلاثين سنَة، يتَجَمَّعُ(ب) النفَرُ أو الطّائفة من غُزاةِ البَحْر، ويَصْنَعُون الأُسْطولَ(ج)، [351أ]

(أ) موقع للاسم، فارغ في الأصلين (ب) ف: فيجتمع (ج) ظ: الاصطول.

ويَتَخيَّرُونَ له أبطال الرّجال ثمّ يَرْكَبُونَه إلى سَواحل الفِرنْجَة وجَزائِرهم على حين غَفْلَة، فيَتَخَطَّفُونَ[أ] منها ما قَدَرُوا عليه، ويُصادِمُون ما يَلْقَوْنَ من أساطيل الكَفَرَة، فيَظْفَرُونَ بها غَالِبًا ويَعودُونَ بالغنائِم والسَّبْي والأَسْرى، حتّى امْتَلأتْ سواحِلُ الثُّغور الغَرْبيّة من بِجاية بأَسْراهم تَضِجُّ طُرُقُ البَلَد بِصَخَبِ السّلاسِل والأَغْلال عندَما يَنْتَشِرون في حاجَاتِهم، ويُغالُونَ في فِدائِهِمْ بما يَتَعَذَّرُ معَه أو يكادُ، فشَقَّ ذلك على أُمَم الفِرنْجَة وملأَ قُلوبَهم ذُلّاً وحَسْرَةً، وعَجَزوا عن الثّأرِ به، وصَرَخُوا على البُعْد بالشَّكْوى إلى السُّلطان بإفْريقيَّة فَصَمَّ عن سَماعها، وتَطارَحُوا بيْهم وثُكْلَهُمْ فيما بَيْنَهم، وَتَداعَوْا لِنِزال المُسْلمينَ والأَخْذِ بالثَّأْرِ منْهم. وبلَغ خَبَرُ اسْتِعْدادِهم إلى السُّلْطان فسَرّحَ ابنَه الأميرَ أبا فارس يَسْتَنْفِرُ أَهْلَ النَّواحِي ويَكُونُ رَصَدًا للأُسْطول هنالِك. واجْتَمَعَتْ أَساطيلُ جِنْوة وبرْشَلُونَة ومَنْ وَرَاءَهم أو يُجاوِرُهُمْ من أُمَمِ النَّصرانية، وأقْلَعُوا من جَنْوَة فحَطّوا بمَرْسَى المَهْدِيَّة مُنتصفَ ثِنْتَين وتِسْعينَ، وطَرَقُوها على حين غَفْلَةٍ، / [351 ب] وهي على طَرَفٍ من البَرّ داخلٍ في البَحْر كأنّه لسانٌ دَالِعٌ[1]، فأَرسَوْا عنْدَها، وضَرَبُوا عند أوّل الطَّرَفِ سُورًا من الخَشَبِ بَيْنَه وبَيْن البَرّ، حتّى أَصارُوا المَعْقِلَ في حُكْمِهم، وعَالَوْا عليه بالأَبْراج وشَحَنُوها بالمُقاتِلَة ليَتَمَكّنُوا من قِتال البلَد ومَن يَأْتيهم من مَدَدِ المُسْلِمين، وصنعُوا بُرْجا من الخَشَبِ من جِهَة البَحْرِ يُشْرِفُ على أَسْوار المَعْقِل لتَعْظُمَ نِكايتُهم. وتَحَصَّنَ أهلُ البلَد، وقَاتَلوهُمْ

(أ) ف: فيتخطون.

(1) دَلَعَ الرّجلُ لسانَه وأدْلَعهُ: أخرجَه من العطش.

صابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ، وتوافَتْ إليهم الأَمْدادُ من نَواحي البلَد فحالَ دُونَهم الفِرِنْجَةُ. وبَلَغَ الخَبَرُ إلى السُّلطان فأَهَمَّهُ أَمْرُها، وسَرَّح العساكِرَ تَتْرَى إلى مُظاهَرَتِهم. ثمّ خرجَ أخوهُ الأَميرُ أبو يحيى زكرِيّاءُ وسائِرُ بَنيه فيمَنْ حَضَرهُ من العَساكِر، فانطَلَقوا لجِهاد هذا العَدُوّ، واسْتَنْفَرُوا المُقاتِلَةَ من الأَعْراب وغَيْرِهم. فاجْتَمعتْ بساحَتِها أُمَمٌ، وأَلَحُّوا على الفِرِنْجَة بالقِتال ونَضْحِ السِّهامِ حتّى أَجْحَرُوهُمْ[أ][1] في سُورِهم.

وبَرَزَ الفِرِنْجَةُ للقِتال، فكان بينهم وبين المسلمين جَوْلَةٌ جَلَّى فيها أبناء السلطان، وكاد الأميرُ أبو فارس منهم أن يتورَّطَ لولا حماية الله التي وَقَتْهُ، ثمّ تدارَكَتْ عليهم الحِجارةُ[ب] والسِّهامُ والنَّفْطُ من أَسْوارِ البلَد فاحْتَرَقَ البُرْجُ المُطِلُّ عليها من جهة البَحْر، فَوَجَمُوا[ج] لحَرِيقِه، ثمّ رَكِبُوا من الغد أَسْطولَهم[د] وأَقْلَعُوا إلى بِلادِهم.

وخَرَجَ أهلُ المَهْدِيَّة يَتَبَاشَرُون بالنّجاة ويَتَنَادَوْنَ بشُكْرِ الأُمَراءِ على ما اعْتَمَدوهُ في نَصْرِهم ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية 25]. وأَمَرَ الأميرُ أبو يَحْيى بِرَمِّ ما تَثَلَّمَ مِنْ أَسْوارِها ولَمِّ ما تَشَعَّثَ مِنْها، وقَفَلَ إلى تُونِس وقَدْ أَنْجَحَ اللهُ قَصْدَهم وأَظْهَرَهم عَلَى عَدُوِّهم.

(أ) ف: أجحزوهم (ب) ف: الحجار (ج) ف: فرجموا (د) ظ: اصطولهم.

---

(1) أجحَرَه: ألجأَهُ لدخول الجُحْر.

# 190 • انْتِقاضُ قَفْصَة وحِصارُها.

كانَ السُّلْطان أبو العبّاس قَدْ وَلَّى على قَفْصَة عِنْدَمَا مَلَكَها ابْنَهُ / [352أ] الأميرَ أبَا بَكْر(أ)، وأَقامَ في خِدْمَته من رجال دَوْلَتِهم عبدَ الله التّريكي من مَوالي جَدِّهم السّلطان أبي يحيى، فانْتَظَمَ به أَمْرُه. وأَقام بها حَوْلاً ثُمّ تجافَى عن إمارَتها، ولَحِقَ [بأبيه](ب) بتُونِس سنة ثِنْتين وثمانين، فجَعَلَ السّلطانُ أمرَ قَفْصَة لعبد الله التّريكي ووَلاَّه عليها ثِقَةً بغَنائِه واضطِلاعه. ولم يَزَلْ وَالِيًا بها إلى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ أربعٍ وتِسْعين، ووَلَّى السُّلطانُ مكانَه ابْنَه مُحمّدًا وكان له إخوةٌ أصاغر أبناءُ عَلاَّتٍ(1) فنَافَسُوهُ في تلك الرّتْبَة وحَسَدوهُ عليها، ۞ وأَغْرَاهُمْ به مُحمّد الدُنَيْدن(ج) من قرابَة أحْمد بن العابد، كان يَنْظُر في قِسْمَةِ الماء بالبَلَد، وكان فيها عَدْلاً ومُعَقِّلاً، فلَم تَطْرُقْهُ النَّكْبَةُ كما طَرَقَتْ قَوْمَهُ، وأَبْقاهُ السّلطان بالبَلَد، فَأَغْرَى هَؤُلاءِ الإخْوةِ بأَخيهم۞(د) [وَوَثَبُوا به فاعْتقَلوه وأظهروا العصيانَ. ثمّ شَعَروا من أَنْفُسِهم بالعَجْز عن ضَبْط البَلَد فاستَدْعَوْا ........ من بني العابد، كان قد انْتَبَذَ عن قفصَة أيّام نكبتِهم وأبعَدَ في الغرب، ثمّ رجَعَ ونزلَ بأطراف الجبال ناجيًا بنَفْسه، فاستَدْعَوه وأقاموه مكانَ ابن العابد رئيسَ قَفْصَة، واجتمَعَت عليه المشيخةُ وانعقدت له الإمْرَة](هـ) ثمّ حَمَلَهُ أَعْيَانُ البلَدِ على البَراءَة من بَني عبد الله التّريكي اسْترابَةً بِهِم أن يُراجِعُوا طاعَةَ السّلطان، فَتَوَثَّبَ بِهِمْ وأَخْرَجَهم(و)

(أ) ف: أبا زكرياء (ب) من ف. ظ: بابنه (ج) الضبط من ظ (د) سقطت الفقرة المحصورة بين النجمين من ف (هـ) زيادة انفردت بها ف. وسقطت من ظ (و) ف: فتقبض عليهم واستصفاهم.

---

(1) أبناء عَلاّتٍ: بنو أُمهاتٍ شتّى من رجُل واحدٍ. الواحدُ عَلّةٌ وهي الضَّرّة.

واسْتَصْفَاهُمْ، واسْتَقلَّ برئاسَة البَلَد كما كانَ قومُه. والسّلطانُ في خلال ذلك يُرْعِدُ ويُبْرِقُ، ويُواصِلُ الإعْذَارَ والإنْذارَ، وهم قد لَجُّوا في طُغْيانِهم. ثُمَّ جمعَ جُنودَهُ واحْتَشدَ، واسْتَأْلَفَ الأَعْرابَ ووَفّر لهم الأَعْطِيَات. ونَهض إليها حتّى نَزَلَ بساحَتِهَا مُنْتصفَ خَمْسٍ وتِسْعين، وقد اسْتَعَدَّ وَتَحَصَّنُوا * فَأَلَحَّ عليهم *[أ] بالقتال، وأذاقَهم النّكالَ، وقَطَعَ عنهم المِيرَةَ فَضَيَّقَ مُخَنَّقَهم، ثم غَدَا على نَخْلِهم يَقْطَعُهَا حتّى صَرَعَ جُذوعَها وفَسحَ المَجَالَ بَيْنَ أَلْفَافِها.

ولمّا اشتدَّ بهم الحِصارُ وضاقَ عليهم المُخَنَّق، * خَرَجَ شَيْخُهُم الدُنَيْدنُ إلى السّلطان يَعْقِدُ معه صُلْحًا على بَلَده وقَوْمه، فغَدَرَ به وحَبَسَهُ رَجَاءَ أن يَمْلِكَ بذلك البَلَدَ. وكان بعضُ بني العابد واسْمُه عُمَرُ قد انْتَبَذَ عن قَفْصَةَ أيّامَ نَكْبتهم، وأبْعَدَ في المَغْرب، ثمّ رجعَ ونَزلَ بأطْرَاف الزّاب. ولـمّا اسْتقلّ الدُنَيْدِنُ بقَفْصة / [352 ب] قَدِمَ عليه فأقامَ معه أيّامًا ثمّ اسْتَرَابَ به وتَقَبَّضَ عليه وحَبَسَه. فلَمّا غدَر به السُّلطان، اجتمعت عليه المشيخَةُ وعقَدوا له الإمْرَة *[ب] وبَعَثُوا إلى العَرب يَسْتَرْحِمُونَهُمْ ويُعَطِّفُونَهُمْ على ذَخيرتِهم فيهم، وسَرّبوا إليهم الأَمْوالَ. فتَصَدّى للدّفاع عنهم صَوْلَةُ بنُ خالِد بن حَمْزة أميرُ أَوْلاد أبي اللّيل، وزَحَفَ إلى السُّلْطان بمُعَسْكَرِه من ظاهِر البَلَد، وكان أَوْلياؤه من العَرَب قد أَبْعَدُوا عنه في الجِهات لانْتِجاع إبلِهم، فما رَاعَهُ إلاّ إطْلالُ صَوْلَةَ برَاياتِه في قَوْمِه، فأَجْفَل واتّبعوهُ، وما زالَ يكُرُّ علَيْهم في بَنِيه وخَواصِّهِ حتّى رَدَّهم على أعْقابِهم. وأَغَذّ السَّيْرَ إلى تُونِس وهم في اتّباعِه ولم يَظْفِرُوا منه بعِقال، إلاّ ما كانَ من طَعْنِ القَنَا ووَقْعِ السّيوفِ، حتّى وَصلَ إلى حَضْرَته.

(أ) موقع ما بين النجمين فراغ في ف (ب) سقط ما بين النجمين من ف.

ثُمّ نَدِمَ صَوْلَةُ على ما كانَ منه، وراسَلَ السُّلْطانَ بطاعَتِه فلَمْ يَقْبَلْهُ، وانْحدَرَ إلى مَشَاتِيه سنةَ ستٍّ وتِسْعين، واستدْعَى ابنَ يَمْلُول من عُشّ نِفاقِه بِبِسْكِرَة فَخَفَّ إليْه، ودَفَعهُ إليها بِتِرْبِه في الغَيّ أحْمَدُ بن مُزْني صاحبُ الزّاب. ووَصلَ ابنُ يَمْلول إلى صَوْلَةَ فأغْرَاهُ بِحِصارِ تَوْزَرَ، ونَزَلَ معَه عليها بقَوْمِه، فجَلّى الأَميرُ المُنْتَصِرُ ابنُ السّلطان في دِفاعِهم والامْتِناعِ عليهم [حتّى] يَئِسُوا، واضْطَرَبَتْ آراؤُهم، وأَفْرَجوا عنها مُفْتَرِقين. وصَعِدَ صَوْلَةُ إلى التّلالِ للمَصيف به، وعاودَ الرَّغْبَةَ من السّلطان في قَبول طاعَتِه. *وكانَ محمّدُ الدُنَيْدنُ لـمّا أَجْفَلَ السُّلطانُ عن قفْصَة تركَهُ بتلْك النّاحية، / فلَمّا وصَل إلى تُونِس راسلَ أهلَ قفصة في الرُّجوع إليْهم فأجابَهُ بعضُ أشْياعِه، ودخلَ البلَدَ فنذر به عُمَر بن العابِد وكَبَسَهُ بمَكانِه الذي نَزلَ به، وقَتَلَه، واستَبَدّ بمَشْيَخَةِ قَفْصَة*(أ). وخَشِيَ أَهْلُ قَفْصَةَ من غَائِلَةِ السّلطان وسُوءِ مَغَبَّةِ العِصْيان، فبَعثوا إلى السُّلْطان بطاعَتِهم، وشَرط علَيْهم نُزُولَ عامِلِه عنْدَهم. [353أ]

وهذا آخرُ ما بَلَغَنا عنهم، ولم يَبْلُغْنا أنّه عَقَد لَهم ولا لِصَوْلَةَ أَمْرًا. والله يُصَرِّفُ الأمورَ بحِكْمَتِه.

(أ) سقط ما بين النجمين من ف.

## 191 • وِلايَةُ عُمَرَ(أ) بنِ السُّلْطانِ على سَفاقُس، واسْتِيلاؤُهُ مِنْها على قابِس وجَزيرةِ جِرْبَة.

هذا الأميرُ عُمَرُ ابنُ السّلْطان، هو شَقيقُ إبراهيم الذى كان أميرًا بِقُسَنْطِينَةَ، وكانَ في كَفالَةِ أخيه إبراهيم، فلمَّا تُوُفِّيَ - كما مَرّ - لَحِقَ بالسُّلْطان أبيه وأقامَ عنْدَه. ولـمَّا كانَ من وَفاةِ أبي بَكْر بن ثابت شَيْخِ طَرابُلُس ما قَدّمْناهُ، واضْطَرَب قَوْمُه من بَعْده، ونَزَعَ قائدُهم قاسِمُ بنُ خَلَف إلى السّلطان، فبَعَثَ معه ابْنَهُ عُمَرَ هذا سنةَ ثِنْتَيْن وتِسْعين لِحِصار طَرابُلُس، وأقامَ علَيْها حولاً كَرِيتًا(1) يُحاصِرُها ويَمْنَعُ الأَقْوات عنْها حتّى ضَجِروا وضَجِرَ من طُول المُقامَةِ، فدَافَعوهُ بالضَّريبَة، وانْكَفَأَ رَاجِعًا إلى أَبيه سنةَ خَمْسٍ وتِسْعين. ووَافاهُ جاثِمًا(ب) على قَفْصَة عِنْدَما انْتَقَضوا علَيه، وقدكان مَرّ في طَريقِه على جِرْبَة وأرادَ الدُّخولَ إليها، فَمَنَعَهُ عامِلُ أَبيه بها من المَوالي المَغْلوجى(ج)، فأَنِفَ من ذلك وشَكَاهُ إلى أَبيه فولاّه على سَفاقُس، ووَعَدهُ بولايةِ جِرْبَة. فسار هو إلى سَفاقُس، وأَجازَ البَحْر إلى جَزيرَة جِرْبَة، وانْضَمَّ إليه جميعُ من بها من القَبائل، وامْتَنَعَ العِلْجُ مَنْصور العامِل بِحِصْنها المسمّى بالقِشْتيلِ(د) - بلسان الفِرنْج - حَتَّى كاتَبَ السلطانُ / وأَمَرَهُ بتَمْكين ابنِه من الحِصْن والإفراجِ له عن الجَزيرة أَجْمَعَ، فاسْتَبَدَّ بها. [353 ب] ثُمّ أنَّ الأميرَ عُمَرَ(هـ) سَما إلى مُلْكِ قابِس، فدَاخَلَ أَهْلَ الحامّة جارتِها(و)

(أ) اعتمدنا هذا الضبط كما ورد في ظ تاليا (ب) ف: خاثما. وخام: نكص وجَبُن (ج) ضبطها في ظ المغلُوجى (د) كذا في ظ بكسر القاف (هـ) كذا ضبط في ظ (و) ف: خارجها.

(1) حولاً كَريتًا: حولاً تامًّا.

المُجْلبَةِ علَيها على الأيّام في ذلك، وأَجابُوهُ وسَارُوا معه بجُموعِهم سنةَ ستٍّ وتِسْعين [فَبَيَّتَهَا][أ] وملكَها، وقبضَ على رَئِيسِها يَحْيى بن عبد المَلِك بن مَكّي فضَرَبَ عُنُقَه. وانْقَرَضَ أَمْرُ بَني مَكّي من قَابِس، واسْتَقَلَّ بها الأَميرُ عمَرْ مُضافَةً إلى ما كان بيَدِه. واللهُ وارِثُ الأُمور.

## 192 • وَفاةُ السّلْطانِ أبي العبّاس، ووِلايَةُ ٱبْنه أبي فَارِسَ عَزّوز.

كان السّلطان أبو العبّاس قد أَزْمَنَ به وَجَعُ النّقْرِس حتىّ كانَ في غَالِب أَسْفاره يُحْمَل علَى البِغال في المِحَفّة، ثمّ اشتدّ به آخِرَ عُمُره، وأَشْرف في سَنةِ ستٍّ وتِسْعين على الهَلَكة. وكانَ أخوهُ زَكرِيّاء رَديفَه في المُلْك والمُرَشَّحَ بعْدَه للأَمْر، وابنُهُ مُحمّد والِيًا على بُونَة موضعَ إمارَتِه من قَبْل. وكان للسّلطان وُلْدٌ كثيرونَ يَتَطاوَلُونَ إلى مَكانِ أَبيهم وَيَغَصُّونَ[ب] بعمّهم زَكرِيَاء وَيَخْشَوْنَ غائِلَتَه بعْدَ أَبيهم. فلَمّا قارَبَ السّلطانُ مَنِيّتَهُ اشْتَدّ جَزَعُهم وإشْفاقُهم من عَمّهم.

وبَعثَ السّلطانُ كبيرَهم أبَا بَكْر بعَهْدِه على قُسُنْطِينَةَ، فسارَ إليها بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِه، واعْصَوْصَبَ البَاقُونَ على كَبِيرهم بَعْدَه أبي فارِسَ عَزُّوز، فَقَبَضُوا على عَمّهم زَكريّاء وقَدْ دخلَ يَعودُ أخاهُ وأَوْدَعوُه في بَعْض الحُجَر وَوَكّلُوا به. وهلَكَ السُّلْطان لثَلاثٍ بَعْدها فبَايَعُوا أَخاهُمْ أبا فارسَ رابِعَ شعْبان سِتٍّ [وتِسْعينَ][ج]. وجاءَ أهلُ البَلَدِ إلى بَيْعَته أفواجًا من الأَعْيان

(أ) ظ: فبنيها. ف: فبناها (ب) ف: يغصّون (ج) ظ ف: ثمانين، وهو خطأ. انظر أول الفصل 192، وتاريخ الدولتين 331.

والكافَّةِ فتمّت بيْعَته. وأمَر فنُقِلَ ما في بُيوتِ عَـمّه من الأَمْوَال والذّخِيرَة إلى قَصْره حتّى استَوْعَبَهَا، وضَيَّقَ علَيْه في مَحْبَسِه، وقامَ بتَدْبير مُلكه وسِياسَة سُلْطانه. ووَلّى بعضَ إخْوَانه على مَنابِرِ عَمَله بإفْريقيَّة، فبعثَ....(أ) على سُوسَة / [354] .........(أ) على المَهْديّة ورَدَفَ أخاهُ إسْماعيلَ في مُلكِه بتُونِس، وأَحلَّ الباقِين مَحلَّ الشُّورَى والـمُفَاوَضَة.

وبلَغ الخبَرُ إلى أَخيه الـمُنْتصر بتَوْزَر فاضْطَربَ أمرُهُ، ولَحِقَ بالحَامّة فأَقامَ بها، وكذلك أَخوهُ زكريّاءُ بنَفْطَة فلَحِقَ بجبال نَفْزَاوَة. وكان أَخوهُ أبو بَكْرٍ لـمّا سارَ إلى قُسَنْطينَة لولايَة أَبيه قُبَيْلَ وَفاتِه ومَرّ ببُونَةَ فلَقِيَهُ صاحِبُها الأميرُ محمّد ابنُ عَـمّه زكريّاءَ بما شَاءَ من أَنْواع الكَرامَة والـمَبَرَّةِ، ووَافَى قُسَنْطِينَة فطلَبَ منه القَائِمونَ [بها](ب) كتابَ السّلطان بعَهْده عليها، فأَقْرأَهُم إيّاهُ وفَتَحُوا له الأَبْوابَ، فدَخل واسْتَوَى على أَمْرها. وكان خَالِصَةَ السّلطان مُحمّدُ بنُ أبي هِلالٍ قد بَعثَهُ السّلطانُ قُبَيْلَ مَوْته إلى السّلطان أبي فارِسَ عبْد العَزيز، المتولّي بالـمَغْرب بَعْد وَفاة أَبيه السّلطان أبي العبّاس ابنِ السّلطان أَبي سَالِمٍ في صَفَر من شُهور السَّنَة، وحَـمّلَه من الهَدايَا والتُّحَف ما يَليقُ بأَمْثالِها. فسارَ فلمّا انْتَهَى إلى مِيلَة بلَغهُ الخَبَرُ بوَفاة السُّلْطانِ مُرْسِلِهِ، وأَوْعَز إليه الأميرُ أبو بكر من قُسَنْطِينَة بالرُّجوعِ إليه فرَجَعَ بهَدِيّته، واسْتَقرَّ عنْدَه هُنالك.

هذا آخرُ ما بلَغَنا من الأَخْبار الصَّحيحَة عَنْهم لهذه السّنين، وحالُهم علَى ذلك لهذا العَهْد. والـمُلْكُ بيدِ الله يُؤْتِيه من يَشاءُ.

(أ) فراغ لموقع الاسمين في ف. والنص مُتصل في ظ (ب) من ف.

[354 ب]

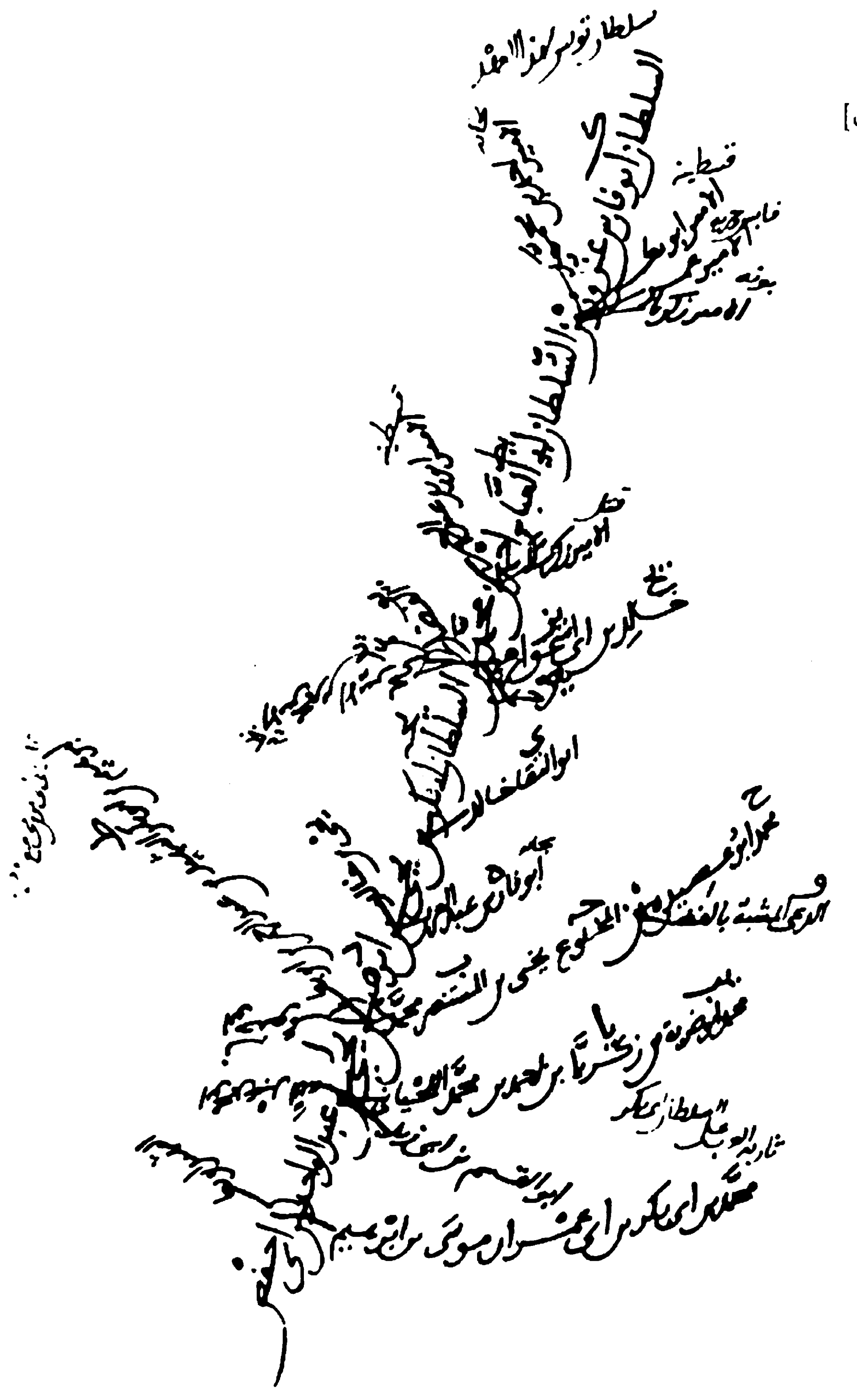


[ مشجر الحفصيين، أولاد عبد الواحد بن أبي حَفص]

## 193 • / الخبرُ عَنْ بَني مُزْني أُمراءِ بِسْكِرَة وما إِلَيْها من الزّاب. [355أ]

هذَا البَلَدُ بِسكِرةُ هو قاعِدَةُ وَطَن الزّاب لهذَا العَهْد، وحَدُّهُ من لَدُنْ قَصْر الدَّوْسن بالغرب إلى قُصور تَنومة وبادِس في الشّرق، يَفْصِلُ بَيْنَه وبين البَسيط الذي يُسمّونه الحُضْنَة جَبلٌ جاثِمٌ من المَغْرب إلى المَشْرق، ذو ثَنايَا تُفْضِي إليه من تلك الحُضْنَة، وهو جبل دَرَنْ[أ] المتَّصِلُ من أقْصى المَغْرب إلى قِبْلَة بَرْقة. ويَعْتَمِرُ بعضَ ذلك الجبل في مُحاذَاة الزّابِ من غَرْبِيّه بَقايا غَمَّرَتْ من زَناتَة. ويَتَّصِل من شَرْقِيّه بجَبلِ آوْراسْ المُطِلّ على بِسْكِرة المعترِضِ في ذلك البَسيط من القِبْلَة إلى الجَنوب، وهو جبلٌ مَشْهورُ الذّكْر يأْتي الخَبَرُ عن بَعْض ساكِنيه.

وهذا الزّابُ وطنٌ كبيرٌ يَشْتَمِلُ على قُرَى مُتعدِّدَة مُتجاوِرَة جَمْعًا يُعْرَفُ كلُّ واحدٍ منها بالزّابْ، وأوّلُها زاب الدّوْسَن، ثمّ زَابُ طُولْقَة ثمّ زَاب مليلي وزَاب بِسْكِرَة وزاب تَهودَا وزاب بادِس. وبِسْكِرَة أمّ هذه القُرَى كلِّها. وكانَتْ مَشيخَتُها في القَديم بعدَ الأغالِبَة والشّيعَة لعهد صِنْهاجَة ملوكِ القَلْعة في بني زمّان[ب] من أهلها بما كَثَرُوا ساكِنَها ومَلَكُوا عامّةَ ضِياعِها، كان لجَعْفَر بن أبي زمّان[ج] منهم صيتٌ وشُهْرَة، ورُبّما نَقَضوا الطّاعَة لعَهْد بُلُكّين بن محمّد بن حَمّاد صاحبِ القَلْعَة في سِنِيَ خَمْسين وأرْبع مائة، وضَبَطوا البَلَدَ وامْتَنَعُوا، وتَوَلّى كِبْرَ ذلك جعفرُ بن أبي زمّان[د].

(أ) ظ ف: دون (ب) من ظ. ف: زيان وتقدم في العبر 11: 386 رمان (ج) من ظ. ف: زيّان
(د) ظ: زمانه. ف: زمانة.

ونَازَلَتهم جُيوشُ صِنْهاجَة إلى نَظَرِ الوَزِير خَلَف بن أبي حَيْدَرة، من صَنائِع الدّولة، فاقْتَحمها عليهم واحْتَمَلَهم إلى القَلْعة، فقتَلَهم بُلُكِّين جَميعًا، وجعَلَهم عِظَةً لمن بَعْدَهم، وأصار أمْرَ الشّورَى لبَني سَنْدي[أ] مِنْ أهْلِهَا.

وكَانَ لعروسٍ منهم بعدَ ذلك خُلوصٌ في الطّاعة وانْحِياشٌ / إلى الدّولَة على حين تقَلَّص ظِلُّها وفَشِلَ رِيحُها وألْوَى الهَرَمُ بشَبابِها، وهو الذي فَتَكَ بالـمُنْتَصِر بنِ خَزْرُون الزّناتِي عندَ وُصولِه من المَشْرِق واجْتِلابِه على السُّلْطان بقَوْمِه من مَغْراوَةَ وأعْرابِ الأثْبَج وبَني عَدِيٍّ من بنى هِلالٍ. فَمَكَرَ به السّلْطانُ، وأقْطَعه ضَواحِيَ الزّاب ورِيغَة طُعْمَةً، ودسّ إلى عَروس في الفَتْكِ به، ففعَلَ كما قَدّمنا ذكرَه في أخْبار آل حَمّاد[1]. [355 ب]

وانقَرَضتْ رِئاسَةُ بَني سَنْدِي بانقِراضِ أُمَراء صِنْهاجة من إفْريقيّة، وجاءَتْ دولَةُ الـمُوَحّدينَ، والكَثْرَةُ والبَيْتُ بِبِسْكِرة لبني رمّان[ب]، وكانَ بَنو مُزْني لَفْقًا من لَفائِقِ الأعْراب، وَصلُوا إلى إفْريقيّة أحْلافًا لطَوالِع بَني هِلال بن عامِر في المائة الخامِسة كما قدّمْناهُ، ونَسَبُهم بزَعْمِهم في مَازِن من فَزارَة، والصّحيح أنّهم في لَطيفٍ من الأثْبَج، ثمّ من بَني جُرَيٍ[ج] بنِ عِلْوان بن مُحمّد بن لُقْمان بن خَليفَة بن لَطيف، واسْمُ أبيهم مُزنَة بن دَيفل بن مُحيي ابن جُرَيٍ، هكذا تَلَقَّيْتُه من بَعْض نَسّابة الهِلالِيّين، ويَشْهدُ لذلك الـمَوْطِنُ[د]، فإنّ أهل الزّاب كلّهم من أفاريق الأثْبَج، عجَزوا عن الظّعْن

(أ) كذا ضبط في ظ. وتقدم في العبر 11: 389 بكسر السين (ب) كذا في ظ ف (ج) كذا ضبطت في ظ. في ف: حري (د) ف: المواطن.

(1) كتاب العبر 11: 389

ونَزلُوا قُرَاهُ على منْ كان بها قَبْلَهم من زَناتة وطَوالِع الفَتْح، وإنَّما يَنْزَعُونَ عن هذا النَّسب إلى فَزارَة لِـمَا صارَ إليه أهلُ الأَثْبج بالزّاب من الـمَغْرَم والوَضائع، فيَسْتَنْكِفُون لذلك ويَنْتَسِبُون إلى غَرائِب الأَنْساب. وكانَ أَوّلُ نُزُلِهم بقَرْيةٍ من قُرَى بِسْكِرة، كانت تُعْرفُ بقَرْية حياس، ثُم عَفَوْا وتَأَثَّلُوا وأَخَذُوا مع أَهْل بِسْكِرَة بحَظٍّ وافرٍ في تَمَلُّكِ العَقار والـمِياه. ثمّ انْتَقَلوا إلى البَلَد واسْتَمْتَعُوا منها بالـمَنْزل والظِّلال، وقاسَموا أهلَها في الحُلْوِ والـمُرّ، وانْتَظَم كِبارُهم في أَرْبابِ الشُّورَى من الـمَشْيَخة. ثمّ اسْتَنْكَفَ بنو رمّان من انْتِظامِهم معَهم وحَسَدُوهُم ما آتاهم / اللهُ من فَضْله وحَذَرُوهُمْ على [356أ] أَنْفُسِهم، فاضْطَرَمَتْ بَيْنهم نارُ العَدَاوَة والإِحَنِ، وكان أَوّلُها الكلامُ والتَّرافُعُ إلى سُدّة السّلطان بتُونِس على حِين اسْتِقْلال آل أَبي حَفْصٍ بإفريقيَّة، ولعَهْد الأمير أبي زَكريّاء وابْنِه السّلطان المستنصر. ثمّ تَناجَزُوا الحَرْبَ وتَواقَفُوا بسِكَكِ المدينة، وكانَتْ صاغِيَةُ الدّولة مع بني رمّان لقَديمهم في البَلَد. ولـمّا خَرَجَ الأَميرُ أبو إسْحاق على أخيه مُحمّد الـمُنْتَصِر لأوّل بَيْعَتِه، ولَحِق بالذّواوِدَة من العَرَب، وبايَع له موسى بنُ محمد بن مَسْعود البلط أميرُ البَدْو يَوْمئذٍ، واعتمد به بِسْكِرَةَ وبِلادَ الزّاب، وأناخَ علَيْها بكَلْكَلِه كما قَدّمْناه، قامَ يومئذٍ فَضْلُ بنُ عَليّ بن أَحْمد بن الحَسن بن عليّ بن مُزْني بدَعْوَتِه، وأَعْلَنَ بينَ أَهْلِ البَلَد بطاعَتِه، واتَّبعُوهُ على كُرْهٍ، ثُمَّ عَاجَلَتْهُمْ عساكِرُ السُّلْطان وأَجْهَضَتْهُم على الزّاب، فاعْتَلَقَ فضلُ بنُ عليّ به واسْتَمْسَكَ بذَيْلِه، صَحِبَهُ في طَرِيقِه إلى الأَنْدَلُسِ وبدار غُرْبَته مِنْها إلى أَنْ هَلَكَ الـمُسْتَنْصِرُ أَخُوه، وهَيَّأَ اللهُ لَهُ مِنْ أَمْر الخلافة ما هَيَّأَ حَسْبَما ذكَرْناه.

ولَمّا تَمّ أمرُه واقتعدَ بتُونِس كُرسِيَّ خِلافته، عقدَ لفَضل بن عَليّ على الزّاب، ولأَخيه عبد الواحِد علَى بِلاد الجَريدِ رُعْيًا لأذِمّةِ خِدْمَتِهما وَذِكْرًا لإيلاَفِهِمَا في المَنْزِلِ الخَشِنِ وصُحْبَتِها. فَقَدِمَ[أ] وَاليًا على الزّاب ودخَل بِسْكِرة، واستَكَانَ بنو رمّان لصَوْلَتِه، وانقادُوا في مَرْضاة الدَّوْلَة إلى أمْره فلَمْ يَنْبِسُوا بكَلِمَةٍ في شَأْنِه، واضْطَلَع بتلْكَ الوِلَايَة ما شاءَ الله.

ثمّ كانَ شأْنُ الدَّعِيّ ابن أبي عُمارَة وتَلْبيسُه، ومَهْلَكُ السّلطان أبي إسْحاق على يَدِه، ثمّ ثأَرَ منه السّلطانُ أبو حَفْصٍ بأَخيهِ واسْتَرْجعَ ما ضاعَ من مُلْكِهم، وكلّ منهم يَثِقُ بغَنائِه وَيُعَوِّلُ في أَمْر الزّاب على كِفَايَتِهِ. وسَئِمَ أَعْداؤُه بنو رمّان أيّامَ / وِلاَيتِهِ، فدَاخَلوا أَوْلاَدَ حَريزٍ من لَطيف أَحَدِ بُطون الأَثابِجِ، كانوا نَزلوا بقَرْيَة باشاش لِصْقَ المدينة حين عَجَزُوا عن الظَّعْن، وخالَطوا أَهْلَ البَلَد في أَحْوالِهم، وامْتَزجُوا مَعَهم بالنَّسَب والصِّهْرِ فَأَغْرَوْهُمْ بفَضْل بنِ عَلِيّ أن يكونَ التَّقَدّمُ لهم في الفَتْك به وتَناوُلِ الأَمْرِ من يَدِه، وأن يُخَرِّبُوا بُيوتَهم من قَرْيَة باشاش بأيديهم لِيَسْكُنوا إلَيْهِم ويَطْمَئِنُّوا إلى وِلايتِهم، حِلْفًا عَقَدوهُ علَى المَكْر بهم. [ب356]

ولمّا أَوْقَعُوا به بظَاهِر البَلَدِ في بَعْض أيّام رُكُوبِه سنةَ ثلاثٍ وثَمانين، وتَوَلَّوْا من أَمْر الزّاب ما كانَ يتولاّه، تَنَكَّرَ لهم بنو رمّان لحَوْلَيْن من ذلك الحِلْفِ ونَابَذُوهُمُ العَهْدَ، فخَرجُوا عن البلَدِ وفَقَدُوا المَأْوَى للتمرّس بها من قَريبٍ، فَتَفَرَّقُوا في بِلاد ريغَة، واستبدّ بنو رمان بشُورَى بِسْكِرة والزّاب مُنْتقضَ عليهم وعلى السّلْطان والذَّوَاوِدَة، قد تَغَلّبوا علَيْه وعلَى بلاد الحُضْنَة،

(أ) ظ: فقد.

من وَرائِهِ نقَاوسُ[أ] ومَقّرَة والمَسِيلَة. وكان مَنصور بن فَضْل بن عليّ عند مَهْلَك أبيه بالحَضْرة في بَعْض شُؤُونِه، فلمّا هلِكَ أبوه، واسْتَبَدَّ بنو رمّان بَعْده، بَثُّوا السّعَاياتِ فيه إلى السّلْطان بالحَضْرة، فانحجَبَ وتَقَبّضَ عليه، واعْتُقِلَ أيّامَ السّلطان أَبي حَفص. ولمَّا تغلّبَ المؤلَى أبو زكريّاء يحيى ابن الأمير أبي إسْحاق على بجايَة وقُسَنطينَة وبُونَة واسْتَقَلّ بأَمْرها، وانقَسمتْ دولَةُ آل أَبي حَفصٍ بمُلكِه ذلك منها، تَمَسَّكَ أَهْلُ الزاب بدَعْوة صاحبِ الحَضْرةِ المَوْلَى أبي حَفْص. وفَرّ مَنصورُ بن فَضْل بن عَليّ من مَحْبِسه بتُونِس، ولَحِقَ ببجايَة بعد مَهْلِكَ الحاجِب القائِم بالأَمْر أبي الحسَيْن بن سَيّد النّاس، وتَوْلِيَةِ السّلطان أبي زكريّاء مكانَه كاتِبَهُ أبا القاسِم بن أبي حيّ سنةَ إحْدَى / [357] وتِسْعين وستّ مائة، فلازَمَ خِدْمَتَه، وخَفّ عليه وصانَعهُ بوُجوهِ التُّحَف، وضَمِنَ له تَحْويلَ الدّعْوة بالزّاب لسُلْطانِه، وتَسْرِيبِ أَمْواله وجِبايَته إليه، واسْتَمَالَه بذلك فعقَدَ له على الزّاب، وأَمَدّهُ بالعَسْكَر فنازَلَ بِسْكِرَةَ. وَوَفَدَ أَهْلُهَا بنو رمّان على السُّلطان ببِجايَة ببَيْعَتِهم فرَجّعَهُمْ على الأَعْقاب إلى عامِلهم منصور، وكتب إليه بقبُولِ فَيْئَتِهِمْ[ب] فدخلَ البلَدَ سنةَ ثلاثٍ وتِسْعينَ، وكادَهم في بناء القَصْر لشيعَتِه، وتَحَصّنَ العسْكَرُ بسُورِهِ. ثم نابَذَهُم العَهْدَ وثارَ بهم فأَجْلاهُمْ عن البَلَد واسْتَمْكَنَ منها ورَسَخَتْ قَدَمُ إمارَتِه فيها، واسْتَدَرّ جِبايَةَ السُّلْطان واتّسعَ له نِطاقُ العَمالَة، فاسْتَضافَ إلى عَملِ الزّابِ جَبلَ آوْراسْ وقُرَى رِيغَة وبلَدَ وازكلَى وقُرَى الحُضْنَة: مَقّرَةَ ونقَاوُس والمَسيلَة. فعقدَ له السُّلطان على جَميعها، ودَفَعه إلى مُزاحَمة العَرب في جِبايَتها وانْتِهاش لُحومِها إذْ كانوا قَدْ غَلَبُوا على سائِر الضّواحِي،

(أ) ف: بقاوس (ب) ظ ف: فيئهم.

فَساهَمَهُمْ في جِبايَتِها حتّى كادَ يَغْلِبُهُمْ علَيها، ووَفّر أموالَ الدّولة، وأنْمى الخراجَ، وصانَعَ رجالَ السُّلْطان فألْقَوْا علَيه بالمحبّة، وجَذبوا بِضَبْعِه إلى أن أقْصَى مراتِبَ الاصْطِناع، فأثْرَى واخْتَجَنَ الأَمْوالَ، وَوَشَجتْ عُروقُ رئاسَتِه بِبِسْكِرَة، ورَشَحتْ(أ) مَنابِتُ عِزّه. وَهَلَكَ المولَى أبو زكريّاء الأوْسَط على رأس المائة السّابعة، وَوَلَّوْا مكانَه ابنَه الأميرَ أبا البَقاء خالدَ(ب) كما قدّمْناهُ، وقامَ بأمْرِه حاجِبُهُ أبو عبد الرّحمن بنُ غَمَرٍ(ج). وكان لِمَنْصُورِ بنِ فَضْل هذا اخْتِصاصٌ به واعْتِلاقٌ بِيَدِ جَاهِهِ، فاسْتَنامَ إليْه وعوّل في سائِر الضَّواحِي من مَمالك السّلْطان على نَظَرِه، وعَقَد لَهُ علَى بلادِ التَلّ من أَرْضِ سَدْوِيكِشْ وعِياضٍ فاسْتَضافَها إلى عَمَلِه، وجرّدَ / [35ب] عن ساعِدِ كِفايَتِه في جِبايَتِها، فَلَقَحَ عَقِيمُها وتَفَجَّرَتْ يَنَابِعُهَا. ثمّ حدثَتْ بَيْنَه وبَيْن الدَّولَة مُنافرَةٌ، وأجْلَب على قُسُنْطِينَةَ بيَحْيى بن خالدٍ ابنِ السّلطان أَبي إسْحاق، جاءَ بِهِ من تِلِمْسَان وبايَعَ لَهُ، واسْتَألَفَ الذّوَاوِدَةَ لمُشَايَعَتِه، ونَازَلَ به قُسُنْطِينَةَ، ثمّ اطَّلَعَ على كامِنِ صَدْرِه فيه وما طَوَى علَيه من التَّرَبُّص به، فحَلّ عُقْدَتَه، ولَحِقَ بِبِسْكِرَةَ، وراجَعَ الطّاعَةَ، ولَحِق به يحيى بن خالد واعْتَقَلَه إلى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ عشرين.

وكانَتْ بَيْنه وبَيْن المُرَابِطين أهلِ السُّنَّة من العَرَبِ أَتْباعِ سَعادَة المَشْهورِ الذّكْرِ فِتَنٌ وحُروبٌ، وطالَبُوه بتَرْك المَغارِم والمَكْس تَخْفيفًا عن الرعيّة وعَمَلاً بالسُّنّة التي كَانُوا مُلْتَزمينَ لطَريقِهَا، ونَازَلُوه من أَجْل ذلك بِبِسْكِرَة مِرارًا، ثمّ هلَكَ سَعادَةُ في بَعْض حُروبِه على مليلي(د) كما مَرّ في

(أ) ف: رسخت (ب) ف: خالدًا (ج) ف: عمر (د) ف: هلىلى.

فَسَاهَمَهُمْ في جِبايَتِها حتّى كادَ يَغْلِبُهُمْ علَيها، ووَفّر أموالَ الدّولة، وأَنْمَى الخراجَ، وصانَعَ رجالَ السُّلْطان فأَلْقَوْا علَيه بالمحبّة، وجَذَبوا بِضَبْعِه إلى أن أقْصَى مراتِبَ الاصْطِناع، فأَثْرَى واحْتَجَنَ الأَمْوالَ، ووَشَجتْ عُروقُ رئاسَتِه بِبِسْكِرَة، ورَشَحتْ[أ] مَنابِتُ عِزّه. وَهَلَكَ المولَى أبو زكريّاء الأوْسَط على رأس المائة السّابعة، وَوَلَّوْا مكانَه ابنَه الأميرَ أبا البَقاء خالدَ[ب] كما قدّمْناهُ، وقامَ بأَمْرِه حاجِبُهُ أبو عبد الرّحمن بنُ غَمْرٍ[ج]. وكان لِمَنْصُورِ بنِ فَضْل هذا اخْتِصاصٌ به واعْتِلاقٌ بيَدِ جاهِهِ، فاسْتَنَامَ إلَيْه وعَوّل في سائِرِ الضَّواحِي من مَمالك السّلْطان على نَظَرِه، وعَقَد لَهُ علَى بلادِ التَلّ من أَرْضِ سَدْوِيكِش وعِياضٍ فاسْتَضافَها إلى عَمَلِه، وجرّدَ / عن ساعِدِ كِفايَتِه [357 ب]
في جِبايَتِها، فلَقَحَ عَقِيمُها وتَفَجَّرَتْ يَنابِعُهَا. ثمّ حدثَتْ بَيْنَه وبَيْن الدّولَة مُنافَرَةٌ، وأَجْلَب على قُسَنْطِينَةَ بيَحْيى بن خالدِ ابنِ السّلطان أَبي إسْحاق، جَاءَ بِهِ من تِلِمْسَان وبايَعَ لَهُ، واسْتَأْلَفَ الذّوَاوِدَةَ لمُشَايَعَتِه، ونَازَلَ به قُسَنْطِينَةَ، ثمّ اطّلَعَ على كامِنِ صَدْرِه فيه وما طَوَى علَيه من التَّرَبُّص به، فحَلّ عُقْدَتَه، ولَحِقَ بِبِسْكِرَةَ، وراجَعَ الطّاعَةَ، ولَحِق به يحيى بن خالد واعْتَقَلَه إلى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ عشْرين.

وكانَتْ بَيْنه وبَيْن المُرَابِطين أهلِ السُّنّة من العَرَبِ أَتْباعِ سَعادَة المَشْهورِ الذّكْرِ فِتَنٌ وحُرُوبٌ، وطالَبُوه بتَرْك المَغارِمِ والمَكْس تَخْفيفًا عن الرعيّة وعَمَلاً بالسُّنّة التي كانُوا مُلْتَزِمينَ لطَرِيقِهَا، ونَازَلُوه من أَجْل ذلك بِبِسْكِرَة مِرارًا، ثمّ هلَكَ سَعادَةُ في بَعْض حُرُوبِه على مليلي[د] كما مَرّ في

(أ) ف: رسخت (ب) ف: خالدًا (ج) ف: عمر (د) ف: هلِلى.

ذِكْرِه سنةَ خَمْسينَ وسبْع مائة. وجمعَ منصورُ بنُ مُزْنِي المرابطينَ، وبَعث عسْكرَهُ يَقودُه ابنُه عليّ بنُ مَنصور مع عليّ بن أَحْمد شيخ الذّواوِدَة، وعلى الـمُرَابِطين أبو يحيى بن أحمد أَخوهُ ومعهُ رجالاتُ المرابِطينَ، مثل عيسى بن يحيى بن إدريس، شيْخ أولاد عساكِر، وعَطِيّة بن سلَيْمان بن سِباع، وحَسَن بن سَلامة، شيخِ أولاد طَلْحَة، فهزَمُوا عَسْكَرَ ابنِ مُزْنِي وقَتلُوا ابنَهُ عَليًّا، وتَقَبّضُوا علَى عَلِيّ بن أَحْمد، ثمّ مَنُّوا عليه وأَطْلقوه، ورَجعوا إلى بِسكِرة فنازَلُوهَا، وقَطعُوا نَخِيلَها. ثمّ عاوَدوُهُ[أ] ثانِيةً وثالِثةً، ولم تَزَل[ب] الحربُ بَيْنَه وبَيْن هَؤلاء الـمُرَابطينَ سائرَ أَيّامِه. وكان الحاجِبُ ابن [غَمَرْ][ج] قد اسْتَخْلَصه لنَفْسِه وأَحَلَّه مَحَلَّ الثِّقَة [بِخُلّتِهِ][د] والإسْتِنامَةِ إلى صَفائِه. ولـمّا نَهض السّلطانُ أبو البَقاء إلى تُونِس أَصْحبَهُ الحاجبُ في جُمْلَته، حتّى إذا أَعْمَلَ الـمَكيدَةَ في الانْصِرَافِ عن السُّلطان شارَكَهُ في تَدْبيرها إلى أن تَـمَّتْ كما قَدّمناه.

ورجَعَ الحاجِبُ إلى قُسُنْطِينَة، / وصَرفه إلى مَكان عَمَله من الزّاب. [358أ] وكان يَتَرَدّدُ إليْه بِبجايَة للزّيارة والمُطالَعَةِ في أَعْمالِه، إلى أن غَدَر به العَرَبُ في بَعْض طُرُقِه إليْها، وتُقُبِّضَ عليه من أُمَراء الذّوَاوِدَة عليّ بنِ أحمد بن عمر بن مُحمّد بن مَسْعود، وسليمانِ بنِ عليّ بن سِباع بن يحيى بنِ مَسعود، علَى حينِ اجْتَذَبَا حَبْلَ الإمارَة من يَدِ عُثْمان بن سِباع بن شِبْل ابنِ مُوسَى بن محمد. واقْتَسما رِئاسَةَ الذّواودَة قَوْمَهما، فاسْتَمْكَنَا من هذا العامِل مَنصورِ بن فَضْل في مَرْجَعِه من عَمَله ببلاد سَدْويكِش، وأَوْثَقُوهُ

(أ) ظ: عاوده (ب) ف: يزل (ج) ظ ف: عمر (د) ظ: بخلته. ف: تجلية

اعْتِقالاً وهَمُّوا بقَتْلِه، فافْتُدِيَ منهم بخَمْسة قَناطير من الذَّهب ارْتَاشُوا بِمَكْسُوبِها وصَرَفُوا في وُجوهِ رئاسَتِهم إنْفاقَها. وقَبَضَ مَنْصورُ بْنُ فَضْلٍ عِنَانَهُ عن السَّفَر بَعْدها إلاّ في الأحايين[أ] وبعد أخذ الرُّهُنِ من العَرَب، إلى أن كانَتْ حَرَكَةُ مَوْلانا السّلْطان أبي يحيى إلى تُونِس سنةَ سَبْعَ عَشْرة، أوّلَ حَرَكَاتِه إليها. وطالَب حاجِبَه يَعْقوبَ بن [غَمْرٍ][ب] وهو بثَغْر بجاية بالأَمْوال للنَّفَقَات والأَعْطِياتِ، فبعَثَ إليه بمَنصور بنِ فَضْل، وَأَشَارَ بعَقْده له على حِجابته ليقومَ بأَمْره ويَكْفِيهِ مُهِمّاتِ شُؤُونِه. واعْتَدَّها مَنصورُ على ابن [غَمْرٍ][ب] فساءَ ظَنُّه وتَنَكَّرَ له ابن غَمْرٍ[ج] وحالَتْ صبغةُ[د] وُدِّهِ، وانْكَفَأَ السّلطان من حَرَكَتِه تلك مُخْفِقَ السّعْيِ بعد أن نزلَ ظاهِرَ تُونِس بعَساكِره كما قَدّمْناه. ولـمّا احتلّ بقُسُنْطِينَةَ بدَتْ له من يعقوب بن [غَمْرٍ][هـ] صاحبِ الثّغْر مَخَائِلُ الامْتِناع فأَقْصَر عن اللّحاق به، وتَرَدَّدَتْ بَيْنَهما الرُّسل، وبَعَث ابنُ غَمْرٍ[و] في مَنْصورِ بنِ فَضل ونُذِرَ منه بالشّرّ فأجابَ دَاعيه، وصحِبَ قائدَ السُّلْطان يَوْمئذٍ مُحَمَّدَ بن أبي الحَسَيْنِ[ز] بن سَيِّد النّاس إليه، حتّى إذا كانَ ببَعْض الطّريق عدَلَ إلى بلَدِه، وهَـمَّ به القائِدُ / فأَجارَه أَولياؤُه من العَرَب: عثمانُ بنُ النّاصِر، شيخُ أولاد حَرْبي، ويعقوبُ بن إدريس، شيخ أولاد خنفر، ومن مَعهم من ذَوِيهم، ولَحِقَ بِبِسْكِرَة؛ وبلَغ الـخبرُ إلى ابن غَـمَرٍ[و]، فقَرَعَ سِنّ التّـدَمِ عليه. وشايَعَ منصورُ بنُ مُزْنِي * عدوَّهُم صاحبَ تِلِمْسَان أبا تاشَفين ودخَلَ في دَعْوَته، وأَوْفَد ابنَه يوسفَ علَيه بالطّاعة والهَدِيّة*[ح]. ومَلَكَ السُّلطانُ خِلالَ ذلك تُونِس وسائرَ بلادِ

(أ) ظ: الاحيايين (ب) ظ ف: عمر (ج) كذا في ظ. ف: عمر (د) ف: صيغة (هـ) ظ ف: عمر
(و) ف: عمر (ز) ف: الحسن (ح) سقط ما بين النجمين من ف.

إفريقية، وهلَكَ ابنُ غَمرَ[أ] سنةَ تِسعَ عَشْرةَ. ولم يَزَلْ منصورُ بنُ مُزْني مُمْتَنِعًا سائرَ أيّامِه على الدّولَة، والعَساكرُ من بجايَة تَتَردّدُ لمنازَلتِه إلى أن هَلَكَ سنةَ خَمْسٍ وعشرين وسَبْعِ مائة. وقامَ بأمْره من بَعْده ابنُه عبدُ الواحِد، فعقَدَ له السّلطانُ على عَمَلِ أبيه بالزّاب، واسْتضَافَ إليه ما وراءَهُ من البِلاد الصَّحْراويّة، قُرَى ريغَة ووارْكَلاَ[ب]. وكانَ السُّلْطانُ قد عقَدَ على الثّغْر بعدَ مَهْلِكِ ابن غَمر[أ] لمحمّد بن أبي الحسَين بن سَيّد النّاس، وجعلَ له كفالَةَ ابنه يَحيى ودَفَعه إليه، فتَجَدّدَتِ الوَحْشَةُ[1] بَيْن عَبد الواحِد هذا وبَيْن صاحبِ الثّغْر في سَبيل المُنافَسَة في الرُّتْبَة عندَ السُّلْطان بما كانوا جَميعًا صنائعَ وبطانةَ للحاجِب ابن غَمر[ج]. وبعَثَ العَساكرَ لحَرْبه ومُنازَلَة حِصْنِه، ونَاولَ عبدُ الواحِد هذا لآل زَيّان مُجانفي[د][2] الدَّوْلة طَرَفًا من حَبْل طاعَتِه تقَيّلَ فيها مَذْهَبَ أبيه[هـ] آخرَ عُمُره، وطَالَ تَمَرُّس الجُيوشِ به إلى أن اسْتَجَنَّ[و] منه عبدُ الواحِد بصِهْرٍ عَقَدَهُ له على ابنَتِهِ، واشْتَرَطَ المُهادَنَة[ز] وتَسْليمَ الجِبايَةِ، وتَودَّعَ أمرُه إلى أن اغْتالَهُ أخوهُ يوسفُ سنةَ تِسْعٍ وعشرين بمُداخَلَةِ بِطانَتِهم من بني سِمَاطٍ وبَني ابن كوايَة[ح]. ولمّا أحْكَمَ مُداخَلتَهم في شَأْنِه آذنَهُ عِشاءً للشّورَى مَعهُ في بَعْض المُهِمّات وطَعَنَهُ بخَنْجَره فأشْوَاهُ / وَهَلَكَ لِحِينه. [359أ]

(أ) ف: عمر (ب) يُرسم الاسم في ظ ف بالتطابق مرة بالألف الممدودة وأخرى بالمقصورة (ج) ف: عمر
(د) مصحنة في ظ: و مجانقي. ف: محايفي (هـ) ظ: ابنه (و) مهملة في ف. واسْتَجَنّ: استتر واختَمى
(ز) من ف. ظ: المهاذبة ونقاط الحروف في الكلمة بعدها في غير موقعها (ح) ف: أبي.

(1) الوَحْشة: بعد القلوب عن الموَدّات.

(2) جَنَفَ: مال وجار. جانف أهله: انفصل عنهم على بغض. وحَيَفَ جار وظلم. وكلاهما لمعنى واحد.

واستقَلَّ يوسفُ بن مَنصور بإمارَة الزّاب، ووَصَلَهُ مَرسومُ السّلطان بالتَّقليدِ والخِلَعِ على العادَة، وأَجرَى الرَّسْمَ في الدّعاء له على مَنابِرِ عَمَلِه.

وكان السُّلطانُ قد اسْتَدْعَى مُحمّدَ بنَ سَيّد النّاس من الثَّغر لحجابَتِه، وفَوَّضَ له أُمورَ مُلكِه، فَلَقَحَتْ نارُ العَداوَة والإِحَنِ القَديمَةِ بما بَيْنه وبَيْن يوسف بن مَنْصور عامِلِ الزّاب، وهَمَّ به لَوْلاَ ما أخَذَ بحُجْزَتِه من الشُّغْل الشّاغِل للدّوْلَة بِتَحَيُّفِ آل زَيّان. وهَلَكَ الحاجبُ سنةَ ثِنْتَيْنِ وثلاثين في نَكْبَة السّلطان إِيّاه كما ذكَرْناهُ، وعَقَدَ لمحمّد بن الحَكيم على القِيادَة، وجَعَلَ بيَدِهِ زِمامَ العساكِر، وفَوَّضَ له في سائِرِ القُرَى والضّواحِي، فأَجَرَّهُ رَسَنَهُ، وَحَكَّمَهُ في دَوْلَتِه، وَتَغَلَّب على أَمْره على حين فَرَغَ السُّلْطان من الشُّغْل بمُدَافَعَة عَدُوّه، وحَطّ ما كان من إِصْرِهِمْ على كاهِل دَوْلَته.

ونَهضَ السُّلْطانُ أبو الحسَن إلى آل يَغْمَراسِن فقَلَّمَ أظْفارَ اعْتِدائِهم وفَلَّ شَبَا عَزائِمهم، كما شرحناهُ قَبْلُ، فَأَذْكَى القائدُ محمدُ بن الحكيم مَعَ يوسف بن مَنْصور نَارَ العَداوَة، وَأَثَارَ له من السُّلْطان كَامِنَ الحَفِيظَةِ، وَصَرَفَ وُجوهَ العَزائِم إلى حَمْلِه على الجَادّة وتَقْويمه عن المُرَاوَغَة في الطّاعَة، وَنَاهَضَهُ بالعَساكِر مَرّاتٍ ثلاثًا يُدَافِعُه في كُلِّها بتَسْليم الجِبايَة إليه. ثُمّ كانت بَيْنه وبَيْن عليّ بن أَحْمد كبيرِ الذّوَاوِدَة فِتَنٌ وحُروبٌ دَعَا إليها منافسةُ عليّ في اسْتِئْثارِه بمالِ الجِباية دُونَهُ، فَوَاضَعَهُ الحَرْبَ، ودَعَا العرب إلى مُنازَلَتِه مُمَوِّهًا بالدّعاء إلى السُّنَّةِ، وَحَشَدَ أَهْلَ رِيغ[أ] لذلك ونَازَلَهُ. وانْحَرَفَ عنه ابْنُه يَعْقوب، ودخلَ إلى بِسْكِرَة فَأَصْهَرَ له ابنُ مُزْنِي في أُخْتِه بنتِ مَنصور بن فَضْل، وعقدَ له عليها فَحَسُنَ دفاعُه عنه. وبَعَثَ ابنُ

(أ) ظ: ربع. ف: زيغ.

[359ب] مُزْني عن سُلَيْمان بن عَليّ كبيرِ أوْلاد / سِبَاعٍ وقَرِيعِ عَليّ بنِ أحْمد في شَوْلِهِ، فكانَ عِنْده بِبِسْكِرَة يُغَادِيه القتالَ ويُرَاوِحُه، إلى أن امْتَنَعَ ابنُ مُزْني. ورَحَلَ عَليُّ بنُ أحمد عن بِسْكِرَة وصارَ مع ابنِ مُزْني إلى الاتّفاقِ والمُهَادَنَةِ أعوامَ الأَرْبعين من المائة الثّامنة. ثمّ كانَت غَزاةُ القائِد ابنِ الحَكيم إليه، نَهَضَ من إفريقيّة بعد أن نَازَلَ بلادَ الجَرِيد، واقْتَضَى طاعَتَهم وَمغارِمَهم، واسْتَرْهَن وَلَد ابنِ يَمْلول، ثمّ ارْتَحَلَ إلى الزَّاب في جُنوده ومَعَهُ العربُ من سُلَيْم، فاحْتَلَّ بالزّاب ونَزَل بَلَدَ أُومَاش[أ] من قُرَاه، وفَرَّتِ العربُ من الذَّوَاوِدَة وسائِرِ رِيَاحٍ أَمامَه، ودَافَعَه يوسفُ بن مُزْني بهديّتهِ دَفَعها إليه وهو بمكانِه من أُومَاش[أ]، وارتَحلَ عنه إلى بلاد رِيْغ[ب] فافْتَتَحَ تُقُرْتَ مَعْقِلَهم واسْتَبَاحَها، ودَوّخَ سائِرَ أَعْمالِها، ورَجعَ إلى تُونِس. ونَكَبَ السُّلطانُ قائِدَه محمّدَ بن الحَكيم هذا سنةَ أرْبَعٍ وأربعين، وهلَكَ إثْرَ ذلك سنةَ سبْعٍ وأرْبَعين، وَوَلِيَ ابنُه السلطانُ أبو حفْص عُمَرُ. وخَشِيَ الحاجِبُ أبو مُحمّد بن تَافْرَاكِين بَادِرَتَهُ وسِعَايَةَ بِطانَتِه فَلَحِقَ بمَلِك المَغْرب المرهوبِ الشَّبَا، المُطِلِّ على المَمالِك، يعسوبِ القَبائل والعَشائر أبي الحَسَن، وأَغْرَاهُ بمُلْكِ إفريقيّة واسْتَجَرَّهُ إليها، فنَهَضَ في الأُمَمِ العَريضةِ سنةَ ثمانٍ وأربعين كما ذكَرْنا ذلك كلَّه من قَبْلُ. ووَفَدَ عليه يوسفُ بن مَنْصور أميرُ الزّاب بمُعَسْكَره من بني حَسن فلَقّاهُ بِرًّا وتَرْحيبا، واسْتَتْبَعَهُ في جُمْلَته إلى قُسَنْطِينَةَ، ثمّ عقَدَ له على الزّاب وما ورَاءَه من قُرَى رِيغَة ووَارْكِلَي، وصرَفَه إلى عمالَتِه. واسْتَقْبَلَ تونِس، وأَمَرَهُ برَفْعِ الجِبايَة إلَيْه مع العُمّال القادِمينَ من أَقْصَى المَغْرب على رَأسِ الحَوْل، فاسْتَعَدَّ لذلك، حتّى إذا

(أ) ف: أرماس    (ب) موقعها فراغ في ف.

[360أ] سَمِع بوُصولِهم من المَغرب لَحِقَهُم بِقُسُنْطِينَةَ. / وفَجَأَهُمْ هُنالِكَ جَميعًا الخَبَرُ بنَكْبَةِ السّلْطان على القَيْرَوان كما ذكرناهُ ونَذكرُه. فاعْتزَمَ على اللّحاق ببَلَدِه، واغْصَوْصَبَ(أ) علَيه يعقوبُ بن عليّ بن أحمد أميرُ البَدْوِ بالنّاحية الغَرْبيّة من إفريقيّة لأذِمَّةِ صِهْرٍ كانَتْ بينهما ومُخالَصَةٍ. وتَحيّزَ إليهم مَنْ كانَ بِقُسُنْطِينَة من أَوْلياءِ السُّلطانِ وحاشِيَتِه وعُمّالِهِ ورُسُلِ الطّاغِية والسّودانِ الوَافدين مع ابْنه عبدِ الله من أصاغِرِ بَنِيه، آوَاهُم يوسفُ بن مَنصور جميعًا إليه، وأَنْزَلَهم ببلَده، وكفاهُمْ مُهِمَّاتِهم شُهُورًا من الدّهر حتّى خَلَصَ السُّلطان من القَيْروانِ إلى تُونِس ولَحِقوا به مع يَعْقوب بن علي فكانَتْ تِلك يَدًا اتَّخَذَها يوسفُ بنُ منصور عند السّلطان أبي الحسَن وبَنيه بَاقِيَ الأيّام. ثمَّ أَتْبَعَ ذلك بمُخَالَفَةِ رُؤساءِ النّواحي من إفريقيّة جميعًا في الانتقاضِ علَيه، وأقامَ مُتَمَسِّكًا بطاعَته يُسَرّبُ الأَمْوال إليه بتُونِس وبالجزائِر عندَ خُلوصه إليها من النَّكْبَة البَحْرِيّة كما سنَذكُره، ويَدْعُو له على مَنابره بعدَ تَفْويضِه عن الجَزائر إلى المغرب الأَقْصى لاسْتِرجاع مُلكِهِ. إلى أن هلَكَ السُّلطان أبو الحسَن بجبَل هِنْتاتة من أَقْصى المَغرب سنةَ ثِنْتَين وخَمْسين، واسْتقام أَمْرُ الدّولة المرينية لابنه السّلطان أبي عنان الحَيّةِ الذِّكرِ. ولمّا اسْتَضَافَ إلى مُلكِه مُلْكَ تِلِمْسَان، ومَحَا مَا جَدَّده بَنو عبد الوادِ بها من رُسوم مُلْكهم، وجَمع كَلِمةَ زَناتة، وأَطلَّ على البِلاد الشّرقيّة سنةَ ثلاثٍ وخَمْسينَ، بَادَرَ يُوسُفُ بن مَنْصور بطاعَتِه فأتاها طواعيَةً، وأَوْفدَ على السّلطان رُسلَه بكتابِ بَيْعتِه، ثمّ أَوْفَدَ علَيه ثانيًا مع حاجبه الكاتبِ أبي عبد الله مُحمّد بن أبي عُمر، وبَعَثَهُ بالعساكر لتدويخ إفريقيّة

(أ) ظ: اعصوصت.

[360ب] / وتَمهيد مُلكه ببجاية كما سنذكره. وأوْفدَ عليه أمراءَ القبائل والبَدْوِ ورؤساءَ النّواحي سنة أربعٍ وخمسين، ووَفدَ في جُملتهم يوسف بن مَنصور أميرُ الزّاب، ويعقوبُ بنُ عَليّ أميرُ البَدْو، وسائرُ رؤساءِ الذّواودة، فلَقّاهم السّلطان تكرمةً ورَعْيًا لأذِمّةِ خُلوصِهم لأَبيه وقَوْمه من بين أَهْلِ إفريقيّة، وأسنَى جَوائِزَهم، وعقَد ليوسف بنِ مُزنِي على الزّاب وما وراءَه من بلاد ريغَةَ ووَارِكلي على عَادَته، وانقَلَبَ مَحْبُوًّا مَحْبُورًا، وقد ثَبتَ له من ولاية السّلطان ومُخالَصته حَظٌّ ورُفِعَ له بِبساطِه مَجْلِسٌ.

ولمّا نَهَضَ السّلطان إلى إفريقيّة لافتتاح قُسُنطِينَة سنة ثمانٍ وخَمْسين كما سنَذكُرُهُ، تَلَقّاه يوسف بن مَنصور على قُسُنطِينة فخَلَطَهُ بأَوْليائِه ونَظَمَهُ في طبقاتِ وزرائِه. واستَوْحَشَ يَعقوبُ بن علي يومئذٍ من مُطالَبتهِ بالرُّهن له ولقَوْمه، وانتَقَضَ وأجْفلَت أَحياؤُهُ إلى بلاد الزّاب وما وَراءَها من الصّحراء. وارْتَحلَ السُّلطانُ بعسَاكِرِه في طَلَبِهم إلى أن احْتَلَّ(أ) ببلاد الزّاب، وخرّبَ بلادَ يعقوب بنِ عليّ بالزّاب والتّلّ، يقْطعُ شَجْراءهَا، ويُغَوِّرُ مِياهَها، ويهْدِمُ بناءَها، وينْسِفُ آثارَها.

ودخلَ يعقوبُ بأَحيائِه الرَّمْلَ، وَأَعْجَزوا السّلطانَ فانْكَفَأَ راجعا، واحتلّ بظاهِر بِسكِرَة فتلَوّمَ بها ثلاثًا لإراحَة العَساكِر وإزاحَة عِلَلِهم من وَعْثاءِ السّفرِ وَشَعَثِ الصّحراء، فغَرّبَ يوسفُ بنُ مَنصور في قِرَى عَساكِرِه أيّامَ مُقامِه، شَمِلَهُم فيها من العُلُوفَة والحِنطَة واللّحْمَان والأُدْم بما أَرْغَدَ عَيْشَهم وكَفاهُمْ مُهِمَّهُمْ، وتَحدّثَ بها النّاس دَهْرا. ورَفَعَ إليه جِبايَةَ الزّاب

(أ) ف: اجفل.

لعامِه قناطِيرَ من الذَّهب دَفَعه ببَيْتِ المالِ فقبَضَهُ القَهارِمَةُ من ثِقاتِه، وأَجْزَلَ / السّلطانُ مَثوبَتَهُ وأَسْنَى عَطِيَّتَهُ، واختَصَّه بكِسْوَة بناتِه وعِيالِه من كُسَى [361أ] حُرَمِه وثِيابِ قَصْره، وانكَفَأَ راجِعًا إلى حَضْرَتِه.

ثمّ أَوْفَدَ يوسفُ بنُ مَنصور ابنَهُ أَحْمَدَ على السّلْطان بِسُدَّتِهِ من فَاس عند مُنْصَرَفِ وَزِيرِه سُلَيمان بن داودَ من حَرَكَةِ إفريقيَّة سنةَ تسْعٍ وخمسين، وأَصْحَبَه هَدِيَّةً مِن عِتَاق الخَيْل وَفارِهِ الرَّقيق. وأقام أيّامًا في نُزُلٍ كريمٍ ومَحَلٍّ مِنَ المَجْلِس رَفيعٍ، إلى أن هَلَكَ السُّلْطان خاتِمَةَ تِسْعٍ وخمسين، فأَرْغَدَ القائمُ بالدّولَة من بَعْده جائِزَتَه وأَسْنَى صِلَتَهُ، وصرَفَهُ إلى عَمَله، واسْتَوْصَى به أُمَراءَ النَّوَاحي والثّغور في طَريقِه. ولم يَنْشب[1] أن شَبَّت نارُ الفِتْنَة وانتَزَى الخَوارِجُ بالجِهات بعد مَهْلِك السّلطان، فَخَلَصَ إلى أبيه بعد عَنائِهِ[أ] وعلَى يَأْسٍ من النَّجاةِ بعدَ أن حَصَلَ في قَبْضَةِ أبي حَمّو سُلطانِ بَنى عَبْد الوَادِ عندَ اسْتِيلاَئِهِ على تِلِمْسَان، وهو بها مع بَنى مَرِين، وقد مَرّ بهم مُجْتازًا إلى وَطَنِه فأَجازَهُ عليه صُقَيرُ بنُ عامِرٍ شَيْخُ بني عامر من زُغْبَةَ رَعْيًا لأَذِمّةِ أَبيه يوسف صاحب الزَّاب، وتأميلاً للعَرب فيه وفى أَعْماله، وبَعْد أن بذلَ له من ذاتِ يَدِهِ ومنْ طُرَف[ب] ما وَصلَهُ به بَنو مَرِين من ذخائِرِهِمْ، فبعث معه صُقَيْرٌ رِكَابًا أَبْلغوهُ مَأْمَنَه. فكانَتْ إحدى الغَرائِب في نَجاتِه.

(أ) ظ: عَنايَة والعَنايَةُ ما عرض للانسان وشغلَهُ وأهمّه    (ب) ف: ظرف.

---

(1) لم ينشب: لم يلبَث.

واستَرْجع الموحّدون ثُغورَهم: بجايَةَ وقُسُنْطينَةَ من يَدِ بَني مَرين، وأَزْعَـجوا عنها العساكِرَ الـمُجَمَّرَة بها من قبائِلهم كما قَدّمْناه. فراجَعَ يوسفُ ابن مَنصور طاعَتَه المعروفَةَ لهم إلى أن هَلَكَ سنةَ سبْعٍ وستّين ليَوْم عاشوراء. وقامَ بأمْره ابنُه أحمدُ، وجَرَى على سَنَنِه، وهو لهذا العَهْدِ أميرٌ على الزّاب بمحلّ أَبيه من إمارَته، مُتَقيّلٌ في مَذْهبه وطَريقِه، إلاّ أَنَّ خُلُقَ أَبيه كان سَجِيّةً وخلقَ / هذا تَلَهْوُقًا[1] لما فيه مِنَ التَّحَذْلُق[2]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص، من الآية 68]. ولهُ وُلْدٌ كبيرُهم أبو يحيي من بنْت مُحمّد بن يَمْلول أختِ يحيى، وهو لهذا العَهْدِ مرَشّحٌ لمكانه. ولمّا حلّت بأهْلِ الجَريد الفاقِرَةُ[3]، ونزلَ به يَحْيى بنُ يَمْلول الـمَشْؤومُ على وَطَنه، توَجّس الخيفَةَ من السُّلطان وتوقَّع الـمُطالَبَةَ بطاعةٍ غير طاعَتِه المعروفَة، فسَرّب الأموالَ في العَرب، ومَدّ يدَهُ إلى حَبْلِ صاحبِ تلِمْسانَ ليَتَمَسّكَ به فوجَدَه قاصِرًا عنه. وأقام يُقدّم في أَمْره رِجْلاً ويؤخّرُ أُخرى، ثمّ قَذَفَ الله نورَ الهِدايَةِ في قَلْبه وأَراهُ سَنَنَ رُشْدِهِ، وبادَرَ إلى الاسْتِقامة في الطَّاعَةِ والعُدول عن الـمُراوَغَة. ووَصَلَه وَافِدُ السّلطان أبي العبّاس شيخِ الموَحّدين أبو عبدالله بن أبي هِلال، وكشَفَ له قِناعَ الـمُخالَصَة والانْحِياش، وبَعثَ معه وَفْدَه بهدِيّتِه واسْتِقامَتِه، وتَقبَّلهُ السّلطانُ وأعادَهُ إلى أَحْسن أَحْوال[أ] الرِّضَى عنه. والله مُتَولّي الأمور سُبْحانه. [361 ب]

(أ) ف: الأحوال.

---

(1) تلَهْوَقَ: تزيّن بما ليس عنده من سخاء ومروءة ودين.

(2) تحذْلَقَ: ادّعى أكثر ممّا عنده.

(3) الفاقِرَة: الدّاهِيَةُ التي تكسر الفقار. ج فواقِر والفقارُ ما تنضّدَ من عِظام الصُّلب، الواحدة: فقَارَة.

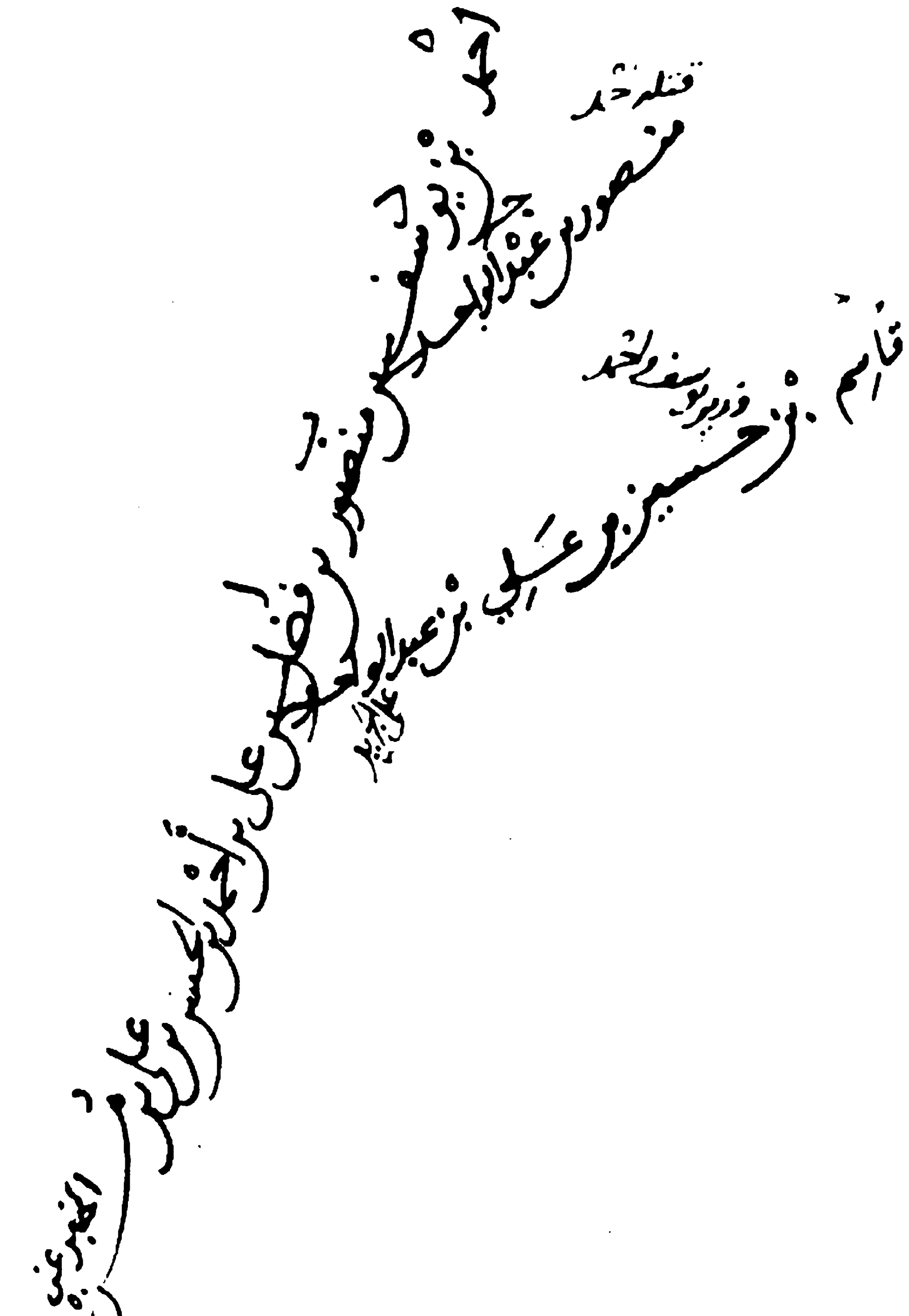

[ مشجر نسب بني مزني أمراء بِسْكَرة وما إليها من الزّاب ]

## 194 • / الخَبَرُ عن رئاسَة بَني يَمْلُول بتَوْزَر، وبَني الخَلَف بنَفْطة، وبني أبي مَنيعٍ بالحامّة. [362أ]

زَعيمُ هَؤلاء الرُّؤساءِ ابنُ يَملول صاحبُ تَوزَر، لاتِّساعِ بَلَدِه وتَمدُّنِ مِصْرِه واختِلاله منها بأُمّ القُرى من قُطْره. وهو يَحْيى بنُ محمَّد بن أَحْمد بن مُحمّد بن يَملُول، ونَسَبُهم - بزَعْمهم - في طَوالِع العَرب من تَنُوخ. اسْتَقَرَّ أَوَّلُوهُ بهذا الصّقْع منذُ أَوّلِ الفتْح فَعفَوْا وتأثَّلُوا ووَشَجَتْ به عُروقُهم نَسَبًا وصِهْرًا حتّى انْتَظَمُوا في بُيوتات الشّورَى المُتقدِّمين للوِفادَة على المُلوك وتَلَقّي العُمّالِ القادمينَ من دار الخِلافَة، والنّظَرِ في مَصالح الكافّةِ أيّامَ آلِ حمّادٍ بالقَلْعَة وآلِ عبد المُؤمن بِمَرَّاكُش وآلِ أبي حَفْص بتُونِس، مثل بَني واطّاس[أ] وبَني فُرْقان وبَني مارِدَة[ب] وبني عوَض. وكان التّقدُّمُ فيهم أيّامَ عُبَيد الله الشّيعي لابن فُرْقان، وهو الذي أَخْرَجَ أبَا يَزيدٍ حين شَعَر به أنه يَرومُ القيامَ على أبي القاسِم القائِم، وأيّام آل حَمّاد ليحيى بن وطّاس[ج] فهو النّازعُ بطاعَة أَهْل قَسْطِيلِيَّة إليهم عن آل بُلُكّين مُلوكِ القَيْرَوان حين انقَسَمَتْ دَوْلَةُ آل زيري وافتَرَقَ أَمْرُهم. ثمّ عادَت الرِّئاسةُ لبَني فُرْقان لأَوّل دَوْلة المُوَحّدين، ومنهم كان الذي لَقِيَ عبدَ المُؤمن وأَتاهُ الطّاعَةَ عن نَفْسه وعنْ أَهْلِ بَلَدِه تَوزَر فتَقَبّلَهُ ووَصَلَهُ، وصار الأَمْرُ للموَحّدين فَمَحَوْا مِنْهَا آثارَ المَشْيَخةِ والاستِبْداد. ونشأَ أحمدُ هذا [الجَدُّ][د] مُتَرامِيًا إلى الرّئاسة بهذا القُطْر، يُدافِع عنها بالرّاح ويُزاحِمُ بالمناكِب من وُجوهِ البلَد وأشْراف

(أ) ف: وطاس (ب) ف: مادة (ج) ظ: وَطاس. كذا بفتحة على الواو، قد تكون بدلاً من المدّ السابق (د) من ف وحدها.

الوَطن. وسُعِيَ به إلى شَيْخ الموحِّدينَ وقَائِدِ العَسْكَرِ أيَّامَ السُّلْطان أبي حَفْص مُحمد الفازازي (أ) فنَكَبَهُ وصَادَرَهُ على مالٍ امْتَحَنَهُ عليه، كانت أوّل نَكباتِه التي أوْرَتْ من زِنَادِه وأذْكَتْ من جَمْره. فَخَلَصَ إلى الحَضْرة يُؤَمِّل اقْتِعَادَ مَطِيّتهِ وثبُوتَ / [362 ب] مَرْكَزه من دار الخِلافَة. فأَوْطَنَها أيّامًا يُبَاكِر أبوابَ الوُزراء والخاصّة، ويَلْثِمُ أطرافَ الأَوْلياء والحاشِيَة، ويَبْذِلُ كرائِمَ مالِه فيما يُزلِفُهُ لَديْهم ويُؤْثِره بعنايتِهم، حتّى اسْتُعْمِلَ بديوان البَحْر مَقْعَدِ العُمّال بمَرْفَأِ السُّفُن لجبايَة الأَعْشَارِ من تُجّار دَارِ الحَرْب. ثمّ اسْتَضَافَ بما كان من غَنائِه فيها واضطِلاعه سَائِرَ أعْمَالِ الحَضْرة، فتقَلَّدَها زَعِيمًا بإمْضاء الجِرايَاتِ وإدْرار الجِبايَةِ. واسْتَمَرَّتْ على ذلك حَالُه وتَضَاعَفَتْ فائِدتُه فأَثْرَى واحْتَجَنَ المالَ، واسْتَخْلَصَ الذَّخِيرَة قاطِعًا لِألْسِنَةِ السِّعايةِ بالمُصانَعَةِ والإتحافِ بطُرَفِ ما يَجْلِبُه الرّومُ من بضائِعِهم، حتّى أبْطَرَهُ الغِنَى ودَلَّتْ على مَكامِنِه الثّروةُ. ورُفِع أَمْرُه إلى الحاجب فخَرَجَ التَوقيعُ بالقَبْضِ عليه واسْتِصْفاءِ مالِه لعَهْد السّلطان أبي يحيى اللِّحْيَاني فنُكِبَ الثانيةَ وصُودِرَ على مِئِينَ من آلافِ الدّنانير، امْتُحِنَ لها وباعَ فيها مَكْسُوبه حتّى من الكُتُبِ. وخَلَصَ من النَّكبةِ مَثْلُوبَ الأمانة مُمَزَّقَ الأَدِيم فقيدَ الرِّياش (ب) أحْوجَ ماكان إلى ما يُعوِزُ من الكِنّ والدِّفْءِ وبُلالة العَيْش، ولَحِقَ ببلَده ناجِيًا بالرَّمق ضارِعًا للدّهر. ودَفَعَهُ الملأُ إلى ما يَسْتَنْكِفُون عنه من خدمة العُمّال ومُباكَرَة أبْوَابِهم والامْتِهان في ضَروراتِهم. وأَنْجَدَهُ في ذلك بَخْتٌ جَذَبَ بِضَبْعِهِ. وكان في خِلال ذلك شُغْلَ الحضرة بِشَأْن الثّغور الغَرْبِية وأُمرائِها، فتقَلَّص ظِلُّ الدّوْلَة عن هؤلاء بَعْضَ الشَّيْء، وهَمَلَتْ الرّعايا

(أ) في ظ ف: الفازاري. والنسبة إلى فزارة: فزاري (ب) ف: الرياح.

بالبِلاد الجَريديّة وصارَ أمرُها إلى الشّورَى التي كانَت عليها قبْلُ. فلَمَّا أَدْرَكَ أَحْمَدُ هذه الشّورَى التي كان يَسْمُو لَها سُمُوَّ حَبَابِ الماءِ[1] ثَلَجَ صَدْرُه وأَنْجَحَ سَعْيُهُ، واسْتَبَدَّ بمَشْيَخَة توزر. وهَلَكَ في أعْوام ثَمان عَشْرة، فخَلَفَهُ من بَعْده في سَبيله / تلكَ وَلَدُه يحيى، طَموحًا إلى الرُّتْبَة [363أ] مُنَافِسًا في الإسْتِقْلال، وَزاحَمَ بيُوتَاتِ المِصْرِ بمناكِبَ اسْتَوْصَلَهَا سائرَ عُمْرِه من الدُّعَّار والأَوْغادِ بمعاقَرَةِ الخَمْر والمُجاراةِ في فُنون الشّباب لِتَشْييدِ أَمْرِهِ والإستعْلاء على نُظَرائِه حتّى تَطَاوَحُوا في هُوّة الهَلاكِ بين قَتِيلٍ ومُغرَّبٍ ومُجْتَثٍّ[أ] العُمْرَانِ، لم تُعْطِفْهُ عليهم عواطفُ الرَّحِمِ، ولا زَجرَهُ وَازِعُ التّقْوى والسُّلطانِ، حتّى خَلاَ له الجوُّ واسْتَوْسَقَ الأَمْرُ، واسْتَقَلَّ من أَمْر البَلَد والحَلّ والعَقْد بأَوْفَى من اسْتِبْداد أَبيه.

وكانَ مَهْلِكُه قريبًا من اسْتِبْدَاده لخَمْس سنين، فتَلَقَّفَ الكُرَةَ من يَدِه أَخوهُ مُحمّدٌ تِرْبُه في الرِّئاسَةِ وَمُجَارِيهِ في مِضْمَارِهَا، فأَجْرَى إلى الغايَة، واقْتَعَدَ كُرْسيَّ الرِّئاسَة، وعَفَّى عَلَى آثار المَشْيَخة، واسْتَظْهَرَ على أَمْره بمُصانَعَةِ أُمراء البَدْوِ أَوْلادِ أبي اللّيل والمَتَاتِ[ب] إليْهم بصِهْرٍ كان عَقَده أبوهُ أحمدُ لأبي اللّيْل جَدِّهم على أُخته أو عَمّته، فكانُوا رِدْءًا له من الدّوْلَة، فبَعُدَ صِيتُه وعَظُمَ اسْتيلاؤُه، وامْتَدَّتْ أيّامُه، وعَنِيَ الملوكُ بخطابه وإسْنادِ الأمورِ في تلك البلاد إليْه خلالَ ما تَعُود الكَرَّةُ وتَهُبُّ ريحُ الدّوْلَة.

(أ) ف: مخبث (ب) ف: المثاب، والمَتات: ما يُمَتُّ به كالحرمة والقرابة.

---

(1) ينظر إلى بيت امرئ القيس (الديوان 31. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم).

سَمَوْتُ إليها بعد ما نام أهلُها سُموَّ حَبابِ الماء حالاً على حالِ

وَزَحَفَ إليه القائد محمد بن الحَكيم سنيّ أربعين فلاذَ منه بالطّاعة والمُصانعةِ بالمَالِ ورَهْنِه وَلَدِهِ يحيى، فرجّعه إليه ابن الحكيم وتقَبّل طاعَتَه من غير رَهْنٍ، اسْتنامَةً لما ابْتلاهُ من خُلوصِه. وأقَامَ على ذلك إلى أن هَلَكَ أعوامَ أربَعةٍ وأربعين من المائة الثّامِنة. وتَصدّى وَلَدُه عبد الله للقيام(أ) بالأَمر، فوَثَبَ علَيه عمُّهُ أبو زَيْدٍ بنُ أحمدَ فقتَلَه على جَدَثِ أبيه صُبحَ مُوارَاتِه بَعْد أن كانَ [363 ب] أظْهَرَ / الرِّضَى به والتَّسْليمَ لَه. فثَارَتْ به العَامَّة لحينه وكانَ مَصْرَعُهما واحدًا. وقام بالأَمْرِ أخوهُ يَمْلُول بن أَحْمد أربعةَ أشْهر كانت شَرَّ مُدّةٍ وأَسْوَأَ وِلايَةٍ، لـمَا أَصابَ النّاسَ بسُوءِ مَلَكَتِه من سَفْكِ الدّماء واسْتِباحة الحُرَم واغْتِصابِ الأمْوالِ، حتّى كانَ يُنسبُ إلى الجُنون مَرّةً وإلى الكُفْرِ أُخرَى. فَمَرِجَ أَمْرُهُمْ واسْتَوْلَى الضَّجَرُ على نُفوسِهم. وكان أَخوهُ أبو بَكْرٍ مُعْتَقَلاً بالحَضْرَة، فَرَاسَلَهُ أهلُ تَوْزر سِرًّا، وأَطْلَقَهُ السُّلطانُ من مَحْبَسهِ بعد أن أُخِذَتْ علَيه المواثيقُ بالطّاعةِ والوَفاءِ بالجباية، فَصَمَدَ إلَيها بمَنْ في لَفِّهِ من الأَعْرابِ، وحَشَدَ نَفْزاوَةَ والـمُجاورينَ لها في القُرَى الظّاهرة المقَدَّرَة السَّيْر، وَأَجْلَبَ علَيْهم ثُمَّ بَيَّتَهَا فَاقْتَحَمَهَا، وبَادَرَ النَّاسُ إلى القَبْض على يَمْلول أخيه وأَمْكنوه منه، فاعْتَقَلَهُ بدارِه وتَبَرّأَ من دَمِه، وأَصْبَحَ لثالثَةِ اعْتِقالِه مَيّتا بـمَحْبَسِه.

وكانت قَفْصَة من قبل ذلك لَمّا صارَ أَمْرُ الجَريدِ إلى الشُّورَى قد اسْتَبَدّ بها يحيى بن محمّد بن علي بن عبد الجَليل بن العابد من بُيوتِها، ونَسَبُهم - بزَعْمِهم - في بَلِيٍّ، ولَهُمْ حِلْفٌ - بزَعْمِهم - في الشّريدِ من بُطون سُلَيْم، والله أعلَمُ بأَوّلِيّةِ نُزولهم بقفصة حتّى التَحمُوا بأَهلِها وانْتَظَمُوا في

(أ) ظ: القيام.

بُيوتَاتِها. وكانتِ البُيوتُ بها بَيْتَ بني عَبد الصمد، وبيتَ بَني أبي زَيْد، وكانتْ رئَاسَةٌ لبعض بني أبي زَيْد لعَهْدِ الأميرِ أبي زكريّاءَ الأَعْلى، كان يَسْتَعْمِلُه على جِبايَة أَمْوال الجَرِيد، ثمَّ سُعِيَ به أنّه أصابَ منْها فنكبَه وصُودِرَ على آلافِ من المالِ فأَعْطاهَا، وأَقامَتْ رِئَاسَتُهم مُتفَرِّقَةً في هذه البُيوتَاتِ. ولمّا حَدَثَتْ العَصَبيَّةُ بالبلَدِ أَيَّامَ صارَ أَمْرُ الجَريد / إلى [364أ] الشُّورَى كانَ بنو العابد(أ) هؤلاء أَقْوى عَصبِيّةً من سائِرهم، واسْتَبَدَّ بها كبيرُهم يحيى بن عليّ. فلمّا فرغَ السُّلْطانُ من شُغْلِهِ بزَنَاتَةَ، وجَثَمَ السّلطانُ أبو الحسَن على تِلِمْسَان وحاصرَها، وأَقْبَلَ السُّلطانُ علَى النَّظر في إصْلاحِ مُلْكه وإصْلاحِ ثُغورِه، وافتَتَحَ أَمْرَه بغَزْو قَفْصَةَ. ونَهَضَ إليها سنةَ خَمْسٍ وثَلاثينَ في عساكِرِهِ من المَوَحِّدين وطَبقاتِ الجُنْد والأَوْلِياء من العَرَب، فحاصَرهَا شَهْرًا أو نَحْوَه، وقطعَ نَخيلَها فضاقَ مُخَنَّقُهُم بالحِصار، وتَلاَوَمُوا في الطَّاعة واسْتَبَقُوا بها إلى السلطان، وفَرَّ الكثير من بَني العابد فلَحِقُوا بقَابِس في جِوار ابنِ مَكِيّ. ونَزَلَ أهلُ البلَد على حُكْم السّلطان، فتَقَبَّلَ طاعَتَهم، وأحسنَ التّجاوزَ عَنْهم، وبَسطَ المَعْدَلَةَ فيهم، وأَحْسَبَ أملَ ذَوي الحاجاتِ منْهم، وانكَفَأَ راجعًا إلى حَضْرَته بعدَ أن آثَرَهم بسُكْنى وَلَدِه المَخصوص بَعْدئذٍ بعَهْدِهِ، الأميرِ أبي العبّاس، وأَنْزَلَه بَيْنَ ظَهْرَانِيهم، وعقَدَ له على بِلاَدِ الجَريد. واحْتَمِلَ مُقَدَّمُ قَفْصةَ يحيى بن عليّ إلى الحَضْرة، فلَمْ يزَلْ [بها](ب) إلى أن هلَكَ سنةَ أربعٍ وأَرْبعين.

واستبَدَّ الأميرُ أبو العَبَّاسِ بأَمرِ الجَريد، واسْتَولَى على نَفْطة كما قَدَّمْناه، وقَتلَ بَني الخَلَفِ، وهم: مُدافِعُ، وأَبو بَكْر عبدُ الله، ومُحمد، وابْنُه

(أ) ظ: العايد (ب) من ف وحدها.

أَحْمَدُ بنُ محمد، إخْوَةٌ أربعةٌ وابنُ أَخيهم بَنو الخَلَف بن عليّ بن الخَلَف ابن مُدَافِع. ونَسَبهُم في غَسّان من طَوالع العَرب، انْتَقَل جَدُّهم من بَغْدِ قُرَى نَفْزَاوَة إلى نَفْطة وتَأَثَّلَ بها، وكان لبَنِيهِ بها بَيْتٌ، واسْتَبَدَّ هؤلاء الإخْوةُ الأربعةُ أَزْمانَ الشّورَى كما قَدّمناهُ. ولـمّا اسْتَوْلَى [مولانا](أ) السّلطانُ أبو بَكْرٍ علَى الجَرِيد / وأَنزل ابْنَه أبا العبّاس بقَفْصة وعَقَدَ له على سائر [364ب] أَمْصاره، اقتضَى طاعَتَهم فامْتَنَعوا، فسَرّح إليهم وَزيرَه أبا القاسِم بن عَتُّو من مَشْيَخة المَوحّدين، وَجُهِّزَتْ له العساكِرُ من الحَضْرة، ونازَلَها، وقطعَ نَخْلَها فَلاذَ أَهْلُهَا بالطّاعَة، وأَسْلَموا بَنِي مُدافِع الـمُتَغَلِّبِين فضَرَبَ أَعْناقَهم وصلَبَهم في جُذوع النَّخْل آيَةً للمُعْتَبِرِينَ. وأَفْلَتَ السّيْفُ منهم عَلِيًّا صَغيرَهم لذِمَّةٍ اعْتَقَدَهَا له أبو القاسِم بن عَتُّو، وذلك بنُزوعِه إليه قَبْل الحادِثَة، فكانَتْ وَاقِيَتَه من الهَلَكَة. واسْتَوْلَى الأميرُ أبو العبّاس على نَفْطَة واسْتَضافَها إلى عَمَلِه.

ثمّ مَرِض أبو بَكْر بن يَمْلول في طاعَتِه فنَهَضَ إليه السّلطان أبو بكر من تُونِس سنةَ خمسٍ وأَرْبعين، وكان الفَتْحُ كما قَدَّمْناهُ، ولَحِقَ أبو بَكْر بن يَمْلُول ببِسْكِرَة، فلَمْ يزلْ بها إلى أن أَجْلَب على تَوْزر، فنَبَذَ إليه يوسفُ ابن مُزَنِي عَهْدَه، وانتقَلَ إلى حُصون وَادي ابن يَمْلول الـمُجَاوِرَة لتَوْزَر، وهلَكَ سنةَ ستٍّ وأربعين. ثمّ كان مَهْلِكُ السّلطانِ وابنِه الأمير أبي العبّاس صاحبِ الأعْمال الجَرِيدِيّة إثْرَ ذلك سنةَ سَبْعٍ وأربعين، ورَجَعَ إلى كلِّ مِصْرٍ مِنَ الجَرِيدِ مُقَدَّموهُ، فرجَعَ أحمدُ بنُ عُمر بن العابد إلى قَفْصة من

(أ) من ف. وموقعها بياض في ظ.

مَكانِه في جِوار ابن مَكِّيّ؛ واسْتَوْلى على بلَده في مَكان ابنِ عَمِّه يحيى بن عليّ، ورجعَ عليّ بنُ الخَلَف إلى نَفْطة واسْتَبَدَّ بها، ورَجعَ يحيى بن مُحمّد ابن أحْمد بن يَمْلول إلى تَوْزَر من مَثْوَى اغْتِرابه بِبِسْكِرَة؛ ارْتحلَ إليها مع عَمِّه أبي بكر طِفْلاً. فلمّا خلاَ الجريدُ من الإمَارَةِ دَرَجَ يحيى هذا من عُشِّه في جِوار يُوسف بن مَنصور بن مُزْنِي وأَطْلَقَهُ مع أَوْلاد مُهَلْهِل من الكُعُوب / بعد أن وَصَلَهم وشَارَطَهم واسْتَرْهَنَ فيه أبْناءهم، فأَوْصَلُوهُ إلى مَحَلِّ رِئَاسَتِه بتَوْزَر، ونَصَبهُ شيعَتُه وأَوْلياءُ أبيه وقَاموا بأَمْره، ورجعَ أمرُ الجَريد كلِّه إلى رئاسة مُقَدَّمِيهِ[أ] كما كان. ثمَّ وَفَدوا على السّلطان أبي الحَسن عند زَحْفِهِ إلى إفريقيَّة، ولَقَوْهُ بوَهْران فلَقَّاهُمْ مَبَرَّةً وتَكْرُمَةً، ورَجَعَ كلٌّ[ب] إلى بَلَدِه ومَحَلِّ رِئَاسَتِه بعد أن أَسْنَى الجائِزَةَ ووَفَّر الأَسْهامَ والأَقطاع، وأَنْفَذ الصُّكوكَ والكتبَ، فرجَعَ إلى تَوْزَر يحيى بنُ مُحمّد بن أحْمد ٭بن يَمْلول صَبِيًّا مُغْتَلِمًا، وإلى نَفْطَة عليُّ بنُ الخَلَف بن مُدَافِع، وإلى قفصة أحمد٭[ج] بن عمر بن العابد، وأَنْزلَ بكلّ واحدٍ من هذه الأَمْصارِ عاملاً وحامِيَةً. وعقَدَ على الجَريدِ كلِّه لمسعود بن إبراهيم بن عيسى البَرْنِيَانِي من طَبقَة وُزرائِه، واسْتَوصَى بهؤلاءِ الرُّؤساءِ خَيرًا في جِواره. [365

حتّى إذا كانت نَكْبةُ السّلطان بالقَيْروان سنةَ تِسعٍ وأربعين، وارتحلَ عامِلُ الجَريد مسعودُ بن إبراهيم يُرِيدُ المغْربَ بمن معه من العُمّال والحامِيَة، ونُمِي خَبَرُه إلى الأَعْراب من كَرْفَة[د]، فَصَبَّحُوهُ في بَعْض مَراحِل سَفَرِهِ دونَ أَرْض الزّابِ، فاسْتَلْحَمُوه ومَنْ كان مَعهُ من الحامِيَة واسْتَوْلَوْا على

(أ) ف: مقدمته (ب) ظ ف: كلا (ج) سقط ما بين النجمين من ف (د) الكاف في ظ ف مهملة من نقط الاشمام فأجريناها على ما تقدم من ضبطها الصحيح.

أبْنِيَتِهِم وذَخيرَتِهم وكُراعِهم. واستَبدّ رُؤساءُ تلك البلادِ بأمْصارِهم، وعادُوا إلى دِينِهِم من التَّمرِيضِ، وآذنوا بالدُّعاء لصاحِب الحَضْرة منابِرَهم، واستمرّوا على ذلك.

فأمّا يحيى بن مُحمّد بن يَمْلُول فنزَعَ إلى مُناغاةِ المُلوك في الشّارَة والحِجابِ واتّخاذِ الآلَةِ والبَيْتِ المَقْصورِ للصّلاة واقتعادِ الأَريكةِ وخطابِ التّمويل، وفَسَحَ للمُجون والعُكوفِ على اللّذّاتِ مَجالاً، يَرَى أنّ / جِماعَ السّياسَةِ والمُلْكِ، في إدارَة الكَاسِ، وافْتِراش الآسِ، والحِجْبةِ عن النّاسِ، والتّألّهِ على النّدمان والجُلاّسِ. وفتحَ مع ذلك على رَعيّتِه وأَهْلِ إيالَتِه بابَ العَسْفِ والجَوْرِ، ورُبَّمَا بَيَّتَ المشاهيرَ منهم غيلةً فأتْلَفَ نُفُوسَهُم. وامْتَدّ أَمَدُهُ في ذلك إلى أن اسْتَوْلَى السّلطانُ أبو العبّاس على إفريقيّة، وكان من أَمْره ما نَذْكر. [365 ب]

وأمّا جارهُ الجَنْبُ عليُّ بنُ الخلَف، فلَمْ يلْبَثْ لـمّا اسْتَبدّ برئاسَتِه أنْ حَجَّ سنةَ أربع وستّين، والتزمَ مذاهبَ الخَيْر وطُرُقَ الرِّضَى والعَدالَة، وهلَكَ سنةَ خمسٍ بَعْدَهَا. وَوَلِيَ مكانَه ابنُه مُحمّدٌ جاريًا على سَنَنِه، ثمّ هلَكَ لسنةٍ من ولايَتِه. وقامَ بأمْرِه أخوهُ عبدُ الله بن عليّ، فأذْكَى سياسَتَه، وأيْقَظَ حزْمَه، وأَرْهفَ للناس حَدَّهُ، فنَقَموا عليه سِيرتَه وسَئِمُوا عُنْفَه.

واستَمْكَنَ مُناهِضُهم في الشّرَف ومُحاذِيهم في رئاسَةِ البلَد القاضي مُحمّدُ ابن خَلَف الله من صاحِب الحَضْرة بذِمّةٍ كانت له في خِدْمته قديمةٍ، واستَعْمَلَه لرَغْيِها في خِطّة القَضاء بحَضْرته، وآثَرَه بالمكان منه والصّحبة، فسعَى بعبد الله هذا عندَ الخليفة ودَلَّهُ على مَكَامِنِ هلكَتِه، وبَصّره بعَوْرات

بلَده، واقْتَادَ(أ) عساكرَ السّلطان إليه في زِمَامِه. ولـمَّا احْتَلَّ بظاهِر البلَد وعبدُ الله رئيسُها أشدّ ما كانَ قُوّةً وأكثر جمعًا وأمْضَى عزْمًا، اسْتَأْلَفَ أخوهُ الخلَفُ بنُ عليّ بن الخلف جماعةَ المشْيَخةِ دونَه وحَرَّضَهُمْ علَيه، وداخلَ القاضي في تَبْيِيت البَلَدِ وأنَّه بالـمِرْصادِ في اقْتحامِها، حتىّ إذا كانت الهَيْعَةُ دَسّ إلى بَعْض الأَوْغاد في قَتْل أَخيه عبد الله، ومَكَرَ بالقاضي والعَسْكر، وامْتَنعَ عليهم واعْتصمَ دُونَهم واسْتَقَلَّ برئَاسة بَلَده. وأقامَ على ذلك / يُناغي [366أ] ابنَ يَمْلول في سَيْره، ويُطارحه الكثيرَ من مَذاهِبه، ويجْرى في الشّأْوِ الذي بلغ إلى غايَتِه وأوْفَى على ثنيّته.

وأَمَّا أحمدُ بنُ عُمر بن العابد، فلَم يَزلْ من لَدُن اسْتِبْدادِه ببلَده قَفْصَةَ سالكًا مَسالكَ الخُمول، مُنْحَطًّا عن رُتَبِ التَكبُّر، مُنْتحِلاً مذاهبَ أَهْلِ الخَيْر والعدَالة في شارته وزِيّه ومَرْكَبِه، جانحا إلى التَّقَلُّلِ. فلَمّا أوْفَى على شُرَف من العُمْر، اسْتَبَدَّ علَيه ابنُه مُحمّدُ وتَرَفَّعَ عن حال أَبيه بعضَ الشّيء إلى مُناغاةِ هؤلاء الرُّؤَساء المُتْرَفِين، فبَيْنَما هؤلاء المُقَدَّمُونَ في هَذه الحال من الاسْتِبْداد على السّلطان والتّخلُّقِ بأَخْلاق الـمُلوك والتّثاقُلِ عن الرّعايَا بالعَسْف والجَوْر واسْتِحْداث المُكوسِ والضَّرائِبِ، إذْ أَطَلَّ على مَفاحِصِهم السُّلْطان أبو العبّاس بالحَضْرَة مُسْتَبِدًّا بدَعْوته صَارِفًا إلى كَبْحِهم عزائِمَه، فوَجَمُوا وتَوَجَّسُوا الخِيفَةَ منه، وائْتَمروا في الـمُظاهَرة واتِّصالِ اليَدِ بعد أن كانوا يَسْتَحِثُّونَهُ إلى الحَضْرَة ويَبْعثون إليه بالانْحياشِ على البُعد(ب) زبَونًا على صاحب الحَضْرة وتَرَاوُغًا عن مَصْدُوقَةِ الطّاعَة. فلَمّا اسْتَبَدَّ السُّلْطانُ أبو العبّاس بالدَّعْوة اسْتَرَابُوا في أَمْرهم، وَسَرَّبُوا أَمْوالَهم في

(أ) ف: اقياد (ب) ظ: التعد.

الأَعْراب الـمُخالِفين على السُّلطان من الكُعوب يُؤَمِّلُونَ مُدافَعَتَهم عنْهم. فَشَمَّرَ لها أولادُ أبي اللَّيل بما كان وَقَعَ بينهم وبين السّلطان من النّفْرَة، ونَهَضَ إليهم السُّلْطان فغلَبهم على ضَواحي إفريقيَّة وعلى الظّوَاعِن التي كانت جِبايَتُها لهم مِن مَرَنْجِيزَةَ. كما قُلْناه، واكْتَسَحَهُمْ فأَوْهَنَ بذلك من قُوّتهم. ثمّ زَحَفَ الثّانيةَ إلى أَمْصار الجَريد فلاَذُوا بالامْتِناع، وأناخَ السّلطان بعَساكِره / وأَوْليائِه من العَرَب أولادِ مُهَلْهل على قَفْصَة، فقاتَلَها يومًا أو بَعْضَ يومٍ، وَغَدَا في ثَانِيهِ على نَخيلِهم يَقْطَعُها فكَأَنَّمَا يَقْطَعُ بذلك أَمْعاءَهم، فتَبَرَّأُوا من مُقَدِّمِهِمْ، وشَعَرَ بذلك فبادَرَ إلى السُّلطان ونزلَ على حُكْمه، فتَقَبَّضَ عليه وعلى ابنه شَهْرَ ذي القَعْدة من سنَةِ ثمانين، وتملَّكَ البلَدَ، واستَوْلَى على ديار ابن العابد بما فيها، وكان شَيْئًا لا يُعَبَّرُ عنه لطول أَيّامه في الولايَة وكَثْرة احْتِجانِه للأَمْوال.

وعَقَد السّلطانُ على قَفْصة لابْنه أبي بَكْر وارْتَحَلَ يُريد تَوْزَرَ، وطارَ الخَبرُ لابن يَمْلُول في تَوْزَرَ فقَوَّضَ عَنْها بأَهْله ونَزَلَ على أَحْياء مِرْدَاس، وسَرَّب فيهم المالَ فرَحلُوا معه إلى الزّاب. ولَحِقَ بِبِسْكِرَة مَأْوَى نَكَباته ومُنْتَهَى مَفَرّه، فَنَـزَلَ بها على أحمد بن يوسف بن مُزْنِي، وأقام هُنالِكَ على قُلْعَةٍ[1] مَنْ توَقُّع مُطالَبَةِ السُّلطان له ولجارِه ابنِ مُزْنِي، وخَسَارة أَمْوالِهم في زَبون العَرب وسُوءِ المَغَبَّة، إلى أن هَلَكَ لسَنةٍ أو نَحْوها.

(1) مَجلِسٌ قُلْعَة، أي يُقلَع عنه الجالس إذا جاء من هو أعزّ منه. وهو على قُلْعَة أي رِحْلَة. والقُلْعَةُ الانقلاعُ والارتحال

وائْتَمَرَ أهلُ تَوْزَرَ [بعد][أ] تفْويضِه عنْهم وبعثوا إلى السُّلطان ببَيْعَتهم فَلَقِيَتْهُ أثناءَ طريقه. وتَقَدَّمَ إلى البلَد فنـزلَ بقُصور ابْنِ يَمْلُول، واستَوْلَى على ذَخيرَتِه، وتبَرَّأَ إليه أهلُ البلَدَيْن من وَدَائعَ كانت له عنْدَهم من خالِص الذَّخيرة فرَفعوهَا إلى السُّلْطان. وعقَدَ لابْنه المُنْتَصِر على تَوْزَر.

واستَقْدَمَ الخلَفَ بنَ الخَلَفِ من نفْطَةَ، وكان يُخَالِفُ أصحابَهُ إلى الطّاعة مَتَى نَقَضُوهَا زَبُونًا علَى ابن يَمْلُول وسالِفَةً من العَدَاوَةِ كانَ يَتَقَبَّلُهَا. فلَمَّا أُحِيطَ بهم أَدْرَكَهُ الدَّهَش، وبادَرَ إلى السُّلطان بطاعَتِه فأتَاها، وقَدِمَ عليه فأَدْرَكَ السّلطانُ ظاهِرَه وأَغْضَى له عن غَيْرِها طمعًا في اسْتِصْلاحِه، / وعقَد [367أ] لَهُ عَلَى حِجَابة ابْنه المنْتَصِر، وأَنْزَلَهُ معَه بتَوْزَر، وأَمرَهُ بالاسْتِخْلاف على بَلَده نَفْطَةَ وعقَدَ له على ولايتِها، وانْكَفَأَ راجِعًا إلى حَضْرته.

ونَدِمَ ابنُ الخَلَف على أَمْرِه ورأَى أنّه قد تَوَرّط في الهَلَكَة، فراسلَ ابنَ يَمْلُول بمكانِه من تَوْزَر، وعَثَرَ أولياءُ السّلطان على كِتابِه إلى يَعْقوب ابن عليّ شيْخ رياحٍ ومِدْرَهِ حُروبهم، مُحَرّضه على صَريخ ابن يَمْلُول ومَعونتِه، [فعَرفوا][ب] نكْثَه ومُدَاجاتِه، وبادَرُوا إلى القَبْض عليه، ووَلَّوْا على نَفْطَة مِنْ قِبَلِهِم، وخاطَبوا السّلطانَ بالشّأْن؛ وأقامَ في اعْتقالِهِ إلى أن كانت حادِثَةُ قَفْصَة فبادَرَ الأميرُ المنْتَصِرُ إلى قَتْلِه[ج].

وكانَ من خبَرِ قَفْصَةَ أنّ ابنَ أبي زَيْد من مَشْيَختِها كان نزَع إلى السُّلْطان قبل فَتْحها هو وأَخوهُ لمُنافَسَةٍ بَيْنَهما وبين ابن العابد، وهما: مُحمّد وأَحْمدُ ابْنا عبد العزيز بن عبد الله بن أحمد بن علي بن عبد الله بن

(أ) في ف وحدها (ب) إضافة لتحقيق الربط وتواصل النص (ج) من ف. ظ قبله.

علي بن عُمر بن أبي زَيْد. وقد ذكرنا أَوّلِيَّتَهُمْ واسْتعمالَ سلَفِهم أيّامَ الأمير أبي زكريّاء الأعْلَى في جِبَايَةِ الجَريد. فلمّا اسْتَوْلَى السّلطانُ على البلَد رَعَى لهما تَشَيُّعَها وبِدَارَهُمَا إلى طاعَتِه مع قَديـمِهِمَا فأَنْزلَهُمَا مع ابنه بقَفْصَة، وكَبِيرُهُمَا رَديفٌ لحاجِبه عبد الله من المَوَالي الأَتْرَاك ومُدبّرٌ لأمور البلَد في طاعة السُّلْطان. ثمّ نَزغَ الشّيطانُ في صَدْرِه، وحَدَّثَتْهُ نفسُه بالاسْتِبْداد، وأقامَ يتَحَيَّنُ لَهُ. وذَهبَ الأَميرُ أبو بكر إلى زيارة أخيه بتَوْزَرَ فكادَه في التَّخَلُّف عنه، وجَمَعَ أَوْشابًا مِنَ الغَوْغَاءِ والزَّعَائِفِ وتَقَدَّم بهم إلى القَصَبة للفَتْك بعبد الله التريكي، ونُذِرَ[أ] بذلك فأَغْلَق أبوابَ القَصَبة، وبعثَ الصَّرِيخَ في أهْلِ القُرَى، وقاتَلَهم ساعةً من نَهارٍ حتّى وافَى إليه المدَدُ، فلَمّا اسْتَغْلَظَ بـمَدَدِه أَدْرَكهم الدَّهَشُ، وانفضَّ الأَشْرارُ من حَوْلهم ولَجأوا إلى الاخْتِفاء / [36ب] في بُيوتِ البَلَد، وتَقَبَّضَ على الكثيرِ مِمَّنْ دَاخَلَهم في الثَّوْرة. ووَصَلَ الخبَرُ إلى الأمير أبي بَكْر بتَوْزَر فبادَرَ إلى مكانِه وقد سكَنَتِ الهَيْعَةُ، فاسْتَلْحَمَ جميعَ من تَقَبَّضَ عليه حاجِبُه، ونَادَى في النَّاس بالبَرَاءَة من ابن أبي زَيْد، فتَبَرَّأوا. وعثَرَ الحَرَسُ علَيْه وعلَى أخيه خارجَيْنِ من أبْواب البلَد في زِيّ النّساء، فقَادُوهُمَا إليه فقتلَهما بعد أن مَثَّلَ بهما. وبادَرَ المَوْلَى المنْتَصِرُ إلى توْزَر لقَتْلِ الخَلَف بنِ الخَلَف أن يَخُوضَ في مِثْلها، فذَهبَ في غير سَبيلِ مَرْحمةٍ، لم يَعْطِفْ عليه رَحِمٌ، ولا بَكَتْهُ[ب] سماء ولا أَرْضٌ. واسْتبدَّ السّلطانُ بالجَريد ومَحا منه آثارَ المشْيَخة وعَفَّى عليها، وانتظمَهُ في عمالات السُّلْطان.

(أ) ظ ف: ندر (ب) ظ: تكنه.

وأمّا بَلَدُ الحامَّة وهي من عمالات قَسنطِيليّة، وتُعْرف بحامّة قابِس، وحَامَّةِ مَطْمَاطَة، نسبةً إلى أهْلها المُوطَّنِينَ كانوا بها من البَرْبَر، وهم فيما يُقالُ الذّين اختطّوهَا. وأمّا الآن ففيها ثلاث قَبائل من تُوجِّنْ[أ] ومَغْراوَة وبَني وزتاجِنْ. وهم في العصَبِيَّة فرْقَتان: أولادُ يوسف، ورِئاسَتُهم في أوْلاد أبي مَنيع، وأولاد جحّافٍ، ورِئاسَتُهم في أوْلاد وَشَّاح، ولا أدْري كيفَ نَسبُ الفريقَيْن. فأمّا أبو مَنيع فالحديثُ في رِئَاسَتهم في قَوْمهم أنَّ جَدَّهم رجاءَ بنَ يوسف كان لَه ثَلاثةٌ من الوَلَد، وهم: بوساك، ويَحْمَد، وملالت، وأنَّ رئاسَتَه بعدَه كانت لابنه بوساك، ثمّ ابنه أبو مَنيع من بَعْده، ثمّ لابْنه حسن بن أبي مَنيع، ثمّ لابْنه محمد بن حسن، ثمّ لأخيه موسى بن حسن، ثمّ لأخيهما أبي علاّن إلى أن كان ما يُذكر[ب]. وأمّا أولادُ جحّافٍ فكانت أوّلُ رِئاسَتِهم لمحمّد بن أحمد بن وَشَّاح، وقبْلَه [خاله][ج] القاضى عمر بن كلبي، وكان العُمّالُ من الحَضْرة يتَعاقَبُونَ فيهم إلى أن أَسْقطَ / السُّلطانُ [368أ] عنهم الخراجَ والمَغارمَ بأسْرِها. وكان مُقَدَّمَهُمْ لأوَّل دَوْلَة السّلْطان أبي بَكْر من أوْلاد أبي مَنيع وهو[د] موسَى بن حَسَن، وكان المَدْيوني قائدُ السّلطان واليًا علَيهم. وارْتاب بهم بَعْضَ الأيّام، وأَحَبُّوا الثَّوْرَةَ به، فَدَسَّ بها إلى السّلطان في بعض حَرَكاتِه وغَزاهم بنَفْسِه ففَرُّوا، وأَدْرَكَ سَبْعةً من أَوْلاد يوسف هؤلاء، وتَقَبَّضَ علَيهم فقُتِلُوا.

ثمّ رجعَ الأَمْرُ وَوَلِيَ موسَى بن حسَن. ولمّا هلَكَ وَلِيَ بعْدَه أَخوهُ أبو عِلاّن، وطالَ أَمَدُ وِلاَيَتِه علَيْهم، وكانَ مَنسوبًا إلى الخَيْر والعَفاف، وهلَكَ

(أ) كذا في الأصلين، ورسمت فيما تقدم بمدّ كسرة الجيم المشدّدة بياء: توجّين (ب) ف: نذكر (ج) ظ: خالد (د) ف: وهم

سنةَ ثِنْتَيْن وأَرْبعين. [و][أ] وَلِيَ بَعْده ابنُه عُمر، ثمّ ابنُه الآخرُ أبو زَيّان، ثمّ وَلِيَ بعدَهُما عَمُّهما مَوْلاهم بنُ مُحمّد، ووَفَد على السُّلْطان أبي الحسَن معَ وَفْد أهْلِ الجَرِيد كما مَرّ، ثمّ هلَكَ فوَلِيَ بَعْدَه من [بني][أ] عُمُومَتِهم حَسّانُ ابن هَجْرس، وثارَ به محمّد بن أَحمد بن وَشّاحٍ من أَوْلاد جَحّافٍ ومنْ عَقِبِ عبدِ الملك المذكور، فعَزَلَه، وأقامَ في ولايتِها إلى سنةِ ثمانٍ وسَبْعين، فثارَ به أهلُ الحامَّة وقَتلوهُ، ووَلّوْا علَيهم حَسّانَ بنَ هَجْرس، وَاليهم، ثارَ به يوسفُ واعْتقلَه. وَوَلِيَ عَلَيهم يوسفُ بن عبد الملك بن وَشّاح، وهو الآن مُقدَّمُها، يُعطي طاعةً معروفةً، ويَسْتَدْعِي العاملَ للجِبايَة، ويُرَاوِغُ عن المَصْدُوقةِ والغَلَب والاسْتِيلاء، قد أحاطَ به من كلّ جِهةٍ.

وأَمْلَى علَيَّ بعضُ نَسّابتِهم أنَّ مَشْيَخةَ أهل الحامَّة في بَنى بُوساكْ، ثمّ في بَني تَامُل بن بوساك، وأن تَامُلَ أوّلُ من رَأَس علَيْهم، وأنَّ وَشّاحًا مِنْ وِلْدِ تَامُل، وأنّ بَني وَشّاح على فِرقَتَيْن: بنو حسَن، وبَنو يُوسف، فحَسّان ابن هَجْرَس، ومولاهُمْ وعُمر وأبو علاّن كلُّهم من بَني حَسَن. ومُحمّد بن أحمد بن وَشّاح من بَنى يوسف، وهذا مُخالِفٌ للأوّل والله أعلَمُ بالصّحيح في أمْرهم.

[٣٣٢ب] / وأمّا نَفزاوَة وأعمالُ قسطيلية وتُنْسَب لهذا العَهْد إلى تَوْزَر، وهي القُرَى العديدَةُ المُقَدّرةُ السَّيَر يَعْترِضُ بينَها وبَيْن توزر إلى القِبْلَة عنها السَّبْخَةُ المشهورةُ المانِعة من الاعْتِساف، إلاّ مَعالمُ قائمةٌ من الخَشب يَهْتَدِي بها السّالِك، ورُبّما يَضلُّ خائِضُها فتَبْتَلِعُه.

(أ) من ف.

وَيَسْكُنُ هذه القُرَى قومٌ من بَقايا نَفْزاوَة من البَرابِرةِ البُتْرِ بَقَوْا هُنالِكَ بعدَ انقِراض جُمْهورِهِم، وتَحَيَّفَ العَرَبُ لسائِر بُطون البَرْبر ومعَهم مُعاهِدونَ من الفِرِنْجة يُنْسَبون إلى سَرْدَانِية، نَزَلوا على الذِّمَّةِ والجِزْيَة، وبها الآن أَعْقابُهم. ثم نزَل عليهم من عَرَبِ الشّريدِ وزُغْبٍ من بنى سُلَيْم كلُّ من عَجزَ عن الظّعْن، ومَلكوا بها العَقارَ والمياهَ وكَثَروا نَفْزَاوَةَ، وهم لهذا العَهْد عامّةُ أهْلِها. وليسَ في نَفْزَاوَة هذه رئاسَةٌ لِصِغَرِها ورجوعها في الغالِب إلى أَعْمال تَوْزَرَ ورِئَاسَتِها.

هذا حالُ المتقَدّمينَ ببلاد الجَريد في الدّولة الحَفْصية، أَوْرَدْنا أخبارَهم فيها لأنَّهم من صَنَائِعها وفي عداد وُلاَتها ومَواليها. والله مُتولّي الأمور.

[369 أ]

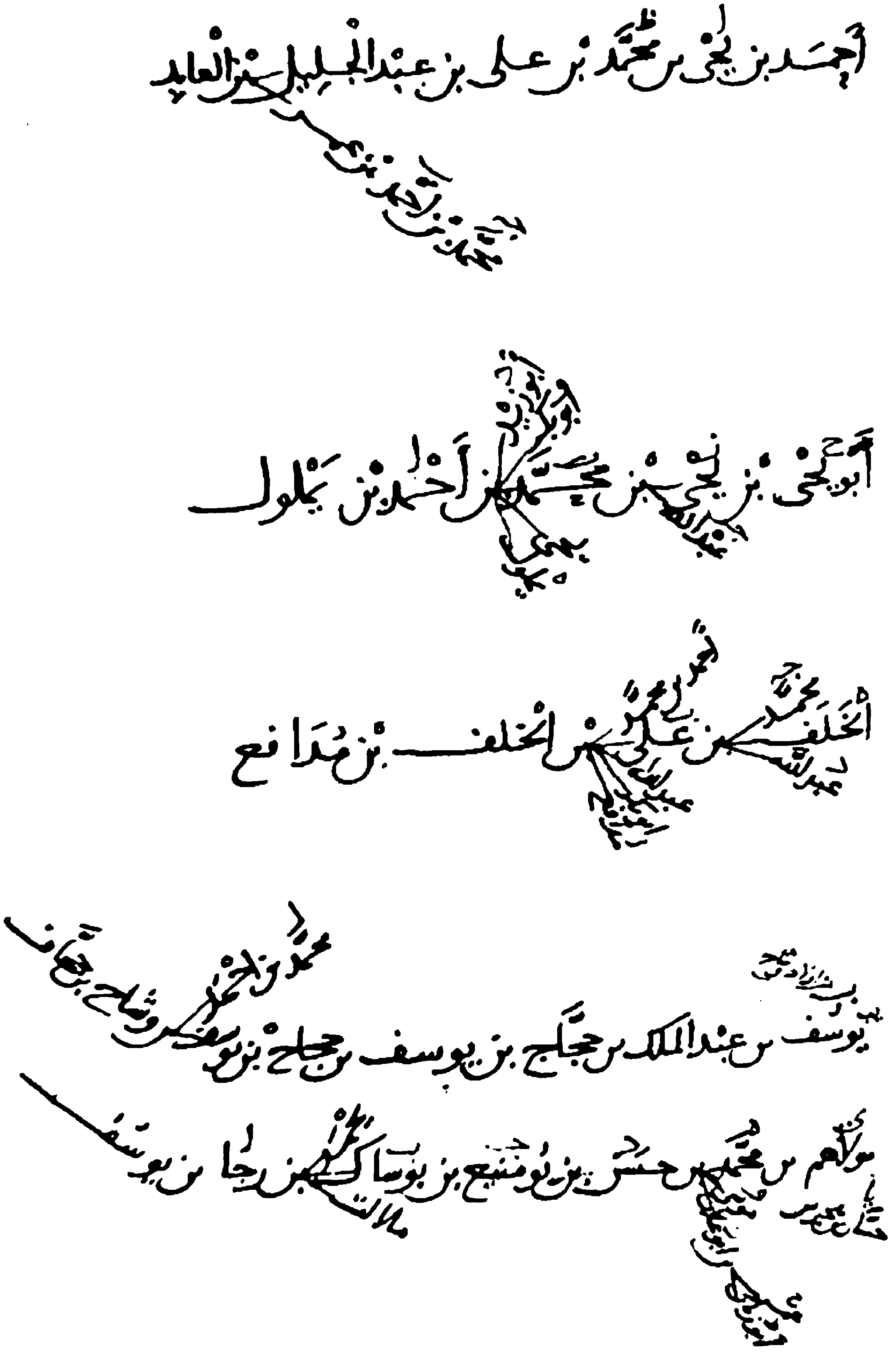


[ رؤساء قفصة وتوزر ونفطة والحامّة ]

## 195 • / الخبرُ عن بَني مَكّي رُؤساءِ قابِس وأَعْمالِها. ‏369]

كانت قَابِسُ هَذه من ثُغور إفريقيّة ومُنتَظِمةً في عَمالَتِها. وكان وُلاتُها من القَيْروان أيّامَ الأَغالِبة والعُبَيْديّين وصِنْهاجة من لَدُن الفَتْح. ولـمّا دخل الهِلاليّونَ إفريقيّة واضطَرَبَتْ أُمُورُهَا واقْتَسَمَتْ دولةَ صِنْهاجة الطّوائِفُ، انْتَزَى بقَابِسَ من صِنهَاجَةَ المعزُّ بنُ محمّد الصِّنْهاجي، وأَدالَ منه مُؤْنِس بنُ يحيى الصّنبري[أ] من مِرْداس رِياحٍ بأَخيه إبراهيم، إلى أن هَلَكَ وَوَلِيَ أَخوهُ قاضِي بن إبراهيم. ثمّ نازَلَه أهلُ قَابِس وقَتَلُوه أيّامَ تميمِ بن الـمُعِزّ بن باديس وبايَعُوا لِعُمَرَ بن الـمُعِزّ بن باديس، كان مُخالِفًا على أخيه، وذلك سنةَ تِسْعٍ وثمانين وأربع مائة. ثمّ غَلَبَهُ علَيها أَخوه تميمٌ، وكان مُغَلَّبًا للعَرب. وكانَتْ قَابِسُ وضَواحِيها في قِسْم زُغْبَة من عَرَب هِلال، ثمّ غَلَبَتْهُم رِياحٌ علَيها. ونزلَ مكنُ بن كامِل بن جامع من بَني دُهْمَان إخوةُ فَادِغ، وهُما معًا من بَني عَليّ إحدى بُطونِ رِياحٍ، فاسْتَحْدَثَ بها مَكَنٌ مُلْكًا لِقَوْمه بَني جامِعٍ وأَوْرَثَهُ بَنِيهِ، إلى أن اسْتَوْلَى الموَحّدونَ على إفريقيَّة. وبعثَ عبدُ الـمُؤمِن مِنْ عساكِرِهِ إلى قَابِس، ففَرَّ عنها مُدَافِعُ بن رشيد آخِرُهم، وانْتَظَمَهَا، كما ذكَرْناهُ في أَخْبارِهم، ومَلَكَهَا، وانقَرَضَ مُلْكُ بَني جامِع، وصارَتْ قَابِس وعَمَلُها للموَحّدين.

وكان وُلاَةُ إفريقيّة من السّادة يُوَلُّونَ علَيها من الموَحّدين إلى أن تَغَلّبَ بنو غانِيَة[ب] وقَرَاقُش على طَرابُلس وقَابِسُ وأَعْمالِهِمَا، وكان ما ذكَرْناهُ في أَخْبارِهم. ثمّ غلَب الموَحّدون يحيى بنَ غانِيَة عليها وأنْزَلوا بها عُمَّالَهُمْ. ولـمّا

(أ) ظ: الصبيري (ب) ظ: غالبة.

عادَ بَنُو أبي حَفْص إلى إفريقيَّة العَوْدَةَ الثّانِية بعدَ مَهْلِكِ الشّيخ أبي مُحمّد عبد الواحِد، وعَقَد العادِلُ على إفريقيّة لابْنِه أبي مُحمّد عبدِ الله، عقَدَ معه على قابِس للأمير أبي زكريّاء أخيه فنَـزَلَها أميرًا، ثمّ كان من شأْنِ اسْتِبْدادِه / [370 أ] وخَلْعِهِ لأَخيه ولطاعَةِ بَنِي عبد المُؤْمِن ما ذكَرْناهُ. وكان مَشيخةُ قابِس لذلك العَهْدِ في بَيْتَـ[يْن][أ] من بُيوتاتِها وهما: بَنو مسلم، ولم يَحْضُرْنِي فيمن هُو نَسَبُهم، وبَنو مكّي ونَسبُهم في لَواتَة.

وهو مَكِّيُّ بن فَرّاج بن زيادَة الله بن أبي الحسَن بن محمد بن زيادة الله بن أبي الحسَن اللّواتي. وكان بَنو مَكّي هؤلاء خالصةً للأمير أبي زكريّاء، ولمّا اعتزَمَ على الاسْتِبداد داخَل أبا القاسِم عثمانَ بن أبي القاسم ابن مَكّي وتَوَلّى له أخذَ البَيْعة على النّاس، فكان له ولقَوْمِه بذلك مكانٌ من المَوْلَى أبي زكريّاء، رَعَى لهم ذِمَّتَها ورفَع من [شَأْنِهم][ب] بسَبَبِها، ورَمَوْا بني [مسلّم][ج] نظراءَهم في رئاسَة البلَد بصاغِيَتِهم إلى ابن غانِيَة فأَخْمَدُوا ذُبالَهم، ومَحَوْا آثارَهُم، واسْتَقَلُّوا بشُورَى بلَدهم، وأقاموا على ذلك أيّامَ المولَى أبي زكريّاء الأوّل وابْنِه المُسْتَنْصِر. ثمّ كان ما قدّمْناهُ من مَهْلِك الواثِق بن المُسْتَنْصِر وبَنِيه على يَدِ عَمّهم السّلطان أبي إسْحاق، وما كان من أَمْر الدَّعِيّ ابن أبي عُمارَةَ وكيف شُبِّهَ على النّاس بالفَضْل ابن المَخْلوع بحِيلَةٍ من مَوْلاهم نَصير، رَامَ أن يَثْأَرَ بها من قاتِلهم فتَمّتْ مَكيدَتُه في ذلك لِمَا أرادَهُ الله. ولمّا أظْهَر نَصيرٌ أَمْرَه وتَسايَلَتْ[د] العربُ إلى بَيْعَتِه، خاطبَ لأوّلِ أَمْرِه رئيسَ قابِس لذلك العَهْد من بَني مَكّي عبدَ الملِكِ بن عُثمان بن مَكّي، فسارَعَ إلى طاعَتِه وحملَ النّاسَ عليها، وكانت له بذلك قَدَمٌ

(أ) زيادة لاستقامة النص (ب) ظ: شا (ج) ظ ف: سليم (د) الياء مهملة في ظ.

في الدّوْلة معروفٌ رُسوخُها. ولمّا أُلقِيَ [الدّعيّ][أ] ابنُ أبي عُمارَة جَسَدًا على كُرسيّ الخِلافة سنةَ إحْدى وثمانين، قلّدَهُ خُطّة الجِبايَة بالحَضْرَة مستقِلاً فيها بالوِلاية والعَزْل والفَرْض والتّقْديرِ والحُسْبَان، بعدَ أن أَجْزلَ من بَيْت المال عَطاءَه وأَسْنَى رزْقَهُ وَجِرَايَتَه، وأَهْدَى الجَواري من القَصْر إليه. ولمّا هلَكَ الدّعيّ[ب] واستَقَلّتْ قَدَمُ / [370 ب] الخِلافةِ من عِثارِها - كما قدّمناه - سنةَ ثلاثٍ وثمانين، لَحِقَ عبدُ الملك[ج] بن مَكّيّ ببَلَده وامْتَنع بها على حين رُكودِ ريح الدَّوْلَة وفشَلِها، ومَرِضَ في طاعَتِه، ودافَعَ أهلَ الدّولَة بالدُّعاء للخليفةِ على مَنابِره. ثمّ جاهرَ بالخُلْعان سنَةَ ثلاثٍ وتِسْعين، وبعثَ بطاعَته إلى صاحِب الثُّغور المولَى أبي زَكريّاء الأَوْسط. وهَلَكَ ابنُه أحمدُ وَليّ عَهْده سنةَ سبعٍ وتِسْعين، ثمّ هَلَكَ هو من بعْده على رَأس المائة السّابعة، وتَخَلّفَ حَافِدَهُ مَكّيًّا فنَصبُوهُ للمُلْك يَفَعَةً[1]، وكفَلَه ابنُ عَمّه يوسفُ بن حسَن، وقامَ بالأَمْر مستَبِدًّا عليه إلى أن هلَكَ. وخلَفَهُ في كَفَالةِ أحمد بن ليْران من بُيوتِ أَهْل قابِس وأَصْهار بَني مَكّيّ. والْتَاثَ أمْرُهم بمَهْلِك يوسف فنَقَلَهُم السّلْطانُ ابنُ اللّحياني إلى الحَضْرة، وأَقاموا بها أيّامًا ثمّ رَدّهُمْ إلى بَلَدهم أيّامَ تجافيه عن تُونِس وخُروجِه إلى نَاحِية قابِس. ثمّ هَلَكَ خِلالَ ذلك مَكّيٌّ وتَخَلّفَ صَبِيَّيْن يافِعَيْن: عبدَ الملِك وأحمَدَ، فكَفَلَهُما أحمدُ بنُ ليْران إلى أن شَبّا واكْتَهَلاَ، ولَهما من الامْتِناع على الدّوْلة والاسْتِبْداد بأَمر القُطْر والاقْتِصار على الدّعاء للخَليفة مثلُ ما كانَ لأَبيهما وأكثرُ، لتَقَلّصِ

(أ) في الأصلين: الداعي، وصوبناه بما تقدم (ب) ظ ف: الداعي وأجريناه على ما تقدم (ج) ف: عبد الحق، ولا يوجد في مشجّر نسبهم.

(1) يفَعَة: غلام ترعرع وناهز البلوغ.

ظِلّ المُلْك عن قُطْرِهم. وشُغِلَ السُّلْطانُ بمدافعَةِ آل يَغمْرَاسِن وعَساكِرِهم عن الثُّغور الغَرْبيّة وإجْلائِهم بالأَعْياصِ من أَهْل البَيْت على الحَضْرة. ولَمّا هَلَكَ السُّلْطانُ أبو يَحْيى اللِّحْياني بمِصْر قفَلَ ابنُه عبدُ الواحِد إلى المَغرب يُحَاوِلُ أسبابَ المُلْك، ونَزلَ بساحَتِهم على ما كان من صَنيع[أ] أَبيه إليْهم، فَذَكَرُوا العهدَ وأَوْجَبُوا الحقَّ وأَتَوْهُ بَيْعَتَهُم. وقامَ كبيرُهم عبدُ الملك بأَمْره، ودَعا النّاسَ إلى طاعَتِه، وخالَفَ السّلطانَ أبا يحيى / عندَ [371أ] نُهوضِه إلى الثغر بجايَة سنةَ ثلاثٍ وثلاثين، كما قدَّمْناه، فدَخلَ الحضرَةَ، ولَبِثَ بها أيّامًا لم تَبْلغ نصفَ شَهْر. وبلَغ خبَرُهم إلى السّلطان فانْكفَأَ راجِعًا وفَرُّوا إلى مَكانهم من قابِس، والدولة تَنْظُرُهُم الشَّزْرَ وتَتَربَّص بهم الدَّوائِرَ إلى أن غَلَبَ السّلْطانُ أبو الحسَن على تِلِمْسان، وَمَحَا دَوْلَةَ آلِ يَغمْرَاسِنْ، وفَرَغَت الدّولةُ من شَأْنهم إلى تَمْهيد أَعْمالها وتَقْويم الـمُنْحرِفينَ عن الطّاعة من وُلاَتِها. وقَفلَ حمزةُ بن عمر بشافِعَةٍ من السّلطان أبي الحسَن إلى السّلطان أبي يحيى في شَأْنه تَقَبّلَ وَسيلَتَها واسْتَخْلَصَهُ لنَفْسه من بَعْدها، واسْتقامَ هو على الطَّاعَة التي لم يجد وَليجَةً عنها. وسلَكَ سَبِيلَه تلك أمثالُه من الدَّوْلةِ الطائِحين في هُوّة الشّقاق، فأَوْفَدَ عبدُ الملك هذا شَقيقَهُ أحمدَ على السّلطانِ أبي الحسَن مُتنَصِّلاً من ذُنوبه لائِذًا بشَفاعَتِهِ مُتوَسِّلاً بما [قَدَّماه][ب] من خِدْمَتِهِ حظاياهُ في طَريقهِنّ إلي الحَجّ ذاهِبًا وجائِيًا. فخاطبَ السُّلطان أبا يحيى في شأنه، وأعادَهُ إلى مَكانِه من اصْطِناعِ سَلَفِهِ، واستقامَ هو على طاعَتِه. ولـمّا انْتَظَمَ السُّلْطان أبو يحيى سائرَ البلادِ الجَريديَّة في مُلْكِه، وعقَد علَيْها لابْنِه أبي العبّاس وَلِيِّ عَهْده، وأَنْزَلَهُ دارَ إمارَتِها متردّدًا ما

(أ) ظ: صنع (ب) في الأصلين: قدمناه.

بَيْن تَوْزَر وقَفْصَة إلى أن قَفَلَتْ عمّتُه من الحَجّ سنةَ ستٍّ وأَرْبعين، وخَرج للقائِها مُختفِيًا بين الظّعائِن فجَمَعَهُ مجْلِسُهَا بأحمد بن مَكّي، كان قد اعْتَمَدَ تَلَقِّيَهَا والقِيامَ بحقّها وصِحَابَتِها في مَرَاحِل سَفَرِها من بَلَدِهِ إلي آخر عَمَلِه. فمَسَحَ الأميرُ أبو العبّاس الإحَنَ عن صَدْره، وأدالَ له الأَمْنَ والرِّضَى من تَوَجُّسِهِ، واستَخْلَصَهُ لدَوْلَته ونَجْوَى أَسْرارِه، واصْطَنَعَهُ لنَفْسِه، وجَعَلَه(أ) رَدِيفًا لحاجِبِه، / فَحَلَّ من دَوْلته بمكانٍ غَبَطَهُ فيه أمثالُهُ من أُمراءِ تلك 1]
الطّوائِف. وعقدَ له السّلطانُ أبو يَحي على جَزيرَة جِرْبَة بوَسِيلَةِ أبي العبّاس ابْنِه، وقد كان افْتَتَحها مَخلوفُ بنُ الكمّاد من صَنائِعهم من يَد العَدُوّ أَهْلِ صِقِلّيَة كما ذكَرْناه، فَضَمَّهَا إليه وَصَيرَّهَا في أَعْمالِه. ولم يَزلْ هذا شأنُه مَعهُ إلى أن هلكَ أبو العبّاس وَلِيّ العَهْد بتُونِس على يَدِ أَخيه أبي حَفْص عمر عندما دخلَها بعد مَهْلَك أبيها كما ذكَرْناه.

ولَحِقَ أحمدُ بنُ مَكيّ ببلَده ثمّ سارَ في وَفْد رُوساءِ الجَريد إلى تَلَقّي السّلْطان أبي الحسَن عند نُهوضه إلي إفريقيّة سنةَ ثمانٍ وأَرْبعين، ولَقِيَهُ معَهم بِوَهْرَانَ من أَعْمال تِلِمْسَان، وكان قَدَمُهُ عنْدَهم فوقَ أَقْدامِهم. ورَجعَ الوَفْدُ على أَعْقابِهم مَحْبُوِّين مَخبورِينَ، وتَمَسَّكَ بأَحْمَد بنِ مَكّي في جُمْلَته إلى أن دخلَ الحَضْرَةَ. ووَفَدَ عليه أخوهُ عبدُ الملِك مُؤَدّيًا طاعةَ السُّلْطان، فكَرّمَ مَوْصِلَه وأَحسن مُنْقَلبَهُمَا جَميعًا إلى بَلَدِهما، وعقد لَهما على ما كانَ بيَدِهما من عَمَل قابِس وجِرْبَة.

(أ) ف: حمد.

ثم كانت نَكْبَةُ السّلطان أبي الحسَن على القَيْروان، فوفَدَ عليه أحمدُ بتُونِس بعدَ خُلوصِه من القَيْرَوان مجدّدا لِعَهْدِ طاعَتِه، فأرَادَهُم السّلطانُ على الانْقياد لعبد الواحِد [بن](أ) اللِّحْياني سُلطانِهم الأقْدم، وعقَد له على تِلْك الثُّغور الشّرْقيّة، وأَنْزَلَه جِرْبَةَ، وأَمرَهُما بالطّاعَة له مادَامَ في طاعَته. وعقَدَ لأبي القاسِم بنِ عَتُّو شيخِ الموَحّدين على تَوْزَر وقَسْطِيلِيَّة بعدَ أن كان قَطَعَهَ عند ما تقَبّضَ علَيه في وَاقِعة السّلطان أبي حَفص عُمر، ثمّ اسْتَقْبَلَ رَأْيَه في اسْتِخْلاصه عِنْدما انْتَقَضَ علَيه أبو محمد بن تَافْرَاكِين. ولمّا رَجَع من القَيْرَوان إلى تُونِس عقَدَ له على تَوْزَر كما ذكَرْنَاهُ، ولعبد الواحِد بن اللِّحْياني / على قابِس وجِرْبَة، فآسَفَ بذلك بَني مَكّي هؤلاء. وهَلَك ابنُ [372أ] اللِّحْياني لحين نُزوله بجِرْبَة بما أصابَه من غُدّة الطّاعون الجارِف لسَنَة تِسْعٍ وأربعين، فانْتَقَضَ بَنو مَكّي على السّلطان أبي الحسَن، ودَعَوْا إلى الخُروج علَيه، وبايَعُوا الأَفْضَل ابنِ السُّلْطان أبي يحيى عند ما أَفْرَجَ عن حِصار تُونِس سنةَ خمسين، وداخَلوا أبا القاسِم بن عَتُّو وهو إذّاكَ لم يَتَوَزَّرْ فأجابَهم، وكانت من دَواعي رِحْلةِ السّلطان أبي الحسَن من إفريقيّة وتَفْويضِه عنها كما قدّمْناه. ولـمّا رجعَ الحاجبُ أبو محمّد بن تَافْرَاكِين من الـمَشْرق، واسْتَقَلَّ بأَمْر تُونِس، ونَصَّبَ الإمامَ أبا إسْحاق ابنَ السّلطان أبي يحيى للخِلافَة بها في كَفالَتِه غَصُّوا بمَكانِه من التَّغَلُّب وأَنِفُوا من اسْتِبْدادِه، وانْحَرَفُوا إلى دَعْوة الأمير أبي زَيْد صاحبِ ثَغر قُسَنْطِينَة. ووَفَد عليه أحمدُ ابن مَكّي مع مُحمّد بنِ طالبِ بن مُهَلْهل كبيرِ البَدْوِ بإفريقيّة فيمن إليه، فاسْتَنْهَضُوهُ، وقَلّده الأميرُ أبو زَيْدٍ حِجابَتَهُ وجعلَ أمْرَه إليه. وَأَبرزَ الحاجِبُ أبو محمّد بن

(أ) سقط من الأصلين.

تَافْرَاكِين بسُلْطانه أبا إسْحاق في عَساكره، ومعَ خالِدِ بنِ حمزَةَ وقومِه، فالْتَقَى الجَمْعَان بِمَرْمَاجَنَّة، وكانت الدّبرة على السّلطان أبي إسْحاق سنةَ ثلاثٍ وخَمسين. وجاؤُوا على آثارِهم فنَازَلُوا تُونِس أيامًا وما أَفْرَجُوا عَنْها إلا للصّائح يُخْبِرُهم باختِلال عَساكِرِ بَني مَرين بالمَدِيَّة من آخر أعْمال تِلِمْسان، وأنّ السّلطانَ أبا عِنان قد اسْتَلْحَمَ بَني عبد الواحِد، وجَمع كَلِمةَ زناتة، واسْتَقَامَ له أمرُ المَغْرِبَيْن، وأَطَلَّ على الثّغور الشّرقيّة فافْتَرَقَ جَمْعُهم. ولَحِقَ الأميرُ أبو زَيْد بقُسُنْطِينَة وأحمدُ بنُ عليّ بقَابِس، وسأَلَ مِن الأَمير أبي زَيْدٍ أن يُقِيمَ رَسْم الإمَارَةِ بَيْنهم في قابِس / [372 ب] وجِرْبَة بأَخيه السّلطان أبي العبّاس، فأَذِنَ له في ذلك، فكانت أوّلَ وِلايَتِهِ السَّعيدة. ومَضَى إلى قَابِس فنزَلَها ثمّ أجازَ البَحْرَ إلى جِرْبَة، ودَفَعَ عَنْها العَسْكَرَ الذي كان مُحاصِرًا للقَشْتِيل من قِبَلِ ابن ثابِت صاحبِ طَرابُلُس، ورَجَع إلى قابِس، حتّى كانَ من أمره ما ذكرناهُ.

وأَوْفَدَ السّلطانُ أبو العبّاس أخاه أبا يحيى زَكَرِيّاء على أبي عِنان ملكِ المَغْرب صريخًا على شأنِه. وأَوْفَد ابنُ مَكّي رُسُلَه مُتَذَمِّمًا ومُذَكِّرًا بوَسائِله، فتَقَبَّلَ وأَغْضَى. ثمّ كانت وَاقِعةُ العَدُوّ دَمّره الله بطَرابُلُس سنةَ أربعٍ وخَمسين كما قَدّمناه، فبعثَ إلى السّلطان أبي عِنان يَسْأَلُهُ فِدْيَتَها والنَّظَرَ لها من بَيْن ثُغور المسْلمين، فحَمَلَ إليه خَمْسةَ أَحْمالٍ من الذّهب العَيْنِ من بَيْت المال، أَوْفَد بها من أَعْيان مَجْلسه الخطيبَ أبا عبد الله بن مَرْزُوق وأبا عبد الله مُحمّدًا حافِدَ الوليّ أبي عليّ عمر بن سيّد النّاس، وعَقَدَ

لأحمد بن مَكّي على طَرابُلس فاستقَلَّ بها، وعقدَ لأخيه عبدِ الملك على قابِس وجِرْبة، وأَقاموا على دَعْوَته. ومَدَّ أحمدُ يَدَهُ إلى صَفاقُس فتَناوَلَها وتَغلَّبَ علَيها سنةَ سبْعٍ وخَمسين.

وهلَكَ السُّلْطان أبو عِنان وقد شَرِقَ[1] صَدْرُ بن تافْراكِين الغالبِ على الحَضْرة بعَداوَتِهما، فَرَدَّدَ علَيهما البُعوثَ بَرًّا وبَحرًا إلى أن اسْتَخْلَصَ جزيرةَ جِرْبَةَ من أيْديهِمَا أعوامَ أرْبعةٍ وستّين، وعقدَ عليها لوَلَده مُحمّد، فاسْتَخْلَفَ بها كاتِبَهُ مُحمّد بنَ أبي القاسِم بن أبي العيُون، من صَنائع الدّوْلَة، كما ذكرناهُ. وهلَكَ أحمدُ بن مَكّي سنةَ ستٍّ وسِتّين على تَفِئَةِ[أ] مَهْلك الحاجِب [ابن] تافْراكِين بالحَضْرة، فكأنَّما ضَرَبا مَوْعِدًا لِلْهَلكَةِ تَوافَيَاهُ. وتَخلَّفَ ابنُه عبد الرّحمن بطَرابُلُس في كَفالة مَوْلاه / ظافِرِ العِلْجِ. وهَلَكَ ظافِرٌ إثْر مَهْلِكِه فاسْتَبَدَّ عبد الرّحمن بطَرابُلس وساءَتْ سِيرَتُه فيها، إلى أن نازَلَه أبو بَكْر بن محمّد بن ثابِت في أُسْطوله، كما نذكرُ، سنةَ ثِنْتَيْنِ وسبعين. وأجلبَ عليه بالبَرابرَةِ والعربِ من أهل الوَطَن فانْتَقَضَ عليه أهل البلَد وثاروا به، وبادَر أبو بَكْر بن ثابِت لاقْتِحامِها عليه وأَسْلَموه، ففرّ إلى بَيْت[ب] بعْض أُمراءِ دَبّاب فأجارَه إلى أن أَبْلَغَهُ مَأْمَنَهُ من مَحلّة قومه وإيالة عَمّه عبدِ الملك بقابِس، إلى أن هَلَكَ سنةَ تِسْعٍ وسبعين. ولم يزَلْ عبدُ الملك لهذا العَهْد وهو سنةَ إحْدَى وثَمانين والِيًا على عَمَله بقابِس، وابنُه يحيى مستَبِدٌّ بوَزارَتِه، وحافِدُه عبدُ

(أ) ف: بقيّة (ب) كذا في ظ. وفي ف فراغ لاسم مطوّل لصاحب البيت الذي نعته بعد بأنّه: من أمراء دبّاب.

---

(1) شَرِق الموضعُ بأهله: امتلأ فضاق.

الوّهاب لابنه مَكّي رَديفٌ له. وقد تراجَعَتْ أحوالُهم عمّا كانت، وخَرجت من أَيْديهم الأعمالُ التى كانَتْ في إيالَتِهم لعَهْد أخيه أحمدَ، مثلَ طرابُلُس وجَزيرَة جِزبَة وصَفاقس وما إلى ذلك من العمالاتِ، حتىّ كَأَنَّ البَخْتَ[أ] إنّما كانَ لأخيه، واليُمْنَ إنّما اقْتَرَنَ بِجَنابِهِ، وسِيرَتُهما جميعًا من العَدالَة وتَحَرّي مَذَاهب الخَيْر والسَّمْت والاتّسام بِسِمَاتِ أَهْل الدّين وحِلْيَةِ الفِقْه مَعْروفَةٌ، حتىّ كان كلُّ واحدٍ منهم إنّما يُدْعَى بالفِقْه عَلَمًا بينَ أهل عَصْره، حِرْصًا على الانغِماس في مَذاهِب الخَيْر وطُرُقِهِ. وكان لأَحْمد حَظٌ من الأَدب، وكان يَقْرُضُ الأَبْيات من الشِّعْر فيُجِيدُ عفَا الله عنه، وله في التّرْسيل حَظٌ ووَسَاعٌ[1] بلاغَة وخَطٍّ، وَينْحُو في كتابِه مَنْحَى أهل المَشْرق في أَوْضاع حُروفِهم وأَشْكالِ رُسُومِهاَ، ولأَخيه عبد الملك حَظٌ من ذلك شارَكَ به جَهابِذَةَ أهْل عَصْره وأُفُقِه.

ولمّا انْتَظَم السُّلْطانُ أبو العبّاس / أمصارَ إفريقيّة في مُلْكه، واسْتَبَدَّ [373 ب] بالدَّعْوَة الحفْصِيّة على قَوْمه، داخلَ أهلَ الجَريد منه الرَّوْعُ، وفَزِعُوا إليه للمُفَاوَضَة في الامْتِناع، فدَاخَلَهم في ذلك، وأَشارُوا إلى صاحِب تِلمْسان بالتَّرْغِيب في إفريقيّة، فعجَزَ عنهم، وأَلَحُّوا عليه فَخَامَ[2] عن العَداوَة.

وزَحَف مولانا السّلطانُ خِلالَ ذلك إلى الجَرِيد، فَمَلَكَ قَفْصة وتَوْزَر ونَفْطَة، فبادَر ابنُ مَكّي إلى التَّلْبِيس بالاسْتِقامَة، وبعثَ إليه بالطّاعة. ثم

(أ) ظ ف: اليخت.

---

(1) الوَساعُ (بالفتح): الواسع الخطو والذّرع.

(2) خامَ : نَكَصَ وجَبُنَ.

رَجعَ السُّلطانُ إلى الحَضْرة فرجَعَ هو عن المَصْدُوقَةِ، واتّهَمَ أهلَ البلَد بالـمَيْل إلى السّلطان، فَتَقَبَّضَ على بعضهم وفَرَّ آخرون. وانْتَقَضَ عليه بَنو أحمد أهلُ ضَواحِيه من دَبّاب فنازَلُوه، وبعَثوا إلى الأمِير أبي بكر بقَفْصة في العَسْكر لمنازَلَتِه فبعَثَه إليْهم وأحاطوا به، ثمّ انْتَهَزَ الفُرْصَةَ ودَاخَلَ بعضَ العَرب من بَني عليّ في تَبْيِيت الـمُعَسْكر وبذَل لهم في ذلك المالَ، فَبيَّتُوهُ وانْفَضَّ. وبلَغَ الخبَرُ إلى السّلطان فـخَرجَ من حَضْرته سنةَ إحْدَى وثمانين ونزلَ القَيْرَوان، وتوافَتِ إليه أحْياءُ دَبّابٍ، وبَعَثَ رُسُلَه للإعْذارِ بين يَدَيْه، فَرَدَّهُمْ ابنُ مَكّي بالطَّاعة، ثم احْتَمَلَ رواحِلَه ونزلَ بأَحْياء العَرب، وأَغَذَّ السُّلطان السَّيْرَ إلى البلَد فدخلَها واسْتَوْلَى على قُصورها، ولاَذَ أهلُ البلَد بالبَيْعة فأَتَوْهَا، واسْتَعمل عليهم من بِطانَتِه وانْكَفأَ راجعًا إلى تُونِس. وهلَكَ عبدُ الملك لأيّامٍ قَلائِلَ بين[أ] أحياء العَرب، وهلَكَ بعدَه عبدُ الرّحمن ابن أَخيه أحمد، الذى كان صاحبَ طرابُلُس بعدَ أَبيه، ولَحِقَ ابنُه يَحْيى وحافِدُه عبدُ الوهاب بطَرابُلُس، فـمَنَعَهُمْ ابنُ ثابِت من النُّزول ببَلَده لما كان مُتَمَسّكًا بطاعَة السّلطان، فنَزَلوا بزَنْزُورَ من بِلاد / دَبّاب التي بضاحِيَتِهَا [أ] وأقاموا هنالك. واسْتَقَامَت النّواحي الشّرقيّة على طاعَة السّلطان وانْتَظَمَتْ في دَعْوَته. والله مالِكُ الـمُلْك.

ثمّ ذَهب يَحيى بنُ عبد الملك إلى الـمَشرق لقَضاء فَرْضِه. وأقامَ عبدُ الوهّاب بين أحياء البَرْبَر بالجِبال هُنالك، وكان الوَالي الذى تَرَكَهُ السّلطان بقابِس قد ساء أَثَرُهُ في أَهْلِها، فدَسّ شيعَتُهم إلى عبد الوهّاب بذلك، وجاءَ إلى البَلَد فبيّتَهَا، وثَاروا بالوَالي فقتلُوه سنةَ ثلاثٍ وثَمانين، وملَكَ عبدُ

(أ) ف: من.

الوهّاب قابِسَ، وجاء أَخوهُ يحيى من المَشرق بعد قضاء فَرْضه فأَجْلَب عليه مِرارًا يَرُومُ مُلْكَهَا منه ولم يتهَيَّأْ له. ونَزلَ على صاحِب الحُمَّة فدَاخَله عبدُ الوهّاب في أن يُمَكِّنَهم منه ويَشْترطَ ما شاءَ، وتَمّ ذلك بينهما وأَوْثقَهُ كتافًا وبَعثَ به إليه، واعْتَقَلَهُ بقَصْر العَرُوسَيْن فمَكَثَ في السِّجْن أعوامًا، ثمّ فرّ من مَحْبَسه ولَحِقَ بالحامّة علَى مرحلةٍ من قابِس مُسْتَنْجِدًا بابن وَشّاح صاحِبِها فأَنْجَدَهُ. ومازال يُجْلِبُ على نَواحي قابِس إلى أن مَلَكها، وتَقَبّضَ على عبد الوهّاب ابن أخيه مَكّي فقَتَلَه أعوامَ تسْعين وسَبْع مائة. ولم يَزلْ مُسْتَبِدًّا ببلَده إلى سنَة ستٍّ وتِسْعين. وكان الأميرُ عُمَرُ ابن السّلطان أبي العبّاس قد بعثَه أَبوهُ لِحِصار طرابُلُس، فَحَاصَرَهَا حولاً، كما نَذْكُره، حتّى اسْتقام أهلُها على الطّاعَة، وأَعْطَوْا الضّريبَة فأَفْرَجَ عنْها، ورَجع إلى أَبيه فوَلاَّهُ على صَفاقُس وأَعْمالِهَا فاسْتَقَلّ بها. ثمّ دَاخَلَ أهلَ الحَامّة في ملك قابِس فأَجابوهُ وسارُوا معَه فَبَيّتَهَا ودَخلَها، وقبَضَ على يحيى بن عبد الملك فضَرَبَ عُنقَه، وانْقَرَضَ أمرُ بَني مَكّي من قابِس. ولِلّه الأَمْرُ من قبلُ ومن بعدُ وهو خيرُ الوارثِين.

[374 ب]

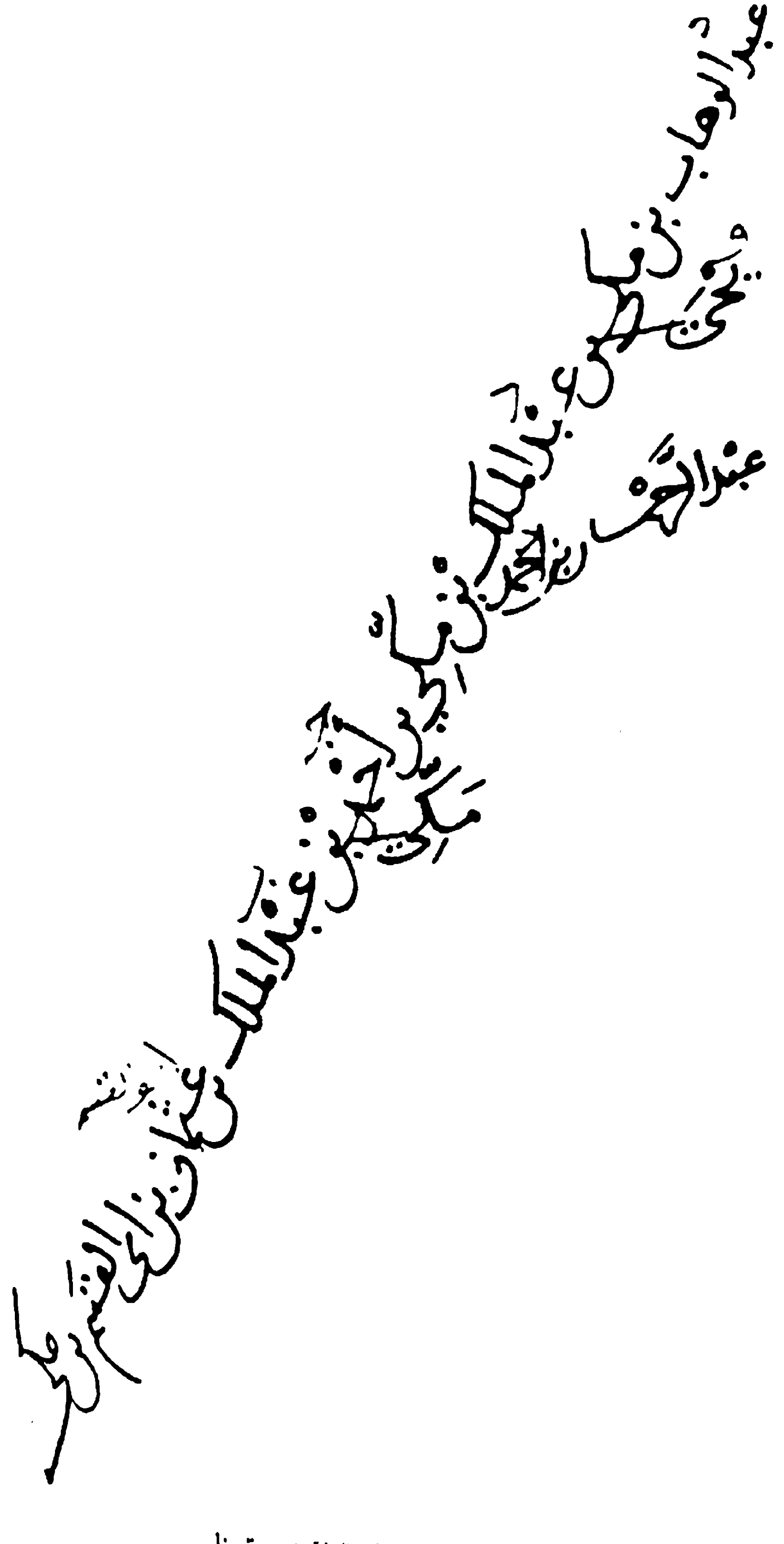

[ مشجرّ نسب بني مكي رؤساء قابس وأعمالها] نسخة ظ.

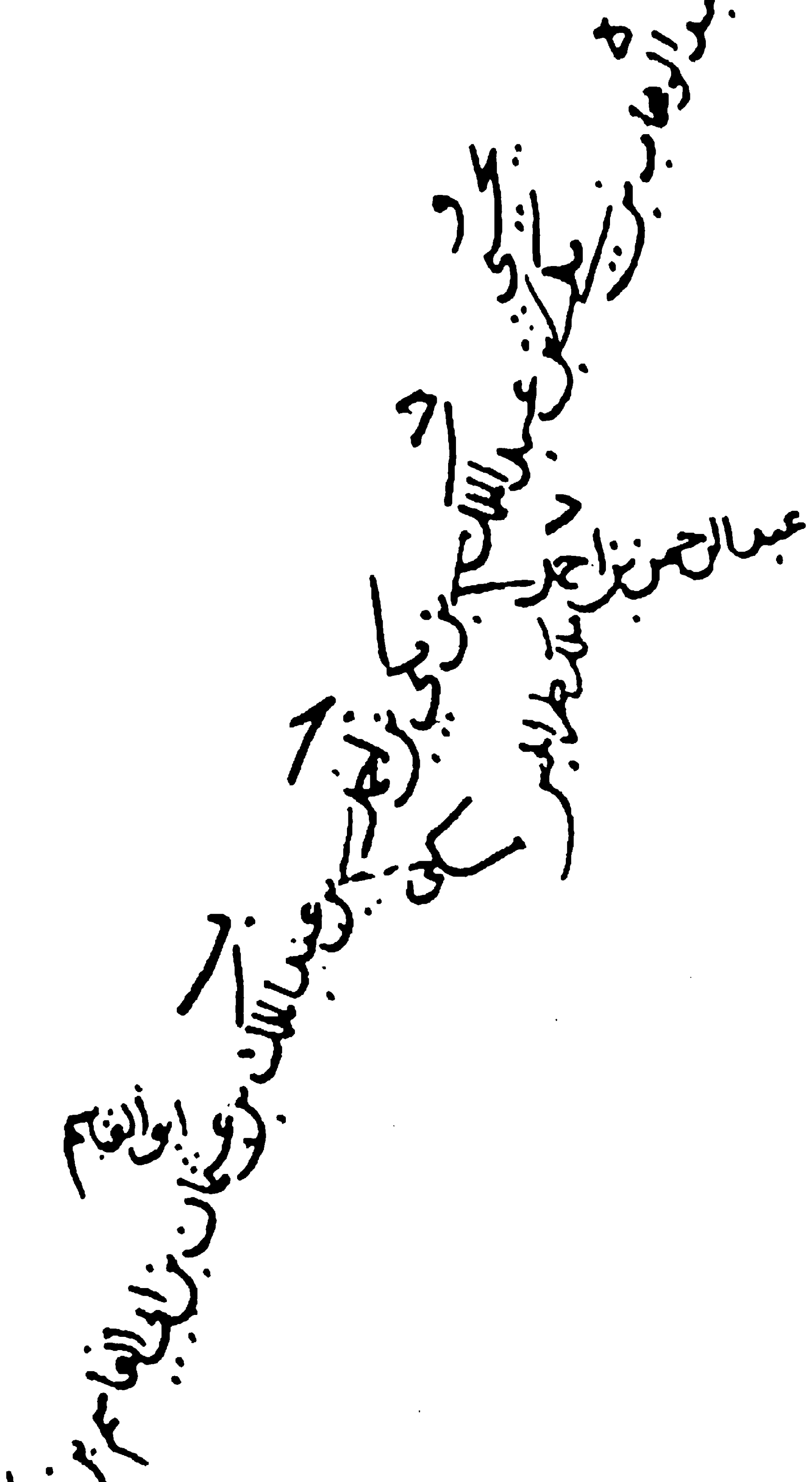


[ بنو مكّي رؤساء قابس وأعمالها] نسخة ف

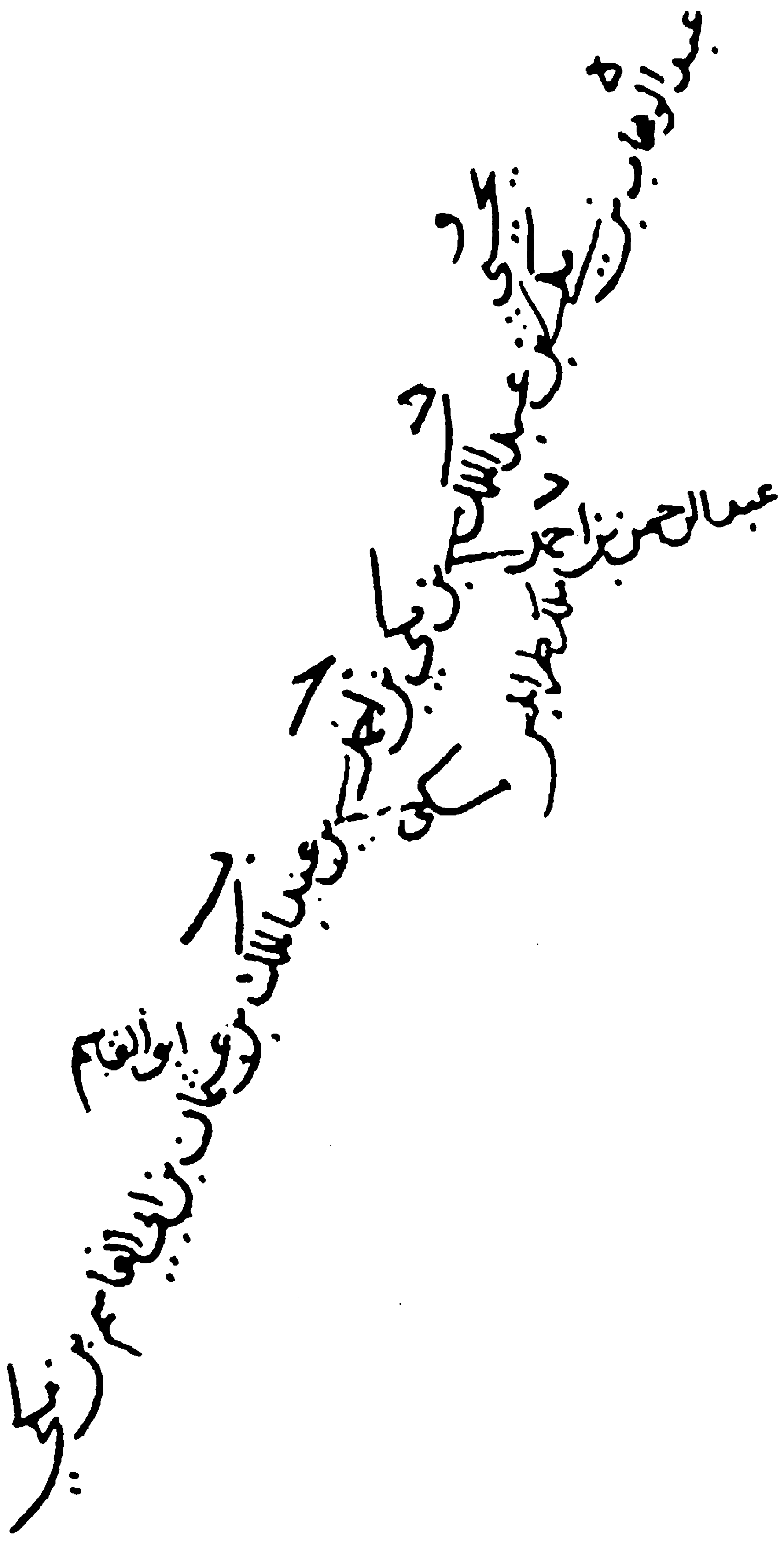

[ بنو مكّي رؤساء قابس وأعمالها] نسخة ف

## 196 • الخبرُ عن بَني ثابِت رُؤَساءِ مَدينة طَرابُلس وأَعْمالِها .

قد تَقَدَّمَ لَنا شأنُ هذا البلَد لأوّلِ الفَتح الإسلامي، وأنّ عَمرو بن العاصي(أ) هو الذي تَولّى فَتحَهُ، وبَقيَ بعد ذلك من جُمْلَة أعمال إفريقيّة، يَنْسَحِبُ عليه ولايَةُ صاحِبها. فلم تزَلْ ثغرًا لهذه الأعمال من لَدُن إمارة عُقْبَة ومن بَعْدَه وفي دُوَل الأغالبة والشّيعة. وكان المعزّ لدين الله من خُلَفاء الشّيعة لمّا ارْتَحل إلى القاهِرة وعَقَدَ على إفريقيّة لبُلُكّين بن زيري بن مَناد، أميرِ صِنْهاجَة، [و](ب) علَى طرابُلس لعَبْد الله بن يَخْلَف من رِجالات كُتَامَة، ثمّ لمّا وَلِيَ نِزارٌ الخلافةَ سنةَ سبْعٍ وسِتّين، طلَب منه بُلُكّين أن يُضِيفَ / [375أ] عملَ طرابُلس إلى عَمَلِه فأَجابَهُ وعَهِدَ له بها، وَوَلّى علَيها بُلُكّين من رجالاتِ صِنْهاجَة. ثمّ [عَقَد](ج) علَيها الحاكِمُ بعد مَهْلك المنْصور بن بُلُكّين ليانِس الصّقلِيّ سنةَ تِسْعين وثلاث مائة بمُداخَلَة عامِلِها(د) تموصولت من صِنْهاجة، وأعانَه على ذلك بَرْجُوانْ الصّقلّي المُتَغَلِّبُ على الدّولة يومئذٍ لمُنافَسَتِه ليانس. فوَصَلَ إليها في ألفٍ وخَمْس مائة فارِسٍ فَمَلَكها، فَسَرَّحَ بادِيسُ جَعْفَرَ بن حبيبٍ لحَرْبِه في عَسْكرٍ من صِنْهاجة، وتَزاحَفا يومَيْن بساحَة زَنْزُور، ثمّ انفَضَّ(هـ) عسكَرُ يانس في الثّالث، وقُتِلَ، ولَحِقَ فَلُّهُ بطَرابُلُس فاعْتَصَمُوا بها. ونازلَهم جعفرُ بن حَبيبٍ القائدُ، وزَحف فَلْفُولُ بن سَعيد [بن](و) خَزْرُون الثّائر على بَادِيس وأَبيه(ز) بإفريقيّة إلى قابِس، فحاصَرها، ثمّ قصدَ جعفرَ بنَ حبيب بمكانِه من حِصار طَرابُلُس فأَفْرَجَ عنها جَعفرُ، ولَحِقَ بِنَفُوسَة وأميرُهم يحيى بنُ مُحمّد،

(أ) ف: العاص (ب) أضيف العطف للربط (ج) من ف وسقط من ظ (د) ظ: عامله (هـ) ظ: انقض (و) من ف وسقط من ظ (ز) ف: ابنه.

فامْتَنَعَ عليهم، ثمّ لَحِقَ بالقَيْروان. ومضَى فَلْفولُ بن سَعيد إلى طَرابُلُس فخَرجَ إليه فُتُوحُ ابنُ عليّ ومن معَه من أصْحاب يانِس فمَلَكُوهُ، وقامَ فيها بدَعْوة الحاكِم من خُلفاء الشّيعة وأوْطَنَهَا. وعقَدَ الحاكمُ عليها [ليَحْيى][أ] بن عليّ ابن حَمْدون أخي جَعْفر صاحبِ المَسِيلَة النّازع إليه من الأنْدلُس، فوصل إليها واسْتَظْهَرَ بفلْفُول على شَأنِه، ونازلَ قابِسَ فامْتَنَعَتْ علَيه، ثمّ عجَزَ عن الوِلايَة، ورأَى اسْتِبْدادَ فَلْفول علَيه بعَصَبيَّته، فرَجعَ إلى مِصْرَ.

واسْتَبَدّ فَلْفولُ بطَرابُلُس، وتَدَاوَلَها بَنُوه معَ مُلوكِ صِنْهاجَة إلى أن اسْتَبَدُّوا بها آخِرًا. ودَخلَ العربُ الهِلاَلِيّون إلى إفريقيّة فخَرَّبُوا أوطانَهَا وطَمَسُوا مَعالِمَهَا. ولم تَزلْ بأَيْدي بَني خَزْرُونَ هؤلاء إلى أن غَلَبَهم عليها جُرْجِي بنُ مِيخَائِيل صاحبُ أسْطولِ رُجَّار ملكِ صقِلّيّة من الإفْرنْج سنةَ أرْبعين[ب] وخَمْس مائة، وأَبْقَي المسلمينَ / بها، واسْتَعْمَلَ علَيهم كما فَعَلَ في [375 ب] سَواحِل إفريقيّة، فأَقَامُوا في مَلْكة النَّصارَى أيّامًا. ثمّ ثَارَ بهم المسلمون بمُدَاخَلَة أبي يَحيى بن مَطْروح من أَعْيانِهم وفَتَكُوا بهم. ولمّا افْتَتَحَ عبدُ المُؤمِن المهدِيَّة سنةَ خَمْس وخَمْسين، وَفَدَ عليه ابنُ مَطْروح ووُجوهُ أَهْلِ طَرابُلُس فأَوْسَعَهُم تَكْرِمَةً، وردَّهم إلى بَلَدهم، وَوَلَّى علَيهم ابنَ مَطْروحٍ إلى أن كَبُرَ سِنُّهُ وعجَز، وارْتَحَلَ إلى المَشْرِق سنةَ ستٍّ وثَمانين بإذْنِ السّيد أبي زَيْد بن عُمر بن عبد المُؤمن عامل إفْريقيّة من قِبَلِ عَمّه يوسف، واسْتَقَرّ بالإسْكَنْدريّة. وتَعاقَبتْ علَيها وُلاَةُ الموَحّدينَ، ثمّ كانَ من أَمْر ابن غَانِيَة وقَرَاقُش ما قدّمناه، وَصارت طَرابُلُس لقَرَاقُش.

(أ) من ف وسقط من ظ (ب) من ف. ظ: أربع.

ثمّ استبَدَّ بنو أبي حَفْص بإفريقيَّة على بَني عبد المُؤمن، وهَلَكَ قَراقُش وابنُ غَانِيَةَ، وانْتَظَمَ عَملُ طرابُلس في أَعْمال الأمير أبي زَكرِيّاء وبَنيه، إلى أن انْقَسَمَتْ دولَتُهم واقْتُطِعَتْ الثُّغورُ الغَربيّةُ عن الحَضْرة، وفَشَلَ رِيحُ الدّولة بعضَ الشَّيْء، وتَقَلَّصَ ظِلُّهَا عن القاصِيَة، فصارَتْ رِئاسةُ طرابُلُسَ إلى الشّورَى. ولم يَزلْ العامِلُ من المَوَحّدين يجيءُ إليها من الحَضْرة إلاّ أنّ رَئِيسَها من أَهْلِها مُسْتَبِدٌّ علَيها، وحَدَثَت العَصَبِيّةُ في البَلَد بحُدوثِ الشُّورَى والمُنافَسَةِ فيها.

ثُمّ نَزَلَها السّلْطان أبو يَحيى بن اللِّحْياني سنةَ سَبْعَ عَشْرة وسَبْع مائة، حينَ تَجَافَى عن مُلْك الحَضْرة وأَحَسَّ بزَحْف السُّلطان أبي يحيى صاحبِ بجايَة إلَيْها، فَأَبْعَدَ عن تُونِس إلى ثَغْر طَرابُلُس، وأقامَ بها. وقامَ أحمدُ بن عَرَبي من مَشْيختها بخدمته. ولمّا فارقَ ابنُ اللّحْياني تونِسَ ويَئِسَ المَوَحّدونَ من عَوْدِه، أَخْرجوا ابْنَهُ مُحمّدَ المُكَنيَّ بأبي ضَرْبَة من الاعْتِقال وبَايعوا لَهُ، وخرجَ للقاءِ السُّلْطان أبي بَكْر ومُدَافعَتِه، فهزَمَهُ السُّلْطان أبو بكر إلى ناحِيَة / الجليد[أ]، وحَمَلَهُ الأَعْرابُ الذين معَه على قَصْد طرابُلُس لانْتِزاع الأموالِ والذّخائر المُلوكِيّة من يَدِ أَبيه؛ ولَمَّا أَحَسَّ بذلك أَبوهُ رَكِبَ البَحْرَ من طرابلُس إلى الإسْكَنْدريَّة، كما هو مَذْكور في خَبَرِهِ، واسْتَخْلَفَ علَى طرابُلس صِهْرَه محمّد بن أبي عِمْران بن إبْراهيم بن أبي حَفْص، فقامَ بأَمْرِها، ووَلَّى حِجابَتَهُ رَجُلاً من أَهْلها يُشْهَرُ بالبطّيسي، فَسَاءَ أَثَرُهُ في أهل طَرابلُس، وحَجَبَ عنْهم وَجْهَ الرِّضَى من سُلْطانه،

(أ) كذا في ظ ف. ولعله يعني الجريد.

وحملَه على مُصادَرَتِهم واسْتِخْلاص أَمْوالِهم حتىّ أَجْمَعُوا الثَّوْرَةَ بالسّلطان، فركِبَ السّفينَ ناجيًا منهم بعد أن تعَرَّضَ بعضُهم لِوَداعِهِ، فأَطْلَعَهُ على سِعاياتِ البَطِّيسي فيهم فقَتَلُوهُ لوَقْته، وقَتَلُوا قاضِيًا بطرابُلُس من أَهْل تونِس كانَ يُمَالِيءُ علَى ذلك، وتوَلَّى كِبْرَ ذلك أحمدُ بنُ عَربي، ثم هَلَكَ. وقام بأَمْرِ طَرابُلُس محمّد بن كَعْبُور فقتلَه سعيدُ بنُ طاهِرِ المَزُوغِي، وملَكَ أَمْرَ البلَدِ، وكان مَعه أبو البَركات بنُ أبي الدّنْيا فماتَ حَتْفَ أَنْفِهِ. واسْتَقَلّ ابنُ طاهرٍ بأَمْر طرابُلُس ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سنة، ثمّ هَلَكَ. وقامَ بأَمْرها ثابِتُ بنُ عمّار الزُّكُوجِي[أ] من قَبائل هَوّارَة، وثارَ به لستّة أَشْهر من وِلايتِه[ب] أحمدُ بن سعيد بن طاهر فقَتَلَه واسْتَبَدّ. ثمّ ثارَ به جماعةُ زُكُوجَة[أ] وقَتَلُوهُ في مُغْتَسَلِهِ عنْدَ الإيذانِ بالصُّبْح، ووَلّوْا مُحمّدَ ابنَ شَيْخهم ثابتِ [بن عَمّار أعوامَ سبعةٍ وعشرين، فاستَبدّ بأَمْر طرابلُس نحوًا من عشرين سنة][ج] وظَلَّ الدّولَة مُتَقَلِّصٌ عنه، وهو يُغَالِطُ عن الإمارَة بالتّجارة والاحْتِراف بها ولَبُوسِ شَارَتِها والسّعْي رَاجِلاً في سِكَكَ المدينة يَتَناوَلُ حاجَاتِه ومَاعُونَه بيَدِهِ، ويُخَالِطُ السّوقَةَ في مُعامَلاتِه، يَذْهَبُ في ذلك مَذْهبَ التَّخلّق والتَّواضُع ويُسِرُّ منه حَسْوًا في ارْتِغَاء. ويَطْلُبُ العامِلَ من تُونِس فيَبْعَثُه السّلطانُ على طَرابُلُس، وُيقيمُ عنْدَه مُعْتَمِلاً في تَصْرِيفِه وهو يَبْرأ / إليه ظاهِرًا[د] من الأَحْكام والنّقْض والإبْرام، إلى أن كان تَغَلُّبُ بَني [376 ب] مَرين على إفريقيّة، ووَصَلَ السّلطانُ أبو الحسَن إلى الحَضْرَة على ما نَذْكُره، فنَاوَلَهُ طَرَفَ الحَبْل وهو مُمْسِكٌ بطَرَفِه، ونَقَلَ إلى الإسْكَنْدريّةِ

(أ) الكاف المشقة من ظ (ب) ظ: ولاية (ج) من ف وسقط من ظ (د) ظ: طاهرا.

مَالَه وذَخِيرَته، ثمّ اغْتَالَهُ أَثْنَاءَ ذلك جماعَةٌ من مجريش عندَ دَارِه فقَتلُوه، وثَأَرَ منهم للحين بِطانَتُه وشِيَعُهُ. وَوَلِيَ بعدَهُ ابنه ثابِت، فتَزَيَّا بزِيّ الإمارة في اللّبوس والرّكوب بحِلْيَةِ الذّهب واتخاذ الحِجَابِ والبِطانَة. وأقامَ على ذلك إلى أن اجْتَمَعَ بها أُسْطولٌ من تجّار النَّصارَى، أَغْفَلُوا أَمْرَهم لكَثْرة طُرُوقِهم وتَرَدُّدِهم في سَبيل التّجارة وكَثْرة ما يَغْشَاهَا من سُفُنِهم، فغَدَرُوا بها لَيْلاً، وثَارُوا فيها وكَثَرُوا أَهْلَها، فأَسْلَمَ الحامِيَةُ إليهم باليَدِ، وَفَرَّ مُقَدَّمُهُمْ ثابِتُ إلى حِلّةِ أَوْلادِ مُرْغِمِ أمراءِ الجَوَاري من دَبّاب أَهْلِ الظَّعْنِ النّاجِعَةِ في أنجابها(أ)، فقَتَلُوهُ صَبْرًا في دَمٍ كان أَصابَهُ في رِئاسَتِه، فكانَتْ مُدّتُه ستّ سنين، وقَتَلُوا معَهُ أخاهُ عَمّارًا. واكْتَسَحَ النَّصارَى جميعَ ما كان بالبَلَد من الذّخيرة والمَتاعِ والخُرْثِيّ والماعون، وشَحَنُوا السُّفُنَ بها وبالأَسْرَى من العَقائِل والحامِيةِ مُصَفَّدِينَ، وأَقامُوا بالبلَد أيّامًا على قُلْعَةٍ ورَهَبٍ من الكَرّة لو كان لها رجالٌ. ثمّ تَحَدّثوا مع من جاوَرَها من المسلمين في فِدائِها، فتَصَدَّى لذلك صاحبُ [قابس](ب) أبو العبّاس أحمدُ بن مَكّي وَبَذَلَ لهم فيها خَمْسين أَلْفًا من الذّهب اسْتَوْهَبَ أَكْثَرَها من جَماعة المُسْلمين بالبلاد الجَريديّة تَزَلُّفًا إلى الله باسْتِخْلاصِ الثَّغر من يَدِ الكُفْر، وذلكَ سنة خَمْسٍ وخَمْسين.

ولَحِقَ وُلْدُ ابن ثابت بثَغْر الإسْكَنْدَرِيَّة فأَقامُوا به يَحْتَرِفُونَ بالتجارَة إلى أن هَلَكَ أحمدُ ابن مَكّي سنةَ ستٍّ وستّينَ، وقامَ بأَمْرِه وَلَدُه عبدُ
[377أ] الرّحمن، / فسَمَا أبو بَكْر بن مُحمّد بن ثابِت إلى رئاسَة أَبيه، وذَكَرَ عُهودَ الصِّبَا في مَعاهِد قَوْمِه، فاكْتَرَى منَ النّصارَى سُفُنًا شَحَنَها بِصَنَائعه ومَوالي

(أ) ظ: أنخابها (ب) ظ: فاس والتصويب من ف وأن صاحب الفداء ابن مكيّ.

أَبيه، ونازَلَها سنةَ إحْدى وسَبْعين في أُسْطولٍ من أَساطِيلهم، واجْتَمَعَ إِليه ذُوبَانُ العَرب ففَرَّق فيهم الأموالَ، وأَجْلَبَ علَيْها بمَن في قُراها وأَرْيافِها من الرَّجْلِ، فاقْتَحَمَها على عبد الرّحمن بن أحمد بن مَكّي عَنْوَةً، وأَجارَهُ العَربُ من أَوْلاد مُرغِم بن صابِر [توَلَّى ذلك منْهم إلى أنْ أبلَغُوهُ مَأْمَنَه في إيالَةِ عَمّه عبد الملِك بمكان إمارتهم بقابس][أ]. واسْتَوْسَقَ أَمْرُ طرابُلس لأبي بَكْرٍ هذا، واسْتَقَلَّ بولاَيَتِها، ودَخَل في طاعَة السُّلْطان أبي العَبَّاس بتُونِس وَخَطَبَ له على مِنْبَرِه. وأقامَ يُصَانِعُه بما علَيه من الضَّرِيبَة ويُتْحِفُهُ حينًا بعد حِينٍ بالهَدَايَا والطُّرَفِ إلى أن هلَكَ سنَة ثِنْتَيْن وتِسْعين، ووَلِيَ مكانَه عَلِيٌّ ابنُ أخيه عمّار، وقامَ بكَفالَتِه عَمُّه. وكانَ قائِدُهُ قاسمَ بنَ خَلَف الله مُتّهَمًا بالتَّشَيُّع للصَّبِيّ المخَلَّف عن أَبي يَحْيى، فارْتَابَ وَدَفَعُوه لاِقْتِضاء المَغارم من مِسْرَاتَة، فتَوَجَّسَ الخيفَةَ من عليّ وانْتَفَضَ، ثُمَّ بَعَثَ إليه بأمانة فرجعَ إلى طَرابُلُس، ثمّ اسْتَوْحَشَ وطَلَبَ الحجَّ فخَلَّوْا سَبيلَهُ ورَكِبَ البحْرَ إلى الإسْكَنْدريّة، ولَقِيَ بها خالِصةَ السُّلطان مُحمّد بن أبي هِلالٍ عامَ حَجٍّ فأَخَذ منه ذِمَّةً، وكَرَّ راجِعًا في السّفين إلى تُونِس لِيَسْتَحِثَّ السّلطانَ لمُلْك طَرابُلس فلَمّا مَرَّ بهمْ رَاسَلُوه ولاَطَفُوهُ واسْتَعَادُوهُ إلى مكانه فَعادَ إليهم. ثُمّ جَاءَتْهُ النُّذُرُ بالهلكة ففَرَّ، ولَحِق بالسّلطان بتُونِس واسْتَحَثَّهُ لملْك طَرابُلُس فبعثَ معَهُ ابنَه الأميرَ أبا حَفص عُمَرَ لحصار طَرابُلُس، فَنَزَلَ بساحَتِها، وافْتَرَقَ عَرَبُ دَبَابٍ[ب] عليه وعلَى ابن ثابت، وقَامَ ابنُ خلَف الله في خِدْمتِه المقامَ المحمودَ، ووَفَّرَ له جِبايَةَ الوطَـ[ـنِ][ج] ومَغارِمَه، وتَقَوَّدَ العرَبَ إلى طاعَتِه

(أ) الزيادة المحصورة بالحاصرتين من ف وفيها فاس (ب) ف: دياب (ج) بترت الكلمة في ظ ف.

ويَسْتَأْلِفُهُمْ له. وأقامَ عليها حَوْلاً كَرِيتًا يَمْنَعُ عَنْهم الأقواتَ وَيَبْرُزون إليه فيُقَاتِلُهُمْ بعضَ الأَحْيان، ثمّ دافَعُوه بالضَّريبة / التّي علَيْهم لعِدَّةِ أعْوامٍ فارِطَة. 3ب] وكان قَدْ ضَجِرَ من طُول المُقامَة فَرَضِيَ بطاعَتِهم وانْكَفأ راجعًا إلى أبيه سنةَ خَمْسٍ وتِسْعين، فَوَلاّهُ على صَفاقُس، وافْتَتَحَ منْها قابِس، كما قَدَّمْناه. وأقامَ عَلِيُّ بن عَمّار عَلَى إمارَته بطَرابُلُس إلى هذَا العَهْد، واللهُ مُدَبِّر الأمور بحكمته.

هذا آخرُ الكلامِ في الدَّوْلة الحَفْصية من الموحِّدينَ وما تَبِعَهُ من أخبار المقدَّمين المُسْتَبِدّين بأَمْصار الجَريدِ والزّابِ والثُّغور الشَّرْقيّة.

فَلْنَرْجِعْ إلى أَخْبار زَناتَه ودُوَلِهم، وبِكمالِها يَكْمُل الكتابُ إن شاء الله.

۞كَمُلَتْ أخبارُ بَني ثابِتٍ رؤساءِ مَدينة طَرابُلُس من دُعاة أبي حَفْصٍ مُلوكِ المُوحِّدينَ بإفريقيَّة. وبِكَمالِها كَمُلَ الجزءُ الثّاني عَشَر من الكتابِ الظّاهِري في العِبَرِ، بأَخْبار العَرَبِ والعَجَم والبَرْبَر.

وَيَتْلُوهُ في الجزْء الثّالث عَشر الخَبَرُ عن زَناتَه من قَبائل البَرْبَر. واللهُ وَليّ العَوْنِ والتَّوفيق، والحمدُ لله وَحْده، وصلَواتُه على سيِّدنا مُحمّد وعلَى آلِهِ وَصَحْبه وسَلَّمَ تَسْليمًا۞[1].

(1) الفقرة الواقعة بين النّجمين انفردت بها ظ نسخة "الظاهري". كما هو الشأن في كلّ أجزائها الأربعة عشرة. وبآخر النسخة ف:

تمّ هذا الجزء المبارك على يد الفقير إلى رحمة ربّه وعفوه عبد الله بن حسن بن شهاب في رابع صفر عام سبع وتسعين وسبع مائة أمتع الله ببقاء مؤلّفه ومن كُتِب بسَبَبه. آمين.

[ بنو ثابت بن عمّار الزُّكوجي، رؤساء طرابُلس وأعمالها ]

# المصادر والمراجع

- ابن الأبّار، محمّد بن الأبّار القضاعي : **الديوان**.
قرأه عبد السلام الهرّاس.
وزارة الأوقاف المغربية – الرباط 1999.
- ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني: **الكامل في التاريخ**.
دار صادر – بيروت – لبنان 1979. عن نشرة كارلوس يوهنس تورنبرغ، ماين سنتي 1851 – 1871.
- إدريس، هادي روجي : **الدولة الصنهاجية**.
عرّبه حمادي الساحلي. جزءآن.
دار الغرب الإسلامي – بيروت 1992.
- الإدريسي (الشريف)، محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**.
جزآن مكتبة الثقافة الدينية – الظاهر (مصورة عن نشرة المستشرقين الطليان). القاهرة د. ت.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: **الأغاني** .
تحقيق إحسان عباس، إبراهيم السّعافين، بكر عبّاس (25 جزءًا). دار صادر – بيروت 2002.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز: **المسالك والممالك**.
حققه أدريان فان ليوفن، آندري فيري (جزآن) .
الدار العربية للكتاب المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات – (بيت الحكمة) 1992.
- البُناهي، علي بن عبد الله: **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفُتيا**.
نشرة ليفي بروفنسال بعنوان: تاريخ قضاة الأندلس . القاهرة 1948.

• بيبرس الدوادار: ركن الدين. زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة.
حققه دونالدس. ريدشاردز. المعهد الألماني – بيروت 1998.
• البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين.
ترجمه وعلق عليه ونشره E. Lévi-Provençal . مكتبة بول جوتنر – باريس 1928.
• ـــــــ، نشره عبد الوهاب بن منصور. دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط 1971.
• التادلي، أبو يعقوب يوسف (بن الزيات): التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي هلال السبتي.
تحقيق أحمد التوفيق. كلية الآداب – المغرب 1984.
• ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.
الأجزاء 1 – 12 : تعليق محمد رمزي بك – دار الكتب المصريّة 1926 – 1956 م.
الأجزاء 13 – 16 : تحقيق مجموعة من مركز تحقيق التراث 1970 – 1972.
• ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
قام عليه محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة – بيروت د. ت.
• حسان بن ثابت: الديوان .
تحقيق وليد عرفات . دار صادر – بيروت 1974.
• الحيلاتي، سليمان بن أحمد: علماء جربة.
حققه محمد قوجة. دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان 1998.
• ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله: الإحاطة في أخبار غرناطة.
تحقيق محمد عبد الله عنان .
مكتبة الخانجي – مصر 1977.

- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله: الحلل الموشّية في الأخبار المراكشية. صححه البشير الفورتي. مطبعة التقدم – تونس 1911.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقا. عارضه بأصول المؤلف محمد بن تاويت الطنجي، راجعه وأعده للنشر إبراهيم شبوح. القيروان للنشر – تونس 2006.
- ———: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. الكتاب الثاني، الجزء العاشر. قرأه وقابله بأصول المؤلف، محمد أحمد أمين. دار القيروان للنشر – تونس 2009.
- ———: الجزء الحادي عشر. قرأه وقابله بأصول المؤلف: إبراهيم شبوح. دار القيروان للنشر- تونس 2011.
- ابن خلدون، يحيى بن محمد: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد. تحقيق عبد الحميد حاجيّات. المكتبة الوطنية، الجزائر 1980.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان. تحقيق إحسان عباس (8 أجزاء). دار صادر – بيروت – لبنان 1994.
- ابن الخوجة، محمد: تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد. المطبعة التونسية – تونس 1939.
- ابن الدّلائي، أحمد بن عمر بن أنس العذري الدّلائي: ترصيع الأخبار وتنوير الآثار، والبستان في غرائب الألوان، والمسالك إلى جميع الممالك. تحقيق د. عبد العزيز الأهواني. معهد الدراسات الإسلامية – مدريد 1965.
- ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. مطبعة الدولة التونسية 1286 هـ.

- الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.
حققه بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي - بيروت 2003.
- ـــــــــ: تذكرة الحفاظ .
(4 أجزاء) . حيدر آباد الدكن د. ت.
- ـــــــــ: سير أعلام النبلاء.
تحقيق شعيب الأرناووط وآخرين. مؤسسة الرسالة - بيروت 1988.
- المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب.
صحّحه محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي. مطبعة الاستقامة - القاهرة 1949.
- روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية في العصر الحفصي.
عربه حمادي السّاحلي (جزآن). دار الغرب الإسلامي - بيروت 1988.
- الزركشي، محمد بن إبراهيم اللؤلؤي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية.
حققه الحسين اليعقوبي، محمد قريمان، محمد صالح العسلي. المكتبة العتيقة - تونس 1998.
- ابن أبي زرع، علي: الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس .
راجعه عبد الوهاب بن منصور. الطبعة 2 - المطبعة الملكية - الرباط 1999.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام.
دار العلم للملايين 1980.
- الزمخشري، محمود بن عمر: المستقصَى في أمثال العرب.
راقب الطبعة محمد عبد المعيد خان. دار المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند. د.ت.

- ابن سعيد، علي بن موسى: **اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى.**
تحقيق إبراهيم الإيباري. دار الكتاب المصري 1980.
- السيوطي، عبد الرحمن بن محمد: **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة.**
حققه محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية – القاهرة 1967.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل: **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية.**
حققه إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان د. ت.
- ابن شداد، بهاء الدين: **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية.**
تحقيق جمال الدين الشيال. القاهرة 1964.
- الشماع، أحمد: **الأدلة البيّنة النورانية عن مفاخر الدولة الحفصية.**
نشره عثمان الكعاك. دار العرب – تونس د . ت.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات.**
باعتناء أيمن فؤاد سيّد، الجزء 18 . جمعية المستشرقين الألمان – ڤيسبادن 1988.
- الجزء 28: باعتناء إبراهيم شبوح.
جمعية المستشرقين الألمان – ڤيسبادن 2010.
- ابن عبد الظاهر: **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور.**
حققه د. مراد كامل – راجعه محمد علي النجار. الشركة العربية للطباعة والنشر. القاهرة 1961.
- العَبْدَريّ، محمد بن محمد الحاحي: **الرحلة** .
حققه محمد الفاسي. جامعة محمد الخامس – الرباط – المغرب 1968.
- ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.**
حققه ج. س. كولان. إ. ليفي بروفنسال. بريل – ليدن – هولندا 1948.

- ________: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.

الجزء الخامس (قسم الموحدين). تحقيق إبراهيم الكتاني – محمد بن تاويت – محمد زنيبر – عبد القادر زمامة.

دار الغرب الإسلامي – دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب 1985.

- العمري، أحمد بن فضل الله: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.**

السفر4، حققه حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة 2002.

- السفر الخامس. تحقيق محمد عجاج الخطيب – مصطفى مسلم – صالح رضا.

المجمع الثقافي – أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة 2004.

- العمري، أحمد بن فضل الله: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.**

أصدره مصورًا عن المخطوط: فؤاد سزگين. بالتعاون مع: علاء الدين جوخوشا – ايكهارد نوپار.

معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية. جامعة فرنكفورت، ألمانيا 1989.

- القرافي، بدر الدين محمد بن يحيى: **توشيح الديباج.**

تحقيق أحمد الشتيوي. دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان 1983.

- القفطي، جمال الدين: **إنباهُ الرواة على أنباه النحَاة.**

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (4 أجزاء) دار الكتب. مصر 1955.

- ابن القطان، حسن بن علي الكتامي: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان.**

حققه محمود علي مكي. دار الغرب الإسلامي 1990.

- ابن القنفد، أحمد القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية.**

تحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد الزكي. الدار التونسية للنشر – تونس 1968.

• ليفتسكي، تاديوس: **المؤرخون الإباضيون.**
ترجمة ماهر جرار – ريما جرار. دار الغرب الإسلامي 2000.
• مارمول كربخال: **إفريقيا.**
ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر ، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلّون.
(3 أجزاء) الجمعية المغربيّة للتأليف والترجمة والنشر . مكتبة المعارف – الرباط – المغرب 1984.
• ابن مامي، محمد الباجي: **مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني.**
المعهد الوطني للتراث – تونس 2006.
• مجهول : **الذخيرة السنيّة في تاريخ الدولة المرينيّة.**
نشره محمد بن شنب. مطبعة جون كاربونال – الجزائر 1920.
• مجهول : **روضة النّسرين في دولة بني مرين.**
ترجمه وعلق عليه G. Marçais و Gh. Bouali نشر Ernest Leroux باريس 1917.
نشره عبد الوهاب بن منصور (الرباط 1962) منسوبًا لإسماعيل بن الأحمر النصري.
• مجهول : **مفاخر البربر .**
(نبذ تاريخية جامعة في أخبار البربر في القرون الوسطى).
نشر إ. ليفي بروفنسال. الرباط 1934.
• مسلم بن الحجاج القشيري: **الجامع الصحيح.** القاهرة 1933.
• ابن مطروح: **الديوان .**
تحقيق حسين نصّار. دار الوثائق القومية بالقاهرة 2004.

- المطوي، محمد العروسي: **السلطنة الحفصيّة.**
تاريخها السياسي، ودورها في المغرب الإسلامي. دار الغرب الإسلامي – بيروت 1986.
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.**
تحقيق إحسان عبّاس. دار صادر – بيروت 1968.
- الميداني، أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال.**
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. (جزآن) مطبعة السنة المحمدية – القاهرة 1955.
- الميداني، أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال.**
حققه جان عبد الله توما. دار صادر 2002.
- النّاصري، أحمد بن خالد السّلاوي: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.**
تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري. دار الكتاب – الدار البيضاء 1954.
- ابن هاني، محمد الأندلسي: **الديوان.**
دار بيروت – لبنان 1980.
- ابن واصل الحموي، محمد بن سالم: **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب.**
الأجزاء 1، 2، 3 . تحقيق جمال الدين السيال (1953 – 1960). 4 ، 5 . تحقيق حسنين محمد ربيع ( 1972 – 1977). 6. عبد السلام تدمري (2004).
- وليم الصوري: **الحروب الصليبية.**
(4 أجزاء)، ترجمة حسن حبشي. الهيئة العامة للكتاب – القاهرة 1991 – 1995.
- بني ياسين، يوسف أحمد: **بلدان الأندلس.**
مركز زايد للتراث والتاريخ – العين – الإمارات العربية المتحدة 2000.
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان.**
دار صادر – بيروت – لبنان 1979.

# المحتوى

الصفحة


تقديم — إبراهيم شبّوح — أ

1• الخبر عن أَهْل جِبال دَرَنْ بالمغرب الأقصى من بُطون المَصامِدة، وما كان لهم من الظهور والأَحْوال، ومَبادِيء أُمورهم وتَصاريفها. 1

2• الخبرُ عن مَبْدإ أَمْر المهْديّ ودعْوَتِه، وما كان للموحّدين القائِمين بها على يَد بَني عبد المؤمن من السُّلْطان والدَّوْلة بالعُدوتَين وإفريقيّة، وبداية ذلك وتصاريفُه. 4

3• الخبرُ عن دَوْلة عبْد المؤمِن خَليفةِ المَهْديّ، والخلفاءِ الأربعةِ من بَنيه، ووَصْف أحوالِهم ومَصائِر أُمورِهم. 12

4• فَتْح الأَنْدَلُس، وشُؤُونُها 21

5• فَتْحُ إفريقيّة، وشُؤُونُها 26

6• بَقيّةُ فَتْح الأندَلُس 28

7• بقيّةُ فَتْح إفريقيّة 29

8• أخبارُ ابن مَرْدَنيش الثّائر بشَرْق الأَنْدَلُس 30

9• دولةُ الخَليفة يوسف بن عبد المؤمِن 31

10• فِتْنَةُ غُمَارة 33

11• أخبارُ الأَنْدَلُس 33

12• الخبرُ عن انْتِقاض قَفْصة واسْتِرْجاعِها 37

13• مُعَاوَدَةُ الجِهَادِ 37

• 14 دولةُ ابنه يَعْقوب المنصور 39

• 15 الخبر عن شأن ابن غَانِيَة 40

• 16 أخبارُه في الجِهاد 45

• 17 الخبرُ عن وُصول ابن مُنقذ بالهديَّة من قِبَل صاحبِ الدّيار المِصْريَّة 48

• 18 دولةُ النّاصِر بن المَنْصور 49

• 19 فَتْحُ مَيُورْقَةَ 50

• 20 خبرُ إفريقيّة، وتَغَلُّب ابن غانِيَة [عليها]، وولايةِ أبي محمّد ابن الشّيخ أبي حَفْص. 51

• 21 أَخْبارُه في الجِهاد 55

• 22 ثورةُ ابن الفَرَس 56

• 23 دَوْلةُ المُسْتَنْصِر بن النَّاصر 57

• 24 الخبرُ عن دَوْلة المَخْلوع أخي المَنْصور 58

• 25 الخبرُ عن دَوْلة العادِل بن المَنْصور 60

• 26 الخبرُ عن دَوْلة المَأْمون بن المَنْصور، ومُزَاحَمَة يَحيى بن النَّاصِر لَهُ 61

• 27 الخبرُ عن دَوْلَة الرّشيد بنِ المَأْمون 64

• 28 الخَبَرُ عن دَوْلة السّعيد بن المأمون 70

• 29 الخَبَرُ عن دَوْلة المُرْتَضَى ابن أخي المَنصور 73

• 30 الخَبرُ عن انْتقاض أبي دَبُّوس وتَغَلُّبِهِ على مَرَّاكُش، ومَهْلِكِ المُرْتَضى، وما كان في دَوْلتِه من الأَحْداث. 78

31• / الخَبرُ عن بَقايا قَبائل المُوَحّدين من المَصامدة بجبال دَرَنْ بعدَ انقِراض دَوْلتهم بمَرَّاكش، وتصاريف أحْوالهم لهذا العَهْد. 83

أ• / هَزرغَةُ 84

ب • تِينمَلَّلْ 84

ج • هِنتَاتَه 85

د• كَدْمِيوَة 91

هـ• وأمّا وَرِيكَة 93

ز• [سَكْسيوَة] 94

32• / الخَبرُ عن بَني يَدَّرْ أمراءِ السّوس من الموحّدينَ بعدَ انقِراض بَني عبد المُؤمن وتَصاريفِ أحْوالِهم. 102

33• / الخَبرُ عن دَوْلة بنى أبي حَفْصٍ ملوكِ إفريقيَّةَ من الموحِّدين، ومَبْدَأ أمرهم وتَصاريف أحْوالِهم. 108

34• / الخَبَرُ عن إمارَة أبي محمّد ابن الشّيخ أَبي حَفْص بإفريقِيّةَ، وهي أوّلِيّةُ أمرهم بها. 113

35• وَقيعةُ تاهَرْت، وما كان من أبي مُحمّدٍ في تَلافيها واستِنْقاذ غَنائِمها 115

36• واقِعَةُ نَفُوسَةَ ومَهْلِكُ العَربِ والملَثّمينَ بها. 116

37• الخَبَرُ عن مَهلِك الشّيخ أبي محمّد ابن الشّيخ أبي حَفص، وولايةِ ابنِه عبد الرّحْمن. 117

38• الخَبَرُ عن وِلاية السيّد أبي العُلَى علَى إفْرِيقِيَّةَ، وابنِهِ أبي زَيْد من بَعْده، وأخْبَارِهِم فيها واعْتِرَاضِهَا في الدّولة الحَفْصِيّة. 118

121 39• الخَبَرُ عن وِلايَة أبي مُحمّد عبدِ الله بن أبي مُحمّد ابن الشّيخ أبي حَفصٍ، وما كان فيها من الأحداث.

122 40• الخبرُ عن وِلايَة الأمير أبي زكريّاء مُمَهّد الدّوْلَة لآل أبي حَفصٍ بإفريقِيَّةَ، ورَافِعِ الرّايةِ لهم بِالـمُلكِ، وأوَّليَّةُ ذلك وبِدايَته.

123 41• الخَبَرُ عن اسْتِبْداد الأمير أبي زكرياء بالأمر، وخَلْعِه لبَني عَبْد المؤمِن.

124 42• الخبَرُ عن فَتْح بِجَايَة وقُسُنطينَة

126 43• الخَبرُ عن مَهْلك ابن غَانِيَة، وحَرَكَةِ السُّلْطان إلى بِجاية، ووِلايةِ ابْنهِ الأميرِ أبي يَحْي زكرِيّاء علَيْها.

127 44• / الخَبَرُ عن سَطْوَة السُّلْطان بِهَوَّارَة

128 45• الخَبَرُ عن ثَوْرة الهَرْغِيّ بطَرابُلس، ومآلِ أَمْرِهِ

130 46• الخبرُ عن بَيْعة بَلَنْسِيَةَ ومُرْسِيَة وأهلِ شَرْق الأَندَلُس ووَفْدِهم

135 47• الخَبرُ عن الجَوْهريّ وأوّليَّته ومآلِ أمْره

137 48• الخبرُ عن فَتْح تِلِمسَانَ ودُخولِ بَني عبْد الوادِ في الدّعْوَة الحفصيّة.

140 49• الخَبَرُ عن دُخول أَهْل الأنْدلُس في الدّعْوة الحَفْصِّية، ووصولِ بَيْعة إشْبِيليّةَ وكثيرٍ من أمْصارها.

143 50• الخبرُ عن بَيْعة أهلِ سَبْتَة وطَنْجَة وقصْرِ ابن عَبْد الكريم، وتصاريفِ أحْوالهم ومآلِ أمورِهم.

144 51• الخبرُ عن بيْعة الـمَرِيّة

145 52• الخبرُ عن بيْعة ابن الأحْمَر

146 53• الخبرُ عن بيْعة سجلْماسَة وانتِقاضِها

•54 الخبرُ عن بَيْعة مِكْناسَة وما تَقَدَّمَها من طاعَة بَني مَرِين 147

•55 الخبرُ عن مَهْلِك الأمير أبي يَحيى زكرِيّاء وَليّ العَهْد مكانَ إمارَته من بِجايَة، وتَصْيير العَهْد إلى أخيه محمّد. 148

•56 الخبرُ عن مَهْلِكِ السّلْطان أبي زكريّاء، وما كان في عَقبه من الأحْداث. 152

•57 الخبرُ عن بَيْعة السّلطان أبي عبد الله المُسْتَنْصر، وما كان في أيّامه من الحوادِث. 154

•58 الخبرُ عن ثَوْرة ابنِ عمّه محمّد اللّحْياني، ومَقْتَلِه ومَقْتَلِ أبيه. 155

•59 الخبرُ عن الآثار التي أَظْهَرَها السّلطانُ في أيّامِه. 157

•60 الخبرُ عن فِرار أخيه أبي إسْحاق وبَيْعَةِ رِ يا حِ له، وما قارنَ ذلك من الأحْداث. 160

•61 الخبرُ عن بَني النُّعمان ونَكْبَتِهم، والخروج إثْرَها إلى الزّابِ 161

•62 الخبرُ عن بَيْعة مَكّة ودُخولِ أهْلها في الدَّعْوَة الحفْصِيَّة 162

•63 الخبَرُ عن الوُفود من بَني مَرين والسّودان وغَيْرهم 178

•64 الخبرُ عن مَقْتَل ابن الأبّار وسِياقَةِ أوّلِيَّتِه 180

•65 الخبرُ عن مَقْتَل اللّلْياني، وأوّليّتِه، وتَصاريفِ أحْواله 183

•66 الخبرُ عن انتِقاض أبي عليّ المِلْياني بمَلْيانَة، وفَتْحِها على يَد الأمير أبي حَفص. 184

•67 الخبَرُ عن فِرار أبي القاسِم بن أبي زَيْد ابن الشّيخ محمّد، وخُروجِه في رياح. 186

54• الخبرُ عن بَيْعة مِكْناسَة وما تَقدّمَها من طاعَة بَني مَرِين 147

55• الخبرُ عن مَهْلِك الأمير أبي يَحيى زكريّاء وَليّ العَهْد مكانَ إمارَته من بِجايَة، وتَصْيِيرِ العَهْد إلى أخيه محمّد. 148

56• الخبرُ عن مَهْلِكِ السّلْطان أبي زكريّاء، وما كان في عَقبه من الأحْداث. 152

57• الخبرُ عن بَيْعة السّلطان أبي عبد الله المُسْتَنْصر، وما كان في أيّامه من الحوادِث. 154

58• الخبرُ عن ثَوْرة ابنِ عمّه محمّد اللّحْياني، ومَقْتَلِه ومَقْتلِ أبيه. 155

59• الخبرُ عن الآثار التي أَظْهرَها السّلطانُ في أيّامِه. 157

60• الخبرُ عن فِرار أخيه أبي إسْحاق وبَيْعَةِ رِ يا حِ له، وما قارنَ ذلك من الأحْداث. 160

61• الخبرُ عن بَني النُّعمان ونكْبَتِهم، والخروج إثْرَها إلى الزّابِ 161

62• الخبرُ عن بَيْعة مَكّة ودُخولِ أهْلها في الدَّعْوَة الحفْصِيَّة 162

63• الخَبَرُ عن الوُفود من بَني مَرين والسّودان وغَيْرِهم 178

64• الخبرُ عن مَقْتل ابن الأبّار وسِياقَةِ أَوّلِيّته 180

65• الخبرُ عن مَقْتل اللِّلْياني، وأَوّلِيّتِه، وتَصاريف أحْواله 183

66• الخبرُ عن انْتِقاض أبي عليّ المِلْياني بمَلْيانة، وفَتْحِها على يَد الأمير أبي حَفص. 184

67• الخَبَرُ عن فِرار أبي القاسِم بن أبي زَيْد ابن الشّيخ محمّد، وخُروجِه في رِياح. 186

68• الخبرُ عن خُروج السّلطان [إلى] المَسيلَة 187

69• الخَبَرُ عن مَقْتَل مَشْيَخَة الذَّوَاوِدَة 188

70• الخبرُ عن طاغِيَة الإفرِنْجة ومُنازلَتِه تُونِس في أَهْل نَصْرانِيَّتِهِ 190

71• الخبرُ عن مَهْلِك رَبِيبَي الدَّوْلَة: أبي عبد الله بن أبي الحُسَين، وأبي سَعيد العودِ الرَّطب. 199

72• الخبرُ عن انتِقاضِ أَهْل الجَزَائِر وفَتْحِها 201

73• الخبرُ عن مَهْلِك السّلْطان المُسْتَنْصر، ووَصْفُ شيْءٍ من أَحْواله 202

74• الخبرُ عن بَيْعة الواثِق يَحْيى بن المُسْتَنْصر، وهو المشهورُ بالمَخلوع، وذكرِ أحْوَالِه. 203

75• الخبرُ عن نَكْبَة ابن أبي الحُسَين، واسْتِبْداد ابن الحبَيِّر على الدَّوْلَة. 204

76• الخبرُ عن إجازَة السّلطان أبي إسْحاق من الأندلس، ودُخولِ أهْل بِجايَةَ في طاعَتِه. 205

77• الخبرُ عن خُروج الأميرِ أبي حَفص بالعَساكِر لِلقاءِ السُّلطان أبي إسْحاق، ثم دُخولِه في طاعَتِه وخَلعِ الواثِق. 206

78• الخبرُ عن اسْتيلاء السّلطان أبي إسْحاق علَى الحَضْرَة 207

79• الخبرُ عن مَقْتَلِ الواثِق ووَلَدِه 209

80• الخَبَرُ عن ولايَة الأميرِ أبي فارس ابن السّلطان أبي إسْحاق على بِجايَة بعَهْد أبيه، والسّبَب في ذلك. 209

81• الخبرُ عن ثَوْرة ابن الوَزير بقُسَنْطِينَة ومَقْتَلِه 212

82• الخبرُ عن قِيادَةِ أبناء السُّلْطان العَساكِرَ إلى الجِهات. 214

83• الخَبَرُ عن صهْرِ السّلْطان مع عُثمان بن يَغَمْرَاسِن. 214

84• الخبرُ عن ظُهورِ الدّعيّ ابن أبي عُمارَة، وما وَقَع من الغَريب في أمْره. 215

85• الخَبَرُ عن انفِضاض عساكِر السّلطان وتَفْويضِه عن تُونِس. 216

86• الخبرُ عن لَحاقِ السُلطان أبي إسْحاق ببِجايَة، ودُخولِ الدّعيّ ابنِ أبي عُمارَة إلى تونِس، وما كان من أمْرِه بها. 218

87• الخَبَرُ عن اسْتِبْدادِ الأميرِ أبي فارِس بالأَمْر عند وُصولِ أبيه إليْه. 219

88• الخَبَرُ عن زَحْف الأميرِ أبي فارِس لِلِقاءِ الدَّعيّ، ثمّ انهزامُه أمامَهُ واستِلحامُهُ وإخْوته في المَعْرَكة، وما كان إثر ذلك من مَهْلِك أبيهم السّلطان أبي إسْحاق، وفرارِ أخيهم الأميرِ أبي زَكرِيّاء إلى تِلِمْسان. 220

89• الخبرُ عن ظُهورِ الأميرِ أبي حَفص، وبَيْعتِه، وما كان على إثر ذلك من الأحْداث. 221

90• الخبرُ عن خُروج الدّعيّ ورُجوعِه، واسْتيلاءِ السّلْطان أبي حَفْص على مُلكِه وعليه ومَهْلِكِهُ. 222

91• الخَبَرُ عن اسْتيلاءِ العَدوّ على جزيرَة جِرْبَة ومَنورقَة ومُنازَلَتِه المَهْدِيّة، وإجْلابِه على السَّواحِل. 224

92• الخَبَرُ عن اسْتِيلاءِ الأميرِ أبي زَكَرِيّاءَ على الثّغر الغَرْبِي: بِجايَةَ والجزائِر وقسُنْطِينَة، وأوّلِيّةِ ذلك ومَصائِره. 226

93• / الخبرُ عن حَرَكَة الأميرِ أبي زكرِيّاءَ إلى ناحِية طَرابُلُس، ومُنازلةِ عثمانَ بن يَغَمْرَاسِن بِجَايَة في مَغيبه. 228

94• / الخبرُ عن فاتِحَة اسْتِبْدادِ أهْل الجَريدِ. 229

95• الخبرُ عن خُروج عُثمان ابن السّلطان أبي دَبّوس داعيًا لنَفْسِه بِجهات طرابُلُس. 230

96• الخبرُ عن مَهْلِك أبي الحسَن بن سَيّد النّاس صاحبِ بِجايَةَ، ووِلايَةِ ابنِ أبي حَيّ مكانَه. 231

97• الخبرُ عن خُروج الزّابِ عن طاعَة الأمير أبي حَفْصٍ إلى طاعَة الأميرِ أبي زَكَرِيّاء صاحبِ بجايَةَ، وانتِظام بِسْكِرَةَ في عَمَلِه. 232

98• / الخبرُ عن مَهْلِك عَبْد الله الفازازِي شَيْخ المُوَحّدينَ، والحاجِبِ أبي القاسِم بن الشّيْخ، رُؤَساءِ الدّوْلة بالحضْرَة. 234

99• الخبرُ عن مَهْلِك السّلْطان أبي حَفْص، وعَهْدِه بالأَمْر من بَعْدِه. 236

100• الخبرُ عن بَيْعة السّلطان أبي عَصِيدَة وما كان على إثْرِها من الأَحْوال. 237

101• الخَبَرُ عن نَكْبَة عبد الحقّ بن سُلَيمان، وخَبرِ بَنيهِ من بَعْدِه. 238

102• الخَبَرُ عن مُراسَلة يُوسف بن يَعْقوب سُلطانِ بَني مَرين ومُهاداتِه. 239

103• الخَبَرُ عن مَقْتَل هَدّاجٍ، وفِتْنةِ الكُعوب وبَيْعَتِهم لابن أبي دبُّوس، وما كانَ بعدَ ذلك من نكبَتِهِم. 241

104• الخَبَرُ عن انتقاضِ أهْلِ الجَزائرِ واسْتِبْداد ابن عَلاّنٍ بها. 243

105• الخبرُ عن مَهْلِك الأميرِ أبي زَكَرِيّاءَ صاحبِ بجايَة، وبَيْعَةِ ابنِه الأمير أبي البَقاء خالد. 244

106• الخبرُ عن سِفارَة القاضي الغِبْرِيني ومَقْتَلِه. 245

107• الخبرُ عن سِفارة الحاجِب ابن أبي حَيّ إلى تُونس، وتَنَكُّرِ السّلطان له بَعْدَها وعَزْلِه. 246

108• الخبرُ عن حِجابَة أبي عبد الرّحمن بن عمر ومَصايِرِ أَمْرِه. 247

109 • الخبرُ عن ثَوْرة ابن الأمين بِقُسَنطينَةَ، وبَيْعَة السّلطان أبي عَصيدَةَ، ثمّ فَتحُ السّلطان أبي البَقاء خالد لها وقتلُه. 249

110 • / الخَبَرُ عن حَركَة السُّلْطان أبي البَقاءِ إلى الجَزائر 252

111 • الخبرُ عن السِّلْمِ وشُروطِه بيْن صاحِب تُونِس وصاحبِ بِجايَة. 252

112 • الخَبَرُ عن سَفَر شَيْخ الدّوْلَة بتُونِس أبي يَحيى اللّحْياني لِحصار جِرْبَة، ومُضِيّه منها إلى الحجّ. 253

113 • الخبرُ عن مَهْلِك السُّلْطان أبي عَصِيدَة، وبَيْعةِ أبي بَكْر الشَّهيد. 255

114 • الخَبرُ عن اسْتيلاء السُّلْطان أبي البَقاء على الحَضْرة، وانفِرادِه بالدَّعْوة الحفصِيّةِ 256

115 • الخَبَرُ عن بَيْعة ابنِ مُزْنِي ليَحْيى بن خالِد، ومَصائر أُمورِه. 257

116 • الخبرُ عن بَيْعة السّلطان أبي بَكْر بقُسُنْطينَةَ على يَد الحاجب ابن عمر، وأوّلِيّة ذلِك. 259

117 • الخَبرُ عن اسْتِيلاء السُّلْطان على بجَايَة، ومَقْتلِ ابن خَلُوفٍ، وما كان من الإدَارَةِ في ذلك. 261

118 • الخبرُ عن مَهْلِك السّلطانِ أبي البَقاء خالدٍ، واسْتيلاءِ السّلطان أبي يَحْيي بن اللّحْياني على الحَضْرَة. 264

119 • الخَبَرُ عن قُدوم ابن غَمَر على السُّلْطان ببِجايَة، ونَكْبَةِ ابن ثابِتٍ وظافرِ الكبير. 266

120 • الخَبرُ عن مُنازلَة عَساكِر بَني عبد الوَادِ ببِجايَة، وما كانَ في ذلك من الأَحْداث. 267

121 • الخَبرُ عن اسْتِبْدادِ ابن غَمَر ببِجايَة. 269

122 • الخَبَرُ عن سَفَرِ السّلطان أبي يَحْيي اللّحْياني [إلى] قابِس وتَجافِيه عن الخِلافَة. 270

123 • الخبرُ عن نُهوض السّلطان أبي بَكْر إلى الحَضْرة، ورُجوعِه إلى قُسُنْطينَة. 272

124 • الخَبَرُ عن اسْتيلاء السُّلْطان أبي بَكْر على الحَضْرة، وإيقاعِه بأبي ضَرْبَة، وفِرارِ أبيه من طَرَابُلس إلى المَشْرق. 274

125 • الخبرُ عن مَهْلِكِ الحاجِبِ ابن غَمْر ببجايَة، ووِلايةِ الحاجبِ مُحمّد ابنِ القالون علَيها، ثمّ الإدالة منه بابن سيّد النّاس. 277

126 • الخبرُ عن إمارَة الأمير أبي عبد الله على قُسُنْطِينَة، وأَخيه الأميرِ أبي زَكَرِيّاء على بجايَة، وتوْليةِ ابن القالون على حِجابَتِها. 279

127 • الخبرُ عن اسْتِقْدام ابن القالون، والإدَالةِ منه بابن سَيّد النّاس في بِجايَة، وبظافِرِ الكبيرِ في قُسُنْطِينَةَ. 280

128 • الخبرُ عن ظُهور ابنِ أبي عِمْرانَ، وفرارِ ابن القالون إلَيْه. 282

129 • الخبرُ عن مَقْتَل مَوْلاهُم بنِ عَمَر وأَصْحابِه من الكُعوبِ. 284

130 • الخبرُ عن وَاقعة رغيس مع ابن اللّحْياني وزَناتَة، ووَاقِعةِ الشقّة مع ابن أبي عِمْران. 285

131 • الخبرُ عن إجْلاب حَمْزة بإبراهيم ابن الشَّهيد، وتَغَلُّبِه على الحَضْرة. 286

132 • الخبرُ عن حِصار بِجايَة وبناءِ تِيمْزِزْدَكْت، وانهزامِ عَساكِر السُّلْطان عَلَيْها. 288

133 • الخبرُ عن مَهْلِك الحاجِب المِزْوار، ووِلايَةِ ابنِ سَيّد النّاس مكانَهُ، ومَقْتَلِ ابنِ القالون. 291

134 • الخبرُ عن وِلايَة الفَضْل على بُونَة. 294

135• الخبرُ عن وَاقِعة الريَاس وما كان قَبْلَها من مَقْتِل الأمير أبي فارِس أخي السُّلْطان. 294

136• الخَبرُ عن مُراسَلَة مَلِكِ المَغْرب في الاسْتِجاشَة على بَنى عبد الوَادِ، وما تبِعَ ذلك من المُصَاهَرَة. 297

137• الخَبرُ عن حَركةِ السُّلْطان إلى المَغْرِب، وفِرارِ بَني عبد الوَادِ، وتَخْرِيبِ تَامْزِزْدَكْت. 298

138• الخبرُ عن نَكْبةِ مُحمّدِ بن سَيّد النّاس، ووِلايَةِ ابنِ عبد العَزِيز وابن الحَكيم من بَعْده. 301

139• الخبرُ عن فَتْح قَفْصَةَ، ووِلايةِ الأميرِ أبي العبّاس علَيْها. 305

140• الخَبرُ عن ولايَة الأميرَين أبي فارس بن عزّوز و أبي البَقاء خالدٍ على سُوسَة، ثم إضافَةِ المَهْديّة إليهما. 307

141• الخبرُ عن وَفاةِ الأميرِ أبي عبد الله صاحبِ قُسَنْطِينَةَ من الأبناء، ووِلايةِ بَنيه من بَعْده. 308

142• الخبرُ عن شأنِ العَربِ ومَهْلِك حَمْزةَ، ثمّ إجْلاب بَنيه على الحَضْرَة وانهزامِهم، [ومَقْتَلِ مُعِزٍّ وزيرِهم]، وما قارنَ / ذلك من الأَحْداث. 310

143• الخبرُ عن مَهْلِك الحاجِب ابن عبد العَزِيز، ووِلايةِ أبي محمّد بن تافراكِين من بَعْده، وما كان علَى تَفِئَةِ ذلك من نكْبَة ابنِ الحَكيم. 313

144• / الخبرُ عن شَأنِ الجَرِيدِ واستِكْمالِ فَتْحه، ووِلايَةِ ابنِه أبي العبّاس عليه، ووِلايَةِ صاحبِ قابِس أحمدِ بن مَكّي على جَزيرة جِرْبَة. 318

145• الخبرُ عن مَهْلِك الوزيرِ أبي العَبّاس / بنِ تَافْرَاكِين. 322

146• الخَبرُ عن مَهْلِك الأمير أبي زَكَرِيّاء صاحب بجاية من الأبناء، وما كان بعدَ ذلك من ثَوْرة أَهْل بجاية بأخِيه الأمير أبي حَفصٍ، ووِلايَة / ابنِه الأمير أبي عَبْد الله. 323

147 • الخبرُ عن مَهْلِك مَوْلانا السّلطان أبي بَكْرٍ، ووِلايَةِ ابنِه الأميرِ أبي حَفْصٍ. 327

148 • / الخبرُ عن زَحْف الأمير أبي العَبّاس وَلِيّ العَهْد من مَكان إمارَته بالجريد إلى الحضرة، وما كان من مَقتله ومَقتلِ أخوَيْه الأميرِ أبي فارِس عَزُوزٍ وأبي البقاء خالدٍ. 328

149 • / الخبرُ عن استيلاء السُّلْطان أبي الحسَن على إفريقيّة، ومَهْلِك الأمير أبي حَفصٍ، وانتِقال الأبناء من بِجايَة وقُسُنْطينَة إلى المَغرب، وما تخلل ذلك من الأحداث. 331

150 • الخَبَرُ عن ولاية الأمير أبي العبّاس الفَضْلِ على بُونَةَ، وأوّلِيّة ذلك ومَصائره. 334

151 • الخبَرُ عن بَيْعة العَربِ لابن أبي دَبُّوس، ووَاقِعَتهم مع السّلطان أبي الحسن بالقَيْروان، وما قارَنَ ذلك كلَّه من الأحداث. 335

152 • الخَبَرُ عن حصار القَصَبَة بتُونس، ثمّ الإفراجِ عن القَيْروانِ وعنْها، وما تخلَّل ذلك. 338

153 • الخَبَرُ عن استِيلاء الأمير الفَضْل على قُسُنطِينة وبِجاية، ثمّ استيلاءِ أمَرائِهما علَيْهما. 340

154 • الخبَرُ عن حَرَكةِ الفَضْلِ إلى تُونِس بَعْد رَحِيل السُّلطانِ أبي الحسَن إلى المَغرب. 344

155 • الخبَرُ عن مَهْلِك الفَضْلِ، وبَيْعَة أخيه المَوْلَى أبي إسْحاق في كَفَالَةِ أبي مُحمّد / بن تافْراكِين وتحْتَ اسْتِبْدادِهِ. 345

156 • الخبَرُ عن حَرَكَةِ صاحبِ قُسُنْطِينَة إلى تُونِس، وما كانَ من حِجابَة أبي العبّاس بن مَكّي، وتَصاريف ذلك. 348

157 • / الخبَرُ عن وِفادة صاحبِ بِجايَة على أبي عِنانٍ، واسْتيلائِه علَيْه وعلى بَلده، ومُطالبتِه قُسنطِينَة. 350

158 • الخبرُ عن حادِثَة طَرابُلُس واسْتِيلاء النَّصارَى علَيْها، ثمّ رجوعِها إلى ابنِ مَكّي. 355
159 • الخبرُ عن بَيْعةِ السُّلطان أبي العَبّاس أميرِ المؤمِنينَ، ومُفْتَتَحِ أَمْرِه السّعيدِ بقُسَنْطِينَة. 356
160 • الخَبَرُ عنْ وَاقعَةِ مُوسَى بن إبْراهيم، واسْتِيلاءِ أبي عِنانٍ بَعْدَها على قُسَنْطِينَة، وما تخلّل ذلك من الأحْداث. 359
161 • الخبَرُ عن انتقاض الأميرِ أبي يَحْيى زَكَرِيّاءَ بالمَهْدِيّة، ودُخولِه في دَعْوة أبي عِنانٍ، ثمّ نُزولِه عنها، ورُجوعِها إلى الطّاعَة، وتصاريفِ ذلك. 362
162 • / الخبَرُ عَن اسْتِيلاءِ السُّلطان أبي إسْحاق على بجايَة، وإعَادَةِ الدَّعْوَة الحفْصِيّةِ إليْها. 364
163 • الخبَرُ عن فتْح جِرْبَة، ودُخولِها في دَعْوة السّلطان أبي إسْحاق صاحبِ الحَضرة. 365
164 • الخبَرُ عن عَوْدة الأُمَراءِ من المَغْرب، واسْتِيلاءِ السُّلْطَان أبي العبّاس على قُسَنْطِينَة. 369
165 • الخبَرُ عن وُصولِ الأخِ الأميرِ أبي يحيي زكريّاءَ من تُونس، وافْتِتاحِه بُونَة واسْتيلائِه علَيْها. 371
166 • الخَبَرُ عن اسْتيلاءِ الأمير أبي عَبْد الله على بجايَة، ثمّ على تِدْلِسَ بعدَها. 372
167 • الخبَرُ عن مَهْلِك الحاجِب أبي مُحمّد بن تَافْرَاكِين واسْتِبْدَادِ سُلْطَانِه من بَعْدِه. 374
168 • الخبَرُ عن اسْتيلاءِ السّلطان أبي العَبّاس على بجايَة، ومَهْلِك صاحِبِها ابنِ عَمّه. 376

158 • الخبرُ عن حادِثة طَرابُلُس واستيلاء النَّصارَى علَيْها، ثمّ رجوعِها إلى ابنِ مَكّي. 355
159 • الخبرُ عن بَيْعةِ السُّلطان أبي العَبّاس أميرِ المؤمنين، ومُفتَتَحِ أمْرِه السّعيدِ بقُسَنْطِينَة. 356
160 • الخَبَرُ عنْ وَاقعَةِ مُوسَى بن إبراهيم، واستيلاءِ أبي عِنَانٍ بَعْدَها على قُسَنْطِينَة، وما تخلّل ذلك من الأَحْداث. 359
161 • الخبرَ عن انْتقاض الأَميرِ أبي يَحْيى زَكَرِيّاء بالـمَهْدِيّة، ودُخولِه في دَعْوة أبي عِنانٍ، ثمّ نُزولِه عنها، ورُجوعِها إلى الطّاعة، وتصاريفِ ذلك. 362
162 • / الخبرُ عَن اسْتيلاءِ السُّلطان أبي إسْحاق على بِجاية، وإعادَةِ الدَّعْوَة الحفصِيّةِ إليها. 364
163 • الخبرُ عن فَتْح جِزبَة، ودُخولِها في دَعْوة السّلطان أبي إسْحاق صاحبِ الحَضرة. 365
164 • الخبرُ عن عَوْدة الأُمَراءِ من الـمَغرب، واستيلاءِ السُّلْطان أبي العبّاس على قُسَنْطِينَة. 369
165 • الخبرُ عن وُصولِ الأخِ الأميرِ أبي يحيي زكريّاء من تُونس، وافْتِتاحِه بُونَة واستيلائِه علَيْها. 371
166 • الخَبرُ عن استيلاءِ الأمير أبي عَبْد الله على بِجاية، ثمّ على تِدلِس بعدَها. 372
167 • الخَبرُ عن مَهْلِك الحاجِب أبي مُحمّد بن تافْراكين واسْتِبْدادِ سُلْطَانِه من بَعْدِه. 374
168 • الخَبَرِ عن اسْتيلاءِ السّلطان أبي العَبّاس على بِجايَة، ومَهْلِك صاحِبِها ابنِ عمّه. 376

169 • الخَبَرُ عن زَحْفِ أبي حَمُّو وبَني عَبْد الوادِ إلى بِجايَةَ ونَكْبَتِهِمْ علَيْها، وفتح تِدْلِس من أيْديهم بَعْدَها. 378

170 • الخَبَرُ عن زَحْفِ العَساكِرِ إلى تُونِس 380

171 • الخَبَرُ عَنْ مَهْلِكِ السُّلطان أبي إسْحاق صاحبِ الحَضْرَة، وولايَةِ ابْنِهِ خالدٍ من بَعْده. 381

172 • الخبرُ عن فَتْح تُونس واسْتيلاءِ السُّلْطان أبي العبَّاس علَيْها، واسْتِبْدادِه بالدَّعْوَة الحفصِيَّةِ في سائِر عَمَالاَتِ إفْريقيَّة ومَمَالِكِها. 383

173 • الخبرُ عن انْتقاض مَنصور بن حَمْزة وإجْلابِه بالعَمّ أبي يَحْيى زكريّاءَ على الحَضرَة، وما كان عَقِبَ ذلك من نَكبة ابنِ تَافْراكِين. 386

174 • الخبرُ عن فَتْح سُوسَة والـمَهْدِيّةِ. 388

175 • الخبَرُ عن فَتْح جِرْبَةَ، وانتظامِها في مَلكَة السُّلْطان. 390

176 • الخبرُ عن اسْتِقْلال الأُمَراءِ من الأبناء بوِلايَةِ الثُّغورِ الغَرْبِيَّةِ. 392

177 • الخبرُ عن فَتْح قَفْصَةَ وتَوْزَر، وانتظامِ أعْمالِ قَسْطيلِيَّة في طاعةِ السّلطانِ. 394

178 • الخبرُ عن ثَوْرَة أَهْل قَفْصةَ، ومَهْلك ابنِ الخَلَف. 398

179 • الخبرُ عن فَتْح قَابِس وانتِظامِها في مَلَكَةِ السُّلْطان. 400

180 • الخَبَرُ عن اسْتِقامَة ابن مُزْنِي وانقِيادِه، وما اكْتَنَفَ ذلِك من الأحْوال. 404

181 • الخبرُ عن انْتِقاض أَوْلاد أبي اللّيل، ثمّ مراجعتهم الطّاعَةَ. 408

182 • تغلّبُ ابنِ يَمْلُول على تَوْزَر، وارْتجاعُها مِنْه. 409

183 • وِلايةُ الأميرِ زكريّاءَ ابنِ السُّلْطان على تَوْزَر. 411

184 • وفاةُ الأمير أبي عبد الله صاحب بِجَايَةَ. 411
185 • حَرَكَةُ السّلْطان إلى الزّابِ. 412
186 • حركةُ السُلطان إلى قابِس. 414
187 • رُجوعُ المنتَصِر إلى وِلاَيته بتوْزَر، ووِلايةُ أخيه زَكَرِيَّاءَ على نَفْطَة ونفزاوَة. 415
188 • فِتْنَةُ الأمير إبراهيم صاحب قُسُنطينَة مع الذّواوِدَة، ووفاةُ يَعْقوب ابنِ عليّ، ثمّ وفاةُ الأمير إبراهيم إثْرَها. 416
189 • مُنازَلةُ نَصارى الفِرَنْج للمَهْدِيّة. 418
190 • انتِقاضُ قَفْصَة وحِصارُها. 421
191 • وِلاَيَةُ عُمَرَ بنِ السُلْطان على سَفاقُس، واسْتِيلاؤُهُ منها على قَابِس وجَزيرةِ جِرْبَة. 424
192 • وَفاةُ السّلْطانِ أبي العبَّاس، ووِلاَيَةُ ابنِه أبي فَارِسَ عَزّوز. 425
193 • / الخبرُ عَنْ بَني مُزْني أمراءِ بِسْكِرَة وما إلَيْها من الزّاب. 428
194 • / الخَبَرُ عن رئاسَة بَني يَمْلُول بتوْزَر، وبَني الخَلَف بنَفْطة، وبني أبي مَنيعٍ بالحامّة. 444
195 • / الخبرُ عن بَني مَكّي رُؤساءِ قابِس وأَعْمالِهَا. 460
196 • الخبرُ عن بَني ثابِت رُؤَساءِ مَدينة طَرابُلُس وأَعْمالِهَا. 473
المصادر والمراجع 481
المحتوى 491

2015 - 12 - 1500 - 1

# Kitāb al-ʻIbar wa Dīwān al-Mubtadaʼ wa-l-Khabar

## fī Ayyām al-ʻArab wa-l-ʻAjam wa-l-Barbar wa man ʻĀṣarahum min Dhawī al-Sulṭān al-Akbar

*By*

Walī al-Dīn ʻAbd al-Raḥmān b. Muḥammad
IBN KHALDŪN

BOOK THREE: VOL. 12

*Collated with the autograph manuscripts by*

Ibrahim Chabbouh

Tunis 2015

# Kitāb al-ʿIbar wa Dīwān al-Mubtada' wa-l-Khabar

fī Ayyām al-'Arab wa-l-'Ajam wa-l-Barbar wa man
'Āṣarahum min Dhawī al-Sulṭān al-Akbar

*By*

Walī al-Dīn 'Abd al-Raḥmān b. Muḥammad
IBN KHALDŪN

BOOK THREE: VOL. 12

*Collated with the autograph manuscripts by*

Ibrahim Chabbouh

Tunis 2015